

حضرة اسماعيل حقي بك

متصرف لواء جبل لبنان الحالي



لبنان

مباحث علمية واجتماعية

عُني بنشرها

لجنة من الادباء

بهمّة

اسماعيل حقي بك

متصرف جبل لبنان

المطبعة الادبية بيروت سنة ١٣٣٤

ديباجة الكتاب

إنّ حكومة لبنان بنشرها هذا الكتاب تعرضهُ لنظر العالم واعتبارهِ إذ تُبيّن ما خُصّ بهِ ذلك الجبل من المشاهد البديعة وما يزدانُ بهِ من مواليد الطبيعة سواء كانت ذات حياة او جماداً · والغاية التي ترمي اليها في ذلك مرجعها الى هاتين الكلمتين : أَن تعرفَ الحكومةُ ذاتها وتُعرِّفَ نفسها · وهي خُطةٌ أُهملت الى يومنا هذا · فأرادت الحكومة اللبنانية أَن تُشاهد بأُمِّ عينها أَنحاء هذا الصقع البهية والتاريخية معاً ثمَّ تهتمّ بهِ بسُوَيداء قلبها ·

ذلك ما حملها الى تأليف هذا الكتاب · وقد جرى تنسيقُ فصولهِ وترتيبُ أَبحاثهِ على نظامٍ طبيعيّ منطقيّ مُباشرةً بوصفِ لبنان أَعني برسمهِ الجغرافيّ · ويليهِ تباعاً أَبحاث في هيئته الاجتماعية وأَدبيَّاتهِ ومحصولاته الطبيعيَّة المختلفة وصنائعه · وبالاجمال يشملُ هذا المؤَلّفُ كلّ المباحث التي تروقُ في عيون اللبنانيين من جميع الطبقات

ومما تحلّى به الكتاب عدد وافر من التصاوير الفوتغرافيَّة الجميلة

فان كان هذا العمل يَنهجُ الطريقَ لمواصلة معرفة الجبل عِلمياً فللحكومة اللبنانية اليدُ البيضاء في تحقيق هذه الأُمنيَّة ·

وغنيٌّ عن البيان انّ تذليل الصُّعوبات التي تعترض دَرساً كهذا وتهيئة وسائل النجاح قبل المباشرة بالعمل لاسيما في الاحوال الحاضرة لم يكن بالامر السهل · ومن ثم رأَينا انهُ لَأَفضل ان نُباشر بالمبادئ والاصول الاساسيَّة لِتتمثَّلَ فكرَ بُلوغِ الكمال · وعليه لم يُوهن عزمنا ما اعترضنا من العقبات · فلم يكن بوُسعِنا ان نقومَ بعملٍ جامعٍ لضُروب الكمال مع ما لدينا من الوسائل غير المستوفية · انما قصدنا بهذا التأليف استقصاء احوال لبنان من وجهه العلمي وخصوصاً الاجتماعي

هي خطوةٌ اولى خطوناها في تلك الطريق السحيقة · ولا غروَ انهُ مع توالي الايام

ستتوفرُ الوسائل لوضع بحثٍ اوسع وأتمّ لاسيما اذا حصلنا على معرفة بلادنا ومعرفة انفسنا

وبما ان الحكومة اللبنانية كانت عاملةً بواجباتها ومدركةً لمسؤوليتها فقد وضعت اساس هذا العمل تاركةً للمستقبل شرفَ إكماله . ان الخُطةَ الجديدة التي سلكناها في هذا الكتاب ليست مطروقة خلافاً لمنهج التقاويم الفارغة والعديمة الفائدة التي نُشرت الى الآن . ومن ثم يجد القارىء في هـذا المؤلف مقالات وافية عن البلاد وساكنيها وأخلاقهم ولغاتهم وآدابهم وتاريخهم فضلاً عما يحتويه من الرغائب المنوطة بالمستقبل والتي تلوح كالبرق في ظلمات الماضي .

ان حكومة اليوم تعلم ان من واجباتها تهيئة الغد . فهذا ما حدا بها الى نشر هذا الكتاب فاذا ما أنتجَ هذا العملُ بعض الفائدة لخير الشعب وصالح الحكومة يظهر للعيان اننا اخذنا بالسير في السبيل المستقيم . والفضلُ في مثل هذا المسعى يرجع للحكومة المحلية . وانما غايتهُ هي بلا مراء النفع العام

وصف لبنان

القسم الاول

وصف لبنان الطبيعي

فاتحة الكلام

ان بين الجبال التي نالت شهرة واسعة في التاريخ جبلاً عرف في كل آن بخواصهِ الممتازة وصفاتهِ العجيبة ألا وهو جبل لبنان الذي ورد ذكرهُ في الآثار القديمة البابليّة والهيروغليفيّة ولا سيما في اسفار التوراة التي في ايدي اليهود والنصارى . فان مرّحت الابصار في تلك المآثر وجدت ذكرهُ مكرّراً . فتارةً يطنب الكتبة في علوّه وثلوجهِ الغرّاء . وتارةً يشيدون بمحاسنهِ ومناظرهِ . وحيناً يثنون على اشجارهِ الباسقة كالارز والسرو . وطوراً يمدحون كرومهُ وخمرهُ الطيّبة . وانما نال لبنان هذه الشهرة لموقعهِ في قطرٍ تواردت اليه كبار الدُّوَل وعظام الممالك ولعب في كل اطوار التاريخ دوراً مهمًّا استلفت اليه ابصار العالم بأسره .

اسم لبنان

لبنان عَلَمٌ أعجميٌّ يرتقي اصله الى اللغات الساميّة القديمة . فالاشوريون دعوه في كتاباتهم الآجرّية «لَبْنانو» . ودعاه العبرانيون «لبنُون» والارميّون «لِبْنون» . ومنهُ اشتق اليونان والرومان اسمهُ «ليبانوس» . وعليه ترى ان الاسم صبرَ على طول الدهور دون اختلاف يذكر . اما معناه فالجبل الابيض . فالاسم مشتقٌ من فعل ثلاثيّ «لبن» بمعنى ابيض . قيل له ذلك لبياضِ ثلوجه التي تكسو قممه بثوب يَبقى ذي نقاوة تامة .

ولاسم لبنان معنىً آخر يستند الى الاصل عينه في اللغات السابقة كلّها ومعناه فيها كما في العربيّة اللُّبان اي البخور والكندر . زعم من ذهب الى هذا الرأي في شرح اسمه انهُ دعي بذلك لما يفوح من جوانبهِ من الروائح العطرة التي تنشرها اشجارهُ ونباتاتهُ ذات العرف الذكي .

حدود لبنان

اعتبار سلسلتي لبنان جبلاً واحداً

يستفاد من التوراة في تعريف لبنان انهُ جبل شامخ عظيم في شمالي نهر الليطاني يحد ارض الميعاد من تلك الجهة . ولا يميّز اصحاب هذه الصحف بين لبنان الغربي والشرقي فاطلقوا على كليهما اسم لبنان . وذلك لان السلسلتين متشابهتان تشابهاً تاماً تسيران الى وجهة واحدة بمحاذاة البحر من الشمال الى الجنوب على خطين متوازيين وطولهما واحد على التقريب . ثم تتقاربان وتقترنان عند وادي التيم في سفح جبل الشيخ . فضلاً عن انهما تتفقان في تركيب طبقاتهما الارضية من صخور كلسية متجانسة وفي قدم تكوينهما وزمن شخوصهما واطلاق اسم لبنان على كليهما . فهما جبل واحد انقسم الى قسمين عظيمين يفصلهما وادٍ متسع هو سهل البقاع الكثير الخصب . ويسمّى في التوراة هـذا السهل « مدخل حماة » او « الطريق الى حماة » لانهُ اشبه بطريق متسع ينفذ بين جبلين عاليين ويوصل بين الجنوب والشمال .

وسيجار يب ابناك حسبما اورد كلامه اشعيا النبي عليه السلام يسمّي سورية باسم لبنان حيث يقول « بكثرة مراكبي صعدتُ الى قمم الجبال وزوايا لبنان » . وهكذا يوسيفوس المؤرخ اليهودي اذا ذكر جبل حرمون والجبال المجاورة لدمشق دعاها كلها باسم لبنان

وكما اطلقت اسفار التوراة منـذ القديم اسم لبنان على السلسلتين كذلك سكان الجبلين المذكورين لا يفرقون الى الآن بينهما إلا بقولهم لبنان الشرقي ولبنان الغربي

الجبال المجاورة للبنان

فاذا تقرر ذلك نقولــ ان قدماء الجغرافيين لم يتفقوا على ضبط تخوم لبنان سواء كان في طوله او في عرضه . ولندرك سبب هذا الاختلاف لا بدّ لنا من تعريف الجبال المجاورة للسلسلتين المذكورتين . ان الجبال التالية لبنان الغربي وليست منه هي في الشمال جبال النصيرية وتمتد من النهر الكبير الى جنوبي مصب نهر العاصي حيث تنتهي بالجبل الاقرع الشامخ . ومن هناك يبتدئ جبل اللكام . وتنتهي سلسلة لبنان الغربي في وادي الليطاني جنوبي قلعة الشقيف (١) ومن هناك تمتد السلسلة جنوباً الى نواحي صفد والناصرة ثم تنحرف شرقاً الى نواحي نابلس . ويفصل هذه الجبال عن جبل الكرمل سهل مرج بني عامر الواسع .

اما سلسلة لبنان الشرقي فاولها الى جنوبي حمص على نحو مرحلة منها تجاه آخر جبال النصيرية ومن هناك تمتد السلسلة الى الجنوب الغربي حيث تسمّى فوق حاصبيا جبل الشيخ . وتنخفض شرقاً الى جهات دمشق

(١) قلعة الشقيف وتسمى شقيف ارنون باسم بانيها قلعة قديمة حصينة منحوتة من داخلها في صخر اصمّ في اعلى جبل شاهق لا يمكن الصعود اليها إلا بسلم من خشب متى رفعت امتنع الدخول اليها

وجنوبًا الى جهات بانياس فتتصل بالجولان شرقي بحيرة الحولة · فاذا علمنا ذلك يمكننا ان نفهم اقوال قدماء الكتبة ·

اقوال كتبة اليونان والرومان في تخوم لبنان

اول من احكم الفصل بين الجبلين المذكورين كتبة اليونان فانهم خصّوا اسم لبنان بالجبل الغربي ودعوا الشرقي باسم انتيليبانوس اي القائم بازاء لبنان · ونجد هذا الاسم ايضًا في الترجمة السبعينية للاسفار المقدسة في القرن الثالث للمسيح ·

ولعلّ المؤرخ بوليب هو اول من سبق فبين بضبط وتدقيق تخوم لبنان · وهو يفصله عن لبنان الشرقي فصلاً صريحًا ويذكر بين السلسلتين سهل البقاع ويجعل هذا السهل مخرج نهر العاصي · وممن اجادوا في تعريف اتساع لبنان ديودور الصقلّي وكان معاصراً لاوغسطوس قيصر · قال ان لبنان يمتد من صيداء الى جبيل وطرابلس وانّ غابات الارز تكلل قممهُ · وقد اصاب اسطرابون احد زعماء الجغرافيين الاقدمين اذ يفرق بين لبنان والجبل الشرقي ويجعل بينهما سهل البقاع ويعين حدود لبنان الشمالية تقريبًا عند طرابلس الا ان اسطرابون لم يصب بزعمه ان اللبنانين يبتدئان بقرب البحر عند صيداء فهذا يصحّ في لبنان الغربي لا الشرقي · وبقوله انهما ينتهيان عند دمشق · فهذا يصدق على لبنان الشرقي لا الغربي · وبوصفه سير السلسلتين من الغرب الى الشرق · والذي اوقعه في هذا الخطاء هو انه لما كان يعلم ان الجبلين متوازيان وقد وصفهما بانهما يبتدئان كلاهما عند صيداء وينتهيان عند دمشق كان لا بد له من القول بانهما يسيران من الغرب الى الشرق · وهذا لا يصدق إلا على جزء من لبنان الشرقي المنخفض نحو دمشق

وقد اقترب بلينيوس الى الحقيقة اكثر من سواه في وصفه للبنان اذ ميزه عن الجبل الشرقي وجعل امتداده من عند صيداء وبيّن وجهة امتداده شمالاً الى النهر الكبير وذكر البقاع والعيون التي يتكوَّن منها العاصي ·

ما قاله الكتبة البوزنطيون

الاّ ان الكتبة البوزنطيّين عادوا فخلطوا بين الجبلين بسبب تقسيم ملوك الروم للولايات تقسيماً جديداً فاختلطت الاسماء وصارت الاعلام تدل على غير ما وضعت له سابقًا ·

فسورية المجوَّفة التي كانت تدلّ قبلاً على سهل البقاع فقط اصبحت اقليماً واسعًا يمتدّ الى ما وراء انطاكية وصارت هذه المدينة قصبةً له · فتغلب اسم لبنان على جبل النصيرية المجاور واعتبر كانهُ لاحق بلبنان · وهكذا القول عن فينيقية اللبنانية وكان يراد بها قبلاً الساحل المنحصر بين لبنان والبحر فصار يطلق اسمها على بلاد متسعة تبلغ حدودها الى دمشق وحمص وتدمر · فلا عجب اذا تغلب اسم لبنان على الجبال القريبة من هذه المدن ·

وهذا برهان على ان فينيقية اللبنانية كان يفهم بها اذ ذاك لبنان الشرقي خاصةً بعد ان جعلت دمشق

عاصمة لها وكانت قبلاً عاصمتها مدينة حمص · ومما يستغرب هو انه في القسمة الجديدة للولايات لم يحسب لبنان الغربي ضمن فينيقية اللبنانية · ومن ثم نرى المؤرخ سوزومين يخص اسم لبنان بالجبال المحاذية لمدينة أفامية اي قلعة المضيق · واطلق ثاوفانوس المؤرخ اسم لبنان على كل جبال الشام الواقعة بين مصب نهر العاصي وفلسطين · وقد جرى بقية المؤرخين البوزنطيين على هذا الاصطلاح ·

جغرافيو العرب

وتابعهم جغرافيو العرب في وصفهم جبل لبنان فاخطأ كثيرون واصاب البعض · زعم ابن الفقيه الهمذاني ان لبنان يتصل ببلاد الروم ومن ثم جعل جبال الاسماعيليين واللكام وقسماً من جبل طوروس من حيز لبنان · وابن بطوطة احد سيّاح العرب قد ألحق بجبل لبنان جبل النصيريّة · واغرب من ذلك تحديد لبنان لياقوت الحموي حيث قال في معجم البلدان « لبنان جبل مطلّ على حمص يجيء من بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام · · · ويمتد الى مَلَطيه وسُمَيساط [1] وقاليقولا الى بحر الخزر » فيجعل جبلاً واحداً عدّة جبال متسلسلة من الشام الى بحر قزوين (بحر كاسپي) · فهذه الاوهام ادّت بالكتبة القدماء الى انهم عدّوا من لبنان مدناً ليست منهُ كدمشق وحمص وحماة حتى تدمر · وجعل شمس الدين الدمشقي حدود لبنان الى اللاذقية واعتبر لبنان كقسمٍ من سلسلة عظيمة اوّلها في جنوبي بلاد العرب · وقال ابن جبير في رحلتهِ «وراء المعرّة جبل لبنان وهو سامي الارتفاع يمتد الطول يتّصل من البحر الى البحر وفي سفحه حصون الملاحدة الاسماعيلية · وجبل لبنان حدٌّ بين المسلمين والافرنج لانه وراءه انطاكية واللاذقية وسواهما من بلادهم » فجعل بلاد النصيريّة من لبنان · واصاب المقدسي في قوله ان لبنان جبل ساحله يشرف على صيداء · واضبطُ العرب وصفًا للبنان ابو الفداء فيميز لبنان عن جبل دمشق الذي يسميه في طرفهِ الجنوبي جبل الثلوج (يريد جبل الشيخ) · وجعل لبنان بازاء جبل الثلج يمتد الى شرقي طرابلس · فاذا تجاوزها عُرف بجبل عكار · اما الجبل الواقع في شمال جبل عكار فيدعوه جبل اللكام · الا اننا نعرف ان بين جبل عكار واللكام يوجد جبل برجيل الذي يمتد على طول وادي العاصي وساحل البحر ويسمى هناك بجبل النصيريّة والكلبيّة والاسماعيلية نسبةً الى القبائل الساكنة فيه ·

خرائط لبنان القديمة والحديثة

وبقيت هذه الاوهام حتى القرون المتأخرة · فانّ الذين رسموا خرائط لبنان اولاً في القرن السابع عشر كالعلامة بوشرت في كتابه « الجغرافية المقدسة » وسلاربوس مؤلف كتاب « العالم القديم » لم يحسنوا وضع رسومهم · وكان اول من اهتدى الى صحة رسم لبنان الكاتب الهولاندي أدريان ريلند · على ان رسمه كان غير وافٍ بالمرام فبقي على خلله الى ان قام الالماني الشهير هنري كيپرت فنشر خارطة حسنة للبنان سنة ١٨٥٦ · ثم جاء بعده مواطنه ڤان دي ڤلد فاصطنع خارطة على مقياس اوسع هو ضعف مقياس

(١) سميساط مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم

كيبرت فاتسع في وصف الجبل ونواحيه سنة ١٨٥٨ ثم جدد بعد مدة طبعها مع اصلاحات وتحسينات شتى ·
واحسن من هذه الخرائط الخارطة التي تولى رسمها قوم من ضباط البعثة الافرنسية سنة ١٨٦٢ فرسموا بعد الرصود وأقيسة مواقع الامكنة خارطةً للبنان تُعرَف باسمهم مقياسها ١ من ٢٠٠٠٠٠ طولها ٨٩ سنتيمتراً في عرض ٦٧ س · وبقيت هذه الخريطة مرجعاً للخرائط المرسومة بعدها في كتب السيّاح مع بعض زيادات واصلاحات نخصُّ بالذكر بينها خريطة ريشرد كيبرت البارع في رسم الخرائط بعد ابيهِ فانـهُ وضع في برلين خارطة ألحقها بكتاب البارون ڤون أُوپنهيم المعنون بالالمانية «من البحر المتوسط الى خليج العجم» المطبوع في برلين سنة ١٩٠٠

تحديد لبنان

فاستناداً الى اقوال الجغرافيين المدققين واصحاب الخرائط المحققين يمكننا الآن ان نبين حدود لبنان الأكيدة فنقول ان لبنان سلسلة جبال تمتد من الجنوب الى الشمال على سمت البحر المتوسط حده الجنوبي نهر الليطاني والشمالي النهر الكبير والشرقي سهل البقاع وسهل بعلبك والغربي البحر المتوسط ·

انفصال سلسلتي لبنان

اذا نظرنا الى سلسلة لبنان الغربي رأينا منعطفهُ الشرقي المواجه للبقاع سريع الانحدار كانه قُدَّ قداً · امـا منعطفه الغربي فينزل الى البحر بتحدّرٍ خفيف بجبالٍ وهضابٍ عديدة · ونرى بعكس ذلك سلسلة لبنان الشرقي سريعة الانحدار في منعطفها الغربي المقابل للبقاع وخفيفة الانحدار في منعطفها الشرقي فتميل ببطء الى سهول دمشق · واذا لحظنا الفرجة العظيمة التي بين السلسلتين رأينا سهلاً رحباً يفصلهما في طولها بسعة متساوية تقريباً · فسبب هذا التشابه في السلسلتين هو ان الجبلين كانا في القرون الخالية جبلاً واحداً ففصل بينهما طارئٌ جيولوجي غير هيئتهما فانخسفت بينهما الارض وليس وادي البقاع إلاَّ نتيجة هـذه القارعة ومن ثم لاحرج عَلَى الكتبة الاقدمين اذا اعتبروا هذين الجبلين كجبل واحد واطلقوا على كليهما اسم لبنان وان كانوا لم يدققوا في تعريفهما كما يفعل اليوم الجغرافيون ·

سهل البقاع

نري البقاع بعد انخفاض ارضهِ محاطاً بالجبال واعلى في شماله منه في جنوبهِ وبما ان لبنان الشرقي ولبنان الغربي يقتربان من بعضهما في الجنوب فتقترنُ شعابهما أصبح ذاك الوادي مسدوداً من تلك الجهة · وكانت

مياه السلسلتين تنصبُّ اليه بغزارة ولا منفذ لها فضحى الوادي بحيرة ماء . يؤيد ذلك ما بقي فيه من المستنقعات التي لم يقوَ على تنشيفها في الآن الجدّ والعمل فضلاً عن اننا اذا حفرنا التربة وجدنا الماء على عمق يسير . فلما طغت المياه وازداد عزمها قويت على الصخور وخرقتها وانتحت لها منفذاً بين الشعاب حيث مجرى الليطاني اليوم وهو مجرى ضيّق عميق بين صخور شاهقة لا تدع مسيراً إلاّ لمياه النهر فقط

ثم ان المياه المنحدرة الى وادي البقاع والحاملة اليه تربة الجبال المحيطة به مكثت فيه دهوراً فرسب التراب في قعر الوادي وجوانبه طبقات عالية كما يرسب تراب مياه النيل في وادي مصر فبتراكم التربة تسوّت ارض الوادي فجرت المياه في مسيلها وظهر سهلٌ خصب كما نشاهده اليوم.

هيئة لبنان

قال إليزه روكلو في وصفه لبنان : « اذا ما اتيت بمسيرك من البحر الى سلسلة لبنان المستطيلة رأيت لهذا الجبل منظراً مهيباً فيلوح لك ازرق او وردياً في الصيف ومشتملاً في الشتاء والربيع بجلباب ثلجه الفضي واذا تصاعدت الابخرة في الجوّ البست قممه المتزحزحة ثوباً شفافاً هوائياً غاية في اللطف . وتراه مع عذوبة منظره لا يخلو من علائم الصلابة والشمم فترى ذاك الجبار يتمطى بضلوعه الشديدة وينطح برأسه الشامخ لا يقوم في وجهه قائم . على ان النظر الى محاسن هذا الجبل عن كثب خير دون جماله عن بُعد . فترى ظهرهُ اجرد لا تكسوه الخضرة وتجد وديانه متشابهة ومشارفه كانها قدّت على قالب واحد » . هذا هو الوصف الذي خصه ذاك الجغرافيّ الشهير بلبنان

ان ارتقينا في مركبة هوائية وحلقنا في الجوّ وطفنا فوق لبنان رأينا هذا الجبل ممتدّاً من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي مُحاذياً البحر المتوسط وبدت لنا قممهُ بصورة نظامية بسيطة خالية من تلك المناظر المختلفة التي تروق العيون في غيره من الجبال . فتراه قائماً على شاطئ البحر في مدخل البلاد الشامية كحاجز عظيم في حدود الافق يمتد على خط واحد لا تكاد رؤوسه العليا تمتاز عن بقية اقسامه فلا ترى فيه القرون التي تناطح السماء ولا التي تبرز كالابر والاسنان والمسلاّت والمناشير . بل ترى ظهر لبنان ينبسط انبساطاً متساوياً تحدّه اهاضيب ورواب محدّبة لا تختلف في هيئتها عن السلسلة الوسطى .

مساحة لبنان

واذا ما مررنا بمركبتنا الهوائية فوق لبنان متقدمين من الجنوب الى الشمال رأينا الجبل يمتد على طول ١٨٠ كيلو متراً ويزداد علوّاً . انّ عرض لبنان بين صيداء ومشغرة من جهة البقاع لا يزيد على ٣٩ كيلو متراً . وهو يبلغ بين بيروت وقب الياس ٣١ كيلو متراً . ومعظم اتساعه بين طرابلس والهرمل حيث يبلغ عرضه ٤٦ كيلومتراً . فيكون لبنان على شكل مربع مستطيل يحاذي شاطئ البحر منفرج العرض عند زاويتيه الشماليتين

العليو ين. ونقدّر مساحته بثلاثة آلاف وخمسمائة كيلو متر مربع.

علوّ قمم لبنان

ثم اذا تتبعنا بمركبتنا الهوائية اعالي لبنان متوجهين من جبل الجرمق الى جبل عكار وهما يدعمان هذا الجبّار من جانبيه الجنوبي والشمالي ويسندانهِ في انتصابه نحو السماء مررنا على اعظم قمم لبنان ارتفاعاً فننتقل من عالٍ الى اعلى.

يبتدئ لبنان جنوباً عند الوادي العميق الذي يجري فيه الليطاني وتشرف عليه قلعة الشقيف بعلو ٦٧٠ متراً. فان صعدنا من هناك الى جبل الجرمق بلغنا علوّ ١٠٣٠ متراً ثم نصل الى جبل الريحان وعلوّ اعظم قمة فيه ١٦٤٣ متراً. وفيه وهدة تسمّى ثنيّة الريحان تمرّ فيها الطريق المؤدّية من المنعطف الغربي الى المنعطف الشرقي وارتفاع هذه الثنية ١٤٧٤ متراً. ويستلفت نظرنا بعدها تومات نيحا وهما قمّتان مخروطتا الشكل مع استدارة قليلة يفصل بينهما مهبط قليل العمق وفي سفحهما قصبة جزين وعلو التومات ١٨٥٠ متراً ويليهما في الشمال الطريق المؤدية من جزين الى مشغرة. ثم نرى ظهر الجبل ينضمّ ويمتد على خط متساوٍ وهو اجرد لا نبت عليه. فذاك جبل نيحا وفي شماله جبل الباروك البالغ علوهُ ٢٢٢٢ متراً. ونمرّ في نهايته على وهدة في ظهر البيدر وعلوّها ١٥٤٢ متراً. وهناك يقسم لبنان الى قسمين متساوٍ بين الا ان بين القسمين اختلافاً في الهيئة لان قمة القسم الجنوبي منضمة كما سبق لنا القول. اما القسم الشمالي فيأخذ في الانبساط وتتسع أنجاده حتى تبلغ عدة اميال منها نجد جبل الكنيسة وعلوهُ ٢٠٣٢ متراً ونجد صنين ٢٦٠٨ أمتار وهو على شكل مثلث يُرى من بيروت بقرنين شاهقين ويبعد عن جبال الارز عشرين كيلومتراً يفصل بينهما جبل المنيطرة الممتاز بشعبته المستطيلة وعلوه ٢٩١١ متراً وجبل العاقورة. وترى بين هذين الجبلين ثنيّة او وهدة علوها ١٩٨١ متراً يجتازها من اراد العبور من قرية العاقورة في المنعطف الغربي الى قرية اليمونة في المنعطف الشرقي.

وبعد جبل العاقورة يبتدئ جبل المكمل ومجموع جبال الارز وهناك اعلى قمم لبنان وهو نجد واسع مساحته مائة كيلومتر مربع وفيه سلسلتان متوازيتان مختلفتان تتجهان من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي طولها نحو ١٥ كيلومتراً وفيها قمم متعددة منها قمة فم الميزاب وعلوها ٣٠٤٧ متراً. وظهر القضيب وعلوه ٣٠٦٧ متراً اماً الثنية او الوهدة التي هي مجاز في المكمل من بشرّي الى عيناتا فسهل بعلبك فيبلغ علوها ٢٤٣٨ متراً.

ثم يهبط جبل الارز شمالاً نحو ٨٠٠ متر فنتصل بهِ سلسلة جبل عكار واعظم علوّ فيها ٢١٣٩ متراً. وطولها ٤٠ كيلو متراً تنتهي شُعبها الاخيرة عند وادي النهر الكبير الذي يحد لبنان في شماله كما يحدُّه الليطاني في شرقه وجنوبه والعاصي في شرقه الشمالي والبحر في غربيه. فترى مما سبق ان لبنان يزداد علوه وعرضه من الجنوب الى جبل المكمل في الشمال.

اما لبنان الشرقي فبعكس ذلك يبلغ معظم علوهِ في الطرف الجنوبي لان حروف جبل الشيخ الثلاثة

ترتفع دفعةً واحدةً الف متر فوق سائر السلسلة اذ ان علوّ جبل الشيخ فوق سطح البحر يبلغ ٢٨٥٧ متراً · فيكون لبنان الغربي اعلى من الشرقي · ولا ينقص الغربي إلاّ مائة متر لتكون قمته العليا متوشحة بوشاحها الشتوي الناصع البياض على مدار السنة · وقد ارتأى العلامة دينر ان علوّ لبنان كان في الاعصار السالفة السابقة لعهد التاريخ اعلى منهُ اليوم بنحو ٣٠٠ متر · فلم تزل دواعي الدمار تسحوه وتجرف تربته الى السهول حتى صار على ما هو اليوم · ومن ثم ندرك صحة قول الاقدمين بانَّ لبنان كان سابقاً متوّجاً بثلوج مخلدة فدُعي لهذا السبب بلبنان اي بالجبل الابيض ·

المقابلة بين منعطفي لبنان

لا يخفى ان لعلوّ الجبال ومواقعها من حيث ميلها وانعطافها علاقةً مع الخصب والعمران · ومن ثم نرى ان منعطف لبنان الغربي اكثر خصباً واوفر عمراناً فالمزروعات تنمو فيه نموًّا عجيباً واربعة اخماس ان لم نقل خمسة اسداس قُرى الجبل ومزارعه وتنيف على الالف ومائتين هي في هذا المنعطف · وذلك لاعتدال البرد والحرارة فيه ولزيادة الرطوبة بسبب مواجهته للبحر · بينما نرى منعطفهُ الشرقي قليل المساكن والمزروعات الا ما قرب من سهل بعلبك وسهل البقاع الكثيري الخصب وذلك لتحدره السريع ولاشتداد البرد فيهِ · ومن ثم قلّما نجد في المنعطف الشرقي قرى يبلغ موقعها علوًّا عظيماً فلا نكاد نجد منها إلاّ عينانا وعلوُّها ١٧٨٠ متراً وهي اعلى قرى لبنان · ثم اليمونة وعلوّها ١٥٤٠ متراً وفي شمالي غربي زحلة بالقرب من نبع البردوني قرية صغيرة تدعى حزرته يبلغ علوُّها ١٤٣٠ متراً

اما في المنعطف الغربي فعديدة هي القرى المشيَّدة في الاعلي كبشري واهدن والحدث وعلوها جميعها قريب من ١٥٠٠ متر · والعاقورة وعلوُّها ١٤٠٠ متراً · وبسكنتا ١٤٣٠ متراً وعين صوفر ١٣٠٠ متر

ولا نجد في لبنان قرىً او ضياعاً فوق علوّ ١٨٠٠ متر وان كنا نجد في هذا العلوّ بل في علوّ ٢٠٠٠ متر بعض المزروعات لكنها تكون في مواضع هي بمعزل عن الرياح

اما سلسلة لبنان الشرقي فتراها بعكس ذلك مجدبة في الجهة الغربية وزاهية بانواع النبات في الجهة الشرقية وفي كلا منعطفيها اقل عمراناً من لبنان الغربي

اودية لبنان

في لبنان اودية عديدة تكاد لا تحصى وهي غريبة في وجهتها وضيقة وعميقة جداً خاصة في منعطفه المقابل للبحر · فتراه يمتاز بتقاطيعه · فهنالك عددٌ وافر من المهاوي والشعاب والاودية الصعبة المرتقى التي تقطع الجبل ضلوعاً مختلفة كأنها اعضاد تدعمه · وهذه المنهبطات والبطون هي على خط عامودي بالنسبة الى الجبل تنفرج

نحو الساحل لتفتح مجاري للمياه الى البحر . واكثر هذه الاودية المعترضة توجد في شمالي لبنان اي في مشارفه العليا

وبما ان لبنان عند بلوغه رأس الشقعة يميل ميلاً ظاهراً الى الشرق وتتسع أسناده الغربية وتخف منحدراته فلذا نرى الاودية اللاحقة به تميل معه الى الشمال الغربي وان استمرت عامودية على الجبل . فتجري الانهر من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي اي انها تتبع انخفاض الجبل المائل نحو وادي النهر الكبير

وما عدا هذه الاودية المعترضة توجد اودية اخرى توازي طول الجبل وتسايرهُ عَلَى خط مستقيم . مثال ذلك شمالي لبنان نهر خالد في جبل عكار وما ينصب فيه من الجداول والسيول فانه يسير من الجنوب الى الشمال اي انه يساير طول الجبل

وكذلك جنوبي لبنان حيث الاودية والانهر الجارية فيها كالزهراني والاولي والدامور تسير اولاً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي اي بخط يوازي طول الجبل ثم تغير سيرها وتميل الى الغرب .

اما في منعطف لبنان المقابل للبقاع فكل الاودية تقريباً من حد فم الميزاب الى جبل الريحان تتجه من الشمال او من الشمال الغربيّ الى الجنوب الشرقيّ . وجداولها وانهارها من حدود بعلبك الى آخر السهل جنوباً تصب كلها في نهر الليطاني

فعل العوامل الطبيعية في اودية لبنان

انّ الاودية اللبنانية وتعقرها الجسيم انما هو من فعل العوامل الطبيعية . لم يكن لبنان في الاطوار الاولى للارض عَلَى الهيئة التي نشاهده فيها اليوم . كانت قممه متحدبة تحدبًا نظامياً خاليًا من التقاطيع والشعاب والاودية الاَّ انَّ العوامل من الامطار والثلوج والجليد وجري المياه والزلازل تسلطت عَلَى قممه ومنعطفاته وتربته وصخوره فنقرتها وقسمتها وضعضعتها وحفرتها وجرفتها حتى اوصلتها الى ما نراها عليه اليوم . ولا يخفى احداً ان معظم مواد صخور لبنان من المركبات الكلسية ومعلوم ان للمياه قوة عظيمة لتعمل في هذا النوع من الصخور . فاذا كانت نقطة ماء تسقط من شاهق على الصخر مدّة من الزمان تؤثّر فيه فماذا يكون مفعول مجاري مياه عظيمة تتدفّق بقوة من اعالي الجبال والهضاب مدة عصور متوالية . فلولا المياه لم يكن تقاطيع واودية في الجبال خاصةً الجبال التي ليست بركانية

وفي الحقيقة قلّما نرى في لبنان وادياً الاَّ ونرى آثار المياه عَلَى جانبيه فنعلم علوّ مجراها سابقًا ثم هبوطهُ على ممرّ الدهور ونتأكد ان المياه حفرتهُ وعمقتهُ

فان كنّا نجد في لبنان اودية كثيرة العدد وقريبة من بعضها وعميقة وضيقة لا يُشاهد على ضفافها الشاهقة الاَّ الصخور الجرداء فما ذاك الاَّ لغزارة مياه لبنان ولتجرُّد هذا الجبل من الغابات ولأن الامطار تهطل كأنها تُصبّ من افواه القرب فيجتمع السيل وتفيض الشعاب وتنحدر فيها المياه بعزم شديد فتحفرها شيئًا فشيئًا وتعمقها يندر ان نشاهد في جبل ضيق العرض وقليل الطول اودية عميقة كالتي نراها في لبنان مثل وادي نهر

الاولى ووادي نهر الدامور ووادي الجماجم بين بسكنتا والخنشاره ووادي نهر الكلب ووادي الصليب ووادي نهر ابراهيم ووادي قاديشا الذي يبلغ عمقه ٥٠٠ متر ٠ ولهذا الوادي اذا شاهدته من الحافة التي تعلوهُ قرب الديمان منظرٌ مدهشٌ مهيب ٠ ترى العمق يبتدئ فيه لا بالتدريج كما في سائر الاودية لكن بغتةً كأنَّ الارض خُسف بها هنالك انخسافاً هائلاً وانتَ واقفٌ على حافة جرفٍ هارٍ بعيد الغور

ومن ينظر الى خارطة لبنان يتحقق ان الاودية في منعطفه الغربي هي اوفر عدداً وابعد غوراً منها في المنعطف الشرقي وما ذاك الا لان المنعطف المقابل للبقاع سريع الانحدار وقصير المدى من قمة الجبل الى السهل ٠ اما المنعطف المقابل للبحر فاخفّ انحداراً وابعد مسافةً بين الساحل وقمة الجبل فيتيسر للمياه ان تعمل فيه اعمالها

ونقول بالاختصار ان المياه تفتح لها اودية في الجهة التي يميل اليها انحدار الجبل واذا كان الانحدار طويل المسافة كان الوادي عميقاً ٠ فلهذا السبب في منعطف لبنان الغربي نجد الاودية عميقة وعمودية على الجبل ٠ امّا في المنعطف الشرقي فلأنَّ الانحدار مائل الى الجنوب الشرقي وقصير المدى نرى الاودية غير عميقة تساير ميل الجبل ٠ وكذلك القول عن منعطف لبنان الشمالي في جبل عكّار والجنوبي في جبل الريحان والجرمق ٠

وسنأتي على ذكر اودية كثيرة في لبنان عندما نتكلم عن انهاره المتنوعة

ثم ان للمياه تأثيراً عظيماً ليس فقط في ظاهر لبنان لكن ايضاً في باطنهِ حيث تكوّن اسراباً واودية داخلية كما سنرى عند كلامنا عن ينابيع هذا الجبل

ساحل لبنان

اذا ألقيت نظركَ على خارطة تمثّل سواحل سورية عموماً وسواحل لبنان خصوصاً رأيتها تمتد من الشمال الى الجنوب على خطٍ مستقيم تقريباً الا ما ندر في بعض الرؤوس الداخلة في البحر على مسافة قصيرة ٠ وبعض الخلجان القليلة الحدبة في البرّ ٠ واذا تتبّعت الساحل رأيت الروابي الصخرية تتعاقب فيه مع الوهاد الرملية والسهول المزدرعة ٠ ولم يكن الامر كذلك في العصور الخالية

ارتفاع الساحل عن سطح البحر

يذهب علماء الجيولوجية باتفاق الاصوات الى انهُ في عهد الطور الرابع للارض بل في الطور التاريخي ايضاً كانت مياه البحر تغمر سواحل لبنان اكثر ممّا يُرى في ايامنا ٠ وانَّ الشواطئ أخذت ترتفع مع الزمان ارتفاعاً يذكر ٠ فالربوة مثلاً القائمة عليها مدينة بيروت كانت في الطور الرابع منفصلةً عن الأسناد التي ينتهي

اليها جبل لبنان اي انها كانت جزيرة وما وراءها اي الوادي الذي يجري فيه اليوم نهر بيروت وما يجاوره من السهل كان مغموراً بمياه البحر وكان هناك جون كبير يجمع بين خليج مار جرجس شرقي شمالي المدينة ومياه البحر التي يصب عندها نهر الغدير المنحدر من وادي شحرور ٠

وقد وصف المسيو هول الجيولوجي الانكليزي رواسب من الحصى المصقول المدوَّر كحصى البحر فاستنتج من ذلك ان البحر كان ممتداً عليها في سالف الاعصار ٠ وهذه الرواسب البحرية وجدها سطوحاً مختلفة في عدة مواضع من سفح لبنان الى بيروت ٠ وترى عند المحل المعروف بلوكندة المطران على طريق الشام قطعة متسعة منها تعلو فوق سطح البحر عشرة امتار ٠ وبجوار ثكنة البلدة فسحة واسعة تركيب تربتها من الرمل ودقيق الجص والحصى المستدير كما هو معهود على ساحل البحر ٠ وجدير بالاعتبار ان بين خليط هذه المواد جملة من الاصداف البحرية توجد بوفرة في ايامنا على ساحل البحر قريباً من بيروت ٠

ولنا دليل آخر على ارتفاع الساحل وهو انه عند راس نهر الكلب بقرب احدى الكتابات المرتفعة اليوم نحو عشرة امتار فوق سطح البحر قد اكتشف الدكتور روسيغر في صلب الصخر ثقوباً مستديرة حفرتها ايدي البشر يليها رسوم اناجر ومراسٍ دليلاً على ان السفن في الاعصار الماضية كانت تربط بهذه الثقوب لما كان سطح البحر يبلغ علوَّ هذه الثقوب ٠ الا ان الذين يستخرجون الحجارة من المقالع ذهبوا بكل هذه الآثار

وبالقرب من قرية انفه رأس مستطيل دقيق يشبه البرزخ وقد شُقَّ هذا الرأس في عرضه بخندقين نُقرا في الصخر نقراً متسعاً لفصل رأس انفه عن البر ٠ وكان قصد الفينيقيين من هذا العمل الجباري ان يملأوا الخندقين من ماء البحر لرد غارات العدو من الجهة الشرقية عن المدينة التي كانت حصناً حصيناً ٠ الا ان ارتفاع الساحل اليوم يحول دون اتصال المياه البحرية بهذين الخندقين

وزد على ذلك ان التاريخ يذكر لمدينة يافا مرفأً حسناً كانت ترسو فيه بأمنٍ سفن ترشيش ٠ ولا احد يجهل ان هذه البلدة هي اليوم في اسوإ حال من هذا القبيل ٠ وقد ارتأى المسيو فراس ان المرفأ القديم كان شمالي يافا في وسط السهول المكتنفة بالبلدة ٠ وكلا القولين دليلٌ واضح على ارتفاع الساحل وانخفاض سطح مياه البحر ٠ ويتحقق ذلك من قرب غور المياه في المرافئ القديمة كصور وصيداء وطرابلس ومن الرواسب البحرية التي نراها اليوم مرتفعة فوق سطح البحر

واذ تقرَّر ذلك نقول ان الشواطئ تتبع تعاريج الجبل في تقعره وتتوئه ٠ وكانت المياه البحرية تصل الى الصخور الموجودة الآن وراء السهول الرملية او المزدرعة ٠ فسهل جونية مثلاً كان مغطَّى بمياه البحر وكذلك سهل بيروت وسهل طرابلس وسهل الدامور ٠ فلما هبطت مياه البحر وانكشفت ارضه وفيها هضاب ووهاد اندفعت الرمال بقوة الرياح الى المواضع المنخفضة فتكوَّن سهل رملي واخذ يتسع شيئاً فشيئاً بازدياد هبوط المياه واندفاع الرمال الى البر ٠ وبقيت الاراضي المرتفعة روابي صخرية ٠ ثم انَّ الامطار جرفت التربة من منعطفات الجبال الى السهول الرملية فاضحى القسم الذي غطتهُ التربة صالحاً للزراعة ٠ فهكذا تكوَّنت التلال الرملية والسهول الخصبة وبرزت الروابي الصخرية في ساحل لبنان

بقي علينا ان نصف ما في سواحل لبنان من السهول والخلجان والرؤوس منتقلين من الشمال الى الجنوب

سهول لبنان الساحلية

ان السواحل اللبنانية الممتدة بين شاطئ البحر واوائل تلال لبنان على قلة اتساعها هي عظيمة الشهرة لاحتوائها على آثار اقدم حضارة في الدنيا واقدم مدن العالم . فعلى سواحل لبنان ومضايقها مرت تلك الجيوش الجرّارة والشعوب الفاتحة من البابليين والحثيين والمصريين والكلدانيين والفرس والماديين واليونان والرومان والبوزنطيين والعرب والترك وغيرهم . وهناك المدن القديمة كطرابلس ومعنى اسمها المدن الثلاث لانها كانت قديمًا ثلاثة محلات . ثم انضمت الى واحدة ودعيت باسم طرابلس . والبترون وسمّاها اليونان بوتريس وهي قديمة العهد يقال انه بناها ايثوبعل ملك صور في ايام ايليا النبي عليه السلام . وجبيل وهي مدينة الفينيقيين المقدّسة واسمها القديم بيبلوس وفي التوراة جيبال وفيها الآثار النفيسة من نواويس واعمدة تدلّ على عظمتها في العصور الخالية . وبيروت وهي من مشاهير المدن وفيها كثير من الآثار القديمة وقد اشتهرت في اواسط القرن الثالث للمسيح بمدرسة علم الفقه . وصيداء وهي المسمّاة عند الاقدمين صيدون . قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي انها سمّيت باسم صيدون بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام . وصور وهي مدينة قديمة جدًّا اشتهرت في ايام الفينيقيين بسعة التجارة ومهارة الصنائع وسلوك البحار . وهي مذكورة في سفر يشوع بن نون عليه السلام . فهذه المدن الذائعة الشهرة جعلت لساحل لبنان شأنًا كبيرًا وخطرًا عظيمًا في العصور الغابرة

فاذا سرت على الساحل من الشمال حتى تصل الى رأس الشقعة وجدت السهل يضيق كلما تقدمت في المسير . فبعد ان يكون عرضه نحو ٢٥ كيلو مترًا في الاراضي الموازية لجزيرة ارواد تراه لا يتجاوز ثلاثة كيلومترات عند طرابلس . ثم يأخذ لبنان في التقرب من البحر الى راس الشقعة حيث ترتفع الصخور كالحائط فوق المياه

امّا بين البترون ورأس الكلب فعرض السهل نحو نصف كيلو متر او كيلو متر على الكثير الّا انهُ يتسع نحو كيلومترين عند البترون . و بالقرب من البربارة جنوبي نهر المدفون فيكون عرضه نحو ٣ كيلو مترات و بالقرب من جبيل وخاصةً شماليها وعند مصب نهر ابراهيم

ومن رأس الكلب الى رمال بيروت اي على مسافة ٢٦ كيلو مترًا يأخذ السهل في الاتساع حتى يصير عرضهُ شرقيّ جنوبيّ بيروت تسعة كيلو مترات . فترى هناك آكام مكتسية بالمزدرعات وحقول خصبة مرصّعة بالقرى العديدة

ثم تزداد الرمال جنوبي بيروت عرضًا وارتفاعًا . فعلى مسافة عشرة كيلو مترات طولاً في معدل كيلومتر ونصف عرضًا اراضٍ متسعة تبلغ مساحتها ١٥٠٠ فدّان مدفونة تحت تلال الرمل تراه مصطفًا كجيش للقتال يتهدد مدينة بيروت فتنتصب لمحاربته احراج الصنوبر الفسيحة وتوقفهُ على حدوده . وتمنعهُ ايضًا عن التقدم الى الامام صحراء الشويفات الواسعة الاطراف التي يبلغ طولها ٧ كيلو مترات في عرض يختلف بين

كيلومتر وثلاثة كيلومترات تزينها اشجار الزيتون وتغني البلاد بزيتها الحلو

وما بين صحراء الشويفات وراس الدامور لا تجد إلا سهل خلدة الضيق الذي يُحوّله السقي بالنواعير الى سهل مخصب مع ما يتهدّده دائماً من هجوم الرمال . ثم سهل الدامور الذي تبلغ مساحتهُ الف فدان

واذا تقدمت الى الجنوب من راس الرُّميلة بالقرب من بساتين صيداء لا ترى سوى الآكام الصخرية والجبال المجدبة غير تاركة على شاطئ البحر إلا مجازاً ضيقاً

امّا سهل صيداء المشهور بخصبه فيبلغ عرضه نحو خمسة كيلومترات بطول ١٣ كيلومتراً وينتهي في الجنوب عند راس صرفند . وفيه الحدائق الغنّاء والجنائن النضرة الغنيّة بثمارها وتأتيها المياه الغزيرة في اقنية من نهر الاولى ويُجتنى منها انواع الليمون والبرتقال والمشمش والخوخ والسفرجل والرمان والموز

خلجان لبنان ورؤوسهُ

قلنا ان ساحل لبنان يمتد على خطّ قليل التعريج ومستقيم تقريباً من الشمال الى الجنوب . فاذا ذكرنا الخلجان والرؤوس لا يتصورنّ القارئ خلجاناً كخليج الاسكندرونة العظيم السعة ولا رؤوساً كرأس اندريا في جزيرة قبرص المستطيل الدقيق كأنهُ رمح مصوّب نحو خليج الاسكندرونة . فخلجان لبنان ورؤوسه هي صغيرة تناسب الساحل القليل الطول الموجودة فيه . فمعظمها ان لم نقل كلها جُوَينات اكثر منها خلجاناً

خلجان لبنان

واوّل خليج نجدهُ في الشمال جون عكّار فان الشاطئ هناك يخالف الساحل في خطّهِ المتساوي فيستدير مع الجبل بهيئة هلال ممتداً من مصب نهر عمقي او من شرقيّ جزيرة ارواد الى صخور ميناء طرابلس البارزة فوق سطح المياه . كان هذا الجون قديماً داخلاً في البرّ واوسع مما هو عليه اليوم . الا انّ مياه النهر الكبير ونهر عكار ونهر عرقة والنهر البارد بما جرّتهُ اليه من التربة ردمت جزءاً كبيراً منه وحوّلتهُ الى سهل خصب

وبعد جون عكّار لا نجد جوناً يستحق الذكر الا خور جونيه . كان هذا الجون قديماً داخلاً في الارض واصلاً الى صخور الجبل وشاغلاً كل السهل المزدرع الآن كما بيّنا ذلك في كلامنا عن السواحل ولا ترى في كل ساحل الشام من غزّة الى ميناء اسكندرونة ميناء طبيعية سواه . ولهذا سمي الجون . فهو يُعد من احسن خلجان سورية لانه عميق الغور فلا خطر على السفن اذا القت هناك مرساها . ولانهُ بأمن من الرياح الشديدة الهبوب كريح الشمال وريح الجنوب والريح الشرقية لانّ الجبال تطل عليهِ وتحيط بهِ من تلك الجهات الثلاث وهو مفتوح فقط لجهة الغرب . وهذا الجون هو في جهته الشمالية آمن منهُ في جهتهِ الجنوبية التي قعرها رمل

ثم يلي خليج مار جرجس شرقيّ بيروت · وقد سبق لنا القول في كلامنا عن السواحل انه كان اوسع في قديم العصور وكان يدور وراء جزيرة بيروت و يشغل السهل شرقيّ جنوبيّ المدينة متصلاً الى مصبّ نهر الغدير

رؤوس لبنان

ان الرؤوس التي شاهدناها في مسيرنا على ساحل لبنان من الشمال الى الجنوب هي رأس الميناء في طرابلس · فرأس الناطور · فرأس انفه · فرأس النورية او الشقعة · فرأس سلعاتا المطلّ على نهر الجوز في شماله · ثم رأس فدعوس جنوبي البترون · فرأس البربارة شمالي عمشيت · فرأس المعاملتين · فرأس صربا · فرأس الكلب · فرأس بيروت · فرأس الدامور او السعديات . ثم رأس جدرة او النبيّ يونس · فرأس الرّميلة شمالي نهر الاولي · ورأس صرفند

واهمّ هذه الرؤوس رأس الشقعة او رأس النورية تراه من بيروت كأنهُ دارعة عظيمة هائلة راسية في المرفأ وهي على وشك الخروج لتمخر عباب البحر

ان جبل النورية مربّع الشكل مستطيله ُ منحنٍ قليلاً من الشرق الى الغرب يمتدّ في الطول مسير ساعة وفي العرض نصف ساعة ومعدل علوّه ٢٥٠ متراً ومساحته في اعلاه مستوية ذات آكام قليلة الارتفاع وفي قمته قرية حامات البالغ علوُّها ٣٠٠ متر وهذا الجبل الغريب الشكل يفصله عن لبنان من الجنوب وادي الجوز ومن الشرق وادي المري وساقية المري · وتربة هذا الوادي مركبة من الحوّارى فيصعب اجتيازه خاصةً في الشتاء لان القدم تزلق في طينه اللزج ·وفي مكان ضيق حرج المنعطف من وادي الجوز على مسافة نصف ساعة من البترون على رأس صخرة شاهقة منتصبة في بطن الوادي حصن منيع يدعى قلعة المسيلحة

امّا تسمية الرأس بالنوريّة فلوجود دير سيدة النوريّة في اعلى الجبل ·وكان يسمّى هذا الرأس عند الاقدمين ثيوبروسوبون اي وجه الاله وليثوبروسوبون اي وجه الحجر اشارة الى البعل الفينيقيّ المعبود هناك ·والى الآن توجد في جنوبي غربي الجبل قرية صغيرة تدعى وجه الحجر ·ورأس الشقعة الذي ينتهي به الجبل هو صخرة صمّاء تشرف على البحر بعلوّ ٢٠٠ متر · ولما اكملوا طريق العربات من البترون الى طرابلس وقد خططوها على شاطئ البحر التزموا ان يقطعوا الصخور المطلّة على البحر وان يخرقوا فيها ممر بين طول احدها يبلغ نحو خمسين متراً

جزائر لبنان وشبه جزائره

كان يوجد قديمًا في مياه لبنان البحرية عدّة جزر توارت بطوارئ الزمان ٭ منها جزر صغيرة كانت بالقرب من بيروت · فان الشاعر نونس وصف في القرن الخامس للمسيح مدينة بيروت ونعتهـا بالمدينة الجميلة

الجزائر · ويذكر في تواريخ الفرنج ان ديراً أُقيم في احدى جزائر بيروت · ويؤيد ذلك خرائط رُسمت في ذلك العهد ·

ولعلّ الصخور التي تعلو سطح البحر عند مصبّ نهر بيروت وجزائر الحمام في راس بيروت هي بقايا من تلك الجزائر المتوارية · ويحتمل أن تكون خربت في الزلزال الذي ذكره المقريزي في تاريخ المماليك حيث قال : « ان سبع جزائر من بلاد الفرنج في الساحل خسفت وتوارت في غمر البحار »

ويوجد اليوم عند رأس طرابلس سلسلة جزر صغيرة تمتد الى جهة الشمال الغربي نحو عشرة اميال واهمها جزيرة النخلة وفيها منارة لهداية السفن في سيرها ·

إلا ان اشهر جزيرة في مياه لبنان البحرية هي جزيرة رواد واسمها القديم ارواد فدعاها اليونان ارادوس موقعها تجاه مدينة طرطوس على نحو ثلاثة كيلومترات في الجنوب الغربي · يرى فيها الى الآن آثار قلاع واسوار من عمل الفينيقيين تدل على اهميتها في سابق الزمان · وكانوا اقاموا على طرفيها رصيفين في البحر الى جهة البرّ فحدث من ذلك مرسى امين للسفن · وشربُ اهلها مما يجتمع في الآبار من مياه المطر

ويوجد في ساحل لبنان شبه جزيرتين هما شبه جزيرة ميناء طرابلس · وشبه جزيرة بيروت وطولها من الصخور القائم فوقها المسلخ الى الربوة التي تعلوها المنارة لا يقل عن ستة كيلومترات ·

ينابيع لبنان

منافع ينابيع لبنان

ان لبنان غنيّ بينابيع المياه في جهاته المختلفة اذا استثنينا قضاء الكورة · ومعلوم انهُ لا خصب للتربة خاصةً في الشرق اذا ما انقطعت عنها المياه او قلّت كمّيتها بحيث لا تفي بحاجة الزراعة · فكما ان النيل هو حياة مصر وغناها كذلك ينابيع لبنان تحييهِ وتغنيه · فلم يبلغ الجبل من العمران ما بلغ الا لغزارة مياههِ وكثرة مسايلهِ

انَّ في تقسيم المياه على جوانب لبنان فائدةً كبرى تُجدي نفعاً ليس لبنان وحده بل بلاد الشام جمعاء · فلولا لبنان لما كنت تجد شيئاً من حدائق طرابلس ورياض بيروت وبساتين صيداء وبطائح البقاع المخصبة · بل كنت ترى مفازات مقفرة ورمالاً محرقة · ولولا لبنان لاصبحت بلاد الشام كصحراء قاحلة لا خير فيها كصحاري جزيرة العرب حيث لا يوجد جبل يجذب الابخرة البحر ليوزّعها على جميع انحاء الشام

الامطار والينابيع في لبنان

ان لبنان لموقعه على سيف البحر ممتداً من الشمال الى الجنوب يجذب البخار المتصاعد من البحر فيتكاثف

على رؤوس الجبال او تتلاشى [illegible] امطاراً او ثلوجاً . ولو كان لبنان مكسواً بالغابات التي تخفف حرارة الشمس على سطح الارض وترطب الجو لكانت الامطار تفرقت في ازمنة مختلفة وسقت البلاد في كل فصول السنة كما كان في العصور الماضية فتخترق التربة وتتوفر الينابيع . لكن قطرنا السوري المجرد من الاحراج لا تجوده السماء الا في وقت محدود عندما تخف الحرارة ويبرد الجو فتهطل الامطار كالسيل الجارف في ايام معدودة من فصل الشتاء القصير المدة . وبقوة وقعها وجريها تجرد اعالي الجبال مما بقي عليها من التربة وتجرفها الى الاودية والسواحل ولا تبقي الا صخوراً قرعاء لا فائدة منها الا ان تزيد الحرارة على سطح الارض وجفاف الجو في الصيف فتنقطع الامطار في معظم السنة .

اما الاقطار التي تكثر فيها الاشجار والغابات فتنزل فيها الامطار رذاذاً في اوقات متفرقة وقريبة فتخترق التربة وترويها وتخصبها فتجدي نفعاً دون ان تحدث ضرراً . ففي انكلترة مثلاً او فرانسة معدل ما يسقط من المطر في السنة لا يبلغ الا ٥٠ او ٦٠ سنتيمتراً لكن هذه الكمية تنزل متفرقة في كل فصول السنة حتى لا يكاد يخلو من المطر اسبوع في فصل الصيف . اما في اقطارنا فيقع سدس او خمس هذه الكمية دفعة واحدة . فقد هطل في بيروت مرة في مدة ساعة ونصف ١٢ سنتيمتراً من المطر . ونزل مرة اخرى في مدة عشرين دقيقة خمسة سنتيمترات . ومعدل ما ينزل في بيروت من المطر ٩٠ سنتيمتراً في السنة ونزل سنة ١٨٨٩ ١٣٠ سنتيمتراً . اما في لبنان فالامطار اكثر كمية . ففي [illegible] في القرية مثلاً ينزل من المطر في السنة [illegible] سنتيمتراً . فلا فائدة من هذه الامطار الخريفية الا في اعالي لبنان حيث تغطيها بالثلج طبقات [illegible] لتتوفر مياه الينابيع والانهر في الصيف . اما في اواسط لبنان واسافله فربما تضر بل كثيراً ما تخرب فتجرد التربة عن الاكام وتذهب بها الى البحر

تكوّن الينابيع في باطن لبنان

قلنا ان الثلوج توفر الينابيع لان طبقات لبنان العليا مركبة من صخور كلسية نخرة سريعة التفتت فتنساب فيها الامطار دون عائق وتتسلسل في منافذ ضيقة . وكما حفرت المياه الاودية في ظاهر لبنان (وقد اوضحنا ذلك في كلامنا عن الاودية) كذلك تعمل في باطن الجبل فتخرق اسراباً بين الصخور وتكوّن الوهاد والمغاور الكبيرة والبرك الرحبة والبحيرات الواسعة العميقة فتجتمع المياه الصافية في احواض عظيمة في بطن الجبال كانها خزانات للماء . ويمد تلك الخزانات خاصةً المياه المتكونة من الثلوج الذائبة ببطء في ظهور قمم لبنان الضخمة . ومادتها لا تكاد تنقطع عنها ابداً . فهذا جبل صنين وجبل الارز هما مكتسيان بالثلوج في معظم السنة . والنُقر العديدة الواسعة والعميقة المخروطة الشكل الموجودة في اعاليهما عبارة عن اكوام من الثلوج يبلغ علوها من ٣٠ الى ٧٠ متراً وطولها وعرضها من ٧٠ الى ٣٠٠ متر . فلا يزال مددها متواصلاً يجري الى المغاور والاحواض . فمنها تتفجر الينابيع وتجري الجداول والانهار

اخبر المهندسون الانكليز الذين عُهِد اليهم سنة ١٨٧٣ فحص مياه نهر الكلب انهم ركبوا قاربًا في مجرى الماء داخل مغارة جعيتا وتتبعوهُ في اعماق الارض وعبروا مجازًا حرجًا طولهُ عشرون مترًا فقضي عليهم اضيق الممرّ ان ينبطحوا على بطونهم ثم اجتازوا في احواض ومجارٍ متوالية حتى بلغوا شبه غرفة واسعة • فبعد ان قطعوا ١٢٠٠ متر وصلوا الى بحيرة واسعة غزيرة المياه يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار وكان ماؤُها زُلالاً شديد الصفاء والبرودة • فحاولوا ان يقطعوا تلك البحيرة ويتقدموا في اسراب الجبل فلم يقووا على ذلك فانقلبوا راجعين •

واجتهد غير هؤُلاء من الانكليز من ارباب الهندسة ان يزوروا مغاور افقة فتقدّموا في منافذها المتعدّدة ووجدوا جداول واحواضًا من الماء لكنّهم لم يبلغوا الى نهايتها •

فهذه المياه الوافرة المخزونة في اعالي الجبال واحواضها الداخلية تنصبّ شيئًا فشيئًا الى الوهاد والبطاح على حسب أعطاف الجبل واسرابهِ المختلفة • فاذا كان منفذ المياه اوطى من قعر الخزان الباطني تثوّرت المياه بشدّة غريبة وفارت صاعدةً في الجوّ فتجري من نبعها كأنها النهر في كثرة مائهِ • نرى ذلك في نبع انطلياس وخصوصًا في نبع العاصي عند خروجه من مغارة مار مارون قرب الهرمل • وليس في الشام كهذا النبع يتفجّر بقوّة عجيبة من بين الصخور ثم يمتدّ قليلاً سيلاً عرضه ١٧ مترًا • امّا اذا كان منفذ الينبوع يوازي تقريبًا سطح مياه الخزان الذي في باطن الجبل فتنبع المياه بهدوّ وسكينة كما نشاهد ذلك في نبع العسل ونبع الحديد

وفرة الينابيع في لبنان ومواقعها في الجبل

في لبنان عيون وينابيع لا يُحصى عددها يكفي برهانًا على قولنا ان متصرفية لبنان وعددها تحتوي على اكثر من الف قرية ومزرعة فثلاثة ارباع هذه القرى لها عيون تشرب منها السكان ويوجد في بعض القرى لا عين واحدة بل عيون كثيرة • وتكون هذه الينابيع في كلّ معاطف لبنان من علوّ الفي متر حتى شواطئ البحر • الا انها قلما تنبع في الاراضي التي يزيد علوُّها على ألفي متر لعدم تكوُّن احواض وخزانات للمياه فوق هذا العلوّ • واكثر ما تكون الينابيع الغزيرة بين علوّ ١٢٠٠ و ١٦٠٠ متر واعلى نبع وجدناه في المنعطف الغربي نبع قنا بكّيش (اي قناة بكّوس احد آلهة الوثنيين وكان له هيكل بقرب هذا الينبوع) وعلوُّه فوق سطح البحر ١٨٦٠ مترًا • وفي المنعطف الشرقيّ نبع عيناتا وعلوّه ١٧٨٠ مترًا • ويوجد قليل من الينابيع في السواحل مثل نبع انطلياس ونبع مغارة جعيتا وعين راس النبع ببيروت • ونجد بعض عيون لكن قليلة المياه على شاطئ البحر كعين السعديّات قرب راس الدامور وعين المُرَيسة ببيروت وموقعها تحت كلية الامركان وعين الحلوة شمالي المدوّر وعين ماحوز شمالي المعاملتين • وتخرج بعض الينابيع الغزيرة في وسط البحر كعين ارواد التي ترى قريبًا من هذه الجزيرة تجري اليها المياه من جبل النُصيرية • واهل تلك البلدة اذا تعسّر عليهم الوصول الى البرّ استقوا منها لشربهم • وعين مار يعقوب وموقعها في البحر تجاه محطة المعاملتين على بعد نحو

٣٠٠ متر من الساحل ، واذا كان البحر هادئاً تظهر فائرة في الغمر وتبقى مياهها مدةً دون ان تمتزج بمياه البحر

اسماء اخص ينابيع لبنان

لا يخلو من الفائدة ان نذكر أخص ينابيع لبنان مبتدئين من الشمال ومتتبّعين الاقضية

قضاء الكورة : لا يوجد في قضاء الكورة ينابيع تذكر ، واكثر شرب سكانها من الآبار تجتمع فيها المياه من الامطار او تُستنبط من الارض

قضاء البترون : ان هذا القضاء غنيّ بالينابيع في اعاليه فقير بها في السواحل ، ومن ينابيعه الشهيرة عيون عشاش ، ونبع ارده ، وعين المقدام ، ونبع رشعين ، ونبع الخالدية ، (ومواقع هذه الخمسة الينابيع في الزاوية) ، ونبع جوعيت (في جبة بشرّي) ، ونبع مار سركيس (في رأس اهدن) ، ونبع النَّدامة (في قزحيا) ، ونبع الغار (تحت قزحيا) ونبع كفر صغب ، ونبع الفراديس ، ونبع طرزا ، ونبع مار سمعان (في بشرّي) ، ونبع حدشيت (فوق التربة) ، ونبع قاديشا (تحت الارز ، وعلوّ منبعه ١٤٩٠ متراً) ونبع ابو فرّاعة ، ونبع العربيط بقرقاشا ، ونبع قنات ، ونبع نيحا ، وسبعة ينابيع حوب (قرب تنورين) ، ونبع وطا تنورين ، ونبع كفرحلدا (ومنهُ نهر الجوز) ، ونبع مغارة الراهب (قرب الحرمل) ، وعين الجامع في غاب مار شربين

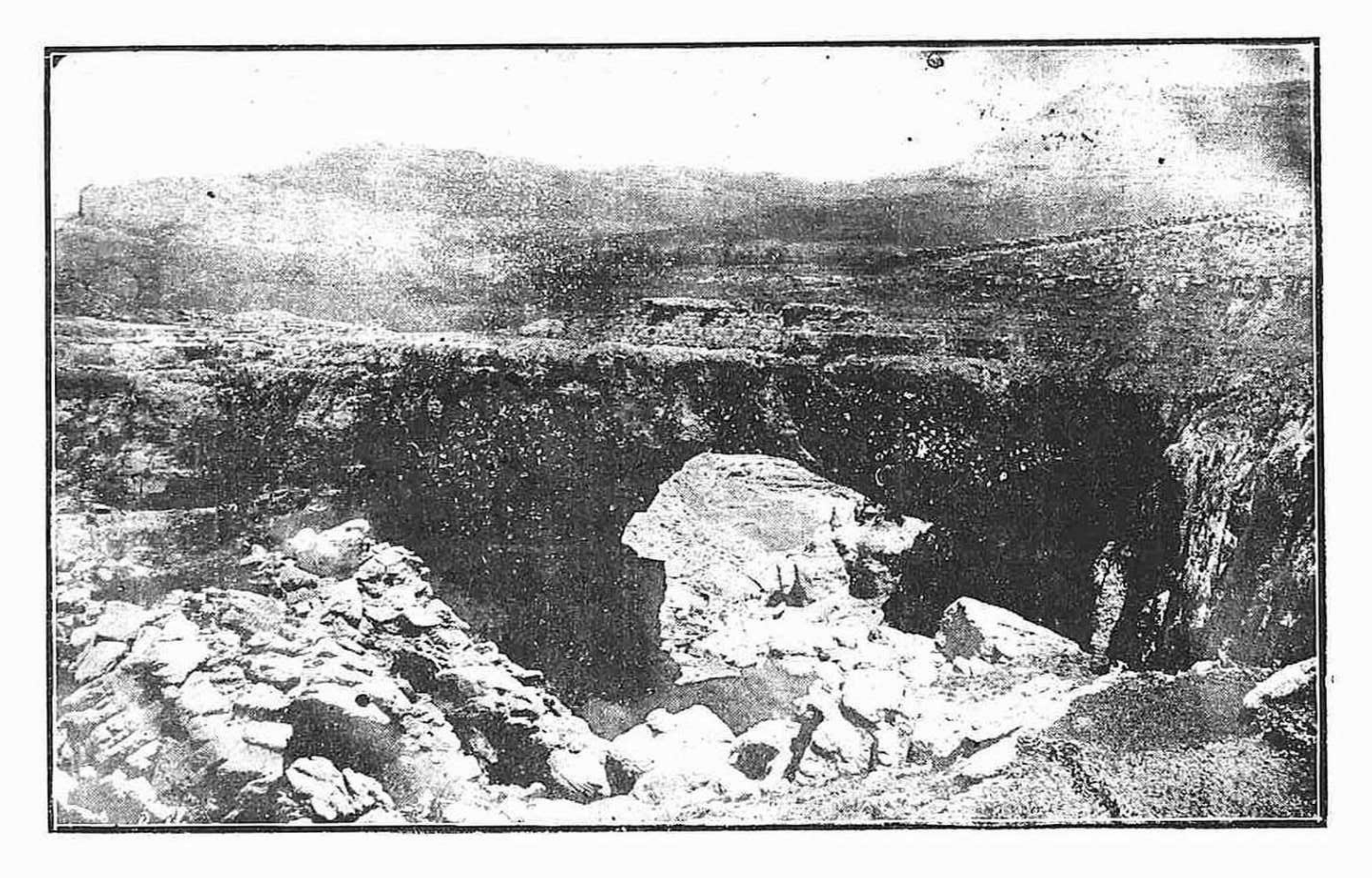
قضاء كسروان : وهذا القضاء ايضاً غنيّ بالينابيع في الاراضي العليا ، لكنهُ فقير بها في السواحل ، ومن ينابيعهِ المذكورة نبع حريش (بميفوق) ، ونبع طورزيا ، ونبع الشربينة (فوق قرطبا) ، ونبع افقة (وعلوّه ١٢٠٠ متراً) ، ونبع العاقورة (وعلوّه ١٤٢٠ متراً) ، ونبع الحديد (وعلوّه ١٥٩٠ متراً) ، وعين التنّور (في طرف ميروبا) ، ونبع المغارة (بالقرب من حراجل) ، ونبع اللبن (وعلوّه ١٦٩٠ متراً) ، ونبع العسل (وعلوّه ١٦٦٠ متراً) ، وبين هذين النبعين يُشاهَد جسر الحجر[1] ، ونبع القطين ، ونبع فرح ، ونبع المغارة (فوق غزير) ، ونبع بطحاء ، ونبع حراش ، ونبع مغارة جعيتا (وقد جُلبت مياهه العذبة الى بيروت)

قضاء المتن : من ينابيع هذا القضاء نبع قنابكيش (فوق بسكنتا وعلوّه ١٨٦٠ متراً) ، ونبع صنّين (وعلوُّه ١٦٨٠ متراً) ، وثلاثة ينابيع المنبوخ (بالقرب من نبع صنين ، وعلوّها ١٤٥٠ متراً) ، ونبع بقلّيع او الصفصاف (وعلوُّه ١٤٣٠ متراً) ، ونبع الشاغور (فوق حمانا) ، ونبع قبّيع ، ونبع الدلبة او الشميس ، ونبع الديشونية ، ونبع انطلياس ، ونبع العرعار

قضاء الشوف : من ينابيع هذا القضاء المشهورة نبع الصفا ، ونبع القاع ، ونبع الباروك ، ونبع الشالوط (بدير القمر) ونبع كفر نبرخ ، وينابيع رشميا ، ونبع باتر ، ونبع الحمّام

---

(١) ان هذا الجسر طرفة من الطرف ومن اجمل مناظر الطبيعة ، ترى صخرة عظيمة طولها ٣٠ متراً بعرض ٥ امتار مستندة كالقنطرة الواسعة المحكمة الصنع على جانبي الوادي ومحلقة فوقه بعلو ٦٠ متراً وترى المياه الغزيرة تتدفق بين الصخور المتراكمة في قعره ، ويكتنف جانبي النهر ضفافٌ رحبة يشاهد من اعلاها هذا المنظر الطبيعيّ البهج الذي يسبي القلب بجماله ، وهناك الهدوء وسكوت القفار فلا تسمع الا خرير المياه



الجسر الطبيعي قريباً من نبع اللبن

قضاء جزين : من ينابيع هذا القضاء المذكورة نبع جزين (بأعلى القرية [1]) • ونبع العزّبية • وعين الزرقاء (تحت فيتولة) •

قضاء زحله ومنعطف لبنان الشرقيّ : نبع قاع فرّين • عين حزير • نبع عين عابد • عين قب الياس • عين شتوره • نبع عيناتا (وعلوّه ١٧٨٠ متراً)

امّا الينابيع التي ماؤها اكثر برودة حسب الاقيسة التي اخذها في اواسط آب سنه ١٩١٠ حضرة الاب روشه اليسوعي احد اساتذة المكتب الطبي في بيروت فهي اوّلاً نبع اللبن وكانت درجة حرارته ٥٫٥° (ودرجة حرارة الجوّ اذ ذاك ٢٦° سنتغراد) ثم نبع العسل ٦° فنبع عيناتا ٧° فنبع الحديد ونبع اليمونة ٨° فنبع افقة ٩° ثم نبع بقليع ٥٫١١°

وافضل ينابيع لبنان بعذوبة مائها وخفته على المعدة ومنفعته لهضم الاطعمة نبع العسل ونبع الحديد وينابيع اللقلوق

ولا نرى هنا بدًّا من ابداء ملاحظة ذات بال • انّ السواحل وما يجاورها من الاراضي زهيدة المياه • فتراها جرداء قاحلة لا تأتي بفائدة مع انّ جودة تربتها تُغني البلاد لو خُدمت • ويسهل على سكّان لبنان ان يحوّلوها الى مروج نضرة وبقع جميلة وبساتين مثمرة ورياض غناء وذلك بأن يجرُوا مياه الينابيع الى الاماكن التي لا ماء فيها • وهذا العمل لا يستدعي النفقات الباهظة ولا تشييد الاحواض الواسعة ولا استخدام الآلات البخارية بل يكفي مدّ القساطل او بناء الاقنية التي لا يتجاوز غالبًا طولها بضعة كيلومترات فيولون اراضيهم حسنًا وبهجة وحقولهم خصبًا ويدّخرون لهم خيرات وافرة وثروة طائلة •

انهار لبنان

عظم فوائد انهار لبنان

كما ان الشرايين والاوردة توزّع الحياة في الجسم كذلك الانهار التي تنفجر من لبنان وتسقي منعطفاته وهضابهُ ومسهولهُ توزّع النماء والخصب في كل انحائه • وهذا امرٌ لا بدّ منه لاجل إقبال الاغلال وعمران البلاد خصوصًا مع ما للشمس في المشرق من الحرارة الشديدة • فاذا اجتمع الامران اي الحرارة والمياه نمت المزروعات نماءً عجيبًا وعمرت البلاد واغتنت

(١) يتكوّن من هذا النبع شالوف جزين المشهور • فانّ المياه بعد ان تجتاز البلدة تصل الى صخر منقطع عموديًا كالجدار فوق الوادي فتنحدر من علوّ ٧٠ مترًا • ولهذا الشلال في الشتاء خاصةً منظر ياخذ بمجامع الابصار • فترى المياه بعد ان تسقط كالنهر على الصخور في قعر الوادي تثب من العمق الى العلوّ كضباب ينتشر في تلك البقعة

ولبيان ذلك نورد مثلاً واحداً عن مجلة المشرق الغرّاء في سنتها العاشرة اي ١٩٠٧ في مقالة لاميل افندي خاشو سرّ مهندس لبنان سابقاً

قال: « نرى في جوار نهر الدامور بقعة يدعونها ساحل الدامور او جلّ الدامور تبلغ مساحتها ٥١٠ هتكارات اعني الف فدّان . وتربة هذا الساحل كلها من جرف النهر ألقى بها عند صبّهِ في البحر . وكان هذا الساحل قبل ٢٥ سنة سباخاً لم يُحرث ولم يعمر . ففكّر احد كهنة بلدة الدامور ان يخصب تلك البقعة بجرّ مياه النهر اليها فاتّفق مع بعض اصحاب الملك بأن يبنوا قناة طولها خمسة كيلومترات يجلبون بها المياه لسقي تلك الاراضي الغامرة وخصّ بهذا المشروع راس ماله البالغ من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ ليرة . فشيّدَ القناة تشييداً حسناً كلفهُ المتر منها عشرة فرنكات . فلم يلبث الملاّكون ان رأوا بالعيان هذا العمل المفيد فساعدوا الكاهن بمالهم حتى انجز القناة وجرّوا المياه الى الاملاك فعمرت تلك البقعة بعد قليل وصار الفدّان منها يُباع اليوم بمعدّل ١٥٠ ليرة بعد ان كان ثمنه لا يتجاوز ٥٠٠ غرش . وكان جلّ الدامور لا يغلّ سوى بضعة آلاف من الغروش . واليوم يربح اهله من موسم القزّ ربحاً طائلاً يقدّر بخمسين الف الى ستين الف ليرة . فهذا دليل قاطع على فائدة المياه لسقي اراضي لبنان »

وقالت مجلة المشرق في الحاشية ما حرفه: « وان قابلت بين هذه بقعة الدامور واجود اراضي مصر غلّةً وجدتَ انّ ارباح الأولى اعظم من الثانية بكثير فانّ غلّة الف فدان في ساحل الدامور تساوي كما قلنا على الاقلّ خمسين الف ليرة اعني ٥٠ ليرة لكلّ فدان . واجود اراضي مصر لا يغلّ فدّانها اكثر من ٣٥ ليرة »

وجهة الانهار اللبنانية وقصر سيرها

فاذا علمنا فائدة الانهار نقول ان الخطّ الذي يقسم مياه لبنان يقطع هذا الجبل من الشمال الى الجنوب ويفصله الى منحدرين احدهما الى الغرب والآخر الى الشرق . وكلاهما يرسل مياههُ الى البحر المتوسط

ومن النظر الى خارطة لبنان نتحقق انهُ يمتنع ان توجد فيهِ مجارٍ كثيرة الاتساع طويلة المجرى لانّ المسافة بين قمم الجبل وشواطئ البحر لا تتجاوز ثلاثين كيلو متراً وليس في سواحله سهول فسيحه تسمح للانهار أن تنساب فيها وتقبل غيرها من السواعد ولهذا ترى كل الانهار في المنعطف الغربي لا يزيد طولها على خمسين كيلومتراً على الكثير وبعضها لا يتجاوز بضعة كيلومترات فتنحدر من اعالي الجبال دفعة واحدة الى البحر . امّا نهر العاصي ونهر الليطاني اللذان يجريانِ شرقيّ لبنان في سهل طويل المسافة وتمدّهما عدّة سواعد فتراهما نهرين عظيمين بالنسبة الى غيرهما في هذه الاقطار فيقطعان الاول ١٦٠ كيلومتراً والثاني ٤٠٠ كيلومتر

النهر البارد

اوّل نهر في شمالي لبنان النهر البارد دعي قديمًا بُروتُس . يجري هذا النهر من جبال عكار التي هي آخر أسناد لبنان الشماليّة فيفصل الجبلين ويجتاز السهل المنسوب اليه فاصلاً بينه و بين جون عكار وهو قليل المياه ويصب في البحر المتوسط على مسافة ١٣ كيلومتراً شمالي طرابلس . وهذا النهر مختلف عن نهر آخر يُدعى باسمهِ ويصبّ في البحر المتوسط ايضاً

نهر الجاعلي

ويعرف باسم نهر قاديشا في مسيره الاعلى لانهُ يجري في وادي قاديشا اي المقدَّس نسبةً الى النسّاك الذين كانوا اتخذوا كهوف ذلك الوادي ومغاوره لسكناهم . وفي مسيره الاسفل يسمّى نهر ابي عليّ . يخرج هذا النهر من لحف جبل الارز . واصلهُ عينا ماء تنفجرُ الاولى تحت قرية بشرّي والثانية تحت دير قزحيا . ثم تلتقيان في اسفل الوادي الضيّق فتنصبّ اليه انهار غزيرة آتية من اعالي جرود لبنان منها نهر رشعين ونهر جوعيت فيمدّانهِ بالقرب من زغرتا فيصير نهراً كبيراً وتتوزّع مياهه بأقنية كثيرة في سهل مدينة طرابلس وهناك ينصبّ في البحر وطول مسيره ٣٨ كيلومتراً . ويمكن الانتفاع بمياهه لريّ ناحيتي الكورة والزاوية على مساحة الف هتكار او ألفي فدّان . وكمّية مياه هذا النهر في اول الخريف تبلغ ٣٠،٠٠٠ متر مكعّب في ٢٤ ساعة ورفع هذه المياه عملٌ سهل وهو يحتاج الى قناة يكون طولها ثمانية كيلومترات . ويمكن ايضاً استخدام مياه هذا النهر لتشغيل عدّة معامل صناعية . ومما يسهّل هذا المشروع قربُ النهر من مدينة كبيرة غنيّة بالمحاصيل الاوليّة ولديها الوسائط الكافلة بتصريف بضائعها وترويج محصولاتها

نهر الجوز

نهر الجوز يفصل الكورة عن بلاد البترون وهو نهر صغير في وادٍ يكثر فيه الجوز ومنه اسم الوادي والنهر مخرجه من ينابيع عديدة من قصبة تنورين من مغارة فوق كفر حلدا ومن اراضي حوب ومن بساتين العصي . ثم يمرّ جنوبي قلعة المُسَيلحة ومن هناك تتفرّغ منه قناة الى البترون فتسقي ما حولها من البساتين . ويُرى الى اليوم على احدى ضفتيه آثار قنوات محكمة الوضع كانت تجري فيها مياهه قديمًا الى البترون . يصبّ هذا النهر في البحر المتوسط شمالي البترون بعد ان يجري مسافة ٢٥ كيلومتراً

تقلّ مياه هذا النهر وتكاد تنضب في الصيف . الاّ انّهُ يمكن ان يُتّخذ لهُ سدّ فتخزن المياه في حوض ثم تُسقى بها الأملاك . وينبغي لهذا السدّ ان يُبنى على علوّ ثمانية او عشرة امتار فيجمع ٢٠،٠٠٠ الف متر مكعّب من المياه للريّ الصيفيّ

نهر ابراهيم

نهر ابراهيم وكان يُسمَّى عند الاقدمين أدُونيس نهر كبير غزير المياه يخرج من مغارة أفقة بالقرب من العاقورة ومن بين الصخور التي تجاورها ويندفع في مجرى صخري عميق مكتنف بالجبال العالية ومن ثم لا تأتي مياهه بفائدة للزراعة الا عند بلوغه الى سهل العصفورية قرب مصبه في البحر حيث يسير بهدوٍ ويسقي هذا السهل بتعاريجه المتعددة ما بين القصب والدفلى وصفوف من الاشجار ملتفة تجعل على ضفتيه غابات ناضرة بهيجة . و يصبّ في البحر على مسافة سبعة كيلومترات تقريباً جنوبي جبيل بعد مسير بنحو عشرين كيلومتراً .

امَّا اطلاق اسم ابراهيم على هذا النهر فتزعم التقاليد المحليَّة ان الامير ابراهيم احد امراء المَردة بنى جسراً عظيماً على هذا النهر بقرب البحر فسُمّي باسمه . وهذا الجسر باقٍ الى الآن وهو قنطرة واحدة عظيمة في الارتفاع والطول ليس لها نظير في هذه البلاد

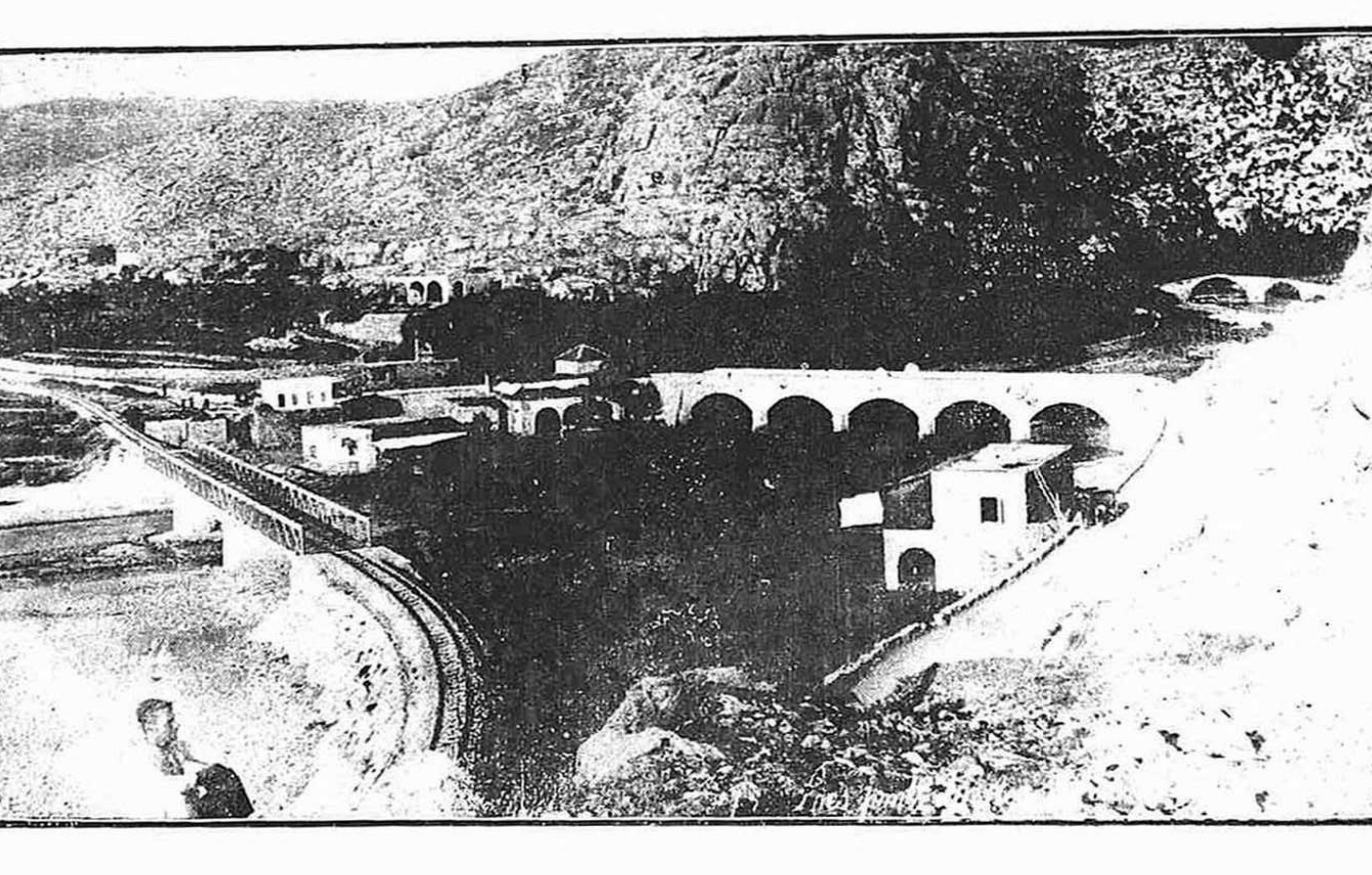
وبجانب نهر ابراهيم الشمالي رسوم قناة ذات قناطر كان أجرى فيها الرومانيّون مياه النهر الى مدينة جبيل . ومن ثم توجهت الافكار من نحو ٢٥ سنة الى عقد شركة لاستخدام المياه الضائعة بلا جدوى وكان قصد الشركة ان تسقي الاراضي الواقعة شمالي النهر وجنوبهُ وان تجلب الماء الشروب الى جبيل وعمشيت وما يليهما وكان في املها ان تستفيد من القناة القديمة إلا انَّ هذه القناة التي تُعدُّ من اعمال الهندسة الخطيرة كقناة بيروت قد استولت عليها يد الخراب بحيث يصعب الانتفاع منها . ولم يخرج هذا المشروع الى حيّز العمل وهو أمر يؤسف له

وعلى كل حال لا يجوز ان تترك مياه نهر ابراهيم تضيع في البحر دون طائل لا سيَّما انَّ تربة تلك الجهات طيّبة كثيرة الريع لا ينقصها الا الماء لسقيها . ومياه النهر كافية لخصب املاك واسعة وكميتها تبلغ في ٢٤ ساعة مقدار ١٠٠،٠٠٠ متر مكعَّب في فصل الصيف . ويكفي ان يرفع سطح هذه المياه الى علوّ خمسة امتار فقط لسقي ألفي فدَّان من الاملاك

وقد بُني في عهد المتصرّف واصا باشا جسر لنهر ابراهيم لمرور العربات فهدمته المياه فاستأنف العمل نعوم باشا فرفع جسراً من حديد سنة ١٨٩٤

امَّا تسمية النهر قديمًا باسم ادونيس احد آلهة الفينيقيين فلزعمهم ان هذا الاله كان وهو شاب يتصيد في الشام وانَّهُ كان ابنًا للإلهة عشتروت تخرج في بعض الايام يتصيَّد في غابات لبنان المشرفة على جبيل فوثب عليه خنزير برّي فمزّق جسمه فتحمرة مياه النهر في فصل الشتاء زعموا انهُ دم ادونيس المسفوك فكانوا ينوحون عليه فسمّي النهر نهر ادونيس . وفي قرية الغينة من فتوح كسروان المطلّة على النهر تشاهد الى يومنا صورة منقوشة على الصخر تمثل شابًّا يفترسه وحش كاسر وتجاههُ امرأة في هيئة الحزن

قلنا ان مخرج النهر من مغارة افقة في جبل المنيطرة . وهناك مشهد فتَّان يستلفت النواظر ويشرح



ثلاثة جسور نهر الكلب

الخواطر مشهد يفوق كل مشاهد لبنان حسناً . ترى صخراً شاهقاً على هيئة هلال فسيح الارجاء بعلو ٦٠٠ الى ٧٠٠ متر قائماً عامودياً على الحضيض وفي مرتفع منه في الصدر فم المغارة تتدفق منه المياه بكثرة عظيمة فتنحدر من كل جهة بين الصخور كشلالات فضية وبخرير وضجيج ودوي يتصاعد من ذاك الوادي الذي تظلله الاشجار الباسقة . فيقف الانسان صامتاً متأملاً في عجائب مخلوقات الله تعالى تستفزه عواطف الفرح والسرور لا يشغله غمّ ولا يكدّر راحته همّ

ولنبع أفقة امرٌ يستحقّ الذكر . يقال ان اصله من بحيرة اليمّونة التي في المنعطف الشرقيّ من جبل المنيطرة في لبنان تعلو ١٥٤٠ متراً عن سطح البحر . فتجري مياه البحيرة تحت الجبل الى ان تنفجر من مغارة أفقة ومن جوارها في المنعطف الغربيّ على علوّ ١٢٠٠ متراً . ويؤيد هذا القول ما ذكرنا عند كلامنا عن الينابيع ان بعض ارباب الهندسة تقدّموا في منافذ مغارة أفقة العديدة ولم يتمكنوا من البلوغ الى نهايتها . فضلاً عن انه كل ما يطرأ على بركة اليمونة من التقلّبات في زيادة المياه ونقصانها يطرأ ايضاً على نبع أفقة . وهذا يجعلنا ان نوافق مَن يقول بوجود اتّصال بينهما في جوف الارض

نهر الكلب

نهر الكلب ويعرف عند الاقدمين باسم ليكوس اي الذئب فعُرّب بنهر الكلب وسبب تسميته بنهر الذئب او الكلب هو على الارجح للدويّ العظيم الذي يسمع عند انصبابه في البحر واصطدام مياهه بالامواج المتلاطمة على الحصى المتكوّم هناك

يخرج هذا النهر من مغارة في سفح جبل جعيتا تُدعى مغارة جعيتا وتبعد عن البحر نحو ٧ كيلومترات . فتجتمع مياهه بالمياه المنحدرة في الشتاء من اعالي لبنان من نبعي اللبن والعسل ومن وادي الصليب . فتكون غزيرة في الشتاء قليلة في الصيف

ان هذا النهر كثير الصخور ولا يخلو من العقبات الا عند مصبّه . تكتنفهُ جبال شاهقة ولا يُرى على جانبيه قُرى مأهولة . الا انهُ في اعلى القمم المُطلّة عليه يرى في الجهة الجنوبية دير طاميش المشتقّ اسمه عن اسم الإلهة ارطميس معبودة اليونان سابقاً . وفي الجهة الشمالية قرية بلّونة وهذا الاسم تصحيف اسم الاله ابولون المعبود هناك قديماً

تؤدّي مياه نهر الكلب خدماً عديدة كسقي البساتين الواقعة شمالي النهر وتدوير الطواحين . الا ان فائدتها العظمى هي ريّ مدينة بيروت وتزويد اهلها بالمياه الطيّبة بفضل شركة مياه بيروت

وعند مصبّ النهر بُني الجسر الحديديّ الذي يمرّ عليه الترامواي . وكان مُدّ مرةً اولى فهدمته المياه فاعادت شركة الترامواي بناءه . وكان واصه باشا متصرف لبنان سابقاً بنى سنة ١٧٨٩ جسراً آخر لمرور العربات فهدمته المياه فجُدّد بناؤه في عهد نعوم باشا

واذا صعدت في النهر تجد بالقرب من هذا الجسر جسراً ثالثاً اقدم عهداً . يُخبر التاريخ ان انطيوخوس

الاول الملقب سوتير الذي ملك سورية سنة ٥٠ قبل المسيح بنى جسراً على نهر الكلب · وهذا الجسر هُدِم وأُصلح مراراً ومن جملة من اصلحه سيف الدين ابن الحاج ارقطاي المنصوري سنة ١٢٩٢ ب٠م٠ ثم السلطان سليم خان الاول فاتح الشام · ثم جدد بناءه الامير بشير الشهابي · وقيل ان الجسر الباقي هو جسر غيره رفعهُ الامير بشير بقرب الاول بعد هبوطه · فعناية الحكام باقامة هذا الجسر دليل واضح على اهمية الطريق التي تقطع نهر الكلب

وعلى ضفة النهر الشمالية قناطر و بقايا قناة عظيمة كان الرومانيون بنوها لجر المياه الى السهول الواقعة بين نهر الكلب وجونية المسماة الآن وطا نهر الكلب

نهر انطلياس

ينسب اسم هذا النهر الى قرية انطلياس لمروره بقربها · ومخرجه من فوارتين متفجرتين في منفسح الوادي بالقرب من مغارة انطلياس شرقي القرية على بعد نحو ربع ساعة · وماء هذا النهر عذب زلال يولي البقعة المجاورة للقرية نضارة وخصباً · ومسيره لا يزيد على كيلومترين ولا ينقطع في الصيف

وقد استفاد من مياهه احد افاضل الوطنيين لانشاء معمل ورق اضطرته الظروف وجوار الشواطئ الرملية الى تركه · وقد تحول هذا المعمل الى طاحون · وتوجد غيرها من الطواحين على ضفة النهر · الا ان معظم المياه يذهب سدى ويجري الى البحر دون فائدة ·

وقد اوضحت مجلة المشرق في مجلدها العاشر طريقة للانتفاع بمياه هذا النهر وهي ان يُصنع لها حوض عند مصبها في البحر ثم تُدفع بالمنخات الى الاملاك الواقعة على علو ٢٠ او ٣٠ متراً فتُسقى بذلك املاك واسعة لا تقل مساحتها عن ٢٠٠ الى ٣٠٠ فدان

نهر بيروت

ويسمى عند الاقدمين ماغوراس · يتكون هذا النهر من مياه نهرين مخرج احدهما بقرب ترشيش في المتن الاعلى وكفر سلوان ومخرج الآخر بقرب فالوغا وحمانا · ويلتقيان في اسفل رأس المتن · ثم يجري نهر بيروت في وادٍ ضيق تحت بيت مري متجهاً نحو الغرب · وبعد ان يفضي الى السهل يتجهُ الى الشمال ويصب في البحر قرب خليج مار جرجس وطوله ٣٠ كيلومتراً · تحفل مياه هذا النهر في الشتاء وربما اضحى سيلاً جارفاً تخرب الشواطئ التي يصطدم بها في منعطفات جريه في سهل بيروت

ينتفع الاهالي من مياه هذا النهر لادارة الطواحين ولسقي بساتين بيروت · ولذا ترى مسيله في الصيف ناشفاً من مصبهِ في البحر الى ما فوق الجسر الذي بناه رستم باشا سنة ١٢٩١ هـ · فلا يصل منهُ إلا فضلات القنوات بعد سقي المزروعات · وهذه القنوات غير محكمة تسيل منها المياه وتنبسط في سهل بيروت وفي

منخفضات مجرى النهر ولا تلبث ان تتحوّل الى مستنقعات تنبعث منها الجراثيم الوبيئة المسببة للحميات الملاريّة

وكان الرومانيّون اجروا قسماً من مياه هذا النهر الى بيروت في قناة يُشاهد الى الآن بعض آثارها في القناطر المسمّاة قناطر زُبَيدة على مسافة نحو ساعتين جنوبيّ شرقيّ بيروت. وقد بُنيت هذه القناة بناء محكمًا وكانت مغطاة بصفائح الحجارة فتأتي فيها المياه صافية باردة يتهنّأ بشربها السكان دون خطر من الجراثيم المُمْدِية . وكانت القناة تمرّ بوادي النهر فوق جسر عظيم ذي ثلاثة صفوف من القناطر قائمة بعضها فوق بعض . وكان علوّ الجسر يبلغ خمسين متراً وطوله ٢٤٠ وقد تهدّم الصفّ الثالث من القناطر وهبط ايضاً وسط الجسر . وكانت المياه بعد ان تجتاز الجسر المذكور تلجُ في نفق ينفذ في الجبل مسافة طويلة وينتهي الى السهل حيث صبرت منه بقايا على الزمان وكانت تجري المياه في منعطف الاشرفية فوق مسير السكة الحديدية وتُفضي القناة الى المدينة مارّة تحت الربوة المشيّدة عليها مدرسة الحكمة للموارنة . ويُقدَّر ان هذه القناة كانت تأتي البلدة في كل ثانية بمتر مكّعب من الماء

نهر الدامور

نهر الدامور ويعرف عند الاقدمين بنهر تاميراس او داموراس والمشابهة بين الاسمين واضحة. يجتمع هذا النهر في جهات عين زحلتا ودير القمر من اربعة نُهيرات هي الغابون والصفا والقاعة وعين داره . يخرج الغابون من مكان بالقرب من بحمدون . ونهر الصفا بالقرب من عين زحلتا ويضاف اليه ماء خارج من كهف هناك يقال لهُ نبع القاعة . ويأتيها نهير آخر من وادي عين داره . فتلتقي هذه الانهر جميعاً عند جسر القاضي وتندفع بسرعة مائلة الى الجنوب الغربيّ ويصبّ هذا النهر في البحر جنوبي معلقة الدامور وهو كثير المياه يدير في سيره الاعلى وعلى مقربة من مَصَبّهِ عدداً من الطواحين . امّا بين هذين الطرفين اي من جسر القاضي الى السهل فانهُ يسير في وادٍ عميق ضيّق لا يمكن اقامة الطواحين فيه

وقد كان الامير بشير عمر الشهابي ابتنى قناة من نهر الصفا او بالحري من نبع القاعة من مسافة ثلاث ساعات وجرّ ماءهُ الى بيت الدّين فانتفع به اهلها واهل دير القمر . وهذه القناة لا تزال حتى اليوم تجدي نفعاً لسكان تلك الناحية

وتتفرّع من الدامور قناة تسقي مزارع التوت في جهات معلقة الدامور وتجعل ارباضها مخصبة ولو وسّعت القنوات لاستطاع الاهالي ان يسقوا السهول الرحبة التي بين المعلقة وخلدة وهي تُسقى بواسطة النواعير . وقد عمرت تلك السهول بعد ان مُدّت طريق العربات بين بيروت وصيداء ويمكنهم ايضاً ان يولّدوا بسبب تحدّر المياه العظيم قوّة كهربائية كافية لتدوير معامل الحرير ولانارة البلدة

امّا جسر القاضي فبناه الامير زين الدين التنوخي الملقب بالقاضي فسُمّي جسر القاضي . وجدّد بناءه واصّه باشا سنة ١٨٨٦ وجعلهُ صالحاً لمرور العربات

وكان الامير بشير عمر الشهابي بنى سنة ١٢٣٠ هـ جسراً بالقرب من مصب النهر فهدمته المياه فبنى شرقيه سنة ١٨٧٠ جسراً من حديد فرنقو باشا ثاني المتصرفين على لبنان

نهر الاولي

نهر الاولي ودعاه الاقدمون بوستر ينوس وهذه اللفظة تشابه لفظة بسري في سهل بسري وانما أُطلق عليه اسم الأَوَلى (والعامة تقول الأَوْلي) بعد ان صارت صيداء قاعدة للبنان الجنوبي اي لإيالة صيداء. وكان العرب يسمّونهُ قديماً نهر الفراديس إمّا لسبب ما حول هذه المدينة من البساتين الشهيرة التي تُسقى بمائهِ وإمّا لانّ منبعهُ من وادٍ يقال له وادي الفراديس فوق قصبة دير القمر

يتكوّن النهر من ثلاثة ينابيع كبيرة تندفع في الاودية باسم نهر الباروك وتتفرّع منه قناة تجلب المياه الى المختارة والى القرى المجاورة فتجعلها جنات غنّاء

وعند سهل بسري ينضمّ الى نهر الباروك النهر الجزّيني ذو الشلالات المشهورة آتياً من قصبة جزين ونواحيها. ثم يسير نحو البحر مارًّا ما بين الجبال في مضايق عميقة. ومتى أفضى الى الساحل تُوزّع مياسه على مدينة صيداء و بساتينها. وهذا النهر يكون غزيراً في فصل الشتاء ومسافة سيرهِ نحو ٥٣ كيلومتراً. ويضيع في البحر مقدار وافر من مياه نهر الأولي يمكن لاهالي صيداء ان يستفيدوا منها لتوسيع نطاق بساتينهم ولادارة معامل شتى ولانارة المدينة بالكهرباء

نهر الزهراني

اصل هذا النهر من عدة ينابيع في سفح تومات نيحا ويجري في الوادي اولاً من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ثم يعطف بالقرب من قرية العيشيّة والجرمق الى الغرب الشمالي ثم الى الغرب ويصبّ في البحر المتوسّط بين رأس صرفند وصيداء على مسافة نحو ساعتين جنوبي هذه المدينة. وهو قليل المياه خاصةً في الصيف مع انهُ من اطول الانهار اللبنانية. ويُدير في جهاته السفلى نحواً من ٣٠ طاحونًا ويسقي بعض الحقول. ويمكن للاهالي ان يستخدموه ليزيدوا جنائنهم واراضي الفلاحة زيادة تُذكر وذلك بان يبتنوا قناة يجلبون فيها الماء الى السهول جنوبي صيداء

وكان الرومان اتخذوا للزهراني عند عينهِ قناة منقورة في الصخر متصلة بقناة اخرى مَبنيّة بالحجارة المماطلة تتبع الوادي وتدور حولهُ حتى تصل الى صيداء

الانهار الشتوية

يوجد في منعطف لبنان الغربي ما عدا الانهار التي سبق لنا وصفها أنهار أخرى عديدة لكنها شتوية وذلك انّ مياه الامطار تجتمع في الاودية فتطفح بها وتنحدر بين الصخور بشدّة وجعجعة الا انها تنقطع او

تكاد متى انقطعت الامطار · وتراها ناشفة في فصل الصيف · وهذا دليل آخر على غزارة الامطار في هذه الاقطار لكن في فصل الشتاء فقط القصير المقدار

كان في عزمنا ان لا نذكر هذه الانهار الشتوية لانها ليست بالحقيقة انهاراً · لكن بما ان حكام جبل لبنان قديماً قسموا المقاطعات وميّزوا حدودها ببعض هذه الانهار كان من اللازم ان لا ندع جانباً ذكرها لئلا تفوتنا الفائدة في معرفة المقاطعات وادراك حوادث التاريخ

فمنها نهر العصفور شمالي رأس النورية او رأس الشقعة · والنهر المدفون في نصف المسافة تقريباً بين البترون ورأس عمشيت · ونهر الحلوة · ونهر فرطوش وكلاهما شمالي جبيل · ونهر الفيدار جنوبيّ جبيل · ونهر المعاملتين وقد بنى عليه الرومانيّون قديماً بقرب البحر جسراً بقنطرة واحدة عالية وواسعة معقودة من حجار كبيرة مما يدلّ على ان النهر كان يحمل في الشتاء كمية عظيمة من المياه أوفر مما يحمل في ايامنا · ونهر الموت في منتصف الطريق بين انطلياس والدورة

ثم نهر الغدير تجتمع فيه مياه الامطار عند قرية كفرشيما ويخترق صحراء الشويفات ويصبّ في البحر شماليها · وقد بنى عليه فرانقو باشا بالقرب من كفرشيما جسراً لمرور العربات · ومنها نهر شحيم شمالي صيداء · ونهر البرغوت جنوبي هذه المدينة · ونهر الجيصراني جنوبي رأس صرفند

نهرا العاصي والليطاني

خط انقسام المياه في سهل بعلبك

قبل ان نتكلم عن نهر العاصي ونهر الليطاني (ومعلوم ان منبع كليهما من لبنان الغربي) يلزم ان نحدّد الموضع الذي فيه ينقسم سير المياه المنحدرة من الجبال الى السهل

اذا رسمت خطّاً مستقيماً ممتدّاً من مدينة بعلبك الى بحيرة اليمونة في المنعطف الشرقيّ لجبل لبنان كان هذا الخطّ حدّاً فاصلاً تنقسم عنده المياه · فمياه ينابيع لبنان الغربيّ ولبنان الشرقيّ المنحدرة الى السهل شمالي هذا الخطّ تصبّ كلها في نهر العاصي · وما انحدر جنوبي هذا الخطّ يصبّ في نهر الليطاني · لانّ هذا الخطّ هو اعظم علوّ في السهل · اذ ان علوّ مدينة بعلبك عن سطح البحر يبلغ ١١٥٨ متراً · وبحيرة اليمونة ١٥٤٠ متراً · فينحدر السهل بسرعة عن شمال هذا الخطّ الى جهات رأس بعلبك والقصَير وحمص · امّا عن جنوبه فيتحدّر شيئاً فشيئاً الى اقصى السهل عند عين زبده وجبّ جنين ·

نهر العاصي

ويسمّيه الفرنج أرُنطوسماه اليونان نهر اكسيوس ولعلّ اسم العاصي هو تصحيف الاسم اليونانيّ ويسمّي

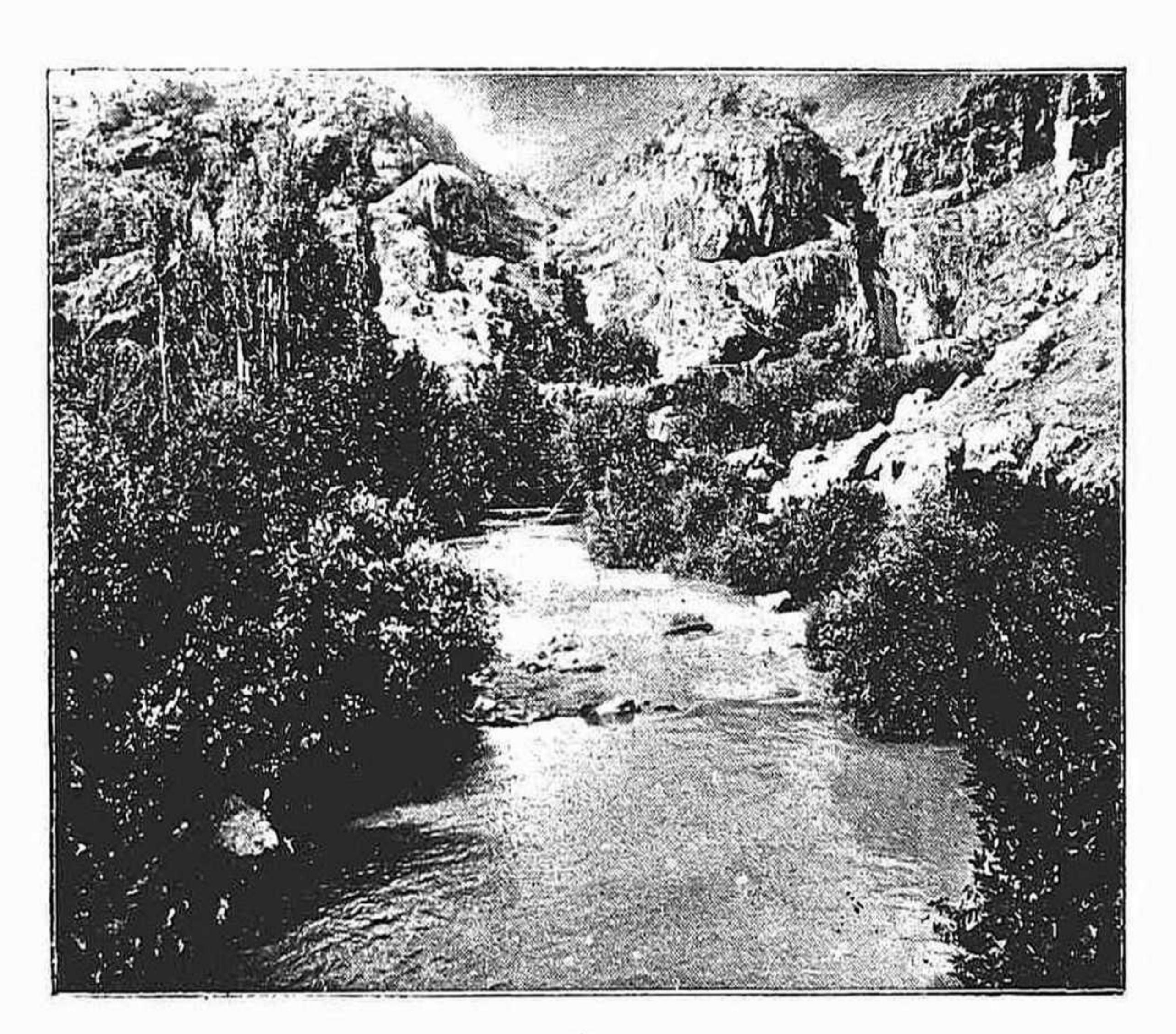
ايضاً هذا النهر المقلوب لجريهِ من الجنوب الى الشمال بعكس غيره من الانهر في سهل البقاع

مخرج العاصي من نبعين عظيمين يبعد الواحد عن بعلبك الى الشمال بعض كيلومترات وهو نبع اللبوة الذي عند مخرجه يتفرع الى سبع سواقٍ فائضة المياه ويُستخدم كلّهُ لسقي الاراضي· والنبع الآخر عند مغارة الراهب او مغارة مار مارون قرب الهرمل حيث يتفجَّر بقوّة عجيبة من بين الصخور ويمتدّ في مَسيل عرضه ١٥ متراً الى ١٧ متراً فيسير في السهل من الجنوب الى الشمال · وعلى نحو تسعة كيلومترات جنوبي حمص يجتاز بحيرة صنعها المتقدّمون في العصور السالفة بأن جعلوا لها سُدوداً مرتفعة لسقي الاراضي وكانوا يسمّونها بحيرة قَدَس من اسم مدينة قدس التي كانت بجانبها وهي احدى عواصم الحثيّين وتسمّى اليوم بحيرة حمص وعرضها ١٦٠٠ متر في طول ٤٨٠٠ متر · ومنها يخرج نهر العاصي غزيراً صافياً ويسير في مجرى عميق على مسافة كيلومترين غربيّ حمص ويسقي بساتينها ويقطع حماة حيث يدير بجريهِ دواليب عظيمة يبلغ قطر الواحد منها اكثر من عشرة امتار فترفع المياه الى اقنية عالية تسقي بساتين المدينة · ثم يسير العاصي غربيّ مستنقعات الغاب وبحيرة افامية فقلعة المضيق (مدينة افامية)

واعلم انهُ بسبب ضيق وادي هذا النهر لا يمدّهُ كثير من السواعد · فلا عبرة بما يأتيه من الانهر في ضفتهِ اليسرى · امّا في ضفته اليمنى قبل ان يصل الى انطاكية فانهُ يميل الى الشمال الغربيّ وينضمّ اليه نهر عفرين ونهر قراسو اي النهر الاسود اللذين تتكوّن منهما بحيرة آق دنز ومخرجهما من شرقيّ جبل اللكام وبعد ان يسقي العاصي اراضي انطاكية ينحرف الى الغرب الجنوبيّ ويمرّ بين جبل اللكام والجبل الاقرع ويصبّ في البحر تحت السويدية جنوبيّ رأس الخنزير بعد ان يكون قطع ٤٠٠ كيلومتر · وعلى ثمانية كيلومترات من مصبهِ تعترض الصخور مسيره فينحدر بشلالات عديدة وقد أُقيمت هناك سدود لتدوير الطواحين ولصيد السمك

نهر الليطاني

يُعدّ هذا النهر من اكبر انهار سورية ويحدّ لبنان في جنوبيهِ وهو نهر صور · ويسمّى في الجزء الاخير من مسيرهِ نهر القاسمية لمزار هناك يدعى النبيّ قاسم · زعم البعض ان اسم الليطاني من كلمة سريانية ليطا معناها الملعون والممنوع والحرام او بالضدّ المقدس · فمعناها على ذلك كمعنى حرمون · وقد ذكره ثاوفانوس المؤرخ وسمّاه ليطا وفسّرهُ بالشرير او الردي · وزعم آخرون ان اسمه من اللاتينية او اليونانية لاونتيس ومعناه الاسد · لكن الاقرب الى الصواب هو ان اصل الاسم ليطاني من اللفظة « رطنو » وردت في الكتابات الهيروغليفيّة وهي اسم بلد موقعه شمالي فلسطين حيث اليوم سهل البقاع الذي يجري فيه الليطاني · ومعلوم ان في اللغة المصريّة كما في العربيّة الراء واللام حرفان ذلقيان يبدل الواحد من الآخر · فتكون رطنو ولطنو عبارة عن اسم بلد واحد · فلا يبعد ان يكونوا دعوا قديماً النهر باسم البلد الذي جرى فيه او بقربهِ فقالوا نهر لطنو كما قالوا نهر بيروت ونهر انطلياس ونهر عكار ونهر الدامور ونهر الفيدار دلالة على البلاد التي تجري فيها هذه الانهر او تصبّ في البحر بالقرب منها · ثم تصرّفوا فيها فقالوا ليطاني · ويؤيّد هذا الرأي ان



منظر الليطاني قريباً من قرية برغش

جغرافيي العرب كالشريف الادريسي وشمس الدين الدمشقي وابي الفداء، وصاحب التعريف في المصطلح الشريف دعوا هذا النهر باسم ليطة وفي بعض النسخ لنطة . ولعلّ اسم النهر باليونانية واللاتينية اصله كما في العربية من اللفظة الهيروغليفية لطنو

يخرج نبع الليطاني من المنحدر الشرقي من نبع العلّيق في شمالي البقاع . ومتى نزل من شعاب لبنان الى السهل تجتمع اليه عامةً مياه هذا السهل على موجب انقسام المياه كما بيّنّا ذلك . فينصبّ اليه عشرة انهار اعظمها من جهة الغرب نهر البردوني المنفجر من لحف جبل صنّين ثم نهر شتوره ومياه قب الياس . ومن جهة الشرق نهر زعير الذي يتكوّن من عدّة ينابيع منبعثة من الجبل الشرقي خصوصاً من عنجر . واذ ذاك يُقدَّر ما يمرّ فيه من المياه في الدقيقة ١٤٣ متراً مكعباً .

وفي اندفاعهِ في مسيلهِ المتحدّر يقترب بتعاريجه على مسافة اربعة كيلومترات ونصف من نهر الاردنّ الاعلى وذلك قبل ان يحاذي بمسيره مدينة حاصبيّا

فاذا وصل الليطاني الى طرف السهل في الجنوب صادف هناك مضايق جبل لبنان وجبل الشيخ وقد فتح له مخرجاً وعراً في مضيق بعيد الغور مرتفع الضفّتين فيغور تحت السرب المتكوّن عنهُ جسر طبيعي ياخذ بالابصار . وموقع هذا الجسر على بُعد نصف ساعة غرباً من قرية يحمُر في وسط الطريق التي تؤدي من حاصبيا الى جزّين تعبر عليه السابلة بين القريتين ويدعونه جسر الكوّة . ويسير نهر الليطاني تحت هذا الجسر على عمق نحو ١٠٠ قدم وطول الجسر ٢٢ قدماً ومعظم عرضه ٦٨ قدماً ثم يضيق الى ٩ اقدام . وبعد ان يجتاز المضيق ينحرف نحو الغرب ويُسمَّى اذ ذاك نهر القاسمية . وتُرى هناك على اعالي الضفّة الغربيّة قلعة الشقيف وعلوّها عن سطح البحر ٦٧٠ متراً . يصبّ نهر الليطاني في البحر المتوسط على مسافة سبعة كيلومترات شمالي صور بعد ان يكون قطع في مسيره ١٦٠ كيلومتراً

بحيرات لبنان

بركة اليمونة

موقع هذه البركة بجانب قرية اليمونة وتعلو عن سطح البحر ١٥٤٠ متراً واسم اليمونة مشتقّ من السريانية بصورة التصغير ومعناه البُحيرة وفي اللغة العربية ايضاً معنى اليمّ البحر . والبركة في غور عميق تكتنفهُ الجبال من كل جهة ما عدا الجهة الشمالية الشرقية وطول البركة كيلومتران في عرض كيلومتر واحد . فاذا كان الشتاء ارتفعت فيها المياه اذ تنصبّ اليها من الجبال ومن الينابيع المجاورة . واذا كان الصيف نضبت المياه فيظهر اذ ذاك غور البركة وتربته المركّبة من الحوّارى . وفي طرف البركة حوض قليل السعة كانه بركة في البحيرة يوجد فيه منفذ عميق تخفيه الحجارة يدعوه سكّان القرية بالوعاً تسيل منه المياه الى سرب تحت

الارض · واكثر العلماء اليوم على ان مياه بركة اليمونة تنفذ في باطن جبل العاقورة جارية الى جهة الغرب فتخرج من مغارة أفقه ويتكون من مياهها نهر ادونيس المعروف بنهر ابراهيم

بركة الزينية

اذا سرت من بركة اليمونة الى الجنوب وقطعت بضعة كيلومترات تجد في منعطف الجبل بعلو ١٨٠٠ متر بركة جميلة المنظر صافية المياه · طولها كيلومتر في عرض نصف كيلومتر · فهذه هي بركة الزينية تكتنفها التلال المرتفعة وتجتمع فيها المياه من الثلوج الذائبة ومن جداول عديدة تجري في تلك الاصقاع الا ان مياه هذه البركة تنضب في الصيف

بركة راس الزينية

موقع هذه البركة على مسافة ثلثي الساعة جنوبي بركة الزينية في وادي حرج لا منفذ لهُ إلا من شماله تحيط به الجبال العالية · والبركة على شكل دائرة اهليلجية طولها ١٢٠٠ متر في عرض ٤٠٠ متر ومياهها كدرة تتكوَّن من ذوبان الثلوج فلا تسيل منها لعدم وجود منحدر تجري منه لانَّ الجهة الشمالية المفتوحة تعلو قليلاً عن سطح المياه · الا انهُ في فصل الصيف تنضب مياه هذه البركة لانَّ قعرها مركَّب من حجارة كلسيَّة نخرة كطبقات لبنان العليا فلا يمسك المياه

نبات لبنان

انَّ للبنان ثلاث طبقات نباتية هي الجرود والوسوط والسواحل كما لهُ ثلاث مناطق هي الباردة والمعتدلة والحارة · ومن ثم تصلح ارضه لمعظم اصناف النبات الذي يزكو في بلاد مختلفة فينبت فيه الارز (١) والسرو والشربين والشوح والصنوبر وعدة انواع من شجر العرعر وانواع مختلفة من السنديان · والآس وانواع الاكاسيا والاوكاليبتوس والبطم والبيلسان والتوت والحور والخرنوب والخروع والدردار والدلب والزعرور والزيتون والزيزفون والسماق والصفصاف وانواع الطرفاء والعجرم والعنَّاب والعوسج والغار والقطلب والقيقب (الازدرخت) واللبنى واللزاب والمقاس والميس · ثم انواع الليمون والبرتقال والاكادنيا والتفَّاح والتين والجميز والجوز والخوخ والدرَّاقن والرمَّان والسفرجل والعنب واللوز والمشمش والنخل بانواعه المختلفة والصبير والموز وقصب السكر وانواع البقول والزهور · بل نقول ان لتربة لبنان مزيَّة على غيره من البلدان

---

(١) ان اعظم شجر الارز يوجد في غابة فوق قصبة بشري موقعها على علو ١٩٢٥ متراً في سفح قمة ظهر القضيب · وفيها ارزة يبلغ محيط جذعها ١٤ متراً و ٥٦ سنتيمتراً وارتفاعها ٢٥ متراً · ثم ارزة اخرى تقاربها في الضخامة والارتفاع · ويقدر عمرهما بثلاثة آلاف سنة

اذ انَّ حرارة الشمس المعتدلة مع غزارة المياه وجودة الارض تؤثر تأثيرات حسنة في تنمية الاغراس والبقول اللهمَّ اذا كان الفلاح له بعض الالمام بمبادئ فنّ الزراعة . يستعمل الاساليب التي تأكّدت فائدتها بالعلم والاختبار . غير بخيل باقتناء الادوات التي تسهّل طرائق الزراعة وتوفّر غلاتها . موطّناً نفسهُ على الصبر دون ان يطمع في الربح الزهيد العاجل مضحّياً الربح العظيم الآجل . وذلك كله قلّما تجدهُ في الفلاح اللبنانيّ

كان لبنان في قديم الزمان مكلّلاً بالغابات وكانت الغابات هي الحافظة له حياته ونضارته وجماله وتربته وينابيعه وأنهاره ونباتاتهِ المختلفة وحيواناتهِ وطيوره وطيب هوائهِ وروائحهُ العطرة التي كانت تفوح من اشجار الارز والصنوبر والشربين . فاخذ الاهلون يقطعون اشجار الغابات ليستعيضوا عنها باشجار التوت لتربية دود القزّ ولاستحضار الكلس والفحم الحطبيّ وقلّما اكترثوا لنصب اغراس جديدة فتلفت الغابات وتلف معها لبنان . فعُرّي من خضرته النضرة وفقد الجوّ رطوبته الندية وانحصرت الامطار في ايام قلائل من فصل الشتاء وتلفت الحواجز التي كانت كسُدود في وجوه الانهار عند طغيانها وجرفت الامطار قسماً كبيراً من التربة الزراعية . ونضبت بعض العيون فانقطعت مياهها او قلّت وتحوّلت بعض الانهار الى سيول شتوية ونزحت الطيور والحيوانات . وهكذا فقدت اعالي لبنان اسمها الجميل وعُرفت بالجرود لانها جُرّدت من الاشجار التي كانت تكللها وجُرّد معها لبنان من جمالهِ ومن معظم خيراته . فمكسب طفيف وقتي جرَّ وراءهُ خسارة عظيمة يصعب التعويض عنها وأفقد لبنان موارد الثروة والسعادة

حيوانات لبنان

لمّا كان لبنان يحتوي مع قلّة اتساعهِ مناطق مختلفة في العلوّ تجدهُ غنياً باصناف الحيوان فيجمع منها ما كان متفرقاً في اقطار عديدة من بقر وضان وماعز وخيل وبغال وحمير وسائر الحيوانات الداجنة . فهي الخيل الاصيلة الكريمة والبغال القويّة على الحمل الثابتة الارساغ في مهاوي لبنان وطرقهِ الوعرة وعقباته الصعبة والماعز الطويلة الآذان القصيرة القرون الغزيرة الالبان . ولو كان يوجد في لبنان المروج المعشبة لتوفّرت فيه الحيوانات الداجنة وتحسّنت انواعها . ويعيش فيه الجمل والجاموس والغزال

ومن حيوانات لبنان الضبع والفهد والدبّ والذئب والثعلب والخنزير البرّي وابن آوى . وكان يوجد فيه الاسد السوري والنمر الاّ انهما انقرضا مع انقراض الغابات التي هي ملجأ الوحوش الكاسرة . وانقرض ايضاً البقر الوحشيّ الذي وُجدت منه بعض العظام في محطّات الظرّان اي الادوات الصوّانية المستعملة في القرون السابقة للتاريخ

ويوجد ايضاً في لبنان كثير من الطيور الاهلية والبريّة لكنّها قلّت مع قطع الاشجار حيث قلّ سبب

معاشها . ولم يزل في الجبل كثير من الحجال والسماني والحمام واليمام والسمرمر والغربان والنسور والصقور

وفي لبنان كثير من صغار الحيوانات والهوام مثل دود القز والنحل وانواع من الفراش ذات الالوان الزاهية والاشكال الجميلة . وتنجح تربية النحل في الجرود اكثر منها في الساحل اذ انهُ يجد في الجرود في معظم السنة ما يكفل بغذائهِ . اما دود القز فلو كان اهالي لبنان اعتنوا بتربيته واستعملوا الطُرُق الحديثة لفازوا بنجاح اعظم ومكسب اوفر

ومن الهوام المؤذية نوع من الرتيلاء الكبيرة الحجم السامَّة والعقرب ولا يقتل سمّها الاَّ نادراً وهي كثيرة في الاراضي الرطبة كبيروبا . والحيَّة وهي انواع مختلفة منتشرة في جميع الامكنة . ومنها الافعى ذات السم الناقع . وكثيراً ما تألف المنازل دون ان تؤذى سكّنها الا اذا تعرضوا لها بأذى . ومن الامثال الدارجة « حد العقرب لا تقرب حد الحيّة افرُش ونَمْ »

ويسطو على لبنان في بعض السنين الجراد خصوصًا اذا كان الشتاء غير شديد . وتساعد على قدومه وانتشاره ريح السَّموم . فلا يدع ولا يذر فيأكل الزروع ويجرد الاشجار من ورقها وقشرتها . لكن يتسلّط عليه في بعض الاحيان طير السمرمر فيهلكه او تدفعه الى البحر الرياح العاصفة فتبيد منه جزءًا عظيماً

هواء لبنان

قلّما نجد لِلبنان مثيلاً من جهة حالاتهِ الجوّية وموافقتها للصحّة . فلكونه ممتدًّا بين الدرجتين ٣٥ و٣٣ من العرض الشمالي فهو في منطقة معتدلة فلا يرتفع حرُّه الى درجة حرارة البلاد الافريقية ولا يشتد برده حتى يصل الى برد الاصقاع الشمالية . بل يكون حرُّه وبرده معتدلين متوسّطين بين الحرّ اللافح والبرد القارس .

ثم انهُ لكونه قائمًا على ساحل البحر تتجاوز أعلى قممهِ ٣٠٠٠ متر ولكون اتساع عرضه من السواحل الى سهل البقاع لا يتجاوز ٤٥ كيلومتراً يُقسم الى مناطق عديدة ويجتمع فيه من جهة الحالات الجوّية ما لا يجتمع في بلدان شتى . فالساحل يشبه في آثاره الجوّية البلاد الحارّة . الا ان جوارهُ من البحر يلطّف هذه الحرارة بالنسيم وبهبوب الرياح الغربيّة في النهار . وترى هواء الوسوط معتدلاً صيفَ شتاء . امّا الجرود فبردها كبرد الجبال العالية في الاصقاع الاوربيّة . لكن بما انّ لبنان اقرب الى خط الاستواء وكان فصل الشتاء لا يدوم فيه الا ثلاثة اشهر كان برد الجرود في لبنان في ثلاثة ارباع السنة محتملاً بل مفيداً للصحة ومقبولاً

قال الكاتب الشهير ڤولني عن لبنان « ان بلاد الشام تجمع تحت سماء واحدة احوالاً جوّية مختلفة وتدّخر في أقطار ضيّقة الارجاء مرافق لا تُرى في غيرها من البلاد الا متفرّقة على مسافات قاصية . ففي غيرها من الاصقاع ترى فصول السنة تفصلها الشهور . وامّا سوريّة فيصدق القول فيها انّ فصول سنتها

لا تقسم بينها الا بضع ساعات فقط . فان أثقلك توقُّد الحرّ في صيداء او طرابلس ايام القيظ فما لكَ إلا ان تمشي نحو ستّ ساعات فتجد في الجبال المجاورة هواءً لطيفاً كهواء شهر اذار »

ومن ثم يجد في لبنان اهالي سورية عموماً ما لا يجده سكان مصر في جبال سويسرة إلا بتكبّد مشقّات السفر الطويل والنفقات الباهظة . فالمسافر الذي يرتقي من ساحل لبنان الى جروده يجد في يوم واحد ما يرغبه ويطلبه ويسعى وراءه مسافر آخر يرحل من القطر المصري الى الاصقاع التاسعة من اوربة . وهذا ما حدا بالمصريين من بضع سنوات الى ان يُقبلوا الى سورية ليقضوا فصل الصيف في مشارف لبنان فيفوزون فيه بالهدوّ بعيداً عن الضوضاء المضنية متمتعين باعتدال هوائهِ وصفاء مائهِ فيلاقون بالقرب من الفلاح بساطة العيشة التي تُكسب راحة الفكر وفرح القلب وعافية الجسم اللهمّ اذا امتنعوا من المقامرات والالعاب الباطلة

امّا سكان لبنان خصوصاً فانّ لهم منافع السواحل في صبارّة الشتاء واطايب الوسوط والجرود في حمارّة القيظ . إذ ان الحكومة بانشاء الطرُق العديدة سهّلت لهم الانتقال الى جميع جهات الجبل . فيمكنهم ببضع ساعات وبدون عناءٍ وبنفقات زهيدة ان يرتقوا من طرابلس مثلاً الى بشرّي وهي تعلو عن سطح البحر ١٤٤٥ متراً . او الى اهدن وعلوُّها ١٤٩٥ متراً . ومن البترون الى دوما وتعلو ١٢٥٠ متراً . ومن جونية الى ريفون بعلوّ ١١٠٠ متر ومن انطلياس الى ظهور الشوير وعلوّها ١٢٠٠ متر . ومن الدامور الى دير القمر وعلوّها ٨٥٥ متراً . ومن صيداء الى جزين وتعلو ٨٨٠ متراً . اما سكة حديد الشام فتنقل براحة اوفر وبزمن اقصر وبوقت اوفق وبنفقة أخفّ سكان بيروت وما جاورها الى عاريّا وعاليه وبحمدون وصوفر والمريجات وزحله حيث يجدون هواءً معتدلاً صافياً ونقيّاً شافياً

وزد على ذلك ان من يرغب رطوبة الهواء لملاءمتها لصحتهِ يجدُها في منعطف لبنان المواجه للبحر ومن كان الهواء الناشف اكثر مناسبة لمزاجهِ يظفر بهِ في منعطف الجبل المقابل لسهل البقاع . فانّ لبنان لكونه محاذياً للبحر من اللاذقية الى صور يجذب البخار المتصاعد بوفرة من المياه في فصل الصيف فينتشر في جوّ منعطفه الغربيّ ويختلط مع الهواء فيكسبهُ الرطوبة ويخفف حرارة الشمس المحرقة . ويهبط البخار في الليل الى السواحل فيمتدّ على سطح البحر كأنّهُ هضاب وتلال من قطنٍ مندوف . فتشعّ الحرارة بسرعة في اعالي الجبل ويبرد الجوّ برداً عظيماً بعكس السواحل حيث تكون الرطوبة عظيمة فلا يكاد يوجد فرق درجتين بين حرارة الليل والنهار فضلاً عن انحباس الريح الغربية في الليل

امّا في المنعطف الذي يواجه البقاع فلبعده عن البحر وليبوسة هوائهِ تشعّ الحرارة بسرعة في الليل ويعقبها البرد فيبلغ الفرق بين الليل والنهار ١٢ درجة فاكثر . فهذا ما يجعل الليالي في الصيف هنيئة في اعالي منعطفي لبنان

فسبحانه تعالى الذي اقام لبنان في مدخل برّ سورية كمُنتدىً صحّي يعالج فيه المرضى اسقامهم ويجدد ارباب الشغل والجدّ عافيتهم بعد ان تكون انهكتها الاتعاب وأنصبتها اعباء القيظ . فيمرحون في عزلة قُراه ويسرّحون الانظار في جميل رؤياه وينعشون قواهم بطيب هوائه .

القسم الثاني

وصف لبنان الاداري

مقاطعات لبنان القديمة

قُسم لبنان قديمًا الى أقسام ومقاطعات إدارية مبنية على طبيعة أماكنه وعلاقات الاهالي مع بعضهم · وإنما سُمّيت هذه الأقسام مقاطعات لان حُكّام الجبل الاصليين أقطعوها على بعض افراد امتازوا بخدماتهم للحكومة وكانت تنتقل بالإرث الى ذراريهم · وكانوا يُلقّبون هم وسلالتهم بمشايخ فأطلقت الاهالي عليهم اسم مقاطعجية (مقاطعه‌جي)

وُقسمت هذه المقاطعات في لبنان الى قسمين او معاملتين · القسم الشمالي او معاملة طرابلس وكانت تمتد من حدود طرابلس الى جسر المعاملتين وقاعدتها مدينة جُبيل · وكانت تابعة لايالة طرابلس · والقسم الجنوبي او معاملة صيداء وكانت تمتد من جسر المعاملتين الى نهر الأولي عند صيداء وقاعدتها دير القمر · وكانت هذه المعاملة تابعةً لايالة صيداء · ومن ثمّ سُمّي الجسر الفاصل بين هاتين المعاملتين جسر المعاملتين

المقاطعات التابعة لمعاملة طرابلس

قسمت قديمًا معاملة طرابلس الى ثماني مقاطعات هي :

١) مقاطعة الزواية : من شمالي لبنان الى نهر ابي عليّ وهي متوسطة بين الجبل والبحر ومشايخها بنو الظاهر جعلهم والى طرابلس حُكّام الزواية

٢) مقاطعة الكورة : هي الى جنوبي طرابلس من نهر ابي عليّ الى نهر العصفور · وامراؤها قوم من التركمان بنو العساف ثم من الاكراد بنو سيفا

لما فتح المسلمون كسروان وما يليها وحرقوها بقيت خرابًا مدة سنين فارسل ملك الشام قومًا من التركمان والاكراد ليحافظوا على سواحل البحر من غزوات الفرنج ومنهم كان الامراء الذين في كورة طرابلس والامراء الذين سكنوا سواحل كسروان مثل زوق مصبح وزوق ميكائيل وزوق الخراب · وظهر من هؤلاء رجل يُدعى عسافًا صاحب سطوة فاخذ السكنى في قرية غزير وابتنى سراية في القرية وبجانبها جامعًا وامتد حكمه من حدود نهر الموت الى النهر البارد وكان يحكم باسمه مُقدَّمون في بلاد جبيل و بلاد البترون وجبة بشرّي · وخلف بني العساف في الولاية بنو سيفا الاكراد · ثم خلف هؤلاء الامراء الشهابيون



داود باشا

ولمّا اشتهر امر بيت العازار وعُرفوا عند حُكام طرابلس شركهم الامراء في الحكم· ثم تقاسموا امارة الكورة فاخذوا ثُلثًا منها وهي اميون وتوابعها وكانوا يكفلون الدولة بازاء المقاطعجيّة

والكورة قسمان الكورة العليا في الجبل ومن قراها اميون وهي قاعدتها · والكورة السُفلى على شاطئ البحر وفيها دير البلمند بناه بو يمند الافرنجي صاحب طرابلس في ايام الصليبيّة وسمّاه بلْمونت اي الجبل الجميل ومنه الاسم بلمند

٣) مقاطعة القُوَيْطع : هي ما سفل من نهر العصفور الى نهر الجوز على عرض ستة اميال من البحر واصحابها المشايخ بنو ابي صعب الموارنة

٤) مقاطعة جبّة بشرّي اي جبّة القاعدة ومعنى الجبّة المكان المرتفع : تشتمل هذه المقاطعة على اعالي لبنان في سفح جبل المكمل · اسفلها مقاطعة الزاوية واعلاها غابة ارز لبنان · واخصّ قراها بشرّي وهي قاعدتها واهدن اي جنّة· وقد حكمَ مدةً جبّة بشرّي مشايخ بيت حمادة المتاولة لكن لمّا طغوا وظلموا طردهم اهل بشرّي بهمة الامير يوسف الشهابي الذي جعله والي دمشق حاكمًا على جبّة بشرّي فكانت بينهُ وبين آل حمادة حروب عديدة فتشتت شملهم وبرح البعض منهم الى بلد بعلبك والبعض الى الهرمل · وفي هذه المقاطعة الديمان وفيه مصيف بطريرك الموارنة · وفي وادي قاديشا دير قنّوبين وهو دير قديم جدًّا واكثرهُ داخل مغارة وكان كرسيّ بطريرك الموارنة · وشمالي وادي قاديشا وادٍ فيه دير قزحيا ومعناه كنز الحياة وهو قاعدة اديرة الرهبان اللبنانيين الموارنة واهمّها

ومن هذه المقاطعة مار اسطفانوس الدويهيّ بطريرك الموارنة صاحب التآليف الشهيرة ومنشؤه من اهدن · والسماعنة المشهود لهم بالعلم واصلهم من حصرون وهم المطران يوسف سمعان السمعاني المستشرق الذائع الصيت وابن اخيه القس يوسف لويس وابن اخته المطران اسطفان عوّاد والقس سمعان ابن اخي يوسف لويس

٥) مقاطعة بلاد البترون : تمتدّ هذه المقاطعة من نهر الجوز الى النهر المدفون ومن البحر الى سطح الجبل· وفي جُردها التبغ الطيب وقاعدتها مدينة البترون· وكان حُكامها امراء بيت عسّاف ثم امراء بيت سَيْفا · وفي ايام الامير محمد بن مصطفى بن عساف تولّى بنو حمادة حكم بلاد البترون بعد قتلهم مُقدَّمَيْ جاج اللذين كانا عصيا على الامير محمد

٦) مقاطعة بلاد جبيل : تتصل هذه المقاطعة من النهر المدفون الى نهر الفِيدار ومن البحر الى سطح الجبل وقاعدتها مدينة جبيل· وحُكامها امراء بيت عساف وبالنيابة عنهم مشايخ بيت حمادة وبالنيابة عن هؤلاء مشايخ بيت الدحداح· ثم كان حُكامها امراء بيت يوسف باشا سيفا الكرديّ الذي قتل الامير محمد ابن مصطفى بن عساف وتولّى ايالة بيت عساف· ثم دخلت فيما بعد بلاد جبيل في حكم الامراء الشهابيّين· وفي هذه المقاطعة التبغ الطيّب ولا سيما في وادي علمات

٧) مقاطعة جبّة المُنَيطِرة اي جبّة الحافظة : تمتد هذه المقاطعة من نهر الفيدار الى نهر ابراهيم ومن البحر الى سطح الجبل واشهر قراها المنيطرة وهي بلدة قديمة فيها هيكل خرب· ثم افقا وفي اعلاها مغارة تخرج

منها مياه نهر ابراهيم · وكان عنده هيكل للوثنيين فهدمهُ قسطنطين الكبير واقام عوضهُ كنيسة على اسم السيدة مريم · وقهز ولاسا وفيهما مساكن المشايخ الحمادية المتاولة

٨) مقاطعة الفتوح : وهي من نهر ابراهيم الى وادي المعاملتين ومشايخها آل دحداح · وسميت الفتوح لانها اول ارض فتحها المسلمون في بلاد كسروان

المقاطعات التابعة لمعاملة صيداء

قسمت قديمًا معاملة صيداء الى ست عشرة مقاطعة هي :

١) مقاطعة كسروان وكانت قديمًا تسمى العاصية لصعوبة مسالكها وعظم جبالها ورجالها · تمتد هذه المقاطعة من المعاملتين الى نهر الكلب ومن البحر الى سطح الجبل ولها قاعدتان الاولى زوق ميكائيل · والثانية غزير وكانت قاعدة البلاد في ايام أمراء بني عسَّاف ثم في ايام امراء بني سيفا

كانت مقاطعة كسروان قديمًا قسمين داخلة وخارجة · فالداخلة حدُّها القديم من نهر ابراهيم الى نهر الكلب ثم صار حدها من المعاملتين الى نهر الكلب بفصل مقاطعة الفتوح عنها · ومنها سمي قديمًا جسر المعاملتين بجسر الداخلة · امَّا الخارجة فحدُّها القديم من نهر الكلب الى نهر الجعمانة (الذي يسمَّى في ايامنا نهر صليما) الفاصل بينها وبين المتن قديمًا · وطولها من البحر الى سطح الجبل · ثم صار عرضها من المعاملتين الى نهر الكلب بفصل القاطع عنها

وفي هذه المقاطعة دير بكركي كرسي بطريرك الموارنة ودير الشرفة للسريان الكاثوليك قرب قرية درعون · ودير بزمَّار للأرمن الكاثوليك · ومدرسة عين ورقة ومدرسة مار عبدا هَرْهَريًا للموارنة

كان حُكَّام كسروان امراء بيت عسَّاف التركمان ثم امراء بيت سيفا الاكراد · وبعد انقراض آل سيفا حَكَمَ الشيخ ابو منصور حبيش قرية غزير باسم بيت معن واستقامت في يده ويد اولاده بعده · ولمَّا صارت ولاية كسروان للامراء الشهابيين دبَّرها باسمهم مشايخ بيت الخازن

٢) مقاطعة القاطع اي المقطوع لانها قُطعت من كسروان فصلها عنها الامير حيدر موسى الشهابي سنة ١٧١٢ · وهي من نهر الكلب الى نهر انطلياس عرضًا ومن البحر الى شُويًا طولاً قاعدتها بيت شباب · وامراؤها اولاد الامير اسماعيل قايدبيه اللمعيُّون

٣) مقاطعة المتن : تمتد هذه المقاطعة من نهر انطلياس الى نهر بيروت عرضًا ومن نهر بيروت الى سطح الجبل طولاً يفصل بينها وبين الغرب الاعلى والجرد سكَّة دمشق القديمة · وكانت قبلاً من هذه السكَّة الى نهر الجعمانة الفاصل بينها وبين كسروان قديمًا · اصحاب هذه المقاطعة الامراء اللمعيُّون وهم ثلاث طوائف ترجع الى اصل واحد بنو قايدبيه وبنو مراد وبنو فارس · ولهم فيها كثير من الدور الحسنة في المتين وصليما وبسكنتا · واكثر شجر هذه المقاطعة الصنوبر · ومن قرى هذه المقاطعة الشوير وبالقرب منها دير مار يوحنا الصابغ للرهبان الملكيين الكاثوليكيين

٤) مقاطعة ساحل بيروت : عرضها من نهر بيروت الى عبر نهر الغدير الشتوي وطولها من البحر الى ارض القفل· امراؤها آل شهاب وفيها اكثر دورهم في الحدث وبعبدا ووادي شحرور وكفرشيما· ومن هذه القرية ناصيف اليازجي الملكي الكاثوليكي النحوي الشاعر · واكثر اشجار هذه المقاطعة التوت

٥) مقاطعة الغرب الاسفل : وهي من الشويفات الى طريق دير القمر القديمة وقاعدتها الشويفات وفيها دور الامراء من آل ارسلان الذين كانوا حكّام الدروز في لبنان · وشمالي القرية غابة زيتون عظيمة تسمّى الصحراء

٦) مقاطعة الغرب الاعلى : وهي من طريق دير القمر الى عاليه الى نهر الغابون · ومشايخها آل تلحوق وقاعدتها عيتات ثم عاليه وفيها وفي بيصور مساكن مشايخ المقاطعة وفي شملان دار الامير حيدر احمد الشهابي المؤرخ · ومن عاليه احمد بن شباط الغربي الدرزي المؤرخ

٧) مقاطعة الجرد : وهي من آخر حدّ الغرب الاعلى اي من نهر الغابون الى نهر الصفا عرضاً والى المديرج طولاً · وهي قسمان القسم الجنوبي واكبر قراه رشميا اي رأس الماء ومشايخها بنو الصالح وفيها دورهم وقد اشتهر منهم الشيخ سعد الخوري وابنه الشيخ غندور وكانا مدبّرَي الامير يوسف الشهابي· ومن مشايخهم الشيخ بشاره الخوري النحوي المنطقيّ الفقيه قاضي الموارنة في ديوان الشورى في الشويفات · ومن قرى هذا القسم مدرسة عين تراز المختصة بالروم الكاثوليك وكانت قبلاً دار الشيخ غندور · والقسم الشمالي وقصبته بتاتر وفيها مساكن المشايخ بني عبد الملك

٨) مقاطعة الشحّار : تمتدّ هذه المقاطعة من جسر القاضي الى الدامور قاعدتها عبيْه ومشايخها النكدية وفيها دورهم المتقنة · كانت قديمًا من بلاد الغرب في ولاية الامراء التنوخيّين ثم انتقلت الى بعض الامراء الشهابيّين

٩) مقاطعة المناصف ومعنى المنصف الموضع الوسط بين الموضعين : تتّصل هذه المقاطعة من جسر القاضي الى وادي بيت الدين وقاعدتها دير القمر ومشايخها النكدية · كانت قديمًا من بلاد الشوف في ولاية الامراء المعنيّين وقد بنوا في دير القمر منازل عظيمة وانتقلوا اليها من بعقلين فعمرت وجعلوا هذه القرية مقرّ ولايتهم· ثم انتقلت الى الامراء الشهابيّين خلفائهم· ولمّا كانت الفتنة بين الدروز والنصارى سنة ١٨٤١ ووقعت العداوة بين اهلها ومشايخها النكدية خرجت من ولاية الدروز وصار واليها تركيًّا · ومن قرى هذه المقاطعة بيت الدين اشتراها الامير بشير الشهابيّ وشيّد فيها الابنية العظيمة وأجرى اليها مياه نبع الصفا

١٠) مقاطعة العرقوب اي العقبة : وهي من شرقي المناصف الى قمّة جبل الباروك ومن وادي الستّ الى اوّل الشوف · وهي قسمان الاعلى ومشايخه بنو العيد ومقامهم في عين زحلتا · والاسفل ومشايخه بنو العماد ومقامهم في كفرنبرخ ومنها الشيخ عبد السلام المشهور بفصاحته كان في ايام الامير يوسف الشهابي الوالي· والباروك ومنها الشيخ ناصر الدين الدرزيّ الذي قُتل في واقعة وادي بكا· وكان من الرجال الشجعان

١١) مقاطعة الشوف : وهي من وادي بيت الدين الى قمة الجبل وهي قسمان الشوف الحيثيّ وقاعدته

المختارة والشوف السُّوَيجاني وقاعدته بعقلين ومشايخ هذه المقاطعة آل جنبلاط عمدة مشايخ الدروز . ومساكنهم في المختارة وبعذران وعين قنية

١٢) مقاطعة اقليم الخرّوب : موقعها الى غربيّ الشوف من الدامور الى نهر الاولي وقاعدتها شحيم . ومشايخها آل جنبلاط

١٣) مقاطعة اقليم جزّين : وهي من الشوف الحيثي الى قرية جزين وقاعدتها جزين ومشايخها الجنبلاطية

١٤) مقاطعة اقليم التفاح : تتناول هذه المقاطعة ضواحي صيداء من فوق الساحل وقاعدتها الصالحية ومشايخها الجنبلاطية

١٥) مقاطعة جبل الريحان : تعمّ هذه المقاطعة منحدرَيْ جبل الريحان في جنوبيّ الاقاليم الثلاثة المارّ ذكرها ومشايخها الجنبلاطية

١٦) مقاطعة الشوف البياضي ويقال لها شوف البيادر : موقع هذه المقاطعة غربيّ البقاع وتشتمل على المنحدر الشرقيّ من لبنان وقاعدتها مدينة زحلة وهي اعظم مدينة في لبنان وفيها حوانيت وحواصل تجار وسُكّانها نصارى اكثرهم ملكية كاثوليكيّون وكان يتولّى زحلة وما يليها امراء المتن . ومن قراها ايضاً سغبين وهي اعظم قرى هذه المقاطعة بعد زحلة وكان يتولاها وما يليها امراء الشوف

توحيد حكومة لبنان ثم قسمتها الى حكومتين

لمّا تولّى الامير يوسف الشهابيّ حكومة بلاد جبيل ومضى على ولايته بعض سنوات واستتبّ الأمن في لبنان ضمّ القسم الجنوبيّ الى القسم الشماليّ ومذ ذاك الوقت توحدت حكومة الجبل وصارت قاعدتها دير القمر فانتقل اليها

ثم وقعت الفتنة بين الدروز والنصارى سنة ١٨٤١ وفي سنة ١٨٤٤ قسم السلطان عبد المجيد المقاطعات الى قسمين جاعلاً طريق الشام القديمة فاصلاً بينهما . وخصّ القسم الشماليّ بقائمقام النصارى . والقسم الجنوبي بقائمقام الدروز . واقرّ اصحاب المقاطعات تحت ولايتهما كما كانوا . وجعل عند كلّ منهما ديوان شورى مركّباً من اثني عشر عضواً من كل طائفة عضوان

جعل لبنان متصرفية

وبعد فتنة سنة ١٨٦٠ وُضع نظامٌ جديد للبنان في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ فجُعل متصرفيّة يتولّى ادارتها حاكم مسيحي واحد ينصبّه الباب العالي ويكون مرجعه اليه رأساً . وهو يُولّي مأموري الاقضية والمديريات

وبعد مضيّ ثلاث سنوات على النظام المذكور أُعيد النظر فيه وأُجري التعديل والتنقيح في بعض المواد ووُضع نظام جديد في ٦ ايلول سنة ١٨٦٣

فبمقتضى هذا النظام قُسمت متصرفية لبنان الى سبعة أقضية او قائمقاميات . وقُسمت الاقضية الى

مديريات او نواحي . فالأقضية هي : الشوف . المتن . كسروان . البترون . الكورة . جزين . زحلة . واضيف اليها مديرية مستقلة هي مديرية دير القمر منحها هذا الامتياز داود باشا اول متصرف على جبل لبنان

اسماء الحكام الذين تولوا متصرفية لبنان

داود باشا الارمني هو اول متصرف أُقيم على لبنان في ١٠ حزيران من السنة المالية ٢٧٧ الى ١١ مايس ٢٨٤ الموافقة السنة الغربية ١٨٦١ الى ١٨٦٨

فرانقو باشا كوسى الحلبي من ١٤ حزيران سنة ٢٨٤ الى ١٤ شباط ٢٨٨ = ١٨٦٨ الى ١٨٧٣

رستم باشا الايطالي الاصل من ٩ مارت سنة ٢٨٩ الى ٩ مايس ٢٩٩ = ١٨٧٣ الى ١٨٨٣

واصا باشا الالباني من ٢٦ مايس سنة ٢٩٩ الى ٢٠ حزيران ٣٠٨ = ١٨٨٣ الى ١٨٩٢

نعوم باشا الحلبي من ٢٣ اغستوس سنة ٣٠٨ الى ٢٣ اغستوس ٣١٨ = ١٨٩٢ الى ١٩٠٢

مظفر باشا البولوني الاصل من ١ تشرين الاول سنة ٣١٨ الى ١٤ حزيران ٣٢٣ = ١٩٠٢ الى ١٩٠٧

يوسف باشا فرانقو من ١١ تموز سنة ٣٢٣ الى ٢ تموز ٣٢٨ = ١٩٠٧ الى ١٩١٢

اوخانس باشا الارمني من ٩ كانون الثاني سنة ٣٢٨ الى ٣١ مايس ٣٣١ = ١٩١٢ الى ١٩١٥

علي منيف بك من ٨ ايلول سنة ٣٣١ الى ١٠ شباط ٣٣٢ = ١٩١٥ الى ١٩١٦

اسماعيل حقي بك المتصرف الحالي قُلّد زمام الحكم في ٢٦ مارت سنة ٣٣٣ = ١٩١٧

حدود متصرفية لبنان

يحدّ متصرفية لبنان شمالاً ناحية الضنّيّة من اعمال متصرفية طرابلس التابعة لولاية بيروت . وشرقاً قضاءا بعلبك والبقاع من ولاية سورية . وجنوباً قضاء صيداء التابع لولاية بيروت . وغرباً البحر المتوسط ومدينة بيروت

اقضية متصرفية لبنان ومديرياتها

١) قضاء جزين في جنوبي المتصرفية : يحدّه شمالاً قضاء الشوف . والفاصل بينهما نهر الاولي . وشرقاً قضاء البقاع . وجنوباً ناحية جباع من قضاء صيداء . وغرباً البحر المتوسط . واكثر سكانه من الموارنة

وهو يقسم الى مديريتين ١) مديرية اقليم التفاح ٢) مديرية جبل الريحان . وما بقي فيه من القرى العديدة في ناحية جزين يتعلق رأساً بمركز القائمقامية

ومن اهمّ قراه قصبة جزين وهي مركز القضاء صيفاً شتاء . وبكاسين وفيتولة والصالحية وحيطورة وفي جوارها منجم فحم حجري . وروم وعازور

٢) قضاء الشوف : وهو اكبر أَقضية لبنان مساحةً . يحدّه شمالاً قضاء المتن . والفاصل بينهما سكة

الشام القديمة الى جمهور ٠ وشرقاً قضاء البقاع ٠ وجنوباً قضاء جزين ٠ وغرباً البحر المتوسط ٠ واكثر سكانه من الدروز

يحتوي على ١٢ مديرية وهي : ١) الشوفَيْن ٢) اقليم الخرّوب ٣) العرقوب الاعلى ٤) العرقوب الشمالي ٥) العرقوب الجنوبي ٦) المناصف ٧) الجرد الشمالي ٨) الجرد الجنوبي ٩) الغرب الاعلى ١٠) الغرب الشمالي ١١) الغرب الاقصى ١٢) الشحّار

واعظم قراه بعقلين وهي اول قرية عمّرها المعنيّون في الشوف في عهد الصليبيين ٠ وهي اليوم مركز القضاء الصيفي ٠ والشويفات وهي مقرّ القضاء الشتوي ٠ وسوق الغرب وعاليه واعبيه ورشميا وبحمدون والباروك وعين داره ومعلقة الدامور ونحيم

٣ً) قضاء المتن : يحدّهُ شمالاً قضاء كسروان والفاصل بينهما نهر الكلب ٠ وشرقاً قضاء البقاع وقضاء زحلة ٠ وجنوباً قضاء الشوف ٠ وغرباً البحر المتوسط ومدينة بيروت ٠ واكثر سكانه من الموارنة

وينقسم الى خمس مديريات هي : ١) المتن الاعلى ٢) بسكنتا ٣) الشوير ٤) القاطع ٥) الساحل ٠ وما بقي في هذا القضاء من القرى العديدة في المتن الشمالي يتعلق رأساً بمركز القائمقامية

واهمّ قراه بعبدا وهي مركز المتصرفية في الشتاء وفيها سراي الحكومة ٠ وبحنّس وهي مركز القضاء الصيفيّ ٠ والجديدة وهي مركز القضاء الشتويّ ٠ والحدث وبيت مري وبرمانا وبيت شباب وهي مشهورة بسكب الاجراس وحياكة الديما وصناعة الفخّار ٠ وبكفيا والشوير وقرنة شهوان والمتين وبسكنتا وصليما وبعبدات وحمانا والعبادية ورأس المتن والضبيّة وفيها ابنية شركة مياه بيروت

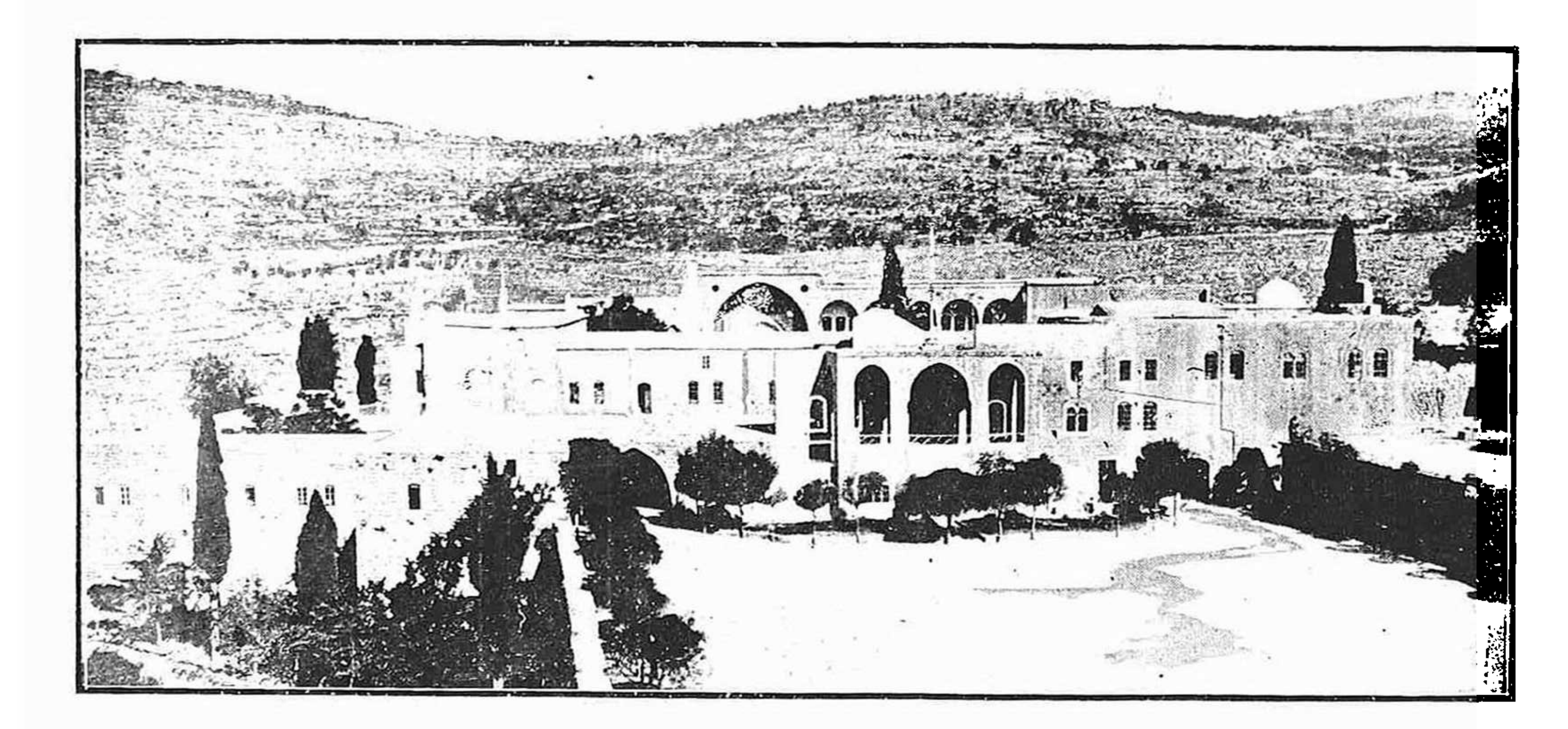
٤ً) قضاء زحلة : هو اصغر اقضية لبنان ٠ يحيط به قضاء المتن من كل الجهات ما عدا جهة البقاع الذي يحدّهُ شرقاً ٠

وقصبته مدينة زحلة وهي مقرّ القضاء صيفاً شتاء واكبر بلدة في متصرفية لبنان ٠ كان يبلغ سكانها قبل المهاجرة الى اميركا ١٨ ألف نسمة معظمهم من الملكية الكاثوليك ٠ وهي مدينة التجارة للحاصلات الزراعية ٠ والجبال التي تعلوها هي مزدانة بالكروم الواسعة وعنبها شهيّ لذيذ

٥ً) قضاء كسروان : يحدّه شمالاً قضاء البترون ٠ والفاصل بينهما في البترون السفلى نهر المدفون الى شمالي قرية البجّة ٠ وشرقاً قضاء بعلبك ٠ وجنوباً قضاء المتن ٠ وغرباً البحر المتوسط ٠ ومعظم سكانه من الموارنة

يقسم الى تسع مديريات هي : ١) مديرية جبيل السفلى ٢) جبيل العليا ٣) المنيطرة ٤) جرد جبيل ٥) الفتوح ٦) غوسطا ٧) جونية ٨) الزوق ٩) جرد كسروان ٠ وما عدا هذه التسع المديريات يوجد مأمور مخصوص لقرية شمسطار

اعظم قرى هذا القضاء قصبة غزير وهي مقرّه الصيفيّ ومرتبطة بمركز القضاء رأساً ٠ واسكلة جونية وهي مقرّ القضاء الشتوي ٠ وهي فُرضة كسروان وبلدة التجارة ٠ وزوق ميكائيل وقد اشتهرت بحياكة الاقمشة القصبية والفضيّة والحريرية ٠ وجبيل وعمشيت وقرطبا ومزرعة كفر ذبيان وغوسطا والبجة واهمج



سراي بيت الدين

٦ٓ) قضاء البترون : وهو يضاهي قضاء الشوف في المساحة · يحدّهُ شمالاً ناحية الضنّية من متصرفية طرابلس · وشرقًا قضاء بعلبك · وجنوبًا قضاء كسروان · وغربًا البحر المتوسط وقضاء الكورة وجزء يسير من متصرفية طرابلس · واكثر سكانه من الموارنة

يحتوي على تسع مديريات هي : ١) البترون السفلى ٢) البترون الوسطى ٣) تنورين (او البترون العليا) ٤) قنات ٥) حصرون ٦) بشرّي ٧) اهدن ٨) الزاوية ٩) الهرمل

من اعظم قراه اسكلة البترون وهي مركز القضاء الشتوي · أما مركز القضاء الصيفي فهو عادةً حدث الجبّة او بان · ومن قراه المهمّة قصبة بشرّي واهدن وحصرون ودوما وتنورين وزغرتا والهرمل

٧ٓ) قضاء الكورة : يحدّهُ شمالاً متصرفية طرابلس · وشرقًا وجنوبًا قضاء البترون · وغربًا البحر المتوسط · ومعظم سكانه من الروم الارثذكس

يقسم الى ثلاث مديريات هي : ١) الكورة الشمالية ٢) الكورة الوسطى ٣) التُوَيطع

من اعظم قراه اميون وهي ملحقة بالقضاء رأسًا ومركز القائمقامية في الصيف · وانفه وهي مركز القضاء الشتوي · وكوسبا وكفرعقّا وشكّـة وبطرّام وبشمزّين وحامات

٨ٓ) مديرية دير القمر المستقلّة : موقع هذه المديرية في قضاء الشوف الذي يحيط بها من جميع الجهات · وقصبتها دير القمر وهي من اشهر قرى لبنان ومركز المديرية صيفًا وشتاءً · وعلى مسافة نصف ساعة منها قصبة بيت الدين مركز المتصرفية الصيفيّ وفيها السراي الجميلة المتقنة البناء التي شادها الامير بشير الشهابي

فيكون في متصرفية لبنان ٤٠ مديرية ما عدا مديرية دير القمر المستقلة تحتوي على ٩٥٦ قرية

ان معظم الاملاك واخصب الاراضي في المتصرفية المذكورة هي اولاً في سواحل لبنان من جونية الى الدامور لان المياه تولي تلك السهول خصبًا ونضارة · ويؤمل ان يتوسع نطاق المزدرعات في السواحل بجرّ المياه الى الاراضي التي تربتها جيدة وينقصها الريّ · ثانيًا في طرفي المتصرفية الشمالي والجنوبي اي جبة بشرّي والزاوية والكورة في الشمال · وقضائي الشوف وجزّين في الجنوب · ثالثًا في المنعطف الشرقي في مديرية الهرمل وقضاء زحلة

ومن حاصلات المتصرفية الحرير والزيت والحبوب بانواعها والعنب والتين والخرنوب واللوز والجوز والصنوبر والدبس والتبغ

جدول

قرى لبنان ومزارعه

نذكر في هذا الجدول كل قرية من قرى لبنان ونلحقها باسم القضاء الموجودة فيهِ والمديرية التابعة لها. وقد رتبناها على حروف الهجاء لسهولة المراجعة. وفي هذا الترتيب لم نعتبر حرف ال التعريف

ما تفيده بعض الاختصارات :

* تفيد ان القرية ملحقة بمركز القضاء رأساً
ن « ناحية
ق « قصبة

وردت بعض اسامي القرى في الكتب مع اختلاف في كتابتها . فيروى مثلاً بثلون وبتلون . بتاعل وبتاتل . عين تورين وعين طورين . كفرسغاب وكفر صغاب . فيترون وفيطرون. الحضيرة والحظيرة. زكريت وذكريت . ابو ميزان وبو ميزان. غسطا وغوسطا . ظهر بوياغي وضهر بوياغي . ثم عين طوره عين ماطور دير كوشه دير دوريت عين بال بيت الدين بيت رومين . ويروى مع النحت : عنطوره عاطور دركوشه دردووريت عنبال بتدين بترومين. وهلمّ جرّاً. وعليه فان كان الاسم المنشود لم يوجد في مظانّه فليُطلب في الحرف القريب منه لفظاً — وقد يتقدم بعض الاسماء احد هذه الالفاظ : بيت جورة. حارة. حرف. دير. عين. كفر. مزرعة. وادي. فلتطلب في جداول هذه الالفاظ ان لم توجد في مظانّها

القرية	القضاء	المديرية
﴿ ا ﴾		
اجبع	البترون	الزاويه
اجد عبرين	الكورة	القويطع
ادما والدفنه	كسروان	الفتوح
اده	«	جبيل السفلى
اده	البترون	البترون السفلى
ارده	«	الزاويه
ارسيا	كسروان	المنيطرة
ارصون	المتن	المتن الاعلى
ارنبا	البترون	بشري
ارنيا	كسروان	المنيطره
اسطبل	جزين	اقليم التفاح
اسكندرونه	الشوف	اقليم الخروب
اسيا	البترون	البترون الوسطى
اصنون	«	الزاويه
اغبه	كسروان	غوسطا
اغميد	الشوف	العرقوب الاعلى
افقا	كسروان	جرد جبيل
اقليم التفاح (ن)	جزين	
« الخروب (ن)	الشوف	
اموّل	زحله	
اميون (ق)	الكورة	*
انان	جزين	*
انطلياس	المتن	القاطع
انفه	الكورة	الكورة الوسطى
اهدن (ن)	البترون	
اهدن (ق)	«	اهدن
اهميج	كسروان	جبيل العليا

القرية	القضاء	المديرية
الاوزاعي	المتن	الساحل
ابطو	البترون	بشري
﴿ ب ﴾		
بابا	جزين	*
باتر	الشوف	الشوفين
الباروك	«	العرقوب الجنوبي
بان	البترون	بشري
بتاتر	الشوف	الجرد الشمالي
بتبيات	المتن	المتن الاعلى
بتخنيه	«	المتن الاعلى
بتدين اللقش	جزين	*
بترومين	الكورة	الكورة الوسطى
البترون السفلى (ن)	البترون	
« الوسطى (ن)	«	
« اسكلة	«	البترون
بتعبوره	الكورة	القويطع
بتعلين	المتن	المتن الاعلى
بتغرين	«	الشوير
بتوراتيج	الكورة	الكورة الشمالية
بثلون التحتا	الشوف	العرقوب الجنوبي
« الفوقا	«	« «
بجدرفل	البترون	البترون السفلى
بجرين	كسروان	جبيل السفلى
بجه	«	« «
بجوره	الكورة	الكورة الشمالية
بحاره	كسروان	الفتوح
بحاله	المتن	المتن الاعلى

القرية	القضاء	المديرية
بجبوش	البترون	قنات
بجديدات	كسروان	جبيل العليا
بجرصاف	المتن	القاطع
البحصيص	البترون	حصرون
بحمدون	الشوف	الجرد الجنوبي
بحنس	المتن	*
بحنين	جزين	*
بحواره	الشوف	الغرب الشمالي
البحيري	البترون	اهدن
«	الشوف	المناصف
بخشتيه	«	الغرب الشمالي
بخعاز	كسروان	جبيل السفلى
بدادون	الشوف	الغرب الشمالي
بدبّا	الكورة	الكورة الوسطى
بدبهون	«	الكورة الشمالية
بدغان	الشوف	الجرد الشمالي
بدنايل	الكورة	القويطع
برانيه	كسروان	جبيل السفلى
براريخه	البترون	البترون الوسطى
براميه	جزين	اقليم التفاح
البرباره	كسروان	جبيل السفلى
برتي	جزين	اقليم التفاح
برجا	الشوف	اقليم الخروب
برج البراجنة	المتن	الساحل
برج حمود	«	*
البرجين	الشوف	اقليم الخروب
برحليون	البترون	قنات
برسا	الكورة	الكورة الشمالية

القرية	القضاء	المديرية
البرغوثيّه	الشوف	اقليم الخروب
برغون	الكورة	الكورة الشمالية
بركة جحولا	كسروان	المنيطرة
برمانا (ق)	المتن	*
البريج	كسروان	جبيل السفلى
بريح	الشوف	العرقوب الجنوبي
بزبدين	المتن	المتن الاعلى
بزحل	كسروان	الفتوح
بزعون	البترون	حصرون
بزمّار	كسروان	غوسطا
بزيزا	الكورة	*
بزينا	الشوف	اقليم الخروب
بزيون	كسروان	المنيطرة
بسابا	الشوف	اقليم الخروب
«	المتن	الساحل
«	جزين	*
بسبعل	البترون	الزاوية
بسبينا	«	البترون السفلى
بستان العصا	«	تنورين
بسري	جزين	*
بسرين	الشوف	الجرد الجنوبي
بسغرين	المتن	*
بسكنتا (ن)	«	
« (ق)	«	بسكنتا
بسلوقيت	البترون	اهدن
بسوس	الشوف	الغرب الشمالي
بشامون	«	الغرب الاقصى
بشتفين	«	المناصف

القرية	القضاء	المديرية
بشتليده وعين شيس	كسروان	المنيطرة
بشمودار	البترون	تنورين
بشري (ن)	»	
» (ق)	»	بشري
بشعله	»	تنورين
بشلّه	كسروان	المنيطرة
بشمزّين	الكورة	الكورة الوسطى
بشنّين	البترون	الزاوية
بصاليم	المتن	*
بصرما	الكورة	الكورة الوسطى
بصنيه	الشوف	العرقوب الجنوبي
البصيل	»	العرقوب الاعلى
البطال	»	اقليم الخروب
بطحه	كسروان	غوسطا
بطرّام	الكورة	الكورة الوسطى
بطشيه	المتن	الساحل
بطلون	الشوف	الجرد الجنوبي
بطمه	»	الشوفين
بعاصير	»	اقليم الخروب
بعانوب التحتا	جزين	*
» الفوقا	»	*
بعبدا (ق)	المتن	الساحل
بعبدات	»	*
بعذران	الشوف	الشوفين
بعقلين (ق)	»	*
بعلشميه	المتن	المتن الاعلى
بعورته	الشوف	الشحار
بقاع كفره	البترون	حصرون
بقاق الدين	كسروان	الفتوح
بقرقاشه	البترون	حصرون
بقسطه	جزين	اقليم التفاح
بقسميا ومزرعة النهر	البترون	البترون الوسطى
البقسه والسيار	الشوف	اقليم الخروب
بقع	جزين	*
بقعاتة عشقوت	كسروان	غوسطا
» كنعان	»	جرد كسروان
بقعتوته	»	» »
بقعون وبتعون	الشوف	اقليم الخروب
بقفتي	»	العرقوب الشمالي
البقله	المتن	المتن الاعلى
بقنايه	»	*
البقيعه	البترون	البترون السفلى
»	الشوف	المناصف
بكاسين	جزين	*
بكرتا	كسروان	جبيل العليا
بكرزيه	دير القمر	*
بكركي	كسروان	جبيل السفلى
بكشتين	الشوف	اقليم الخروب
بكفتين	الكورة	الكورة الشمالية
بكفيا	المتن	القاطع
بكمرا	الكورة	الكورة الشمالية
بكونا وصوراتا	كسروان	جبيل السفلى
بكيفا ومزورا	الشوف	اقليم الخروب
بلا	البترون	قنات
بلاط	كسروان	جبيل السفلى
بلحص	»	المنيطرة

القرية	القضاء	المديرية
بلحص	البترون	اهدن
بلمند	الكورة	الكورة الوسطى
بلونه	كسروان	الزوق
بليبل	الشوف	الغرب الشمالي
بمريم	المتن	المتن الاعلى
بمكين	الشوف	الغرب الشمالي
بمهريه	»	العرقوب الاعلى
بنايل	المتن	*
بنتاعل	كسروان	جبيل العليا
بنشعي	البترون	اهدن
بنمره	الشوف	اقليم الخروب
بنهران	البترون	قنات
بنواتي	جزين	*
بنويته	الشوف	المناصف
البنّيه	»	الشحار
بوار	كسروان	الفتوح
بوار الدين	الشوف	الشحار
بودين	»	العرقوب الشمالي
بوسيطه	البترون	الزاوية
البوشريه	المتن	*
البوم	الشوف	الشحار
بوميزان	المتن	القاطع
البياض ومياس	البترون	بشري
بياقوت	المتن	*
بيت بو عيد	جزين	*
» البومه	كسروان	جبيل السفلى
» حباق	»	جبيل السفلى
» خشبو	»	*

القرية	القضاء	المديرية
بيت الدين (ق)		دير القمر
» شباب	المتن	القاطع
» الشدياق	البترون	البترون الوسطى
» الشعار	المتن	القاطع
» عنّايا	كسروان	جبيل العليا
» غزال	»	جبيل السفلى
» الككوك	المتن	القاطع
» مري	»	*
بئر حسن والاوزاعي	»	الساحل
البيره والحزيبه	الشوف	العرقوب الشمالي
بيصور	»	الغرب الجنوبي
بيصور	جزين	اقليم التفاح
بيقون	الشوف	الشوفين
ت		
تاربلا	الشوف	اقليم الخروب
تحت القلعه	كسروان	المنيطرة
تحوم	البترون	البترون السفلى
تحويطة الغدير	المتن	الساحل
تحويطة النهر	»	»
ترتج	كسروان	جبيل العليا
ترحمانا	البترون	البترون السفلى
ترشيش	المتن	المتن الاعلى
التعزانيه	الشوف	الجرد الجنوبي
تعيد	جزين	*
تفاح	البترون	اهدن
تله	البترون	الزاوية
تمره	جزين	الريحان
تنوري	البترون	البترون الوسطى

القرية	القضاء	المديرية
تنور ين (ن)	البترون	
تنور ين التحتا	«	تنور ين
تنور ين الفوقا	«	«
تولا	«	البترون السفلى
تولا البحيري	«	اهدن
﴿ ج ﴾		
جاج	كسروان	جبيل العليا
الجاهليه	الشوف	المناصف
جباع	«	الشوفين
جبّ الفوقا والتحتا	كسروان	جبيل السفلى
جبل الريحان (ن)	جزين	
جبل طوره	«	*
جبل موسى	كسروان	الفتوح
جبله	البترون	البترون الوسطى
جبيل السفلى (ن)	كسروان	
« العليا (ن)	«	
« اسكلة	«	جبيل السفلى
جدايل	«	جبيل السفلى
جدبرا	البترون	البترون السفلى
الجديده	«	الزاوية
الجديده	المتن	*
«	كسروان	غوسطا
جديدة بزعون	الكورة	الكورة الشمالية
« الشوف	الشوف	الشوفين
جران	البترون	البترون السفلى
الجربان	الشوف	المناصف
جربتا	البترون	البترون السفلى
« وبركة حجولا	كسروان	المنيطرة
جرد جبيل (ن)	كسروان	
الجرد الجنوبي(ن)	الشوف	
« الشمالي(ن)	«	
جرد كسروان(ن)	كسروان	
جرمق	جزين	جبل الريحان
جرنايا	«	اقليم التفاح
جزين (ق)	جزين	*
الجمايل	الشوف	العرقوب الشمالي
جعيتا	كسروان	الزوق
جلب والمراح والدوير	كسروان	جبيل السفلى
جلّ ناشي	جزين	*
جلّ الديب	المتن	*
جليسة	كسروان	جبيل السفلى
الجلياليه	الشوف	اقليم الخروب
جمهور	المتن	الساحل
الجميليه	الشوف	اقليم الخروب
جناد	البترون	الزاوية
جنجل	كسروان	جبيل السفلى
جنسنايا	جزين	اقليم التفاح
جنه	كسروان	جرد جبيل
جوار الحوز	المتن	المتن الاعلى
جوار الخنشاره	المتن	الشوير
جوار السوس	جزين	*
جورة ارصون	المتن	المتن الاعلى
« بدران	كسروان	الفتوح
« البلوط	المتن	المتن الاعلى
« ترمس	كسروان	الفتوح
« جمعة	«	جرد كسروان

القرية	القضاء	المديرية
جورة القطين وبكركي	كسروان	جبيل السفلى
» مهاد	»	غوسطا
الجوزة	الشوف	الجرد الجنوبي
جون	»	اقليم الخروب
جونيه (ن)	كسروان	
» اسكلة	»	جونيه
الجويقات	المتن	المتن الاعلى
الجيه	الشوف	اقليم الخروب
﴿ ح ﴾		
حارة البطم	المتن	الساحل
» البلانة	»	القاطع
» بيت شلالا	البترون	تنورين
» بيت كساب	»	البترون السفلى
» جندل	الشوف	الشوفين
» جهجاه	كسروان	جبيل السفلى
» حراجل	»	جرد كسروان
» حريك	المتن	الساحل
» حلان	كسروان	الفتوح
» حمزه	المتن	المتن الاعلى
» الخصه	الكورة	الكورة الشمالية
» سالم	الشوف	الغرب الشمالي
» سبعل	البترون	بشري
» الست	المتن	الساحل
» شلهوب	»	*
» الشيخ	»	*
» صخر	كسروان	جونيه
» ظهر السودا	الشوف	اقليم الخروب
» قرباش	البترون	الزاويه

القرية	القضاء	المديرية
حارة النفر	الكورة	الكورة الشماليه
» وازن	المتن	*
الحازميه	»	الساحل
حاصبيا	»	المتن الاعلى
حاقل	كسروان	جبيل العليا
حالات	»	جبيل السفلى
حالان	البترون	الزاوية
حامات	الكوره	القويطع
حبايه	جزين	اقليم التفاح
حبالين	كسروان	جبيل السفلى
حبرمون	الشوف	الجرد الجنوبي
حبوب	كسروان	جبيل السفلى
الحبوس	المتن	القاطع
الحجاجيه	الشوف	اقليم الخروب
حج خليل	كسروان	جبيل السفلى
حجولا	»	المنيطرة
الحدث	المتن	الساحل
حدث الجبه	البترون	حصرون
حدتون	»	البترون الوسطى
حدشيت	»	بشري
»	كسروان	الفتوح
حراج	»	الزوق
حراجل	»	جرد كسروان
حردين	البترون	البترون السفلى
حرف	جزين	*
الحرف	البترون	اهدن
حرف التينا	كسروان	جبيل السفلى
» خرخيا	جزين	*

القرية	القضاء	المديرية
حرف الدفيق	جزين	*
« شقاديف	»	*
« الفوقا	كسروان	جبيل السفلى
« مزياره	البترون	اهدن
حرفين الفوقا والتحتا	كسروان	جبيل السفلى
حريشه	الكورة	الكورة الوسطى
حريصا	كسروان	غوسطا
حريقص	البترون	الزاوية
حزرتا	المتن	المتن الاعلى
حسانيه التحتا	جزين	اقليم التفاح
« الفوقا	»	» »
الحسين	البترون	قنات
حصارات	كسروان	جبيل السفلى
حصرايل	»	» »
حصروص	الشوف	اقليم الخروب
حصرون (ن)	البترون	
»	»	حصرون
حصن عار	كسروان	المنيطرة
الحصون	»	»
الحصيحيص	المتن	المتن الاعلى
الحصين	كسروان	الفتوح
حقلة التينة	»	المنيطرة
حلان	»	الفتوح
حلتا	البترون	تنورين
حما	الشوف	الجرد الجنوبي
حمصيه	جزين	*
حمانا	المتن	المتن الاعلى
حملايا	»	القاطع
الحميرة	كسروان	المنيطرة
حميص	البترون	اهدن
حدرش	الكورة	القويطع
حورانا	كسروان	جبيل السفلى
حورانيه	جزين	*
حورتي	»	الريحان
حوش الامرا	زحله	*
« الزراعنة	زحله	*
حومال	الشوف	الغرب الشمالي
حياطه	كسروان	غوسطا
حيتوله	جزين	اقليم التفاح
حيداب	»	*
حيطوره	»	*
﴿ خ ﴾		
الخاربه	كسروان	جبيل العليا
خالديه	البترون	الزاوية
خرايب صباح	جزين	*
خربه	كسروان	الفتوح
خربة بسري	الشوف	اقليم الخروب
« عين تركان	جزين	*
« المراح	الشوف	اقليم الخروب
الخربيه	»	الشوفين
»	»	العرقوب الشمالي
»	المتن	المتن الاعلى
خعبيا	كسروان	جبيل العليا
خفيره	»	الفتوح
خلده	الشوف	الغرب الاقصى
خله	البترون	تنورين

القرية	القضاء	المديرية
خلة المتين	المتن	☆
« خازم	جزين	جبل الريحان
« عقيلته	الشوف	العرقوب الاعلى
الخلوات	المتن	المتن الاعلى
خلوات جرنايا		دير القمر
الخنشاره	المتن	الشوير
﴿ د ﴾		
دار بعشتار	الكورة	☆
دار شمزين	«	☆
داريا	الشوف	اقليم الخروب
«	كسروان	الزوق
«	البترون	الزاوية
«	جزين	☆
داعل	البترون	تنورين
الدبيه	الشوف	اقليم الخروب
دده	الكورة	الكورة الشمالية
درب السيم	جزين	اقليم التفاح
دردوريت		دير القمر
درعون	كسروان	غوسطا
دركوشه	الشوف	المناصف
دربا	البترون	البترون السفلى
دفني	كسروان	الفتوح
دفون	الشوف	الغرب الشمالي
دفون	«	الشحار
دكوانه	المتن	☆
دلبتا	كسروان	غوسطا
دلعاني	جزين	☆
دلهمية والزرانية	الشوف	اقليم الخروب

القرية	القضاء	المديرية
دهوم	الشوف	اقليم الخروب
الدليبه	المتن	المتن الاعلى
دمشقيه	جزين	الريحان
دملصا	كسروان	جبيل السفلى
دميت والبحيري والجربان	الشوف	المناصف
دنحا	البترون	الزاويه
الدوار والعيرون	المتن	☆
الدوق	البترون	البترون الوسطى
دوما	«	تنورين
الدوير	كسروان	جبيل السفلى
دوير بصنيه	الشوف	المناصف
« الرمان	«	الجرد الجنوبي
دير بابا	«	المناصف
« بلاّ	البترون	قنات
« البنات	كسروان	جبيل السفلى
« الحرف	المتن	المتن الاعلى
« خونا	«	«
« سيدة النياح وجوزة جمعه	كسروان	جرد كسروان
« سير	الشوف	الجرد الجنوبي
« شمرا	المتن	القاطع
« طاميش	«	«
« عوكر	«	«
« القطارة	كسروان	جبيل العليا
« القمر (ن)		
« القمر (ق)		دير القمر
« قوبل والمريجات	الشوف	الغرب الاقصى

القرية	القضاء	المديرية
دير كفيفان	البترون	البترون السفلى
« الناعمة	الشوف	الشحار
« مزيرعه	جزين	*
« معاد	كسروان	جبيل السفلى
« ميفوق	«	جبيل العليا
الديشونية	المتن	*
ديك المحدي	«	القاطع
❋ ذ ❋		
ذرعون	المتن	*
ذكرون	الكورة	الكورة الوسطى
❋ ر ❋		
راس اسكا	كسروان	المنيطرة
« الحرف	المتن	المتن الاعلى
« كيفا	البترون	اهدن
« «	كسروان	جبيل السفلى
« المتن	المتن	المتن الاعلى
« مسقا	الكورة	الكورة الشمالية
« نحاش	«	القويطع
راشا	البترون	البترون الوسطى
راشانا	«	البترون السفلى
راشدين	«	قنات
راشكيدا	«	البترون السفلى
رام	«	« الوسطى
رام ابو دقن	كسروان	الزوق
الراموطه	«	جبيل السفلى
رجكل	«	جبيل العليا
الرجمه	الشوف	الغرب الشمالي
رجمة سنور	كسروان	جبيل السفلى

القرية	القضاء	المديرية
الرجوم	الشوف	الغرب الشمالي
رخصه	جزين	*
رزانيه	الشوف	اقليم الخروب
رشعين	البترون	الزاويه
رشميا	الشوف	الجرد الجنوبي
رعشين	كسروان	غوسطا
رمانه	جزين	*
رمحاله	الشوف	الغرب الشمالي
الرمليه	«	الجرد الشمالي
رميله	المتن	المتن الاعلى
«	الشوف	اقليم الخروب
روس الافرنج	جزين	*
روم	«	*
رويه	المتن	*
الرويس	كسروان	الفتوح
رويسة البلوط	المتن	المتن الاعلى
رويسة النعمان	الشوف	الجرد الجنوبي
ريحان	جزين	جبل الريحان
الريحانه	كسروان	جبيل السفلى
ريفون	«	جرد كسروان
ريمات	جزين	*
❋ ز ❋		
زان	البترون	البترون الوسطى
الزاهريه	المتن	*
الزاويه (ن)	البترون	
زبدين	كسروان	المنيطرة
زبوغا	المتن	بسكنتنا
زحله (ق)	زحله	*

القرية	القضاء	المديرية
الزحيمة	المتن	الساحل
الزعرور	الشوف	اقليم الخروب
الزعروريه	«	« «
الزعيتره	كسروان	الفتوح
زغدرايا	جزين	اقليم التفاح
زغرتا	البترون	اهدن
زغرتا المتاولة	«	قنات
زغرين	المتن	القاطع
زغرين	جزين	جبل الريحان
زكريت	المتن	القاطع
الزكزوك	البترون	قنات
زلحميا	كسروان	جبيل السفلى
الزلقه	المتن	*
زمر	كسروان	المنيطرة
زندوقه	المتن	المتن الاعلى
زنعار	كسروان	الفتوح
زهريه	المتن	*
زهنان	الشوف	العرقوب الشمالي
الزوق (ن)	كسروان	
زوق الخراب	المتن	القاطع
« مصبح	كسروان	الزوق
« مكائيل	«	«
زيتون	كسروان	الفتوح
الزيتونيه	الشوف	اقليم الخروب
الزير	«	« «
زير نهر ابرهيم	كسروان	جبيل السفلى
زيره	«	جرد كسروان

القرية	القضاء	المديرية
﴿ س ﴾		
الساحل (ن)	المتن	
ساحل علما	كسروان	جونيه
ساقات	«	«
ساقية الخيط	«	جبيل السفلى
« المسك	المتن	القاطع
سبرين	كسروان	جبيل
سبعل	البترون	اهدن
سبلين	الشوف	اقليم الخروب
سبنيه	المتن	الساحل
سد البوشرية	«	*
سرجبال	الشوف	المناصف
سرحمول	«	الغرب الاقصى
سرعل	البترون	بشري
سرعينا	كسروان	الفتوح
«	«	جرد جبيل
سريري	جزين	الريحان
سفيلة بعبدات	المتن	*
سفيلة القاطع	«	القاطع
سقي رشميا	كسروان	جبيل العليا
سقي فرحات	«	المنيطرة
« لحفد	«	جبيل العليا
سلعاتا	البترون	البترون السفلى
سلفايا	الشوف	الشحار
سلوقيه	كسروان	شمسطار
سمار جبيل	البترون	البترون السفلى
السمقانية	الشوف	الشوفين
سن الفيل	المتن	*

القرية	القضاء	المديرية
سنور	كسروان	المنيطرة
سفيا	جزين	*
سهيله	كسروان	الزوق
سوق الغرب	الشوف	الغرب الشمالي
سوق النفر	كسروان	جبيل السفلى
سويره	جزين	الريحان
سيار	الشوف	اقليم الخروب
سيران	كسروان	جبيل السفلى
سير الدود	البترون	تنورين
﴿ ش ﴾		
شاتين	البترون	تنورين
شارون	الشوف	الجرد الشمالي
شامات	كسروان	جبيل السفلى
شامات	البترون	الزاويه
شامخه	جزين	*
شانيه	الشوف	الجرد الشمالي
الشاويه	المتن	القاطع
الشبانيه	«	المتن الاعلى
شبطين	البترون	البترون الوسطى
شبيل	جزين	جبل الريحان
الشحار (ن)	الشوف	
شحتول	كسروان	غوسطا
شحرحور	«	جبيل السفلى
شحيم	الشوف	اقليم الخروب
شرتون	«	الجرد الجنوبي
شرين	المتن	الشوير
شعبانه	«	الساحل
شعبيا التحتا	كسروان	جبيل السفلى

القرية	القضاء	المديرية
شعبيا الفوقا	كسروان	جبيل السفلى
شقاديف	جزين	*
شقيق	كسروان	جبيل السفلى
شكا	الكورة	*
شمسطار	كسروان	شمسطار
شمشيه	الشوف	العرقوب الشمالي
شمعارين	«	اقليم الخروب
شملان	«	الغرب الشمالي
شموت	كسروان	جبيل السفلى
الشميس	المتن	القاطع
«	الشوف	اقليم الخروب
الشميسه	المتن	المتن الاعلى
شننعير	كسروان	جونيه
شوانا	«	جرد جبيل
شواليق	جزين	اقليم التفاح
شوان	كسروان	الفتوح
شوايا	«	جونيه
شوريت	الشوف	الجرد الجنوبي
الشوفين (ن)	«	
شويّا	المتن	القاطع
شويت	«	المتن الاعلى
« التحتا	البترون	البترون السفلى
« «	الشوف	العرقوب الشمالي
« الفوقا	البترون	البترون السفلى
« الفوقا	الشوف	العرقوب الشمالي
الشوير (ن)	المتن	
«	«	الشوير
الشويفات (ق)	الشوف	الغرب الاقصى

القرية	القضاء	المديرية
شياح	المتن	الساحل
شيخان	كسروان	جبيل السفلى
✻ ص ✻		
صالحيه	جزين	اقليم التفاح
صباح	«	✡
صخره	البترون	اهدن
صربا	كسروان	جونيه
صغابه	البترون	بشري
صغار	«	البترون السفلى
صفاريه	جزين	✡
الصفراء	كسروان	الفتوح
صليما	المتن	المتن الاعلى
«	جزين	✡
صناط	الكورة	✡
الصوانه	كسروان	المنيطرة
صورات	البترون	البترون الوسطى
صوراتا	كسروان	جبيل السفلى
صوفر القسم القبلي	الشوف	الجرد الشمالي
صويره	جزين	جبل الريحان
صيدون	«	✡
✻ ض ✻		
الضبيه	المتن	القاطع
✻ ط ✻		
طبرجا	كسروان	الفتوح
طرزا	البترون	فنات
طورزيا	كسروان	المنيطرة
✻ ظ ✻		
ظهر بصاليم	المتن	✡

القرية	القضاء	المديرية
ظهر بو ياغي	البترون	البترون السفلى
« الدير	جزين	✡
« الشير وحرف		
القتلي	كسروان	جرد كسروان
« المغارة	الشوف	اقليم الخروب
« المكن	البترون	البترون السفلى
✻ ع ✻		
عابا	الكورة	الكورة الوسطى
عاريا	المتن	المتن الاعلى
عاريه	جزين	✡
عازور	«	✡
عاضور	«	جبل الريحان
عاقوره	كسروان	جرد جبيل
عاليتا	«	جبيل السفلى
عاليه	الشوف	الغرب الجنوبي
عانسية	«	اقليم الخروب
عانوت	«	« «
عبادات	كسروان	جبيل السفلى
العبادية	المتن	المتن الاعلى
عبداللي	البترون	البترون السفلى
عبدين	«	فنات
عبرا	جزين	اقليم التفاح
عبرين	البترون	البترون السفلى
عبيدات	كسروان	جبيل السفلى
عبيه	الشوف	الشحار
العتيقه	«	«
عثرين	«	الشوفين
عجلتون	كسروان	الزوق

القرية	القضاء	المديرية
عدوه	البترون	الزاوية
العديس	الشوف	العرقوب الاعلى
العذره والعذر	كسروان	الفتوح
العربانيه	المتن	المتن الاعلى
عربة غلبون	كسروان	جبيل السفلى
« قزحيا	البترون	بشرّي
عرجس	«	الزاوية
عرطز	«	البترون الوسطى
عرقوب	جزين	جبل الريحان
عرقوب اعلى (ن)	الشوف	
« جنوبي(ن)	«	
« شمالي (ن)	«	
عرمتى	جزين	جبل الريحان
عرمون	كسروان	غوسطا
عرمون	الشوف	الغرب الاقصى
عريض ناصر	جزين	اقليم التفاح
العزونيه	الشوف	العرقوب الشمالي
عشاش	البترون	الزاوية
عشقوت	كسروان	غوسطا
العطشانة	المتن	القاطع
عناص غرفين	كسروان	جبيل السفلى
عفصديق	الكورة	الكورة الوسطى
عقماته	جزين	جبل الريحان
العقيبه	كسروان	الفتوح
«	المتن	المتن الاعلى
العلالي	البترون	البترون الوسطى
علمات	كسروان	المنيطرة
علمان	الشوف	اقليم الخروب

القرية	القضاء	المديرية
عمارة شلهوب	المتن	☆
العمارية	«	*
عمشيت	كسروان	جبيل السفلى
عميق	الشوف	المناصف
عنبال	«	الشوفين
عودة التحتا	كسروان	الفتوح
« الفوقا	«	«
عيتات	الشوف	الغرب الجنوبي
عيدمون	كسروان	جبيل السفلى
العيرون	المتن	☆
عيثية	جزين	جبل الريحان
عيناب	الشوف	الغرب الجنوبي
عينات	كسروان	جبيل السفلى
عين الاسد والشميس	الشوف	اقليم الخروب
« البربريسه	كسروان	جبيل العليا
« البقره	البترون	اعدن
« تراز	الشوف	الجرد الجنوبي
« التفاحه	المتن	القاطع
« تورين	البترون	اهدن
« الثغره	جزين	*
« الجديدة	الشوف	الغرب الشمالي
« الجرين	كسروان	المنيطرة
« جويا	«	الفتوح
« الحاج	«	«
« الحلزون	الشوف	الجرد الجنوبي
« حماده	المتن	المتن الاعلى
« الحور	الشوف	اقليم الخروب
« الخرنوبه	المتن	القاطع

القرية	القضاء	المديرية
عين داره	الشوف	العرقوب الشمالي
« درافيل	«	الشحار
« الدلب	جزين	اقليم التفاح
« الدليه	كسروان	المنيطرة
« «	«	غوسطا
« الدوق	زحله	*
« الرمانه	الشوف	الغرب الشمالي
« «	المتن	الساحل
« الريحانه	كسروان	الزوق
« زحلتا	الشوف	العرقوب الاعلى
« الزيتونه	المتن	*
« سعاده	«	*
« السلام(برمانا)	«	*
« السنديانه	«	التوير
« شجاع	كسروان	الفتوح
« الشميس	«	المنيطرة
« الصفصاف	المتن	*
« الصليه	كسروان	غوسطا
« صوفر القسم الشمالي	المتن	المتن الاعلى
« طورة الزوق	كسروان	الزوق
« طورة المتين	المتن	*
« عابد	الشوف	العرقوب الاعلى
« عار	المتن	القاطع
« عزيمة	الشوف	العرقوب الجنوبي
« عكرين	البترون	قنات
« علق	المتن	القاطع
« عنوب	الشوف	الغرب الاقصى
« الغوبيه	كسروان	جرد جبيل
عين القربديس	الشوف	الجرد الجنوبي
« القبو	المتن	بسكنتا
« القش	«	القاطع
« القنيه	الشوف	الشوفين
« كسور	الشوف	الغرب الاقصى
« كفاع	كسروان	جبيل السفلى
« ماطور	الشوف	الشوفين
« مجدلين	جزين	*
« مرعي	الشوف	الجرد الجنوبي
« المزرعة	زحلة	*
« موفق	المتن	المتن الاعلى
« النور	الشوف	*
« وزيه	«	العرقوب الجنوبي
عيون	المتن	*

(غ)

القرية	القضاء	المديرية
الغابات	كسروان	جرد جبيل
الغابه	المتن	*
غابة جعفر	الشوف	المناصف
الغابون	«	الغرب الجنوبي
غادير	كسروان	جونيه
غباطيّه	جزين	*
غباله	كسروان	الفتوح
غبالين	«	جبيل السفلى
الغبيره	المتن	*
غدراس	كسروان	الفتوح
الغرب الاعلى (ن)	الشوف	
« الاقصى(ن)	«	
« الشمالي (ن)	«	

القرية	القضاء	المديرية
غرزوز	كسروان	جبيل السفلى
غرفين	«	« «
غريفه	الشوف	الشوفين
غزير (ق)	كسروان	جونيه
غلبون	«	جبيل السفلى
غوسطا (ن)	«	
غوسطا	«	غوسطا
غوشريا	«	الفتوح
غوما	البترون	البترون السفلى
غوبيه وبيت برُّو	كسروان	جبيل السفلى
الغويصات	المتن	*
الغينه	كسروان	الفتوح
* ف *		
فاريا	كسروان	جرد كسروان
فالوغا	المتن	المتن الاعلى
فتاح الشوحا	كسروان	الفتوح
« الصليمه	«	المنيطرة
« المير	«	جبيل السفلى
« النصارى	«	المنيطرة
فتري	«	جبيل العليا
فتقا	«	الفتوح
الفتوح (ن)	«	
فتوح المير	كسروان	جبيل السفلى
الفخينه وقتلة عيسى	الشوف	اقليم الخروب
فدار التحتا	كسروان	جبيل العليا
« الفوقا	«	المنيطرة
فرات	«	«
فرحت	«	«

القرية	القضاء	المديرية
فرن الشباك	المتن	الساحل
الفريديس	الشوف	العرقوب الجنوبي
الفريكه	المتن	القاطع
الفساقين	الشوف	الغرب الاقصى
فغال	كسروان	جبيل السفلى
الفواره	الشوف	العرقوب الجنوبي
فيطرون	كسروان	غوسطا
فيع	الكورة	الكورة الوسطى
* ق *		
القاطع (ن)	المتن	
قاعفرين او قاع الريم	«	بسكنتا
القباريه	«	*
قبع	جزين	*
قبيع	المتن	المتن الاعلى
قتاله	«	« «
قتالي	جزين	*
قتلة عيسى	الشوف	اقليم الخروب
قرانعون	البترون	البترون السفلى
قرصا	كسروان	الفتوح
قرطاظا	المتن	المتن الاعلى
قرطبا	كسروان	جرد جبيل
قرطبون	«	جبيل السفلى
قرقريا	«	جرد جبيل
قرنايل	المتن	المتن الاعلى
قرنة الحمرا	«	القاطع
قرنة شهوان	«	«
قروح	جزين	جبال الريحان

القرية	القضاء	المديرية
القربعة	الشوف	اقليم الخروب
القريّة	المتن	المتن الاعلى
قصوبه	الشوف	اقليم الخروب
قصيبه	المتن	المتن الاعلى
قطارة	كسروان	جبيل العليا
قطبور	البترون	قنات
قطرانه	جزين	جبل الريحان
قطين	كسروان	الفتوح
«	جزين	*
القعقور	المتن	*
قلحات	الكورة	الكورة الوسطى
القلعة	المتن	المتن الاعلى
قلعة بالحسن	جزين	*
« الحمرا	كسروان	الفتوح
القليعات	كسروان	جرد كسروان
القليعه	الشوف	العرقوب الجنوبي
القماطية	«	الغرب الشمالي
قمّل	زحله	*
قهمز	كسروان	جرد جبيل
القنابة	المتن	*
قنابة برمانا	«	*
قنابة صليما	«	*
قنات (ن)	البترون	
«	«	قنات
قنيور بيت منذر	«	«
قوالي	كسروان	الفتوح
القويطع (ن)	الكورة	
قيتولة	جزين	*

القرية	القضاء	المديرية
** ك **		
كترمايا	الشوف	اقليم الخروب
الكحاله والرجوم	«	الغرب الشمالي
الكحلونيه	«	الشوفين
الكرامي	البترون	البترون السفلى
كرخا	جزين	اقليم التفاح
كرم سدي	البترون	اهدن
كروم حوران	كسروان	جبيل العليا
كفتون	الكورة	القويطع
الكفر	كسروان	جبيل العليا
كفر بعال	«	« «
« تعلا	جزين	*
« تيه	المتن	بسكنتا
« تي الوسطى	كسروان	جرد كسروان
« جره	جزين	اقليم التفاح
« جريف	كسروان	الفتوح
« حاتا	البترون	الزاوية
« «	الكورة	القويطع
« حباب	كسروان	جونيه
« حتنا	البترون	البترون الوسطى
« حتي	جزين	اقليم التفاح
« حتي وبيت غزال	كسروان	جبيل السفلى
« حزير	الكورة	*
« حلدا	البترون	تنورين
« حمل	الشوف	المناصف
« حورا	البترون	الزاوية
« حوني	جزين	*
« حي	البترون	البترون الوسطى

القرية	القضاء	المديرية
كفرحيان	كسروان	جبيل العليا
« حيم	الشوف	المناصف
« خلاص	البترون	الزاوية
« دبيان(مزرعة)	كسروان	جرد كسروان
« دلافوس	البترون	الزاوية
« زبونا	كسروان	جبيل السفلى
« زينا	البترون	الزاوية
« سلوان	المتن	المتن الاعلى
« شبوع	كسروان	المنيطرة
« شحام	«	الفتوح
« شخنا	البترون	الزاوية
« «	كسروان	جبيل السفلى
« الشرقي وصناط	الكورة	*
« شلالا	جزين	اقليم التفاح
« شله	كسروان	جبيل العليا
« شيما	المتن	الساحل
« صارون	الكورة	الكورة الوسطى
« صغاب	البترون	بشري
« عبيدا	«	البترون السفلى
« عقا	الكورة	الكورة الوسطى
« عقاب	المتن	بسكنتا
« عميه	الشوف	الجرد الجنوبي
« فاقود	«	المناصف
« فالوس	جزين	اقليم التفاح
« فو	البترون	اهدن
« قاهل	الكورة	الكورة الشمالية
« قطره	الشوف	المناصف
« قواس	كسروان	جبيل السفلى
كفر كده	كسروان	جبيل السفلى
« كلاس	«	« «
« مايا	الشوف	اقليم الخروب
« متى	«	الشحار
« مسحون	كسروان	جبيل السفلى
« نبرخ	الشوف	العرقوب الجنوبي
« نيس	«	« الشمالي
كفره	«	« الاعلى
كفريا	الكورة	القويطع
«	جزين	اقليم التفاح
«	البترون	الزاوية
كفرياسين	كسروان	الفتوح
كفرباشيت	البترون	الزاوية
كفور	كسروان	الفتوح
« العربه	البترون	تنورين
كفون	كسروان	جبيل العليا
كفيفان	البترون	البترون السفلى
الككو	المتن	القاطع
كلباتا	الكورة	القويطع
كلس	كسروان	المنيطرة
كليليه	الشوف	الشحار
الكنيسه	«	المناصف
«	المتن	المتن الاعلى
كوبه	البترون	البترون السفلى
كور الجندي	«	« الوسطى
« الهواء	كسروان	جبيل السفلى
الكورة الشمالية (ن)	الكورة	
« الوسطى(ن)	«	

القرية	القضاء	المديرية
كوسبا	الكورة	الكورة الوسطى
كوكدان	كسروان	المنيطرة
كيفون	الشوف	الغرب الجنوبي
(ل)		
لاسا	كسروان	جرد جبيل
اللاهبيه	الشوف	اقليم الخروب
لبعا	جزين	« التفاح
لحفد	كسروان	جبيل العليا
اللويزه	جزين	*
اللويزه والزيرة	المتن	الساحل
ليلكه	«	«
(م)		
مار بطرس كرم التين	المتن	القاطع
مار سمعان	كسروان	جبيل السفلى
« شينا	البترون	الزاوية
« موسى الدوار	المتن	*
« ميخائيل بنابيل	«	*
ماروس برانيه	جزين	*
ماروس جوانيه	«	*
مار يوحنا	كسروان	جبيل السفلى
ماصوص	جزين	*
متريت	البترون	قنات
المتن الاعلى (ن)	المتن	
المتين	«	*
المجدل	كسروان	المنيطرة
«	البترون	قنات
مجدل بعنا	الشوف	الجرد الشمالي
« ترشيش	المتن	*
مجدل المعوش	الشوف	العرقوب الشمالي
مجدلونا	«	اقليم الخروب
مجدليا	البترون	الزاوية
«	الشوف	الغرب الجنوبي
مجدليون	جزين	اقليم التفاح
المجدوب	المتن	*
المجر	الكوره	القويطع
مجول	كسروان	المنيطرة
المجيدل	الكورة	*
«	جزين	اقليم التفاح
محاربيه	«	« «
المختقره	الشوف	اقليم الخروب
محمرش	البترون	البترون الوسطى
المحيدثه	المتن	القاطع
المختاره	الشوف	الشوفين
مدرسة رومية	كسروان	جرد كسروان
المدفون	البترون	قنات
المراح	كسروان	جبيل السفلى
مراح	جزين	*
« الجاس	«	اقليم التفاح
« الحاج	البترون	البترون الوسطى
« الزيات	«	البترون
« شديد	«	«
« الصغاية	«	بشري
« الصغير	كسروان	المنيطرة
« كيوان	جزين	اقليم التفاح
« المكنونية	«	*
« المير	كسروان	جرد كسروان

القرية	القضاء	المديرية
مراديه	كسروان	الفتوح
مرجبا	المتن	*
مرج بسري	الشوف	الشوفين
« شرتون	«	الجرد الجنوبي
مرجيات	«	اقليم الخروب
المرداشه	المتن	الساحل
مرستي	الشوف	الشوفين
المروج	المتن	*
مرياطه	البترون	الزاوية
المريجات	الشوف	الغرب الاقصى
«	المتن	المتن الاعلى
«	الشوف	العرقوب الشمالي
مزبود	«	اقليم الخروب
مزرعة بجوّاره	«	الغرب الشمالي
« البزاعنة	البترون	حصرون
« بيت برّو	كسروان	جرد جبيل
« « شومار	البترون	اهدن
« « صعب	«	قنات
« تريلا	الشوف	اقليم الخروب
« التفاح	البترون	اهدن
« الجميل	كسروان	جبيل السفلى
« الحريشه	الكورة	الكورة الوسطى
« الخضيره	المتن	القاطع
« خربة بسري	الشوف	اقليم الخروب
« السيّاد	كسروان	المنيطرة
« السيدة	«	جبيل السفلى
« صير السود	البترون	تنورين
« الشعار	المتن	القاطع

القرية	القضاء	المديرية
مزرعة الشوف	الشوف	الشوفين
« عساف	البترون	قنات
« عين الحور	الشوف	اقليم الخروب
« كفرديبان	كسروان	جرد كسروان
« مار ماما	البترون	البترون الوسطى
« محمود	الشوف	الغرب الشمالي
« مزكه	المتن	*
« المطحنه	جزين	*
« النهر	الشوف	الجرد الجنوبي
« نهر بو علي	الكورة	الكورة الوسطى
« يشوع	المتن	القاطع
مزمورا	الشوف	اقليم الخروب
مزهر	المتن	*
مزياره	البترون	اهدن
المزيرعه	المتن	المتن الاعلى
مستيتا	كسروان	جبيل السفلى
مسرح	البترون	البترون الوسطى
المسقا والغابه	المتن	*
مسقيتى	الشوف	العرقوب الشمالي
مشاتي	كسروان	الفتوح
مشان	«	المنيطرة
المشبعا	الشوف	اقليم الخروب
مشحلان	كسروان	جبيل العليا
المشرع	المتن	بسكنتا
المشرفه	الشوف	الجرد الشمالي
مشمش	كسروان	جبيل العليا
مشموشه	جزين	*
مشنقه	كسروان	المنيطرة

القرية	القضاء	المديرية
مشيخه ونبع ابو درغم	المتن	✡
مضاميط	كسروان	جبيل السفلى
مطحنه	جزين	✡
المطيلب	المتن	القاطع
معاد	كسروان	جبيل السفلى
معادن	»	جبيل العليا
معاصر الشوف	الشوف	الشوفين
» بتدين		دير القمر
معراب	كسروان	غوسطا
معصر بني	الشوف	الجرد الشمالي
معلقة الدامور (ق)	»	الشحار
المعنيه	»	اقليم الخروب
معيتيق	كسروان	جبيل السفلى
المعيصره	»	الفتوح
مغار التحتا	الشوف	الجرد الجنوبي
» الفوقا	»	» »
مغارة عبيد	كسروان	جبيل العليا
مغدوشه	جزين	اقليم التفاح
مغر الاحول	البترون	قنات
المغيره	كسروان	المنيطرة
»	الشوف	المناصف
المغيريه	»	اقليم الخروب
مقصبه وقصوبه	»	» »
المكلس	المتن	✡
مليتا	جزين	✡
مليخ	»	✡
المناصف (ن)	الشوف	
المنصف	كسروان	جبيل السفلى
المنصوريه	الشوف	الجرد الشمالي
»	المتن	✡
المنقله	جزين	✡
»	المتن	✡
المنيطره (ن)	كسروان	
»	»	المنيطرة
مهرين	»	جبيل السفلى
مهيبيت	»	الفتوح
المياسه	المتن	القاطع
ميدان	جزين	✡
ميروبا	كسروان	جرد كسروان
ميفوق	»	جبيل العليا
ميه وميه	جزين	اقليم التفاح
✡ ن ✡		
نابيه	المتن	✡
ناضور	الكورة	الكورة الوسطى
الناعمه	الشوف	الشحار
نبع بو درغم	المتن	✡
» طورزيا	كسروان	المنيطرة
نخله	الكورة	الكورة الشمالية
النقاش	المتن	القاطع
نقريا	البترون	البترون السفلى
نمورة تحتا	كسروان	الفتوح
» الفوقا	»	»
نهر ابراهيم	»	جبيل السفلى
» بقعاته	المتن	بسكنتا
» الحصين	كسروان	الفتوح
» الذهب	»	»

القرية	القضاء	المديرية
نوريه	الكورة	القويطع
نيحا	الشوف	الشوفين
»	البترون	قنات
✱ (ه) ✱		
هابيل	كسروان	جبيل العليا
هدبني	»	المنيطرة
الهرمل (ن)	البترون	
»	»	الهرمل
هرهريا	كسروان	الفتوح
الهري	الكورة	✱
الهلاليه	المتن	المتن الاعلى
»	جزين	اقليم التفاح
هواتيه	»	✱
✱ و ✱		
وادي بدغان	الشوف	الجرد الشمالي
» بعنقودين	جزين	اقليم التفاح
» بنحليه	الشوف	المناصف
» بو يوسف	»	اقليم الخروب
» جزين	جزين	✱
» الدلم	المتن	المتن الاعلى
» الدير		دير القمر
» الست	الشوف	العرقوب الشمالي
» شاهين	المتن	القاطع
» شحرور التحتا	»	الساحل
» شحرور الفوقا	»	»

القرية	القضاء	المديرية
وادي الصايب	كسروان	جرد كسروان
» العرايش	المتن	بسكنتا
» الغور	كسروان	جبيل السفلى
» الكرم	المتن	بسكنتا
» الكلاب	كسروان	جبيل السفلى
» اللحامين	»	» »
» ليمون التحتا	جزين	اقليم التفاح
» » الفوقا	»	» »
وازعيه	»	جبل الريحان
وجه الحجر	الكورة	القويطع
الوردانيه	الشوف	اقليم الخروب
ورديه	جزين	جبل الريحان
الورهانيه	الشوف	العرقوب الاعلى
وزيد	جزين	جبل الريحان
الوطا	المتن	✱
وطا البان	كسروان	جبيل السفلى
» الجوز	»	غوسطا
» حوب	البترون	تنورين
» سفرتا	»	البترون السفلى
» سلان	كسروان	الفتوح
» شارون	الشوف	الجرد الشمالي
» القوب	الكورة	✱
✱ ي ✱		
ياريتا	البترون	البترون الوسطى
يحشوش	كسروان	الفتوح

جيولوجية لبنان

في طبقات صخوره

الجيولوجية علم يبحث فيه عن بنية ونشوء وتاريخ الارض وسكانها كما جاء في السفر الصخري العظيم . وهو بحث لا يخلو من الصعوبة لاننا لا نستطيع ان ندرس من الصخور إلّا ما كان مكشوفاً للعين . فحيث كان وجه الارض مسطحاً ومستوياً كانت صفحة التاريخ الجيولوجي صغيرة لكنها غير بسيطة . ولما كانت اراضي لبنان متعادية وغير مستوية كان درسها من الوجهة الجيولوجية على لذته كثير العراقيل . الا ان عدم الاستواء هو مفتاح لدرس تاريخ لبنان اذ به يتسنّى للباحث ان يرى جوانب الجبل واوديته . وبذلك يطّلع على العلاقة الكائنة بين صفائح صخوره المختلفة بالنظر الى عمرها وزمن تكوّنها

وكل ما يُشاهد من الصخور في القشرة الارضيّة قد تكوّن بفعل عامل او عاملين من القوات الطبيعيّة المستمرّة العمل . فالصخور المعروفة بالنارية او البركانيّة تكوّنت بفعل الحرارة الشديدة التي صهرت ذرات المواد المختلفة في قشرة الارض وكوّنت منها في العصور السالفة سيّالاً مختلف الكثافة برد وتجمّد وتصلب تدريجاً او بسرعة حتى بدا للعيان كما يرى الآن . وهي اقدم الصخور وابقاها . واشهر امثلتها الحجر الاسود المعروف بالحوراني والحجر الاصواني (نسبة الى اصوان بمصر) المعروف بالغرانيت . ويشاهد الاول في بعض اودية لبنان . وتُرى حصاه في مجاري الانهار التي تجفّ في فصل الصيف وفي بعض الشوارع المرصوفة بها . وقد برزت هذه الحجارة النارية من باطن الارض الى ظاهرها بواسطة الصدوع والشقوق الموجودة في الصفيحة الظاهرة .

والعامل الآخر الذي به تكوّنت ذرات قشرة الارض صفائح صخرية هو الرسوب . فان المياه في جريها سواقي وانهاراً تحمل ذرات المواد المؤلفة منها قشرة الارض الى الحياض والمنخفضات وهناك ترسب كما يحدث عند مصابّ الانهر وفي الاودية المتسعة كالبقاع مثلاً . ومع انّ الماء هو الحامل لاكثر المواد الرسوبيّة نجد ان للرياح عملاً مهمّاً في نقلها كما يشاهد على شاطئ البحر جنوبي بيروت وفي الصحاري الرملية التي تعبث برمالها الرياح وتسفيها فتكوّن دعصاً وكثباناً مستديرة . امّا الذرات التي تحملها المياه فالكبيرة منها ترسب اولاً ثم يرسب بعدها بقيّة الذرات على مسافات متفاوتة بالنسبة الى اختلاف حجومها الى ان ترسب اخيراً كلّها . فيتكوّن من اختلاطها بدقائق أخرى من حجمها وثقلها صفائح . وفي البحار ترسب الذرات الثقيلة قرب الشاطئ سواء كانت من برابته او محمولة على مناكب المياه الجارية في الانهار . فيتكوّن منها ركامات الحصى والرمل . امّا الوحل والصلصال فيكون ذراتهما صغيرة ناعمة فلا ترسب إلّا حيث يعظم العمق ويهدأ الماء تماماً

ومتى رسبت تلك المواد صفائح مستوية تجمع وتترتب معاً وتشغل الذرات الصغرى الحيّز الكائن بين

الذرات الكبرى و بضغطها بعضها لبعض وثقلها تتلاحم فتصير صفائح صخرية على اختلاف في الكثافة والمتانة وتعرف بالطبقات . وجبل لبنان برمته مكوّن من هذه الصخور الرسوبيّة . وقد اقتضى تكوينهُ الوفاً بل ملايين من السنين .

ولا بدَّ لنا من الالماع الى نوع آخر من الصخور لنتمكَّن بواسطتهِ من درس تاريخ لبنان الجيولوجي فنقول اننا حين ندرس الرواسب المستقرة في قيعان الاوقيانوسات والبحار والبحيرات نجد انها مختلفة التركيب اي ان ذراتها تختلف باختلاف اماكنها . فعند الشاطئ نجد ذرات المواد التي جرفتها السيول . وهـذه تختلف بحسب اختلاف الارضين التي جُرفت منها . واما في الاعماق فنجد المواد المجروفة من البرّ ممتزجةً بمواد أُخرى صُلْبة اصلها من عظام واصداف و بقايا حيوانات بحرية كانت عائشة في الازمان الغابرة و بقايا نباتات مختلفة الرتب من العليا الى الدنيا المؤلفة من حويصلة واحدة ممَّا لا تشاهد افرادهُ بالعين المجردة . وهذه تكثر في مياه الابحر التي تنير سطحها اشعة الشمس كالبحر المتوسط . فعند الشاطئ حيث يكون الماء رقيقاً نجد ان معظم الرواسب من الرمل والوحل يتخللهما بعض المواد الحيوانيَّة . ولكن في الاماكن البعيدة عن الشاطئ حيث الماء عميق تقل الرواسب الصخرية المجروفة من البرّ وتزيد البقايا الحيوانيَّة . وبسبب ذلك يبطئ عمل الرسوب في الاعماق العظيمة . والمواد الكلسية التي تتألف منها الاجزاء الصُلْبة من بقايا الاجسام الحيوانية البحرية تذوب في الماء وتصير العامل الاهم في التحام جميع المواد الرسوبيَّة البحرية

فاذا عقَل الجيولوجي ما تقدم من هذه المبادئ البسيطة استطاع ان يبين كيفية تكوُّن جبل لبنان من الصخور الرسوبيَّة على اسلوب معقول

تنقسم الصخور الرسوبيَّة الى ثلاث طبقات سميكة المتوسطة منها مؤلفة من رمل وطين رسبا حيث الماء رقيق وتلاحمت ذراتهما بفعل المادة الكلسيَّة . واما العليا والسفلى فمادتهما تكاد تكون كلسيَّة صرفة . وتوجد هذه الطبقات في الغالب منضَّدة بعضها فوق بعض ولكنها تُرى احياناً منحرفة ومغضَّنة ومكسَّرة ومنفصلةً إلاَّ ان ذلك قد طرأ عليها طروءاً حين ارتفعت وتكوَّن منها الجبال

واذا انعمنا النظر في طبيعة الارض المتاخمة للبحر المتوسط اتضح لنا ان هذا البحر كان في سالف الازمان اعظم امتداداً واتساعاً مما هو الآن فقد كان ماؤُه يغمر جنوبي اوربا وبرّ الاناضول ومعظم الهند وبلاد فارس ومصر وسوريا وفلسطين وشمالي افريقيا . ودام الحال على هذا المنوال ملايين من السنين . وهذه المدة تكفي ليتكوَّن في غضونها طبقات جبل لبنان الكلسيَّة في مياههِ العميقة . وقد كانت تلك الطبقات اسمك مما هي الآن .

ومتى ورد ذكر زمان او تاريخ طبقة من الطبقات الصخرية كان المراد بيان مركزها بالنسبة الى بقية الصخور التي على سطح الارض . ولم يُخمَّن إلاَّ زمان وعمر الطبقات المتضمّنة البقايا الحيوانيَّة لا غير

الجدول الآتي يبين الوقت والتاريخ النسبي لتكوّن الطبقات الصخرية في لبنان

الازمان الجيولوجيَّة بوجه العموم ومداتها

اعصر الحياة نوع الاحافير	مدات تكوّن الطبقات		المدة المخمّنة: الزمن المعروف معبر عنه باجزاء المئة	المدة المخمّنة: عدد السنين التقريبي	عمر لبنان التقريبي
سينوزويك او الدور الاخير او الاحدث	الحديثة بلستوسينيَّة	الزمن الرابع	المجموع = ١٠٠ ٥	٣،٠٠٠،٠٠٠	٨ ١
	بليوسينيَّة ميوسينيَّة ايوسينيَّة	الزمن الثالث	٠		
مزوزيك او الدور المتوسط	الطباشيرية اليوراسيَّة الترايسيَّة		١٠ ٥ ٥	٧،٣٠٠،٠٠٠	
بلازويك او الدور الاول	البرميَّة الفحميَّة الديڤونيَّة السورية الكمبريانيَّة		١٥ ١٥ ٣٠ ١٥	١٧،٥٠٠،٠٠٠	
الارخيَّة او الدور الاقدم ولا تاريخ له					

ان طبقات الصخر الكلسي التي هي اساس طبقات جبل لبنان وسائر سوريا ابتدأ تكوّنها في منتصف الدور المتوسّط مدة تكوُّن الطبقة اليوراسيَّة . وقد تكوَّنت تحت مياه البحر من تجمع البقايا الحيوانيَّة وذرَّات الوحل والصلصال . ويشاهد في صخور هذه الطبقة اصداف صغيرة يتخللها بقايا الاسفنج والمرجان وغيرهما وبقايا حيوان صغير جدًّا كروي الشكل (وهو من الصفات المميزة لهذا الصخر) مؤلف من حو بصلة واحدة ضمن صدفة . واسم هذا الحيوان سِيدَارِس كَنْدَاريا وقد تسمَّى الطبقة كلها الطبقة الكاندارية نسبةً الى هذا الحيوان

وبسبب التغيرات التي طرأت على قشرة الارض اخذت طبقات الصخور الكلسيَّة بالتغضُّن والارتفاع نحو سطح الماء تدريجًا مدة العصر الطباشيري . واستمرَّ هذا العمل بضعة ملايين من السنين بلغت في غضونها سوريا ولبنان ارتفاعهما الحالي في نهاية زمن الطبقة البليوسينيَّة وهي الطبقة الثالثة من الدور الاخير كما ترى في الجدول الآنف الذكر

وفي غضون هذه المدة الطويلة التي كان فيها الارتفاع المذكور جاريًا مجراهُ تكوَّنت الطبقتان الاخريان من الصخر الرسوبي فوق الطبقة السفلى المعروفة باليوراسيَّة ثم تكوَّن الصخر الرملي المعروف بالنُّوبيّ في العصر الطباشيري وشغل مساحة كبيرة من سوريا وفلسطين ومصر وشمالي افريقيا . وتعاقُب الرمل والوحل والكلس في هذه الطبقات يدلّ على انها تكوَّنت في ماء رقيق كما يدلُّ على ذلك ايضًا بقايا حيوانات قشرية او صدفيَّة وغيرها ممَّا كان يعيش بالقرب من الشواطئ . ومن المحتمل ان بعض الصخر الرملي بلبنان قد تكوَّن اولاً على شكل قارَّة اي قطعة عظيمة من الارض ثم غمرهُ الماء . وممَّا يؤيد هذا الاحتمال حمرة بعض الصفائح الرملية ووجود نوع من الفحم الحجري في صفائح رقيقة كالموجودة في جوار عبيه . وسماكة هذه تتراوح ما بين ٤٠٠ متر و ٥٣٠ مترًا وكلها رسوبات ماء رقيق رسبت بسرعة كما يحدث كثيرًا في الرقارق

وبعد هذه الرسوبات الرقارقية عادت مياه البحر المتوسط فطمت وغمرت جنوبي لبنان وجميع ارض فلسطين وبرية سيناء . وفي غضون هذه المدة رسبت الطبقة العليا الطباشيرية وهي الثالثة من الطبقات الثلاث الموجودة في لبنان . وكان رسوبها في ماء رقيق نوعًا . يؤيد ذلك وفرة احافير الحيوانات القشرية وخصوصًا بقايا الحيوانات المعروفة عند علماء الجيولوجيَّة بالهيپوريتس التي تتألف منها صخور برمَّتها كما يشاهد في بعض الاماكن في لبنان كشملان مثلاً . ويتخلَّل الصفائح الطباشيرية العليا صفائح من الطباشير والظرَّان او الصوَّان . وهذه الصفائح آخر ما رسب من هذه الطبقات بعد ان برز معظم لبنان فوق الماء . وتوجد في المستويات المنخفضة في الوجهة البحرية

ومن هذا الوقت فصاعدًا بقي لبنان وانتيلبنان يرتفعان ببطء مدة ثلاثة ملايين من السنين . وهي مدة الدور الجيولوجي الاخير . ولا تشاهد البقايا الرسوبيَّة المختصة بهذه المدة إلاَّ على الاصباب والاحادير السفلى من جوانب الجبل . إلاَّ انه يشاهد في جوار زحلة وبعلبك طبقات رقيقة من العصر الايوسيني الآنف الذكر . ومن بياض لونها ونعومتها ومادَّتها الكلسيَّة يرجَّح انها اصلاً من بُراية الصخور الكلسيَّة الموجودة في اعالي الجبل

جرفتها السيول والانهار الى البحر فرسبت ثاني مرة. والى الشرق من مدينة صيداء في جوار النبطية تُشاهد امثال هذه الصخور ويُرى فيها احافير المرجان وبعض حيوانات أُخرى بحرية مستديرة الاصداف ومثقوبتها وهي من نوع الفورامنيفرا. ويُستدل من هذه الرواسب ان ذلك الزمان كان آخر الازمنة التي فيها احتضن البحر الجانب الشرقي من لبنان. ومن غرائب الاتفاق أنّ اهرام الجيزة في مصر مبنيّة من صخر من هذا النوع بالحاجل كثرة البقايا الحيوانيّة فيها من هذا النمط ونفس الزمان

ومن هذا التاريخ فصاعداً بقي لبنان شامخًا فوق سطح البحر حتى اننا لا نرى اثراً للرواسب الصخرية الحديثة الّا على مقربة من مصبّات الانهار الكبرى. وهذه الرسوبات الميوسينيّة ليست سوى ما برتهُ مياه الانهر من الاحادير كما يشاهد عند نهر بيروت وعلى جانبي مصب نهر الكلب وعند رأس الشقعة قرب مصب نهر الجوز وفي بعض جهات طرابلس على مقربة من نهر قاديشا المعروف بنهر ابي علي

وفي غضون الـ ٥٠٠٠٠٠ سنة الاخيرة المعروفة بالزمن الرابع كانت الانهار تبري جوانب الجبل بلا انقطاع وتحمل البُراية في الجهة الغربية الى البحر وتلقيها على طول الشاطئ السوري حيث الماء عميق وفي الجهة الشرقية الى المنخفض العميق الذي يتكوَّن منهُ وادي البقاع الفاصل بين لبنان الشرقي ولبنان الغربي وهو من اخصب الاودية وامرعها

والآن بعد ان نظرنا في تكوين صخور لبنان وطبيعتها لنلتفت قليلاً الى وجه ارضهِ كما هو في الوقت الحاضر.

على الهضاب والسهول المرتفعة وعلى القمم العالية من الجبل — ومن ضمن ذلك جبل كنيسة — تُشاهد اقدم الصخور الكلسيّة مكشوفةً لعين الناظر. واما الاصباب الكثيرة التحدُّر التي قطّعتها مجاري المياه فمعظمها من صخور تتغلّب فيها المادّة الرملية على الكلسيّة وبذلك تصير اوفر خصباً

ويتدفق من جوانب الجبل على اعالٍ متفاوتة ينابيع غزيرة تستمد مياهها من الثلج الذائب الذي يتكوَّم رُكامات عظيمة في فصل الشتاء. اما القمم المسطّحة فالمياه التي تخلّل داخلها قد قطّعتها الى حياض كبيرة مخروطية الشكل عند قعرها اسراب تتصل باوائل الاودية حيث تتفجّر ينابيع وانهاراً. ومياه لبنان لا يفوقها ماءٌ في عذوبتها واعتدال برودتها. وغزارتها حدت بالسكان الى ان يكسروا جوانب الجبل جلولاً (جمع جلّ) ويغرسوا فيها الاشجار المختلفة

وكثرة المهاوي والشواهق في هذا الجبل اكسبتهُ مهابة وجلالاً حتى صار مطمح انظار المتعبدين ومركزاً للعبادات المختلفة منذ القديم

اما القمم الواقعة الى الجنوب من جبل كنيسة فهي اقلُّ ارتفاعاً وتحدُّراً ومؤلفة من صفائح الحجر الرملي المتوسطة. وقد برتها العوامل الطبيعيّة حتى انكشفت عن الطبقة الكلسية السفلى من عند القمم فقط. واما الصفائح الكلسية العليا فترتقي على جوانب الجبل وتبلغ احيانًا القمة

وجميع اراضي هذه الجهات على جانب عظيم من الخصب والمراعة لكثرة ما يجري فيها من الينابيع

والجداول الغزيرة المياه التي تنساب في اودية اعظم طولاً وتحدّراً إلاّ قرب مصادرها

وهنا وان قلّ المنظر الطبيعي مهابةً وجلالاً فان الارض تزيد خصباً وإمراعاً والنباتات نضارةً والهواء اعتدالاً امتيازات تدعو بلا مراء الى تزايد عدد السكان

وجبل لبنان كما نراهُ اليوم يكاد يصل الى درجة البلوغ الجيولوجي وذلك مما يزيد نفعهُ وفائدته لسكانه · وعلى مدى امتداده من الشمال الى الجنوب قد تغضّنت الصفائح الصخرية الواحدة فوق الاخرى وبقي وراءها في الجهة الشرقية وادي البقاع العظيم · والراجح في الظن انه في نفس هذا الزمان جرى للبنان الشرقي ما جرى للغربيّ من تغضّن الصفائح الصخرية · وذلك نتيجة فعل قوّتين ضغطتا ضغطاً شديداً على قشرة الارض الواحدة داخليّة والاخرى جانبيّة

والذي اوصل لبنان الى درجة البلوغ هو بري العوامل الطبيعيّة لمواده · وكلما تقدّم في البلوغ وانحدرت البرابات على اصبابه ومنحدراته زاد تنبّه السكان لاتقان الزراعة والحراثة على احدث الاساليب حتى كما اماط العلم حجاب الخفاء عن ماضي هذا الجبل العزيز المنيع يُماط الحجاب عن مستقبل لهُ باهر ومجيد



نبات لبنان

لدرس النبات في اية مقاطعة كانت عدة وجوه لذيذة ونافعة واولها الوجهة العلمية وهي وجهة النبيه الذكي ومن مزاياه الميل لملاحظة الظواهر الطبيعية والرغبة في درسها وكشف اسرارها غير مبالٍ ما اذا كان تقدمهُ في كشف هذه الاسرار بطيئاً ام كانت فائدتهُ المادية من هذه الابحاث طفيفة تافهة ٠

ثم الوجهة الفنية—وجهة من يبتهج برؤية الاشجار والازهار والنباتات ويعجب بتكاوينها والوانها وروائحها الطيبة ٠ ولا مراء في ان البلاد التي تكثر فيها الاشجار الجميلة والازهار الزكية والنباتات العطرية تكون مقصداً للسياح وغيرهم ومن ثم تصبح نباتاتها عاملاً من العوامل الاقتصادية التي تزيد في ثروتها ٠ هذا ومعلوم ان مغروسات البلاد ومزروعاتها واحراجها وبساتينها وجنائنها وما تغلهُ هذه من الاثمار والحبوب والاعشاب الطبية وغيرها كل ذلك يُعدُّ من المصادر الرئيسية في ثروتها واملاكها

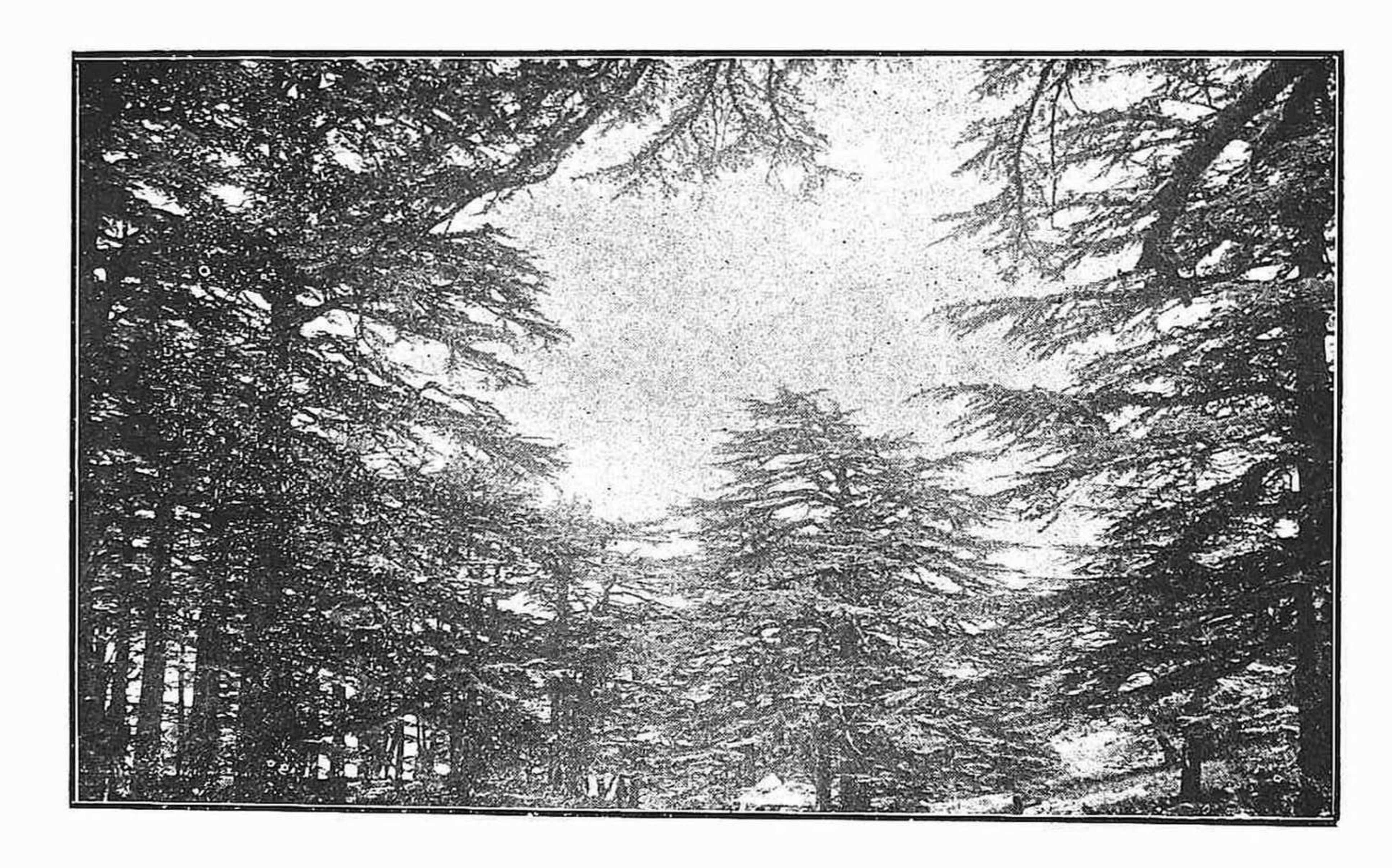
ومن الوجهة الصحية (الهيجينية) يوجبون على البلاد ان يكون فيها اشجار واغراس مخصوصة ٠ اما فضل الغابات والاحراج والخضرة والمزروعات جملةً على الاقاليم والهواء فمما لا ينازع فيهِ ولا سيما اذا اعتبرنا مقدار المطر السنوي وتوزيعهُ وحفظ الري في التربة

وهناك امرٌ آخر لا بد من ذكرهِ في بيان العلاقة الكائنة بين درس النبات اللذة العقلية التي تحصل منهُ ودرسه للفائدة المادية التي تنشأ عنهُ ولا سيما في بلاد جبلية كلبنان ٠ النبات يتطلب تربة يعيش وينمو فيها ٠ وتربة الجبال معرضة ابداً لجرف الامطار والسيول ٠ وما تجرفهُ الامطار تحملهُ السيول فاما ان يستقر في البقاع المنخفضة او يتصل بالسواقي والانهار فتحمله الى البحر ٠ بناء عليه لا بد لسكان الجبال اذا ارادوا الاحتفاظ بتربتهم ان يبنوا لها جدراناً مدرَّجة ويجعلوها « أجلالاً » يتعهدونها بالترميم المستمر

ومن هذه الاعتبارات العامة ننتقل الى الاعتبارات الخاصة التي تجعل درس نباتات لبنان لذيذاً مفيداً. ونتناول لبنان اولاً من حيث وضعه الجغرافي فهو سلسلة جبلية يحدُّها من الغرب بحر الروم ومن الشرق سهل البقاع وأعلى قمم هـذه السلسلة يبلغ ٣١١٧ متراً ٠ ومع ان الثلج قلما يسقط على الاقسام الساحلية من هذا الجبل فهو يغطي القمم العالية وتستمر بقاياهُ في ثنايا القمم واغوارها على مدار السنة تقريباً

وفي قطرٍ كلبنان تجد مجالاً واسعاً لنمو النباتات على اختلاف طوائفهِ وانواعهِ ففي الاقسام الساحلية مثلاً تجد نباتات غريبة تختص بالمنطقة المجاورة للمنطقة الحارة كالازدرخت (الزنزلخت) والجميز ٠ وما دام الثلج في الجرود العالية تجد نباتات ألبينيَّة (اي مختصة بجبال الألب) بينها نباتات صخرية٠ ثم انهُ يجوز ان نعتبر لبنان حلقة متوسطة بين افريقيا وآسيا فنستطيع من ثم ان نثبت فيهِ النباتات المختصة بهاتين القارتين

ومما يحسن ايرادهُ هنا ان للبنان من الوجهة التاريخية عدة ابحاث شائقة فمن كان لهُ ولعٌ مثلاً ان يكتشف



ارز لبنان

الاشجار والنباتات التي ورد ذكرها في مدوّنات الاقدمين التاريخية والشعرية عن لبنان فانه يجد مجالاً كبيراً لاشتغاله ٠

ومن المحقق ايضاً ان الدولة الرومانية في ازمنة استيلائها على هذه البلاد كانت تعنى عناية خاصة بزيادة احراجها (بتحريشها) وقد بقيت عدة نقوش قديمة في لبنان نُقشت على عهد الامبراطور هادريان اي منذ نحو ١٨٠٠ سنة لتدل على حدود الاحراج الامبراطورية التي نستنتج انها كانت عامرة في ذلك العهد ٠ وما كان مستطاعاً في تلك الايام هو مستطاع اليوم ٠ ومن لا يتوق ان يرى لبنان وقد اكتست جروده بالاحراج والغابات الجميلة التي تعود بفوائد جمة على البلاد وعلى السكان

ومن المعلوم أن نباتات لبنان (وسوريا) كثيرة متنوعة ففي القطعة التي يحدُّها شمالاً « اخرداغ » وجنوباً سينا وغرباً بحر الروم وشرقاً بادية سوريا والعربية — في هذه القطعة التي يقع لبنان فيها ويعدّ جزءاً هاماً منها يوجد ١٢٦ رتبة من الرتب النباتية و ٨٥٠ جنساً و ٣٥٠٠ نوع ٠ ولا ريب ان هنالك انواعاً أُخر جديدة لم يُهتد اليها بعد ٠ ففي بطون الاودية تحت ظلال الشواهق قد يجد الانسان نُقراً وزوايا غنية باعشابها وخضرتها يسقيها نزُّ الصخور وقطرها

والمشهور عن نباتات لبنان انها خاصةٌ به وقلما تشترك بنباتات الاقاليم البالأركتيك [1]

ومن اشرف اشجار الدنيا شجرة الارز وقد تسمّت باسم لبنان فان اسمها العلمي « ارز لبنان » وفي شمالي لبنان يسمونها ارز الرب ٠ واشهر احراج الارز الحرج الموجود فوق قصبة بشري وهو قائم على ارض قُفّية (اي مركبة من حجارة غائص بعضها ببعض) تكوّنت من بقايا الركام الجليدي (غلاسير) الذي شهدتهُ العصور القديمة في ذلك الجبل

وانك لتجد في العالم نوعاً من الشجر انحصر اولاً في منطقة مخصوصة ثم اخذ ينتشر منها الى سواها من الاقاليم التي تلائم طبيعتهُ ونموّهُ ثم نقلتهُ يد الانسان بالنظر لفوائدهِ الى مواضع متعددة ٠ وهناك انواع أُخر انتشرت وزهت لملاءمة الاحوال الاقليمية لها وكأنما جرت شوطها في الحياة وتوقفت ثم زالت من الوجود او بقيت شهادةً على عظمة الدور الذي جازتهُ ٠ ومن هذا النوع الاخير أُرز لبنان ٠ فان هذا ولا ريب كان النوع الأغلب في الغابات والاحراج التي كانت تغطي جبل لبنان كلهُ ٠ اما اليوم فلا يوجد الارز الا في مواضع محصورة — في بشري والحدث (حدث الجبة) وسير وعين زحلتا والباروك ومعاصر الشوف على ان اعظم هذه الاحراج واشرفها بلا منازع حرج بشري وفيهِ نحو اربعمائة ارزة

وهناك احراج أُخر في لبنان غير احراج الارز فان وادي نهر ابراهيم لا يزال حافلاً بالاشجار الغضة بالسنديان والصنوبر وغيرها ٠ وبين الباروك والمعاصر غابة كبيرة من شجر السنديان (ربما يكون قد قُطع معظمها في خلال هذه الحرب ليستعمل فحماً)

---

(١) البالأركتيك لفظ يطلق على الاقسام الشمالية من العالم القديم باصطلاح عامي النبات والحيوان ٠ فيدخل فيه اوربا وشمالي افريقيا وشمالي اسيا

ومما يحسن ايراده في هذا المقام ما ذكره الاستاذ ا · صومن من ليزك عن نباتات لبنان قال « ان نباتات الأحادير الغربية من لبنان تشارك بصفاتها نباتات سواحل البحر المتوسط اما نباتات الاحادير الشرقية فتجانس نباتات الاقسام الماحلة من السهول المرتفعة

والانواع التي تختص بسواحل بحر الروم لا ترى إلاَّ على مجاري المياه واذا صعدت في لبنان الى علو ٥٠٠ متر تجد هناك نباتات جنوبي آسيا الصغرى وسوريا · ومن اشجارها المميزة العوسج والصنوبر · ومعظم النباتات من الانواع القصيرة ذات الاوراق الدقيقة القاسية والاغلب فيها شائك طيب الرائحة · ومن علو ٥٠٠ متر الى ٢٢٠٠ متر المنطقة الجبلية او منطقة الاحراج — وبين ١٤٠٠ متر و ٢١٠٠ متر تجد نوعين من اهم انواع شجر لبنان هما السرو والارز · ومن ٢١٠٠ متر الى ٣١١٧ متراً المنطقة الألبينيَّة (او الجرود العالية) وفيها تجد بضع سنديانات قصيرة مترضمة و بضع رتمات و بربريسات وكثيراً من النباتات القصيرة الشائكة الكثيفة المجتمعة على هيئة اسفنجية

حيوان لبنان

١ جغرافيته الحيوانية

ان درس المناطق الحيوانية في البلدان المختلفة قد اوصل العلماء الى تقسيم سطح الكرة الارضية بالنظر الى حيواناتها الى مناطق جغرافية كبيرة اهمّها منطقة العالم القديم الشمالية ويراد بها كل ما يقع من اسيا الى شمالي جبال حملايا (ما عدا النصف الجنوبي من بلاد العرب) وكل بلاد افريقيا الى شمال الصحراء الكبيرة يضاف الى ذلك القطر المصري وتقسم هذه المنطقة الى اقاليم شتى اوضحها واكثرها حيوانات اقليم البحر المتوسط وهو يشمل كل البلدان الواقعة في جنوبي اوروبا وغربي اسيا وشمالي افريقيا مما يلي البحر المتوسط . فلبنان داخل في هذا الاقليم فان حيواناته المستوطنة فيه او التي تزوره في آجال معلومة تشبه بوجه عامّ الحيوانات الموجودة في جنوبي اوروبا وفي شمالي افريقيا وبرّ الاناضول . على انّ لموقع لبنان الجغرافي مزايا خاصة تهمّ الباحثين في جغرافية الحيوان وهي —

١ — ان طرف لبنان الجنوبي (آخر وادي الليطاني) قريب من سهل الحولة الذي هو في الحقيقة جزء من وادي الاردن — ذلك الغور الذي يمتدّ جنوبًا الى خليج العقبة فيصبح باعتبار مناخه وحيوانه كانه ذراع مدّتها افريقيا الشرقية (وهي جزء من المنطقة الحبشية) لتصافح المنطقة الشمالية . ولذلك نرى في لبنان بعض الحيوانات الافريقية كالطائر المعروف بابي الزهور والحيوان المسمّى الوبر او الطبسون وسيأتي الكلام عليهما .

٢ — مع ان مياه البحر تغسل اقدام لبنان الغربي فتلطّف مناخه وتجعله كمناخ البلاد المعتدلة فانّ لاعالي لبنان من حيث المناخ والحيوان مزايا المنطقة الالبية (نسبة الى جبال الالب) وليس صعبًا ان نفهم سبب ذلك فان طرف لبنان الشمالي متصل تقريبًا بجبال النصيرية وهذه متّصلة بجبال طوروس التي تتصل بجبال اوروبا الجنوبية . ولقد كان للعصر الجليدي في الزمان الغابر (ربما كان ذلك قبل ظهور الانسان) تأثير خاص في حيوان لبنان لا يزال ظاهرًا الى الآن . ففي اعالي لبنان الشامخة نوعان من الفراش الاول اسمهُ العلمي « بيريس كاليدسي » (Pieris callidice) والثاني اسمه « فَنِسَّا أُرتكاي » (Venissa urticæ) ويوجد النوع الاول ايضًا في سيبيريا اما الثاني فعمومي في اوروبا ويدلّ ذلك على انه لما كان العصر الجليدي اضطُرَّ هذان النوعان وكثير غيرهما ان تهجر البلاد الشمالية الى الجنوب . فلما تقلّص ظلّ الجليد تراجعت اكثر هذه الحيوانات الى الشمال وتخلّف منها هذان النوعان في رؤوس الجبال (وربما تخلّف غيرهما ايضًا وهلك بعدئذٍ) وطاب لها المناخ هناك فبقيا واصبحت ذريتهما منفصلة عن سائر الانواع من جنسهما . وسنذكر فيما يلي غير هذين النوعين من الانواع الشمالية

٣ — اذا اعتبرنا العدد الكبير من الطيور التي تزور لبنان في الربيع والخريف رأينا ان اكثر طيور اوروبا من القواطع (الرحالة او العابرة) لقساوة البرد وطوله في الشمال ترحل الى الاقاليم الحارة كبلاد العرب وافريقيا سعياً وراء القوت وتبقى هناك نحواً من خمسة او ستة اشهر واحياناً اكثر . فاذا دنا الطقس الدافئ في اوروبا رجعت هذه القواطع اليها فتبني اعشاشها وتربي فراخها في بيئة اكثر ملاءمة لها من الاقاليم الحارة حيث تكثر الافاعي والقرود والحاميات وغيرها من الآفات

ولهذه الطيور في رحلاتها الى الجنوب ثلاثة معابر . الاول عن طريق فرنسا واسبانيا الى جبل طارق ومنه الى افريقيا . الثاني عن طريق ايطاليا وسيسيليا ومنها الى تونس وطرابلس الغرب . الثالث عن طريق البلقان فتعبر المضائق الى اسيا الصغرى ومنها على شواطئ بحر الروم الشرقية الى الجنوب . وعلى هذا السبيل الاخير يمرّ الوف لا تحصى من هذه الطيور . تمرّ جنوباً في الخريف وشمالاً في الربيع وكثير منها يمرّ بلبنان بعضه ليلاً او عالياً في الهواء فلا يُرى والبعض (ولعله السواد الاعظم) يقع على الارض في اثناء الرحيل طلباً للراحة او للقوت وهي الطيور العابرة المعروفة عندنا وهي لا تمكث الا اياماً قلائل وان طالت فاسبوعين او ثلاثة . ويختلف اوان وصولها الينا ورحيلها عنا في الربيع باختلاف انواعها ودرجة البرد في اواخر الشتاء . فبعض الطيور تظهر عادةً في اواخر اذار وقليل منها قبل ذلك على ان القسم الاعظم يصل ما بين اول نيسان واواسط ايار وقد يتأخر عن ذلك . اما في الخريف فاكثرها يصل الينا ما بين منتصف ايلول واواخر تشرين الاول وقد يبكّر بعضها كثيراً فيأتينا في اواخر آب .

٢ حيوانات لبنان

الحيوانات اللبونة الكبرى

كان في لبنان قبل خمسين او ستين سنة ستة على الاقل من هذه الحيوانات وهي :

١ — الدبّ . وهو فصيلة من دبّ اوروبا الاسمر وكان كثيراً في الجرود العالية . ومع أنه عادةً قليل الضرر واكثر طعامه من الجذور والثمار وبعض الحيوانات البرّية الصغيرة فمنه ما كان يضرى فيُغير على الغنم والماعز وقد يهاجم الانسان . والدبّ الآن نادر جداً في لبنان قلّما يراه احد . قليل منه في الجرود العليا بين صنين وفم الميزاب واكثر من ذلك قليلاً في جبل الشيخ و بعض جبال لبنان الشرقي .

٢ — النَمِر . ويتخذ وجاره عادةً بين الصخور واحراج السنديان في وادي الدامور والاودية التي تجري اليه وفي وادي الاوّلي تحت جزّين ووادي الميطاني . وقد كان يفتك بالماعز والغنم وربما قتل العجل والثور على انه في العشرين سنةً الاخيرة انقطع من لبنان ولم يعد له اثر يذكر .

٣ — الضبع . وقد قلّ في لبنان ومع ذلك لا يزال يصطاده الصيادون في ضواحي بعض القرى .

٤ — الذئب . يُرى في الجرود العالية ولا سيما اذا قرصه البرد . ورعاة الغنم والماعز لا يزالون الى الآن

يخشون بطشه . على انه في النهار جبان يهرب حالاً متى رأى الانسان . وقد ذكروا حوادث كَلَب في الكلاب والناس سببها عضة ذئب كلِب لكنّ كاتب هذه السطور لا يعرف حادثة من هذا القبيل يمكن تحقيقها

٥ — الخنزير البرّي — كان كثيراً في لبنان الجنوبي بجوار وادي الليطاني اما الآن فهو نادر جدًّا في لبنان . وكاتب هذه السطور يذكر ان مرض التريخنيا ظهر مرّة في قرية في جنوبي لبنان من اكل كبّة نيئة مجبولة بلحم الخنزير البرّي وقد فتك يومئذٍ ببعض المصابين به . وكان الخنزير البرّي فيما مضى وافر العدد في اواسط لبنان ايضاً ولا سيما وادي نهر ابراهيم

٦ — الغزال . لا يزال هذا الحيوان الجميل يختلف زُمَراً صغيرة الى بعض اوعار لبنان البعيدة عن السكان . وقد اصبح قليلاً جدًّا لكثرة الصيّادين .

الحيوانات اللبونة المتوسطة الحجم

١ — الثعلب . وهو كثيرٌ في لبنان وربما رؤي في النهار . اما عواؤه الحادّ القصير فكثيراً ما يُسمع في ضواحي القرى او على جوانب الطرق . وفي ايام الشتاء ولا سيما ايام البرد والزمهرير تشتد نعومة فروته و يكثر شعرها فيحسن عندئذٍ صيده .

٢ — ابن آوى (الجقل) . وهو وافر العدد ولكثرته اصبح كثير الضرر . وهو كالثعلب يضرّ الكروم والحدائق ضرراً كبيراً لانه ياكل العنب والخيار و يدوس الكروم ناهيك بما يفترس من الطيور الداجنة كالدجاج وسواها . ومتى صار له اجراء اصبح شرساً جدًّا وويل حينئذٍ للدجاج الذي لا يحصّن قنه جيداً وعليه يلزم اتخاذ التدابير اللازمة لابادة هذا الحيوان والاشراك وحدها غير كافية وربما كان قتل صغارها بالزرنيخ قبل ان تكبر وتصير حذرة تتجنب كل طعام تمسّه يد انسان افعل في ابادة هذه الحيوانات المفسدة .

٣ — الغُرَير . وليس بقليل ولكنّه ليليٌّ يسرح ليلاً و يأوي الى وكره نهاراً فلا يرى الاَّ نادراً .

٤ — القطّ البرّي . وهو اصل القطّ الداجن على انّ منه في الارجح ما كان داجناً فصار برّيًّا . وفي سوريا نوع من القط البرّي (Felis chaus) لا يوجد على ما نعلم في لبنان

٥ — القنفذ . يضرّ الخضر . وهو برغم انه غير قليل في العدد قلّما يراه احد

الحيوانات اللبونة الصغيرة

١ — الساحوب (وهو المنجوس) يكثر نوعًا ما في الجبل ووجوده فيه يدلّ على صلة لبنان بافريقيا من حيث الحيوان فانّ النوع الموجود في لبنان هو نفس النوع الموجود في مصر وسواها من بلدان افريقيا .

٢ — النمس . وهو غير قليل وفروه ثمين .

٣ — ابن عرس . ويقال له عروس الفار . يظهر احيانًا ولكنّه قليل .

٤ — السنجاب . يكثر حيث تكثر الاشجار التي يحبها ولا سيما السنديان والجوز والصنوبر ولا ينحصر

نوعه في لبنان بل هو موجود في غيره من سوريا وفي بعض اقسام الاناضول .

٥ — الخلد . وهو من القواضم . قلّ يظهر فوق الارض ولكنه كثير وقد اصبح لاقامته تحت التراب اعمى وعيناه اثريتان الواحدة بحجم رأس الدبّوس وهي مغشاة بجلد لا اثر فيه للاهداب . والخلد يضر المزروعات كثيراً ولا سيما البصل وامثاله

٦ — الجرذ البرّي والفارة البرّية . وانواعهما كثيرة وهي كثيرة الضرر بالفواكه والحبوب في اول تفريخها او اول نضجها . ولا واسطة فعل في تقليل عددها من تكثير اعدائها واخصّها الجوارح الصغيرة كالباشق والبوم والشاهين وكذلك الحيات السود فانها غير سامة واكثر معيشتها على الجرذ والفيران

٧ — الارنب البرّي . يُرى في مواطنه الخاصة ولكنه قد قلّ جدّاً بسبب الصيد .

٨ — الوبر (وفي الدارج الطبسون) . ولئن يكن هذا الحيوان نادراً ومعرفتنا عنه قليلة فان له اهميّة علميّة كبيرة . وهو بحجم الارنب لونه اسمر رمادي باهت وله اذنان مستديرتان وذنب قصير جدّاً وفيه بعض الشبه بالقواضم .

يقضي اكثر النهار منزوياً في جحره بين الصخور لا يخرج في طلب الرزق الّا عند المساء او باكراً في الصباح . ومما يستدل من معدته وتركيب اسنانه انه نباتي لا يأكل اللحوم ومع ذلك فاسنانه قلما تشبه اسنان القواضم . والغريب ان هيكله العظامي واعضاءه الداخلية تشبه هياكل بعض الحيوانات اللبونة الكبرى واعضاءها الداخلية فاسنانه وعظام قدمه الخلفيّة تشبه ما يقابلها في فرس الماء او الحصان . مع ان عظام قدمه الاماميّة صورة مصغرة لعظام القدم الاماميّة في الفيل . اما المعدة فكمعدة فرس الماء او الحصان ولكنّ الامعاء غريبة الشكل فانها لا تشبه امعاء حيوان معروف الّا ما كان من طائفة الوبر وليس لهذه الطائفة نسب قريب بغيرها ولا توجد خارج سوريا وفلسطين الّا في افريقيا الجنوبية وافريقيا الشرقية (اي في المنطقة الحبشية) وقد اخطأ بعض الكتبة اذ قال ان الوبر غير معروف في لبنان . فان في متحف الكلية الاميركانية في بيروت عدداً من هذه الحيوانات جيء بها من جوار وادي الدامور . وهذا النوع يكثر بجوار البحر الميت وفي بعض اقسام من شبه جزيرة سيناء . وفي الحبشة وافريقية الجنوبية نوع من جنسه لكنه غير قريب منه . وفي افريقيا الشرقية طائفة اخرى منه تسمى — وبار الاشجار . ولما لم يكن في سائر انحاء المعمور حيوانات قريبة النسب من الوبر استدلّ العلماء على ان هذا الحيوان من طائفة افريقيّة قديمة جدّاً وانّ وجوده في سوريا دليل على ان بلاد العرب كانت في غابر الازمان متّصلة بشرقي افريقيا بارض اوسع بكثير من برزخ السويس .

٩ — كبّابة الشوك . وقد يلتبس هذا الحيوان على البعض فيظنونه القنفذ لكون الاثنين مغطّيين بجلد ذي اشواك صلبة حادة . والحقيقة ان البعد بينهما شاسع فان القنفذ من القواضم امّا كبّابة الشوك فمن آكلات الحشرات ولكلٍ اسنان خاصّة بطائفته . وهناك فروق اخرى بينهما اهمها ما يأتي :

(١) الحجم . فان القنفذة البالغة هي بحجم كلب متوسط الحجم لكنّ قوائمها اقصر بكثير من قوائمه

(٢) ان الاشواك التي على ظهر القنفذة طويلة والكبيرة منها مما يغطي الظهر والجانبين ثخينة كقلم الرصاص العادي والشوكات التي على ظاهر العنق و بين المنكبين يتكون منها عفرة قائمة كالقنبرة · اما كبابة الشوك فشوكها كله قصير متماثل الحجم وهو اكثف من شوك الصبّير ·(٣) القنفذة مضرّة لانها تعيش على المز وعات فتتلف البطيخ والجزر والبطاطا وما اشبه اما كبّابة الشوك فمفيدة لانها تعيش على الحشرات وتقتل كثيراً منها كما انها تفترس ايضاً البزّاق العريان والفيران الصغيرة و بعض الزحافات الصغيرة ومنها الحيّات

١٠ — الخفّاش (الوطواط) · ومنه بضعة انواع في لبنان وهو يعيش في الكهوف المظلمة و بين شقوق الصخور وقد يتخذ وكره في حيطان البيوت او سوق الاشجار الجوفاء ولا يطير الا بعد الغروب · وانواعه الكبيرة بحجم الجرذ وهي تعيش على الفواكه فتضرّ بالحدائق والبساتين · امّا الانواع الصغيرة (ولا يراد بها صغار الانواع الاولى) ففائدتها كبيرة لانها تعيش على البعوض والفراش وغير ذلك من الحشرات الليليّة ·

الطيور

تقسم طيور لبنان الى اربعة اقسام — (١) الطيور المستوطنة (٢) ضيوف الربيع والصيف (٣) ضيوف الخريف والشتاء (٤) القواطع او الطيور العابرة

الطيور المستوطنة

و يراد بها التي تقيم كل السنة في ناحية ما وتفرّخ فيها واليك اشهر انواعها —

الغراب — و يعرف حالاً من كبر جسمه ومن ريشه الاسود الاسحم المتموّج بخضرة او زرقة · وهو يوجد في كل مكان و يعيش على الجيف وما يُرمى من الطعام وعلى الحبوب التي يجدها في جوانب الطرق · و يبيض على الصخور الشاهقة حيث لا يمكن الوصول الى عشّه ·

الغاق (القاق) — وهو اصغر من الغراب بكثير · وجسمه رمادي اللون الا ان رأسهُ ومذبحه وجناحاه وذنبه سود واكثر وجوده بين الزروع وغابات الصنوبر وهو يبني عشه على رأس صنوبرة ساحقة · و يضرّ بعض الضرر بزروع الحبوب اول نموها ·

ابو زُريق — وهو بحجم الحمامة ريشه مشكل الالوان فجسمه اسمر رمادي وريش جناحه وذنبه وتاج رأسه اسود · وعلى كل من منكبيه بقعة كحلية ومؤخره ابيض جذاب للنظر وهو في الهواء · ويكثر ابو زريق حيث يكثر السنديان والصنوبر والزيتون · وهو عادةً كثير الحذر والخوف ولكن اذا اطمأن وترك لشأنه يقلّ خوفه حتى لقد يبني عشه قريباً من مساكن الناس ·

زاغ الجرد — ولا يوجد الا على الجبال الشاهقة قريباً من خط الثلج وهو اصغر من الغاق قليلاً الا

لونه فاسود فاحم وله منقار اصفر وقائمتان حمراوان ويكون عادة اسرابا . ومع ان منطقته العمومية تشمل كل الجبال العالية في جنوبي اوروبا وتمتد الى جبال الهيمالايا فهو قد يترك ناحية اقام فيها ولا يهبط من رؤوس الجبال الا في الشتاء .

شحرور الماء — من طيور الجبال ويقيم عادةً على ضفاف المجاري العذبة السريعة الجريان وهو اصغر من السماني قليلاً . مملوء الجسم قصير الذنب ولونه اسود مسمرّ الا صدره ومذبحه فابيضان . ومن رآه ولو مرةً فقط لم يعد يغلط به . اما عوائده فغريبة لانه مع خلوّ قدميه من النسيج المختص بطيور الماء سبّاح وغوّاص ماهر . ومتى كان تحت الماء استعمل جناحيه كالمجذاف وقد يمشي في قاع النهر متمسكاً بالحجارة والصخور باظافره الحادة فيفتش هناك عن الصدفيات النهرية الصغيرة وعن الحشرات والقشريات التي يعيش عليها . ولما كان شحرور الماء الموجود في لبنان وما يجاوره من جنس خاص بهذه النواحي فقد سماه علماء الطيور الشحرور الاحمر البطن فرقاً له عن سائر الاشكال ولا يعرف منه الا جنس في ناحية ارزروم وجنس آخر في بلاد اليونان وقد يوجد شحرور الماء في كثير من اقسام اوروبا واميركا الشمالية .

البُلبُل — وهو طائر مشهور برخامة صوته . وقد يخطئ البعض فيحسبون البلبل الفارسي (Nightingale) بلبلاً مع انهما بعيدا النسب اما البلبل فكثير في فلسطين وساحل لبنان الغربي وهو من طيور المنطقة الحارّة لا يعيش في الاماكن العالية . ومنهُ نوع يوجد الآن في مناطق افريقيا والهند الحارة . وحجم البلبل السوري بين السماني والعصفور الدوري واللون الغالب فيه الزيتوني على ان رأسه ومذبحه وقوادم جناحه وذنبه سوداء اللون والريش الصغير الموجود في مؤخرته تحت الذنب اصفر فاقع في الذكر واصفر مكمد في الانثى وهو فهيم جدّاً سهل تدجينه اذا أُخذ صغيراً

ابو الزهور — وهو خاص بفلسطين وحضيض التلال الجنوبية الغربية في لبنان ويمتاز بانه اصغر طائر في هذا القسم من الارض . وله منقار دقيق اعكف يمكّنهُ من مصّ شوار الزهور وصيد الحشرات الصغيرة التي توجد فيها . ولون الذكر اسود يعكس ظلالاً خضراء وزرقاء مشرقة وتحت الطرف الامامي من كل جناح باقة من الريش الاحمر والاصفر المشرق (هذا الريش لا يرى بسهولة والطائر واقع لان الجناح يغطيه) اما الانثى فاللون الغالب فيها الاسمر الرمادي . وموطن هذا النوع وادي الاردن بين البحر الميت والحولة وانما اتصل بجزء صغير من لبنان عن طريق الكرمل وتلال الساحل وهو من طيور المنطقة الحارّة ولذلك تجد انسباءه الاقربين في المنطقة الحبشية وما وجوده في فلسطين الا دليل آخر على ان افريقيا وآسيا كانتا متصلتين بارض واسعة جدّاً

عصفور الثير — يوجد في كل مكان في لبنان الا انه يكثر بين الصخور الكلسية على علوّ سبعمائة متر او اكثر وهو اكبر من الدوري شيئاً زهيداً ولون ظهره رمادي ازرق اما صدره فاحمر ولون بطنه مائل الى البياض . وله ذنب قصير ومنقاره كبير بالنسبة الى جسمه وكذلك قدماه وهو يتسلق الصخور بخفة غريبة سعياً وراء الحشرات التي يعيش عليها على ان اغرب ما فيه صوته العالي الرخيم الذي يسمع صداه منقطعاً بين

الاودية بقوّة تستغرب من طائر صغير مثله · وتمتد منطقته الى اسيا الصغرى وبلاد اليونان وانسباؤه من طيور الشمال ·

القنبرة — ولا يدانيها طائر في لبنان بحسن الصوت لا البلبل ولا عصفور الشير ولا البلبل الفارسي · ومثل قبّرة الجوّ في اوروبا تغنّي وهي في الهواء وغالباً عالية جداً حتى تكاد لا تُرى · اما حجمها فاكبر من حجم الدوري قليلاً ولونها رمادي اسمر او قريب من لون التراب وهي كثيرة في كل نواحي لبنان بين الساحل وعلو الف ومئتي متر عن سطح البحر وتعرف « بقنبرة » على رأسها تستطيع ان تنصبها قائمة كالمسلّة · واكثر ما تكون في الهواء او على الارض وقلّما تقع على الاشجار · ومتى علوت اكثر من الف وخمسمائة متر لا تعود ترى هذه القنبرة بل ترى بدلاً منها نوعاً من الانواع الالبيّة تسمّى القنبرة ذات القرون ·

الحجل — هذا الطائر الجميل اشهر من ان يوصف وهو يحب رؤوس الجبال وجوانب التلال الجرداء ولولا قساوة الصيادين الذين يطاردونه كل السنة لتكاثر نسله جداً في لبنان فاذا حُمي من اذاهم في اوان التفريخ اي ما بين اذار وآب زاد عدده جداً وهو من افضل طيور الصيد

الحمام البرّي (الورشان) — لا يزال هذا الطائر كثيراً في بعض الوهاد التي يصعب الوصول اليها فيبيض حيث يأمن شرّ الاعداء وهو اصل كل الحمام الداجن ويدجن بسهولة اذا اخذ صغيراً · واذا وضع مع الحمام الداجن ووافقته الاحوال فانه يألفه فيتزاوجان ويتوالدان

ضيوف الربيع والصيف

ويراد بها الطيور القواطع التي تقضي الشتاء في الاصقاع الجنوبية (ولا سيما بلاد العرب وشمالي افريقيا واواسطها) وتزور لبنان وما يجاوره فتقضي فيه فصل التفريخ فتبني هنا اعشاشها وتربي صغارها حتى اذا انتهى فصل الصيف رجعت وفراخها معها الى الجنوب قبل قدوم الفصل البارد الذي يقلّ فيه طعامها · ومن هذه الطيور ما يأتي —

السنونو — وهي اشهرهنّ تقضي الشتاء في بلاد العرب وافريقيا وربما وصل بعضها الى رأس الرجاء الصالح · ولانها تزور الحجاز كلّ سنة أُطلق عليها « الحُجيجة » اي الحاجّة الصغيرة ·

الخطّاف — وهو اكبر من السنونو وجناحاه ادق واطول وذنبه اقلّ تشعّباً اما لونه الغالب فالسواد الباهت · وله بقعة بيضاء تحت قاعدة منقاره العريض القصير · ويكثر الخطاف في المدن والقرى حتى انه يبني عشه في شقوق حيطان المنازل او تحت عمائم السطوح وعشّه لا يشبه عش السنونو التي تبنيه من وحل على شكل نصف دائرة وليس احد لا يعرف صوت الخطّاف الحادّ الذي يطلقه في الهواء خصوصاً في ايام الصيف بعد الظهر · والخطاف لا يقع على الاشجار بل يقضي حياته في عشه وفي الهواء وطعامه ما يصيده في الهواء من الحشرات الصغيرة · وهو كالسنونو نافع جداً لقتله الوفاً من البعوض والذباب الصغير وما شاكل ·

النسر — اكبر طيور لبنان وهو من الضيوف على ان القليل منهُ قد يستوطن ويبقى دائماً وطعامه الجيف

وهو قوي الجناح جداً وحاد النظر اما قول بعضهم انه يهتدي الى الجيف برائحتها فخطأ . والنسر يبني عشه على مشارف الصخور التي لا تطال وطوله من طرف جناحه الى طرف الجناح الآخر يزيد على مئتين وخمسين سنتيمتراً وهو اصلع الرأس عاطل الرقبة من الريش (له بدل الريش وبر صغير ابيض) واصلعه وضخامته تسهل معرفته .

الرخمة او الشوحة — حجمها اقل من نصف حجم النسر ولون البالغ منها ابيض ناصع ما عدا القوادم والخوافي فانها سوداء . اما صغارها فسمراء اللون . وهذا الطائر اصلع الرأس اجرد الوجه والمذبح لون جلده رصاصي الا انه يتحول الى اصفر فاقع في بعض الاوقات وعيشته على الجيف والاقذار . ومع قبح منظره وهو واقع على الارض تراه جميلاً وهو طائر في الهواء ويبيض في رؤوس الصخور الشاهقة وربما بنى عشه على شرفات المنازل الخربة .

ضيوف الخريف والشتاء

وهي تأتي من الشمال في تشرين الاول او الثاني وقليل منها في كانون الاول . وتبقى الاشهر الباردة هنا ثم ترجع الى البلدان الشمالية في آذار او قبله . ومن اشهرها —

السمنة والشحرور — وكلاهما يغلب وجوده بين شجر الزيتون حيث يسمن من اكل الزيتون الناضج . على انهما مفيدان جداً لالتقاطهما الديدان الضارة التي يجدانها بين الاوراق والاعشاب اليابسة فيعوضان بذلك خسارة الزيتون .

ابو الحناء (ابو الحن) — طائر شمالي صغير وهو من الطيور القلائل التي تبقى تغني في الخريف وصوته حلو ولكنه ضعيف ويستمع منه صباح الطقس في تشرين الثاني واوائل كانون .

ومن هذه الطيور الصلنج وكثير من انواعه الصغرى وقنبرة الاحراج وبعض انواع الدخن وام صنيدة او ام سكعكع . ومنها بعض الجوارح كالباشق وانواع من الشاهين .

ومن الطيور التي تزور لبنان في الشتاء وتصلح للصيد — دجاجة الارض المشهورة بطيب لحمها والغناج وهو طائر جميل ريشه بين اخضر نحاسي وابيض واسود وله على رأسه قنبرة جميلة . وهناك طيور اخرى تزور لبنان شتاء يضيق المقام عن ذكرها .

الطيور العابرة

وهي قسم كبير من طيور لبنان وقد ذكرنا آنفاً اهم ما يذكر عنها فنكتفي هنا ببعض امثلة منها —

اللقلق — ويعرف في لبنان بالبجع وهو يأتي اسراباً كبيرة و يمر بلبنان في نيسان وهو راحل نحو الشمال . وكثيراً ما يقع على الارض و يقضي الليل في سفوح التلال الغربية على شجر الصنوبر او على الصخور . و بعضه يبيض و يفرخ في الاناضول والبعض يستمر في رحلته حتى يصل اوروبا فيبيض فيها . ولولا البشر القساة لبنى

عشّه على سطوح المنازل وهو مفيد جداً لانه يأكل الحشرات المضرّة ولانه من الطيور القليلة التي تفتك بالجراد الطيّار فلذلك يجب المحافظة عليه. ولسوء الحظ لا يعرف اهل لبنان قيمته فتراهم متى رأوه حملوا عليه وطاردوه يقصدون صيده والقلق يمر فوق لبنان جنوباً في ايلول واوائل تشرين الاول. وقد وضعت علامات بالصيف على بعض هذه الطيور في المانيا فشوهدت بعد ذلك في فلسطين ومصر وافريقيا.

السلوى (الفرّي) — يصل عدد كبير من هذا الطائر من الجنوب في اواخر اذار واوائل نيسان ويبقى قليلاً هنا ثم يستأنف رحلته نحو الشمال. وقد عرف ان بعضهُ يبيض ويفرّخ في فلسطين واسيا الصغرى فلا عجب اذا فعل ذلك في لبنان ولكن قساوة الصيادين تحول دون هذه الغاية وتمنع هذا الطائر المفيد من البقاء في لبنان. وقد لوحظ ان عدده يقل عند ما يرجع الى لبنان في ايلول وتشرين ولعلّ ذلك لان بعضه يسلك طريقاً آخر من اوروبا الى افريقيا. وفائدته للزروع كبيرة لانه يقتل الحشرات الضارّة.

اليام (الأُطرُغلّ) — وبالدارج الترغلّ وهو معروف لا لزوم لوصفه. يصل من الجنوب في نيسان وايار اسراباً او ازواجاً. وفي ايلول يرجع اليام الى لبنان مصحوباً بفراخه وهي تختلف قليلاً عن امهاتها بلون الريش. وهو كالسلوى لو تركه الصيادون لباض في لبنان ومكث فيه زمناً طويلاً.

السمرمر — يأتي الى لبنان احياناً كطير عابر واحياناً كضيف شتوي فلا نظام له. وهو بحجم السماني جسمه ورديّ لكن رأسه اسود وكذلك عنقه وجناحه وذنبه وله شبه قنبرة على رأسه. وتختلف فراخه في السنة الاولى عنهُ بلون ريشها فهي حينئذٍ سمراء وليس لها قنابر. والسمرمر مشهور بعدائه للجراد على انهُ قلما يؤذي الكبير منهُ فاكثر فتكه بالجراد الصغير الذي لا يبلغ طوله اكثر من سنتمترين او ثلاثة ولا ريب ان سرباً من هذا الطائر يبيد من الجراد الصغير ما يفوق عدده حدّ التصديق. وتراه في سهول سوريا الداخلية اسراباً كبيرة تتبع جيوش الجراد الجرّارة وتفتك بها. تلك حقيقة ثبتت بالمشاهدات العلمية ومع ذلك — مع ان اهل لبنان يعرفون قيمة هذا الطائر فان فائدتهُ لهم قلما تشفع به وتنجيه من الصيّادين.

الصفراية — طائر بين السماني واليامة وريش الذكر الكبير منهُ جميل للغاية فهو اصفر ذهبي على الرأس والعنق والجسم واسود فاحم على الجناحين والذنب. اما الاناث وصغار الذكور فكلّها زيتونية اللون في ظلال صفراء ورمادية. ومع ان الصفراية لا تُرى في لبنان اكثر من اسبوعين او ثلاثة في الربيع وهذا المقدار في الخريف فهي طائر مفيد للغاية ولولا الصيادون لزادت فائدته. فانها من الطيور القليلة التي يلذّ لها افتراس الديدان الشعراء التي تضرّ بشجر السنديان ولا سيما بالملّول منهُ. وهذه الحشرات تعيش بعضها مع بعض في كتل كبيرة كل كتلة تغزل نسيجاً كثيفاً تجعله كعش لها تأوي فيه بالنهار ومتى جنّ الليل تخرج وتأكل اوراق السنديان الطرية وكثيراً ما تجرّد الاغصان الجديدة من الورق وتيبّسها. والصفراية الدّ الاعداء لهذه الحشرات وكذلك نوعان من القيقُب سيأتي ذكرها. فان هذه الطيور تمزّق نسيج العش وتسحب الديدان واحدة واحدة وتزدردها واذا لم يُعكّر صفاؤها فانها تنزل اثنين اثنين على كل شجرة فيتناوبان ازدراد هذه الديدان مع الراحة لهضمها حتى يفرغا من المشوش

الهدهد — طائر جميل وهو اصغر من اليمامة ولكنه يظهر اكبر منها وذلك لطول منقاره الدقيق المعكوف قليلاً ولقنبرته الجميلة المؤلفة من ريش طويل دقيق · وهذا الريش احمر مغموس بأسود ويستطيع الهدهد نشره فوق رأسه كمروحة قائمة على حرفها · اما جسم الهدهد وعنقه فلونهما اسمر مشرب صفرة والجناحان مزنّران باسود · والذنب اسحم مقاطع بزنار ناصع البياض · والهدهد مفيد لقتله الحشرات المضرّة

الوروار — ازهى طيور لبنان لوناً · سمّي ورواراً من صوته · وهو اكبر من السماني قليلاً على ان طول منقاره وكبر رأسه يظهرانه اكبر مما هو في الحقيقة · ورأس الوروار وعنقه وظهره بلون كستناوي مشبع · اما المنكبان والعجز فلونها اسمر ضارب الى الصفرة · والذقن اصفر مهدّب باسود ولون الصدر والبطن اخضر مع زرقة · والجناح كستناوي واخضر · وللذنب ريشتان مركزيتان طويلتان وهو اخضر وعينه حمراء كالدم

على ان صغاره اقل زهواً من كباره فعيونها سمراء وليس لها ريش طويل في الذنب · والوروار يصل من الجنوب في نيسان وايار يصل اسراباً كبيرة كلها من ذوات الريش الجميل · وهي تمرّ سريعاً لتبيض في شمالي سوريا وما بين النهرين حيث تبني اعشاشها في اوكار تحفرها على ضفاف الانهار · ثم تعود في آب وايلول اسراباً اكبر من الاولى والصغار منها اكثر من الكبار ومع أنّ الوروار ياكل كثيراً من النحل فهو يعوّض من ذلك بقتله الزراقط على اختلاف انواعها ولا سيما الزنابير التي تاكل العنب في الكروم والزبيب في مساطحه وتقتل ايضاً النحل الذي يستخرج منهُ العسل

القيقُب — وهو بحجم اليمامة ولكنهُ لطول ذنبه يظهر اكبر منها · ظهره رمادي قاتم اما الصدر والبطن فلونهما ابيض مقاطع بخطوط رمادية · وهو قريب في لونهِ من بعض البواشق الصغرى على ان هذه تختلف عنهُ بمناقيرها القصيرة المكفاء وبارجلها المنتهية بمخالب عكفاء حادّة · والقيقب يخالف اكثر الطيور بان اصابع قدمه الاربع اثنتان منها اماميتان واثنتان خلفيتان مع انها في اكثر الطيور ثلاث امامية وواحدة خلفية

ومن القيقب نوع ارقط وهو اندر من الاول واكبر قليلاً وله قنبرة على رأسه اما ذنبه فطويل دقيق ومنكباه مرقّطان بابيض · ويجب المحافظة على كلا النوعين لفتكهما بالحشرات المضرّة

العصافير الصغيرة

ويدخل تحتها عدد كبير من ذوات الغناء · وهي اشكال كثيرة لا يمكن حصرها هنا · وكلها مفيد جداً فاذا حُميت من اذى الصيادين بقي كثير منها في لبنان كضيوف الصيف او الشتاء وربما اتخذتهُ موطناً لها تقيم فيهِ دائماً · وفائدتها عظيمة جدّاً في انها تقتل الحشرات المضرّة وبعضها مما لا يأكل الحشرات يعيش على بزور الاشواك والاعشاب المضرّة ·

الجوارح

وكثيرتها اذ تمرّ الى الجنوب في ايلول وتشرين تلفت الانظار . منها ثلاثة او اربعة انواع من النسور الكبيرة ومنها العقبان والبزاة والصقور والبواشق والشواهين والعواسيق والبوم . وكل هذه الطيور ما عدا البوم يقع متى جنّ الليل ويقضي ليله على الاشجار او الصخور ثم يستأنف الطيران في النهار . والمتأمل الخبير يستطيع اتّباع حركات هذه الطيور التي تطير اسرابًا اسرابًا فيشاهد رشاقتها في الطيران ولا سيما وهي طائرة خلف قائدها في طرق دائرة في الهواء لتمكّن المقصّرين منها من اللحاق بالسابقين

الطيور المائية

ان خلوّ لبنان من البحيرات والانهار الكبيرة والمستنقعات يمنع ان يكون فيه الا القليل من طيور الماء . فترى على الشواطئ بعض انواع النورس (الورنس) وعند مصابّ الانهار (كنهر ابراهيم ونهر الدامور) ثلاثة او اربعة انواع من البط البرّي و بعض الاوزّ البرّي وقد يُرى من الانواع الخوّاخة ابو جراب والنحام اما الكركي والبلشون فنادران وقد يكثر عند مصاب الانهار على الشواطئ الرملية ديك الماء واقلّ منهُ الشكّب ومما يوجد على ضفاف الانهار نوعان او ثلاثة من وروار الماء ولكنهُ قليل .

الطيور المضرة او المؤذية

وليس منها كثير في لبنان . والمعروف ان بعض الجوارح ولا سيما الباز والشاهين تفترس الطيور الداجنة ولا يصدق ذلك على النسر والشوحة . اما الجوارح الصغرى فكلّها مفيد لانها تفتك بالحشرات (كالجنادب والفراش والخنافس وغيرها) الا الباشق فانه يصيد الفراخ ويأكلها وقيل ان الغربان تفعل ذلك ايضاً . وقد ذكر ضرر الغاق بالبذور والبراعم والاوراق الندية وربما اضرّ ابو زريق بالفواكه على ان اعظم الطيور ضرراً العصفور الدُوري فان نهمهُ وكثرة عدده وشدّة حذره ونفوره ومعيشته بين المنازل تجعله اشرّ الطيور واكثر اذىً بالفواكه والخضر والزهور والحبوب . فيجب تقليل عدده بكل وسيلة ممكنة وافضل الوسائل تخريب اعشاشه ومنعه من بنائها حول المنازل بسدّ ما هنالك من الشقوق والاوكار ولا بأس من تسميمه بحبوب سامّة اذا اقتضت الحال .

الزحافات

من الزحافات في لبنان ثلاث طوائف — العِظاء والحيّات والسلاحف

طائفة العظاء

منها انواع كثيرة وكلّها صغيرة الجسم وهي لا تؤذي الا انها قد تعضّ مؤذيها وعضّها غير سامّ . واكثرها

ان لم نقل كلها مفيد لفتكه بالحشرات على اختلاف انواعها . ولضيق المقام نذكر بعضاً من اشهر انواعها —

الحرذون — وهو كثير في كل مكان الا الجرود العالية فانه لا يعيش فيها . ومن عاداته تحريك رأسهِ رفعاً وخفضاً وهو واقف على حائط او صخر وطول البالغ منهُ اكثر من ثلاثين سنتمتراً (يدخل في ذلك ذنبه) والذكر منهُ مائل الى السواد برتقالي المذبح اما الانثى فاصغر منهُ ولونها رمادي اكدر . ومتى جاء حزيران او تموز حفرت باقدامها وكراً في الارض عمقه ما بين عشرة الى خمسة عشر سنتيمتراً ووضعت فيه بيوضاً مستطيلة ملفوفة بقشرة كالرقوق ناصعة البياض . ثم تغطيه حالاً بالتراب وترصّه بقدميها الاماميتين وتمهّده حتى لا يعرف ومتى تمّ ذلك انتهت وظيفتها كامٍّ وتركت البيوض وشأنها . فينقاض البيض بعد سبعة او ثمانية اسابيع بحرارة الشمس المختزنة في الارض ويخرج منهُ الى وجه الارض حراذين صغيرة قادرة على القيام بأَود انفسها والحرذون مفيد لقتله الحشرات المختلفة ويجب المحافظة عليهِ .

العظاءة الخضراء — زحافة جميلة ولكنها قلما تظهر لكثرة خوفها . وهي دقيقة الجسم رشيقة الحركة ومتى خافت جرت بسرعة عظيمة . وقد يبلغ طول بعضها اربعين سنتيمتراً من ذلك الذنب وهو ثلثان او اكثر . ولونها اخضر زاه عليه كلف سوداء جميلة . والصغار منها خضراء اللون مخطّطة او مرقطة باسود

عظاءة الحيطان (الشمّيسة او السقاية) — وهي في بعض النواحي اكثر من الحرذون . جسمها اصغر بكثير من جسم العظاءة الخضراء واللون الغالب فيها السمرة وعلى جانبيها بقع سوداء اما مذبحها فاخضر ضارب الى الزرقة .

ابو بريص

وهو انواع كثيرة تمتاز برؤوسها واجسامها المسطّحة وباصابعها الغريبة التي تتسع اطرافها فتصبح كاقراص صغيرة تعمل عمل المصّاصات فتمكّن هذه الحيوانات من تسلق الجدران الملساء وبعضها يستطيع الجري بسرعة على السقف وظهره نحو الارض . والنوع المعروف عندنا بأبي بُريص اشهرها وقد يبلغ طول البالغ منهُ مع ذنبه عشرة سنتيمترات اما جلده ولحمه فشفافان ولا سيما في الصغار فاذا ابتلع ذبابة امكن رؤيتها تنتقل في قناته الهضمية . وهو من الزحّافات القليلة المجهزة بعضوٍ للصوت وصوته على هذا النمط — شكْ شكْ شكْ او كَكْ كَكْ كَكْ

الاذناب السهلة الانفصام

من خصائص هذه الزحّافات وكثير غيرها من الطائفة المذكورة سهولة انفصام اذنابها . وذلك لوقايتها فانه اذا قبض عدوّ على الذنب انفصم الذنب حالاً من عند اصله فيبقى في قبضة العدو وينجو صاحبه . وبعد بضعة اسابيع ينمو مكانه نتوء يعوّض الخسارة . ومما يذكر عن هذا الذنب ان عضلاته تبقى برهة تتحرك بعد انفصاله عن جسم صاحبه فيتلوّى الى هنا وهناك كأنهُ حيوان مستقل يحاول النجاة وذلك يشغل بال العدو

القابض عليهِ عن صاحب الذنب فيكون لهذا متّسع من الوقت للنجاة ·

الحرباء او الحرباءة

طائفة مهمّة ولا يعرف منها في هذه النواحي الا نوع واحد هو الحرباءة الافريقية التي توجد ايضاً في شمالي افريقيا وبعض نواحي الاندلس في اسبانيا على ان منطقتها الاسيوية تمتد الى الاناضول · والانثى اكبر من الذكر فيبلغ طول البالغة منها الى آخر الذنب ثلاثين سنتيمتراً والذنب وحده نصف هذا الطول · والحرباية مشهورة انها تتلوّن بلون بيئتها قصد الاختفاء عن عين العدوّ او نتيجة انفعال فيها · على انها تمتاز عن سائر الطائفة العظائية بما يأتي —

١ — ان اقدامها مخلوقة للقبض على الافنان والعيدان · فمن خمسة الاصابع التي لها في كل قدم اثنتان ملتحمتان معاً ومتصلتان بجانب من القدم والثلاث الاخرى ملتحمة ومتصلة بالجانب الآخر حتى كان قدمها فكاّ كماشة

٢ — ذنبها متين لا ينفصم ويسهل لفّه على ادقّ العيدان فتستطيع الحرباءة بواسطته ان تتدلى من غصن ما مادّة ارجلها الاربع في الهواء في طلب غصن آخر او عود تقبض عليهِ ·

٣ — عيناها جاحظتان واهدابها ملتحمة معاً وبالعينين كغشاوة الا ان فيها ثقباً صغيراً للنظر · ثمّ ان كلّ عين تتحرك مستقلّة عن الاخرى فتستطيع مثلاً ان تحرك اليمنى صعوداً واليسرى نزولاً او هذه شمالاً وتلك يميناً في آن واحد · ولا تصوّبهما الى جهة واحدة الا متى ارادت القبض على فريسة او اذا شعرت بخطر

٤ — لسانها غريب فهو بشكل الهراوة مغطّى بمادة لزجة او غروية ومتصل باسفل الفم بعرق دقيق مطّاط جدّاً ليسهل سلّه الى مسافة بعيدة · وتكوين عضلات الفم وعظامه يمكّن الحرباءة من سلّ لسانها بسرعة البرق الى مسافة لا تقلّ عن طول جسمها · وبذلك تستطيع مع بطائها ان تقبض على كثير من الحشرات الحذرة الخفيفة الحركة كالجنادب والفراش والذباب ·

والحرباءة من افيد الزحافات للمزروعات وهي لا تؤذي ابداً · والانثى تبيض في الارض فتخرج الفراخ بيضاء اولاً وبعد نحو اسبوعين تكتسب لون امهاتها ·

العظاء العديمة القوائم

ليس لبعض العظاء ارجل حسب الظاهر ومنها انواع قليلة في لبنان وقد يلتبس شكلها على غير الخبير بشكل الحية ولكن هذه تختلف عنها بشكل راسها وتركيب فكّيها واسنانها · وهناك انواع اسطوانية الجسم غليظته اذنابها بتراء وقوائمها غاية في القصر · ويسميها العامة البركيل ويزعمون انها سامّة ولكن هذا الزعم خطاء فانهُ لا يوجد في لبنان ولا في كل اسيا عظاء سامّة · على ان هذا الاسم يطلق على نوع من الافاعي سام جداً وربما كان هذا هو السبب في نسبة السمّ الى هذه العظاء

الحيات

في لبنان كثير من انواعها وهي مثل سائر الزحافات تزيد نشاطاً بالحرارة · واكثر الحيات غير سام على ان منها ما هو سام جداً ولا سيما نوعين او ثلاثة من الافاعي يبلغ طول الواحدة منها اكثر من خمسة وسبعين سنتيمتراً · لدغها قتال واذا اصابت انيابها وريداً كبيراً قتلت الملدوغ في دقائق قليلة ·

وتمييز الحيات السامة من سواها صعب وليس لغير الخبير ان يغرر بنفسه في ذلك اعتماداً على لونها او شكلها ومن المؤكد ان الحية السوداء في لبنان غير سامة مطلقاً · نعم انها قد تعض عضاً مؤلماً ولكن عضها لا يؤذي وكاتب هذه السطور اختبر ذلك بنفسه · اصابه عضات كثيرة من الحيات السوداء فلم تضره البتة · ولكن لهذه الحيات انياب سم وهي تفيد لفتكها بالجرذ والفيران على انها تاكل فراخ الدجاج وغيرها من الطيور الداجنة وفي بعض البلدان نوع من الحية السوداء سام جداً

السلاحف

لهذه الزحافات الواح عظمية تنشأ في الجلد وتتحد بالعمود الشوكي وعظم الصدر والاضلاع ويتكون منها صندوق صلب بمثابة ترس للاعضاء التي في الصدر والبطن · والسلحفاة اذا خافت ادخلت راسها وذنبها وقوائمها في هذا الصندوق وهي تختلف عن سائر الزحافات بخلو فكيها من الاسنان على ان هذين الفكين اللذين هما بشكل منقار الطائر مدرعان بغلاف من مادة قرنية · والسلاحف ثلاثة اجناس البرية والنهرية والبحرية · ففي لبنان النوعان الاولان وهاك كلمة فيهما

السلحفاة البرية — وهي غير كثيرة في لبنان وقلما يبلغ طول صدفتها اكثر من خمسة عشر سنتيمتراً · وطعامها الاوراق الخضراء والاعشاب · ومتى حان اوان التفريخ حفرت الانثى برجليها الخلفيتين حفرة في الارض الصلبة ترطبها اولاً بالبول ثم تضع فيها بيضتين الى اربع من البيض الصلبة وتغطيها بالتراب الذي تمهده وترصه بارجلها وصدفتها ثم تتركها وشانها ·

السلحفاة النهرية — وهي تكثر في الانهار البطيئة القريبة من البحر وفي الترع والسواقي · صدفتها اكثر تسطحاً من صدفة البرية واميل الى السواد · وذنبها طويل نوعاً ما ومقلم بخلاف ذنب السلحفاة البرية فانه ابتر · وهي من آكلات اللحوم لانها تفتش على ما تصل اليه من الديدان والحشرات والدعاميص والانثى تضع البيض في اليابسة لا في المستنقعات والحمآت

الحيوانات البرمائية

اي التي تعيش في البر والماء وهي تختلف عن سائر الفقاريات اختلافات شتى · اهمها · انها خلافاً للحيوانات اللبونة التي تتنفس الهواء المطلق برئاتها وخلافاً للسمك الذي يتنفس الهواء من الماء بواسطة الخياشيم تقضي الجزء الاول من عمرها في الماء فتتنفس بالخياشيم فاذا نمت ظهر لها رئات تستطيع بها تنفس الهواء

المطلق ففي بعضها تزول الخياشيم متى ظهرت الرئات وفي البعض الآخر تبقى الرئات والخياشيم معاً فيستطيع الحيوان ان يتنفّس تحت الماء وعلى اليابسة · والحيوانات البرمائية ثلاث طوائف —

١ — ذوات القوائم والاذناب

٢ — عديمات القوائم وهي لا توجد في لبنان ولا في سائر اسيا الا في الهند والهند الصينية

٣ — عديمات الاذناب · وفي لبنان منها ومن الطائفة الاولى امثلة قلائل واليك بعضها ·

العديمات الاذناب — يدخل فيها الضفادع وهي موجودة في كل الارض الا في الاصقاع القطبيّة· اما لبنان ففيه ثلاثة او اربعة انواع منها وهي

الضفدعة النهرية — تقضي وقتها في الماء او قريبة منه وقلّما تفارقه الا اذا جفّ · وبيوضها صغيرة كروية خضراء اللون ضاربة الى الاصفرار· تضعها الانثى في الربيع جماعة كبيرة فتلتصق بنبات الماء ومتى انقاضت خرج منها الوف من الدعاميص والدعموص في اول امره مستطيل الشكل مسطّح الجسم وله ذنب مسطّح قائم على حرفه · وكلما نما وارتقى ظهرت تكاوين جسمه فتبرز اولاً الاطراف الخلفيّة قرب الذنب ثم الامامية عند الراس · وكلّما اقترب الدعموص من البلوغ يتقلّص الذنب رويداً رويداً حتى يزول · وافخاذ الضفدع اذا سلخت باعتناء ثم شويت او قليت شهيّة للاكل ولا سيما مع الطرطور

الضفدعة البعليّة — وتوجد في كل انحاء لبنان حتى ولو على بعد من الماء · وهي ليلية قلّما تُرى الا اوان البيض (في اواخر الشتاء واوائل الربيع) فانها حينئذٍ تؤمّ برك الماء للتزاوج والتوالد· وما يعرف «بحبال القرّ» هو خيوط من مادّة لزجة شفّافة فيها بيوض هذه الضفادع الكروية الصغيرة التي تضع منها الانثى من خمسة آلاف الى عشرة الاف بيضة ودعاميصها اسرع من دعاميص الضفدعة النهرية في النموّ فتترك الماء وهي لا تزيد على سنتيمترين طولاً ونقيقها مختلف عن نقيق النهرية واكثر ما يسمع اوان التوالد· وهو حاد يلذّ سمعه· ولاختفاء الضفدعة عن الانظار يظن البعض ان هذا الصوت ناشئ عن حبال القرّ · ولحم الضفدعة البعلية لا يصلح للاكل وفي جلدها غدد تفرز مادّة كريهة الرائحة قتالة اذا دخلت المعدة · وهي سلاح الضفدعة فاذا مسّها مكروه افرزتها حالاً ولذلك يتجنبها ضواري الحيوان

ضفدعة الشجر — حجمها لا يكاد يبلغ نصف حجم الضفدعة النهرية او البعلية وظاهر جسمها اخضر زاهٍ وهي افضل مثال على الوقاية بواسطة الالوان · فان من عادات هذه الضفدعة ان تقيم بين الاعشاب او اوراق الشجر لا تبدي حراكاً وربما وقع النظر عليها فلا يميزها من الاوراق والاعشاب ولهذه الضفدعة قوّة على تسلّق الاجسام الملساء كالزجاج وغيره وذلك لان لها في اطراف اصابعها اقراص مستديرة تفرز مادّة غرويّة تمكّنها من التشبّث بالاجسام التي تضغط عليها على شرط ان لا تكون الاجسام رطبة فان الماء يخفّف عمل المادّة الغرويّة· وفي امكان هذه الضفدعة ان تعيش بعيدة عن الماء مكتفية بالندى الذي تجده على الاوراق والاعشاب ومتى حان اوان البيض عمدت الى بُرك الماء وباضت فيها بيوضاً صغيرة جداً وخضراء اللون ضاربة الى صفرة وهي تضعها في شكل مجاميع صغيرة وبيوضها اصغر من بيوض الضفدعتين السابق

ذكرها واكد لونا نكن طريقة نمو الدعاميص فيها واحدة · وكل الضفادع مفيدة لفتكها بالحشرات والديدان

ذوات الاذناب

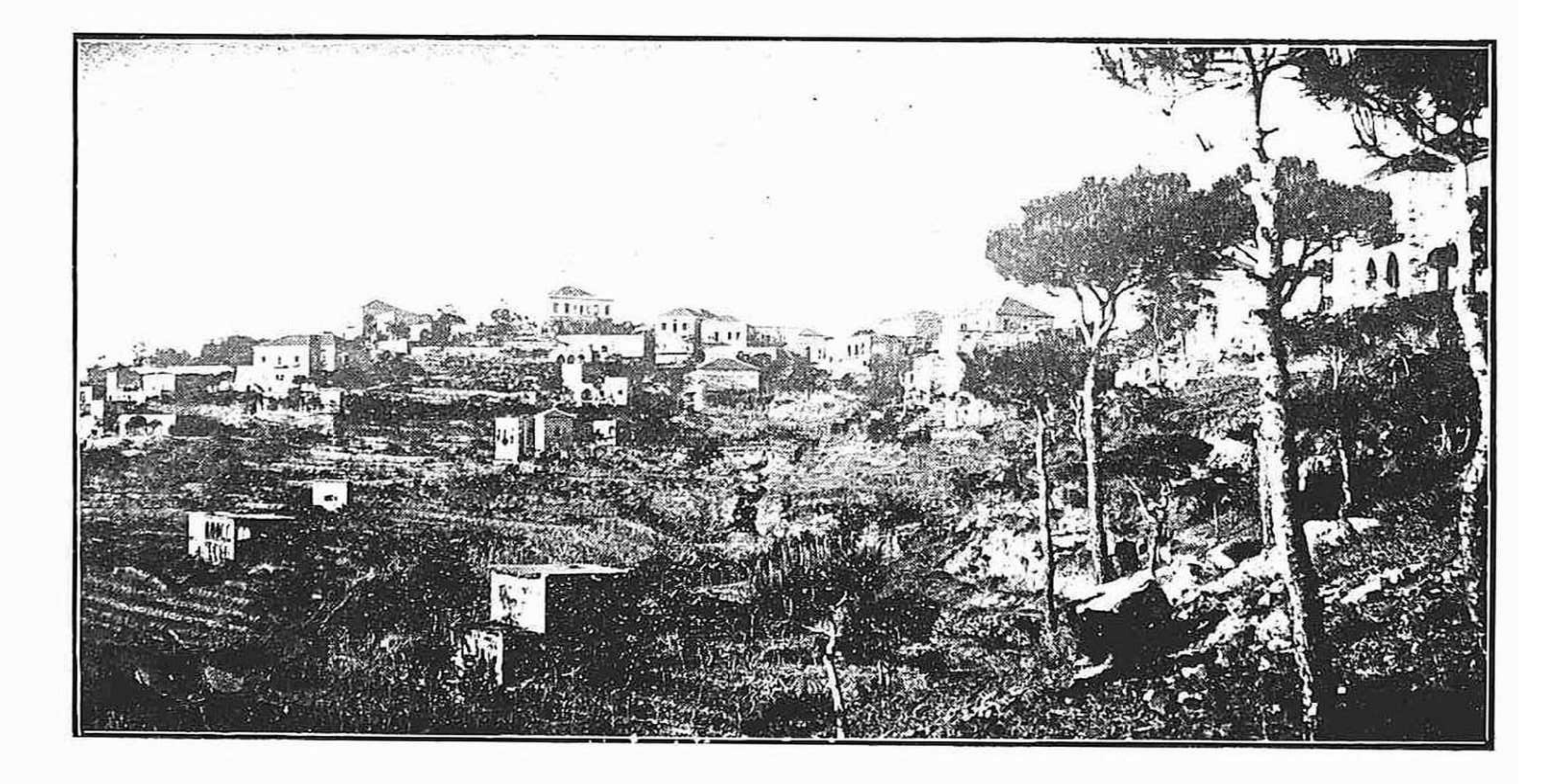
من هذه نوعان في لبنان كلاهما من ذوات القوائم الاربع وهما—

السمندل — وتسميه العامة لبطئه حربابة الشتاء واكثر ما يرى بعد المطر الشديد· ويبلغ طول السمندل الى طرف الذنب ما بين اثني عشر الى خمسة عشر سنتيمتراً · اما لونه فاسود مرقط بلون برتقالي ضارب الى الصفرة· والسمندل غليظ الشكل جلده رطب ناعم الملمس وفيه مسام تفرز مادة قتالة وذلك متى اصابه ضرر او قبض عليه بخشونة وهذه المادة تنشب منه تشبّ الى مسافة خمسة وعشرين او ثلاثين سنتيمتراً فيقي بها نفسه من الاعداء · على ان السمندل لا يتعمد اذية احد وهو مفيد لاكله الحشرات · وبيضه ينقاض وهو خارج من المبيض فتخرج الدعاميص حية من بطن امها والانثى تضع بيضها (عشرين او اكثر) في المياه البطيئة الحركة وصغارها شبيهة بالدعاميص الا ان لها اربع قوائم صغيرة وهي سوداء ضاربة الى الاصفرار ولا تكتسب لون السمندل الخاص الا تدريجاً في اثناء نموها

التريتون (ويجوز تسميته بحربابة الماء)- قليل في لبنان وطول البالغ منه الى اقصى الذنب ما بين عشرة الى اثني عشر سنتيمتراً · وهو ادق جسماً من السمندل ولونه رمادي مخضر بظلال وخطوط مكمدة والتريتون يعيش في الاماكن الظليلة الرطبة ويبيض في الماء وتكون صغاره في اول امرها دعاميص بلا قوائم ولها خياشيم ريشية على كلا الجانبين في رأسها وخلافاً لدعاميص الضفادع تظهر رجلاها الاماميتان اولاً ولا يؤذي هذا الحيوان الا اذا أُوذي فحينئذٍ تفرز غدد جلده مادة قتاله

السمك

في انهار لبنان كالدامور ونهر بيروت ونهر الكلب ونهر ابراهيم وغيرها بضعة انواع من السمك بعضها نهري وبعضها بحري يصعد الى الانهار في آجال معلومة فيثب فوق الشلالات والصخور· ولولا الصيادون الذين يصطادون السمك قبل بلوغه ليبلغ طول بعضه ما بين عشرين وثلاثين سنتيمتراً وهو من افضل انواع الطعام ويجب المحافظة عليه والاعتناء بتربيته فانه قد قل كثيراً لكثرة ما يصاد منه « بالطوربيل » والحوز وغير ذلك



قرية بيت مري في لبنان

مناخ جبل لبنان

فنّ خصائص الاقليم او علم مناخه ويعبر عنهُ في اللغات الاجنبية بلفظة «كليماتولوجية» يشمل وصف المناخ وتقرير اسبابه الخاصة وتأثيره على حياة النبات والحيوان وعلاقته بقوى الانسان الجسدية والعقلية والادبية وما ينتج عنها من الاعمال . ومناخ البلاد او جزء منها عبارة عن متوسط قيم الاحوال الجوية او معدلاتها واهمها الحرارة ثم الرطوبة التي يدخل تحتهـا البخار المائي والغيوم والمطر ثم الارياح والعواصف اما ضغط الهواء فليس من الامور الاساسية ولكنهُ يدلـــ على هبوب الرياح وينبئ بنوعها وجهة سيرها . والمناخ يختلف عن الطقس بكونه اعم لان الاخير عبارة عن الاحوال الجوّية لمكانٍ ما في وقت واحد ويدل عليه بالاعداد التي تدونها الآلات الميتيورولوجية اللازمة لذلك في وقتٍ ما فهو لذلك متغير دائماً وابداً بين ان المناخ ثابت لمدة من السنين وربما لاجيال عديدة . ويدل عليه بمعدلات الأرصاد المذكورة

وقد اهتم علماء الميتيورولوجيا اولاً بدرس المعدلات السنوية التي تتوقف على الارصاد اليومية (وهذه الأرصاد تؤخذ ثلاث مرات يومياً) وأحلُّوها المحل الاول . ولكنهم عدلوا عن ذلك مؤخراً وجعلوا المقام الاول لمعدلات ارصاد الفصول وخصوصاً للدال منها على اعلى درجات الحرارة واقلها ومعدلات اعظم كميات المطر الساقطة واقلها وكيفية توزيعها على مدار السنة. والأرصاد اللازمة لمعرفة المناخ يجب ان تشمل الامور الاتية : —

للحرارة — المعدلات الشهرية والسنوية ومعدلات اعلى الدرجات واقلها مع ذكر القيم المتطرفة ومعدل الفرق اليومي ومتوسط تواريخ اول الصقيع وآخره . ومعدل الاوقات التي تكون فيها الشمس مشرقة وكميتها . ومعدل حرارة التربة لاعماق متتابعة حتى تبلغ المترين

للرطوبة — معدل الرطوبة المطلقة والنسبية لكل شهر ومعدلـــ التبخر والغيوم والمطر الساقط شهرياً وسنوياً والأيام الماطرة والمثلجة وعمق الثلج وأول اوقات سقوطه وآخرها

للارياح — جهة هبوبها لكل شهر ومعدل السرعة . ويشترط ان تمتد اوقات الأرصاد لمدة سنين فتتناول دوراً او اكثر لتكون معدلاتها اقرب الى الحقيقة وتستمر متتابعة دون تقطع البتة وإلا فالعدول عنها اولى اذ لا فائدة منها

والمناخ يتوقف على امور كثيرة منها العَرْض ونسبة انتشار اليابسة (الارض) وسطح المياه والارتفاع والعلو فوق سطح البحر . وسلاسل الجبال وما يتخللها من الاودية وهُوّية سطح الارض من حيث نوع التربة والخضرة النابتة عليها ووجود الغابات ومقدار اتساعها وما شابه ذلك

اما متصرفية لبنان من حيث المناخ فتقع في المنطقة المجاورة للمنطقة الحارة ومن اشهر مميزاتها جفاف الهواء ولطف الحرارة في الصيف الجميل البهيج وكثرة الغيوم والامطار في الشتاء . فبعدها الكافي عن خط

الاستواء يقيها لفحات الحر المحرقة الخاصة بالمنطقة الحارة وموقعها بالنسبة لليابسة وسطح البحر الواسع يصد عنها غارات البرد القارس المتسلط على المنطقة المعتدلة من جارتها المتجمدة. فمناخها أجمل والطف مناخ على وجه الارض باجماع رأي العلماء

والبحث في مناخ لبنان وأحواله الجوية على طريقة علمية بالضبط والتدقيق متعذر (اذا لم يكن من باب المستحيل) الان وسببه انه ليس لدينا أرصاد يمكن الرجوع اليها والاستناد عليها سوى قياس المطر في بعض الامكنة لسنين قليلة كما سيرد في الجداول التي جعلناها ذيلاً لهذه المقالة. فسداً لهذا الخلل اتخذت خلاصة الارصاد الجوية المدونة في سجلات مرصدنا الفلكي والميتيورولوجي في بيروت ومدتها اربعون سنة بل اكثر. وجعلتها رائدي في البحث والكتابة بطريقة قياس التمثيل مستنداً على ما اتذكره من اختباراتي الشخصية في بلدتي الشوير وما هو لديَّ من أرصاد مرصد الكسارة في سفح الجبل في البقاع للآباء اليسوعيين

يخترق هذه المتصرفية ويكوّن القسم الاكبر منها اذا لم يكن كلها سلسلة جبل لبنان الغربي وطولها نحو من ١٨٠ كيلومتراً وأعلى قممها مجموعة ضهر القضيب فوق طرابلس ارتفاع اعلاها ٣١١٠ امتار فوق سطح البحر. ومعدل ارتفاع القسم الشمالي من هذه السلسلة الى مسافة ١٦ كيلومتراً ٣٠٠٠ متر وفي الستة عشر كيلومتراً التي تليها ٢٢٨٦ — ٢٤٣٨ متراً وبعد الاثنين وثلاثين كيلومتراً يهبط المعدل الى ١٩٨٠ — ٢١٣٠ متراً . ثم يأخذ بالارتفاع تدريجاً حتى يبلغ علوها في قمة جبل صنين ٢٦٥٠ متراً وتنخفض منه الى ١٨٣٠ متراً ثم ترتفع ايضاً في جبل الكنيسة فوق حمانا الى ٢١٠٠ متر وبعده تهبط الى ١٥٢٠ متراً في خان مزهر حيث تمر طريق سكة الشام . اما جبال الباروك والمعاصر وطولها ٦٤ كيلومتراً فعلوها ١٩٨٠ متراً ثم تومات نيحا وآخر الكل جبل الريحان الذي يهبط بالتدريج الى الايطاني

ويتخلل هذه السلسلة عدد من الأودية العميقة وطبقاتها مائلة الى الغرب ولذلك تكثر فيها الينابيع الغزيرة وجداول المياه والانهر بين ان الجهة الشرقية تنحدر بغتةً الى البقاع فلا يتكون فيها وادٍ جميل متسع سوى وادي زحلة فمياه هذه الجهة قليلة بالنسبة لمياه الجهة الغربية

ويكثر في القسم الشمالي من السلسلة اي من جبال ضهر القضيب حتى جبل الكنيسة وجود منخفضات مخروطية الشكل متسعة وعميقة تتراكم فيها الثلوج مدة الشتاء وتبقى في القسم الاكبر منها على مدار السنة فتصبح خزانات لمياه الينابيع والانهر اذ يذوب الثلج عنها بالتدريج ويجري الى اسفلها متطرقاً الى الاحواض المتكونة في قلب الجبل وعلى انتظام توزيعها يتوقف خصب الاراضي وجودة المزروعات

وبسبب وجود السلسلة المذكورة نقسم لبنان من حيث العلو الى ثلاثة اقسام الساحل والاواسط والصرود (الجرود). فمناخ الساحل باحواله الجوية يشبه المنطقة المجاورة للحارة ومناخ الاواسط يشبه المنطقة المعتدلة ومناخ الجرود يشبه جبال الألب وبرده يقرب من بردها . ونقسمه بالنسبة لوجهته الى قسمين الوجهة الغربية او البحرية والوجهة الشرقية فالغربية توازي البحر المتوسط وهواؤها لطيف منعش وفي الغالب ثابت ومعتدل . اما الوجهة الشرقية فتختلف عن الغربية اختلافاً بيِّناً فهواؤها جاف متغير كهواء داخلية البلاد

وللبنان في جميع اقسامه على الغالب فصلان فصل الشتاء وفصل الصيف وبالاحرى فصل الامطار وفصل اليبوسة او الجفاف اما الفصلان الباقيان اعني الربيع والخريف فقلما يشعر بهما سوى في الجرد

وكما ان وجود الانهر ومجاريها يتوقف على وجود الجبال كذلك يتوقف سقوط المطر وتوزيعه . وبما ان الارياح الغربية والجنوبية الغربية تمر فوق سطح المتوسط وتكون مشبعة بالبخار المائي ففي اثناء مرورها على الجبال تبرد وتسكب البخار مطراً وخصوصاً على الوجهة البحرية وكمية المطر تزداد بالتدريج كلما زاد العرض والعلو اي كلما ارتقيت شمالاً من قضاء جزين حتى تبلغ الى القمم بالقرب من طرابلس وهذا ظاهر في جدول مقياس المطر . فالمطر في بيروت اكثر مما هو في صيداء وفي الشويرا اكثر مما في عيناب وأعتقد انه في الجرود الشمالية اكثر منه في اي مكان آخر

اما بداءة فصل الامطار ففي اواسط او اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) ونهايته في اواخر آذار (مارس) وفي الغالب يسبقه ويتبعه ايضاً شهر فيه يقع امطار خفيفة . وأغزر الامطار تسقط في كانون الاول والثاني وشباط وبما أنَّ القسم الاكبر من البخار المائي يسقط مطراً على الوجهة الغربية فالباقي يقع في الجهة الشرقية وقد يبقى منه كمية قليلة تقع على جبل لبنان الشرقي والبلاد الداخلية . فالمطر في زحلة اقل بكثير مما هو في المكان المقابل له في الجهة الغربية

وبما ان الحرارة تتوقف على الارتفاع او العلو اكثر مما على العرض فهي كما ذكرنا سابقاً تختلف من الطقس الحار في السواحل الى ما هو معتدل في الاواسط ثم الى البرد في الجرود . ومعدل الحرارة مدة الصيف في بيروت قبل الظهر بساعتين ٢٩° بمقياس سنتكراد في الظل ومع انها ليست حرارة عالية لكن لكون الهواء مشبعاً بالبخار المائي ودرجة تكوُّن الندى واطئة فانه يشعر بها كما لو كانت اعلى من ذلك بكثير . ويقابلها في الوقت نفسه في الجبل على علو ٧٦٠ متراً فقط ٢٥° ولجفاف الهواء (نشوفته) لا يشعر بها كما في الساحل حتى ولو كانت فيه (الساحل) اقل من ذلك بكثير . وفي الجرود العالية درجة الحرارة اقل من ذلك بكثير. اما في الشتاء فدرجة الحرارة ١٤,٥° في الساحل ولذلك لا يحتاج الاهالي في الغالب الى الوقود لمجرد التدفئة ولكنها تهبط كثيراً كلما ارتفعت في الجبال حتى تبلغ درجة التجليد ويكثر الصقيع ويسقط الثلج وتكثر عواصفه فتنسدّ الطرقات ويهلك عدد ممن يقعون فريسة للزمهرير على الطرقات المؤدية للبقاع ويضطر السكان لاضرام النار للدفء ولبس الملابس الصوفية اللازمة لذلك ولكن اهل اليسار يتركون اوطانهم ويقصدون السواحل لاجل تمضية الشتاء هرباً من برده القارس كما يفعل اهالي اهدن وبشرّي وحصرون لان الحرارة فيها (السواحل) عالية وبالجهد تبلغ درجة التجليد والثلج لا يسقط الا فيما ندر ولكن يغلب سقوط البَرَد في شهري شباط وآذار

ذكرت ان الحرارة تكون في الظل ٢٩° مدة الصيف ولكنها في الوقت نفسه تكون في الخارج ٦٣° او ٦٥° لان اشعة الشمس المحرقة تنصبّ على الارض وقتاً طويلاً ويندر جدّاً وجود غيوم في الجوّ تعيقها وتلطف حرارتها .

وسقوط المطر في فصل الصيف أندر من النادر كما هو ثابت من سجلات مرصد الكلية وارصاد الدكتور كارسلو في الشوير. ولكن يكثر وجود الضباب في لبنان وسببه ارتفاع الجبل كجدار صخري عظيم يقوم كحاجز في وجه البخار المائي المتصاعد من سطح البحر محمولاً بالارياح الغربية الجارية الى الداخلية لتقوم مقام هوائها الذي يتمدد بالحرارة ويرتفع الى طبقات الجو العالية · وعند هذا الجدار تتكاثف الغيوم التي ترى في اعالي الجبل بين ٧٦٠ و ٢١٥٠ متراً · والضباب يتكاثر في بعض الجهات كعاليه وصوفر وبكفيا وقسم من ضهور الشوير · فيتصاعد اليها في كثير من ايام السنة وليس سببه علوها فقط بل موقعها ايضاً بالنسبة الى الجبل والى الاودية المحدقة بها وتكون فيها درجة الرطوبة اقل بقليل من درجتها في بيروت والساحل ولكن في غير مراكز قلما يظهر الضباب مدة الصيف ولذلك تكون اكثر جفافاً ودرجة الرطوبة فيها قليلة جداً ولكنها كافية لتجعل الهواء مقبولاً ومنعشاً للاجسام

أما الارياح فتهب في جميع الجهات ولكن الغالب فيها الجنوبية الغربية ثم الغربية فالجنوبية · وفي نيسان واوائل ايار يشتد هبوب الرياح الشرقية (الشرقية او الشلوق) وبالطبع يصحبها جفاف نادر فترتفع الحرارة كثيراً وتهبط درجة الرطوبة النسبية الى اقلها فتضيق الانفس ذرعاً · وهي في الجبال اصعب منها في السواحل لوجود البخار المائي ولو بكميات قليلة ولكنها لا تدوم كثيراً ويعقبها في الغالب مطر فتنتعش الانفس وتنشرح الصدور وتحيا النباتات · وقد ذكرنا سابقاً ان الارياح الجنوبية الغربية والغربية تدفع البخار المائي الى نواحي الجبل فيتحول الى مطر ولذلك تكون كمية المطر متوقفة على معدل هبوب تلك الارياح وطول مدتها وشدتها والمطر يسقط في الغالب بطريقة لطيفة فتمتصه التربة وتخزنه الى ايام القيظ وبعض الاحيان ينهال كسحب شديدة جارفة فيجرف التربة ويسبب اضراراً قد تكون في بعض الاحيان جسيمة

ومن المقرر ان الارياح متقلبة ولكن درجة تقلبها وتغيرها ليست عظيمة ثم يتبعها في التغير والتقلب كمية المطر ولكن درجة الحرارة أثبت وأنظم بكثير فان تغيرها وتبدلها زهيد للغاية في نفس الشهر · والفرق بين المعظم والأقل ليس كثيراً خلافاً لما هو معلوم في سائر البلدان · وقد ذكر لي المرحوم الدكتور بوست انه شاهد بعينه ميزان الحرارة يدل على فرق ٣٦° في يوم واحد في مدينة نيويورك بيد ان هذا الفرق او ما يقاربه لا يحصل معنا في بيروت إلا اذا اخذنا الفرق بين حرارة أحرّ يوم في أحرّ صيف وأبرد يوم في ابرد شتاء لعدد من السنين كما ترى في الجداول · والفرق بين حرارة النهار والليل نحو ٦° وفي الغالب اقل · وارتفاع الحرارة من وسط الشتاء الى وسط الصيف في الغالب متدرج وثابت وقلما يحدث فجأة وكذلك هبوطها من وسط الصيف الى وسط الشتاء · والبارومتر يتمشى على خطة ميزان الحرارة فتقلبه معتدل وتطرفه قليل

اما نقاوة الهواء وصلاحيته للصحة وصفاء الجو في لبنان فذلك امر مشهور لا يحتاج الى وصف · فهو جيد جداً منعش للقوى ونظام المناخ لطيف جداً ومعتدل للغاية مع تغيرات واختلافات كافية لتقوية البنية الجسدية وجعل السكان اشداء فضلاً عن انه تساعد على تربية اخلاق جميلة وصفات حميدة امتاز بها سكان

الجبل. وبما ان الحرارة كافية لتغني عن الوقود في السواحل ايام الشتاء وعن نفقات ملابس خصوصية لاشهر الصيف الطويلة فهي صالحة لسكنى عدد اكبر من الناس بالنسبة لغيرها من الاماكن التي يضطر فيها السكان لاستحضار الوقود والثياب

زد على ذلك ان الظروف تساعد النبات ايضًا على النماء فينمو فيها ما يحتاج الى رطوبة وما هو في غنىً عنها حتى انك لا ترى شبراً من التربة إلاّ وفيهِ شيء مفيد للانسان اما مباشرة او بالواسطة

بقي عليَّ ذكر امر واحد اختم به كلامي وهو الغابات والاحراج في لبنان فانها قليلة جدًّا والجبال من اولها الى آخرها تقريبًا جرداء قرعاء يسلك فيها السالك ساعات لا يرى شجرة ترمي ظلاًّ او تمسك تربة. فلو كانت الحالة كما ينبغي ان تكون لا على ما هي عليهِ الآن لكانت البلاد أحسن بقاع الله ماء وهواء وجمالاً وجلالاً ولاعتدلت فوق اعتدالها فصولنا فكان صيفنا أعلّ هواء وألطف حرًّا واقل جفافًا واطّرد شتاؤنا فكان اكثر مطراً وجاء الباكر منهُ والمتأخر في اوانهما معتدلين لا طوفانًا يجرف التربة جرفًا ويخرب السواحل تخريبًا ولا رذاذاً او طلاًّ لا ينقع صدىً ولا يروي لارض غليلاً

تنبيه — الجداول الآتية مستخرجة من أرصاد المرصد الفلكي والميتيورولجي في الكلية الاميركانية وهو واقع في طول ١٠'' ٢٨' ٣٥° وعرض ٢٢'' ٥٤' ٣٣°



جدول ١

الحرارة في الظل مقياس سنتكراد

	الأعلى	الأقل	المتوسط	البارومتر	الرطوبة ٪
كانون الثاني	١٦،٦°	٩،٨١°	١٣،١°	٧٦٣،٣٦ مليمتر	٦٨،٦
شباط	١٦،٨٤	٩،٨٤	١٤،٣	٧٦١،٨٣	٧٠،٨
آذار	١٩،٣٧	١١،٦٨	١٥،٥	٧٦٠،١٠	٧٠،٨
نيسان	٢٣،٣	١٤،٢	١٨،٧	٧٥٩،٧٨	٧١،٥
ايار	٢٥،٣	١٧،١	٢٢،٠	٧٥٩،٠٨	٧٠،٤
حزيران	٢٨،٣٦	٢٠،٤	٢٥،١	٧٥٧،٩٢	٦٨،٣
تموز	٣١،٠١	٢٢،٣	٢٧،٤	٧٥٥،٥٤	٦٧،٣
آب	٣١،٦١	٢٢،٩١	٢٨،١	٧٥٥،٧٨	٦٥،٩
ايلول	٣٠،٠٧	٢٢،٢٩	٢٦،٨	٧٥٨،٧٨	٦٢،٦
تشرين الاول	٢٧،٥٣	١٩،٨	٢٤	٧٦٠،٨٥	٦٦،١
تشرين الثاني	٢٢	١٥،٨٨	١٨،٩	٧٦٢،٥٦	٦٦،٧
كانون الاول	١٩،٢	١١،٥٦	١٥،٢	٧٦٣،١٩	٦٨،٧

٧ ، ٤١° اعلى حرارة مدة ٤١ سنة وذلك في ١٨ ايار سنة ١٩١٦

— ١،١° (تحت الصفر) اقل حرارة مدة ٤١ سنة وذلك في ٣٠ كانون الاول سنة ١٨٩٧ و٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٧

اعلى ما وصل اليهِ البارومتر ٧٧٥،٢ مليمتر في ١٦ شباط سنة ١٩٠٨

اقل » » » ٧٤٥،٨ » في ٢٣ آذار سنة ١٩١٠

جدول ٢

معدل المطر الشهري

	قيراط	مليمتر
ايلول	،٤٣	١٠،٩٢
تشرين الاول	١،٩٢٥	٤٨،٨٨
تشرين الثاني	٥،٣٢١	١٣٥،١٣
كانون الاول	٨،٠٨٩	٢٠٥،٤٦
كانون الثاني	٧،٢٨٣	١٨٤،٩٢
شباط	٥،٩٨٧	١٥١،٨٦
آذار	٣،٦٣٣	٩٢،٢٥
نيسان	٢،٠٠٩	٥١،٠٠
ايار	،٦٦١	١٦،٨٠
حزيران	،٥	١٢،٧٠
المعدل السنوي	٣٥،٩٩٥	٩١٤،٢٧

اعظم كمية هطلت في وقت واحد ٥،٥ القيراط او ١٣٩،٧ المليمتر في ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٩٥

ارصاد الارياح وجهة هبوبها (على معدل المئة)

الشمال	الشمال الشرقي	الشرق	الجنوب الشرقي	الجنوب
٤،٩	١٣،٩	٥،٢	٤،٥	٤،٨

الجنوب الغربي	الغرب	الشمال الغربي	السكون
٣٧،٣	٨،٩	٣،٣	١٧،٢

جدول ٣

معدل المطر السنوي في المراكز الآتية

	مليمتر	مدة سنة
صيدا	٨٢٠٫٤٣	٥
بيروت (الكلية)	٩١٤٫٤٠	٤١
العصفورية	٨٤٣٫٢٨	٣
سوق الغرب	١٢٧٠٫٠٠	٥
عيناب	١٣٣٨٫٥٨	٥
عاليه	١٣٦٩٫٠٦	٧
الشوير	١٤٦٨٫١٣	٢٥
زحله	٩٣٩٫٨٠	٥

جدول ٤

ارتفاع المراكز الآتية فوق سطح البحر

المكان	متر	المكان	متر
حمانا	١٠٩٠	صوفر	١٢٩٠
عين زحلتا (اللوكندات)	١٢٠٢	محطة ضهر البيدر	١٥٠٠
جبل الباروك	١٩٨١	خان مزهر	١٥٣٠
جبل المعاصر	٢٠٠٩	المريجات	١٢٠٤
نبع الباروك	١٠٨٢	شملان	٦٧٧
نيحا	١٠٤٧	عيناب	٧١٤
جزين	٩٠٢	دير القمر	٧٧٤
تومات نيحا : القمة الشمالية	١٧١٥	بيت الدين	٨٢٦
جباع الحلاوي	٧٨٨	المختارة	٧٦٣
جديدة الشوف	٧٥٢	جسر القاضي	١٩٥
باتر	٧٦٠	عبيه	٧٢٠
جعيتا	٣٤٠	برمانا	٧٠٠
عجلتون	٨٨٥	بكفيا	٩٢٢
ريفون	١٠٧٩	الشوير : عين القسيس	١٢١٠
فيطرون	١٢٢٦	ضهور الشوير : كنيسة الكاثوليك	١٢٥٠
جسر الحجر الطبيعي قرب نبع اللبن	١٦٢٥	المروج - الكنيسة	١٢٥٣
نبع الحديد	١٥٩٣	نبع المنبوخ	١٤٦٧
افقه	١١٤٣	نبع صنين	١٦٧٦
العاقوره (العين)	١٣٩٦	جبل صنين	٢٦٥٥
اللقلوق (عين البارده)	١٩٥٦	جبل الكنيسة	٢١١٨
حصرون	١٣٦٧	جبل المكمل	٣١١٥
الارز	١٩٦٠	قرنة السوداء	٣١١٢
عاريا	٥٤٩	سير	٩٦٠
عاليه	٧٢٨	المرمل	٨٠٤
بحمدون	١٠٨٢	زحله	٩٦٦

الآثار القديمة في لبنان

انّ موقع لبنان على مقربةٍ من البحر المتوسط في احدى مناطق الارض المعتدلة الهواء المستوقفة اليها ابصار الشعوب لِما تشملهُ من مرافق الحياة وطيب المعاش قد كان داعيًا الى ان تقاطرت اليهِ الامم وازدحمت فيهِ السكّان في سائر اطوار الزمان· وذلك ايضًا ما حدا بالدول الفاتحة الى ان تطمح اليهِ بالنظر لتستولي عليهِ وتضمّهُ الى املاكها· على انّ اولئك الفاتحين الذين بسطوا حكمهم على لبنان وضواحيهِ واورثوهُ سلالتهم دارت عليهم دوائر الدهر فقام في اثرهم دول جديدة ضبطت بعدهم ازمّة الامر· لكنّ الامم البائدة لم تتوارَ دون ان تخلّف للواردين على عقبها شيئًا من آثارها المنبئة بعظم اعمالها وسموّ مقامها

ولا مِراءَ انّ تلك الآثار كانت وافرةً عديدة لا يكاد يفي بها الإحصاء غير انّهُ لسوء الطالع قد أخنى الدهر على القسم الاكبر منها· وانما كان سبب ذلك الدمار توالي الدول وتعاقبها في غزو لبنان وربما قامت الدولة الجديدة فأبادت ما شيّدتهُ الدولة السابقة امّا بغضًا لها ومحوًا لآثارها وامّا التماسًا لموادّ ابنيتها لحاجتها اليها لتشيّد بها مباني اخرى اوفى بمرامها· ومن ثمّ ترى ما صبر من تلك الآثار السالفة على آفات الدهر قليلاً جدًّا بالنسبة الى ما تلف منها ودخل في خبر كان

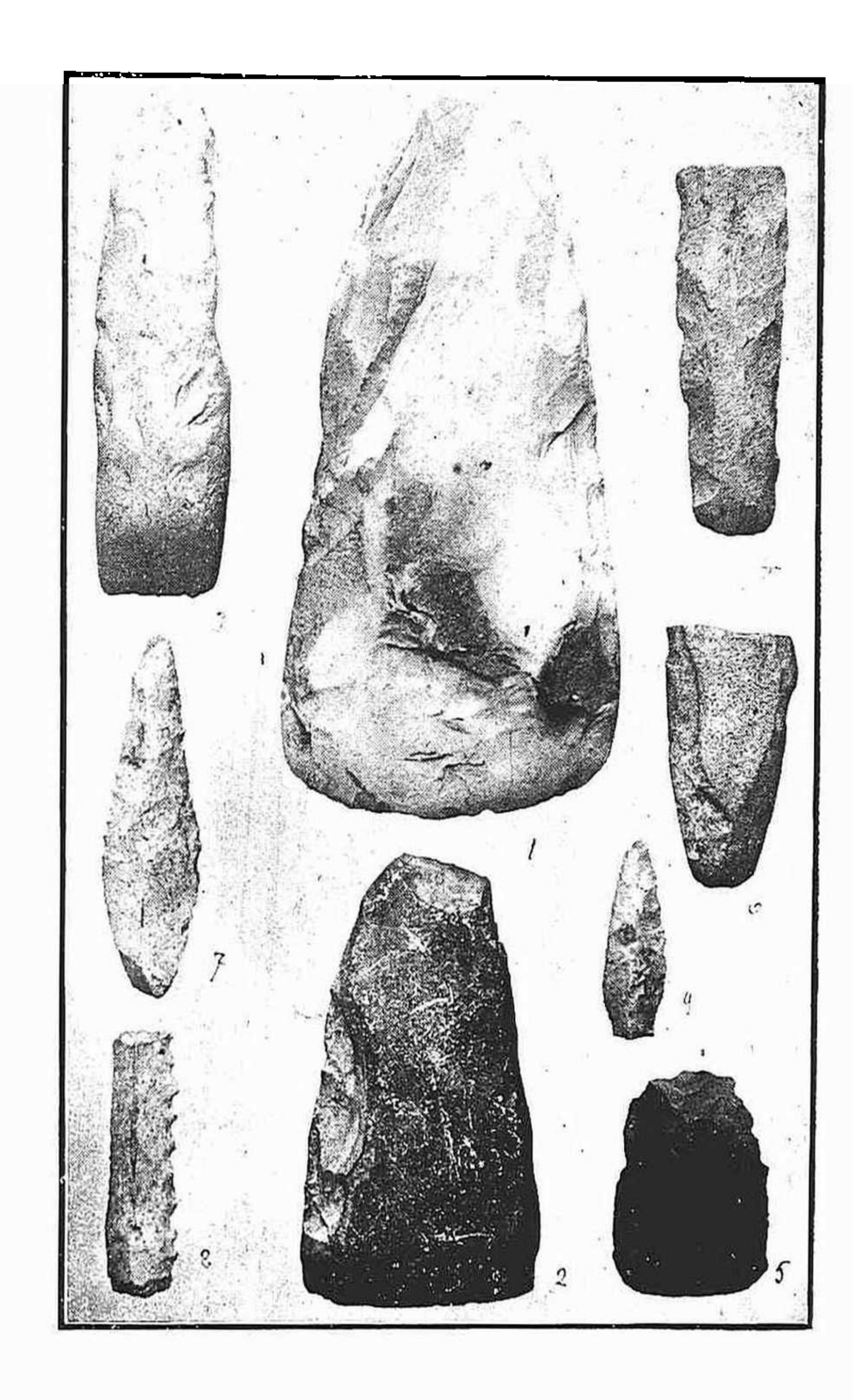
ومرادنا في هذه النبذة ان نتتبّع ما بقي من الآثار المذكورة ونجمل فيها القول على حسب ترتيب الازمنة وكرور الدهور

١ الآثار الطرّانية في لبنان

ان سرّحنا البصر في انحاء لبنان لنستدلّ على اموره واحكامهِ في الازمنة الاولى السابقة للتاريخ ثبت لنا انّ اوّل من استوطن لبنان وسفوحهُ قبائل همجيّة كانت تسكن اوّلاً في براريّ بلاد الجزيرة· فلمّا قويت شوكة ملوك بابل واتّسع نطاق دولتهم عمدوا الى محاربة تلك القبائل فاندحرت وتقدمت الى الغرب وحطّت رحالها في نواحي بلاد الشام وسواحل البحر الابيض المتوسط· وكانت عيشة اولئك القوم في همجيّتهم ساذجةً فطريّةً فكانوا يأوون الى الكهوف والمغاور في ايام الشتاء ويعيشون في بقية فصول السنة تحت القبة الزرقاء او ينصبون لهم خيامًا من اغصان الشجر او جلود الحيوانات

ولبست تلك الازمنة خاليةً من الآثار ألا وهي عين الكهوف التي سكنوها ومنها في اغوار لبنان وسواحلهِ عدد عديد وجدوا فيها بقايا اطعمتهم وهي عظام الحيوانات التي كانوا يقتنصونها فيقتاتون من لحومها· وتلك الحيوانات منها ما هو معروف كالغزلان والايل وحمار الوحش ومنها ما هلك جنسهُ فاصبح اثرًا بعد عين كصنف من البقر البرّي المحدودب وغيرهِ

ومن تلك الآثار مدافن لموتاهم كانوا يقبرونهم غالبًا في مغاور او كهوف ينقرونها في جدران الصخور او



ظرّان فينيقية ولبنان

يحفرونها في اعماق الارض على شكل الآبار فيعرضون فيها موتاهم على دكك او ينزلونهم في اجران مربعة الزوايا مستطيلة متقاربة ثم يدحرجون الحجارة الفخمة على باب المدافن او فوهة الآبار

واخصّ تلك الآثار ما يعرفهُ العلماء بالظرّان وهي الحجارة ولا سيما الصوَّان الذي اتخذهُ اهل تلك الاجيال القديمة قبل اكتشافهم للحديد فاستحضروا منهُ الادوات المختلفة لسدّ حاجاتهم كالصيد والقنص ومحاربة الاعداء والدفاع عن نفوسهم . وقد حدّدوا الصوَّان وعظام الحيوانات وجعلوها على اشكال شتى وفقاً لغاياتهم . والباحثون عن عاديَّات الشام وجدوا في لبنان وسواحل فينيقية عدَّة مصانع كانوا يصطنعون فيها تلك الادوات الحجرية وهم يقسمونها الى طورين طور الحجارة المنحوتة وطور الحجارة الصقيلة

❋ طور الحجارة المنحوتة ❋ وجد ارباب العاديَّات من هذا الطور الاوَّل سبع محطات في لبنان ١) اوّلها جنوبًا محطة عدلون في منتصف الطريق بين صور وصيداء فهناك مدفن غاية في القدَم وُجدت فيه آثار البشر الاوَّلين في فينيقية . ٢) واذا سرت شمالاً على سيف البحر بلغت الى منهل في لحف الجبل قريبًا من عين القنطرة عند جدول ينصبّ في البحر ويدعى جدول عُقَيبَة اتخذهُ الآدميُّون الاوَّلون كمقام لسكناهم في فينيقية ولتهيئة ادوات الظرّان ٣) ثمَّ تسير الى بيروت فتجد عند نهره قريبًا من الجسر الحاليّ محطَّة ثالثة لاستحضار الظرّان ٤) واذا قطعت من الساحل نحو ١٥ كيلومترًا انتهى سيرك الى قرية انطلياس حيث وُجدت مغارة كبيرة واقعة في مدخل وادي هذه البلدة كانت مستودعًا غنيًّا لظرّان الاقدمين ٥) ثم سر من هناك نحو اربع ساعات فتصادف نهر ابراهيم وبجواره مغاور كانت معامل للظرّان ٦) وكذلك عند البترون شماليّ القرية نهرٌ يسمَّى نهر الجوز ففي غور واديه على الطريق المؤدية من كفرحيّ الى كفتين صخر يمتدّ كالرواق تحتهُ مغارة مكشوفة الجوانب اصطنع فيها قدماء اهل لبنان ظرّانهم المنحوت ٧) وآخر محطَّة للظرّان المذكور ضفَّة نهر ابي علي قريبًا من طرابلس . ففي كل هذه المقامات وجد الاثريُّون شيئًا كثيرًا من الظرّان

امَّا اشكال الظرّان المذكور الذي وقف عليه اصحاب الآثار فهي عبارة عن قطع مختلفة الطول والعرض والغلظ من الصوَّان او العظم نُحتت بمطارق من الحجارة الصلبة البركانيَّة فحدّدوا رؤوسها ونحتوها على اطرافها وجوانبها وجعلوا بعضها شفاراً ومدًى وبعضها مجارف ومساحي وغيرها محاكّ ومنها ما جعلوهُ نصولاً . ومنها ما يرى كالمخارز او المناشير . وفي الكليَّة اليسوعيَّة مجموع كبير منها كلّها وكذلك عند الاثري الاسوجي المسيو رودلف في الضبيه . وفي كلّ هذه المحطَّات ركام من عظام الحيوانات التي كانوا يأكلون لحومها فيقطعونها بالادوات الظرّانية المذكورة

❋ طور الحجر الصقيل من الظرّان ❋ ذهب العلماء اوَّلاً انَّ لبنان يخلو من الظرّان الصقيل فانكروا وجودهُ فيه بيد انَّ المحدثين منهم تحققوا بعد البحث المدقّق بطلان هذا الرأي اذ وجدوا في عدة امكنة منهُ امثالاً دالَّة على حذق صانعيها ومما يمتاز به هذا الطور انَّ ادواتهِ مع نحتها كالظرّان السابق وصفهُ صقلت صقلاً محكماً . ويلحق بهذا الطور قطعٌ خزفيَّة غير محكمة العمل تزينها نقوش بسيطة تنبئ

بجميل اصحابها بفن التصوير · وطور هذا الظران اقرب عهداً الينا من الظران المنحوت
وقد وقف العلماء المحدثون على ست محطّات اصطنع فيها قدماء الفينيقيين صقيل الظران ووصفها في مجلة المشرق الاب زموفن استاذ الطبيعيات في كليّة الآباء اليسوعيين في بيروت ١) اولها جنوباً محطّة نهر الزهراني على بعد ساعةٍ من صيداء · ٢) ثمَّ مصنع رأس بيروت قرب الاوزاعي جنوبي غربي المدينة عند طرف رمالها الرمليّة · ٣) ثمَّ محطّة رأس الكلب بجوار نهر الكلب قريباً من كتابات وتصاوير قدماء المصريين والبابليين المشرفة على النهر فهناك ركام من الظران الصقيل مع بقايا كثيرة من عظام الحيوانات المكسّرة التي اقتاتوا من لحماتها ٤) وفي جعيتا عند المغاور التي تنبجس منها مياه نهر الكلب على مسافة سبعة كيلومترات من مصبهِ في البحر ٥) ثمَّ مغارة المعاملتين عند الجسر الروماني الباقية آثارهُ هناك على طريق الساحل شمالي جونية ٦) واخيراً محطّة حراجل بين ميروبا وفارياً قريباً من منبع نبع العسل الشهير في لحف جبل صنين

وفي كلٍّ من هذه المحطّات الست عظام حيوانات كان يصطادها اهل تلك الازمنة البعيدة ليغتذوا بلحمها · وفي جملتها عدة احجار صوّانيّة منحوتة مصقولة اتخذوا منها ادواتٍ شتى كالفؤوس والازاميل والمثاقب والمقاطع والمقاشط والمناشير والمخارز والسهام والشفرات وسنن الرماح · وترى معها ادوات الصقل التي كانوا يستعينون بها لعملهم · وربما وُجدت مع هذا الظران قطعٌ من الخزف المعاصر له غير محكم الصنع
هذا ما خلّفهُ اولئك الاقوام في سالف اعصارهم الخالية وهي تنطق بلسان حالها عمّا بلغوهُ من النشاط وما امتازوا بهِ من البأس والمراس وكيف اهتدوا بعقلهم الصائب الى تلك الادوات الكافلة بمعاشهم فتمكنوا من الحيوانات الضارية فردُّوا عنهم اذاها واتخذوها ما كلاً · واما تعريف زمن تلك الادوات وتاريخ اصحابها فلا سبيل الى الوقوف عليهِ

ويجوز ان نلحق بهذه العاديات السابقة للتاريخ اجساماً آليّة من نبات او حيوان قد تحجّرت بكرور الاجيال فبقي منها في انحاء لبنان شيء كثير يُسرّ بجمعهِ ارباب علم الطبقات الارضية · وفي متحفي الكليتين اليسوعية والاميركية اجناس شتى من هذه المتحجرات منها نباتية ومنها حيوانية على شبه الاسماك يُرى منها حتى اليوم في ساحل علما وفي جديدة عرمون

٢ الآثار اللبنانية الكنعانية

ان اقدم الشعوب التي افادنا التاريخ عن سكناهم في لبنان وسواحل بحرهِم الكنعانيون بنو كنعان بن حام ابن نوح وبهم دُعيت فينيقية مع الجبل المشرف عليها باسم بلاد كنعان · وكان المصريون يسمون الكنعانيين بوني او فوني ومن هذا الاسم اشتقّ اليونان اسم الفينيقيين ودعوا بلادهم فينيقية ثم زعموا ان اللفظة يونانيّة « فوينيكس » معناها النخل فقالوا ان فينيقية يُراد بها بلاد النخل لكثرتهِ في سواحل بحر الشام
وكان الكنعانيون يسكنون اولاً في الجزيرة اي بلاد ما بين النهرين ثم قويت دولة الكلدان الاولين

واتّسعت فدحرهم ملوكها فتقدموا زاحفين شيئًا فشيئًا الى الغرب حتى بلغوا سورية واحتلّوا جبالها وضربوا خيامهم في سواحل بحرها المتوسط بعد ان غلبوا سكانها الهمجيين الاوّلين. ثم اختلطت ببني كنعان قبائل آرامية منسوبة الى آرام آخر اولاد سام بن نوح دُحرت مثلهم من الجزيرة الى جهات الشام. وكانت لغة بني كنعان العبرانية ولغة الآراميين السريانية

والى هذه العناصر الاولى من الفينيقيين ترتقي آثار عديدة تنبئ بتمدن ذلك الجيل ورقيهم في الفنون والصنائع اخصها تلك المدن الممصّرة التي تزين حتى يومنا سواحل الشام كجبيل وبيروت وصيداء وصور. واقدم هذه المدن وعروقها في ظلمات التاريخ زعم الكتبة الاقدمون ان بُناتها آلهةٌ ليسوا بشراً وذلك مذهب اوّل من سطّر تاريخ فينيقية وهو سنكن يتن البيروتي الذي ازهر في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وكان كاهنًا لاحد معابد الآلهة في جبيل. فهذا صنّف تاريخًا لاوطانه ضمّنهُ كثيراً من التقاليد القديمة نقلها عن سجلاّت الهياكل الوطنية وعن نقوش جدرانها. على انهُ لسوء الطالع قد فُقد القسم الاكبر من هذا التاريخ ولم يبقَ منهُ سوى مقاطيع منثورة استعارها الكتبة من بعدهِ كفيلون الجُبَيلي ونيقولا الدمشقي واوسابيوس القيصري وبرفيريوس الصوري. منها يتّضح انَّ في عهد سنكن يتن كان اصل مدن فينيقية مجهولاً منسوبًا الى بُناةٍ عريقين في القدم جعلوهم من عداد الآلهة. لكنَّ هذه الاساطير المختلقة والخرافات الموضوعة لا تخلو من حقيقة تاريخية منها يستدل على انَّ تلك المدن متوغلة في القدم يصحُّ نسبتها الى اولئك الكنعانيين الاوّلين الذين تعلّموا من الكلدانيين فنّ البناء فتقلدوهُ في مواطنهم الجديدة. وقد اثبت العلماء انَّ في تلك المباني القديمة عدّةَ خواصٍ متشابهة بابنية الكلدان

ثم اكتُشفت قبل ثلاثين سنة رسالات تلّ العمارنة في مصر في الفيّوم وهي كتابات باللغة الفينيقية القديمة مكتوبة بالقلم الاشوري ارسلها امراء سواحل الشام الى سادتهم فراعنة مصر في القرن الخامس عشر قبل المسيح ليطلعوهم على احوال بلادهم فوجدوا فيها دلائل ساطعة على الآثار الفينيقية. من قصور وحصون وعمارة سفن بحرية جهزّها اهل فينيقية في تلك الاعصار البعيدة. ولا غرو انَّ تلك الآثار الفنّية الاولى شيّد الفينيقيون معظمها لمناسكهم الدينية لاكرام آلهتهم كمعابد وانصاب وتماثيل لعبَ الزمان باكثرها فتلفت

وقد بقي منها في لبنان قرية غينة قريبًا من كفور في مقاطعة كسروان على صخر هناك صورة الههم تمُّوز او ادونيس الذي قتلهُ خنزير برّي اذ خرج للصيد فيُرى الاله مقاتلاً لوحشٍ ضارٍ يهجم عليهِ. وبقرب هذه الصورة صخرٌ آخر يمثل امرأةً وهي الزهرة او عشتروت تبكي على ادونيس عشيقها. وكان قديمًا لاهل جبيل موسم سنوي في اوائل الربيع يبكون فيهِ على تمّوز ويحمل كهنتهم تمثالهُ في موكب عظيم الى نهر ادونيس وهو نهر ابراهيم فيلقونه في مياههِ. ثم يعودون بهِ فرحين الى مدينتهم كأن الاله خرج من المياه بحياة جديدة منبعثًا من الموت

٣ الآثار المصرية في لبنان في عهد الفراعنة

انَّ الكنعانيين والآراميين المستعمرين في سورية ولبنان لم يذوقوا طويلاً هناء الحرّية والاستقلال ويؤخذ من كتابات الاشوريين والكلدان الاوّلين انهم اغاروا على لبنان وبسطوا عليهِ وعلى سائر سورية سيطرتهم في الالف الثالث الى اواخر الالف الثاني ق٠م٠ وقد روت التوراة في سفر التكوين احدى غزواتهم لفلسطين في عهد ابراهيم الخليل٠ ومن ذلك الحين غلب على القطر الشامي اسم سورية اقتضبوه مع تخفيفهِ من اسم اشورية٠ امَّا آثار ذلك الجيل القديم فمطموسة غالباً لم يبقَ منها الا النزر القليل لا سيَّما لهجتهم الكنعانية التي امتزجت باللغة الاشورية

وفي القرن السادس عشر قبل المسيح قويت شوكة المصريين فاخذ الفراعنة يطمحون بابصارهم الى الاصقاع الواقعة شمالي بلادهم بجزيرة العرب وفلسطين وسورية فسار تحوتمس الاوّل الى القطر فدوّخه وافتتحهُ افتتاحاً يسيراً ثمَّ عاد اليهِ خلفاؤه امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع من السلالة الثامنة عشرة فثبَّتوا عليهِ سلطتهم٠ وقد اشتهر بعدهم رعمسيس الذي المعروف عند اليونان باسم سيسوستريس



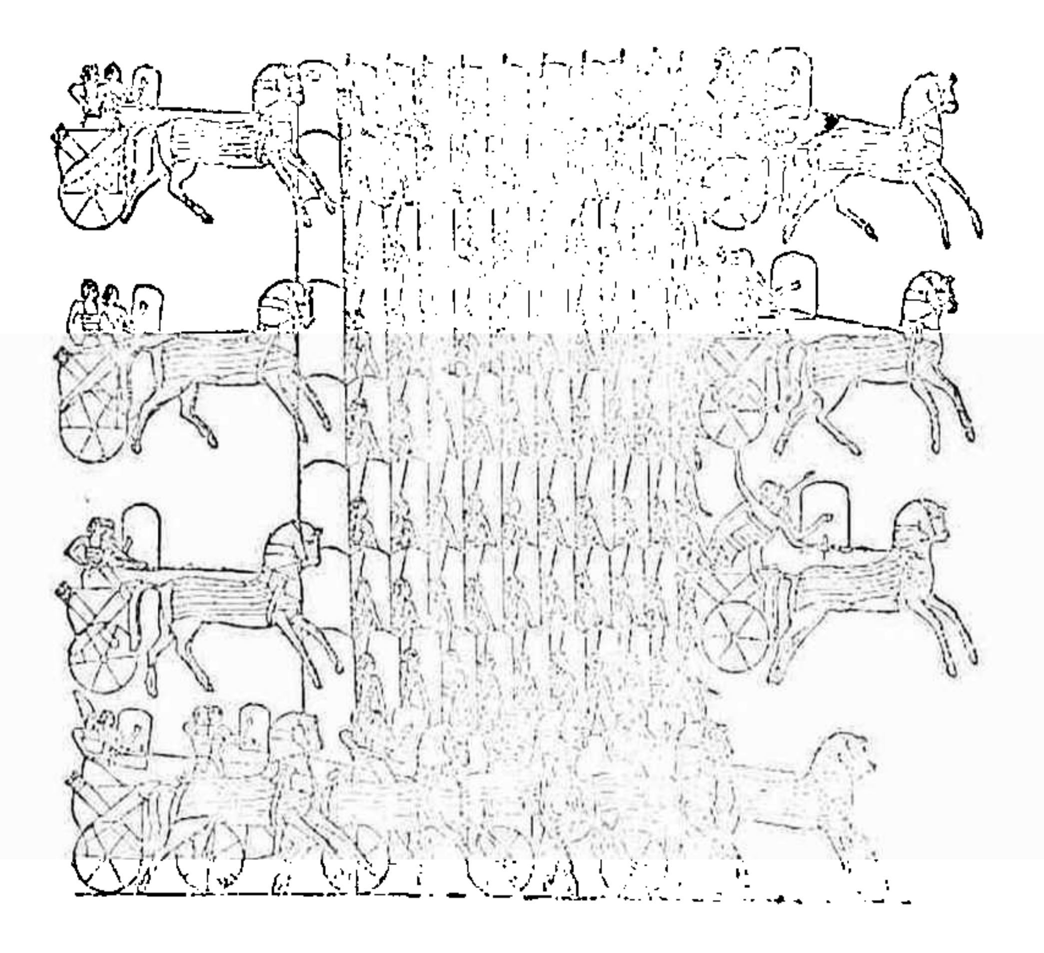
رعمسيس الثاني على مركبته الحربية

فزحف الى سورية وذلَّل المناصبين لدولتهِ وتوغَّل في البلاد حتَّى بلغ قيليقية وسهول الفرات٠ ولنا على حلولهُ في سواحل لبنان اثر جليل في الصخور المطلَّة على نهر الكلب فانَّ صورتهُ هناك منقوشة على احد انصابهِ٠ تراه قائماً في ثوبه الملوكيّ بازاء معبودهِ « راع » ساجداً لهُ وفيهِ كتابة هيروغليفيَّة تتضمن وصف فتوحات الفرعون وغزواتهِ العديدة ٠ وفي المكان عينهِ نصبٌ آخر يمثّل بعض الفراعنة مع الإله عمُّون ورقيم هيروغليفيّ مطموس٠ ولعلَّ الفرعون هو تحوتمس الثالث الذي جرى مجرى رعمسيس فغزا مثلهُ بلاد الشام٠

وممَّا تحقَّقهُ الاثريُّون انَّ كثيراً من العاديَّات الفينيقيَّة في مدَّة تملُّك المصريين على الشام حتى الطور اليوناني قد تقلَّدها الفينيقيُّون عن العاديَّات المصريَّة فترى في هندسة معابدهم وفي نحت تماثيلهم ونقر مدافنهم

ونواويسهم وفي اسلحتهم وحليّهم ومصاغاتهم وازيائهم عدّة خواص امتازت بها الآثار المصرية · وقد وصف رينان في كتاب بعثة فينيقية عدداً وافراً من تلك التقليدات المصرية في لبنان كالكرة المجنّحة بين الحيّتين الرمزيّتين (uræus) وجدها في قرية اده على عتبة هيكل فينيقي وفي جبيل وصور وصيداء وكتمثال الاله عتّور المصري وُجد في جبيل والاله انو بيس او طوث والبقرة المقدّسة ابيس (Apis) وصور ابي الهول في مدافن صيداء وكأبنية شتى على مثال الهندسة المصرية في ام العواميد جنوبي مدينة صور

ومن الآثار الحريّة بالذكر نصبٌ عظيم وُجد على صخر في جبيل يمثّل احد الفراعنة على جبهته الحيّة الرمزيّة وامامهُ الإلهة ايزيس المصرية التي تحيّيه بالتقبلة وعلى رأسها القرص الشمسي مع قرنَي بقر كما كانوا يصورونها في مصر · وهذا النصب من آثار الصناعة الوطنيّة ولعلّهُ كان في هيكل شيّدهُ المصريون في جبيل لاكرام تلك الإلهة · وقد ذكر المؤرخ پلوترکس اليوناني هيكل ايزيس الجُبيلي واتّسع في وصفهِ · اما صورة النصب فترى رسمها في بعثة فينيقية (ص ١٧٩)



رعمسيس الثاني وجيوشه

وقد سبق لنا ذكر المراسلات المكتشفة في دفائن تل العمارنة وهي لعمري اثر نفيس يفيدنا عن احوال فينيقيّة في ايام موسى النبي ويصرّح عما كان للفراعنة من السؤدد والسيطرة على فينيقية · وهذه المكاتبات لعمّال وطنيين يُدعون خزانو كان ملوك مصر ولّوهم على مدن فينيقية واشترطوا عليهم ان يذبّوا عن حوزتها ويردّوا عنها غارات العدوّ · ففي هذه الرسالات التي حرّروها بلغتهم الفينيقية والحرف المسماري يعرضون على مواليهم ما يصنعون ليقوموا القيام الحسن بأموريّتهم في كلّ مدن السواحل وعلى الخصوص جبيل وبيروت ويُعلمون الفراعنة بما يقع في جهاتهم من الحوادث ويوقفونهم على ما يتهددهم من الاخطار ليكون ملوك مصر

على بيّنة من امور رعاياهم. وكثيرًا ما يذكرون الاساطيل التي عمروها بحرًا خدمة اربابهم على سواحل الشام ومصر

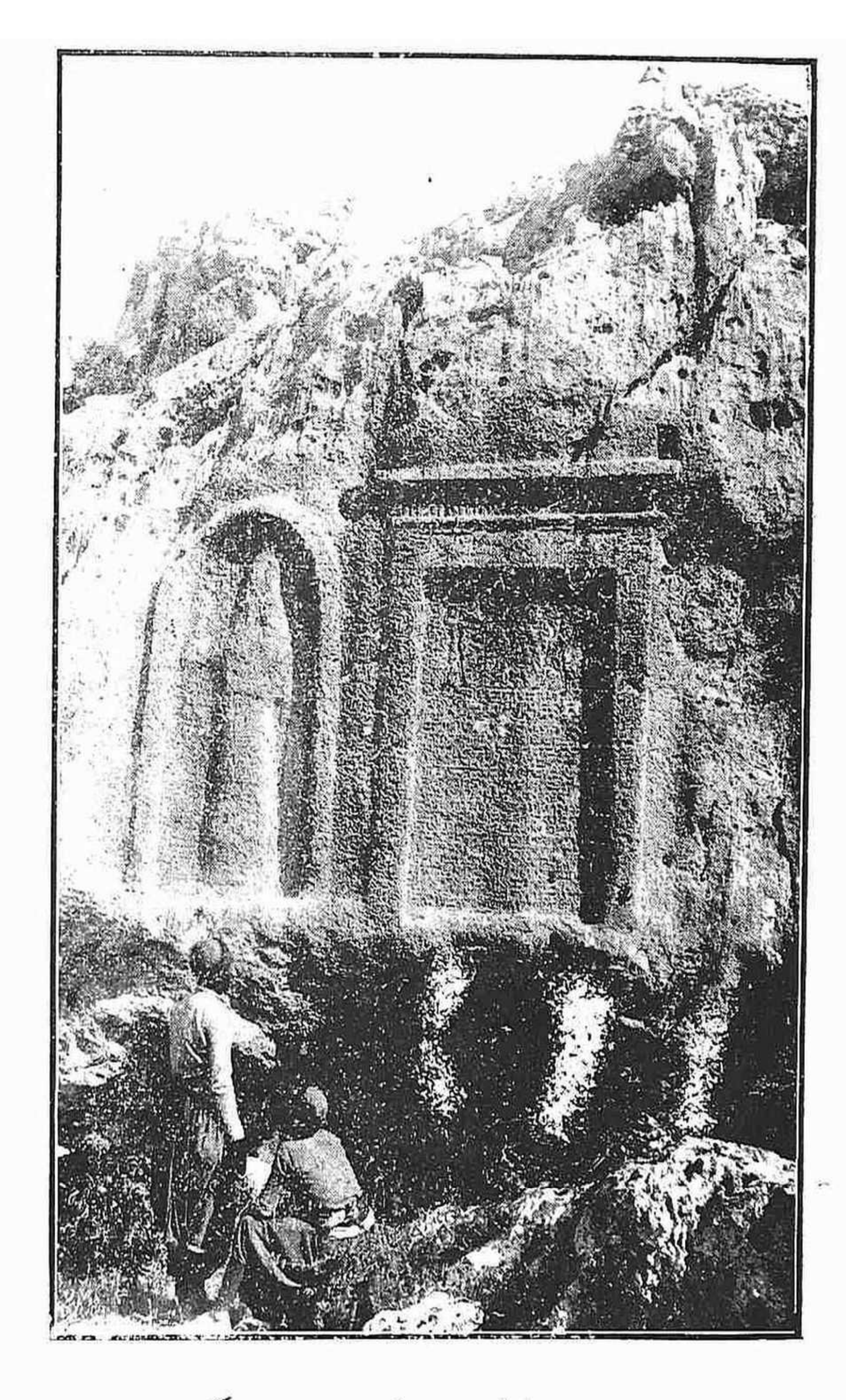
وسبق هذه الآثار كتابةٌ هيروغليفيّة يرتقي عهدُها الى السلالة المصرية الثانية عشرة وهي لاحد السيّاح المصريين الذي قدم الى بلاد الشام ليتفقّدها ثم دوّن تفاصيل رحلتهِ في رقيم وُجد في دفائن مصر وهو اليوم مصون في المتحف البريطاني في لندن وصاحبه يذكر المدن التي زارها في سفره مباشرةً بالمدن الداخلية من فلسطين وسوريّة الى حلبون وهي حلب الشهباء ثم يعود معرّجًا على المدن الساحليّة شمالاً فجنوبًا فيعدّدها ويخصّص بالذكر جبيل وبيروت ثم صيدون ثم صَرَفت

٤ الآثار الاشورية في لبنان

ولمّا انتقض حبل الدول المصرية في سوريّة وضعفت قوى الفراعنة عن تدبير احوالها انتهز ملوك بابل الفرصة لوضع يدهم عليها فزحفوا اليها بخيلهم ورجلهم وقهروا ملوكها وفتحوا حصونها وكانت اوّل غارتهم على بلاد الشام في القرن الثاني عشر قبل المسيح في عهد تغلات فلاسر الاوّل احد كبار الفاتحين للبلاد ثم عادوا اليها بعدهُ في ايّام سلمناصر ونبوبولاصر وتغلات فلاسر الثاني وسرغون واسور بني بال ونبوكد نصّر وسنحاريب فكبحوا مرارًا ثورة اهلها وكان الوطنيون يترصّدون امور الاشوريين فاذا استشعروا بضعفهم او بتغاضيهم عن احوالهم عمدوا الى الفتن ليفوزوا بالاستقلال

وقد بقي في لبنان من عهد الاشوريين بعض الآثار الدالّة على ثبوت قدمهم فيهِ. فمن ذلك ما يُرى في مضيق نهر الكلب بجوار الآثار المصريّة السابق ذكرها فانّ هناك خمس او ست صفائح اشوريّة تمثل تصاوير وكتابات شتى لملوك بابل الذين قطعوا النهر في ذلك المكان. فالكتابات بالقلم المسماري مضمونها تاريخ غزوات جيوش الاشوريين للقطر المصري وقهرهم لسواحل فينيقية. ومع الكتابات صور ملوكهم بازيائهم الفاخرة. اخصها رسمٌ لاحد ملوك اشور ذي لحيةٍ طويلة مجعّدة وهو لابس رداءً سابغ الذيل وعلى رأسه تاج ملوك اشور. وفي يدهِ اليمنى مقصرة يسندها الى صدرهِ. واسماء الملوك المدرجة في كتاباتهم وهم: اشور ريسيزي (١١٥٠ ق. م) ثم تغلت فلاسر ثم سنحاريب وشلمناصر وآخرهم ايسارحدّون ونبوكد نصّر الثاني

ومنها ايضًا اثر آخر اكتشفهُ الاب هنري لامنس اليسوعي في جبل اكروم المتفرّع من لبنان جنوبي غربي حمص فوصفهُ في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (٢: ١٩٦) واثبت هناك رسمهُ وهو نصبٌ في وادٍ حرج حيث يسيل جدول ماء يُدعى نهر السبع. والنصب مربّع الشكل تنيف جوانبهُ على مترين ترى فيهِ صورة اسد ناصب قائمتيهِ ليفترس رجلاً بازائهِ حاول مصارعتهُ والمصارع مشتمل بشملةٍ تنفرج على صدرهِ تراهُ قابضًا على فكّ الوحش. والصورة بلا شكّ لملك اشوري تصدّى لمقاتلة الاسود في تلك الجبال وكانت الاسود في ذلك العهد تأوي الى جهات لبنان فيخرج لمصارعتها واصطيادها ذوو البأس



صورة احد ملوك اشور في مضيق نهر الكلب

وقد كان المسيو بونيون قنصل فرنسة في حلب عثر قبل ذلك بنحو عشرين سنة بأثر آخر شبيه بأثر اكروم وذلك في وادي بريسة على مسافة عشر كيلومترات من الهرمل في شمالها اعني في وسط لبنان. والاثر عبارة عن نَصْبين لنبوكد نصَّر الثاني على احدهما صورة الملك يصارع اسداً ومع الصورة كتابة اشوريّة حلّها المسيو بونيون والمرجّح ان نبوكد نصَّر امر نقر هذا الاثر وقت اقامته في رَبْلة لمّا جاء لمحاصرة صور وتدمير اورشليم سنة ٥٨٧ ق.م ورَبْلة هذه جنوبي بحيرة حمص. وبين اثر اكروم واثر بريسة مشابهة عظيمة دالّة على انهما كليهما لنبوكد نصَّر

ومما اكتشفهُ الاب سبستيان رنزڤال في راس العين عند نهر قب" الياس على مسافة نصف ساعة منها في ملك يوسف افندي قيقانو نصبٌ اشوري قديم منقور في صخر عالٍ يمثل شخصاً واقفاً على طوله الطبيعي مرتدياً بثوب طويل تُرى من تحتهِ رجلاهُ في يدهِ اليسرى مقصرة او صولجان اما اليمنى فيمدُّها الى الامام. والغريب في هذا التمثال انَّ راسهُ راس نسرٍ ليس بشر وقد وصف الاب المذكور هذا النصب مع صورتهِ في مجموعة المكتب الشرقي في كلية اليسوعيين ببيروت السنة الاولى منها (ص ٢٢٣ — ٢٣٨) وكان يؤمّل بوجود كتابةٍ تفيدهُ شيئاً عن هذا الاثر فخاب املهُ

ومن الآثار الاشوريّة بعض النواويس التي وجدت في صيداء وجوارها في مغارة عبلون نُحتت على شبه النواويس البابليّة فذكرها رينان في كتابهِ بعثة فينيقية

ويضاف الى هذه الآثار بعض الأعلام التي تدل على اصلٍ اشوري كالأعلام المركّبة من اسماء آلهة يعبدها الاشوريّون كسين إله القمر ونَبُو احد معبوداتهم ففي لبنان در بسين (اصلها دار بسين) بقرب صيداء وكفر ياسين في جبل سمعان وقصر نَبا شمالي زحلة. ومن الاعلام المشعرة باصل بابلي كفر نمرود في بلاد جبيل. وكسارا اي الكَرْم بالقرب من مدينة زحلة

وكذلك يسوغ لنا ان نذكر هنا دليلاً آخر على الآثار اللبنانيّة ألا وهو ارز لبنان الذي اتخذهُ الاشوريّون لابنيتهم فنقلوهُ من لبنان وقد وجد منهُ الاثريّون قطعاً في حفريّات بابل كما ورد ذكرهُ في كتاباتهم

٥ الآثار الفينيقية

غلب الفرسُ الاشوريين نخلفوهم في تملكهم على سوريّة ولبنان فولّوا عليهما مرازبةً كانوا يُعنَون بتدبيرها على انَّ آثار الدولة الفارسيّة كلّها بائدة لم يبقَ منها شيء. وفي عهد الفرس اخذ الفينيقيّون ينشطون للعمل بل تمكنوا من الحصول على نوع من الاستقلال لانشغال ملوك الفرس عنهم ولمساعدتهم باساطيلهم في حروبهم كما حصلوا سابقاً على استقلالٍ وقتيّ في ايّام الفراعنة والاشوريين لا بل وجدوا في ملك الفرس كيروش وخلفائهِ مراعاةً وحسن معاملة أنهضت بهممهم الى توسيع نطاق تجارتهم وملاحتهم فعمّروا السفن والاساطيل وخاضوا البحار وانشأوا المستعمرات البعيدة في جهات افريقية واوربّة كقرطجنّة

وطرشيش ومرسيلية · ومع ادائهم الجزية لملوك فارس أُتيح لهم ان يُثبّتوا لهم ملوكاً على معظم المدن الساحليَّة كالبترون وجبيل وصيداء وصور وبقوا على ذلك الى زمن الاسكندر اعني مائتي سنة بنيف

وفي هذه المدَّة توفرت الآثار الفينيقيَّة التي اكتشفها العلماء فنقلوها الى متاحف الاستانة العليَّة وباريس ولندن وبرلين · وممَّا يقال بالاجمال عن هذه الآثار ان المسحة المصريَّة والمسحة اليونانيَّة تظهران فيها غالبًا بحيث لا نكاد نجد بينها اثرًا من الصناعة الفينيقيَّة المحضة الا وفيه لمحةٌ من تقليدهم لاعمال المصريين او اليونان · وها نحن نتتبَّع هذه الآثار مباشرة بتخوم لبنان الجنوبيَّة ومنتهين الى الشمال

❊ صور ❊ اوَّل مدينة تستلفت اليها ابصارنا انَّما هي صور احدى حواضر الفينيقيين ومعنى صور الصخرة لمناعتها · كان الفينيقيُّون يدَّعون انَّ إلاهتهم الكبيرة عشترت ولدت في صور وان قرينها الإله ملكرت كان مالكاً على مدينتهم · ولصور تاريخ مطوَّل وسلالة ملوك اشتهروا منذ القرن الحادي عشر قبل المسيح منهم ابيبعل كان معاصرًا للملك داؤد وحيرام ابنه الذي استحضر لسليمان اخشاب الارز لبناء هيكل اورشليم وكانت صور تقسم الى قسمين قسم في البرّ وقسم في البحر كان جزيرةً منيعةً تبعد ميلاً عن الارض بقي في حصارها نبوكدنصَّر ثلاث عشرة سنة · وبلغت صور اوج الحضارة في ايام عزّها بعد ان غلبت صيداء وقبل ان يحلّ بها الدمار كما ترى في وصفها في سفر حزقيال في ثلاثة فصول من نبوَّته وهي الـ ٢٦ و٢٧ و٢٨ حيث اتَّسع في وصف زهو صور ورفعة شأنها

امَّا آثار صور فقد استولى الخراب على كثير منها لما جرى فيها من التقلُّبات وحكم الدول المختلفة ولا سيَّما الزلازل التي أُلحقتها غير مرَّة بالحضيض · ولمَّا جاء رينان في سنة ١٨٦٠ موكولاً من قبل حكومته للبحث عن عاديَّات فينيقية اجرى في صور حفريَّات شتَّى لعلهُ يعثر على شيء من آثارها القديمة فلم يسعده الحظ الا على النزر القليل منها ·

وممَّا يشهد التاريخ بعظم شأنه هيكل معبود الصوريين ملكرت اي ملك المدينة يريدون به البعل إله الفينيقيّين وخصوصًا بعل صور اذ كان لكل مدينة بعلها · وهذا الهيكل كان من الابنية العجيبة التي كان القدماء يتقاطرون لزيارتها وممَّن زارها هيرودوتوس المؤرخ في اواسط القرن الخامس قبل المسيح وهو يدعوهُ هيروقليس لزعم اليونان بان هيروقليس هو الاله ملكرت بعينه قال : « وكان هذا الهيكل مزينًا بتحف لا تحصى ومن جملة نفائسه عمودان احدهما من ذهب والآخر من لازورد وكان يظهر منهُ ليلاً نور ساطع » · وكان هذا الهيكل في جزيرة صور وكان للاله هيكل آخر في البرّ دونهُ ولم يبقَ من الهيكلين اثر البتة

وممَّا صبر اثرهُ على كوارث الزمان ما يدعوه اهل صور بقبر حيرام وهو بناء قديم فينيقيّ الاصل على خمسة كيلومترات من صور شرقيها · وهو بناء ضخم علوهُ ستة امتار بنيف على شكل مخروط مربَّع الجوانب في اسفله حجارة كبيرة طولها اربعة امتار في عرض مترين و٧٠ سنتيمترًا وسمك ٩٠ س يعلوها شبه ناووس غطاؤه هرَميّ الشكل · فهذا كان بلا شك لأحد اعيان البلد امَّا نسبتهُ الى حيرام فلا سند لها غير اوهام العامَّة

ولصور مدافن اخرى فينيقيَّة قريبة منها في اسفل الجبل المجاور لها وهي عبارة عن مغاور نُقرت في

الصخور في باطنها اجران لجثث الموتى لاصق بعضها ببعض وكان الفينيقيون يدفنون معها أثاث الميت وادواته غير ان اللصوص انتهكوا حمى هذه القبور فسلبوا أثاثها وبكرور الدهور قد استولى عليها الخراب. وليس هناك كتابة تفيد شيئاً عن احوال المدفونين وزمنهم

ومن المكتشفات الفينيقية الحديثة المثبتة بدين الفينيقيين اثر غريب وُجد في نواحي صور هو اليوم مصون في متحف باريس وقد بادر الى وصفهِ جملة من المستشرقين منهم الاب سبستيان رنزفال في مجلة المشرق (٨ : ١٦٤) وفي مجموعة المكتب الشرقي (٣ : ٧٥٣ — ٨٠٤) وهذا الاثر يُعرف اليوم بعرش عشترت وهو عبارة عن حجر كلسي حسن النحت طوله ٤٧ سنتيمتراً يمثّل عرشاً صغيراً في جانبيهِ صورتا ابي الهول المصري بجناحيهِ . وعلى مسند العرش نصبان متشابهان ناتئان متوازيان ينتهي اعلاهما بشكل القوس . وعلى كل نصب صورة بشر لعلّهما عابدان . وتحت حافة العرش المنقورة على الطرز المصري نبات رمزي يشبه بنقشهِ النقوش المصرية الاشورية التي وُجدت سابقاً في ضواحي صور . وفي اسفل الاثر كتابة بالقلم الفينيقي مفادها انَّ المسمّى عبد بست بن يربعل اهدى لسيدتهُ عشترت مقدساً اصطنعه لاكرامها . والمقدس هو العرش المذكور لتقيم فيهِ سواءٌ وُضع فيهِ كما يُظنّ تمثال الإلهة او لم يوضع فجُعل العرش كمذبح لتكريمها

وقد وجد في فيع قرية من معاملة الكورة اثر آخر شبيه نوعاً بالاثر السابق نُقل الى متحف الاستانة حيث عُني بوصفهِ الاب رنزفال (في مجموعة المكتب الشرقي ج ٥ قسم ٢ ص ٦٣ — ٧٠) والالهة عشترت في هذا الاثر مصوَّرة جالسةً على عرشها مكسوّة برداء سابغ يدها اليمنى على ركبتها وهي تبارك باليسرى شخصاً امرد منتصباً امامها رافعاً اكفّ الدعاء اليها . وفوق رأس عشترت هلال يحدق بكُرةٍ . وفي قسم آخر من الاثر صورة نخلةٍ يهجم اليها من جانبيها ثوران محدودبان

واخطر من هذه الآثار عاديّات ام العواميد او ام العَمَد وهي قرية صغيرة جنوبي صور وجد فيها رينان انقاض هيكل فينيقي قديم ذي مدخل فخيم عليهِ نقوش منقولة عن نقوش المصريين منها الكرة المجنّحة مع الحيّة الرمزيّة المعروفة باوراوس (uræus) ومنها تصاوير شتى كصورة ابي الهول المصري وتماثيل أُسود وغير ذلك تقلّد فيهِ الصور يُّون الصناعة المصرية (راجع كتاب بعثة فينيقية ص : ٦٩٤ — ٧٥٠)

ثمَّ عاد الاثريّون فجدّدوا البحث عن عاديّات ام العمد فوجدوا آثاراً اخرى منها انصاب تمثل رجالاً ونساء من آل فينيقية على هيئات شتى احدهم في هيئة الساجدين رافعاً يمينهُ كملتمس الدعاء وهو يمسك في شمالهِ صورة ابي الهول المصرية وعلى رأسهِ قلنسوة مستديرة يبرز من اسفلها خصلٌ من شعرهِ تغطي عنقهُ الثخين . ومنها ايضاً امرأة منتصبة على هيئة السجود تشملها ملاءة تنحدر من اعلى رأسها الى اكتافها بزيّ حسن . وعلى احد هذه الانصاب كتابة فينيقيّة تعريبها : « هذا النصب ذكرٌ لبَعَلْيَتَن بن بعليَتَين السيّد »

وقد اكتشف العلماء ايضاً بقايا من اساس السور الذي كان يحيط بجزيرة صور وكان المؤرخ اليوناني أريان وصفهُ وصفاً محكماً يؤخذ منهُ ان السور كان يبلغ علوّه نيفاً واربعين متراً وكان اسفلهُ مبنياً بالحجارة الضخمة وكان قصر الملك لاصقاً بهِ يصعد منهُ الى سطح متصل بطنفٍ مستدير يحدق بالجزيرة . فوجد

المهندسون قطعاً من اسس تلك الاسوار في البحر

﴿ صيداء ﴾ هي صيدون الفينيقية ومعنى اسمها الصيد لوفرة سمكها الطيب الذي كانوا يصطادونهُ في سواحلها وهو لا يزال الى اليوم مطلوباً سواء يستطيبهُ البيروتيون وينسبها بعضهم الى الاله صيد · وصيداء اقدم عهداً من صور وخرابها قد عمَّها مثل جارتها الا ان أخربة صيداء لم تُفحص تماماً والعاديات التي وُجدت فيها تفوق في عددها ما في صور عدداً وخطراً · والمدينة المعروفة اليوم حديثة العهد بني معظم بيوتها ومعابدها بحجارة المباني القديمة والاسوار السالفة · امَّا الآثار القديمة فقد وُجدت في بساتين صيداء وحقولها

وكلامنا هنا عن الآثار الفينيقية اما الآثار اليونانية والرومانية فسنذكرها بعد هذا في فصول خاصَّة : فمن هذه الآثار آنية مختلفة من الرخام والزجاج الفينيقي والخزف وكذلك اثاث بيوت ومصاغات وحليّ مع نقوش حسنة وتصاوير زاهية الالوان وجدت في دفائن الارض ثم نُقلت الى متحف باريس وقد رسم صورها رينان في كتاب بعثة فينيقية وزمانها يتراوح بين القرن العاشر الى القرن الثالث قبل المسيح والتقليد المصري ظاهر في كثير منها

واعظم شأناً من هذه العاديات هيكل الاله اشمون وجد قبل ٥٠ سنة في صيداء في احد بساتينها الى منعطف رابية فوق وادي نهر الاولي قريباً من مصب هذا النهر على مسافة ميل ونصف منهُ وقد عني بحفرياته مكريدي بك مع مهندسين المانيين اخذا رسومهُ · وهو بناء فخم كان يحيط به سور مربَّع مستطيل مبني بنحيت الحجارة طولهُ من الشرق الى الغرب ٦٠ متراً في عرض ٤٤ متراً من الجنوب الى الشمال · وهو حرم المعبد كما يُرى في هياكل اخرى · وفي وسط السور كان مقدس الإله وهيكلهُ التام لاكرامهِ وكان غاية في الحسن والفخامة · وقد بقي منهُ حائط كان في اساسهِ منتصباً في وجه النهر وهو على اربعة صفوف من الحجارة الضخمة يستند اليها سطح صناعي وثيق وكان الهيكل مبنياً فوقهُ · وفي الحائط المذكور وُجدت عدَّة كتابات فينيقية لبانيهِ بُدعشترت ملك صيدون · وقد وجدوا من هذا الهيكل آثاراً منوطة بعبادة الإله اشمون لاسيَّما كتابات تقادم ونذور باللغة الفينيقية · ثمَّ تماثيل اصنام صغيرة من القاشاني مصوَّرة على الطرز الفينيقي القديم تقلَّد صانعوها في عملها الصناعة المصرية · وهذا الهيكل اوَّل هيكل فينيقيّ وقف عليهِ الاثريون الا انَّ حالتهُ من الخراب لم تسمح لهم حتى الآن بضبط رسمهِ القديم وهندستهِ الخاصَّة · اما خرابهُ فالمظنون انهُ وقع في اواسط القرن الرابع قبل المسيح في زمن ارتحششتا الثالث المعروف باوخوس الذي احرقهُ لعصيان اهل صيداء وملكهم على دولته

ومن الآثار الخطيرة التي وجدت في صيداء فتستحق الذكر الخاص نواويس ملوكها في القرنين الخامس والرابع قبل المسيح · وكانت اسماء هولاء الملوك مجهولةً غير فافادتنا كتابات هذه النواويس عن سلسلة ستَّة منهم وكلهم من سلالة اشمنعزر · الذي تولى على صيداء في ايام الدولة الفارسية وهو الأوَّل من اسمهِ ويدعى تخنفاله ملك صيدون وكاهن عشترت · ثم خلفهُ ابنهُ تبنيت · فتزوَّج تبنيت هذا اختهُ عمعشترت كاهنة

عشترت ووصيّة ابنها وهو اشمنعزر الثاني الذي مات حدثاً وله من العمر ١٤ سنة ثم ملك صدقيتن ثم ابنه بدعشترت حفيد اشمنعزر الاوّل

والنواويس الملوكيّة التي اكتشفت ثلاثة : اوّلها ناووس اشمنعزر الثاني وقف عليه العلامة الفرنسوي الدوق دي لوينس (duc de Luynes) سنة ١٨٥٦ فاقتناه بماله واهداه متحف اللوفر في باريس بعد ان شرح كتابته الفينيقية التي اوّلها : « انا اشمنعزر ملك صيدون ابن تبنيت ملك صيدون وحفيد اشمنعزر ملك صيدون امي عمعشترت الملكة وابنة اشمنعزر ملك صيدون · قد شيّدنا هيا كل للآلهة · ودعت الحياة في عزّ شبابي » وفي شباط من السنة ١٨٨٧ وجد في بستان آخر لاحد وجوه المسلمين في صيداء مدفن غيره استخرج منهُ حمدي بك مدير المتحف السلطاني في الاستانة مع جناب المهندس بشاره افندي عدّة نواويس فاخرة كان في اقصاها عمقاً ناووسان ملكيّان احدهما لتبنيت ملك صيدون ابي اشمنعزر الثاني قرأ العلماء كتابته الفينيقية على هذه الصورة : « انا تبنيت كاهن عشترت وملك صيدون مضطجع في هذا القبر · ايّاك ان تفتح قبري هذا اذ ليس فيه لا ذهب ولا فضة ولا كنوز · ومن ينتهك حرمة قبري ان لا يجد له ذريّة تحت الشمس ولا راحة في قبر » · والناووس الآخر على شكله من الفخامة ولا كتابة عليه والمرجّح انه قبر الملكة عمعشترت

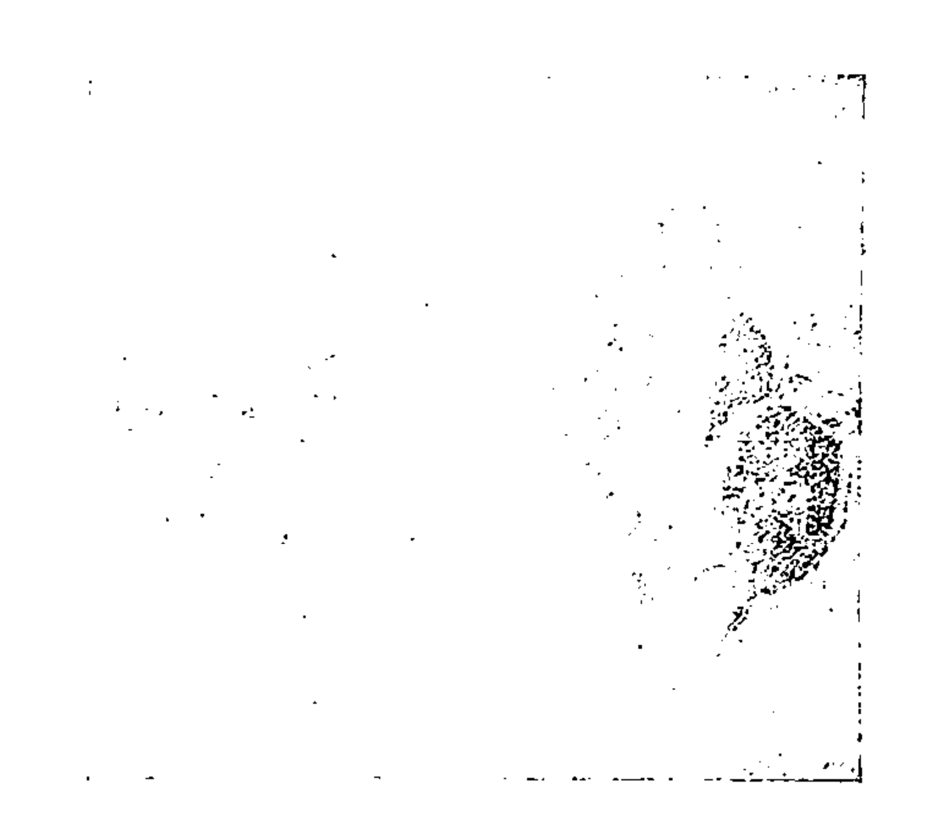
وهذه النواويس الثلثة من الرخام المصري الناعم نُقلت الى صيداء وكانت اولاً لبعض ارباب مصر فابتاعها الفينيقيون وافرغوها من جثثها الاصلية ومحوا كتابتها الهيروغليفية فبدلوا منها كتابةً فينيقية لملوكهم · وهذه النواويس منحوتة على الطريقة المصرية في جوانبها نقوش شتى وغلافها يمثّل جثة رجل مضجع (Anthropoïde) مقنّع الرأس يمدّ يديه الى جانبي جسمه وهو ملوّن بألوان شتى · اما الجثث الملوكية فكانت محنّطة على شبه الموميا المصري

ولحسن الطالع لم ينتهك اللصوص حرمة ناووس تبنيت كما فعلوا بسواه ولذلك كانت الحلي والاثاث المدفونة معهُ باقية في تمامها وحسنها كان في جملتها تاج الملك من الذهب الابريز وسبيكته عريضة لينة وفي جانبيه ثقبان · ووجدت في الناووس ايضاً قلائد من ذهب واساور مع حجارة كريمة تزينها ثم خلاخل ودمالج وقرطة كلها انيقة العمل بديعة الحسن

وفي هيكل اشمون السابق ذكره كتابة افادتنا عن بقية ملوك صيدون من ابناء اشمنعزر على هذا النحو : « الملك بدعشترت ملك الصيدونيين وابن صدقيتن ملك الملوك حفيد الملك اشمنعزر ملك الصيدونيين ·· بنى هذا الهيكل لمعبوده اشمون »

وفي المدافن المذكورة وجدت نواويس غيرها احدث عهداً من الطور اليوناني مع عاديّات اخرى عديدة نذكرها في جملة الآثار اليونانية · وقد وجدت ايضاً في بساتين صيداء والنواحي القريبة آنية متقنة من الشبه والنحاس عليها نقوش فينيقيّة تأخذ بالبصر · وكان الصيدونيون مشتهرين بصنع هذه الآنية منذ الاجيال القديمة فان الشاعر هوميروس وصف في الالياذة كاساً فينيقياً جعلهُ البطل اخيلوس جزاء في سباق الخيل · وفي متاحف اوربّة منها شيء صالح كقدح مدينة پالسترينا الذي وصفهُ الاثري كليرمون غانو وفسّر رموزه الفينيقية

وممّا استُخرج ايضاً من دفائن صيداء آنية من الخزف والزجاج الملونة حسنة الهيئات مختلفة وحاجات شتّى كالصحون والجفان والقوارير والمكاحل وخصوصاً المسرج للاستصباح وفي متاحف بيروت منها عدد كثير في صورٍ بهيّة ونقوش بديعة · امّا الآنية الزجاجية فمنها ما تبرح فيه الوان القوس قزح فيدفع فيها محبو العاديّات المبالغ الكثيرة للحصول عليها · ومن المعلوم ان صناعة الزجاج منسوبة الى الفينيقيين · وفي جهات صيداء وعدلون بقايا من الزجاج تدلّ على ان ثمّ كانت مصانع قديمة من الزجاج الفينيقي · وقل مثل ذلك عن صبغ الارجوان الذي كان ملبوس الملوك القدماء فان الصيداويين استخرجوا تلك المادّة الصبغية من نوعي صدف توفّرا في سواحلهم كما ترى هنا



الاصداف الارجوانية

وفي هذه المدافن والمطامير الصيداويّة ايضاً وجدت حليّ ومصاغات من ذهب وفضّة وخواتم مع فصوص ثمينة وقلائد جميلة تشهد للفينيقيين بالرقي في الصناعة وحسن الذوق في العمل · وربما كانوا ينقشون على تلك الجواهر صور آلهتهم والخرافات الشائعة بينهم عن معبوداتهم كالبعل ومولوخ وعشترت وادونيس

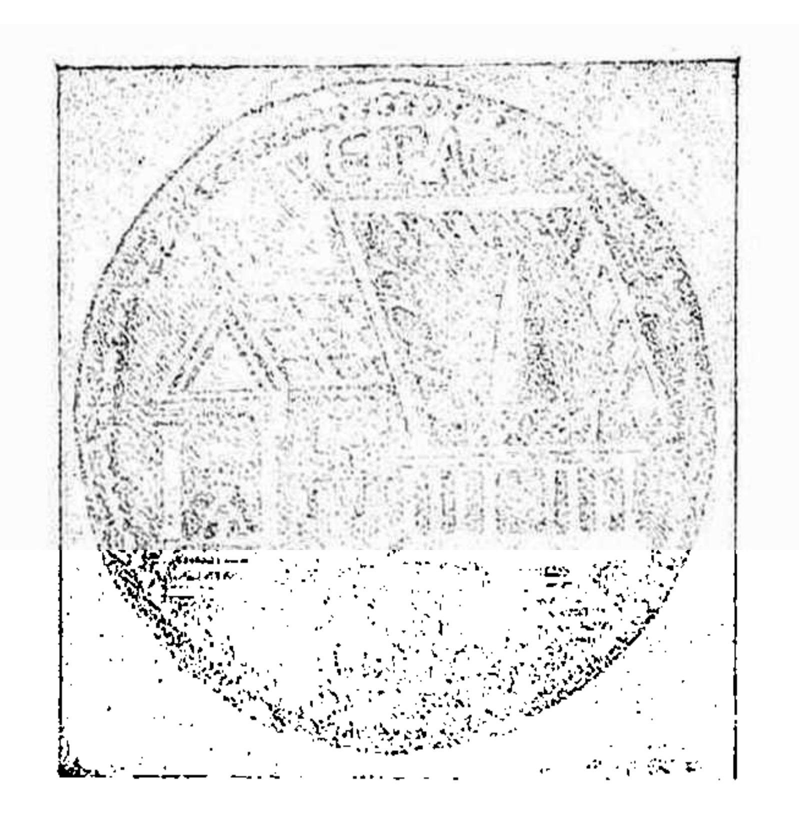
امّا عدلون السابق ذكرها فموقعها بين صور وصيداء وهي احدى قرى لبنان الغنيّة بالآثار كالمدافن القديمة والنواويس والردوم الباقية من هياكل مدمَّرة وكتماثيل آلهة فينيقية · وهناك ايضاً نقوش وتصاوير على الصخور المجاورة منها صورة تمثّل احد الفراعنة مجرّداً سيفهُ وقابضاً على ناصية احد اعدائه ليقتلهُ وهذه العاديّات لدول مختلفة

﴿ بيروت ﴾ عاديّات بيروت الفينيقيّة قليلة لكثرة ما دهمها من المصائب والحدثان وعلى رأي سنكنيتن البيروتي انها من اقدم مدن المعمور بناها على زعمهم الإله ايل او خيمون اوّل ملوك جبيل ودعاها باسم بيروت الإلهة قرينتهِ ووهبها للإله بوسيدون إله البحر فمن قولهِ هذا يُستدلّ على ان بيروت عريقة في

القدم · وهي مذكورة في كتابات تلّ العمارنة المنوَّه بها سابقًا · زمن ناديًّاها هيكل بيت مري الذي كان يُعبَد فيهِ البعل المعروف ببعل مرقد ثمَّ تحوَّل في ايَّام الرومان الى الإله جوبيتر اي المشتري

وكذلك وجدوا في ضواحي بيروت تحت تلّ مار متري وفي تلال الرمل عند رأس بيروت نواويس فينيقية من الآجرّ والرصاص عليها نقوش نافئة وتصاوير رمزيَّة دون كتابة وفي النقوش تشابُه بالنقوش الاشورية · وفي متحف كليَّة القديس يوسف ناووسان منها

❊ جُبَيل ❊ كانت جبيل مقدس الفينيقيين ومركز دينهم الوثني فاليها كان يحجّ السوريُّون وفيها كانوا يقيمون المناسك الدينيَّة لإكرام بعل جبيل وبعلة جبيل عشترت قرينتهِ · وكان موقع المدينة في



هيكل عشتروت في جبيل

مكانها الحاليّ وانما كانت اوسع ارجاءً · وقد سبق انها من اقدم مدن المعمور ولعلّ معظم المدن الساحلية من مستعمراتها · وكان لها مرفأ شهير وكان اهلها من احذق الملّاحين يمخرون البحار ويطوفون البلاد بعزم لا يعرف الملل · وفي مكاتبات تلّ العمارنة ذكرٌ لعمارتها وسفنها

على انَّ آثار جبيل الفينيقية البالغة الى عهدنا قليلة جدًّا مع وفرة ابنيتها الشامخة في سالف الدهور تدل عليها قطع العواميد الضخمة التي تُرى مبثوثة حتى يومنا في وسطها وضواحيها · والرأي المرجح عند العلماء انَّ تلك السواري كانت قديمًا منصوبة في هياكل المدينة وكانت تلك الهياكل متعدّدة في زمن الفينيقيين · وفي نقود جبيل ومسكوكات ملوكها الاقدمين صور بعضها وخصوصًا هيكل عشترت معبودة الجبيليين الذي كان بديع الهندسة فبادت آثارهُ

وفي تلك الهياكل كان الكهنة يحتفلون باعياد آلهتهم لا سيما أدونيس وهو تمُّوز المرموز بهِ على زعمهم عن الشمس · وكان عيداهُ الكبيران في فصلي الخريف والربيع · ففي الخريف كانوا يتلون جنازة تمُّوز فتلبس

نساؤهم الحداد ويعولن باكيات على موت تموز ويلطمن وجوههم ووجوههم وصدورهنّ فيصطبغ جسمهم بدمائهم كآبة على إلههم يرون في قصر الايام وصغر نور الشمس رمزًا عن رقاده . وكانوا ايضًا وافي الربيع يأتون الافراح ويجاهرون بالمسرّات لقيامة تموز يستدلّون اليها برجوع الشمس الى مجرٰاها . ولقد بلغت بالفينيقيين الغلاة في دينهم الى ان اهرقوا لاكرام اصنامهم دم البشر فضلًا عن الحيوانات وضحّوا اولادهم الصغار طلبًا لرضى الآلهة

ومن آثار جبيل المكتشفة في عهدنا نقود فينيقيّة راقٍ عهدها الى القرن الخامس والقرن الرابع قبل المسيح وصفها الدكتور روڤيه J. Rouvier في المجلة النقودية المطبوعة في اثينا سنة ١٩٠١ وورد فيها اسماء بعض ملوك جُبيل كالفشل وادرملك وعزّبعل وغيرهم كانوا ملوك جبيل ضربوا المسكوكات الذهبيّة والفضيّة باسمهم

وممّا اكتشفوهُ ايضًا من عاديّات جبيل نصبٌ اثري وقفوا عليه سنة ١٨٧٤ عليه كتابة طويلة لاحد ملوك جبيل من القرن السادس قبل المسيح واسم الملك يحوملك ملك جبيل ابن يحربعل وحفيد اريملك ملك جبيل ومضمون الكتابة تقدمة لبعلة جبيل (عشترت) يهديها مذبحًا من النحاس وقبةً من رخام مغشّاة بالذهب في مدخلها اعمدة ثمّ يطلب منها ان توفقهُ في اعماله وتنيل له رضى الآلهة وزيادة في الخيرة ثمّ يتهدّد الذين يختلسون هذا التذكار

وهذه الكتابة من اطول ما اكتُشف الى اليوم من الكتابات الفينيقيّة تبلغ خمسة عشر سطرًا . والنصب المذكور مكعّب في اعلاه طولهُ متر و ١٣ سنتيمترًا في عرض ٥٦ س وسمكٍ ٣٣ س الى ٣٦ س . في مقدّمته صفيحة ذات إطار على شكل اللوح تقسم الى قسمين في احدهما الكتابة المذكورة وفي الآخر صورة عشترت بعلة جبيل مثّلوها جالسةً على عرش وهي مائلة الى اليمين رافعة يمناها للبركة ويدها الشمال قابضة على مقصرة من البُردي . والملك واقفٌ بازائها رافعًا يمينهُ بهيئة الداعي وفي شماله كأسٌ بعروة فيها سكيب يقدمهُ للإلهة . وقد رُسمت في هذا النصب الدائرة المصريّة المجنّحة مع الحيّتين الرمزيتين في جانبها

وفي جبيل كما في صيداء وُجدت نواويس عديدة ترتقي الى اطوار تاريخيّة مختلفة فالراقية الى الطور الفينيقي يشبه بعضها في هيئتها نواويس صيداء المحوّلة على مثال الجسم البشري وصناعتها مصريّة كما في صيداء . وعلى جوانبها نقوش واكاليل وتهاويل حيوانات ونشر اشبه بصور الاشوريين وصناعتهم . وكان ضمن هذه النواويس قلائد وعقود وحليّ وتماثيل وآنية وزجاجات صغيرة للدموع (Terracottes) دلالة على كآبة اصحابها وبعض آنية الزينة النسائيّة . امّا مدافن اهل جبيل فلم يُعرف منها حتى اليوم سوى ما ارتقى الى عهد اليونان او تأخّر عنهُ

واذ كانت جبيل كما سبق القول مركز الديانة الفينيقيّة تعدّدت حولها الهياكل المختصّة بعبادة الآلهة الفينيقيين تُرى الى اليوم آثارها في وادي نهر ابراهيم المعروف عند القدماء بنهر ادونيس اي تموز وقرب نبعهِ عند المغاور المشرفة على افقا . وقد اثبت العلماء انّ تلك الهياكل كانت على طرز واحد كمعبد ملكرت في صور ومعبد اشمون في صيداء تتركّب من حرم واسع مربّع مستطيل في وسطهِ الهيكل لمقام الاله ورتب سدنتهِ

يعرضون فيه تمثاله في كوّة امامها مذبح يتقدمون عليه التقادم ويقدّمون الضحايا. على انّ بقايا تلك الحيا كل اقرب عهداً منّا لأن الخراب استولى عليها غير مرّة فتكرّر بناؤها بتوالي الاجيال . وما بلغ منها الى زمننا انّما هو من العهد اليوناني او الروماني

وفي وادي نهر ابراهيم في المكان المعروف بالمشنقة ما خلا اطلال هيكل قديم مآثر فينيقيّة تُرى على ربوة ذات قطع عمودية تشرف على النهر وتلك الآثار من عدّة تصاوير تبلغ السبعة في العدد وهي تصاوير نُقشت على الصخر كأثر غيره الموصوف سابقاً تمثّل امراً من اخبار الاله تمّوز فهو هناك قائم على هيئة بطل مغوار وبقربه بعض تبعته مع صورة الزهرة اللبنانيّة الباكية عليه بعد ان سلّط عليه الاله المرّيخ وحشاً ضارياً فقتله

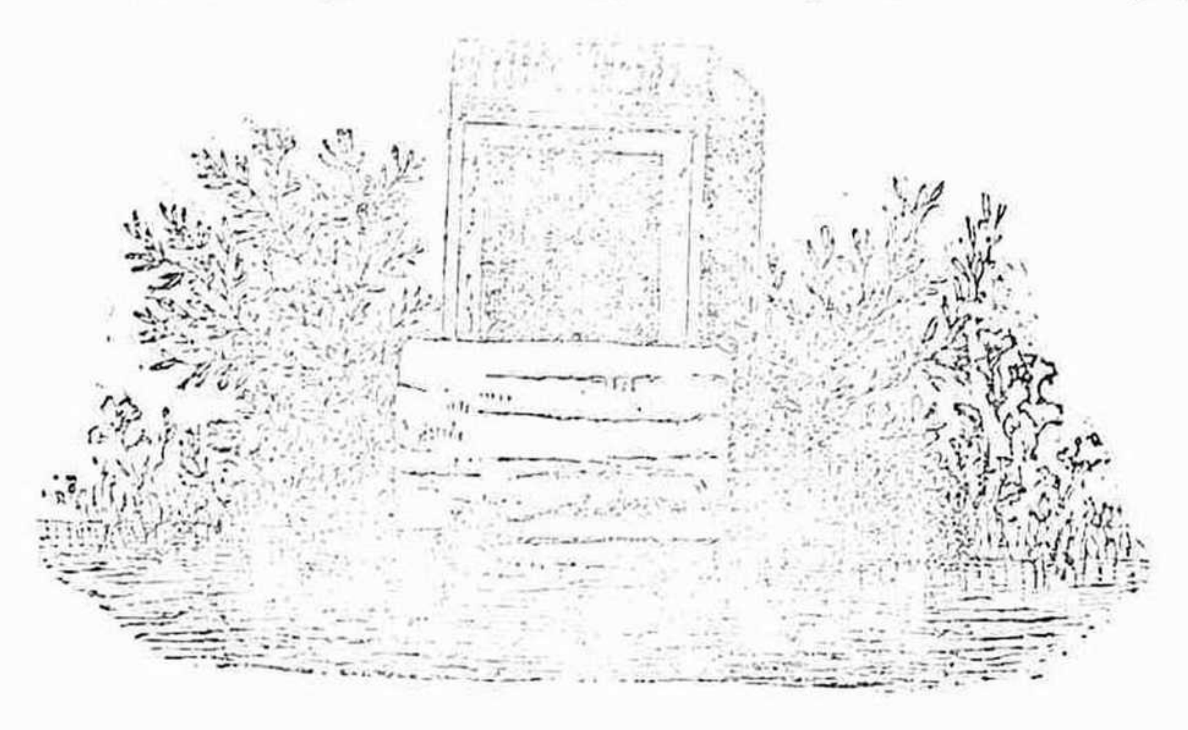
☼ البترون ☼ على مسافة ثلاث ساعات شمالي جبيل من مدن الفينيقيين القديمة حوّل اليونان اسمها الى بوتريس (Botrys) ومعناها باليونانيّة عنقود العنب . بانيها في القرن العاشر قبل المسيح ايتوبعل . وكانت احد مرافئ الفينيقيين ومصنعاً لسفنهم . وقد وجدوا فيها نواويس فينيقية بينها ناووس ملكي قيل انه لايتوبعل اوّل ملوكها والله اعلم . وكذلك وقفوا في دفائنها على بعض الحليّ والحجارة الكريمة مع نقوش فينيقيّة . وترى على نقودها القديمة صورة عشترت معبودة اهلها على رأسها تاج مبرج . واما مدافن البترون فالتي منها الى عهد الفينيقيين قليل ومعظمها من عهد اليونان . وكذلك ملعبها او مرسحها على شكل نصف دائرة ترى بعض آثاره حتى اليوم ابتناه الرومان

☼ عمريت ☼ هي شمالي طرابلس على نحو ٢٥ كيلومتراً منها على ساحل البحر بازاء جزيرة ارواد . كان الارواديّون هم بُناتها . وقد عرفها اليونان والرومان باسم مراثوس (Marathus) . امّا تاريخ بنائها ففي القرن السادس قبل المسيح وآثارها الفينيقيّة عديدة افضلها واعظمها معبدها الشهير الذي خُصّ بحرم جميل رحب الجوانب منقور في الصخر بتمامه يبلغ طوله ٥٥ متراً في عرض ٤٨ متراً . وفي وسط هذا الحمى حجر عادي مكعّب منحوت في امّ الصخر علوّه ثلثة امتار وجوانبه خمسة امتار ونصف في مثلها . وفي اعلاه بناء مكعّب ذو ثلثة جدران ووجهه الرابع مفتوح والبناء المذكور يتركّب من اربعة احجار ضخمة يمتدّ الواحد منها كصفيحة فوقه ثم يغطّي كرواق مقدّم الوجه المفتوح . وهذا البناء كان كمقدس الهيكل على شبه تابوت عهد العبرانيين وكان فيه مذبح اتّمامهم وهم تقلّدوا في صنعه معابد المصريين مع بعض الامتيازات الهندسيّة الخاصّة بهم وهذا الهيكل هو المعبد الفينيقي الوحيد الذي صبر الى عهدنا . وقد وجد رينان مقدسين آخرين على شبه هذا المقدس ليس بعيداً منه بين دغل الاعشاب والاشواك نشر رسمه البديع بعد فحص حجارته المتفرّقة فاذا هو بناء يتركّب من حجرين ضخمين احدهما فوق الآخر في وسط مستنقع ماء هناك وفوق الحجرين حجر وحيد اكبر منهما مكعّب الشكل طوله وعرضه ثلاثة امتار كان ركيزة لمقدس وجدوه ايضاً وهذا المقدس من حجر واحد علوّه خمسة امتار ونصف وهو اقلّ سعة من الركيزة في اعلى مقدّمته نقوش هندسيّة كحيّات مصر الرمزيّة المعروفة باوراوس . وفي سقفه الباطني كرة مصر الرمزية على احد جانبيها جناح

منثور وعلى الآخر جناح منبسط وفي وسطه صورة نسر وينتصب فوق الكرة حيتان رمزيتان كبيرتان

ومن مآثر عمريت الفينيقية ما يدعوه الاهلون هناك بالعواميد المغازل · دعوها بذلك لبعض شبهٍ بالمغزل · وهي كقبور عالية اتخذها الفينيقيون كمعابد ذكراً لموتاهم · واعظم هذه العواميد واحكمها صنعاً عمود علوّهُ عشرة امتار منتصب فوق ركيزة مستديرة على اربع جهاتها اربعة اسود هائلة المنظر وفوق الركيزة اسطوانة اولى تنتهي بدرابزين حجري ذي شرفات ونقوش فوقها اسطوانة ثانية مثلها اصغر منها رأسها على شبه نصف كرة · وبقرب هذه المشاهد ترى مدافن كالآبار يُنزل اليها بدرج وفي اسفلها حُجَر متلاصقة تفصلها جدران منقورة في الصخر وفي كل حجرة أجران تُجعل فيها اجساد الموتى

وبين هذه المدافن مدفن يُعرف بمغارة الحُبلى يُنزل اليه من منفذ مربع فُرشت فوقهُ صفائح الحجارة وباطنهُ عميق جدرانهُ محكمة النحت وهو ذو ثلث حُجَر واسعة كانت فيه جثث بعض كبار قومهم · وقد



معبد عمريت

اكتشف النصيريون على هذا المدفن فسلبوا كل ما وجدوا فيه من الاثاث والحلي الذهبية · وكان هذا المدفن الغريب مزداناً بصورٍ وجد رينان منهُ بعض قطعهِ

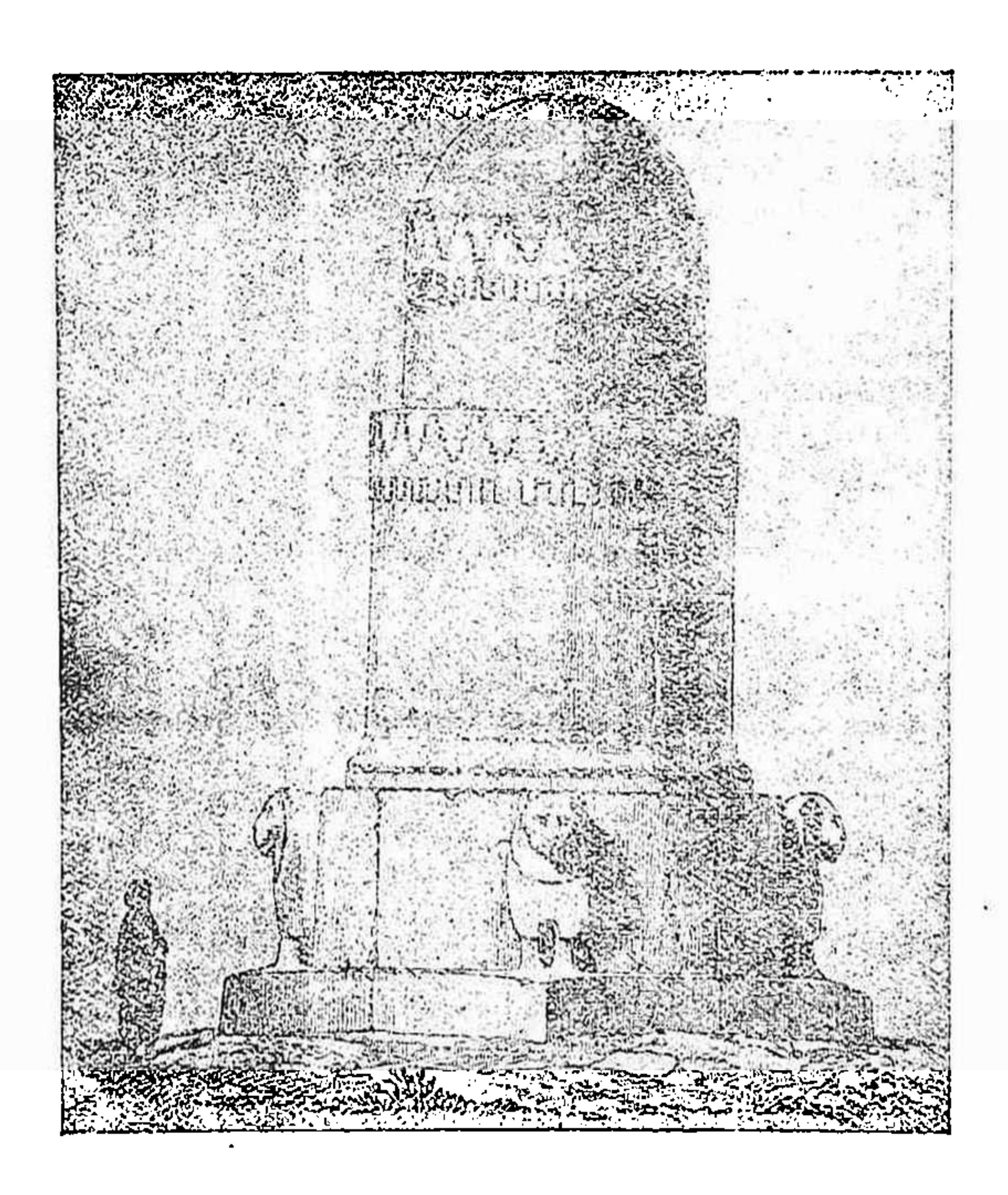
وفي عمريت مدفن آخر على هندسة بيت مكعَّب ذي طابقين فوقهما قبَّة مخروطة الشكل · وهذا المدفن مبني بحجارة كبيرة طول الواحد منها خمسة امتار يدخل الى كل طابقٍ منه من منفذ ضيق وفي داخل كل حجرة اجران لجثث الموتى · وعلوّ هذا المدفن ١٦ متراً وهو فوق الخضيض يدعوه العامة برج البزّاق

ومدافن عمريت لا تصلح للنواويس وانما كانوا يدفنون موتاهم توّاً في اللحد او يجعلونهم في توابيت خشبيَّة وكانوا يجعلون مع موتاهم اثاثهم وحليهم الا ان اللصوص انتهكوا غالباً تلك المقابر واختلسوا حليها الا البعض منها · فممّا وجدهُ الاثريون في بعضها قلائد ذهبيَّة وخواتم ومرايا وسرج وزجاجات مختلفة وقطع من الحديد وخزفيَّات شتى وآنية كبيرة ذات الوان كالقناني والجرار والاقداح

ومن الآثار الدينيَّة الفينيقيَّة في لبنان ما انتشل من صخر قريبٍ من قرية جربتا في جهات جبيل · فعلى

الصخر نقرة مقوّسة نُقش في اعلاها شلو بعض الآلهة وتحت التمثال مذبح على جانبيه رجل وامرأة واقفان في هيئة السجود وبقربهما شخصان يسوقان ضحيّةً في ايديهما كل ادوات الذبيحة · والرسم دقيق الصنع يشهد لمصوره بالحذاقة في فنه

ومما وُجد في امكنة متعددة من لبنان وسواحله كصور وصيداء وعدلون ونيحا وهلاليّة انصاب منقورة في الصخور المجاورة للمدافن القديمة وهذه الانصاب منقورة في الصخر على شكل بشري ذي رأس وقدمين · ونقش هذه التصاوير غاية في الخشونة يستدلّ بها على الموتى ولذلك كانوا يدعونها باسم « نفش » اي



مدفن عمريت الفينيقي

النفس تحيي لهم تذكار موتاهم · وللاب سبستيان رنزفال مقالة ممتعة في هذه الآثار ومعناها نشرها في مجموعة المكتب الشرقي (ج ٤ ص ١٨٩ — ٢٠٨)

فتبيّن ممّا اوردناه انّ آثار الفينيقيين الدينية عديدة جدًّا وكان بوسعنا ان نذكر غيرها ايضًا مما يُشاهد بقاياهُ في جهات مختلفة ليس في لبنان فقط بل في بلاد اخرى بعيدة عنهُ لتردُّد الفينيقيين اليها الا انّ في ما اثبتنا كفاية لبيان وفرتها ولو شئنا لبيّنّا ذلك في اعلام قرى لبنان القديمة الباقية الى يومنا الدالّة على معبودات الفينيقيين ومناسكهم الدينيّة كدار بعشتار في الكورة يتركّب اسمها من بيت وعشتار وهي عشترت إلهة

الفينيقيين كانت تكرّم هناك في هيكل بقي منهُ آثار الى يومنا · وكبزيزا في جهات البترون مركَّب اسمها من بيت وعزيز احد آلهة الفينيقيين كان فيها قديمًا هيكل صغير ذو اعمدة حوّلهُ النصارى بعدئذٍ الى كنيسة وهي الكنيسة الحاليَّة المعروفة بسيدة العواميد · وكعقتنيت وكفرتنيت وعين تنيت قرى تشير كلها الى تنيت من معبودات الفينيقيين التي وُجد اسمها منسوبًا الى لبنان في احدى الكتابات الفينيقية كما ورد في كتابات اخرى اسم "عبد تنيت" علم رجل فينيقي · وقس عليها اسماء عديدة كبعلشميه اي بعل الإلهة شما وكفرشيما · ودربسين المنسوب الى الاله سين وهو القمر المعبود في جهات بابل وفينيقية وهلمَّ جرًّا

وقد بلغ غلوّ الفينيقيين في دينهم الى ان اعتبروا لبنان كلهُ كانوا يدعونهُ بعل لبنان ويكرمونهُ اكرامهم لآلهتهم · وكذا فعلوا بجبل حرمون · وكان الرأس الداخل في البحر بين شكا والبترون المعروف اليوم برأس الشقعة احد معبوداتهم يدعونهُ بوجه البعل ومنهُ اشتقَّ اليونان اسمهُ فسمُّوهُ وجه الله ووجه الحجر · وفي الكتابات اليونانيَّة المكتشفة في قرية هلاليَّة قريبًا من صيداء وفي انحاء اخرى من الجبل ما يؤيد شيوع عبادة الجبال عند الفينيقيين فاعتبروها كصورة الآلهة او كرمز عنهم

وقد بقي في لبنان آثار فينيقية اخرى مدنيَّة يرجّح كونها من عمل الوطنيين اتخذوها للدفاع عن حوزة بلادهم اخصُّها الحصون والقلاع منها قصر سمَر جبيل المبني فوق اكمة عالية فانَّ جدران هذا البناء الجليل الماثلة ترتقي الى القرون الوسطى بخلاف اركانهِ السفلى واساس بروجهِ وخنادقهِ المنحوتة في الصخر فانها تدلُّ على بناء فينيقي قديم · وفي داخل هذا القصر وعلى مقربةٍ منه آبار وصهاريج بعيدة الغور محكمة العمل منقورة في الصخر الاصمّ على انهُ ليس ثمَّ كتابة تزيل الشبهات وتثبت حقيقة الامر

ومنها قلعة الحصن الواقعة بين بشعلي ودير مار يعقوب وهي مبنية فوق صخر عالٍ مشيَّدة في القرون الوسطى من انقاض قلعة سابقة ابتناها الفينيقيُّون تخربت بفعل الزمان او بعداوة الانسان · وكذا يقال عن بعض الحصون التي ترى في نواحي لبنان كجُبيَل والمُسَيلحة فانها من القلاع المتجدّدة بعد خراب ابنيتها الفينيقية

٦ الآثار اليونانية في لبنان

لمَّا تقلَّص ظلّ الدولة الفارسيَّة في الشرق الادنى تقوَّى العنصر اليوناني لاسيَّما بعد فتوحات الاسكندر ذي القرنين فزحف بجنوده الى سوريَّة واستولى عليها وعلى لبنان قبل ان يسير الى بابل والاقطار الهنديَّة · ثم قام بعده على انحاء الشام سلوقوس نيقاطور احد قوَّاده فتملكها واورثها سلالتهُ من بعدهِ · ومذ ذاك الحين غلب على سوريَّة ولبنان التمدُّن اليوناني وتوفرت الآثار اليونانيَّة التي بقي منها قسم صالح حتى يومنا الى ان قيل في القطر الشامي انهُ تزيَّا بزيّ اليونانيَّة · غير ان هذه المسحة اليونانيَّة كانت غالبًا سطحيَّة ومحصورة في المدن الكبرى لاسيا المدن الساحلية كانطاكية ودمشق واللاذقيَّة وطرابلس وبيروت وصيداء وكان اكثر شيوع هذا التمدن الاجنبي بين اماثل القوم والأُسر الشريفة فانهم اهملوا لغتهم الوطنيَّة ليتكلَّموا بلغة اليونان وسعوا بتعليمها لاولادهم · فلا عجب اذ ذاك ان تعددت الآثار اليونانيَّة · ودونك اخصَّها :

﴿ النقود اليونانيَّة ﴾ هذه النقود والمصكوكات كانت من رسوم الدولة مختصَّة بها او بالحواضر التي يُرخَّص لها بضربها · وهي عادةً يونانيَّة مرسومة على احد وجهيها صورة الملك الضابط لزمام الامور · وعلى الآخر صورة بعض الرموز الدينيَّة او المدنيَّة مع تاريخ ضربها ومكانهِ · والرموز غالبًا يونانيَّة او فينيقيَّة بزيّ يوناني · ومعظم الكتابات عليها باللغة اليونانيَّة · وقد نشر الدكتور جول روڤيه احد اساتذة مكتب الطب الافرنسي في بيروت سابقًا جداول تلك المصكوكات بلدًا بلدًا ومدينةً مدينة مع صورها وتفسير كتاباتها في عدة مجلات

﴿ الكتابات اليونانيَّة ﴾ هي كثيرة في لبنان لا يكاد يخلو منها مكان عامر · وهي في المدن اكثر منها في القرى · وما وجد منها حتى الآن يُعدُّ بالمئات يتراوح تاريخها بين القرن الثالث قبل المسيح والقرن السابع بعده · على انَّ هذه الكتابات قصيرةٌ غالبًا لا تفيد سوى تعريف بعض اموات كُتبت اسماؤهم على قبورهم او بعض المتعبّدين للآلهة المتقرّبين اليهم بالاكرام والتقادم · او تحتوي اعلام بعض الولاة وعمَّال الدولة او تدوّن تاريخ ابنيةٍ ومعاهد شتى · وقد طُمس كثير من هذه الكتابات بفعل الزمان كما ترى في اثرين منها على صخور نهر الكلب لم يمكن بيان معناهما · والقسم الاخطر من هذه الكتابات قد سطّر في عهد الرومان باليونانيَّة · فترى مثلاً كتابة في صور لاكرام الوالي مرقس سكُورُس سنة ٦٠ ق م وكتابة في قلعة فقرا من عهد القيصر الروماني كلاوديوس · وكتابة في هيكل فتقا من زمن طريانوس قيصر في السنة الحادية عشرة من ملكهِ · وكتابة في دوما من عهد قسطنطين الكبير في وفاة كاهن وثني يدعى كستور · وفي المدن الساحلية كصور وصيداء وبيروت وجبيل كتابات يونانيَّة عديدة منها دينية ومنها مدنية سعى كبار الاثريّين في حلّ رموزها نخص منها بالذكر كتابة بالشعر اليوناني في مديح رجل يدعى ديوتيموس وُجدت في حفريَّات صيداء سنة ١٨٦٢ · والممدوح كان نال الانتصار في الالعاب العمومية التي أُقيمت في صيداء · والكتابة من القرن الثالث قبل المسيح · ومن هذه الكتابات ما هو احدث عهدًا فرُقم في دولة ملوك الروم المتنصرين ويشير الى أحداث نصرانيَّة كبناء كنائس ومعابد وكفوز الدين النصرانيّ على الدين الوثني مع رموز نصرانيَّة · اخصُّها الصلبان · وللاب لويس جلابرت احد اساتذة الكليَّة اليسوعيَّة مقالات ممتعة في هذه الكتابات نشرها في مجموعة المكتب الشرقي وفي مجلاَّت علميَّة في باريس

﴿ الاعلام اليونانيَّة لمدن فينيقية ﴾ ومن الآثار اليونانيَّة في لبنان اسماء المدن الفينيقيَّة التي ابدلها اليونان باسماء يونانية فدعوا صور توروس (Turos) وصيداء صيدون (Sidon) وبيروت بيروتوس (Berytos) وجُبَيل بيلوس (Byblos) والبترون بوتريس (Botrys) ولبنان ليبانس (Libanos) ونهر الدامور تاميراس (Tamyras) وهلمَّ جرًّا · على انَّ هذه الاسماء الاعجمية لم تشع الا بينهم ثمَّ عادت الى اصلها من بعدهم · وكذا يقال عن أعلام الاشخاص الذين ورد ذكرهم في الكتابات اليونانية فقد لحظ العلماء انَّ اغلب هذه الاسماء ليست يونانية كما يلوح لمعتبرها وانما هي اسماء فينيقية مخرجة بزيّ يونانيّ وان وُجد بينها اسماء يونانية فانها مستعارة وربما وردت تلك الاسماء اليونانية مصحوبة باسم الشخص الفينيقي فرارًا من الاشتباه

❊ الآلهة اليونانيُّون ❊ لمَّا تغلَّب اليونان على سورية ولبنان ورأوا فيهما شيوع ديانة بعيدة عن ديانتهم اجتهدوا في نشر دينهم وعبادة آلهتهم بين سكان فينيقية · فالفينيقيُّون تقرُّباً الى الدولة الباسطة عليهم رواق ملكها ومراعاةً لخاطر اصحابها رضوا بان يمزجوا نوعاً بين آلهتهم وآلهة اليونان والرومان واعتبرها جميعهم كالآلهة عينها لا تختلف جوهراً بل عرضاً · فدعوا البعل باسم جوبيتر (المشتري) وعشترت باسم ڤانوس (الزُّهَرة) الى غير ذلك من الاسماء التي يخالف ظاهرُها باطنها · واستمرَّ الفينيقيُّون على مألوف عاداتهم الدينيَّة الوطنيَّة لم يغيّروا في مناسكهم شيئاً من عباداتهم المليَّة · وعلى هذا المنوال ترى المعبد الواحد في لبنان مكرَّماً من اليونان والرومان والفينيقيين يزعم كلٌّ منهم انَّ فيه يُكرَّم معبودهُ الخاص دون ان يكترث الوطنيّ برأْي الاجنبي وكانوا اذا كتبوا على تلك المعابد او التماثيل كتابةً يونانيَّةً لا يصرّحون باسم الاله بل يدعونهُ بالاله العظيم كما ورد في هيكل بلاط فيفهم كلٌّ من العابدين ما يشاء على حسب عنصرهِ الاصليّ · وهكذا بقي الفينيقيُّون محافظين على هيئة آلهتهم القديمة حريصين على رسمها وفقاً لتقاليدهم مع مخالفتها لتقاليد الدولة المالكة في ازيائها وهيئتها · على ان اليونان المستعمرين في سورية ولبنان كانوا اذا شيَّدوا معبداً جديداً جعلوهُ يونانيّاً محضاً وعبدوا فيه آلهتهم كما شاعت عبادتها في اوطانهم · تُشعر بذلك الآثار التي وجدت في انحاء لبنان لا سيما مدن السواحل · وقد استخرجوا في حفريات صور وصيداء وجبيل عدَّة انصاب وتماثيل ودمى لآلهة اليونان · وكذلك وجدوا في مدافنهم ونواويسهم اصناماً او نقوشاً دينيَّة يونانيَّة محضة هي اليوم معروضة في متاحف الاستانة العليَّة وحواضر الفرنج

وقد وُجدت عاديَّات اخرى يونانيَّة وردت فيها اسماء آلهة الفينيقيين على اصلها دون تصويرها بزي يونانيّ · فمن ذلك اثر اكتشفهُ الاب هنري لامنس فنشرتهُ مجلَّة المشرق في سنتها السادسة (ص ٢٠٨) وهو عبارة عن حجر يمثّل صورة اربعة اشخاص من آلهة الفينيقيين مع ذكر اسمائهم الفينيقيَّة مرقومةً باليونانيَّة وهم بالوس (Belos) اي بيل او البعل وياريبولس (Iaribolos) اي يربعل واجليبولس (Aglibolos) اي عجلبعل وسيميا (Semea) إلهة الحكمة كمينرڤة عند اليونان

ومن بقايا الاديان اليونانيَّة في لبنان اعلام لبعض القرى كطاميش تصحيف ارطاميس (Artemis) وهي الهة الصيد عندهم يدعوها الرومان ديانا وكان لها في افسس هيكل شهير · وكبلّونة المشتق اسمها من الاله ابولّون · وكناوس اسم لثلثة امكنة في لبنان من اليونانيَّة (Naos) اي المعبد لوجود معابد يونانية قديمة فيها

❊ المدافن والنواويس اليونانيَّة ❊ منها كثير في لبنان وسواحله · وتمتاز المدافن اليونانيَّة بشواعر اصحابها ورموزهم الدالَّة على الموت والحداد · من ذلك الانصاب الاسطوانيَّة الشكل كان اليونان ينصبونها فوق قبورهم عليها غالباً اسماء الموتى وقد وجدوا منها شيئاً كثيراً · وكذلك بعض الرموز المشيرة الى الموت كمشاعل مقلوبة وزجاجات الدموع · ومنها صورة النَّسر المدفنيّ كأنهم اشاروا بصورتهِ الى خلود النفس بعد الموت · وللاب سبستيان رنزڤال فصل مطوَّل بيَّن فيه شيوع صورة النَّسر في الشام ولبنان مع دلالتهِ على الموت

واصله اليوناني (نُشر في مجموعة المكتب الشرقي في القسم الثاني من الجزء الخامس ص ١ — ١٢٠) ومن هذه الكتابات المدفنية ما رُقم على قبور نصرانية وهي احدث عهدًا من سواها . ذكر رينان بعضها في كتاب بعثة فينيقية (ص ١٨٧) .

امّا النواويس اليونانية في لبنان وفينيقية فتمتاز ايضًا عن النواويس الوطنية فكان اليونان يحتونها على هيئة معابدهم المبنية في بلاد اليونان فيصوّرونها كصورة هياكل صغيرة فترى الناووس في نقوشه وواجهته واعمدته وافاريزه وغماه المثلث الشكل في اعلاه كأنه الهيكل اليوناني في هندسته واقسامه المختلفة . ومن هذه النواويس عدد وافر ترى منها مثالاً حسنًا في جنينة المرحوم رستم باشا . وعلى جهات هذه النواويس عادةً نقوشٌ رمزية تمثّل اطفالاً او طيورًا او اسماكًا او حيوانات غريبة الشكل تحمل الاكاليل والزهور

واعجب من هذه الآثار ما وقف عليه سنة ١٨٨٧ مدير المتحف السلطاني حمدي بك في مدافن صيداء واستخرجهُ من حفريّاتها ألا وهي اربعة نواويس من الرخام البديع الغالي الثمن اصطنعها احذق عملة اليونان فبلغوا في نحتها ونقوشها غاية الجمال بحيث يُعَدُّ عملهم هذا آيةً في فنّ النقش والتصوير وحكم لهم اصحاب النقد بالسهم الافوز . وهذه النواويس الاربعة قد نُقلت الى الاستانة العليّة وهي هناك اجمل زينة المتحف السلطاني فيتقاطر الى مشاهدتها كلّ محبي الفنون الجميلة . وانما يتلهّفون على ما تحطّم منها باثم اللصوص الذين في الاعصار السالفة تمكّنوا من الدخول الى مستودعها فكسروا بعض اطرافها ليسلبوا منها جواهرها كما انهم يأسفون على جهلهم لاسماء صنعة هذه الآثار الجليلة لينظموهم في سلك كبار المصوّرين وارباب الفنون الجميلة

واقدمُ هذه النواويس هو المعروف بناووس المرزبان لأنّ صورهُ المنقوشة على جوانبه تمثل مرزبانًا يُظَنُّ انّ ملوك الفرس اقاموهُ واليًا على انحاء الشام . والمرزبان المذكور تُرى صورتهُ على ثلثة وجوه الناووس في هيئة الحاكم وهو جالس على عرش على رأسهِ التاج وفي يدهِ الصولجان . وفي هيئة القائد المحارب اذ هو ممتطٍ جوادًا و يقاتل الاعداء . وفي هيئة الميت على فراش المنون . وحولهُ في هذه الصور خدمٌ وإماء وفرسان وعجلات في هيئات وحركات شتىّ فهذا يحاربُ عدوًّا فصرعهُ وكاد يقتله وذاك يصطاد فهدًا . هنا رجال يهتمون بالخدمة وهناك نساء يقدّمنَ سكيبًا للآلهة . وكل هذه الصور غاية في الدقّة تكاد تظنّ انها حيّة . والناووس كان مصبوغًا بألوان زاهية ذهب بمعظمها الزمان . وشكلهُ من اشكال النواويس اليونانيّة الممثّلة لهيكل . الا ان باطنهُ على هيئة النواويس الفينيقيّة وفي ذلك دليل على انّهُ كان وسطًا بين الزيّ الفينيقيّ والزي اليوناني . امّا تاريخهُ فيرقى الى القرن الرابع قبل المسيح او اوائل الخامس

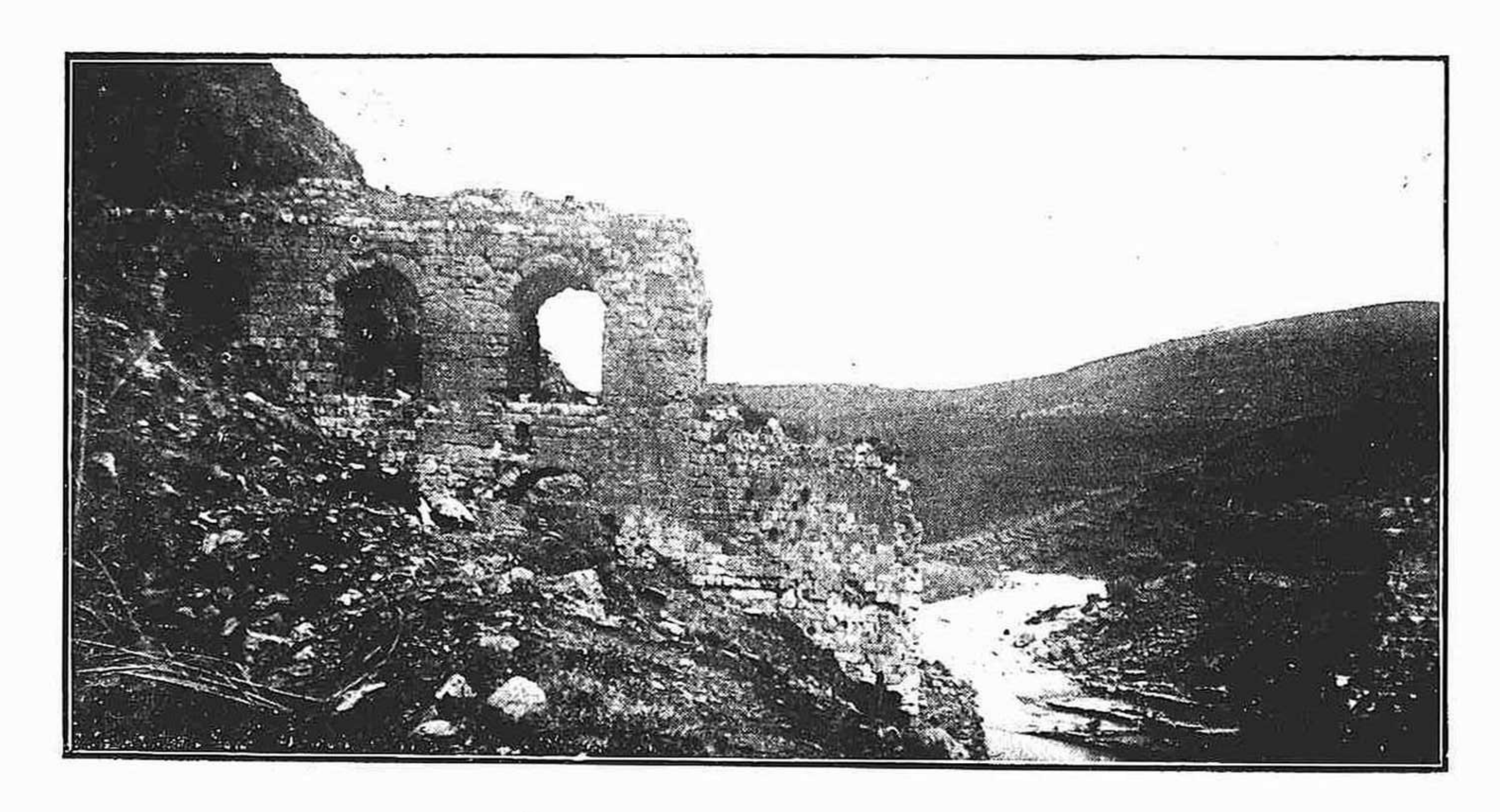
والناووس الثاني هو الناووس الليقي نسبةً الى هندسة اهل ليقية التي نقلّدها صانع هذا الاثر البديع . غير انّ نقوشهُ وتصاويرهُ تفوق على كل النواويس الليقيّة المعروفة سابقًا من حيث دقّتها ونهاية جمالها وحسن تركيبها . وقد سعى صانعهُ المجهول برسم هيكل مينرفة الشهير في اثينة وتقليد محاسنهِ الهندسيّة . وتاريخهُ من القرن الرابع قبل المسيح

والناووس الثالث يعرف بناووس الباكيات دُعي به لما نُقش على جوانبه من النساء النائحات وعددهنَّ ثماني عشرة يمثلنَ شواعر الحزن في كل هيئاته المختلفة فترى كل امرأة بارزةً في حالة من الكآبة اشدّ من الاخرى مع تفنُّنهنَّ في الحركات والجلسات والازياء • وعلى جوانب الناووس غير ذلك من التصاوير كمناظر طبيعيةٍ واعمال فروسيةٍ يُشار بها الى شهامة المدفين • وقد اخذوا على صانع هذا الناووس مجاوزتهُ حدود الذوق في تراكم الاشخاص لكن ارباب النقد صوت واحد في حكمهم على مقدرته العجيبة وبراعته في التصوير

امَّا الناووس الرابع فهو ابهى واجمل سائر النواويس اليونانيَّة المعروفة الى يومنا وقد دعوهُ بناووس الاسكندر الكبير لا لأنَّ الاسكندر ذا القرنين قُبر فيهِ والتاريخ يصرّح بانّ جثّتهُ بعد موتهِ حُنّطت ونُقلت من بابل الى الاسكندرية فأُودعت فيها اللحد • وانّما نسبوا هذا الناووس الى الاسكندر لأنَّ مكتشفيهِ وجدوا على جوانبهِ منقوشةً مآثر الاسكندر وحروبهُ مع الفرس وانتصارهُ على دارا في اربيل • ويُرى هناك ذلك العاهل في ثلث هيئات مختلفة يمتاز فيها بين قوّاده بتاجهِ الملكي ووقفتهِ كبطل مغوار • وهو في الواحدة من هذه التصاوير ممتطٍ جواداً مهاجماً وفي يدهِ رمحهُ يبارز بهِ احد اعدائهِ الفُرس • ويرى في صورة اخرى ينقذ بعض المصارعين من مخاليب اسدٍ رئبال • والناووس على صورة هيكل يوناني صغير جمع فيه صاحبهُ كلّ محاسن النقش والنحت والتصوير وهو حقيقة اهل بالاسكندر لولا ان الدهر قضى بخلاف ذلك فصار الناووس نصيب احد ملوك صيداء بعد ان ابتاعهُ الفينيقيّون بمالهم فخصّوهُ باحد ملوكهم

هذه بعض الآثار اليونانيَّة التي بقيت في لبنان وما هي سوى بَرْضٍ من عدّ اثبتناهُ هنا • انَّ فينيقية اكتسبت قسماً كبيراً من مآثرها من اليونان الا ان العدل يضطرُّنا الى القول بان اليونان مديونون ايضاً للفينيقيين باشياء كثيرة اخذوها عنهم • حسبك ما استفادوا من الفينيقيين من علم الكتابة • فانهُ سواء قيل ان الفينيقيين ابتكروا حروف الهجاء او انهم اذاعوها فقط في المعمور ولا سيما بين اليونان فلا بدّ من الاقرار بفضلهم في ذلك

وهنا لا بأس من ان نلمع الى كتاب خطير وضعهُ العلّامة الفرنسوي فكتور بيرار فطبعهُ في باريس سنة ١٩٠٢ في مجلَّدين ضخمين دعاهُ « الفينيقيُّون واوديسَّاة هوميروس » بيَّن فيه انَّ هوميروس الشاعر اليوناني الشهير في القرن العاشر قبل المسيح في كتابه منظومة اسفار عوليس الملك الى البلاد القاصية قد احسن وصف الاقطار التي مرّ بها واتقن تعريف خواصها وعادات اهلها والسبب انهُ بنى كلّ اوصافه على ما سمعهُ من الفينيقيين من اخبار رحلهم ومتاجراتهم ومستعمراتهم وفنونهم • واثبت المؤلف قولهُ برسوم وتصاوير شتى من آثار الفينيقيين واضاف اليه ادلَّة واضحة تنفي كلّ شكٍّ في حقيقة رأيه • وكفى برهاناً على ذلك كلام اسطرابون الجغرافيّ اليوناني حيث يقول : « اذا وُجد هوميروس محكماً لوصف البحرين الخارجيّ والداخليّ فذلك لانهُ نقل معلوماته عن الفينيقيين »



الجسر الروماني المعروف بقناطر زبيدة قريباً من بيروت

الآثار الرومانية في لبنان

فتح بمبيوس القائد سورية سنة ٦٤ ق · م وجعلها اقليماً رومانياً · فبسطت رومية سيطرتها على لبنان وافاضت عليه نعمها السابغة كما لوف عادتها مع الاقطار الخاضعة لدولتها · ومآثر الرومان في انحاء لبنان متعددة كسبوا بها شكر اللبنانيين وخلّدوا لهم بينهم ذكراً طيباً

«المشروعات العمومية» قد اشتهر الرومان حيثما حلّوا بالمشروعات النافعة لعموم رعاياهم · فكانوا اذا استولوا على قطر يسرعون الى فتح السكك فيه يخطّطها المهندسون ويقوم بنهجها فرقٌ من الجند تحت نظارتهم فيمهّدونها ويرصّونها بالحجارة ويؤثّرونها توثيراً حسناً لتصبر زمناً طويلاً على طوارئ الجو وضغط العجلات وكانت غايتهم من فتح تلك السكك ان يمهّدوا الطرق لجيوشهم ثم يسهّلوا المواصلات بين انحاء البلاد تنشيطاً للتجارة والمعاملات · ولم يثن عزمهم ما لقوه في لبنان من المسالك الوعرة والصخور الصماء بل باشروا بالعمل بهمةٍ لم تعرف الكلال · ففتحوا في الجبل عدة سككٍ لم تقوَ عليها عوامل الخراب الا بعد مرّ الدهور فمنها ما ترى آثاره في السواحل على مسير شاطئ البحر · ومنها ما يتوسّط لبنان كالطريق المنشأة من جبيل الى بعلبك فتجتاز في اعالي لبنان وتقطع صخوره الصماء · مع سكك اخرى كثيرة تجد بقاياها في نواحي الجبل شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً رُبّما دلّت عليها انصاب اقاموها على اطرافها من ميل الى آخر لتدوين المسافات بين بلد وبلد مع ذكر اسم القيصر الذي امر بانشاء الطريق

ومن اعمال الرومان المشكورة الجسور التي بنوها فوق الانهار او عُنوا باصلاحها بعد خرابها · وما بقي منها الى يومنا يدلّ على حسن هندستها وصلابتها العجيبة · لك في ذلك مثال عياني في جسر المعاملتين شمالي جونية فانّهُ من الاعمال العاديّة الناطقة بفضل مباشريها · وفي جسر جبيل بين البلدة ومدافنها القديمة

ومن اعمالهم التنيّ لجمع المياه ونقلها من ينابيعها الى المدن الساحلية ومزارع السهول نجد منها قناتين قريباً من بيروت الاولى القناة الممتدة بين نهر الكلب وجونية حيث جهز الرومان قناة محكمة الصنع جرّوا فيها مياه النهر الى السهول والمزدرعات الواقعة بينهُ وبين تلك البلدة · والثانية هي القناة الكبيرة التي كانت تنقل مياه الجبل الى بيروت وهي من عجائب الآثار القديمة كانت تجري فيها المياه من نبع العرعار بين قريتي برمانا وبيت مري فتمرّ فوق وادي نهر بيروت على قناطر ذات ثلاثة صفوف يركب بعضها البعض يبلغ علوها ٥٠ متراً وطولها ٢٤٠ متراً · والعامّة تنسب هذه القناطر اما لزينب ملكة تدمر واما لزبيدة قرينة هارون الرشيد · والصواب انها اقدم منهما عهداً وان الرومان هم الذين شيّدوها وبنوها بنحيت الحجارة الكبيرة وحموا بينها بالملاط الروماني المتين · وكانت المياه الجارية فوقها تنفذ في سربٍ منقور في الجبل على مسافة طويلة · ثمّ تبلغ الى ضواحي المدينة فتمرّ في منعطف تلّ الاشرفيّة فوق السكّة الحديديّة الحاليّة الى ان تبلغ البلد تحت مدرسة الحكمة · وقد بقي منها بقايا ضخمة الى يومنا هذا · وللاب جوليان اليسوعي والرياضي الشهير مقالة خاصّة في وصفها · ويؤخذ من اقيستهِ انّ هذه القناة كانت تمني بيروت بمواردها · وكان مقدار الماء الجاري فيها يبلغ في

كل ثانية متراً مكعّباً اعني ٥ امرة ازيد ممّا تأتينا به ادوات شركة نهر الكلب الحاليّة. وقد ادّت هذه القناة لبيروت خدماً عظيمة مدّة قرون طويلة كما تشهد عليه الرواسب الكلسيّة المتصقة بحجارتها من باطنها. ولعلّها خربت في الزلزلة التي دهمت بيروت في عهد يستنيان فجعلتها ردماً تنعق عليها الغربان

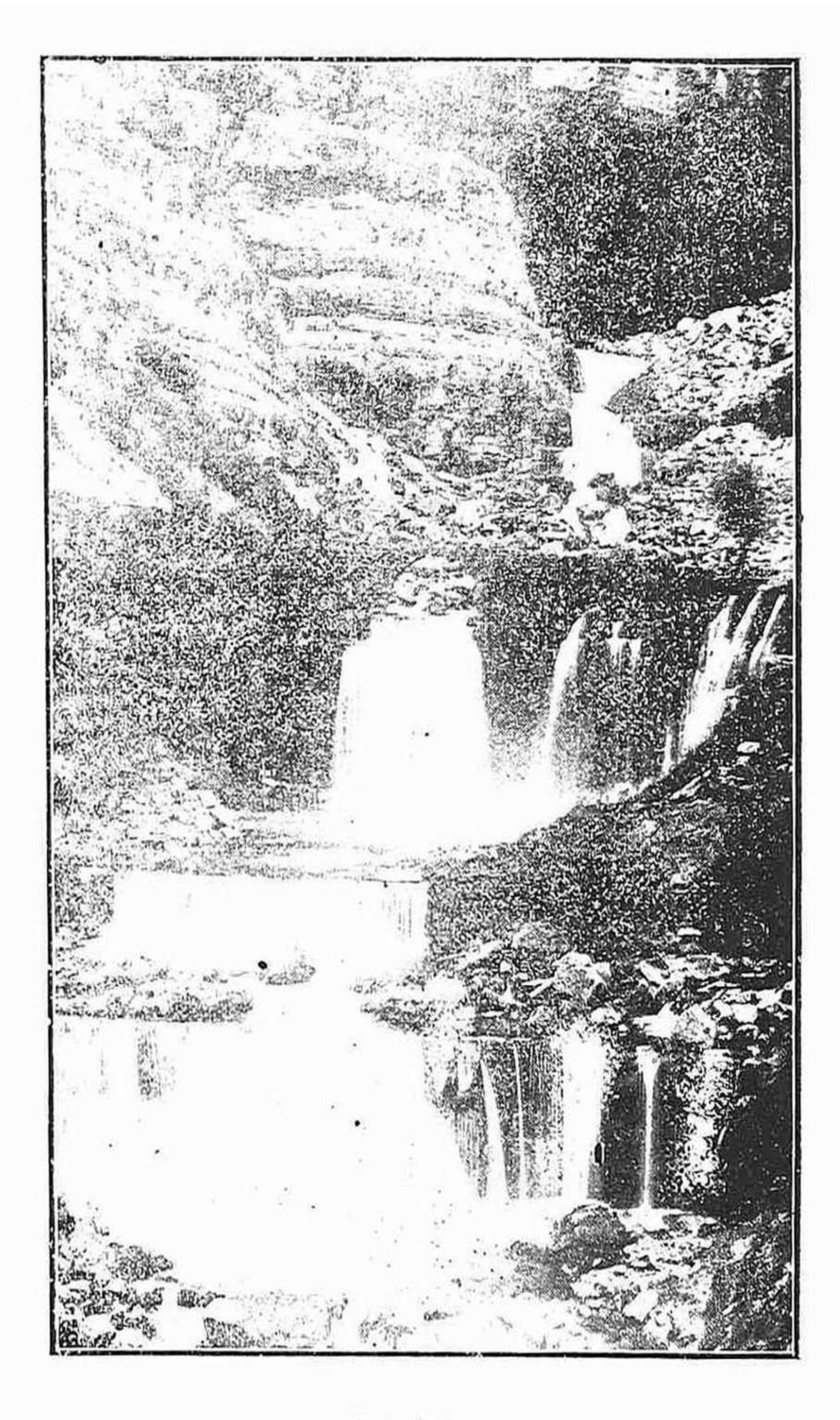
ومن هذه القني الرومانيّة قناة اخرى كانت تنقل مياه نهر ابراهيم الى جبيل ومنها آثار لم تطمس الى الآن

وكانت كلّ هذه القني تمتدُّ غالباً في وسط الصخور المنقورة وكانوا يفرشون فوقها الصفائح صوناً لها من الاقذار ولا سيما من جرف المياه المطريّة في فصل الشتاء فتنتهي الى بيروت خالصة صافية زلالاً

وممّا يُذكر من فضل الرومان نحو لبنان فيحق لهم عنه الشكر انهم لما دخلوا بلاد الشام عرفوا انّ غنى لبنان يقوم بغاباته وضروب اشجاره التي تجمّل مشارفه ولعلّهم رأوا بعض الاهلين يحملهم طمعهم بالربح بل قل جهلهم بخيرهم الصحيح على ان يقطعوا تلك الاشجار دون نظام وحكمة. فاسرعت الحكومة الرومانيّة واحتكرت اربعة اصناف من اشجار لبنان وهي العرعر والسرو والصنوبر والارز وكلّها من الاشجار الجبليّة الصلبة الخشب الوارفة الظل فلم تسمح الاهلين بقطعها وقد كانت عيّنت لذلك مهندسين من ارباب المزدرعين لا يقطعون شجرة الّا غرسوا غيرها. ومن خشب هذه الغابات كان الرومان يجهّزون سفنهم ويخبر التاريخ عن بمبيوس فاتح بلاد الشام انهُ اصطنع لهُ اسطولاً من الخشب اللبناني تمكّن به من قطع دابر القرصان الذين كانوا يعيثون ويفسدون في تلك النواحي. وفي الكتابات المكتشفة في لبنان كتابة تكرّر رقمها في جهاته يستفاد منه انّ اهل لبنان مخبّرون بقطع بعض الاشجار دون غيرها اي الاصناف المذكورة انفاً

❊ الهياكل الرومانيّة في لبنان ❊ علم الرومان ان الفينيقيين حريصون على حفظ دينهم فاحبّوا ان يستعطفوهم بمساعدتهم على بناء الهياكل الفخيمة وتوفير مشاعرهم الدينيّة وقد سبق انّ اليونان يوم تملّكهم على فينيقية تساهلوا مع اهلها في امر معبوداتهم فتركوا لهم جوهر دينهم واكتفوا بان كسوها بسمة يونانيّة في الظاهر. وكذلك فعل الرومان فانهم اعتبروا الدين الفينيقي كنفس دينهم الروماني لا يخالفه الا بالعرض. فاكتفوا بان يسمّوا آلهة الفينيقيين باسماء آلهة رومانيّة. ومن ثمّ صرفوا القناطير المقنطرة على الهياكل التي شيّدوها او رمّموها بعد خرابها في انحاء لبنان فضلاً عمّا تكلّفوه في سائر بلاد الشام كحمص وحلب وحماة وبعلبك وجهات بقاع العزيز

ومن هذه المباني الدينيّة التي اهتمّوا بتشييدها هيكل دير القلعة وكان الفينيقيّون قبل فتح الرومان لبلادهم يعبدون هناك البعل المدعو بعل مرقد اي بعل الرقص والقصف كانوا يجتمعون عندهُ في بعض مواسمهم ليكرموهُ بالرقص واسباب الملاهي والمآدب. فلما جاء الرومان ادرجوا هذا الاله الفينيقي في مصفّ آلهتهم واعتبروهُ كعظيم آلهتهم جوبتير اي المشتري وجمعوا بين الاسمين فقالوا جوبتير البَعَلمرقدي (Jovi Baalmarcodi) كما ورد في عدّة كتابات ثمّ اقاموا لهُ ذلك البناء المهيب الذي تُرى قريباً من بيت مري بقاياهُ العجيبة. وكانت تُكرّم هناك عشترت الإلهة الفينيقيّة زوجة البعل في هيكل خاصّ فجعلها الرومان



جنادل افقا

بمنزلة يونون زوجة جوبتير . وقد ورد اسمها في كتابات نشرها الاثريون . وللاب سبستيان رنزڤال مقالات واسعة في هيكل دير القلعة ووصف آثاره التي اكتشف قسماً كبيراً منها . وقد قدّر بعد درس تلك المآثر انّ الهيكل كان يبلغ ٢٥ متراً في العلوّ . وهذا لعمري احسن دليل على عظم ذلك البناء وجليل قدره

وكان الهيكلان اي هيكل جوبتير بعل مرقد وهيكل عشترت اي يونون في وسط بقعة تفتن الابصار . وكان لهيكل البعل رواق رحب الفناء تسنده ثمانية اعمدة ضخمة من الرخام البلدي يُصعَد اليه بدرج يوازيه حسنًا وسعةً . وكان في داخله مزيّنًا بتمثال الاله المنصوب في كوّة تلي شبه مظلة فاخرة

ويشبهُ هيكل آخر في عظمه وهندسته الرومانيّة نريد به هيكل أفقا الواقع عند منبع نهر ابراهيم والمغاور التي تخرج منها مياههُ الزاخرة . فهناك اساس هيكل قديم عبد فيه الفينيقيّون عشترت ثمّ لحق به الخراب بعد مدّة فعاد الرومان وجدّدوهُ وخصّوهُ باكرام الزهرة الى ايام قسطنطين الملك فامر بهدمه اذ بلغهُ ما يجري في ذلك المعبد من الآثام الفظيعة والارجاس القبيحة وذلك سنة ٣٢٥ الا ان القيصر يليان الجاحد تقدّم بترميمه وتكرار مواسمه الشنيعة فقام بعدهُ بزمن ثاودوسيوس الكبير واخربهُ ثانيةً ثمّ جاءت الزلازل وبالغت في تدميره بحيث لا ترى منهُ اليوم سوى اركانه الضخمة

ومن الهياكل الرومانيّة في لبنان هيكل فقرا المبنيّ فوق مزرعة كفرذبيان في لحف جبل صنين على علوّ ١٦٠٠ متر من سطح البحر وقد بقي منه بقايا ذات شأن كافية لتعريف هندسته واقسامه . وقد وصفهُ رينان في كتاب بعثة فينيقية وقابل بينهُ وبين هياكل اخرى بناها الرومان فاستدلّ من طريقة بنائه وحجارته الضخمة انهُ للرومان . وايّد قولهُ بكتابات على بنايات اخرى قريبة منهُ اخصّها برج عظيم مربّع حيث وجدت كتابتان تذكر الواحدة القيصر الروماني كلاوديوس والثانية اسم باني البرج وهو احد سدنة الهيكل ابتناهُ على نفقة خزانة الاله العظيم والمقصود به البعل او المشتري ولا يبعد انّ بناء الرومان سبقهُ بناء فينيقي اقدم منهُ

وفي لبنان آثار اخرى من هياكل رومانيّة كهيكل بزيزا وهيكل ناوس في جهات طرابلس ليس بعيداً من اميون . وهي آثار جليلة تدلّ على همّة الرومان في تشييد الهياكل الفخيمة بالحجارة الضخمة والهندسة الجميلة . وكانت هياكلهم في المدن ابهى واجمل كما يفيدنا التاريخ الا انّ آثارها قد فُقدت بأذى الزمان

﴿ التماثيل الرومانيّة ﴾ هذه التماثيل منها دينيّة ومنها مدنيّة والاولى اكثر عدًّا نخصّ منها بالذكر تمثالاً عظيمًا للاله نپتون اله البحر عند الرومان وُجد في جبيل سنة ١٩٠٣ في ارض من املاك الرهبان البلديين فوصفهُ الاب سبستيان رنزڤال في مجلّة المشرق ورسم شكلهُ فيها . وهو تمثال متقن النحت تدلّ صناعتهُ على حذاقة ناحته الروماني . ولا سيّما رأس الاله فانهُ غاية في الاتقان يُشبه في بهائه وعزّته الصورة التي خصّ بها الاقدمون المشتري أبا الآلهة . والمظنون انّ هذا التمثال كان يزين احد الهياكل التي اقامها الرومان في جبيل . وقد نُقل التمثال الى متحف الاستانة

وممّا اكتُشف حديثًا في كفرجزّين قريبًا من برجا تمثال جوبتير البعلبكيّ على صورة رجل منتصب طويل الشعر ذي لحية خفيفة وفي هيئته تخنث وهو رافع يدهُ اليمنى امّا يسراهُ فمنحنية على صدره وعليه

رداء طويل فوقهُ صدرة مشبكة الخطوط ومن ورائه النسر المرموز به عن المشتري. وكان رينان وجد سابقاً تمثالاً آخر لجوبتير البعلبكي في صربا يُحفظ اليوم في متحف باريس . وقد وصف الاب رنزفال اثراً ثالثاً اكتشفهُ سنة ١٩٠٨ في جبيل يمثّل «جوبتير الاعظم» كما ورد في كتابة يونانيَّة تحتهُ. والاله مصوَّر الى وسطهِ وهو ملتحٍ كث الشعر على رأسهِ عصابة وشعره يتحدر اطباقاً الى اذنيهِ فيواريهما وملبوسهُ رداء بأردان فوقهُ شملة يعطفها فوق كتفهِ الشمال وعلى يسارهِ صولجان وعن يمينهِ صورة الصاعقة فعلى هذه الهيئة كان الجبيليون يعبدون جوبتير وهم يعتبرونهُ بمثابة إلههم« ملوخ » الا انهم اخرجوهُ في زيّ يوناني روماني وللتمثال قاعدة رُقمت عليها كتابة تعرّف شخصهُ

وقد وجد الاب المذكور اثراً آخر في نيحا يمثّل ثلثة آلهة ذكر فاثنى منتصبين امام مذبح ثمَّ معبوداً ثالثاً صغير القد مجنّحاً راكباً على ثور . والمعبود المذكور الاله الروماني هرقل تدلُّ عليهِ هراوتهُ في يدهِ الشمال لكنَّهُ بزيّ وطني كما يلوح من ثوبهِ الشرقي السابغ وقبعتهِ المخروطة

وفي متاحف الاستانة وباريس تماثيل اخرى وجدت في لبنان او في سواحلهِ بينها تماثيل لمينرفة إلهة الحكمة وللزهرة ولإله الطب اسكولاب. اما التماثيل المدنيَّة فمعظمها وُجد محطَّماً فيصعب بيان الممثَّل بها الا التماثيل الحيوانيَّة كالاسود والثيران وغير ذلك مما تحقق اصله الروماني

﴾ المباني الرومانيَّة ﴿ لم يخلف لنا الرومان في لبنان هياكل ومعابد فقط بل شيَّدوا ايضاً ابنية اخرى كالحصون والقصور والمراسح والمعاهد العموميَّة التي اكتسبوا بها شكر رعاياهم وان كان الدهر طحن بكلكلهِ اكثرها. ففي البترون شيَّدوا لهم حصناً منيعاً وجدت بعض انقاضهِ القديمة. وفي المكان المسمَّى مراح الشيخ بجوار البلدة ملعبٌ قديم بناهُ الرومان تظهر الى اليوم مقاعده على شكل درج مستدير منحوتة في الصخر

ومما لا يجوز الاضراب عنهُ المباني التي شيَّدها الرومان في بيروت او بُنيت باغرائهم. وكان اوغسطوس قيصر محبّاً لبيروت واهلها فخصَّهم بالطافٍ لم يمنحها غيرهم ثم ولَّى عليها صهرهُ القائد مرقس سبسيانوس اغريبا بعد اقترانهِ بابنتهِ جوليا التي باسمها دُعيت بيروت «مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة بيروت» وضرب نقوداً على هذا الاسم. اما زوجها فلم يدَّخر وسعاً في ان يجعل بيروت من المدن الاوَّليَّة وحواضر الشام فبنى فيها الابنية الفخيمة واستدعى اليها فرقتين من الجنود الرومانيَّة اي الفرقة المقدونيَّة والفرقة المنسوبة الى اوغسطوس قيصر فامتازت بذلك على بقيَّة المدن الساحليَّة ثمَّ منحها اوغسطوس الانعامات المختصَّة بالمستعمرات الرومانية وخوَّل اهلها حقوق المدنيَّة الرومانيَّة وذلك في السنة ١٥ قبل المسيح

وقد روى المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس انَّ هيرودس الكبير لمَّا رأى محبة اوغسطوس قيصر لبيروت عزم على مجاملتهِ فشيَّد فيها النوادي الواسعة والاروقة الرحبة والهياكل العظيمة والاسواق الفاخرة والحمَّامات والمخازن التجارية فتقاطر الى بيروت كثير من الرومان والاجانب فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً

وورث هيرودس اغريبًا الاوَّل حفيد هيرودس الكبير حبَّ جدّهِ لبيروت فزانها بابنية جديدة منها

مرسح شهير كان يفوق على مراسح كثير من الحواضر الرومانيَّة ·وكذلك بنى ملعبًا وميدانًا فخيمًا لمصارعة الحيوانات الضاربة ومعاهد اخرى انفق في هندستها قسمًا من ثروتهِ الواسعة واقام في تدشينها مواسم واعياداً لم يعهدها الناس من قبله·فمثَّلوا في المرسح المشاهد المبهجة وتوفرت فيه الملاهي وعزفت ضروب المعازف المطربة·وتفكهًا للحضور حكم على ١٤٠٠ من اصحاب الجنايات بان ينقسموا قسمين ليقاتل بعضهم بعضًا ففعلوا حتى قُتلوا كلهم عن بكرة ابيهم في ذلك الميدان الذي اعدَّهُ لتلك المبارزات الوحشية·وعلى رأي بعض الاثريين ان الميدان المذكور كان على شاطئ البحر قريبًا من ميناء الحصن المعروف بخان الصاغة حيث يُرى شيءٌ من آثارهِ

وفي هذا الميدان نفسه نادى الجيش الروماني بقائدهم وسپسيان امبراطوراً بعد وفاة نيرون فبايعهُ امراء الجيش والولاة فسار من ثمَّ الى رومية ليضبط زمام الملك·وفيهِ ايضًا احتفل ابنه طيطس بعيد مولد ابيه بعد فتحهِ اورشليم بما لا مزيد عليهِ من الأبهة والمجد وامر بقتل جم غفير من اسرى اليهود ليمتّع الشعب بقتلهم

وقد جرى هيرودس اغريبَّا الثاني مجرى اغريبَّا الاوَّل ابيهِ في تزيين مدينة بيروت بالآثار الجميلة مع كونه ملكاً على البقاع وبيروت غير داخلة في تخوم مملكتهِ · فنصب فيها التماثيل ونقل اليها صور مشاهير القدماء من انحاء المملكة وشيَّد فيها ٦٤ ناديًا جديداً من جملتها بناية المجلس البلدي التي يستدلُّ على شيءٍ من آثارها عند باب الدركة بقرب رجال الاربعين واقام في مرسحها المشاهد السنويَّة فصارت الملاعب والاعياد تحاكي في بيروت مواسم رومية ذاتها·ومن مآثره انهُ كان يوزّع على اهل بيروت بسخاء القمح والزيت حتى نسب الى الاسراف ولامهُ اهل دولتهِ على تبذيرهِ خزائن المملكة في سبيل مدينة خارجة عن حكمهِ

وممَّا كانت بيروت مزدانةً بهِ في عهد الرومان اروقة على سوارٍ ضخمة كانت تمتدُّ على طول المدينة فيتجوَّل الناس في ظلِّها صيفًا وشتاءً · وفي الحفريَّات غير المنظَّمة التي جرت في هذه السنين الاخيرة لبعض اعمال النافعة ظهر قسمٌ من هذه الآثار القديمة· ولا شك انَّ منها قسماً اوفر يمكن استخراجه بحفريَّات قانونيَّة · وقد شيَّد الرومان لجبيل أروقةً كأروقة بيروت

﴿ الكتابات الرومانيَّة في لبنان ﴾ كما تعدَّدت في لبنان الكتابات الحجريَّة اليونانيَّة في ايَّام السلوقيين كذلك الرومان ابقوا لنا عدداً عديداً من كتاباتهم اللاتينيَّة في فينيقية وانحاء الجبل نذكر منها ما يأتي :

١ كثير من هذه الكتابات هي نذور وادعية وتقادم لمعبودات وطنيَّة قد نشر منها الاب لويس جلابرت عدداً وافراً ممَّا وُجد خصوصاً في دير القلعة اكرامًا للمشتري بعل مرقد البعلبكي الاله العظيم المكرَّم هناك · وربمَّا ورد في تلك الكتابات مع اسم المشتري اسم الاله مركوريوس اي عطارد والإلهة يونون الملكة او الإلهة الزهرة عشترت (اطلب القسم الاوَّل من منشورات المكتب الشرقي ص ١٧٥ — ١٨٨

٢ ومن هذه الكتابات ما ورد فيهِ ذكر القياصرة الرومانيين في انصاب أُقيمت اجلالاً لهم· مثل كتابة القيصر كلاوديوس في قلعة نقرا — وكتابتين لاهل بيروت اثنوا فيهما على الامبراطور طرايانوس قيصر وجد الواحدة منها الاب هنري لامنس في دير القلعة — ومثل كتابات متعدِّدة وُجدت في جهات الكورة

والزاوية لادريانوس قيصر مرقومة على الصخور يستدلّ منها على احتكاره لاربعة ضروب من الشجر سبق ذكرها — ومثل ثلث كتابات ذُكر فيها طيطوس مرقس انطونينوس المعروف بانبار الواحدة فوق نهر الكلب والثانية وُجدت في جديتا · امّا الثالثة فباليونانيّة تُرى فوق باب كنيسة عبادات من جهات جبيل — ومثل كتابة واسعة تُرى في جهات ايعُونة مضمونها تقدمة مستعمرة بيروت للقيصر سبتيميوس ساويرس المعروف بكراكلا — ومثل كتابة دعاء لسبتيميوس ساويرس پرتيناكس وُجدت في دير القلعة — وخصوصاً كتابة سُطّرت ذكراً لقسطنطين الكبير الظافر وسلامة اولاده الثلاثة وجدها اثريّ الماني في قرب نهر الكلب فنشرها رينان في كتاب بعثة فينيقية (ص ٣٤١)

٣ وربما رُسمت هذه الكتابات تنويهاً بذكر احد ارباب الدولة كالاثر الذي وُجد في جبيل يشتمل كتابةً لاتينيّةً على قاعدة تمثال عزم اهل بيروت على نصبهِ لحاكم الشرق المسمّى فلاقيوس دوميطيوس ليونتيوس سنة ٣٣٨ للمسيح في ايّام قسطنطين الملك الكبير

وكذلك روت مجلّة المشرق في سنتها السادسة عشرة ١٩١٣ (ص ٧٩) كتابة لاتينيّة وُجدت مؤخراً في بيروت فنشرها الاب لويس جلابرت مؤدّاها الثناء على ضابط يُدعى ڤالريوس روفوس اشتهر ببسالته في عدّة وقائع فنال من فضل الامبراطور ادريان نحو السنة ١٢٩ للمسيح رتبة شرفيّة اذ جعله كتائبهِ في بيروت

٤ ومنها كتابات مدفنيّة وعددها وافر استخرجت من مدافن جبيل و بيروت وصيداء وجهات لبنان لا حاجة الى ذكرها · وقد سبق أنهم كانوا يرسمون بقربها صورة خشبية يدعونها « نفش » اي النفس احياءً لذكر الميت · ولعلّ الفينيقيين اخذوا ذلك عن الرومان

٥ و بعض هذه الكتابات لغايات معلومة كتحديد حدود الاملاك او تعريف اصحاب الاملاك او شكر على نعمة وما شاكل ذلك

﴿آثار رومانية شتى﴾ في لبنان وسواحل الجبل آثار مختلفة اجمع ارباب الآثار على نسبتها الى الرومان· اخصُّها بعض الحصون والقلاع التي شيّدوها لردّ غارات العدوّ منها قلعة صربا التي كان قسم ابنيتها قائماً في اوائل العصر الماضي ثمّ لم يزل البنّاؤون يقطعون حجارتها الضخمة لابنيتهم المستحدثة حتى كادوا يطمسون آثارها· ومنها قلعة فقرا التي مرّ ذكرها· ومنها قلعة بحمور جنوبي شرقيّ عمريت على مسافة ساعة ونصف منها وُجد فيها كتابة لقسطنطين الملك باللاتينيّة — ومن آثارهم متاريس وخنادق نقروها في الصخر الاصمّ اعظمها شأناً ما يُرى منها في انفة المدعوّة قديماً بمدينة ترياريس وكانت من المدن الساحليّة المحصّنة — ومنها ايضاً آبار وصهاريج نحتوها في الصخر ليجمعوا فيها المياه بقي منها في طريق جبيل عين ماحوز والرويسة في رأس بيروت و بعض الآبار في القرى القديمة كناوس وسمرجبيل وكفر شليمان

هذه لمحة وجيزة عن الآثار الرومانيّة في لبنان وهي كما ترى عديدة وكلّها يُنبئ بعظم تلك الامّة التي دهشت العالم بقوّتها وحسن سياستها وانشائها للأعمال العاديّة الجبّاريّة

٨ الآثار البوزنطية في لبنان

انقسمت الدولة الرومانيّة بعد قسطنطين وثاودوسيوس الى قسمين غربي فشرقي وما لبث قسمها الغربي مع عاصمتهِ رومية ان صار في حوزة الامم البرابرة التي تقسّمتهُ بينها وجعلته عدّة ممالك مستقلّة. امّا القسم الشرقي فبقي في ايدي ملوك الروم مع عاصمتهِ القسطنطينيّة. وكانت سوريّة ولبنان من جملة البلاد التي يتولّون تدبيرها وذلك الى حين ظهور العرب في القرن السابع

ففي هذه الحقبة من الدهر لم يغضّ ملوك الروم طرفهم عن لبنان ومدنهِ الساحلية ناهيك برهانًا على ذلك بمدرسة الحقوق البيروتيّة التي كان سبق انشاؤها عهدهم لكنهم بلّغوها الى اوج فخرها لاسيّما في القرن السادس للمسيح في ايام الملك يستنيان الذي وسّع نطاقها وخصّها بانعامات شتى وعوّل على اساتذتها لتأليف دستور الشرائع الجامع لكل قوانين المملكة في كافة دوائرها العموميّة والخصوصيّة

واخصّ ما يُذكر من آثار العهد البوزنطي كنائس قديمة وصف رينان آثارها في بعض انحاء لبنان منها كنيسة مشنقة ذكرها في بعثة فينيقية ونعتها بالاثر البوزنطي وقال ان ابنيتها الباقية حسنة (ص ٢٩٠) وكذلك ذكر معبد ناوس فوق شبطين ورقى آثارهُ ونقوشهُ الى القرن السابع (ص ٢٥١) ومعبد كفر شلمان الذي تدلّ على اصلهِ البوزنطي كتابة يونانية في احد جدرانهِ مرموز بها الى السيد المسيح. وكانت كنيسة حدثون من اجمل الآثار البوزنطيّة لكنّ الاهلين هدموها ليبنوا بدلاً منها كنيسة جديدة اوسع منها. ولحسن الحظ قد وصفها قبل خرابها شاهد عياني فقال انها كانت ذات اسواق ثلث وفيها سبعة ابواب ثلثة غربًا ضمن دهليز وباب جنوبًا ذو دهليز خاص وباب شمالاً ضمن دهليز منقور في الصخر ثم بابان على جانبي الحنيّة البهيّة الصنع ووراءها الموفه. وكان للكنيسة اربع قناطر مرتفعة اثنتان على الجانب الايمن واثنتان على الايسر يستند طرف الواحدة الى الحنيّة وطرف الاخرى الى الحائط الغربي وكانت الكنيسة مبلّطة بصغار الحجارة المنقوشة الملوّنة اي بالفسيفساء تمثل رسومًا وتصاوير جميلة

والحق يقال انّ صناعة الفسيفساء قد برع فيها البوزنطيّون ومنها امثلة مستجادة في بعض الكنائس القديمة في لبنان كفسيفساء كنيسة القديس جاورجيوس في مسرح وكنيسة كور القديمة. وكالفسيفساء التي وُجدت في نبي يونس على طريق صيداء وهي تمثل دائرةً ضمنها كأس حولهُ طيور كالطاووس والحجل وبعض الحيوانات الرمزية تاريخها سنة ٥٥٤ م وقد أُهداها داود باشا متصرف الجبل الامبراطور نابوليون الثالث وهي اليوم في متحف اللوفر في باريس

والى هذا المتحف نُقلت فسيفساء اخرى اوفر منها حسنًا ورونقًا اكتشفت في كنيسة قبر حيرام السابق ذكرها وقد قام بعملها عملة حاذقون لاكرام القديس كريستوفورس المكرَّم فيها سنة ٧٠١ لصور اي ٥٧٥ للمسيح وفيها صور غاية في الدقّة والبهاء تمثل في وسطها ألعابًا ونقوشًا بديعة وعلى جوانبها صفوف ذات دوائر بديعة في كلّ دائرة صورة انسان او حيوان او طائر او سمك مرموز بها الى فصول السنة ومنطقة البروج والرياح وغير

ذلك وكانت تمتد في صحن الكنيسة يبلغ طولها ١٤ متراً و ٤٢ سنتيمتراً تشهد للبوزنطيين بالسبق في هذا الفن · وكذلك يخبرنا تاريخ العرب ان الخليفة الاموي الوليد بن يزيد لمَّا اراد بناء الجامع الاموي في دمشق انتدب الى العمل صنعةً من الروم اتقنوا بناءهُ وزينوهُ بضروب الفسيفساء ممَّا اكتُشف آثارهُ منذ عهد قريب فذكرتهُ مجلة المشرق (في سنتها الرابعة عشرة ص ٦٣٩) · وكذا جرى في بناء الجامع الاقصى في القدس الشريف

ومَّما يُعزى ايضاً للبوزنطيين بعض كتابات مدفنية لقوم من النصارى وُجدت في محلات مختلفة لاسيَّما المدن الساحليَّة · منها كتابة وجدت في صيداء على صفيحة لمدفنٍ دُفن فيه اربعة اشخاص في اعلاه صليب مقرَّن الاطراف مع الحرفين A وW وتاريخ الحجر سنة ٦٢٥ وهي على وفق تاريخ صيداء توافق سنة ٥١٤ للمسيح نشرها رينان في بعثة فينيقية (ص ٣٩٠) مع غيرها من الكتابات المدفنيَّة

هذا وانَّ كثيراً من الكنائس البوزنطيَّة في لبنان وحواضر ساحلهِ قد اصبحت اليوم نسياً منسياً لا نعرف من امرها سوى ما ورد عنها في التواريخ القديمة · من ذلك ما رواهُ المؤرخ زكريَّا المعروف بالدارس الذي ازهر في اواخر القرن الخامس للمسيح وكان انقطع في بيروت الى درس الفقه في مدارسها الشهيرة فكتب في السريانيَّة اخبار رفيقه ساويرس الذي صار بعد ذلك بطريركاً اوَّل على اليعاقبة فمن جملة ما افادنا عن بيروت في زمانهِ انها كانت تحتوي على عدَّة كنائس بوزنطيَّة ذكر منها كنيسة القيامة وكنيسة مريم وكنيسة الرسول الشهيد يهوذا

وكذلك جاء في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (ص ١٧) ذكر كنيسة اخرى بوزنطيَّة روى عنها تقليداً شاع بين النصارى عن ايقونة ضربها بعض اليهود فنزفت دماً

فهذه الكنائس القديمة لا تظهر آثارها الا بعد حفريَّات عميقة تزيل الانقاض المتراكمة فوقها بفعل الزلازل وتمادي الزمان كما جرى مؤخراً في المدينة لمَّا سعت البلديَّة بتنفيذ اوامر دولة والينا الاكرم عزمي بك فدمَّرت بعض الاحياء التي كانت عشَّشت فيها الجراثيم الوبيئة فانَّ العملة وقفوا عند سوق البازركان على آثار ابنية بوزنطيَّة قديمة كانت بينها كنيسة ظهرت حنيَّتها و بعض اعمدتها مع صلبان بوزنطيَّة الشكل

ولا شكَّ انَّ الكتابة اليونانيَّة التي كانت موجودة فوق باب الدركة قريباً من كنيسة الاربعين كانت قديماً على باب كنيسة بوزنطية مضمونها تحريك عاطفة الرحمة في قلوب الداخلين ليسعفوا بصدقاتهم اخوتهم المساكين

٩ الآثار العربيَّة في لبنان

قهر العرب البوزنطيين فملكوا بعدهم على بلاد الشام مباشرين بالفتح في ايَّام ابي بكر الصدّيق حتى اتمّوهُ في خلافة عمر بن الخطَّاب فاصبحت سوريَّة جمعاء في حكمهم الا مشارف لبنان لوعور مسالكها فارسل اليها ملوك الروم غزاةً من جنودهم يُدعَون بالمَرَدة كانوا في جهات قيليقية فدخلوا لبنان وحصَّنوهُ في وجه العرب

وكانوا حيناً بعد حين يندفعون كالسيل الجحاف من اعالي الجبل فيغزون السواحل وينهبون ويسلبون ويعودون بالغنائم الباردة الى مواطنهم ولزموا تلك الخطّة العدائية الى ان عيل صبر بني اميّة فصالح عبد الملك بن مروان ملكَ الروم وأدّى لهُ مالاً ليكفّ عنهُ حَمَلات المَرَدَة كما روى البلاذري في كتاب فتوح البلدان فردّ صاحب القسطنطينيّة جيش المردة الى بلادهم وحظي الجبل باستقلال نوعيّ الى عهد الصليبيين · ولذلك لا ترى في لبنان من مآثر العرب الا النزر اليسير لاسيما في جهاتهِ الشماليّة التي اعتصم بها اللبنانيّون

امّا السواحل فلا تخلو من بعض الآثار الراقية الى الطور العربيّ منها بعض المزارات الاسلاميّة كمزار الاوزاعي في جنوبي غربي بيروت لهُ هناك مقام لا تزال آثارهُ باقية · ويُرى مثل هذه المزارات في طرابلس وصور وصيداء وانما هي غالباً حُجَر مكعّبة تعلوها قبّة

ولا شكّ انّ العرب كانوا اتخذوا لهم الجوامع والمعابد لأداء فروض دينهم كما حصّنوا مدنهم الساحليّة بالقلاع الحريزة لردّ غارات العدوّ برّاً وبحراً كما افادنا عن ذلك كتبة الفرنج الصليبيين في اواخر القرن الحادي عشر فما بعدهُ · غير انّ آثار تلك الابنية المنيعة قد دثرت بفعل الزمان

وممّا نجا من كوارث الدهر فسعى بجمعهِ الاثريّون بعض اعمال الصناعة كخزفيات شتّى تُرى في المتاحف كالآنية البيتيّة ولاسيّما السُّرُج للاستصباح · وكحليّ ومصاغات وكؤوس واباريق معدنيّة عليها نقوش عربيّة

ففي متحف سيفر في باريس آنية من الخزَف الصينيّ والصلصال تاريخها من القرون الوسطى بينها الجرار والصحون والاقداح والجامات التي صُنعت في معامل صور وطرابلس ودمشق بعضها محلّى بالمينا وعليهِ النقوش والكتابات العربيّة ممّا اقتناهُ الصليبيّون فنقلوهُ الى بلادهم وحرصوا على صيانتهِ

وفي معاهد الآثار في لندن وباريس وبطرسبورج وبرلين عدّة ادوات من الزجاج الفاخر الراقي الى ذلك العهد ممّا عُني بشغلهِ حَذَقة الصنّاع في سواحل لبنان وسوريّة كعكّا وصور وطرابلس كلّها تدلّ على انّ اصطناع الزجاج واستحضار آنيتهِ كان بلغ عندهم غاية كمالهِ · وفي متحف المرحوم شرل شيفر في باريس قدح كبير من الزجاج عليهِ تركيب المينا بالوان وتصاوير عجيبة بينها صورة صيّادين ووحوش ضارية يحاولون صيدها · وكان هذا القدح لبدر الدين الظاهري رئيس جيوش السلطان الظاهر بيبرس في القرن الثالث عشر

وزد على ذلك ضروب الاقمشة والانسجة الحريريّة والثياب المقصّبة والاجواخ والديباجات والطنافس التي كان يحيكها اهل طرطوس وصور وطرابلس وانطاكية ودمشق ومنها نموذجات بديعة في المتاحف الاوربيّة وقد اخبر السائح بُرخَرْد انّهُ دخل طرابلس سنة ١٢٨٣ فوجد عدد المناسج والانوال فيها بالغاً ٤٠٠٠

ومن الآثار الباقية ايضاً من عهد العرب اواني النحاس والفضّة والذهب المنقورة فيها النقوش والآنية المحلاة بالتصاوير واصناف الاشكال الهندسيّة والكتابات العربيّة · بينها السُّرج والشماعدين والجامات · ومنها ما كان لخدمة الملوك كصلاح الدين ونور الدين وزنكي ومنها ما صنعهُ الجوهريّون لامراء الفرنج كما ترى في الكتابات المرقومة عليها

ومن مآثر العرب ايضاً كتابات مدنيَّة وصف بعضها الاب سبستيان رنزفال في السنة الثالثة من مجلَّة المشرق اخصُّها كتابة ضريحيَّة بالحرف الكوفي تاريخها سنة ٣٠٠ للهجرة (٩١٣ للمسيح) تجد هناك رسمها (ص ٣٣) وهي مصونة في دار مركز المتصرفيَّة السابق في بيت الدين · ثمَّ كتابة ضريح آخر وجدت في دير بيت خشبو تاريخها شهر رجب من السنة ٣٢٤ (٩٣٦ م) أُرسلت الى رومية · وصورتها في المشرق (٣: ٧٣٩) · ونشر رينان كتابة وُجدت في حفريَّات صيداء تاريخها سنة ٤٨٠ (١٠٨٧ م) امر بوضعها ابو منصور اسكندر الارمنيّ احد مماليك الخليفة الفاطمي المستعلي بالله في وزارة الافضل امير الجيوش

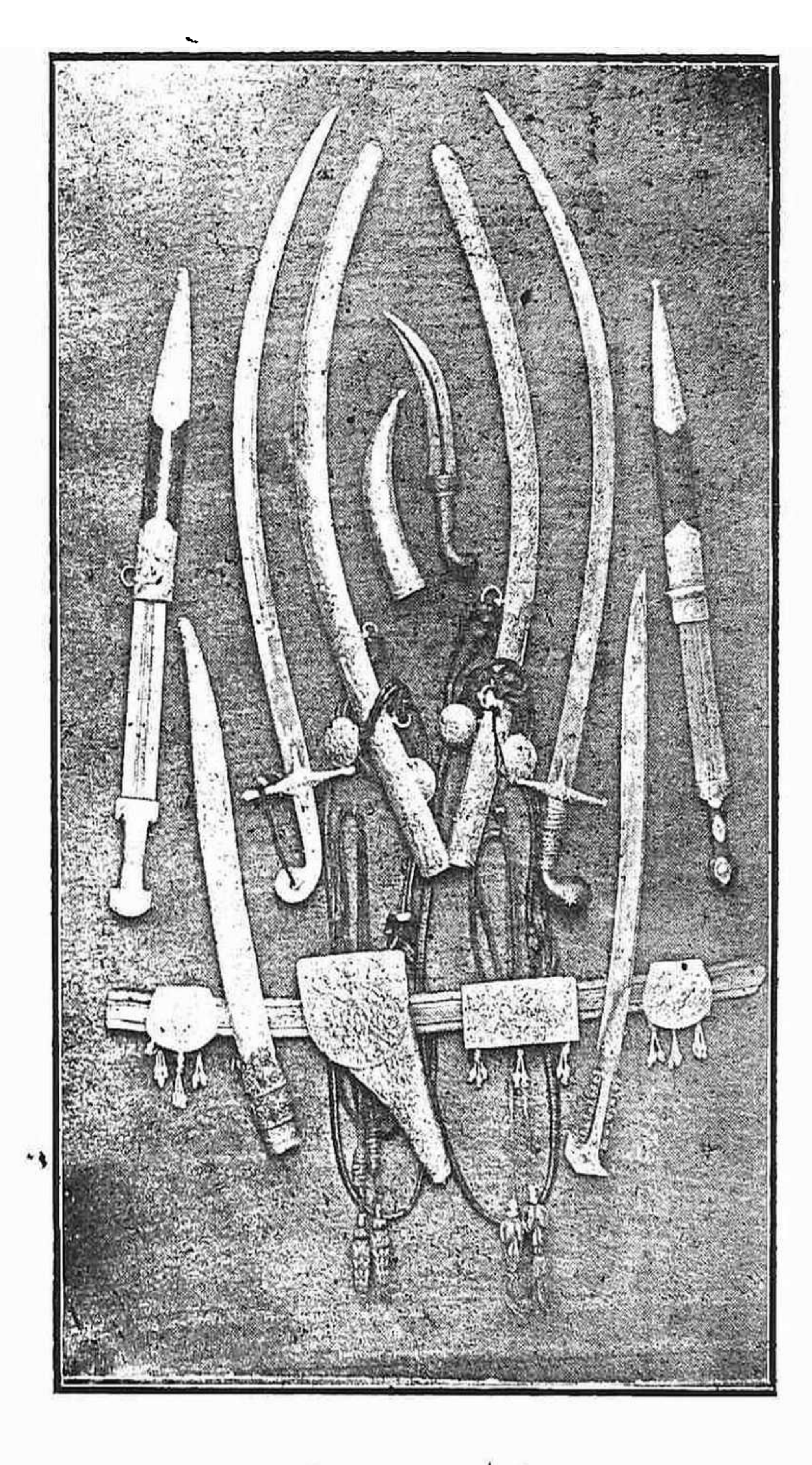
ومن بقايا ذلك الدهر اسلحة عديدة تحفظ في المتاحف او في بيوت الخاصَّة كسيوف مجوهرة منقوشة عليها كتابات وكرماح ودروع وخُوَذ كان يُستخرج حديدها من معادن بيروت ولبنان الغنيَّة بهذا الصنف حتَّى انَّ قدماء المصريين كانوا يدعون الحديد « با ان برت » اي بضاعة بيروت · وقال المقدسيّ الجغرافيّ العربيّ في القرن العاشر للمسيح : « وبمقربة من بيروت جبلٌ فيه معدن حديد طيب جيّد القطع يُستخرج منهُ الكثير ويُحمل الى بلاد الشام » · وصرَّح ابن بطوطة بانهُ يُحمَل الى مصر

ويجوز ان نضيف الى ما سبق ذكر الآثار العربيَّة التي ازدان بها لبنان بعد الخلافة ما يُرتقى عهده الى ايَّام دولة المماليك المصريين المعروفين بالبحريين والبرجيين لمَّا صار القطر الشامي في حوزتهم · فمن ذلك ما رواه صالح يحيى في تاريخ بيروت عن تجهيز الاساطيل في هذه المدينة في القرن الثامن للهجرة اذ امر يلبغا العمري نائب السلطان الامير بيدومر بان يتوجَّه الى بيروت ليعمّر من غاباتها مراكب كثيرة حمَّالات وشواني لفتح قبرس (ص ٥١—٥٢) وذكر صالح ابنية التنوخيين في بيروت من قصور ومخازن وقيساريَّات (ص ١٤٩ و١٥٥ — ١٥٦) وابنية الامير سيف الدين تنكز كبرج بيروت وخانها وحمَّامها (ص ٢٢٨) وعدَّد كذلك ابنية الامراء البحتريين في الجبل وخصوصاً في اعبيه وعرامون من اقليم الغرب كدورهم الفخيمة ذات الايوانات والعلاليّ والقاعات وكالمساجد والحمَّامات (ص ١٥١ و١٧٩) والقنيّ لجلب المياه · وقد بقي شيء من هذه الآثار الى عهدنا

وممَّا نشرتهُ مجلَّة المشرق (١٢: ٧٩٦) مع رسمهِ الشمسيّ صورة كتابتين يرتقي تاريخهما الى القرن التاسع للهجرة ورد فيهما ذكر احد الامراء المعنيين فخر الدين عثمان يؤرّخ لبنائهِ في دير القمر مسجداً باقياً حتى اليوم سنة ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م)

ومثلها كتابة اخرى ضريحيَّة وقفت عليها البعثة الفينيقيَّة في صيداء تاريخها ٢٧ تشرين الاوَّل سنة ٦٩٩٥ لآدم الموافقة لسنة ١٥٠٣ للمسيح تذكر وفاة الحكيم ابي الكرم بن سليمان الدمشقي حكيم المرحوم مالك صور وتبنين

هذه بعض الآثار العربيَّة ولا نشك انَّ عددها كان وافراً جدًّا ولعلَّ كثيراً منها لا يزال باقياً في بيوت الخاصَّة او مدفوناً تحت الانقاض · والأمل معقود على همة ذوي الامر ان يبحثوا عن مثل هذه الكنوز ويحفظوها في معاهد عموميَّة لينشط بنظرها صنعة زماننا فيتقلَّدوها او يجاروها عملاً



اسلحة عربية قديمة

١٠ الآثار المنسوبة الى الصليبيين في لبنان

معلوم انَّ الفرنج في اواخر القرن الخامس للهجرة زحفوا من بلادهم بخيلهم ورجلهم الى بلاد الشام وفلسطين فاستولوا على قسمٍ منها مدَّة نحو مائتي سنة الى ان دحرهم ملوك المسلمين وردُّوهم على اعقابهم الى اوطانهم· وقد كان معظم لبنان مع مدنهِ الساحلية داخلاً في عدد املاكهم

وقد اخلف الصليبيُّون في لبنان من الآثار العظيمة ما يأخذ بألباب الناظرين حتى يومنا هذا· وتنقسم تلك الآثار الى قسمين قسم منها ديني وقسم دنيويّ

❋ الآثار الدينيَّة ❋ هي كنائس واسعة الارجاء محكمة الهندسة على الطرز اللاتيني الشائع غالبًا في اوربَّة في القرون الوسطى· فمنها كنيسة مار يوحنا في جُبَيْل باقية الى يومنا · وهي كانت سابقًا ارحب منها اليوم وكان لها رواق على مدخلها وتقسم في داخلها الى ثلثة اسواق مقبَّبة تنتهي بحنايا ·وعمدها مزيَّنة باكلَّة جامعة بين الطرزين الهندسيَّين الغوتي والكورنثي· وبقرب الكنيسة قبَّة عالية تحملها اربع سوارٍ مقوَّسة فوق ثلثٍ منها افاريز ونقوش كان تحتها حوضٌ للعماد

وفي سواحل لبنان كنائس أُخرى من بناء الصليبيّين تحولت كلها الى جوامع بعد الصليبيين منها كنيسة صور التي باشر البندقيُّون بنائها لاكرام القديس مرقس شفيعهم سنة ١١٢٥ فانتهوا من بنائها بعد نيف ومائة سنة كان لها ثلث حنايا وطولها ٦٥ مترًا في عرض ٢٥ ولم يبقَ منها سوى قسمها الشرقي· في داخلها اعمدة من الرخام المجبَّب· ومنها كنيسة صيداء (الجامع الكبير) شيَّدها الفرسان المعروفون بالاسبتلار المنسوبون الى مار يوحنَّا · وكذلك جامع يحيى في بيروت كان كنيسة ابتناها الملك بودوان سنة ١١١٠ على اسم القديس يوحنَّا الصابغ وهي ذات سوق مصلَّب من الطرز الغوتي لا قبَّة لها· وهكذا جامع طرطوس الذي يُعَد من ابدع كنائس الفرنج في القرون المتوسطة· له مدخلٌ فخيم في غربيّه تعلوهُ ثلث نوافذ مثلَّثة الشكل وفي وسطهِ اعمدة ذات اكلَّة كورنثيَّة ·وبازاء طرطوس جزيرة ارواد التي زار الشريف الادريسي كنيستها في القرن الثاني عشر فقال عنها : ارواد جزيرة كبيرة فيها كنيسة كبيرة معمورة متقنة البناء شاهقة منيعة ذات ابواب حديد وهي كالحرس

وللصليبيين في جبل لبنان كنائس اخرى لاسيَّما في شماليهِ ترتقي الى القرن الثاني والثالث عشر ككنيسة مار شربل في معاد وبعض كنائس الموارنة في الكورة والزاوية· وفي جوار البترون على مسافة نحو ساعة منها كنيسة قديمة تدعى مار سابور مبنيَّة فوق اكمة وعلى ظنّنا انَّ اسمها مشتقّ من الافرنسيَّة (St Sauveur) اي كنيسة المخلص يُحتفل بعيدها في ٦ آب يوم عيد الرب والتجلّي · وكذلك بين البترون وطرابلس قرية اسمها انفة كانت كنيستها من بناء الصليبيين وقربها كهف واسع في باطنهِ مرقوم شعار السيد المسيح

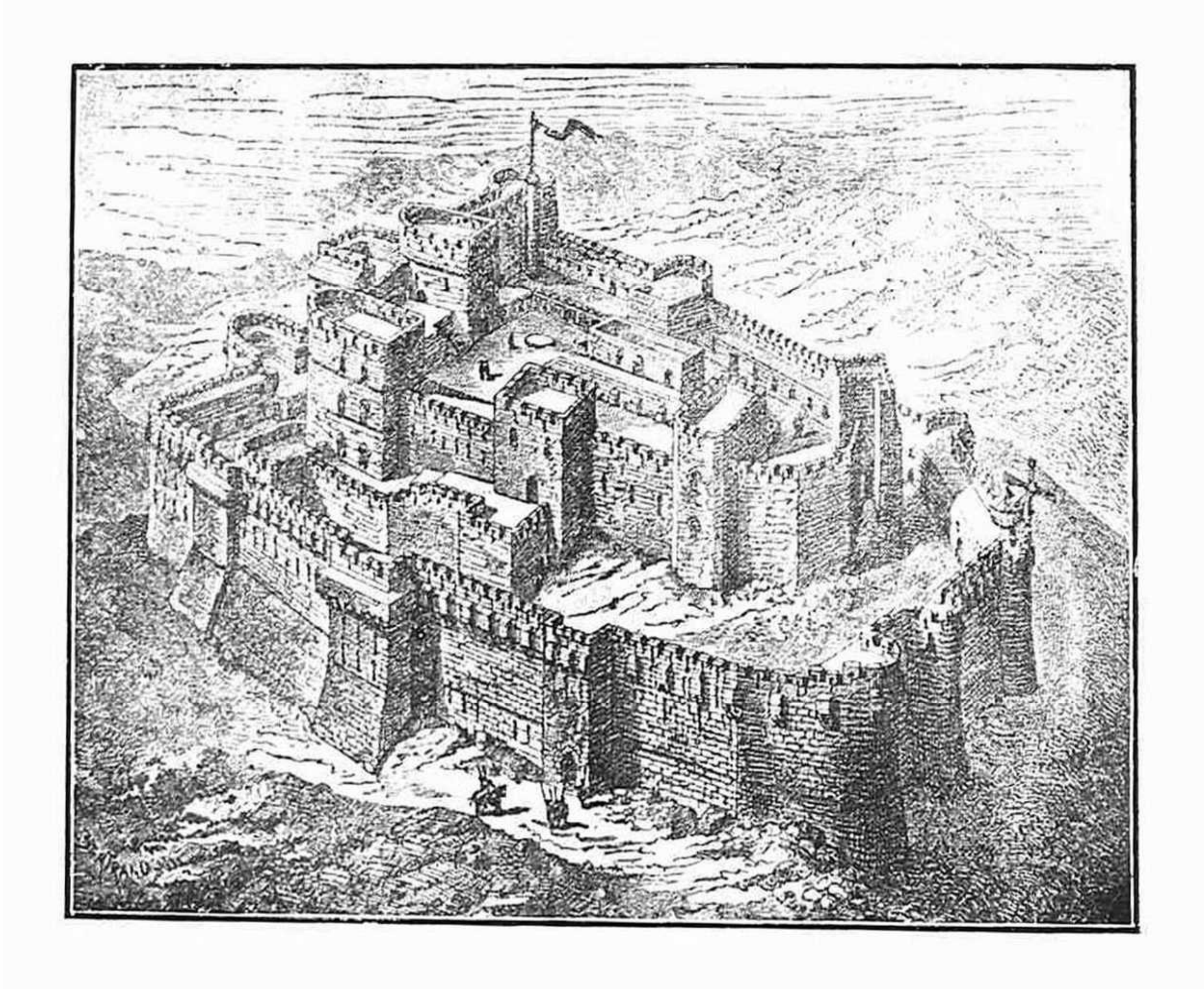
وقد شاد الصليبيُّون في لبنان ما عدا الكنائس اديرة يذكرها التاريخ بقي منها الى يومنا ذلك الدير العظيم المطلّ على طرابلس دير البَلَمند الذي يسكنهُ اليوم اكليروس الروم الارثوذكس وهو من اعظم

اديرة الشرق نخراً واضخمها بناء واجملها موقعاً · بناهُ رهبان القديس برنردوس المعروفون بالسسترسيين سنة ١١٥٧ وجعلوه تحت حماية مريم العذراء سيدة بلمنت اي الجبل الجميل وهي لفظة افرنسية اشتقّوا منها اسم بلمند وقد اتسعت شهرة هذا الدير في عهد الصليبيين وانعم الاحبار الرومانيون على رهبانه بانعامات كثيرة ولمَّا قُطع دابر الفرنج بعد انتصارات الملكين قلاوون وظاهر بيبرس صار ذلك الدير في ايدي اليعاقبة مدّة ثم احتلّهُ رهبان الروم وبقي في ايديهم الى عهدنا· امَّا مبانيه القديمة الفخيمة فقد اصابها الدمار الا قسماً من طبقته السفلى التي تنطق بفضل بنائه وحسن هندستهم

❊ الآثار المدنيَّة ❊ امَّا المباني المدنيَّة فاخصُّها الحصون المنيعة والقلاع الحريزة التي بنوها في جميع انحاء البلاد التي تغلَّبوا عليها· وهذه القلاع منها ساحليَّة لصيانة المدن كانت تمتد من عسقلان الى جهات قيليقية· وقد عدَّد منها الشريف الادريسي في سواحل لبنان نحو عشرين حصناً لم يبقَ لاكثرها اليوم اثر· فعدَّد بين بيروت الى اللاذقيَّة نحو عشرين حصناً للصليبيين كحصن المرداسيَّة على ثمانية اميال من بيروت وحصن نهر الكلب قال فيهِ انهُ حصن صغير وحصن جونية على البحر قال عن اهلهِ انهم نصارى يعاقبة· ثمَّ ماحوز جبيل وحصنها الحصين ثمَّ جبيل قال انها مدينة حسنة على البحر ذات سور من حجر حصين· ثمَّ ذكر حصن بترون وهو حصن حسن· ثمَّ حصن انف الحجر (الشقعة)· ثمَّ قال عن طرابلس انهُ ينضاف اليها عدَّة حصون وقلاع معمورة داخلة في عمالتها مثل انف الحجر وحصن القلمون (القلمون) وحصن ابي العدس وارطوسة· ثم ذكر حصن عرقة وقال ان لهُ ثلثة حصون تتقارب بعضها من بعض· ثم وصف مدينة عرقة بانَّ في وسطها حصناً على قلعة عالية وحصنها كبير· ثم ذكر حصن شنج· ثم انطرسوس وسورها الحصين· وكانت تلك القلاع الساحليَّة مبنيَّة بالحجارة الضخمة تحيط بها الخنادق برّاً· وكانت مصونةً بسلاسل من حديد من جهة البحر

ومن هذه القلاع ما بُني في داخلية البلاد قريباً من مضايقها ومسالكها المطروقة وهي مشيَّدة غالباً على مثال الحصون الغربيَّة واضافوا اليها الاستحكامات التي وجدوها شائعة عند الروم· فترى البعض منها مبنياً على قمم تلال عالية وعلى صخور ناشزة فوق اودية عميقة تحيط بها الاسوار المنيعة وربَّما كانت مضاعفة الاسوار وتطيف بها خنادق جارية فيها المياه ومصفَّحة جوانبها المنعطفة بالصفائح الصقيلة· وكان داخلها مجهَّزاً بضروب الادوات الحربيَّة من المجانيق والدبَّابات والمواد النفطيَّة المتفجّرة

وقد يبلغ عدد هذه القلاع في لبنان وحوله نيفاً وثلثين قلعة منها ما هو اشبه بمدينة كبيرة كان يسكن فيها الوف من الجند· ومعظم هذه الحصون كان في ايدي الرهبانيَّات المتجندة اعني الهيكليين (les Templiers) والاسبتاريين (les Hospitaliers de St Jean) والتوتونيين اي الالمان (l'Ordre Teutonique) بنوها احكم بناء لرد هجمات الاعداء مهما كان عددهم فكان للرهبان الهيكليين من الحصون حصن صافيتا وعتليت وشقيف ارنوم وطرطوس وتبنين· وكان للرهبان الاسبتاريين حصن مرقب وحصن الاكراد على الجبل المقابل لحمص وكان للرهبان الالمان قلعة قرين· وكان غيرها في عهدة ملك الفرنج صاحب القدس يحرسها جندهُ او سيف



قلعة الحصن من بناء الصليبيين

عهدة بعض امراء الفرنج كجبلة و بيروت وجبيل . وكانت كلّ هذه القلاع لا ترام لمنعتها . ومن بعضها الى اليوم بقايا صالحة تحتار الافكار لهندستها وعزّها . قال ابن الاثير يصف قلعة صهيون في تاريخ فتحها على يد صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ : « قلعة صهيون قلعة منيعة شاهقة في الهواء صعبة المرتقى على قرنة جبل يطيف بها وادٍ عميق فيهِ ضيق في بعض المواضع ... والجبل متّصل بها من جهة الشمال وقد عملوا خندقاً عميقاً لا يُرى قعرهُ وخمسة اسوار منيعة ... » وقال ابن الاثير كذلك عن قلعة الشغر التي فتحها ايضاً صلاح الدين انها « كانت منيعة حصينة لا تُرام ولا يوصل اليها بطريق من الطرق فأمر صلاح الدين بمزاحفة اهلها ونصب المنجنيق عليهم ففعلوا ذلك ورمى بالمنجنيق فلم يصل من الحجار الى القلعة شيء الا القليل الذي لا يؤذي . فبقي المسلمون عليهِ اياماً لا يرون فيهِ طمعاً واهلهُ غير مهتمين بالقتال لامتناعهم عن ضرر يتطرّق اليهم و بلاء ينزل عليهم » الى ان قال « سلموها لرعب قذفهُ الله تعالى في قلوبهم والا فلو اقاموا الدهر الطويل لم يصل اليهم احد ولا بلغ منهم غرضاً »

فتلك كانت ابنية الصليبيين وقلاعهم وهي حتى اليوم تدهش الناظرين الى الباقي من آثارها . وقد وصفها ونشر صورها العلامة الاثري ج . راي (G. Rey) في كتابهِ المعنون (Etudes sur les Monuments de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie)

وكان للفرنج ابنية اخرى لسكناهم هي قصور بهيّة ابتنوها وزينوها بانواع الزخارف كقصر الامراء الفرنج المدعوّين ابلين (Ibelin) في بيروت بناهُ لهم مهندسون من نصارى الروم السوريين وزيّنوهُ بالفسيفساء الجميلة واتخذوا لهُ ديواناً رحباً جعلوا سقفهُ من الرخام المموّه بالذهب . وكان يُرى في وسطهِ تنين يمجّ الماء من منخريهِ فيسيل في فسقيّة قعرها مرصوص بالفسيفساء الممثّلة لزهور ناصعة الالوان

وممّا وُجد من آثار الصليبيين كتابات مدفنيّة كُتبت على صفائح الرخام بالقلم الحجري الجميل اخصّها كتابة وُجدت في بستان الآباء الفرنسسكان في صيداء يعلوها صليب رؤساء الاساقفة . ما يدلّ على انّ المقبور هناك كان من مطارنة الفرنج . والكتابة عبارة عن اربعة اشعار لاتينيّة نشرها رينان في بعثة فينيقية (ص ٣٩١) امّا اسم المقبور فيُشار اليهِ دون التصريح باسمهِ

وفي متاحف اوربّة و بيوت الأسر الشريفة عاديّات شتّى يرقّون اصلها الى الصليبيين اجدادهم تلوح فيها سمة الصناعة الشرقيّة الممتزجة بالفنون الغربيّة كأسلحة الفرسان من سيوف وخوذ ودروع وتروس كانوا يتخذون حديدها من لبنان كما يشهد عليهِ الشريف الادريسي وكآنية وأثاث بيوت فضيّة ونحاسيّة وخشبيّة فيها شعارات السادات الغربيين من ملوك و بارونات وقومسات مع اسمائهم المزيّنة بالنقوش العربيّة . ويُرى في بعضها الطرز اللاتينيّ الغوتيّ كباب كنيسة عكّا الذي نقلهُ المسلمون الى مصر وجعلوه باباً لبعض الجوامع لم يزل باقياً حتى اليوم

ولدينا عدد عديد من خواتم الصليبيين عليها صور ورموز مختلفة منها خاتم صاحب بيروت الامير جان دبيلين يمثّل بزّتهم الحربيّة وعدّة خيلهم كالسرج والقونس واللجام والمهماز

ومما تقلّده الفرنج وتعلموه من امراء الشرق الشعارات المميزة للاعيان المعروفة اليوم بالآرما فكان هذا الفنّ سبق اليهِ ملوك الشرق في مصر والشام وهم يدعون الشعار رَنكاً . فكان شعار عماد الدين زنكي صورة النّسر طبعهُ على نقودهِ وصوّرهُ على ابنيتهِ . وكان الاسد شعار احمد بن طولون وشعار الظاهر بيبرس واتخذ غيرهم النبات كشعار مثالهُ زهرة الزنبق (fleur de lys) التي كانت رنكاً لاحد الامراء المماليك في مصر قبل ان تتخذها ملوك فرنسة كشعارهم وقس عليهِ . فجرى امراء الصليبيين على مثالهم وتأنّقوا في اختيار الرنك وتفنّنوا في صنعهِ حتى صار من مميّزاتهم واورثوهُ سلالاتهم من بعدهم الى يومنا هذا ويُعرف فنّهُ عندهم بفنّ الرَنك (L'Art Héraldique)

وهنا لا بُدَّ ان نضبط عنان القلم اذ بلغ بنا وصف الآثار الى الطور الاخير والازمنة الحديثة حيث دخلت سورية ولبنان ضمن املاك الدولة العليّة فآثارها ظاهرة لا حاجة الى بيانها مع قرب عهدها منّا ايّدها الله ووفّقها الى ما فيهِ خير البلاد ونفع العباد امين اللهمّ امين

الاخلاق والعادات اللبنانية

تمهيد

انَّ من عرف عشائر لبنان وطبقات سكانه كالأُمراء والمقدَّمين والمشايخ والاعيان واستقرى مذاهب اهليه من نصارى ومسلمين ودروز ودرس تباينهم في المبادئ ولو اتحدوا في الأُصول ووقف على ما يتنازع جامعتهم الوطنية من التشيُّع والتحزُّب لا يعجب من اختلاف الاخلاق التي هي مجموع عادات تصير بالتكرار ملكاتٍ وبالتالي طباعاً مغروسة في العقول تنزع الى خطتها النفوس وتتقيد بسلاسلها الافكار فلا تحيد عنها قيد شبر . فلهذا ناخذ الآن بالبحث في اخلاق اللبنانيين ومعاملاتهم وعاداتهم وشؤونهم العامَّة ديناً ودنيا . ونتناول ابحاثنا الى اواسط القرن التاسع عشر قبل انتشار العادات الافرنجية بيننا لان هذه الاحوال غيَّرتها كلها او بعضها الا بعض عادات الدروز . ولعلّنا على هدًى في ما نكتب مستعينين بالله ومتمسكين بالحقيقة

اخلاق اهل لبنان الشخصية

نشأ اللبنانيون في اقليم معتدلٍ جيّد أعدَّتهُ لهم الطبيعة بمناعتهِ وعظمتهِ فصفت اذهانهم صفاء جوّه وقويت اجسامهم وعقولهم قوة صخورهِ وكبرت همتهم بكبر رعانه وهضابه فتميزوا بالأَنفة والحميَّة والشجاعة وتجشّم الاسفار وتذليل الصعاب شأن من نشأ بين صخور يقتلعها ليغرس محلّها ويعالج الطبيعة بقواهُ العقلية لتعطيه قوتهُ فاحتال للرزق ونشأ على حبّ العمل والسعي فكان مقتصداً ساذجاً عاقلاً حكيماً ولكنهُ لم يصفُ له جوّ السياسة صفاء جوّهِ الطبيعي فكثر في قومه وعشائرهِ التحاسد والتحزُّب فبعد ان كان عائشاً العيشة القروية الطبيعية بسكنهِ ومطعمهِ وملبسهِ وعاداتهِ واخلاقهِ بعيداً عمَّا في المدن من دواعي الفساد والكسل منزَّهاً عن المطامع قد يجتاز سنّ الكهولة او الشيخوخة متمتعاً بصحَّة عقلهِ وجسدهِ وقلَّما يتزوج قبل الثلاثين من عمرهِ ان لم يتجاوز الاربعين فيأخذ زوجتهِ قريبة العمر منهُ فيلدان اولاداً اصحّاء ويكون سياج عفتهما الحياء والادب الشخصي لان المرأة القروية حييَّة خفرة شغيلة لا تترك اعمالها بمساعدتها لزوجها في ابرتها ومغزلها ونولها واحياناً بفلاحتها وحصادها وتربية القزّ واستخراج الخمور والزيت وما شاكل من نتاج بلادهما ومفيد صناعتهما وسعيهما . لكنّ الخصام قام بين عشائرهِ ودبّ الشرّ في بلادهِ فاستنفرتهُ الاهواء وتلاعبت بهِ الاغراض فانضمّ الى عصبيتهِ وجاهر بتشيُّعهُ وحمل السلاح يدافع عن حوزتهِ ويحامي عن غرضهِ فاضرم نيران الحروب الداخلية في موطنهِ ومزّق شمل سعادتهِ . وما كان ذلك الا من التحيُّز الجنسي او الديني او المبدئيّ بل من الجهل الاعمى والتعصُّب الكاذب والتديُّن الريائيّ . فيا ليته اتبع صوت ضميرهِ الطاهر وبقي على سذاجتهِ وانهماكهِ بالعمل

ولما طرحتهُ النوى مطارحها ورماه الفقر الى ديار المهاجر حمل من هذه الاخلاق ما كمن في صدره

كمون الكهرباء في بطاريتها الى ان صادف احتكاكاً وبيئةً تناسبه فظهر في مظهره الوطني ولو كان هو متغرّباً

فبينما نرى في المهاجر بعض ادبائنا وعقلائنا قد امتزجوا بالامم الراقية في اخلاقهم واعمالهم ومعايشهم واكتسبوا من آدابهم ما زادوا به شهرةً ونجاحاً فأنشأوا المخازن الكبيرة في امهات العواصم العظيمة وجاروا اعظم التجار ووفّروا ثروتهم فطاروا شهرةً اذا بفريق آخر يرتكب المحرّمات ويقترف المنكرات فيعود الى وطنه بجسم انهكته الشهوات وقتلته الامراض العضالة كالسلّ والزهريّ واشباهها·أو بأموال اكتسبها من الطرق غير المشروعة·او يرجع صفر الكف خالي الوطاب· فيكون عبئاً على الوطن· وهناك كثير من العائدين باموالهم التي حصّلوها بالكدّ والطرق المشروعة ومجاراة الامم المتمدنة ولكنهم ينفقونها جزافاً او يبنون بها ما سبّب الخراب وجلب الويل

فكانت المهاجرة والتحزّب والفقر من اكبر العوامل في تغيير اخلاق اللبنانيين وتنشئتهم متملّقين متذلّلين ينزعون الى الاسفار والاستخدام وكذلك قل عن المدارس المختلفة التي تعلّموا فيها وهي غير منتظمة · فهو اذن محتاج الى المدارس الكاملة النظام والتربية الصحيحة التي تنزع من عقول ابنائه جذور التحزّب وتقتلع أصول التملق والتذلل فتظهر سلامة قلبه وطهارة ضميره بمظهرها الطبيعي·ويكون ذكاؤهُ مشكوراً لعدم تعكير صفائه بشائبة او نقص

وهو وطنيّ المبدإ يعود الى بلاده الفقيرة مهما كان لهُ من ذرائع الهناء في غيره· وقلما كان في القديم يبرح وطنه لصعوبة النقل وخطر الطرق حتى تغنى لهُ المنشدون بقولهم :

جوزك يـا مليحه راح عالشام وحده

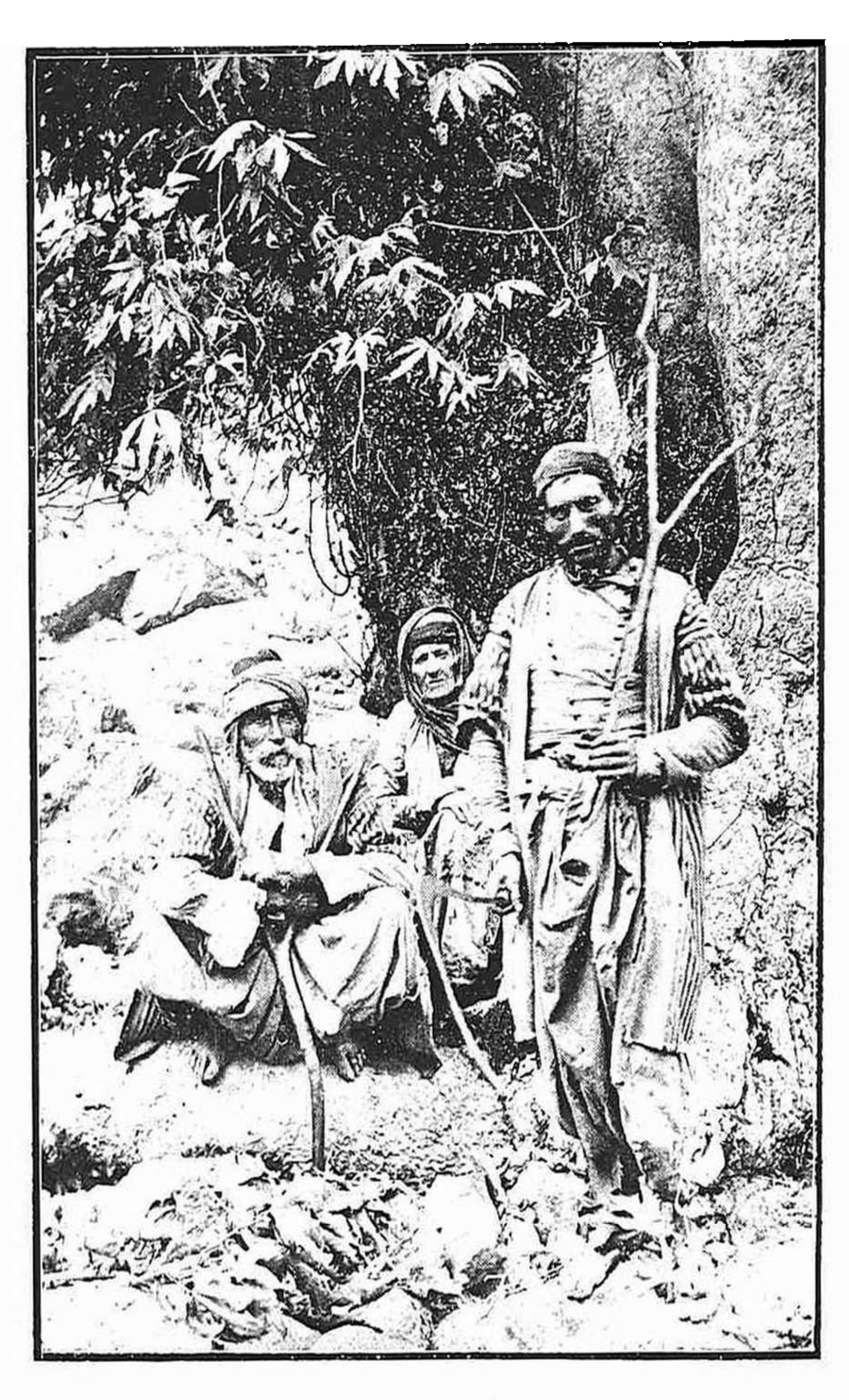
فكان على طريقه مخافر تسهل له دفع الاخطار يدفع لها رسماً معلوماً ولقد ابطله الامير بشير الشهابي الكبير وعطّل المخافر في اول القرن التاسع عشر الماضي · وكانوا يقولون عمن يسافر الى مصر هو يقطع برّين ويعبر بحرين · الى اشباه ذلك

على انّ الباحث يمكنه ان يقسم الاخلاق الى نوعين فاخلاق القسم الجنوبي من لبنان اشبه باخلاق العرب المتحضرين اذ يكثر فيها الدروز والمسلمون والنصارى الحوارنة فهم يحرصون على الجوار ويكافئون على الجميل ويحافظون على العهود والوفاء والكرم وعدم الصبر على الضيم وفيهم حدّة المزاج غلباً والعناد والإباء والتحزّب

واخلاق القسم الشمالي يكثر فيها لين الاخلاق وخفض الجناح مع الحرص والاقتصاد والتساهل مما يدل على اخلاق الاراميين الذين نشأ منهم الموارنة·وبامتزاج الاصول لا تكاد الآن تميز هذه الفروق في كثير من الفريقين

معاملاتهم الاهلية

يطلقون العيلة والعائلة على مجموع الانسباء مع انها تطلق على من يعوله الانسان وليس كل من يعوله يمتّ



قرويُّون لبنانيُّون

اليهِ بعصبيَّة دائمًا فكانت الأسرة والعِتْرة والرهط أُولى بهذا المدلول

ومعلوم أن الأُسر اللبنانية تقسم الى طبقات وعشائر تختلف معاملاتها باختلاف مراتبها ولهذا لا نجد ندحةً من سرْد تلك الطبقات بحسب نشأتها وترتيبها . فأولها الامراء وهم اعلى مرتبةً من غيرهم وكان الحكم بيدهم والاعتبار الاول لهم . وثانيها الخَوند وهي في اصطلاح الفرس بمعنى السيّد ولكنها غير موجودة في العشائر اللبنانية ولعلها اندغمت بما قبلها او بعدها . وثالثها المقدَّمون وهم بعد الامراء . وبعدهم المشايخ وهي الطبقة الرابعة من طبقات لبنان القديمة والثالثة من الطبقات الباقية لان الخوند ملغاة

فالامراء الذين حكموا لبنانهم : المَرْدَة والشهابيون واللمعيون من النصارى . والمعنيُّون والعسافيون التركمان والسيفيون الاكراد من الاسلام . والتنوخيون القيسيون . وآل علم الدين اليمنيون . والارسلانيون من الدروز اما المقدَّمون فهم : مقدمو بشرّي وجبيل والبترون وضواحيها من النصارى . وبنو الشاعر من المسلمين السنّيين . وبنو عليّ الصغير من الشيعيين . وبنو الصوَّان وبنو مزهر من الدروز

والمشايخ هم : بنو الخازن وحبيش والدحداح والظاهر والخوري صالح وابي صعب وبايبل والجميّل من الموارنة . وبنو العازار من الارثوذكس . وبنو اليازجي من الكاثوليك . وبنو جنبلاط والعماد وابي نكد وتلحوق وعبد الملك والعيد وحماده (في بعقلين) من الدروز . وبنو حماده (في جبيل) من الشيعيين

وهناك طبقات اخرى من الامراء والمشايخ مثل الامراء آل الحسن وآل مخيبر الايوبيين في الكورة من المسلمين . والمشايخ بني حمدان وشمس وابي هرموش وابي حمزة وحصن الدين والشنيف وعطا الله والعقيلي وابي علوان والقاضي والخوري صالح ونفاع وزنينه وامين الدين (او امان الدين) وابي مصلح والشيخ علي

ذلك فضلاً عما هنالك من طبقات الاعيان ممن كان بعضهم يداني هذه الطبقات في الوجاهة والمنزلة . ولكن الاعتبار لما رُتّب عند الحكام والامراء والاقطاعيين فكل اسرة حريصة على مبادئها وانسابها واصهارها وانسبائها حتى انهم كثيراً ما حصروا الزواج واحتكروه احتكار السلع وامتنعوا عن تزويج من ليس من طبقتهم في اعتبارهم وذلك مرعيّ عند جميع طوائف لبنان على السواء . فالامراء لا يتزوَّجون الا من طبقتهم وهكذا من يليهم حتى بعض الأسر من العوام جرت على هذه القاعدة . ولكنّ اضرارها ظهرت في الاعقاب بضعف النسل وتوارُث بعض الامراض من اخصّها الجنون . وتحفظ المراتب حسب الاصول فلا تغيرها ايدي الفقر او الغنى او الرفعة والانحطاط . ولهم اصطلاحات في جميع معاملاتهم لا بأس من اسرادها هنا :

معاملات الاعيان

ان للامراء والمقدّمين والمشايخ امتيازات منها ان لا يُقتَل احدهم ولا يسجن ولا يضرب ولكن يصادَر بالمال او باتلاف العقار او النفي . واذا دخل المذنب منهم على الحاكم قابله على عادتهِ بالتحية والسلام ولا يهينه . واذا كتب اليهِ كتاب الغضب لم يغير شيئاً من القابهِ وكراماته كما انهُ لا يثبت عبارات الولاء ويضع ختمهُ في اعلى وجه الصحيفة . فاذا كان كتاب رضىً وضع ختمهُ على ظاهرها وتلك عادتهُ مع الرعية ايضاً

والاقطاعيون يتصرفون في مقاطعاتهم نهياً وامراً ويجبون الاموال المفروضة على الاعناق والعقارات والضرائب والمكوس فيرسلون منها الى الحاكم ما فرضهُ هو عليهم او ما تعهدوا هم بهِ والباقي يصرف في نفقاتهم. واذا رفع احد الرعايا دعوى فالى الاقطاعي واذا لم ينصف المتخاصمين ترفع الدعوى الى الحاكم الاعلى فيفاوض الاقطاعي لفصلها بما يريد. فاذا لم تقضَ يسوغ ان ترفع اليهِ الشكوى اكثر من مرة فيرسل سفيراً او مباشراً من قبله لفصلها ولا يكون للاقطاعي عتب عليهِ. واذا حدث خصام بين الاقطاعيين والاهلين او بين سكان مقاطعتين يكتب الحاكم اليهم باصلاح ذات بينهم فاذا لم يرعووا ارسل مباشراً من خاصتهِ تكون نفقاته ونفقات جواده مدة ما يبقى لفصلها من المدَّعى عليهِ ولا ينصرف من عنده الا بأمر مولاه بعد ان يفرض له على ذلك الرجل المدَّعى عليهِ مالاً يأخذهُ منهُ تغريماً ما لم تكن الدعوى بدين فيفرض له شيئاً على المدَّعي ايضاً. وهذا الفرض في غير الدين استحساناً واما في الدين فخمسة من المائة المقبوضة

والاقطاعيون يؤذن لهم ان يحكموا بالسجن والضرب ولكن العقاب على الكبائر لا يؤذن بهِ الا للحاكم العام. واما اجراء المواد المهمة كالقتل وقطع اليد مثلاً فلا بد ان يكون بمعرفة العمال المنصوبين من قبل الحاكم وللعامل ان يولّي في كل مقاطعة مديراً من سكانها. وجميع انسبائهِ يكونون تحت حكمهِ وادارتهِ نظير جميع الاهلين اما دير القمر والقرى الملحقة بها وهي عين داره وبتلون ونيحه وعين ماطور اي القرى الخمس الخاصة التي تتبع الحاكم راساً فيجري فيها حكم الحاكم يولّي فيها من يشاء ويعزل من يشاء

ولهم في كتاباتهم اصطلاحات ايضاً فيكتب الحاكم الى كل من اصحاب الرتب المار ذكرها « الاخ العزيز » وكل من كتب اليه هذه العبارة صار شيخاً. والأُمراء يكتب اليهم حسب طبقاتهم وهي هكذا الشهابيون واللمعيون والارسلانيون والمقدميون. اما المشايخ فمنهم من يكتب اليهم كالامراء وهم الحماديون فانهم بمنزلة اللمعيين. ثم تاتي طبقاتهم على هذا الترتيب وهو الجنبلاطيون والعماديون والنكديون والتلحوقيون والملكيون وبنو العيد الخ

والورق يكتب فيه على نصف طبق (طلحية) الى الامراء الشهابيين واللمعيين والمشايخ الحماديين. والباقون يكتب اليهم في ربع طبق فقط. ويوقّع (يمضي) في كتب الامراء الشهابيين فوق اسمه كلمة « اخ » وفي كتب غيرهم عبارة « محب مخلص » ولا يكتب الشهابيون لقبهم في تواقيعهم بل يضعون تحت الاسم ثلاث نقط متصلة وتحتها نقطتين منفصلتين اشارة الى شين شهاب وبائهِ. ثم يكتبون الى باقي العشائر بألقاب متفاوتة فيكتب الى بني بلبيل في قاطع المتن والى بني العازار مشايخ الكورة والى بني اليازجي النصارى في الغرب والى بني الشيخ عليّ الدروز في الشوف « حضرة عزيزنا » . ويوقع لهم جميعهم « الفقير » مشوَّشة فلا يهتدى الى قراءتها وتسمى « الطرّة » . ويكتب « عزيزنا » فقط الى سكان دير القمر وملحقاتها المارة الذكر وتسمى القرى الخمس الخاصة. وقد يكتب ذلك الى بعض اعيان البلاد المشهورين. ومنهم من يكتب اليهم « اعزّ المحبين » وهم عامة الجمهور. ولكن « حضرة عزيزنا » لا تكون الا في ربع طبق من الورق و « اعزّ المحبين » تكون في ثمن طبق و « عزيزنا » تكون فيهما جميعاً بحسب منزلة الشخص المكتوب اليه. واذا كان المخاطب من اللمعيين

كتب اليه في صدر الرسالة هكذا « جناب حضرة الاخ العزيز الامير فلان المكرم حفظه الله تعالى · ابدي اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم في كل خير وثانياً كذا وكذا » وجعل الكتاب على نصف طبق · ويكتب مثل هذا للارسلانيين ولكن على ربع طبق · ولا يذكر قوله « وثانياً » · والتوقيع « اخ ومحب مخلص » ويخاطب المشايخ مثلاً · مثل مخاطبة الارسلانيين بعد حذف لفظ جناب هكذا « حضرة الاخ العزيز الشيخ ··· » ويكتب الى جميع اعيان الجبل « حضرة عزيزنا » ويبدل عبارة « حفظهُ الله » بعبارة « سلمهُ الله » وكلمة « مشاهدتكم » بكلمة « رؤياكم »

اما غير الحاكم من الامراء والمشايخ فانهم يدعون الاخ من يدعوهُ الحاكم مطلقاً وغيره وقد تدعوه المشايخ بذلك وهو غير مضبوط لانه غير محصور في بيوت معلومة ولكن بحسب الشهرة ومقتضى الحال · واما المعيون فلا يدعون احداً « بالاخ » الا من دعاهُ الحاكم بذلك · والارسلانيون فلا يدعون « بالاخ » الا بني اليازجي في الغرب · والذي لا يدعى « بالاخ » عند غير الحاكم يكتب اليه « عزيزنا » فقط مع اضافة « الحضرة » اليها او تجريدها منها ولا يكتب « اعز المحبين » الى احد لانها من خصائص الحاكم · اما امراء راس نحاش في الكورة « المخيبريون » فيكتب اليهم مثل الارسلانيين · والمقدمون بنو مزهر في حمَّانا وبنو علي الصغير في جزين مثل سائر المشايخ

اما الكتابة الى الحاكم فالجميع يدعونه « سيداً » ولكن الامير الشهابي يدعو نفسه ولداً لهُ او ابن عمه حسب عمره · والمعي يدعو نفسه « محباً داعياً » · والباقون يدعون انفسهم « عبيداً » ولا يذكر له اسم ولا لقب ولا كنية بل يدعى بالامير لا غير

وكتابات العوامّ بعضهم لبعض يراعى فيها سنّ الرجل ومنزلته دون فرق بين الرتب · ومن غريب ما عرفته منها انهم يكتبون « حضرة اخونا » مثلاً ومن كتب « اخينا » فقد حقر المكتوب اليه وهو من التحكم في اللغة

اما هيئة الصحيفة المكتوبة فان منها ما يطوي مستطيلاً ويكتب الشطر الواحد منها ويترك الآخر ابيض لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له « القائمة » وهذا يكتب الى المقرَّبين الذين يفاوضهم احياناً بما لا يريد ان يقف عليه غيره ولذلك تدرج الصحيفة ملصقة بالكتابة ونحوه معنونة باسم المكتوب اليه وبناءً على ذلك تحتمل من التنازل ما لا يطابق العادة المألوفة بوجه ما

ومن ذلك ما يكتب مبسوطاً ويقال له « المفتوح » وهذا يكتب للاجانب الذين لا ينتهي اليهم ما يصان عن الناس ولذلك تدرج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ملصقة ولا معنونة لذكر الاسم في باطنها · وبناءً على ذلك لا يرخص فيها بشيء من التسامح في العادات وهي دون الاولى في الكرامة · وبما ان « القائمة » تحتمل ما لا يحتمله غيرها كان الامير بشير الشهابي يكتب بها نصف طبق للشيخ بشير جنبلاط ويكنيه بأبي علي خلافاً للعادة لان الحاكم لا يكني احداً في كتابته على الاطلاق · ولكن لما توفي اخوه الشيخ حسن واراد ان يكتب اليه تعزية وهي مما يقتضي الشهرة فلا تناسبها « القائمة » كتب اليه كتاباً مفتوحاً على ربع طبق مقتصراً على

ذكر اسمه دون كنيته حسب العادة المفروضة. ومثال ذلك ما كتب به الى الشيخ ناصيف نكد تهنئة له عند زواجه . وكان يكتب اليه والى ابن عمه الشيخ حمود « قائمة » من نصف طبق معرضاً عن ذكر الكنية . ولم يكتب الحاكم الى غير هؤلاء الثلاثة من المشايخ في نصف طبق الا الى بني حمادة الجبيليين لانهم كانوا قديماً يحكمون تلك البلاد من بد وزراء السلطنة العلية . ولم يذكر كنيةً الا للشيخ بشير جنبلاط لانه كان على جانب عظيم في البلاد

واما الكتابة الى رؤساء الدين من كل طائفة ففيها تكريم زائد بكبر الورق واعطاء الالقاب والخضوع مما لا يزال جارياً عند بعض العامة حتى ايامنا . فالمسلمون يكتبون « فضيلة الشيخ او السيّد » وكذلك الدروز «فضيلة الشيخ ». والنصارى « غبطة البطريرك » و « سيادة المطران ». اما الموارنة فيضعون قدام اسمه كلمة « مار » السريانية . والارثوذكس والكاثوليك كلمة « كيريوس كيريوس » للبطريرك . وهي يونانية . و « كيريوس كير » للاسقف وكلاها بمعنى السيّد

اما مقابلاتهم فاذا دخل على الحاكم احد المناصب الشهابيين نهض اليهِ عند دخوله ونزل عن بساطهِ واقفاً حتى يصل اليهِ فيسلم عليهِ مقبّلاً كتفهُ . وان كان من غير الشهابيين لم ينهض حتى يبدأ بالتحية فان كان من اللمعيين قبّل عضدهُ او من الارسلانيين فزنده . وان مقدماً او شيخاً فحرف راحته مما يلي الابهام . واما مَن دونهم من الرعايا فمنهم من ينهض له ولكن عند ما يهوي الى يده ليقبلها . فمنهم من يقبل رسغها ومنهم من يقبل الاصابع ومنهم من لا ينهض له ولا يمكّنهُ من تقبيل يده ومنهم من لا يأذن له بالدخول عليهِ . واذا اقام في دارهِ احد المناصب اياماً فان كان من الشهابيين ينهض له عند دخوله في كل يوم ابتداءً فان خرج ثم عاد لا ينهض له . وان كان مقدماً او شيخاً فلا ينهض له الا عند الوداع ما لم يكن قد تولى القضاء فان القاضي عنده في رتبة الامير بخلاف رئيس الشرطة فانهُ في رتبة العامة حتى اذا كان من المشايخ لم يعامله في المقابلة والكتابة على عادتهِ قبل ذلك (راجع كتاب « دواني القطوف » صفحة ٢٤٥ فصاعداً . ومجلة الآثار ٢ : ٨٩ فصاعداً)

واما مقابلات الرؤساء الدينيين والكهنة فبالركوع امامهم عند النصارى ليباركوهم ويصلوا على رؤوسهم ويلثمون هم ايديهم . واما عند غيرهم فيلثمون ايديهم ويحترمونهم مقدمين لهم كل خضوع ومتممين اوامرهم بطاعة ورضى للتبرُّك

المعاملات الاخرى

من اهم معاملات العامة بعضهم لبعض آدابهم في مجالسهم فانهم يصدّرون بها كبراءهم في الرتبة والسن ويتأدبون امامهم ويسلّم الداخل على الجالسين والماشي على من يمرّ بهِ والراكب على الماشي . ومما يرضي شيوخهم من التحيات قول العامة لهم « صبحكم بالخير » وقد يكون قولهم « نهاركم سعيد » مغضباً لهم . ويقدمون لزوارهم القهوة والخمر والتبغ مفضلين الرجال على النساء . ولا يقاطع احدهم حديث الآخر حتى يستأذنهُ . ويترحبون

كثيراً بزوّارهم ويحتفون بهم ولا يكدرونهم بشيءٍ بل مهما كان المضيف حزيناً لا يظهر شيئاً امام ضيفه . ويلحّون بالدعوة للطعام ونحوهِ . ويراعون شؤون الدعوات باصطلاحات قلما انتبه اليها غيرهم فلا يقولون عن القهوة او الطعام «دائمة» في الاعراس بل «ان شاء الله بيتهنّا» وكذلك في المآتم يقولون «مخلوفة بالفرح» او «الله يرحم التي هي من اجله» لما ينتج من المحظور عن كلمة «دائمة» بتكرار الفرح او الحزن مما يأباه المضيف ويخالف الذوق . وكذلك لا يذكرون ما تأنف منهُ النفوس ولا سيما عند الاكل ونحوه . وقد يستعملون اساليب مثل قول احدهم لامير «الله لايتمّم لك سعداً» فظن الحاضرون انهُ يهذي وكان مراده قول الشاعر

اذا تمَّ أمرٌ بدا نقصهُ تأمَّل زوالاً اذا قيل تمّ

ومن قديم عاداتهم خطف العروس اذا كانت من طبقة لا ترضى بطبقتهم ان تصاهرها . وهم غيورون على نسائهم ولكن يحسبونهنَّ خادمات معاونات للرجل في عملهِ فيتقدمون عليهنَّ في المجالس وكثيراً ما يأكل الرجل وامرأتهُ تخدمهُ بتقديم الطعام ونحوه فتأكل بعدهُ كأنها خادمة وتحمل الحبوب الى المطحنة والحطب من الغاب على ظهرها . وربما حرثت الارض ورعت الماشية ثم تعود الى مغزلها وابرتها وتربية ابنائها وارضاعهم وقد يضربها زوجها وينتهرها وهي صامتة وان تكلمت اوغرت صدرهُ غيظاً . كل ذلك مع أدب وحياء وعفة متجافية عن دنايا الفحش فلا تطمح الى دعارة . وقد تحرم من ارث ابيها عند بعض الطوائف ليبقى مال البيت وعقارهُ لاهله فلا تنالهُ يد اجنبية كما سيأتي

وقد يحدث في الاسرة ما يحدث عند كل الامم من اختلاف الحماة والكنَّة وتحاسد الكنَّات ولكن ذلك لا يذكر في جنب ما في الطبائع من البرّ بالوالدين واحترامهما وتكريم اعضاء الاسرة . وفي امثالهم شواهد بيّنة على هذه الاقوال . واحترام الاولاد لوالديهم مشهور عندهم حتى انهم لايتكلمون امامهم ولا يدخنون ولا يشربون مسكراً ولا يرفعون اصواتهم . ويعتبرون الجدَّين كثيراً ويأتمرون باوامرهم ولذلك قيل في امثالهم «ما اعزّ من الولد الا ولد الولد» لكثرة ما يرون من تكريم حفدتهم وحفيداتهم لهم . ويكرمون الامّ كثيراً حتى قالوا «الدنيا امّ» وهي تحنو عليهم وتحتضنهم كما انهم يكرمون الخالة اي بديلتها لقولهم «ان حبتني خالتي طعمتني نقّول وان بغضتني نيمتني عالتنور»

ومن اغرب ما في الاسرة اللبنانية ومعاملاتها احتضانها لاولادها ولو كبروا وتزوجوا فيحتشدون في بيت واحد من جدود وجدات وآباء وامهات واخوة واخوات واولاد وكنَّات واطفال يقيمون فيهِ وينامون في فراش واحد او فرش مرصوفة متدثرين بلحاف واحد او اثنين اذا كبرت الاسرة ويتناولون طعامهم معاً ويتقاسمون شظف العيش ورفاهه لا يفضل الواحد منهم الآخر الا كبارهم . وقد يعتنون بالولد البكر ويميزونهُ كما ميَّز العبرانيون ابكارهم حتى انهم قد يخصونهُ بميراث اكثر من اخوته . وربما ادّى ذلك بل كثيراً ما ادّى الى التواكل وعدم الاعتماد على النفس . بخلاف ما يجري عليهِ الاوربيون من ترك الاولاد في مقتبل شبيبتهم لتحنكهم الايام وتكسبهم التجارب خبرة فيترعرعون على العمل والاستقلال الشخصي

ولو كانت المرأة اللبنانية متعلمة ومهذبة لفاقت غيرها من بنات جنسها في العالم وفي من نبغ من نسائنا بالعلم شاهد صريح على ذلك · فيعيب اللبنانية اعتقادها بالخرافات والاوهام مما تنقله الى اولادها فتملأ رأسهم ترّهات ويزينها تقواها وعفتها واستعدادها للارتقاء حتى تفوق في عفتها والمحافظة على رجلها وتحط عن سواها في تدبير منزلها وتربية ابنائها (كما صدع بهذا بعض ادباء اللبنانيين)

واعلم ان الخرافات اللبنانية كثيرة غريبة متفشية في القرى حتى الآن وهي تحتاج الى ابحاث طويلة جمعت في كتاب « الطائف السمر في لبنان والقرن التاسع عشر » ونورد بعضها في تضاعيف الابحاث المنشورة هنا

ومن مزايا الاسرة اللبنانية التهادي والمقارضة في الافراح والاحزان والنوائب كما سترى في عاداتها مفصلاً · والبساطة مع طيبة القلب ورقة العواطف

العادات اللبنانية في اطوار الحياة البشرية

النسل

اللبنانيون محبون للنسل والتوالد شديدو العناية بالأسرة والاهل وكأني بتحزبهم وتشيعهم منذ القديم رغبهم في تكثير النسل للتماجد وتكبير الحزب وهم يحافظون على انسابهم واديانهم ولكن عصبتهم قد تحملهم على مخالفة ذلك كما جرى للمقدّم رزق الله متقدم بشرّي الماروني في القرن الخامس عشر للميلاد فانهُ اغرى احد اخصّائه زين مقدم البترون ليتزوج بابنة ملكية ارثوذكسية من سلالة لامبراطرة الصليبية التي حكمت جبيل اذ ذاك ليتقوى بامرتها ويحارب عرب البقاع والاكراد وهكذا فعل فنشر الامان في لبنان وكثرت المهاجرة اليه من نابلس وصفد وطرابلس

الحبل والعقم

لا يكاد العزيب يتزوج حتى تسمع المهنئين يطلبون له الاولاد بعد طلبهم ان يفرحوا منهُ قبل زواجه · وكثيراً ما تراهم ولعين بكتب التبريج ونحوها ولا سيما كتاب دانيال ليكشفوا به المستقبل فيحسبون الابراج ويستنطقون الكواكب ليعلموا اذا كانت امرأتهُ عاقراً او ولوداً · واذا طال الوقت ولم تحمل اضطربت الاسرة ولاسيما الامّ والحماة فعملوا الذرائع لحبلها من ضمادات ونحوها مع نذور وحمل عُوذٍ حتى اذا حملت احتملوا دلّها بالوحام بكل سرور · واذا حدث لها ما ينذر بالاجهاض اي الترويح او الاسقاط وضعوا لها الماسكة برقبتها وهي عوذة تمنع باعتقادهم الاسقاط وحمّصوا لها القمح ونحوه من الوسائط البسيطة · وكثيراً ما تكون المرأة العاقر متكدّرة لعدم حملها منغصة بمعيشتها ولا سيما مع حماتها فيطلبون لها الاولاد حيثما اجتمعوا بها وقد تعمل الوسائط للحمل من العوذ والعقاقير رغبة في تحقيق طلباتها والحصول على ولد يجبر قلبها

الولادة

اللبنانيون يفضّلون الذكر على الانثى من اولادهم ولذلك يقولون عند ولادة الانثى « ان العتبة تحزن اربعين يوماً » وعند ولادة الذكر :« الله يبارك بخلفتهم » . فاذا احست الحامل بالمخاض (التوجع) استقدموا لها قابلة او داية . فاذا ولدت ذكراً قالت الداية عند النصارى « محبة بالمسيح » او انثى « محبة بالعذرا » وعند غيرهم قالت عبارة اخرى . ثم يغسل الطفل ويلبس ويشد بالاقمطة فيلف بملفة تسمّى الفاكولة ويوضع القطن على يافوخه لئلا يتبرد وعلى عينيه لئلا تلفحا فيدرج بالاثواب كأنه في اكفان وتخرج به الداية الى النور خارج غرفة امه وتتلو له بعض صلوات متمتمة بها ثم تقدمهُ لجده او والده او احد اقاربه الادنين الموجود اذ ذاك لتأخذ الحلوان او النقوط ان كان ذكراً . هذا يذكرنا بطواف اليونان والرومان باولادهم حول النار في اليوم العاشر من ولادتهم . وبعض اللبنانيين يركبون الطفل على فرس كحيلان او على كتف عذراء تفاؤلاً بالخير . فيهرع المهنئون والاولاد لأكل الحلوان خشية ان ينشأ مشوّهاً ثم يعمل الطعام ويسمونه العلقة او لقمة الخلاص وهو الخُرس عند العرب

فتختلف القابلة كل يوم الى بيته فتغسله بالملح وبعد ثلاثة ايام تطليه بالريحان والزيت مدة اسبوع كامل . ومن عادات الامراء والاقطاعيين انهم يرسلون الريحان والزيت للذكور الذين يلدون من حزبهم او عهدتهم كأنهم يكرّسونهم لهم . ثم يوضع في سريره الخشبي مستلقياً على قفاه ويربط كأنه مجرم ويسمى هذا الرباط القمطة وهي لفظة سريانية . وقد يوضع في مرجوحة (ارجوحة) . ولا يجوز عندهم هزّ السرير او الارجوحة اذا كان الولد خارجهما لئلا يصاب بوجع الظهر . وكذلك لا يدخل على النفساء العذارى ولا العزباء ولا الحوائض الا بعد اسبوع . ومن اطعمة النفساء القَيْنَر والمغلي كما سيأتي . ومن حلوان الاولاد الذي يقدم للمهنئين الزبيب والتين المطبوع والجوز ونحوه . ويجب على النفساء ان تعتني بصحتها حتى يمرّ عليها اربعون يوماً فتغتسل وترعبن وتذهب بالولد الى الكنيسة عند النصارى ليصلّى على رأسه . كما ان الكاهن يستقدم يوم الولادة ليصلّي على الباب تبركاً . ويعلّق للطفل التمائم والتعاويذ . وقد ترفعهُ الداية اي تكبّس له الطنطلة (اللهاة) . وتطيّعه اي تروّض اطرافه بالحركات الى جهات مختلفة . وتشيل له كتفه او تجلّسها اذا زاغت . ويضعون له خرزة زرقاء للوقاية من العين . ويحمل المباركون الهدايا الى بيته وقد ينقطعون على اطباق النقل

العماد والختان

يحتفل المسيحيون بالتنصير اي العماد كما يحتفل المسلمون بالختان وكذلك بعض الامر الدرزية تجري الختان . اما العماد فيكون في البيت او الكنيسة فالموارنة يعمّدون رشّاً والارثوذكس والكاثوليك تغطيساً ويقام له عرّاب وعرّابة سواء كان ذكراً او انثى ولكن في بعض الاماكن يقتصر على العرابة للانثى . والعرّاب سريانية بمعنى الكفيل . ويسمّي الولد فليونًا للعرّاب وهي ايطالية بمعنى مكفول . ويجب ان ينتخب العراب

والعرّابة ممن يعيش على يدها الاولاد . ولا يجوز اجتماع الابوين عند التغطيس بل يخرج احدها . وقد يولمون ويهادون الطفل وينقطونه . اما التسمية عند المسيحيين فتكون مزدوجة اسم للعماد باسم احد القديسين واسم يطلق عليه حسب اختيارهم . وقد جرت عاداتهم ان يسمّوا على اسماء المتوفين او المتوفيات من اسلافهم احياء لذكرهم واستبقاء للاسم متجدداً في الاعقاب . ومن تسميات الموارنة مثلاً مارون وافرام وشلّيطا وزخيا . والملكيين الارثوذكس والكاثوليك نقولا وبطرس وساروفيم وباسيليوس . والدروز حصن الدين وزين الدين وحمزة . والمسلمون قاسم ومصطفى وعلي . وحفلاتهم في الختان بسيطة يدعون لها الانسباء والجيران

ويسرّ اللبناني بكبر عيلته قائلاً « الله يبعث رزقهم » فلا يتكدر من كثرة الاولاد لأنه يرغب بتكثير حزبه . واذا لم يعش اولاده تكدّر وتنغّص وعمل الذرائع لاستبقائهم واهمّ ما يجرونه اذا مات الاولاد على رأس احدهم انهم يأخذون الولد الحيّ الى سطح عالٍ وقد يكون سطح الكنيسة بحفلة فيحلّقونهُ بمار الياس ثلاثاً انه لا يأكل الغمّة اي الرأس والقوائم والكرش مطبوخة الا بعد ان يصير اخوه قادراً على ذبح الكرّاز (تيس المعزى) ثم يدلّونه بسلّ ثلاثاً عن السطح الى الارض ويعطونه ما يطلبه . وكل هذا من العادات القديمة التي أُبطلت في الوقت الحاضر . وكثيراً ما يعتقدون ان الاولاد الذين يولدون متعاقبين اي بعضهم على رؤوس بعض يتخاصمون ويسمونهم « رُوسيّة »

ومن العادات ان الوالدين يطلق عليهما اسم بكرهما كنية فيقال ابو فلان وامّ فلان وقد يكتنيان باسم الابنة اذا لم يرزقا ذكوراً . والامّ اللبنانية تهوّم برأس ولدها وتربّت له باناشيد لطيفة وتعتني بتغطية رأسه وارضاعه كلما بكى وتلفظ امامه كلمات يتقلدها مثل « بابا و ماما وكخ » . وتعمل له السنيّة اذا نبتت اسنانه وهي من قمح مسلوق محلًّى وتوزعها على الجيران واذا تعسّر ظهور اسنانه تعلق له اسنان خلد فيسهل تسنينه على زعمهم فتتغنى له والدته عند ظهورها بقولها : « طلع سنّه . فرحت امّه . زعلْ بيّه . عالخبزات » وترشحهُ للمشي على الكرّاجة (الدراجة) الخشبية

تربية الاولاد

قلما يعتني اللبناني بشؤون اولاده ومراقبة حركاتهم بل يلقي لهم حبلهم على غاربهم فيسرحون ويمرحون حفاة عراة يرعون المواشي ذكوراً او اناثاً وربما سمعهم ينطقون بالفاظ بذيئة او بكذب فلا يردعهم الا بعض العشائر والخاصة وتأديبهم يكون بالضرب والانتهار ومع ذلك ينشأون ادباء بطبعهم لبعدهم عن فساد المدن ولاسيما تحلّيهم بالعفة والطاعة والاحترام وطيب القلب والسذاجة . ومما هو جدير بالذكر ان النصارى يضربون اولادهم ويخوّفونهم بقولهم : « رايح يجي لك الضبع او البعّ او الدُوّ او الكوكو او الواوا » فيشبّون على الجبانة . واما الدروز فانهم لا يضربون اولادهم بل كثيراً ما يقوّون الاخ على اخيه ويحرّشونه على ابن عمه وما شاكل . وقد تتغنّى بعض نسائهم لولدها بقولها : « نم يا عيني راح بيّك يجيب لك بارودة تانقوّس عدوّك » فيترعرعون على البسالة

واما التربية المدرسية فقد كانت في القديم ناقصة لأن اساتذة المدارس كانوا غالباً من ارباب العاهات والتشويه واكثرهم مقعدون او سطحاء فيقتنون قضيباً طويلاً « شبوقة » لضرب الاولاد اذا اذنبوا فمن هرب او بعد عن منالها لم يصب بها فلا يشبّ الاولاد على احترامهم اعتباراً بل خوفاً من الضرب فيحتالون. فضلاً عن ان التعليم كان ناقصاً كثيراً لا يتجاوز بعض كلمات او صلوات تمتم وتلاك بألسنة معوجة ولفظ ألكن. واما البنات فلم يكن نصيب لهنّ من التربية المدرسية لان اعتقاد القدماء انها لا يجب ان تتعلم القراءة والكتابة « لانها لا تقعد في الديوان ». بقيت التربية العائلية وهذه هي التي تغيّر من بعض الطباع اذا كانت مؤثرة وارقى من محيط المربّي وكثيراً ما يقولون : « ابنك لا تعلّمهُ الدهر بيعلّمهُ ». وقد اعتاد اللبنانيون ان يقسروا اولادهم على تعلّم ما ليس من اذواقهم ولقد يفضلون ان يعلّموهم اعمالهم من زراعة وصناعة ولا سيما في بعض الصنائع التي تورّث وتحفظ اسرارها في الاسرة كصنعة الاجراس ونحوها واذا ثغر الولد اي ألقى اسنان الحليب (ويقولون فرّم) ألقى بأسنانه الى الشمس قائلاً : خذي سنّ الحمار واعطيني سن الغزال . ولا يحركونها وهي في فمهم لئلا تنبت عوجاء

ملاهيهم والعابهم ومروّضاتهم

يسرح الولد والشاب اللبناني في جبله ويمرح متوقّلاً في التلال ومنحدراً في الاودية يرعى الماعز او البقر او السوائم الأُخر او يطوف القرى لاغراض خاصة او يصطاد ونحو ذلك مما فيه ترويض لجسمه وتقوية لعضلاته فتكثر مروّضات جسمه وتقل مروّضات عقله

ومن ملاهيه التي هي قديمة ترافق الانسان في بداوته « لعب القمز » او الجمز وتسمى لعبة الطيحتين وقمزة . وهي الخطو الى الامام بعدد معلوم ومن زادت خطواته ربح اللعبة

« والطابة » اي الكجة وهي انواع منها « طابة الرمي او الزتّ » تلقى الى الاعلى وتتلقف او « طابة الحجّ » التي ترمى على غرض او هدَف لاصابته

« والمرجوحة » او الارجوحة وهي نوعان اما تعليق حبل في شجرة والترجّح عليهِ وتسمى ايضاً العنزوقة ويجرونها في بعض الاعياد كالعنصرة وغيرها عند النصارى

واما (الطالعة والنازلة) فخشبة مستطيلة يركب على طرفيها ولدان متقابلان وهي مركزة من وسطها على شيء عالٍ فيصعد احدهما وينزل الآخر وبالعكس وتسمّى ايضاً التيقزتّ والقلقزينه والقيطُومه : و (قاقي حنّاً وقاقي بنّاً) . و (كُوك بحنّاً كُوك بزيت) . و « الدّالك » وهي نوعان احدهما مهاجمة الفريقين لولدٍ في وسطهم وضربه بايديهم ومحاولته امساك احدهم فمن امسكهُ جلس محلّه . والثاني ان يكون بيد كل من المهاجمين شيء يضرب بهِ القائم في الوسط . وهي لعبة قديمة يسمّيها الفرس « الشَفَلَقَّة » تعريب « شبَنْك » وتسمّى بالتركية « شَپْلَه » ومعناها اللطمة . ومنها لعبة « النجاصة » وهي اجلاس ولد وحرس الناطور له والمهاجمة كما مرّ « والغمّيضة » او « الطمّيش » وهي ان تشدّ عينا احدهم بعصابة ويتكئ على صدر احد رفقائهِ متناوماً .

فيبدل اللاعبون ثيابهم ويسير كلٌّ الى زاوية ثم يلتحف ببساط ونحوه ويتناوم. فيرفع الاول العصابة ويقصد رفقاءه ويدعو كلاً باسمه فمن عرفه لاول مرة سلم وذهب المعروف محله يعمل عمله والا حمله على ظهره حتى يوصله الى مكانهِ وينام ثانية. ويسميها الفرس «الصُّدُر» تحريف سَرْدَرْ اي الراس داخل البساط وتسمى بالتركية «بكزي بوز او يوني»

ومنها «الجمَّال» وهي انحناء احد اللاعبين وقفز الآخرين فوقهُ ولا يزال يرتفع بقامتهِ حتى يعجزهم فمن لم يطفر فوقهُ كان محلَّهُ

و«اللاقوط» وهي لعبة الرعاة بقذف الحصى وتلقفها والمَاقَ ومندَيره وهي وضع عود بين حجرين ورفعهُ بعصا طويلة واصابتهُ بضربة والربح بحسب ابعاد العود. المِاق خشبة تضرب بها الطابة ولعلها محرف «المِلْقَف» ونرى ان المنديرة تحريف البنديرة وهي كلمة ايطالية للعلَم لمشابهتها اياها برفعها على عود مثلها وربما كانت اولاً خرقة

و«المَحْتُوت» وهو غرس اوتاد في الوحل وزحزحتها عن محلاتها بضرب اوتاد اخرى عليها غرزاً في الطين والمزحزح هو الغالب وجمعها معاتيت

وهناك العاب كثيرة مثل «دحو الكعاب» و«الكَنَّال» و«الخواتم» و«القرعة» و«الخُوطية».

ومن اهم ملاهيهم «الصيد» واللبناني ماهرٌ به ولا سيما صيد الحجَال التي تكثر في صرودهِ وهو انواع اما «بالشرك» او «بالمِقْنَوم» وهي القترة اي البيت الصغير يجلس فيهِ الصيَّاد ويرش حبوباً يصطاد بها الحجال وهي لا تراه او «بالسركه» وهي تحريف السُّلْكَه اي انثى الحجال تصلى في قفصها او خارجهُ في ايام الربيع فتزقزق ويجتمع عليها الحجال. وقد يكون الصيد بالكلاب السلوقية والفهود والبزاة والصقور والشواهين المضرَّاة. ويصطادون الايائل والغزلان والخنزير البرّي والضواري والطيور. وكانت القسِيّ والنبال اسلحتهم القديمة ثم البنادق على انواعها ولامرائهم واعيانهم براعة وافتنان لهذا الفن

ومنها «لعب الميدان» او الفروسية ويبرع بهِ الامراء والاعيان وهو السباق على الخيل وله فروع كثيرة منها «اللعب بالرمح» على ظهر الجواد فيتناول الفارس رمحين بيديهِ ويلعب بهما العاباً غريبة فيرخي لفرسهِ التزكين (العنان) حتى يصير الرمحان بيديهِ شبه دولابين لا يعرف اين طرفاها لشدة ادارتها. وفي آخر المشوار (الشوط) يوقف الجواد والعنان في فمهِ ثم يتكئ على الرمحين ويدقها في الارض ويهمز الجواد فيقمز من تحته ويبقى هو مستنداً على الرمحين فيترجل عليها الى الارض. ومنها التقاط تفاحة ونحوها بسنان الرمح عن الارض والجواد يعدو. ومنها «نيشان البارود» وهو ان يطلق بندقيتهُ على نيشان (غَرَض) فيصيبهُ ثم يرميها في الجو ويدور على فرسهِ ويتلقفها وهي منحدرة

ومنها «اليقلمه» وهي ان يهمز جواده في المضمار ثم يضرب الجريدة على الارض ثلاث مرات ويتلقفها والجواد يعدو باشدّ سرعته ومنها «ضرب الجريد» عن ظهر الجواد او عن الارض حتى يصيب الغرض ولو كان صغيراً مثل ريشة على رأس ولد ونحوه. ومنها «اصعاد الجواد واحداره» في سفح جبل شديد

الانحدار وهو راكب عليه وقد يصعد على شبه درج من ادراج اليوم . ومنها « لعب السيف » واهم انواعه وضع عصا صلبة بين كاسين أعنقين (طويل العنق) من زجاج مملوئين ماء وضرب العصا بالسيف وكسرها بضربة واحدة دون اراقة الماء او صدع الكاس . وكذلك ان قضيب فولاذي في لبدة (لبّاد) وقطعهُ بضربة واحدة بسيف قاطع يسمّى « شنتيان » باصطلاحهم . ووضع ورقة رقيقة على حشيّة (مخدة ونحوها) مملوءة بنخالة الحنطة او التبن وقطعها بضربة سيف او رمي قطعة حريرية ونحوها رقيقة وضربها بهِ فتقطع شطرين الى غير ذلك مما لهم فيهِ فنون بديعة عُرفوا بها منذ القديم . ومن العابهم « الرقص » افراداً وقد يكون ازواجاً اما بسيطاً اما بالسكاكين او بوضع ابريق على الراس مملوء ماء او طبق عليهِ اقداح مملوءة ونحو ذلك وهذا من رقص النساء . و « الدبكة » وهي الرقص والدبكه بالرجلين ويكون باتحاد جماعة . و « العراضة » وهي اطلاق البنادق في الاحتفالات والاعياد بطريقة خاصة يصطف فيها البندقيون بترتيب كأنهم جند مدرّب . و « لعب الحَكَم » او الثاقفة وهو اللعب بالسيف والترس . ولكل منها اصول وآداب يتعلمونها تلقناً وتمرُّناً . ومما تنوسي اللعب بالكرة والصولجان اشتهر بهما الامير ابو الجيش زين الدين صالح بن علي الارسلاني المتوفى سنة ١٢٩٥ م في عرمون الشوف

ومن العابهم المروضة لعقولهم « الدريس » و « المنقلة » والورق او الشدّة و « النرد » اي الطاولة و « الداما » و « الشطرنج »

ومن مكيفاتهم « تناول المسكر » والتدخين « بالغليون » او « اللفيفة » اي السيكارة و « والاركيلة » اي النارجيلة و « شرب القهوة » المطيّبة بحب الهال

عاداتهم في افراحهم

اللبنانيون من اشد الناس تشاطراً في السرّاء والضراء فألفوا الاجتماع وولعوا بهِ ترويحاً للنفس وتفريجاً للكرب في الافراح ومن عاداتهم فيها :

الخطبة

ان حب اللبنانيين لتكثير النسل حدا بهم الى العناية بانتقاء زوجات ملائمات فلذلك حرصوا قديماً على مراعاة الخطبة واطالة مدّتها للاختبار والتمازج ولا سيما عند المسيحيين الذين يتعذر عليهم الطلاق والجمع بين اكثر من زوجة في بيتهم . ولقد حرصت بعض الأُسر على حفظ الزواج بينها وبين من كانت من طبقتها فقلما تجد الامراء يتزوجون بالمشايخ ولا هؤلاء بالعامة ولو كانوا من الاعيان . ولا سيما الدروز فانهم اشد حرصاً على عاداتهم من غيرهم . ومما نعلمه من عاداتهم ان المقدّمين آل مزهر في حمانا مثلاً لا يتزوجون الا من أُسر خاصة

يعرفونها بالتوارث وهي المشايخ آل جنبلاط في المختارة وبكوات آل شمس في غريفة وحاصبيا وبني حمدان في باتر وآل امين الدين في عبيه فحفظت المصاهرة بينهم فقط ولم تتجاوزها الى غيرهم

والدروز معرفون بشدة حرصهم على الخطبة في زمن الصغر حتى قد تخصص الابنة حين ولادتها على اسم عريس لها لا تأخذ غيره ولا يرضى بسواها فمتى بلغا تزوجا وقد يتزوجون صغاراً

ومن عاداتهم في الخطبة ان يرسل اهل العريس الى اهل العروس رسولاً في ذلك فاذا قبلوا طلبه يحضرون شيئاً من الحلوى كالزبيب ونحوه يسمونه النعمانية فاذا اكلوها مع رسوله كان ذلك تصريحاً منهم بعقد الخطبة حتى انه لا ينفك بعدئذٍ. ومن اساليبها الرمزية ان الامير محمداً الشهابي نزل مع والده ضيفاً على الامير يونس المعني سنة ١١٧٥ م فخطب ابنته طيّبة هكذا وهو انه كان معه في حديقة جميلة الازهار فقال والده : المياه عذبة . وقال محمد : والارض طيّبة . فقال الامير يونس : وانت طيب يا محمد . فقال الامير محمد : الطيّبات للطيّبين . فاذا تمت الخطبة يرسل العريس الى قوم العروس من يكتب الكتاب على صداق مهر معلوم فتصير زوجة له يحضرها متى شاء ويتزوجها فان وافقتهُ بقيت والا طلقها وتزوج بغيرها. اما المهر فيتراوح الآن بين ثلاثمائة ليرة الى خمس مائة غرش يدفعهُ الرجل للمرأة . ويمتنع على العريس ان يرى خطيبتهُ اثناء الخطبة الا في الأسر الممتازة . ويكون ذلك العقد بشرط يكتبهُ الشيخ مشهوداً به . وهكذا المسلمون يعقدون الخطبة ولكن على غير الخطة المذكورة

اما النصارى فيذهب اهل العريس الى بيت العروس و يتداولون بالخطبة فاذا تمت يضعون علامة كخاتم ونحوه ويصلي الكاهن وتدفع قيمة البائنة اي المهر في ذلك المجلس . ثم يتزاوران ويصير العريس كأنهُ من بيت العروس ولكن بأدب وحياء ويُحظر على الخطيبة ان تزور بيت خطيبها قبل الزواج بل يعاب عليها وقلما يجتمع بها على انفراد ويهاديها في المواسم والاعياد الى زمن الزيجة ويجوز له تركها اذا حدث ما كدّره او اذا لم ترضه بطباعها وتصرفها . ولا يجوز عند الارثوذكس خطبة من كانت دون الدرجة السادسة في القرابة وعند الكاثوليك دون الخامسة وعند الدروز المحارم هم الاب والابن والاخ والعم والخال . وعند المسلمين والشيعيين معروفون

العرس

يذهب اهل العريس الى بيت العروس للمشاورة اي المداولة بموعد العرس واعداد الحاجات ومتى تقرر الأمر تبدأ الدعوات (العزائم) من الفريقين ويغسل العذارى العروس والشبان العريس حاملين معهم الصابون وبعض الطيوب. ثم ترتب الماشطة العروس ويعرف ذلك « بالبَرْزة » وهي كلمة فارسية بمعنى جلاء العروس ليظهر جمالها وتنشد لها الاناشيد (او الجلّيوات) ويزورها اهل العريس نساء حاملات لها ثيابها وجهازها . وليلة العرس يجتمع الشبّان عند العريس ويحيون الليل في القصف والغناء وانشاد الزَجَل (المغنّى) والضرب على الطنبورة او الربابة ونقر الدف او الدربكة والعزف بالصلّوب او المجوز (نوع من

القصب المجوف المثقوب) والمجيرة (الشبّابة) ونحو ذلك · وتدار اطباق الزبيب والتين المجفّف (المطبّع) · وترتفع اصوات التراويد والزلاغيط ونحوها ولا يسوغ لهم ان يناموا لاعتقادهم ان المتزوجين يخطفون عريسهم لانهُ صار احدهم · وفي منتصف الليل تأتي ام العريس بقصعة من الحنّاء المجبولة بالماء فيحنّون هم والعريس وترسل بعضها الى بيت العروس والى الاصحاب ممن لم يحضروا السهرة · وقد يتكحلون ايضاً في بعض القرى · واذا شاء الشبّان ان يناموا يمكنهم ان يفتدوا العريس بخلعة ثمينة يرضون بها المتزوّجين فلا يخشون بأساً على عريسهم · ومن غريب العادات ان اليمنيين لما تقوّوا في لبنان منعوا القيسيين من ان يقولوا في آخر الترويدة « هوبر » بل كلمة « يا » حتى انقرضوا فعادوا اليها

واذا تنفس الصباح حلقوا للعريس ورقصت احدي النساء بثيابه وكانت العادة في القديم ان يستعيروا طاقم العرس للرجل والمرأة من عند الغني في القرية الذي يقتنيها وكذلك الادوات اللازمة · وقد يخلع الامير او الشيخ على العروسين ثياباً يلبسانها بالعرس ثم تقدم له فيلبسها بمساعدة الشبين الذي يقوم بكل الواجبات كما ان العروس تُلبس بيد بعض انسباء العريس من النساء ومتى ارتفعت اصوات التهاليل والتراويد وكثر القصف وجاء المهنئون حان موعد جلب العروس فان كانت العروس خارج البلدة ارسلوا « الفرّاشة » وهم رسل يخبرون بقدومهم ثم يذهب العرّاسة والا فيذهب (العرّاسة) مع والدي العريس بموكب حافل الى بيت العروس وهناك تجري بعض مناقشات بشأن تردّد العروس عن المجيء معهم ثم يقترحون عليهم ان يصيبوا النيشان بالرصاص ويشيلوا القيمة وفي ذلك تعجيز لا يخفى · وبما انهم عرفوا العادة تراهم يحضرون معهم شباناً بارعين باطلاق الرصاص والاصابة به · وآخرين اقوياء العضل لرفع القيمة وتكون غالبا جرن كبة في وسطه خشبة يقبض بها ويرفع الى ما فوق الكتف واليد ممدودة به وقد يبلغ وزنه ثلاثين رطلاً والقيمات من ألعابهم في القديم فيتمرّنون عليها وتسمّى الشيلة في بعض المواضع واذا لم يتمكنوا من رفع القيمة واصابة الهدف استرضوا العذارى اللواتي مع العروس بخلعة او هدية · وفي اثناء ذلك ينقل جهاز العروس الى بيت العريس مكشوفاً من مثل فرشة كاملة وطرّاحة او دوشك وصندوق وبقج ثياب وبلاس او سجادة وبعض اوانٍ مطبخية واشغال يدوية

ثم لما تخرج العروس تقف امام البيت وتصير حفلة النقوط وهي دفع كل من ابويها واخوتها وانسبائها شيئاً من الدراهم وهناك رجل يسمّى المُشَوْبِش يثني على كل منقّط ويجمع الدراهم · عادة التنقيط قديمة وكأني بها مساعدة للعريس يفيها مقسّطة اذ ينقط كل من نقطوهُ باوقاته قال شمس الدين الذهبيّ :

سماع غناء الطير للدوح مرقصٌ ومن طرب بالزهر منهُ ينقّطُ
وللناس في عرس الربيع مسرَّة وللخلق حتى القس فيه يزغلطُ

ثم يسير الموكب ومع العروس اشبينتها وهي كفيلتها واللفظة سريانيّة وبعض نسيباتها · فالدروز يأخذونها الى البيت فتجري حفلة النقوط في بيت العريس كما جرت في بيت العروس · وحينئذٍ يسأل الشيخ العروسين امام الجمهور اذا كانا على عهديهما بالقبول بالزواج · ويتم العقد · وكذلك عند المسلمين والشيعيين

اما النصارى فينقلون العروس بموكبها احتفالاً الى الكنيسة لتكليلها من يد الكهنة على عريسها وقد يجري ذلك في بيت العريس او العروس ومتى تم الاكليل خرجوا بها من الكنيسة هي والعريس ومرّوا بها في البلدة والناس ترشهم بالقناني المملوءة ماء الزهر وترمي الزهور او الحلويات ٠ وتكون العروس غالباً راكبة على دابة ويداها مرفوعتان بمنديلين تحيي بهما الناس ٠ ولا يجوز الرجوع بها من الطريق الذي ذهبوا به اولاً لجلبها لاعتقاد انها تعود الى اهلها وكذلك يتطيرون من جلبها يوم الاثنين للسبب ذاته ٠ فتقف امام البيت وتلاقيها حماتها بالبخور والقمقم والخلعة ٠ ثم تصير حفلة النقوط او التنقيط ٠ ثم تضرب العريس ثلاث ضربات ببرتقالة او رمانة وينثر النقل على الجمهور وقد تنثر الدراهم على الفقراء ٠ ثم تلصق الخميرة فوق الباب بيدها ويتطيرون من عدم لصقها ٠ ثم تدخل وتجلس على مرتبتها العالية المعروفة بالصمدة فترفع يديها بالمنديلين تحيي بهما الناس وتضع يدها على رأسها ٠ وهي خرساء لا تتكلم الا بعد اسبوع والاشبينة تجاوب عنها ٠ ثم يجلونها وينشدون لها الاناشيد (الجلويات) ويكشف العريس وجهها اولاً ولا سيما عند المسلمين والدروز ٠ ثم تدار اطباق الحلوى وكؤوس الخمر ونقام الاسرار وتشرب الانخاب وتكثر عبارات التهانئ والتبجيلات ٠ ويكون العريس على مرتبة واطئة قبالة عروسه او في بيت آخر عند غير النصارى ولا يزوره احد في هذا اليوم ٠ ثم تبسط موائد الطعام للمدعوين بحسب مراتبهم وحالة العريس

وفي اليوم الثاني يأتي المباركون (المهنئون) بالتراويد والتهاليل ويحيّون العريس اولاً ويحملون الهدايا وقد ينقطون على اطباق النقل ٠ وهكذا يبقى العرس من اسبوع الى شهر واكثر ٠ ويكثر فيه التصفيق بالايدي والرقص والقصف ٠ والعريس الآمر الناهي بالقوم

ثم يذهب العريس بعروسته لزيارة بيت حميه ويسمونها « ردّة الرجل » وهناك يستقبل مع موكبه بالترحيب ويجلس هو وعروسته على مرتبتين ٠ ثم يجري القصف واللعب ٠ وهناك عادة غريبة وهي تعليق العريس برجله فتفتديه حماته باكة او خلعة ونحوها ومنها سميت ردّة الرجل وقبلها تكون « الصباحيّة » وهي اخذ هدايا وزيارة العريس من قِبل اهل عروسه فتصير ردّة الرجل كانها ردّ الزيارة

الطلاق والهجر

لا يجوز الطلاق عند المسيحيين الا في النادر واما عند غيرهم فشائع لاسباب مشروعة ٠ ولكن يصير عند المسيحيين الهجر بدون ان يسمح لاحد الطالقين ان يتزوج بحياة الآخر فاذا مات احدهما جاز له ذلك ٠ وقد يجمع المسلمون والشيعيون بين زوجتين او يردّون المطلقة ٠ اما الدروز فعادتهم غريبة اذ لا يردّون طالقاً ولا يجمعون بين زوجتين ٠ ويكون الطلاق عند الدروز لاقل اشارة بسبب موجب فاذا قال لزوجتهِ مثلاً سيري الى البستان ولم يقل وارجعي فهمت انها طالق ٠ وقد يهجرها ولا يتزوج بغيرها فتبقى زوجته ٠ ومتى تزوج غيرها صارت طالقاً فتتزوج بغيرهِ ٠ والمطلّقة تستتر من المطلِّق بحرص شديد كما تحتجب المخطوبة عن الخاطب ٠ والمطلقة لا تردّ ولو تزوجت بآخر بخلاف عادة المسلمين ٠ واذا ندم الدرزي على الطلاق قد

يتخلص منهُ بانكاره التصريح بالطلاق اذا وافقتهُ زوجته، واما اذا كان عليه شهود فلا حيلة له بارجاع زوجته فيسبق السيف العَذَل . ومن اشد الضربات قسر احد الزوجين على الاقتران لدواع خاصة مما يفضي الى الطلاق او الهجر

مآدبهم

يتبادلون الدعوات (العزائم) في بعض الشؤون والمواسم والزيارات وتعرف الدعوة عندهم باسم العزيمة يدعون اليها من يشاؤون من الانسباء والاصحاب فيكثر هرجهم وتبادلهم الاحاديث المختلفة اهمها التفاخر بذكر قدمائهم والتماجد بنجاح احزابهم وكثيراً ما يتناشدون المغنّى (الزَجَل) ويترنمون بالاناشيد الوطنية الحماسية اهمها الحدو (الحداء) و « المحورب » والمواويل والعتابا والميجانا ويشربون الانخاب (الاسرار) لزعمائهم ومحالفيهم

وموائدهم قديماً كانت بسيطة ليست الا شيئاً يمد على الارض كجلد ونحوه يسمونهُ السفرة وقد يكون طبلية وهي مائدة شبه الطبل واطئة توضع عليها الصحون الخزفية ويجلس حولها المدعوون بحسب مراتبهم في السنّ والمكانة

وقد لا يجلس اهل البيت معهم بل يخدمونهم بايديهم ويقدمون لهم المشاريب كالخمر والدخان والقهوة وهم ادباء في مآدبهم حافظون لحقوق غيرهم ولكنهم احيانا كثيرو الالحاف بالدعوة الى الطعام حتى انهم لا يقبلون عذراً لمن لم يشاركهم بالطعام وقد يحسبون ذلك انتقاصاً من قدرهم

وحبهم للقرى معروف ولاسيما في لبنان الجنوبي حيث تكثر عادات العرب ومجاوريهم كما تتغلب في الشمال عادات الآراميين القدماء « ولكل امرئ من دهره ما تعودا » ومن امثالهم : « اضرب بالسيف تتأمر واطعم خبز تتمشيخ » ويقولون « مالحنا » اي كل ملحنا . وادوات موائدهم ترقت بتوالي الاعصر حتى صارت على اتقنها عند الامراء والمشايخ والاعيان

مسامراتهم

يجتمعون ساهرين الليالي ولا سيما في ايام الشتاء الطويلة فيتماجدون بذكر السالفين وحوادثهم ويلتفّون حول مدخنة في زاوية البيت توقد فيها الجذوع والدخان يكحل العيون ويتخلّل اللحى فيسوّد السحنات فضلاً عما ينبعث من الغلايين واللفائف من الدخان وهم مولعون بشربه وقد يتنقلون في آخر السهرات بشيء من الزبيب او التين المطبَّع (المقدّد) والجوز ونحوه

ويسرجون اللقش وهو شظايا الصنوبر الراتينجية وزيت الخروع او الزيتون بأسرجة فخارية وفي ليالي الصيف يتسامرون بضوء القمر وكثيراً ما تكون مسامراتهم للتداول بشؤونهم الخاصة من مثل تجنيد الرجال

للقتال او كيد عدو او توزيع الضرائب والاموال الاميرية او وضع ناطور يحرس العقارات كالكروم والزيتون واشباه ذلك

ويكون الرأي للشيوخ واما الشبان فينصتون لهم وقد لا تقبل آراؤهم ٠ وهم يتأدبون مع كبارهم في احاديثهم وعُرف الدروز بطلاقة اللسان وفصاحته مع جرأة ادبية وتنسيق احاديث

ولهم في حكاياتهم اساليب غريبة في سرد الاقاصيص وقد ترى في بعضها بلاغة القاء تأخذ بمجامع لبّك من التنسيق والضبط وصحة الرواية والاسناد في النقل ولاسيما عن القدماء والأُمر والحوادث وقد يذكرونها بتواريخها مما يصغي اليه الصغار والشبّان ويتناقلونه خلفاً عن سلف ٠ وبذلك حُفظت انباء قدمائهم وانساب أُسرهم واخبار مواطنيهم ووقائعهم ٠ وهو مبدأ التاريخ منذ القديم قبل تدوينه في بطون الاوراق

ويجلسون القرفصاء او الأُربعاء او يركعون ويخلعون نعالهم اذا دخلوا البيوت ويضعونها خارج الباب او في عتبته ٠ ويقرأون الاقاصيص والروايات كأخبار بني هلال وعنترة وما شاكل مترنمين باشعارها التي تكون غالباً عاميّة ويسمّون ذلك « تقصدنا » اي انشاد القصيد ملحّناً ٠ وقد يصرفون لياليهم بانشاد المعنّى (الزجل) والتحدّث بالتبريج او كشف الكنوز المطمورة واخبار الجنّ والعفاريت والخرافات

وكثيراً ما يتعصبون لبعض اصحاب هذه الاقاصيص مثل ابي زيد ودياب ٠ وعنترة ومقرسي الوحش فيتناظرون ويتخاصمون

ويلعبون بعض الالعاب منها « الورق » او الشدّة واقدم العابهم فيها « البحْرِيّ » و« السكَنْبيل » او يتلهون بالمنقلة والدريس واشباه ذلك

اما الامراء والاقطاعيون فيتخذون لهم ندماء يصرفون اوقات فراغهم معهم ويتعاطون الالعاب المروّضة للعقل والصيد ولعب الميدان من مروّضات الجسد

عاداتهم في احزانهم

ولهم عادات واعتقادات في احزانهم غريبة وربما كانت مجموعة من عادات الامم القديمة وبعضها مصري وآراميّ وعربيّ فمنها في :

امراضهم

من اشد أوبئتهم القديمة الطاعون وكان يفتك فيهم فتكاً ذريعاً وكثيراً ما قرض كثيراً من أُسرهم ٠ ولم يكن علاجه عندهم الا بعزل المطعونين في اماكن بعيدة عن القرى ولما اشتد طاعون سنة ١٨٢٦ م وامتد

من يافا الى طرابلس وذاع امرهُ عقد الاطباء جمعيات في اوربة وارسلوا سنة ١٨٢٨ م اربعة اطباء فرنسيين الى الشرق لامتحان الطاعون الآسويّ فعالجوا في طرابلس الشام اربعة وخمسين شخصاً مات منهم واحد فقط ثم زاروا الامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان المشهور وقدموا له صندوقين من الادوية لعلاجه والوقاية منه وكانوا يضربون الحجر الصحي ولا سيما في طرابلس الشام حيث تفشى وفتك ليخففوا من وطأته وانتشاره . ومن دعوات العجائز « طاعون يقشّه »

ومنها الجدريّ وهو مرض فتّاك مشوّه لم يعرفوا له علاجاً غير العزلة وبعض العقاقير واول من ادخل التلقيح على طريقة جنّر الطبيب الانكليزي مكتشفه القنصل بطرس لورلا قنصل النمسة وغرندوقية توسكانا في بيروت لحمل اللقاح (المطعوم) سنة ١٨١٠ م الى الامير بشير الشهابي الكبير فلم يثق بنفعه ولكنهُ جرّبه ببعض خاصته اولاً وارسلهم الى برجا ليخالطوا المجدورين حيث كان المرض هناك فتاكاً ولما تحقق نجاتهم من العدوى تلقح هو واهل بيته وكان الدكتور يوسف برتران الملقح

ومن الامراض التي دخلت لبنان حبة حلب جاءت مع العسكر المصري بزمن ابراهيم باشا وبقيت مدة في بشامون فسميت الحبة البشامونيَّة . فضلاً عن الامراض الحديثة كالحمى القرمزية وحمي مالطة والزهري واشباهها

وكانوا يعتقدون ان الطبّ تجربة واختبار فلذلك قالوا : « اسأل مجرّب ولا تسأل حكيم » وكثيراً ما كانوا يعالجون بوصفات العجائز والشيوخ بالضمادات والفصد والكيّ وتناول بعض العقاقير الطبية والحقن وامثالها . او ينذرون للكنائس والمعابد زيتاً وشموعاً وبخوراً او ينقلون بعض العقاقير النابتة في جدرانها فيفضلونها على غيرها او يحملون الايقونات الى غرفة المريض ويطوّقونه لاحد القدّيسين او الأولياء ويقولون « آمن بالحجر تبرأ » . وقد يتركون بعض الامراض بدون علاج كالفالج ويقولون « فالج لا تعالج »

وان اضطروا الى مشاورة طبيب جاؤوا باحد الدجالين من الوطنيين او المغاربة الذين يطوفون القرى بالعقاقير او بكتابة الحُجُب والتعاويذ او بالفصد والكيّ والحقن . وقد يكون الاطباء كهنة فيكونون اقل ضرراً ومثلهم الشيوخ . والطبّ كان على طريقة ابن سيناء وكتبه مخطوطة الا القانون الذي طبع في رومية منذ ثلاثة قرون

واما عيادة المريض عندهم فواجبة ولاسيما الدخول الى غرفته والضجة فيها والتدخين ومن اغرب معالجاتهم الكي بالراس لبعض البثور التي تظهر في الوجه . والتمسيد او الدغدغة لوجع المعدة . واحراق صوفة كلب ووضعها على جرح من عقرهُ كلب . واستخراج السمّ من لدغة عقرب او افعى بحجر السمّ في خواتمهم او باستشارة الحاوي وهو الذي يربط الحيّة ويشفي من لدغتها . وشفاء المصدور بتجريعه لبن اتان (حمارة) وانقاذ المذعور (المرعوب) بتجريعه بَوْل الانسان او بالتقسيم عليهِ والصلاة . وابراء « الوثّاب » وهو حالة عصبية بالقبض على عرق بين الكتفين . وابطال الحازوقة (الفواق) باغضاب المصاب بها كأن يقال له « سرقت » مما يوغر صدرهُ . وردّ العين (الاصابة بها) بالرقية والتبخّر بأثر العائن (الصائب) الذي يعرّف بسكب رصاصة في صحن ماء بيد

الراقي او الراقية والتأمل في الصورة التي ظهرت وتطبيقها عليه . ومعالجة « بثرة العين » بان يشحذ المصاب بها من سبع نساء اسمهنّ مريم ولذلك سموها الشحاذ ويطعم ما شحذه لكلب اسود . وذبحة الاولاد او تذبيبهم بأن يمرّ احد الرعاة سكينهُ على عنقه ثلاثاً . والتهاب اللوزتين بتمسيد من خنق خلداً بيده . والحزازة (القوباء) في الجلد بامرار قلم كاتب ابن كاتب على حواشيها بحبره في ايام معلومة

واذا احتضر العليل استقدم له الكاهن او الخطيب لاتمام واجباته الدينية . وقد يستكتب وصيته قبل اشتداد الوطأة عليه . فاذا اسلم الروح غسل عند المسلمين ومسح جسمهُ عند غيرهم والبس ثيابهُ ومدّد على شيءٍ مرتفع . وادير الى الشرق عند النصارى

نوائبهم

اذا أُصيب احدهم بنكبة او نائبة كخسارة امواله او فقد احد اعضائه كالعين واليد والرجل وما شاكل اجتمعوا في بيته يسألونهُ بقصّ الحوادث التي جرت للناس اعظم مما جرى له فيهوّنون عليه مصابه . وقد يسعون له بالتعويض المالي مثل جمع اعانة ونحوها لمساعدته واعالة اسرته والسعي له بعمل يوافقهُ اذا كان مشوَّهاً فكثيراً ما يسلمونهُ اولادهم اذا كان قارئاً وكاتباً وحاسباً فيدرسهم كما شاهدت ذلك بعيني في صباي ممن درست عليهم منذ نحو خمس واربعين سنة . فانهم كانوا لا يستطيعون العمل وأحدهم مقعد لا يستطيع حراكاً فيحمل من محل الى آخر . فسعى له اهل القرية بجعله معلماً لأولادهم . وقد تكون المساعدة من الامير او الاقطاعي الذي ينتمي هو اليه بدراهم ونحوها ومن اساليبهم في تعزية المنكوبين بفقد المال قولهم « اللّي بيتعوَّض ما هو خساره » و« بالمال ولا بالرجال » و« اللّي ماله ما بيروح له »» . وللمنكوبين بالتشويه يقولون : « نشكر الله اللّي ماهو اعظم » و« اشدّ الاوجاع الحاضرة » و« لا تكبّر مصيبتك بتصغر »

المآتم

عند ما يموت احدهم ويغسل جسمهُ عند المسلمين ويمسح بالماء عند غيرهم يرفع على شيءٍ عالٍ وترتفع اصوات المناداة والعويل والندب . وتجتمع النساء حوله ولاسيما « الندّابات » وقد يحلّ شعر النساء وتسوّد (وتسخّم) وجوههنّ عند بعض الملل وقد يقطع شعرهنّ ويلقى على الجثة او تشقّ الاثواب كعادة العبرانيين وقدماء المصريين وتلدم الصدور . وبايديهنّ المناديل يلمعنَ بها الى الجثة

اما رؤساء الدين فعند المسيحيين لا يجوز الندب او العويل على راس بطريرك او اسقف او كاهن ولا تستلقي الجثة بل تجلّس في كرسي وعليها البدلة (الثوب الديني) ويوضع الصليب في اليمنى ويُربط فيأتي المعزّون ويقبّلون الصليب ثم يد الميت وتوضع الجثة في الكنيسة لا في البيت الا لداعٍ ضروري . وعند الدروز اذا كان الميت عاقلاً او جويّداً يلبَّس ثوباً ابيض خاصّاً به وعمامة بيضاء وكذلك شيوخهم من شيخ عقل او شيخ خلوة او مجلس . ولا يُندب قطّ وتكثر عليه الرحمات . اما الجاهل منهم فيترحم عليه مرة او لا يُترحم

عليهِ البنة والعاقل المرتاب بهِ يكون بمثابة الجاهل احياناً. ونساء الدروز قد تكشف وجوههنَّ اذا لم يدخل رجال الى قرب الجثة لتعديد صفات الميت والتأسف عليهِ . ولا تحل شعرها ولكنها تتعصب بالسواد شارة بقية النائحات من جميع الطوائف . ويكثر الندب من النساء والرجال والتحورب ورقص السيف لها الاَّ عند الدروز فلا يجوز للنساء ان يرقصنَ بالسيف

النعي

ويعرف في اصطلاحهم بتفريق المناعي وذلك بان يرسل رسول ينبئ بموت المنعي ووقت دفنه ويعمّ النعي او يخص بحسب درجات المتوفى من طبقات الشعب وارادة انسبائهِ . والمدعوون للمأتم يردون زرافات ويبدأون من اول القرية بالمناداة والبكاء والندب والتعديد الى ان يلتقوا برجال الميت رافعين النعش المسمّى عندهم بالمعتم (تحريف مأتم) على الراحات وهو مزين بألبسة الميت واسلحته حسب رتبته وقد يثقَّل بقطعة حديد ونحوها فينادونهُ ويعددونهُ ويسلمونهم النعش فيأخذه القادمون ويطوفون بهِ على الراحات ويبقون كذلك الى ان يأتي اهل قرية اخرى فيأخذونهُ منهم عندما يلاقونهم بهِ . وكلهم يعددون الميت ويعزُّون اهله

قَلْمُ الخيل

اعتاد الامراء والاعيان في مأتمهم ان يقلّوا الخيل وذلك يتم بإسراج جواد او اكثر الى اربعة عند الامراء والمشايخ ويضعون عليهِ طقم (كساء) الميت وسيفه وقربينته وبعض اسلحتهِ . ويقود الجواد رجل قد يكون راكباً او راجلاً . وقد يقف على جانبي كل جواد رجلان بيد كل منهما سيف مسلول فوق ظهر الجواد فيُطارَد الجواد ويضرب ويطاف بهِ حول البيت او الساحة وهكذا تبقى المناحة والجثة في البيت يوماً او يومين احياناً ليجتمع اهل القرى المدعوّون او الانسباء البعيدون . ويجوز قلم الخيل لشيخ العقل عند الدروز ولا يجوز لرؤساء الدين والكهنة عند النصارى

الدفن

ثم ينقل الميت محمولاً على النعش او في تابوت بذلك الموكب الحافل فالنصارى تتقدم جثة ميتهم الكهنة بحللهم الكهنونية وامامهم الصليب وهم يلحّنون تسابيح معلومة . ثم النعش واقرباء المتوفى محدقون به والبكاء والندب والمناداة تقاطع اصوات التلحين . واما الدروز فينشد شيخهم البُردة للبوصيري التي مطلعها :

أمِن تذكّر جيرانٍ بذي سَلَم مزجتَ دمعاً جرى من مقلة بدم

وطائفة تردُّ عليهِ باصوات حزينة . وتكشف الجثة او تغطى عند الطوائف حسب الاحوال والمسلمون والشيعيون ينشدون الفاتحة مكبّرين على عاداتهم في سورية . والشيعيون قد يغسلون الجثة على القبر لئلا تنجس بمس احد لها وهي عادتهم في كثير من شؤونهم

فالنصارى ينقلون الجثة الى الكنيسة حيث يصلّى عليها وتنقل الى المدفن . والمسلمون يصلّون عليها في الجامع . واما الدروز فينقلونها الى المقبرة رأساً حيث يوارونها الثرى

فالنصارى يصب كاهنهم على الجثة قبل ردّ التراب عليها من زيت القنديل الموقد في الكنيسة شكل صليب وكذلك يذري حفنة من تراب بعد تلاوة صلوات وتبخير بالمجمرة . والمسلمون يقرأون بعض آيات وكذلك الشيعيون . واما الدروز فيهمس الشيخ في اذن الميت كلمات سرّية للعاقل والجاهل من ذكور واناث . فالعاقل يزكّى علناً عندئذٍ وتستمطر عليه الرحمات ثلاثاً . واما الجاهل او المتجاهل من العقال فلا يزكى جهاراً حضاً للناس على اتيان الخير والبعد عن المنكر . ويتلى عندهم صك وصيّة الميت على القبر بعد الدفن على مسمع الجمهور وهم غالباً يوصون للذكور من اولادهم واعقابهم او لبعضهم دون بعض . اما الاناث فيوصون لهنّ براتب يدفع لهن اذا خلونَ من الزوج فلذلك يندر ان تكون المرأة منهم غنية

وقد تتلى وصية الموت عند بعض الطوائف على المقبرة او في البيت قرب الجثة او في الكنيسة والجامع مثلاً . ثم ينعزل اهل الميت الى جهة فيمرُّ امامهم المعزُّون ويعزُّونهم جابرين خواطرهم المنكسرة . وقد يزورونهم في البيت مراراً يسلّونهم

الحمل والدعوة

من العادات الشائعة عند جميع طوائف لبنان ان اهل الميت لا يصنعون طعاماً في ايام المأتم ابداً الا الامراء ونحوهم من الطبقات التي تأبى الحمل والدعوة الى بيوت اهل القرية . فلذلك يأخذ اهل القرية المدعوّين من خارجها كلٌّ حسب استطاعته الى بيته . ويُدعى كذلك اهل الميت الرجال لتناول الطعام عند الداعين . ثم تحمل نساء كل بيت من القرية واحياناً من جوارها الى بيت المتوفى اطباقاً عليها اصناف المآكل والخبز وذلك يسمّى « الحملان » او الحمل فيأكل النساء ومن يبقى في البيت من الاقارب . وكان هذا العمل يستمر اسبوعاً كاملاً تخفيفاً عن عاتق المحزونين ليتفرغوا للقيام بمأتمهم من الحزن والندب وما شاكل

وقد يبقى المأتم اياماً بحسب وفود المعزّين ومنزلة الميت . وقد يحمل المدعوون من القرى المجاورة هدايا لاهل الميت كحيوانات للذبح وارزّ وسكّر وبنّ

الضيافة والخلعة والضريح

يقدّم اهل الميت للمدعوين الليمونادة وبعض المرطبات والقهوة مرّة غير محلاّة بالسكّر والتبغ (الدخان) ويرسل الحاكم من الامراء او الاقطاعيين كالشيوخ وغيرهم من يعزّي اهل المتوفى ويحمل اليهم الخلع من قبله علامة الرضى ومحافظة على من كان من عهدته . اما الضريح فان الامراء والحكام والطبقات الأخر من الخاصة يبنونه على شكل قبة وتحتها رمس يفتح حين الدفن . وكثيراً ما يضعون عليه قبريّة اي كتابة ونحوها تدل على المتوفى

وبعضهم يضع نصبًا عليهِ قبرية · والبسطاء والفقراء تكون قبورهم عبارة عن رجمة من الحجارة ولجهة الرأس حجر عمودي · والبعض يتفننون ببناء الضريح من حجارة فاخرة منحوتة ونحوها · ويجوز دفن جثة مع اخرى في ضريح واحد عند النصارى فقط

الحداد والعادات الأُخر

الحداد يقوم بلبس الثياب السوداء رجالاً ونساءً وارسال شعر اللحية والوجه الى يوم الاربعين بعد الوفاة واذا كان الميت اميرًا او حاكمًا شمل الحداد جميع مقاطعته على اختلاف سكانها ومذاهبهم وهكذا من دونه من الاقطاعيين

وعند النصارى يعمل للميت « الثالث » وذلك بتقديم حسنات قداديس للكهنة عن نفسه وسلق القمح ووضعه على اطباق او صوانٍ مع الزبيب والحلوى وحمله الى الكنيسة مع قداس قربان فيصلي الكاهن عليها في آخر القداس وتسمَّى النياحة (كلمة سريانية بمعنى الراحة) وتفرَّق على الشعب ليترحموا على الميت وتقدم معها الشموع للهيكل والزيت لاسراج قناديله · وعند غير المسيحيين يجدَّد الحزن على الميت بعد اسبوع فقط · ثم بعد مضيّ اربعين يومًا على الميت او نحوها بحسب الاسابيع تجدَّد المناحة ويقدَّم للكنيسة عند النصارى ما قُدم في اليوم الثالث · وتخرج النساء الى القبر للبكاء على الميت · ويعودون الى بيته بالندب والعويل وقد تجتمع بعض القرى المجاورة بحسب منزلة المتوفى · وهناك يحلق الرجال شعورهم المرسلة حدادًا · ونساء الميت يطفنَ على اهل القرية فيخلعن اثواب الحداد عن نسائها شاكرات لهنَّ مجابرتهنَّ لهم بالحداد · ويعاد تذكار الميت بعد نصف سنة وبعد سنة وهو نهاية حداد الانسباء فيغيّرون اثوابهم السوداء رويدًا رويدًا الى ان تعود بيضاء · وكذلك تلبس النساء الحلى التي تركنها حدادًا · ويعودون الى المآكل التي انقطعوا عنها مثل اطعمة المواسم والاعياد والكبَّة وما شاكل · ويغسلون اثوابهم التي تركوا غسلها مدة الحداد

واما الدروز فيحتفلون بتذكار الميت بعد اسبوع ليس الا · وتشترك كل الطوائف بهذه العادات ومشاطرة الحزن والحداد · وقد تذبح الذبائح على القبر وتوضع عليهِ الاطعمة للفقراء · وتطلق فوقه البنادق حزنًا

ومن الخرافات الشائعة في المآتم ان الميت اذا بلع الكفن سبَّبَ ذلك موت كثيرين فلهذا عند وضع الجثة في اللحد يشق الكفن من جهة الوجه ويثنى · ويتطيرون من فتح المقبرة بعد دفنٍ حديث فيها ويقولون انها لا تفتح على اقل من ثلاثة من الاسرة او البيت · ويتركون السراج الذي اوقد في غرفة المتوفى ليلاً عند خروج روحه فيبقى مسرجًا طول النهار الى ان ينطفئ بفراغ زيتهِ · وعند ادناف المريض يتطيرون من نعيب البومة ويخافون عليه من الموت · وكذلك اذا كسر ماعون في البيت واذا عوى كلب عواءً مقلوبًا او صاحت دجاجة كالديك

شؤونهم العمومية ديناً ودنيا

لهم بشؤونهم على اختلاف احوالها عادات واعتقادات وتقاليد لا يمكن اقتلاعها الا بتوالي الحقب ولقد عالجها العلم الحديث والمدنية العصرية كثيراً فلم يستطيعا استئصالها ولكنهما نجحا باضعافها

الاعياد والمواسم السنوية

ألفوا تكريم ايام واعياد خاصة يعطّلون بعضها ويكرّم المسيحيون منهم يوم الاحد وينقطعون فيه عن العمل . والدروز وغيرهم يوم الجمعة . فيحتفلون بالصلوات فيهما وفي الاعياد ويصومون بعض الاشهر اكراماً للاعياد فالمسلمون والشيعيون والدروز يصومون شهر رمضان . والنصارى عندهم اصوام كثيرة . ولكن صيام الاولين يقوم بالانقطاع عن الاكل من الصبح الى المساء فيأكلون بعد ذلك ما شاؤوا . والنصارى ينقطعون عن اكل اللحوم وترك الطعام من نصف الليل الى الظهر والارثوذكسيون منهم ينقطعون عن تناول السمك ايضاً في بعض الاصوام . ويحتفلون جميعهم بالمرفع وهو الاستعداد للصيام الكبير الذي يسبق عيد الفصح او عيد قيامة المخلص فيتصفون فيه ويلعبون ويشربون الخمر وغيره ولا سيما يوم خميس السكارى في الاسبوع الاخير من ايام المرفع وقد تجري فيه مساخر وألعاب هزلية . والاسبوع الاخير عند الارثوذكس والكاثوليك ينقطعون فيه عن اكل اللحم فيستعيضون باكل الجبن والالبان والبيض ونحو ذلك وتسمى « جمعة البياض او الجبن »

ويكثر في الاعياد انماً كل الخاصة والتهادي ودعوة الكهنة والاصحاب والشيوخ لتناول الطعام معهم وينيرون المعابد بالاسرجة . ويقدمون القربان والشمع والزيت للمعابد ويتزينون بالملابس الجديدة . ويطلقون البنادق ويجتمعون في بعض الاديار التي على اسم قديس العيد ليلة عيده ولو كان معتزل وينامون هناك ويقصفون . ويشعلون الوقود زينة . ويجرون من الاعتقادات والعادات ما هو جدير بالتفصيل فمنها عند النصارى :

❊ راس السنة ❊ وفيه يتهادون منذ القديم ويعطون اولادهم « الصباحية » في صباح السنة الجديدة التي يسمونها « صباح الخير » ويدعونها « البسترينة » وهي هدية كانت تقدم لإلاهة القوة عند قدماء الرومانيين فسموها باسمها كلمة لاتينية من (Strenna) وهي شيء من الدراهم تبرّكاً بالسنة الجديدة التي تقع في اول كانون الثاني عند النصارى بعد ان كانت في اول ايلول . ويلعبون على دراهم ويسمون ذلك « الفوز » . ويتجنبون فيه الكدر والخصام لئلا تكون السنة كلها على هذا النمط ويتهانؤون

❊ الغطاس ❊ في السادس من كانون الثاني وهو اعتماد المسيح من يوحنا في الاردن ويسمّى الظهور بالعربية والدنح بالسريانية بمعناها · تقلى فيهِ الزلابية وتعمل الحشيات من الخبز باللحم وتسمّى البخوت او الفطائر · ويطوف فيهِ الكهنة على البيوت يرشونها بماء مقدس ويسمّى « التكريس » وياخذون على ذلك دراهم · ومما يجري فيهِ من الغرائب ان عطسة الطفل في هذه الليلة تدل على زيادة سنة في عمرهِ فكلما عطس مرّة سرّت الامّ ولذلك تقول له « صحّة » و « نشو » · ويستحمّ الناس تلك الليلة بماء الينابيع ويسهرون فاتحين الابواب حتى يمرّ المسيح ويقول للناس : دايم دايم · معتقدين ان جميع الاشجار تركع امامهُ الا التوت لانهُ جبّار فلذلك يشطّفونهُ (اي يقطعون بعض جذوعهِ اليابسة) ويوقدونها بسهرتهم انتظاراً لمرور الدايم دايم · ويتخذون الخميرة وهي قطعة عجين تلف في قماش جديد ابيض ويعلق فيها بعض تصلات من الحنطة ونباتا التوّيسة وبخور مريم ويعلقونها في شجرة غير التوت وتبقى ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ ولكنها تغطّس كل صباح في عين ماء بيد بكر عزيب قبل الشمس فيتحوّل فطرها الى خمير يستعمل في السنة الجديدة · ويجب ان تعجن الخميرة العذراء البكر · ويحركون المؤن البيتية لتزيد

❊ اول الصوم ❊ تبتدئ صلوات خاصة ويخرجون لاستقبال الراهب في السواحل الى خارج القرى ويبارك الرماد عند الموارنة ويذرّى على رؤوس المسيحيين ويسمّى " رش الرماد " او " ذر الرماد "

❊ سبت العازار ❊ يقام فيهِ تذكار العازار الذي اقامهُ المسيح واعتاد القدماء ولا سيما في المدارس ان يعملوا " العازارية " وهي الطواف على البيوت بشاب لابس قميصاً ابيض يمثل العازار وحوله اختاهُ مريم ومرتا بلبس النساء ثم ولدان حاملان " مديحة العازار " فمتى وصلوا البيت استلقى الممثل العازار المذكور وجلست اختاهُ فوق رأسهِ تبكيانهِ والمدّاحان يقرآن الانشودة بتلحين خاص الى ان يقولا فيها : عازار عازار قم · فينهض ويخرج الى خارج ويجمع الاولاد دراهم وزيتاً للاستاذ والكنيسة

❊ احد الشعانين ❊ يطوف فيهِ الاولاد بالكنائس باغصان النخل او الزيتون المسماة الشعانين معلق فيها كعك بدبس واثمار وزهور وشموع · وذلك رمز استقبال اطفال اورشليم للسيد المسيح عند ما دخلها راكباً على جحش ويتبركون بحفظ الاغصان · والشعانين من السريانية (سعانين) ولعلها من السَّعَفة بمعنى عسيب النخل · وعند العرب « السباسب » بمعنى الاغصان

❊ يوم الخميس الكبير ❊ تصير فيهِ حفلة تناول القربان المقدس للكبار والصغار · وياكلون فيهِ الاشياء الحلوة

❊ يوم الجمعة الكبيرة ❊ يصير فيهِ حفلة تجنيز المسيح والطواف بنعشه بشموع وصلوات ويعرف بالزياح ويزدحم فيهِ الاولاد والكبار رجالاً ونساء متسابقين الى المرور من تحت النعش تبركاً · ويؤكل فيهِ المرّ والحامض وفي ذلك رمز الى ما تجرعهُ المسيح من المرّ على الصليب · ويذهب الناس في الاودية والعقبات

الكؤود متجشمين مشاق الصعود والانحدار فيها حزناً على المسيح ويسمّى "التشرحط" ويباكون النباتات المرة ويجمعون زهوراً عطرية يحملونها الى الكنيسة ويسمّونها "الحنوط" لتوضع في حفلة الجناز وفي ذلك اشارة الى تحنيط يوسف لجثة يسوع

﴿ يوم الفصح ﴾ والفصح عبرانية بمعنى العبور تصير حفلة القداس ليلاً و"الهجمة" ايضاً ويسمى العيد الكبير. ويعمل فيه الكعك بحليب ويسلق البيض ويلوّن بالاحمر وغيره رمزاً الى القيامة والموت ويتهادى به وبالكعك وتصير المكاسبة او المفاقسة وهي قرع البيض بعضهُ ببعض فالكاسر غالب يربح ما يكسرهُ منها. ويتعايدون بقولهم : المسيح قام . فيجاوبون : حقاً قام

﴿ ثاني الفصح ﴾ ويسمّى الباعوث وهي سريانية اي الدعاء تصير فيه حفلة الباعوث بعد الظهر يطاف فيها حول الكنيسة او في داخلها وتقرأ الاناجيل بلغات مختلفة ويسوغ في هذا اليوم فقط ان يقرأ العوام الاناجيل التي يقرأها الكهنة عادة . ويتعايدون باللغة اليونانية والجواب بها ايضاً عند الشرقيين اي الارثوذكس والكاثوليك

﴿ العنصرة ﴾ يصير فيها تمثيل حلول الروح القدس على التلاميذ بألسنة نارية وتكلمهم بلغات مختلفة وقد يرَش فيه الماء في البيوت كالغطاس تبركاً ويركع فيه الشرقيون ايضاً ولا سيما الارثوذكس ويعمل فيه الاولاد العنزوقة كما مرّ

﴿ عيد الجسد ﴾ هذا العيد حديث عند الشرقيين ولكنهُ تجري فيه حفلة حافلة بالطواف في القربان ولا سيما في زحلة وبكفيا وغزير وهو مختص بالطقس الغربي اقيمت له حفلة عند اللاتين في رومية سنة ١٢٤٦ م ثم نقل الى الشرق في القرن التاسع عشر وادخله الكاثوليكيون في طقوسهم وابدع حفلة تقام له في مدينة زحلة اذ يطوف اسقفها والكهنة حول المدينة تذكاراً لطواف قديم دفع عنهم شر الطاعون . والشرقيون اي الارثوذكس لايحتفلون به . وهو يقع في الخميس الثاني بعد العنصرة

﴿ عيد التجلي او الرب ﴾ يقع في السادس من آب وتصير فيه حفلة تجلي المسيح على طور طابور . وليلة العيد توقد كل اسرة شموعاً او سرجاً على عدد ابنائها في كل بيت . ويصير فيه تبريك العنب بصلوات خاصة فلذلك يحمل كلٌّ شيئاً من اثمار كرمهِ الى الكنيسة وبعد الصلاة توزَّع على الحضور تبركاً باكلها . ولذلك يقولون : «بعيد الرب يمتلي العنقود حب» و« عيد التجلي يقول للصيف ولّي » . ومن خرافاتهم ان الذي يتمشط بعيد الرب يمتلئ راسهُ حبّاً (بثوراً)

﴿ عيد قطع راس يوحنا المعمدان ﴾ الذي يقع في ٢٩ آب . يضع فيه بعض الناس فوق رؤوس اولادهم ليلاً بطيخاً بعددهم دون تنقية وفي الصباح تكسر رؤوس البطيخ فمن كانت بطيختهُ اجود كان اسعد حظاً ويسمى البطيطيخي

﴿ عيد الصليب ﴾ يوقدون في ليلتهِ نيراناً حتى ترى لبنان شعلة من نار ويتبرك بهِ المسيحيون متذكرين استرجاع هرقل الملك الصليب المقدس من ايدي الفرس . وهو يقع في الرابع عشر من ايلول . ويطاف فيهِ

بالصليب في الكنيسة ويقبّل تبركاً . وكان بعض اللبنانيين في القديم يرسمون على احد اعضائهم رسم الصليب بالدقّ (الوشم) في ليلة العيد . وبين الصليبين الشرقي والغربي يحسب الاثنا عشر يوماً كل يوم لشهر ويكون كل شهر في نوئهِ (طقسهِ) مثل ذلك اليوم ويسمون هذا الحساب « البواحير » والبواحير عند القدماء سبعة ايام من تموز تبتدئ من الثامن عشر منهُ كانوا يستدلون من كل يوم منها على شهر من الخريف والشتاء . ومن اقوالهم في امثالهم العامية : « صلّب واعبر شعنين وادخل » يريدون العبور من الصيف بعد عيد الصليب والدخول فيهِ بعد عيد الشعانين . و « بعد عيد الصليب كل اخضر بيسيب » لان عصر العنب يصير بعد عيد الصليب فيترك الناطور الكروم . و « بعد عيد الصليب الاخراني صيف ثاني » اي بعد عيد الصليب على الحساب الارثوذكسي

﴿ عيد البرباره ﴾ يقع في الرابع من كانون الاول وفي ليلته يطوف الاولاد على البيوت يتناغون بنشيدة هزلية يتقدمهم ولد سوّد وجههُ ولبس الاكسية الهزلية وحمل هراوة كبيرة ووضع لحية يسمّونه « العرَندس » و « اليبْس » و « المسوَّد » فيجمعون من البيوت دقيقاً (طحيناً) ودبساً وزيتاً ودراهم فيقدمون الزيت للكنيسة . ويجتمعون في بيت يطبخون فيه المعكرون بدبس وياكلون ويقصفون . وفي البيوت يسلقون القمح ويوقدون الشموع فيتكهلون بسناجها (شحّارها) وياكلون المعكرون بالدبس واضعين لحمة او قشرة في بعضها فمن اصابها كان اسعد حظاً . ويقولون : « بعيد البرباره بياخذ النهار من الليل نطّة الفاره »

﴿ عيد الميلاد ﴾ يقع في الخامس والعشرين من كانون الاول وهو تذكار ميلاد المسيح يصير فيه القداس ليلاً . وتعمل بعض المآكل ويتهادون به . وبعضهم يعملون شجرة تعلق فيها اكياس النقل كالزبيب ونحوه وتفرق على المهنئين ويعمل ذلك الاساقفة والكهنة . ومن امثالهم فيه : « بين المواليد والقلندس (رأس العام) عند جارك لا تقرفص وان قرفصت لا تبات يصبح الثلج عليك قامات » و « بين الغطاس والميلادي اياك تسافر يا غادي » وهذه الحفلات تشترك فيها جميع الطوائف المسيحية على السواء

واما اعياد غير المسيحيين فتشترك الطوائف الثلاث الاسلامية والشيعية والدرزية بعيدين كبيرين يتهانؤون فيهما ويقصفون ويحتفلون بالملابس والمآكل والهدايا وهما :

﴿ عيد الاضحى ﴾ او الضحيّة ويسميه الدروز (عيد الله اكبر) يعملون فيه كعكاً بدبس وحلويات ولا بُدّ ان ينتخب كلُّ بيت احسن كبش من الغنم ولا سيما الاملح ويضحّي

﴿ عيد الفطر ﴾ وهذا يقع بعد صيام رمضان وقد جرت العادة ان يحشى فيه خاروف يطبخ مساء العيد ليؤكل في غدهِ وتعمل الحلويات

والمشهور عند الطوائف التعطيل عن العمل في الاعياد الكبرى ولكنها عند النصارى اعمّ منها عند غيرهم والنصارى يعتبرون الاحد ولا يشتغلون فيه والباقون يحترمون يوم الجمعة ولكنهم يشتغلون فيه وكذلك الاعياد

المتاجرات والمبايعات

كان لبنان في القديم مشهوراً بتجارة الفينيقيين اقدم التجار وابرعهم بالبيع والشراء فكانت سفنهم تمخر البحر الى اطراف اوربا واقصى الشرق وقوافلهم تذرع الفلوات وتنقل البضائع ذهاباً واياباً في الخافقين . وبقيت التجارة في اعتنائهم احتقاباً طويلة ولا سيما في زمن اليونان والرومان . الى ان كثرت الحروب الاهلية بين عشائره وتفرقت كلمة ابنائه فتعطلت التجارة . وقد أُقيمت فيه اسواق قديمة ولا يزال اسم " سوق الغرب " دليلاً الى عرضهم بضائعهم وحاجاتهم للبيع والاتجار بها وبقيت هذه العادة الى يومنا في تلك القرية اذ تحمل المبيعات اليها وتعرض على المشترين . ومما نذكرهُ من اساليب البيع القديمة حمل البضاعة من بلدة الى اخرى ووضعها في ساحتها وصعود البائع الى السطح ومناداته باعلى صوته تعريفاً لها مثل قولهم مثلاً " القمح يا عاوزين القمح قبل التفرق " فيتهافت عليه المشترون ويساومونه وبعد تقرير الثمن يشتري كلٌ ما يحتاج اليه وكثيراً ما يحمله في حرجه (حجره او طرف ثوبه) او في منديله . وقد يكون البيع متايضة صنف بآخر على التبادل بتعديل قيمة المتبادلين مثل الفيالج (الشرانق) بالحنطة والحبوب بالتفاح وغيره من الفواكه . وا تحديد بالقضامي اي الحمص المشوي والوزن بميزان بسيط وزناته من الحجر تسمى العيار . واغرب من ذلك ان تجار الغنم تقطع غنمها في القرى بالشركة مع المعلقين فيأخذ الانسان خروفين ويعلفهما وفي ايام الذبح (اي القورما) في الخريف يقاصره (يقاسمه) فيأخذ خروفاً ويبقى له الثاني . او انهُ يقبض ثمنه منه فيبقى الاثنان له . واذا اخذ خروفاً رباه بالنصف فاما ان يعطيه ثمن نصفه او نصف لحمه عند ذبحه . وكذا استبدلوا في موسم الحرير او الخمر او الدبس او الزيتون والزيت وهي اهم حاصلاتهم . ويحملون زيتهم وزيتونهم وخمرهم ودبسهم على ظهورهم او على حيوانات طائفين بها القرى لبيعها

ولم تنشأ عندهم الحوانيت والمخازن الا في بعض المدن الساحلية قديماً . وفي غيرها في الايام المتأخرة . وكان إعراض اللبنانيين عن التجارة لمخالطتهم الدروز الذين انصرفوا عنها الى الزراعة وقد يتعاطون الصناعة ولكنهم اميل الى الزراعة

واهم ما عرفناه من قديم تجارة اللبنانيين نقل الاخشاب من غاباته الكثيفة وجلب الغنم والماعز والقطن . وبيع الشرانق والحرير المحلول بايديهم منها . وتبديل الخام الوطني الذي ينسجونه بالقطن في جهات نابلس وحوران

وكانت اثمان حاجاتهم وعقاراتهم بخسة جداً حتى ان ثمن البيت وما يجاورهُ من التوت وهو بستان كبير لا يتجاوز خمسين غرشاً الى مائة غرش منذ اكثر من قرنين . وضمان حمّى كبير لقطع اشجاره واحراقها فحماً تسعة غروش

وفي زمن المعنيين في القرن السابع عشر وما قبله للميلاد كان في ايام الرخص ثمن مد الحنطة ثلاث بارات ونشنبل ثلاثين والغرارة ثلاثة غروش وغرارة الفول غرشاً . وثمانية اكيال الكرسنة غرشاً وقلة

الزيت ثلاث بارات ٠ وفي زمن الغلاء ثمن شنبل الحنطة اربعة غروش واحياناً المد ثلاثة غروش والغرارة ثمانين ومدّ الدقيق خمسة غروش والشعير غرشاً واردب الارز خمسة وعشرين غرشاً وقنطار السمن مائة وخمسين غرشاً ومثله الزيت وحمل ورق التوت عشرة غروش وقلة الزيت ستة غروش ورطل الحرير عشرين غرشاً ٠ وكانت اجرة الفاعل نحو بارة والبنّاء بضع بارات وقيمة الغرش بمثابة خمسين من غروشنا

وراجت التجارة في عهد المعنيين وكثر قدوم التجار البنادقة واليونان الى سورية ولبنان واشتغلوا بالحرير وحاصلات البلاد وكثروا بزمن الزيادنة والجزار وبقيت من سلائلهم بقايا منهم بنو مشاقة الذين يلقبون بتجارتهم في المشاقة وهي الحرير الغليظ الخيوط

ولقد فصل في كتاب دواني القطوف (ص ١٩٣—٢٧٧) كثير من التجارات واصنافها والنقود والاسعار والمعاملات والثروة والموازين فراجعها لأن فيها ما يشفي الغليل

واما معاملاتهم في مبايعاتهم فانهم كانوا يعقدون البيع والشراء بالكلام ويصدّقون فلم يحتاجوا الى السندات والوثائق ثم كتبوها بسيطة كما نراها في ما لدينا من قديمها واليك الآن صورة تحرير وثيقة كتبت سنة ١٨٣٤م بالحرف الواحد : « حد المطرح الغرب طاقة المعصرة والشرق حجر الاصفر والميرة عالجيرة » وهذه صورة تمسّك (سند او كمبيالة) بحرفه كتب في اول القرن التاسع عشر للميلاد : «صح عندنا الى ابن خالنا ٠٠٠ اثني عشر غرش ونصف رسمال وندرنا في وفاها بالموسم القادم علينا شي وربحها الغرش نصف الربع حرر ٠٠٠ محرره على نفسه ٠٠٠٠ »

وبقيت الوثائق (الحجج) بلا تسجيل في المحاكم الى ان صدر امر داود باشا اول المتصرفين في اول حزيران سنة ١٨٦٢ فسجلت ولم يكن يعتبر فيها ما لا يسجل ٠ وسنة ١٨٦٩ في ٢٥ آب صدر الامر بالرهن في المحاكم

اما التاريخ فكان عند الموارنة بحساب الاسكندر الى سنة ١٦٠٦م فاتبعوا الحساب الغريغوري وسنة ١٨٥٨ اتبعهُ الروم الكاثوليك وتركوا تاريخ آدم وكان جميعهم يؤرخون بالهجرة الى مجيء الدولة المصرية

مآكلهم وانواع اطعمتهم ومشاربهم

نشأ اللبناني على حسن التغذية واختيار الملابس وترويض القوى البدنية فكان محافظاً على قانون الاقتصاد الحيويّ ونشأ سليم الجسم صحيح العقل ولما كان كثير الرياضة والحركة احتاج الى الغذاء وحسن هضمه وهو يأكل المآكل الضخمة ويقتصر على الوجبتين او الثلاث ويألف السكوت على المائدة وكثيراً ما كنا نسمع ونحن صغار قولهم : « لا تحكوا على المائدة الملائكة حاضرة بيخنقكم الله » وكذلك كانوا يمنعونا عن الاكثار من شرب الماء القراح على الطعام وخصوصاً اذا كانت اللقمة في الفم ٠ وفي ذلك ما فيهِ من المساعدة على الهضم كما يقول الاطباء ٠ وكانوا يكثرون من التوابل والابازير والاخلاط وتناول كثيراً منها نيئاً او غير ناضج ٠ واكل طعامه على بساط الغبراء او على جلد ونحوه اذا لم ياكله ماشياً ومسافراً ٠ وآنيته قصعة خشبية او خزفية ٠ وكان

الكهنة اذا حضروا طعاما بخّروا الخوان وصلّوا قبل الابتداء بالأكل وبعده. واهم ما كانوا يخزنونهُ في بيوتهم قديمًا القورما (العامة) تركية وهي اللحم المذوّب المقدَّد. والكشك وهو نقيع البرغل اي مسلوق القمح بالماء ثم بالحليب بعد ذلك وتجفيفه وجرشه. والبرغل مجافيٌ ودقيقه للطبخ او الكبّة وما شاكل. واختص اللبنانيّ بأكل الزَّاق او الحلزون كما اختص الدمشقيون بأكل الضفادع والسلاطعين (السراطين) والعامة تسمي الحلزون "المزّينة" ويتغنى لها الاولاد عند جمعها بقولهم «يا مزَيْنة يا مرون. طلعي لي باربع قرون»

واكثر مآكله عربية وفارسية وآرامية كما يظهر من اسمائها وانواعها ومهر بمعالجتها وطبخها واكثر من الإدام حتى كانت لذيذة الطعم فمن مآكلهم "الكبّة" وتسمى المدققة وهي من البرغل واللحم تدق بجرن وتوكل نية او مشوية او مسلوقة. و «المجدرة» وهي من الرز والعدس وقد تكون من البرغل والعدس. وتسميان "مسامير الركب" لتغذيتهما وسميت المجدَّرة بهذا لانها تشبه آثار الجدري بالوجه. و «المخلوطة» من العدس والحمص والبرغل وما شاكل و "الرشته" فارسية بمعنى الخيط وهي من العجين المفتول والعدس. و "اليبرق" او المحشي وهي حشي الكوسى او ورق العريش باللحم المفروم مع الرز تركيتُها يبراق بمعنى ورق الشجر ويخصونها بالمحشي من ورق العريش. و "المنمّة" وهي طبيخ رأس الغنم ونحوه مع الكراعين (القوائم) والكرش المحشي باللحم والرز. والهريسة وهي طبخ العظام مع اللحم بالقمح المدقوق والمقشور. و «الشوربا» وهي الحساء عند العرب من اللحم والرز سائلة

ومن حلوياتهم واشباهها «المهلّبية» ولعلها نسبة الى المهلب ابن ابي صفرة امير الحجاج بن يوسف الثقفي المتوفى سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م). و (البالوزه) من الدقيق والماء والسكّر او العسل وهي التي عرفها العرب باسم الفالوذج واخذوها عن الفرس كما يدل اسمها. «والخشاف» وهو نقيع الزبيب يؤكل بمائه و "السنبوسك" وهي فطائر مقلية من رقاق العجين المحشوة باللحم والجوز معرب سنبوسه. و «القيمر» وهو مغلي اليانسون (الانيسون) والكزبرة محلّى بالسكّر وعليه قلب الجوز او اللوز او الصنوبر. و "المغلي" وهو طبخ دقيق الرز بالسكّر وعليه قلب الجوز او اللوز او الصنوبر وهذان من طعام النفساء. و «الخبيصة» من الارز والدبس والعرب يعملونها من التمر والسمن

اما مشاربهم فالماء القراح مع بعض الخمور اللبنانية الجيدة وكان لهم المام كافٍ بمنافع الاطعمة ومضارها ولذيذها ونافعها فقالوا مثلاً: «كل من المجل الورق ومن اللحم المرق» و «شبر من الملّه ولا ذراع من المرفوق» و "الحامض أليم والمر حكيم والحلو حلبم" و «البلد التي تصلها كل بصلها» ولا تخفى فائدة البصل ولا سيما مع الكبّة النيّة لانه يقتل الدود الذي يتولد من اللحم النيء. و «نزل الفلاح عالمدينة ما استحلى غير الدبس والطحينه». ومن اقوالهم الصحية: «تغدَّى وتمدَّى ولو غفوتين وتعشى وتمشى ولو خطوتين» و «باكر بالغدا ولا تتمامى بالعشا» و «البطنة آفة الفطنة»

ملابسهم وحلاهم ذكوراً واناثاً

ان ملابس اللبنانيين تعتبر زيّين قديمين « اولها زيّ الموارنة الذي قدموا من شمالي سورية اليه وهو اشبه بالزي الاشوري القديم فكانوا يلبسون الشروال وفوقه كساء لا يتجاوز الركبتين طولاً والعمامة ويرسلون لحاهم ويحلقون شعر رؤوسهم وهو اقدم ازيائهم في لبنان . اما زيّ نسائهم فكان الثوب المسترسل الى الارض ليغطي جميع الجسم وهو من قطن ابيض ساذج وقد يكون ازرق او بنفسجياً . وعلى الراس برقع يغطي شعورهن من الامام والوراء فاذا رأينَ رجلاً يجهلنه انحرفن عنه او التثمن بالمنديل تستراً منه . وحلاهنّ اساور عظمية او نحاسية وصارت بعد ذلك فضية او ذهبية في اليد . وفي الرجل خلخال مثلها . ويتعصبن بعصابة رصفت عليها النقود نحاسية او فضية او ذهبية . ثم تبدلت هذه الازياء بتبدل الازمان وكان المتقدمون والمشايخ والاعيان كثيراً ما يلبسون الخوذ الفولاذية الصقيلة والعباآت الحريرية المفوّفة بالقصب

وربما لبس بعض قدمائهم القفطان [1] والجبة والعمامة ثم عرفوا الشراويل [2] (السراويل) فكانوا يلبسونها واسعة وفوقها زنّار عريض فيه خنجر وعلى رؤوسهم الكوافي اي المناديل الصوفية يشدّها على رأسهم العقال وهي عصابة من صوف مبرَم . ثم الطواقي على الراس وهي من مقصور ابيض مطرّز وفوقها غطاء عليه عصابة تحول الى طربوش دلخ [3] ثم الى طربوش مغربي [4] فعزيزي [5] . وصار امراء لبنان يلبسون العباءة وتحتها الدامر المزركش بالقصب وتحته السراويل ثم الطاقات كل ذلك من ازياء الرجال الى ان تبدلت الملابس بما هي عليه اليوم ومعظمها افرنجي دخل بلادنا عن طريق الاستانة [6] . وصار لبس نسائهم القنباز الطويل المشقوق من الامام او على المعطفين الى المنطقة وله ازرار نحاسية صفراء وتحته قميص من الحرير المسلوب الابيض خشن النسج وقد يكون مطرّزاً . وعلى الرأس الشكّة [7] او الطنطور [8]

(١ القفطان تركية وهو ثوب قطني يلبس فوق الدرع واذا كان من القز سمّي « جوقال » (٢ الشروال كردية فارسيتها (سروال) من سرْ « فوق » وبال « قامة » (٣ هو طربوش احمر طويل يبلغ اكثر من نصف ذراع وله شرّابة يشتمل عليه او يعتمّ (٤ طربوش مستدير له شرابة (طرة) زرقاء امر ابراهيم باشا المصري بلبسه سنة ١٨٣٨ فلبسه الامير بشير واسرته وعمّ . واصله سر (رأس) وبوش « غطاء » بالفارسية (٥ هو الذي لبسه السلطان عبد العزيز وعمّ فنسب اليه وهو بشكله الحاضر الآن (٦ كان عبدالله باشا والي عكاء لابساً النظام الافرنجي ملبوس اسلامبول وفوقه كبوت جوخ ازرق طويل وعلى رأسه شال كشمير ملفوف (٧ لعلها تحريف الشبكة وتركيتها سركوج او سكروج وهي كيس حريري للف الذوائب وتغطية الرأس مستعمل حتى الآن (٨ حلية اسطوانية مخروطية الشكل اشبه بالقرن محدد الاعلى احياناً يكون ارتفاعه عند الاميرات نحو ذراع وعند غيرهنّ نحو ثلثي الذراع يلبس فوق الطربوش وهو من فضة او ذهب منقوشاً او ساذجاً يربط تحت الذقن و يطرح عليه الشنبر (الازار او النقاب) يغطيه ويستر جميع البدن شدّد النكير على النساء المتزوجات اللواتي يلبسنهُ فابطلنهُ سنة ١٨٤٨ م

والقفوية[1] والعقائص والمانويّت والخنوبريات والسفا والعقد والخاتم والحلق مما ذكر معظمه في دواني القطوف صفحة ٢٦٣

والغنيات يلبسن بارجلهنَّ الصرامي[2] الحمر المحدَّدة الرأس . والفقيرات المُداس[3] العريض الرأس . الى ان تغير زيهنَّ الى الاشكال الحديثة الافرنجية

والزيّ الثاني وهو اشبه بزي العرب واشباههم ممن قدموا الى جنوبي لبنان فكانوا يلبسون الكوفية والعقال والقميص الطويل او القفطان والعباءة وبعضهم يعتصبون بعمائم سوداء او كحلية حسب اوامر سلاطين عهدهم ثم غيروها بتغير الزمان واختلط الزيان الماروني القديم والعربي فتحوّل الى ازياء اختلفت باختلاف الاعصر وكادت تكون اليوم واحدة لولا محافظة عامة الدروز على البستهم القديمة ما عدا خاصتهم . ولما قدم ابراهيم باشا المصري الى سورية امر النصارى ان يستبدلوا العمائم السوداء بالبيضاء وقبل مزايلته لسورية بسنتين امر بطرحها ولبس الطرابيش بدون عمائم كما مرّ آنفاً . وتحولت الازياء الى القفطان والجبة والشروال والقنباز والفرو والبكدلية والعباءة الزنّارية والمشلح والبرنس وصارت الحلى مرصعة بالحجارة الكريمة على ما هو مشهور اليوم عندنا

وملابس عقّال الدروز هي الاثواب الضيقة الاكمام القصيرتها الموحدة الالوان رجالاً ونساءً وذلك غالب في جهال الرجال . ولكن العقال يلتزمون بتقصير اذيال اثوابهم الى ما يلي الركبتين بيضاء او زرقاء محضاً لا يخالط لونها لون آخر والرجال يلبسون فوقها عباءة ذات خطوط عريضة من البياض والسواد وعلى الرأس عمامة بيضاء مستديرة ولا بد من اطلاق لحيته ولو كان شاباً . وثياب المرأة طويلة وعليها خمار تستر به احدى عينيها ولا تلبس حلى ذهبية او فضية الا بعض الجاهلات

بناء بيوتهم وتأثيثها

كانت بيوت قدماء اللبنانيين المغاور ثم الاكواخ والخيام واشباهها من طين او لبن او حجر واغصان شجر . ثم صارت بيوتاً من حجر خام (دبش) وعملوا لها نواتئ من سقوفها تسمى السفارات وهي سريانية بمعنى الشاطئ ومنها الشوار عند العامة ايضاً وذلك ليردُّوا تحلل الرطوبة للطين او الحجارة . وطينوها من الداخل بالتراب والتبن وطرشوها (بيّضوها) بالحوّارى وزنّروها الى علو نصف ذراع واكثر بالمغرة الحمراء واتخذوا فيها طاقات ورفوفاً لوضع الآنية البسيطة فرشوا ارضها بجلود الحيوانات او الحصر وعملوا بابها من لوح واحد يدور على سيّار (صوص) ويقفل بالسكّرة وهي قطعة خشب عمودية نحو ثلث ذراع وفيها قطعة نحوها تدخل

(١ نسبة الى قفا الرأس تؤلف من خمسين جديلة حريرية مشتبكة يعلق باطرافها نقود ذهبية مرصوفة على قطعة قماش يعصب بها الجبين (٢ الصرماية تكون حمراء او سوداء بلا اذنين كالبحيرية (٣ المُدَاس يكون باللونين ايضاً له ازرار واذنان وواسع

فيها عرضاً مجوفة لدخول المفتاح فيها ومثقوبة الأعلى بعدة ثقوب ادخلت فيها مسامير حديدية من اعلاها تنزل الى اسفلها حيث يوجد بالخشبة المعترضة ثقوب مثل تلك فتدخل فيها وتغلق فاذا ارادوا فتحها ادخلوا مفتاحاً خشبياً له مسامير ناتئة بعدد تلك فترفعها وتفتحها فاذا اخرج المفتاح واطبقت عادت · وقلما كان للبيت شباك او طاقة · ثم اتسعت البيوت واتخذت من الحجر المزبر او المنحوت وفيه الملاط والسياع وصار الحائط مفرّساً (كلمة سريانية بمعنى منبسط وناتئ) ليقاوم الارياح والثلوج او مسقّطاً (سريانية او فارسية بمعنى مقطوع) وهو من صف واحد · واتخذوا فيهِ المخدع وراء الباب وفيهِ طاقات لوضع اشياء وقربه الموقدة ثم القعّادة وهي افريز صغير يتصل بالعامود على محاذاة المخدع · وفي داخل البيت الكوارة وهي وعاء من طين مستطيل لوضع الطحين · والتابوت وهو حائط عالٍ بين عمودين مفرغ الداخل لوضع المؤونة من الحبوب يقطّع من محالّ مختلفة كبيرة وصغيرة وفي اسفل التابوت والكوارة منفذ صغير للتفريغ يسمونهُ الجيّازة · وتجد رفوفاً على الاعمدة المربعة الكبيرة ومدخنة ورفوفاً في الجدران وخزانات كلها من طين لزج متماسك · فيوقدون النار في المداخن ويملأون البيوت سواداً حتى ترى السقف كانهُ مدهون بالقار او الزفت وهو مؤلف من جذوع صلبة اغلظها يسمى الجسر وما كان ادق منهُ الثانية وجمعها ثواني ثم اخشاب فوقها البلاّن وهو نبات شائك وفوق الكل التراب المرصوص والمدلوك بمجدلة اسطوانية وقوس او ناعوس يدخل في طرفيها وتجرّ بهِ ويدلك بها السطح على اثر المطر فيمنع الدلف (الوكف) وتجرف الثلوج عن السطح بخشبة تسمّى زحفاً او برفش خشبية وكثيراً ما يكون في البيت من الملاحظات الضرورية طاقة للبسّة تدخل وتخرج منهُ وقنّ للدجاج · وكان الكاهن يقيم الصلاة على الاساس ويكرّس البناء الجديد بعد انجازهِ عند النصارى

وتبنى البيوت باجتماع السكان او ما يجاورهم لنقل الاشياء الضخمة ويسمّى ذلك العمل « العونة » ويولمون للمساعدين متبادلين المساعدة ويباركون بالبيت الجديد قائلين : « تقعدوا فيهِ بالفرح » · وكثيراً ما يعلّق فوق بابهِ حذاء عتيق لئلاّ يصاب بالعين فينهدم · ويكون في الغالب بيتاً واحداً او اثنين على الكثير ويراعي فيهِ ملاءمتهُ لتربية دود الحرير لأنه المعوّل عليهِ عندهم · ثم ترقّى الى ان صار شبه قصر

ولم يكن في البيت القديم شيءٌ من الاثاث الا الحاجات الضرورية للنوم والاكل والشرب وكثيراً ما يكون عند اعيان القرية واغنيائها جلد حيوان بصوفهِ او بساط او بلاس من شعر او دادية من صوف وطاقم للقهوة من ابريق وفناجين وصينيّة واركيلة (نارجيلة) وشبق · فيستعيرها الناس في دواعي افراحهم او احزانهم مع ثياب العرس ايضاً · ومن غريب ما سمعتهُ من احد الشيوخ ان كبيراً زار قرية مع احد خواصه فكان الجلد يحمل امامهُ من بيت الى بيت ليجلس عليهِ في طوافهِ على السكان · فوجد في احد البيوت جلد آخر فجلس الكبير على الجلد المحمول واراد معتمدهُ ان يجلس على الثاني الفارغ فانتهرهُ وامر برفع الجلد من موضعهِ لئلاّ يجلس عليهِ احد آخر

وفي العصور المتوسطة بنيت قصور الامراء والمشايخ بهندسة جميلة وكذلك الكنائس وبعض بيوت الخاصة ولا سيما في عهد الامراء التنوخيين والمعنيين والعسافيين والشهابيين ولا تزال آثار ابنيتهم ماثلة · ومما

يخبرنا الآن ان الامير محمد العساني لما عاد من الاستانة سنة ١٥٨٤ م احضر معهُ بنائين حاذقين لاتمام قصره الذي بدأ به والده الامير منصور مع الجامع بقربهِ في غزير فاتقنهُ واتمهُ بالرخام والفسيفساء الملونة حتى بلغت نفقتهُ اربعة عشر الف غرش وكان من الفخر ابنية الشام. وكذلك الامير فخر الدين المعني فانه بعودته من توسكانة من اعمال ايطالية ١٦١٧ م استقدم بنائين ومهندسين لقصوره في دير القمر وغيرها واقترح على البطريرك جرجس عميره الاهدني الماروني اللبناني وضع كتاب في هندسة البناء باللغة العربية فوضعهُ في عهدهِ وهو مفقود الآن. وآخر من ولع بالبناء واتقنهُ الامير بشير الشهابي الكبير فانهُ استقدم بنائين من الخارج واتخذ انطون خضرا من الزوق مهندساً ودهقاناً فشيد قصر بيت الدين وقاعة العمود والمقاصف في بيت الدين وكانا آيات في اتقان الصناعة وهكذا قل عن هندسة الجسور والافنية وترصيف الطرق

عاداتهم في صنائعهم المختلفة

كان سكان لبنان القدماء يقطعون الاشجار ويبيعونها حطباً او اخشاباً للسفن وغيرها التي بنوها هم ايضاً بأيديهم واستعمروا الجبل بالحرث والزرع والحصاد واصطادوا الاسماك وذبحوا الحيوانات متخذين لحمها طعاماً وجلودها كساء او فرشاً ثم تدرجوا فاقتنوا المواشي وقاموا على تدبيرها والانتفاع بألبانها وزرعوا الاشجار المثمرة لاكل قطوفها او بيعها واعتنوا بغرس التوت وتربية دود القز على ورقه. وعرفوا حل الحرير ونسج الاقمشة ولا سيما القطن فعملوا الخام البلدي الابيض ثم صبغوه الواناً اخصها الازرق متخذين منها الالبسة ثم اهتدوا الى التطريز بالخيوط الملونة القطنية ثم الحريرية (الجركاش) ثم القصب المزركش . ونسج العباآت والشراشف (المقارم) والطنافس الصوفية (الداديات) والشعرية (البلس) والصوفية الملونة (السجادات) . وتوسعوا في نسج العدل والاخراج ونحوها من الامتعة الضرورية . ثم اهتدوا الى الصناعات المتقنة مثل عمل المدى (السكاكين) في جزين وصناعة القصب المزركش في الزوق ونسج الديما من القطن والحرير في القاطع من المتن . والفخار وسبك الاجراس في بيت شباب . والصناعة والحدادة في زحلة . والقيانة (القردحة) في زحلة والشوير ودوما . والصابون في الشويفات . والسجاد في بعقلين . واستخراج الحور والقطران والدباغه والبيطره والسكافة في كثير من القرى . واستخراج الاسفنج بين جبيل وطرابلس الشام حيث الفخر مغاوصه . وتقطير الملح على الشواطئ

ولكن من غريب ما في طباع ارباب بعض الصنائع تكتمهم بها واحتكارهم لها حتى انهم يضنون بها على اقرب الناس منهم فقد يحفظونها في اولادهم ولا ينقلونها الى اخوتهم وقد تتزوج المرأة من اهل صناعة مشهورة رجلاً يجهلها فيتهددها بالهجر ولا سيما عند النصارى فتفضل هجره على افشاء سر صناعة اهلها ولذلك ماتت بعض الصناعات اوكادت . فضلاً عما يتهددها من الاهمال

ومن افضل صناعات اللبنانيين تربية دود القز ولقد اعتنوا بها اعتناء مذكوراً وافلحوا . وكانوا يحلون الشرانق (الفيالج) على الدولاب العربي بايديهم ولاسيما في كسروان اخصها عين طورة الزوق . فكان كل من



صورة دولاب القصب

يقطف شرانقهُ يخنقها بالشمس ويحلها بيدهِ او باستئجار من هو بارع بذلك. وكانت اوقية البزر البلدي تعمل ستة ارطال من الحرير المحلول واحياناً تعطي اثني عشر رطلاً واوقية البزر نحو اثني عشر درهماً وكان رطل الحرير المحلول حلاً عربياً يباع من ١٨٠ — ٢٠٠ غرش والاصفر اغلى من الابيض

وكان من صنائعهم التبزير اي تنقيف (تفقيس) بزر الحرير وتحسين انواعه وهو المسمَّى عندهم البلدي القديم كان لونهُ اصفر مائلاً الى الحمرة اي برتقالي والاوقية منهُ تكون من ٤٠—٥٠ شرنقة وافضله الشوفي المربَّى في عين كسور بقي نحو مائتي سنة في بلادنا وانقرض بعد سنة ١٨٦ قبل اكتشاف طريقة الفحص المجهري

وكان من انواع البزور الهندي والصيني والقبرصي والقُرين وكلها انقرضت وجاء بعدها الكريتي والكرسكي فحفظت هذه بالفحص المجهري والتوليد الصحيح بخلاف تلك

واول معمل لحرير في لبنان اسس سنة ١٨٤١ في بتاتر (الشوف) لبروسپير برطاليس والثاني في عين حماده لمورك دلك وشركائهِ سنة ١٨٤٧ م فأدخل بهما حل الحرير على الطريقة الافرنجية وشاعت بين السكان وكثرت المعامل حتى بلغ عددها نحو ١٧٥ معملاً وعدد دواليبها نحو ١١٫٢٨٤ دولاباً وبلغت حاصلات الحرير اللبناني مؤخراً في العام نحو ثلاثة ملايين اقة ونيف

ونحو سنة ١٨٦٥ م انشأ فرنكو باشا متصرف لبنان اول معمل للسجاد في بعقلين وبقيت هذه الصناعة فيها

وسنة ١٨٨٨ م اسس اول معمل للورق في انطلياس للخواجات باحوط وثابت اشتغل فيه نحو مائة فاعل يومياً وعطل بعد بضع سنوات لقلة الاقبال عليهِ

وكان قبل ذلك اول مطحنة افرنجية على نهر بجوَّارة انشأها تشرشل بك الانكليزي نزيلها

واشتهرت في كفر عقاب من المتن معامل البارود وكان ملحها يجمع من مزارب المعزى وكانت ثلاثة معامل كل معمل ثلاثة اجران فاحرقها عمر باشا النمسوي سنة ١٨٤٢ ومن صناعات اللبنانيين سبك الحديد واشتهرت به دوما والشوير وزحلة وكان يعطي من ٥٠—٦٠ بالمائة ويحرق نحو ٣٠ رطل حطب لسبك نصف رطل حديد ويصبّ الكور يومياً من ١٨—٢٧ رطلاً منهُ النعال والمسامير وبعض الادوات واشتهر بجودتهِ ولكن كلفته الكثيرة ومزاحمة الحديد السويدي له اماتتهُ

واستخراج الفحم الحجري ولا سيما من سنة ١٨٣٥ — ١٨٣٨ م على زمن الدولة المصرية فسخّرت السكان لاستخراجه وكان الناتج يومياً من مناجم قرنايل نحو مائة قنطار تنقل الى بيروت على بعد سبع ساعات باجرة خمسة غروش لكل قنطار

ثم عرف فحص دود القز على طريقة پستور واول من ادخلهُ الى لبنان الياس الشقماطي من عين طورة الزوق نحو سنة ١٨٧٩ ثم عم استعماله وانشئت له المعامل الكثيرة كما ذُكر في كتاب دواني القطوف

ومن صناعاتهم الادبية الطبّ والتدريس والصحافة والصيدلة وخدمة الحكومة والمحاماة حتى ان

معظم النابغين في هذه الصناعات منهم في الوطن والغربة وفيهم ميل الى الاستخدام مطلقاً مع قولهم في محادثاتهم « تاجر بقرش تسمّى في البلد تاجر وبألف قرش عند الناس لا تاجر »

عاداتهم في فنونهم الزراعية وتربية مواشيهم

عرف اللبنانيون الزراعة منذ القديم واتقنوها ولكنهم لم يخرجوا فيها عن خطتهم القديمة فلو طبّقوا العلم الحديث على مهارتهم بها لأفادوا واستفادوا . ولا يزال محراثهم (صمدهم) على بساطته وزراعتهم قاصرة على التسميد والسقي بحسب ما تناقلوه عمن سلف من قدمائهم وهم يتمسكون ببعض الخرافات الباطلة

ولهم خبرة بزراعة التوت والزيتون والكرم والصنوبر وبعض الفواكه والحبوب ومواقيت زرعها وتطعيمها (أبرها) وبمواقع الغيث واوان الحصاد وجنى الثمار واحراق الحطب فحماً (عمل المشحرة) . وزرع الدخان (التبغ) وتحضيره

ومما كان شائعاً عندهم ان كهنة النصارى يتلون صلاة على غرس الكرم وقطافه وعنبه في عيد الرب ودفع الهوام المؤذية الشجر وبيادر الحنطة تبركاً وطلباً للخصب

ومن عاداتهم اذا انقطع المطر عنهم ان يستنجدوا بالياس ثياب لعود وحمله طائفين به على البيوت ومنشدين « يا امّ الغيض غيضينا » اي يا امّ الغيث غيثينا . ويجمعون زيتاً لاسراج المعابد استمطاراً . وفي بعض القرى يحملون ايقونة القديس الياس النبي لانهُ بصلاته حجب المطر واستمطر

ومن الخرافات الزراعية ان غرس الشجرة وقطعها وزرع الحبوب لا يخصب الا اذا كان بنقصة القمر لا بزيادته ويعرف عندهم بحساب الفراغ والملآن فيعدون الخمسة الاولى من الشهر القمري ويحسبونها ملآنة ثم الخمسة التي بعدها فارغة . ثم اربعة ملآنة واربعة فارغة وثلاثة ملآنة وثلاثة فارغة واثنين ملآنين واثنين فارغين وواحداً ملآناً وواحداً فارغاً . فالملآن يصلح للزرع او القطع واما الفارغ فلا . ويعتمدون على هذه الطريقة

واذا لم تعقد الشجرة ثمراً عمدوا الى خرقة من ثياب امرأة وَلود واذا كانت مذكاراً فأفضل وعلقوها بها استثماراً لها . ويتطيرون من السنة الكبيسة التي يكون فيها شباط ٢٩ يوماً اذ تكون فاتكة بالمعاشير ومواليدها اخصها المعزى

ومما يتمسكون به قطف الزيتون بضربه بهراوة كبيرة وفي ذلك ضرر يمنع حمله في السنة التالية والى الآن لايزالون يجرون على خطتهم ولو حرموا موسم سنة بعد كل قطاف

ومن اغرب كل ذلك انهم عندما يشيحون القز لتنسج فيالجها (شرانقها) يمتنعون عن طبخ السوائل لئلا تكون الشرانق رخوة . والرجال تمنع عن حلق ذقنها لئلا يقع الدود ولا ينسج . ويمتنعون عن تحميص البن وغيره . ومما يدل على خبرتهم بالقز قولهم عن صوماتها وفطراتها : ليلة الخمسة كبّري الكمشة . وليلة الستة الكمشي وحطي . وليلة السبعة ما لها شبعة . وليلة الثمانية عجوز ثانية . وليلة التسعه راح صاحبي يسعى (اي في

بيع الشرانق) وليلة العشرة اكاتها فشرة (قليلة) · وعشّر ودشّر · وعند ما تطلع على الشيح يقولون : شيّح واقبر مرتك وتنيّح

وقولهم في اختباراتهم بامثالهم الدارجة : شحالة التين بالتشارين · وبعيد الاربعين شاهد جاهد عا كرمك جاهد · وشّلي من اذار وشيلي من نيسان (لقز الساحل) وفي عيد البشارة (٢٥ اذار) بزركم يا بزّاره · وعيد البشاره ان كان فيهِ غيم دور الكاره ما بيطلع القز ولا شكاره · ونصبة كانون الثاني بسنة بتصير ثاني · ونصبة كانون الاول خير من نصبة عام الاول · ونوار شرنقة ومشمشة وشك تتن · وعشرة في نوار قزه وسنبله وزرّ خيار · وان اقبلت نيسان (ويقال اذار) وراها وان امحلت نيسان وراها · وكل رعدة باذار رية بنيسان (او بايار) · واذار حبّل ونيسان سبّل · وشباط تلجهُ وشتاه خير من شمسه وهواه · وجدي خبّرني عن جدّ وأب · كل الشهور بتشتي الا شهر آب · وحزيرطيلع ابنك عالغمير (الحصاد) · والكرم اللي بينفلح باذار يّا بار · وكل شيءٌ بالامل الا الرزق بالعمل · والرزق اللي ما هو ببلدك لا لك ولا لولدك · يا ويل الرزق اللي ما بيواليهِ صاحبه · وقفة شلوش ولا قفة قروش · وسنة الملاّح للفلاّح · والثلج ملح الارض · ولا تحسب سنتك تاتستغلّها · وشيل اختي عني وخذ غلتها مني · والدلّيل غلّيل · واللي ما درّا بآب شحم قلبه ذاب · وسنين للبقر وسنين للمطر · وان جار عليك الزمان جور على الارض

اما تربية المواشي فلهم فيها عناية خاصة ولا سيما المعزى والبقر والخيول والبراذين (الكدش) والبغال والحمير والجمال · ويربّون الدجاج وبعض الطيور الاهلية كالحمام · ويدبّرون النحل · ويقتنون الكلاب والهررة لحراسة بيوتهم · ويعتنون بتربيتها وتنميتها وتحسين اجناسها مراقبين لحركاتها ومستدلين منها على الغرائز والانواء · ولا سيما الرعاة فان لهم معرفة واسعة بمواقع الغيث وحدوث الانواء وتحضير الالبان والجبن والزبدة والسمنة والقريشة وتربية الجداء · وتعليف الاغنام لتقديد لحومها (قورما) وتسمن الاغنام فيهِ سمنًا غريبًا اذ يلقمونها بايديهم بضعة اشهر حتى يبلغ وزن الخروف احيانًا خمسة وثلاثين رطلاً في الصرود (الجرود)

ويعرفون مواعيد تنمية كل صنف منها فلذلك يقولون جدي شباط وجحش اذار ومهر نيسان وعجل نوار وبسين الحصرمه كل عمره متعلس (اي ضعيف)

ومن استدلالاتهم بمراقبة الحيوانات قولهم : العراق (الكركي) قربتهُ بظهره · اي يأتي بعده المطر · وتفلية الدجاج وطيران الغراب ونقيق الضفادع دليل المطر · ومجيءُ العصفور التليجي وامّ رطيز (ام سكعكع) دليل الثلج وكذلك دنوّ ابي الحنّ من البيوت · وعواء الواوية (بنات آوى) دليل الصحو · وصرير الصرّار (الزيز) دليل اشتداد الحرّ · وظهور سنّ المنجل (وهو عصفور التليجي) بنغمة جديدة دليل الربيع

وقد يستدلّون منها على غير المطر : كغسل الهرة لوجهها فانهم يزعمون انهُ دليل قدوم ضيف · ونباح الكلب بصوت مقلوب يؤْذن بمصاب · ونعيق البومة اشارة الى موت مدنف · وطيران غراب واحد نحس والغرابين سعد · وصياح الدجاجة كالديك انذار بخطر · ودخول الفراشة المسماة (بشّورة) الى بيت يخبر بشيءٍ فان كانت بيضاء بشّرت بالخير والا بالسوء

ومن غريب عاداتهم انهم اذا فقدوا حيوانًا ذهبوا حالاً الى احد الرعاة وقدموا له عويسية (مدية) فيفتحها ويربط فم الذيب بكلمات يتلوها عليها ثم يطبقها ويعطيهم اياها محرضاً انهُ اذا فتحت افترس الذيب الضائع والا فانهُ ينهشها باظافيره ولكن لا يستطيع فتح فمهِ ونهشها بانيابهِ فيبيتون مطمئنين الى اليوم الثاني ليبحثوا عنها

ومن امثالهم في الحيوانات وخصائصها وشؤونها قولهم : اذا حالت بقرتك سنة لا تذبحها واذا امحلت ارضك سنة لا تبوّرها · ومن يحضر بقرتهُ تجيب توم · واذا صعّبت الارض در لها هروشها · واذا بيّك خلّفك فقير عليك بقراريط الخيل وزرع الشعير · وما لك طرش يقوم الا بعد مستقرضات الروم · ولا لنا بقر ولا منغدي على سحر · واللي ما له عيله يقني له خيله · واللي بيعمل جمّال بيوسّع باب الدار · وتوقّ مقدم الكلب ومؤخر البغل · والعنزة الجربانة بتشرب من راس النبع · وفرخ البط عوام · والديك الفصيح من داخل البيضه بيصيح · وكلب فالت ولا سبع مربوط · وكل ديك على مزبلته صيّاح · واشتر بقر لا تقتني وان صح لك لا تبيع · ومن قلة الخيل شدّوا على الكلاب سروج · ومثل ما بتعمل المعزى بالعفص العفص بيعمل بجلدها · وربي كلبك يعقر جنبك · وفي آذار طلع بقراتك على الدار (في الساحل)

شؤونهم مع روسائهم الدينيين والدنيويين

تراوح اللبنانيون بين زعمائهم الدينيين والمدنيين فكانوا تارة ينقادون الى الفريقين معًا او يخرجون عليها او يوالون الواحد ويناوئون الآخر بحسب ما يعرض لهم من الشؤون وما يتنازعهم من الاغراض فكانت التعصّبات تتلاعب بهم تلاعب الهواء بالريشة

واللبنانيون من جميع الطوائف ينقادون الى روسائهم الدينيين انقياداً شديداً ويحترمونهم ولا سيما الموارنة والدروز فانهم يشاورونهم بكل ما يشاؤون اجراءهُ ويطلبون بركاتهم ويستأذنونهم ويقبّلون ايديهم عند كل مقابلة ويجلسون بين ايديهم بكل خضوع · ولا يجوز لاحد من هؤلاء الروساء ومن تحت ايديهم من الكهنة والشيوخ ان يتعاطوا الصناعات والتجارات والاعمال العامة التي يتعاطاها العلمانيون مما يحط من منزلتهم الدينية · ولهم دور خاصة يقيمون فيها ويطوفون على الرعية متفقدين شؤونها وهم الذين يقضون بين الشعب في دعاويهم الدينية والمدنية وما زال زمام القضاء بيدهم الى اواسط النصف الثاني من القرن التاسع عشر

ومن علامات الدروز المعنوية الامتناع عن تناول المسكرات والتبغ بانواعهِ والاكل من مال الاوقاف والاكليروس والحكام والامراء فلا ياكلون من طعامهم ولا من خدمهم ولا من طعام عرفوا انهُ حُمل على دابة مُشتراةٍ بمالهم ويستحلّون اموال التجار وكانوا قديمًا يسألون عن سبب تحصيله ثم تركوا هذه العادة فاذا حصل بايديهم مال اعتقدوا حرمتهُ استبدلوه بمال التجار ويتنزهون عن الكلمات البذيئة ويبتعدون عن الاسراف والملاهي واخذ الربى فلذلك مالوا الى الزراعة واعرضوا عن التجارة وتبعهم قومهم · ولهم رموز في كتبهم ورسائلهم لا يفهمها من لم يكن منهم ولهم اربع وخمسون فريضة اوجبوا على ابناء ملتهم التمسك بها

واحترامها ولا سيما السجل الذي كتبهُ الشيخ حمزه بن علي بن احمد العجمي الملقب بالهادي وعلقهُ على باب الجامع في مصر وذلك بعد وفاة الحاكم في اوائل القرن الخامس للهجرة . واول من جلبهُ من مصر الى خلوات سورية ولبنان الشيخ ابو علي مرعي حمادة الشويزاني جدّ آل حمادة في بعقلين لانهُ رأى تفشي تناول المسكرات في قومهِ واقتراف بعض المنكرات فاراد تأديبهم بهِ . ومن خالف الواجبات او ارتكب جريمة كالقتل ونحوه عاد جاهلاً . واذا تزوجت ابنة عاقل بجاهل صارت جاهلة الا اذا استطاعت ان تنظم زوجها في سلك العقلاء بارشاداتها . والجاهلة اذا تزوجت عاقلاً فان اقتفت خطتهُ صارت عاقلة مثله . ويترشح الجهال للتعقل نحو سنتين باستجلاب رضى الموحدين . ويجتمعون كل جمعة ليلاً في الخلوة اسبوعياً . وقد يجتمعون في احد بيوتهم . وفي لبنان شيخان للعقل احدهما يزبكي والثاني جنبلاطي للحزبين المشهورين فيهِ ولا فرق بينهما بالملابس والتكاليف واجراء الواجبات . والعقال طبقتان احداها خاصة وهي التي عرفت واجباتها كل المعرفة ووقفت على اسرار الدين . والثانية التي عرفت بعضهُ فقط . ومنهم من تبتل طول عمره ولم يأ كل لحماً محاباة الحياة وصام كل يوم

ولهم عادات خاصة توارثوها في معاملاتهم التي تخالف الشريعة احيانًا فهي عُرف عندهم ولذلك اقيم لهم قضاة مذهب او قاضٍ واحد يتداول مع شيخ العقل بفضّ دعاويهم . ومن معلاتهم الخاصة ان يوصي الميت بجميع ماله لاحد اولادهِ ويحرم الباقين من ميراثهِ اذا كان ماله من كسب يدهِ ولكن اذا كان مما ورثه عن اسلافه فلا يسوغ لهُ ذلك . ومنها ان المرأة لا ترث شيئًا من دار ابيها . ولا يرثون منها لقطع العلاقات بين الاسر بالتركات . ويجوز لشيخ الخلوة او المجلس ان يقضي ببعض الدعاوي بعد استئذان قاضي المذهب وشيخ العقل . وكثيراً ما يطرد شيخ الخلوة من ثبت عليهِ ارتكاب ذنب فلا يدخلها مدة تأديبًا له . وهو الذي يعقد الخطبة والزواج ويقوم بالواجبات للميت ويجوز له ولغيره الطلاق عند ثبوت جرم موجب والتزوج الى اربع نساء او اكثر بشرط ان لا يجمع بين اثنتين كما مرَّ في باب الخطبة

اما شؤُونهم مع رؤَسائهم المدنيين اي حكامهم وزعمائهم فان حاكم البلاد ينتخبهُ الامراء والمقدمون والمشايخ ويقدمونهُ الى والي المعاملة الاعلى فيثبتهُ او يرفضهُ . وعلى الاول يخلع عليهِ وعلى الثاني يعيده لينتخبوا غيره اذا كان له اعتراض مشروع . وكان طالب الحكم في لبنان يقدم للجزار ستة من جياد الخيل بعُددها الفضية وخمسين الف غرش خدمة ليوجه اليهِ الخلع والتقليد (الشرطنامه) . وكثيراً ما ينال الحكم من فضلت هديتهُ على غيره . وكان لبنان يدفع الى خزينة الولاية قبل الدولة المصرية الفين وثلاث مائة كيس كل سنة فصار يدفع بعهدها اربعة آلاف كيس

والحاكم هو الذي ينتخب الاقطاعيين بحسب ما يراهُ مناسباً ويوزع الضرائب والاعانات والاموال المفروضة على الاعناق والعقارات ويجند الجنود ويجبي الاموال ويتصرف كما يشاء بزيادة الضرائب والوزائع او تخفيفها . واذا وقع خلاف بين رئيسي مقاطعتين وجب على رجل كل فئة ان تتجند على نفقة نفسها

ولبنان هو اشد البلدان حرصًا على حفظ حقوق العشائر التي هي اعظم قدراً واشدّ بأسًا واوسع تسلطًا ممن يجاورهُ من جبل عامل ووادي التيم وبعلبك وعكار وصافيتا وما يليها

وجرت عادة الامراء الشهابيين ان ينفذوا في الجميع امرهم ونهيهم بدون معارضة فلا يكبر كبير عن خدمتهم ولا يتجاسر احد ان يردّ في وجوههم ولا يستطيع احد مقاومتهم وهكذا الحال في من كان من حزبهم وينتمي اليهم وله كلمة نافذة عندهم . واذا اراد احد من المناصب مقاومة الحاكم الشهابي احتالوا لذلك بان يستصحبوا احد انسبائه ولو كان صبياً لتكون المقاومة باسمه . وهم الذين اطلقوا الامارة على المعنيين والمشيخة على غيرهم في موقعة عين دارة وما بعدها فنشأ بارادتهم المشايخ وعرفوا بألقابهم ونالوا اقطاعاتهم وتوازعوها . ولهم اليد الطولى في تعزيز لبنان وامانة التحزّب الوطني الذي كاد يهلكهُ وقرّبوا اليهم العلماء والشعراء والكتاب فأنشأوا امارة كانت اشبه بامارة الامراء المعنيين صولةً وعزّاً

ولقد مرّ في صدر هذه المقاولة اصطلاحاتهم في مقابلاتهم ومكاتباتهم وشؤونهم فراجعها

شؤونهم مع شيوخهم واصحابهم ومواطنيهم

لقد عرفت المقاطعات بحكام توارثوا ادارتها منذ القديم فوجد المشايخ بنو حيمور في البقاع وبنو الخازن وحبيش والدحداح في كسروان وبنو حمادة الشيعيين في بلاد جبيل وبنو الظاهر في الزاوية

ولكن توزيع الاقاليم عليهم كان هكذا : الاقاليم يتولى امرها المشايخ الجنبلاطية وكسروان بنو الخازن والكورة بنو العازار والزاوية بنو الظاهر . والمتن الامراء اللمعيون . والبقية يقيم الحاكم عليها من يشاء لخدمته الا البقاع وجبل الريحان فانه يتولى ادارتها بنفسه . والسكان مختلطون من جميع الطوائف ولكنهم يتميزون بالسمية

والسمية او العهدة في عرفهم هي الانتماء الى امير او مقدم او شيخ من اصحاب الاقطاع او من ذوي الكلمة النافذة فترى المنتمي يتفانى في ارضاء صاحب العهدة وذاك يحرص عليه فيحفظه ممن يعتدي عليه ويفرض عليه مالاً . ويؤازرهُ بغايته ويخلع عليه في الدواعي الخاصة كما مرّ بك . واذا غضب على احد لمخالفته فلا يستطيع التخلص منه الا بأن يلتجئ الى زعيم آخر يتجاسر على مقاومة ذاك . فهكذا نشأ اللبناني نزوعاً الى موطنه حريصاً على ارضاء زعيمه محترماً لحقوق جاره

فاذا استنفر الامير الشيخ واستنفر هذا اهل عهدته ومحالفيه تراهم اطوع من بنانه ولقد عُرفوا في مواقعهم الكثيرة ببسالتهم واتحادهم وشهد لهم كبار الحكام كعبد الله باشا والي عكاء وابرهيم باشا المصري وغيرهما . واذا انتقضوا على الحاكم او الشيخ تراهم كما كانوا معروفين بحلو الصداقة انقلبوا الى مرّ العداوة

وكان من عادة الاقطاعيين ان يسخروهم في الاشياء العمومية التي يسترضون بها الحاكم العام او الامير الخاص او انفسهم وآخر ما عرفناهُ من ذلك تسخير جميع سكان لبنان لبناء قصر بيت الدين وجرّ قناة نهر الصفا اليه فبقوا اثنين وعشرين شهراً يشتغلون . وكذلك كان الحال في استخراج الفحم الحجري من مناجم قرنايل وغيرها واستخراج الحديد واشباه هذه الاعمال

وهم موالون لاصحابهم ومواطنيهم محافظون على المودة والمبدإ حتى انهم يقولون : « صاحبك اللي بدّك

تماسيه وتغاديه كيف بدّك تعاديه » و« جارك القريب خير من خيّك البعيد » و« صاحبك ان كان عسل لا تلعقه كلّه » و « من اخبر بدارك ربّك وجارك » و « ما تجاورنا تاتشاورنا » و« صباح الخير يا جاري انت بدارك وانا بداري »· و« ونحن تعرفه ولا جيّد نتعرّف عليه »

وطالما سمعنا من آبائنا ومَن تقدمهم ان الاصحاب والجيران يحافظون بعضهم على بعض في ايام الوقائع التي تحدث بين طوائفهم المختلفة او احزابهم ولا يغدر احدهم بالآخر بل يحمي عرضه ودمه و يحافظ عليه محافظتهُ على نفسه مما يدل على طيب الاعراق وكرم الأرومة ولا سيما عند الدروز المعروفين بآداب الصداقة وشهامة النفس

واذا تآخى اثنان او اكثر ولو من طوائف متباينة توارث اولادهم تلك المودة فيبقون على عهود اسلافهم مهما حدث بينهم من الضغائن الجديدة وهي عادة غريبة فاشية في لبنان الجنوبي خاصة·وكثيراً ما يقول الواحد منهم للآخر اخي او ابن عمي مع تباين النّسب



العناصر اللبنانية ومذاهبها الدينية

ليس بين البلاد قطرٌ امتزجت فيهِ عناصر الامم كسوريّة وذلك لموقع هذا الصقع في وسط الاقطار التي قامت فيها الدول العظمى الفاتحة كدولة الكلدان والاشوريين والفرس شرقًا ودولة الحثيين واليونان والرومان والترك شمالاً ودولة المصريين والعرب جنوبًا

فكل هذه الدول اذ رأت سوريّة في طريقها لمَّا حاول ملوكها توسيع نطاق املاكهم او ساروا لمحاربة اعدائهم لم ترَ بدًّا من بسط سلطتها على القطر الشامي خوفًا من ان يكون عثرةً في سبيلها ورجاء ان تستمدّ من مرافقهِ اسباب ثروتها · فصار تحت حوزة تلك الامم التي اخذت على عاتقها تدبيرهُ بولاتها وعمّالها فكان ذلك اكبر داعٍ لامتزاج العناصر في حدودهِ · ولم يخرج لبنان جبلهُ وساحلهُ عن هذا الحكم كما سترى

ولأنَّ تلك الامم الفاتحة لسوريّة ولبنان كانت ممتازةً بمذاهبها واديانها نتج ايضًا من ذلك انَّ المذاهب في سوريّة ولبنان تعدَّدت فاصبحت فيهما اوفر منها في سواها من البلاد فأخذ كلاهما شيئًا من اساطير ومزاعم كلّ نحلةٍ منها

وليست غايتنا هنا ان نشمل في بحثنا هذا سائر انحاء سوريّة بل نحصر كلامنا في فينيقية ولبنان فنستقري تلك الشعوب على حسب تاريخ ورودها الى سواحل البحر المتوسط مباشرةً بالشعوب التي حلَّت فيها بعد الطوفان · اما قبل هذا العهد فليس لدينا في شأنه معلومات تفيدنا عمَّن عاش فيهِ من الامم ولا عن اجناسهم او مذاهبهم

الكنعانيون

انَّ بني كنعان بن حام بن نوح اوَّل من سكن بعد الطوفان سواحل البحر المتوسط ونواحي لبنان · كانت قبائل الحاميين نقطن اوَّلاً في جهات العراق قريبًا من بحر العجم وارض بابل مع انسبائهم من بني سام ويافث ثمَّ تناسل البشر هناك وتزاحموا فانقسم بنو حام الى قسمين قسم منهم سار الى الجنوب كبني مصرائيم وبني كوش فاستوطنوا جزيرة العرب ثمَّ قطعوا بحر القلزم فانتشروا في شمالي افريقية في مصر والحبشة والبلاد المجاورة · والقسم الآخر وهم بنو كنعان قصدوا جهات الغرب حتى بلغوا سواحل البحر المتوسط فاحتلُّوها من ارواد الى حدود فلسطين · ولنا في ذلك اقدم شاهد ورد في سفر التكوين لموسى النبيّ حيث قال في الفصل العاشر: « ولد كنعان صيدون بكرهُ وحثًّا واليبوسيين والاموريين والجرجاشيين والحوّيين والعرقيين والسينيين والارواديين والصماريين والحماتيين وبعد ذلك تفرَّقت عشائر الكنعانيين وكانت تخوم الكنعانيين من صيدون وانت آتٍ نحو جرار الى غزَّة · وانت آتٍ نحو سدوم وعمورة وأدمَة وصبوئيم الى لاشع »



رستم باشا

فيظهر من هذه الآيات جليًّا انَّ بني كنعان سكنوا فينيقية باجمعها ليس جنوبها فقط كبني صيدون واليبوسيين والحوّيين بل شمالها ايضًا لذكرهِ العرقيين والارواديين نسبةً الى عرقة وارواد الواقعتين في شمالي فينيقية . امَّا لبنان فانَّ تلك القبائل لم تستحبّ السكنى فيهِ اللهمَّ الا في مواقعهِ السفلى القريبة من البحر دون مشارفهِ التي كانت حين ذاك غابات كثيفة تمرح في وسطها الاسود والنمورة وغيرها من ضواري الحيوان فلم يقوَ البشر على مزاحمتها فيها الا بعد مدَّةٍ طويلة بعد الطور الحديدي الذي مكَّن الانسان من اصطياد السباع الكاسرة بالاسلحة الحديديَّة


جندي كنعاني

وكانت لغة بني كنعان لغةً ساميَّة متفرّعة من لغة قدماء الكلدانيين قريبةً من اللغة العبرانيَّة وهي المعروفة باللغة الفينيقيَّة . قد وجد منها العلماء في هذه الاحقاب الاخيرة كتابات حجريَّة شتى سعوا بنشرها وشرحها

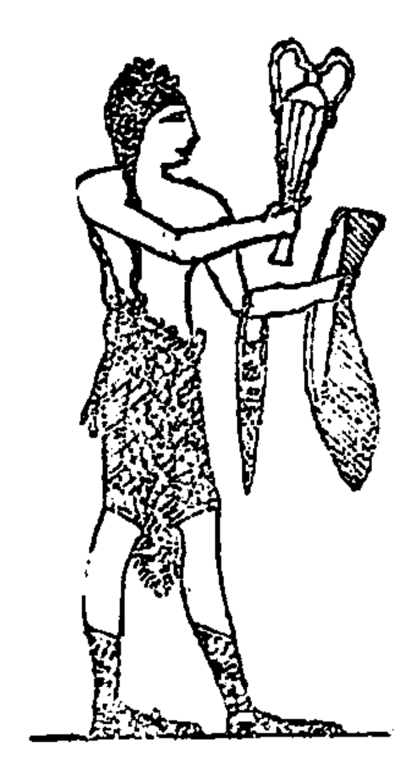
وبقي العنصر الكنعانيّ متغلّبًا على فينيقية وحدود فلسطين مع ما جرى هناك من التقلُّبات السياسية وقدوم طبقات جديدة من الشعوب اليها . بل نرى آثار الكنعانيين باقيةً الى زمن السيّد المسيح . وقد روى الانجيل الطاهر خبر إبراء المسيح لابنة امرأة كنعانيَّة في تخوم صور وصيداء . وفيه دليل الى ثبوت العنصر الكنعاني الى ذلك الوقت

☀ ديانة الكنعانيين ☀ لا يزال دين الكنعانيين في فينيقية ولبنان محجوبًا نوعًا عن نظر العلماء الى عهدنا بيدَ أنَّ الاكتشافات الحديثة في الاحقاب الاخيرة اماطت شيئًا من ذلك الستر الكثيف فامكنهم ان يستشفُّوا من ورائهِ اخص معتقداتهم الدينيَّة

كان التوحيد اصل الدين الفينيقي فعرفوا باديَ بدءٍ الاله الحقيقيّ كما دلَّهم اليهِ الوحي السابق مع عقلهم الصائب . وقد دعوا الاله الاعظم معبودهم باسماء حُسنى وجدوها في كتاباتهم القديمة تشير الى حسن معتقدهم فدعوهُ باسم البَعْل ومعناهُ الرب والسيّد وهو الاسم الشائع عندهم . وسمَّوهُ باسم أدون ومعناهُ السيد ايضًا . كما انهم لقَّبوهُ بملوك او ملوخ اي الملك او ببعل شمائيم اي ربّ السماء كما ورد في كتابة امّ العواميد الشهيرة . ولا جناح كما ترى في اطلاق هذه الاسماء على الاله الاعظم عزَّ وجلّ . لولا انَّ الفينيقيين بعد حين كدَّروا ذلك المعين الصافي وجسَّموا تلك الروح الالهيَّة المنزَّهة عن كدورة المادَّة واعاروها خواص الاجسام الحيَّة ثمَّ صوَّروها بتصاوير خياليَّة كما تمثَّلتها اوهامهم

ثمَّ تعدَّدت بعد ذلك قبائل الكنعانيين وامتدَّت في انحاء سوريَّة وفلسطين فشيَّدوا لهم المدن العامرة ومصَّروا الامصار واستقلَّت مدينة عن اخرى بالحكم فصارت كلّ مدينة تختصُّ البعل بخدمتها وتنسبهُ الى مقامها وتفرزهُ عن سواها فكان الصوريُّون يعبدون بعل صور ويدعونهُ ايضًا مَلْكَرْت اي ملك البلدة . وكان اله الصيدونيين بعل صيدون وإله البيروتيين بعل بريت . وقس عليهِ بقيَّة المدن

ثمَّ نسبوا البعول الى غير المدن فنسبوا بعضها الى النار فدعوا بعل حمُّون و بعضها الى القصف كبعل مَرْقد الذي كان يكرم في هيكل دير القلعة والى النَّخْلة كبعل تمر · وانتقلوا بذلك الى عبادة الطبيعة فألَّهوا قوَّاتها ومظاهرها ومواليدها المختلفة لا سيما التي كانوا يجدون فيها شيئاً من الغرابة كالحجارة البركانيَّة والنيازك · بل اتخذوا الجبال كمعبوداتهم فعبدوا بعل لبنان و بعل حرمون ووجه الاله (رأس الشقعة) وبسمَّى ايضاً وجه الحجر يرون في كل هذه الجبال صورة للعظمة الالهيَّة فيؤدُّون لها الاكرام الواجب لعزَّته تعالى فقط (اطلب صورة انصابهم عدد ٩)


جندي فينيقي

ثمَّ أدَّى بهم التهوُّس الديني الى ان جعلوا لهؤلاء الآلهة زوجات كنَّ ثنيانهم اخصّهن عشترت التي عمَّت عبادتها سواحل فينيقية ومعاطف لبنان وكانوا يدعونها بالبعلة فيجعلونها زوجة البعل وقد نسبوها ايضاً كالبعل الى بعض المدن · وقد اشتهرت خصوصاً بعلة جَبَل اي جُبَيْل فاقام لها الجبيليُّون هيكلاً عظيماً في مدينتهم كان اهل فينيقية يحجُّون اليهِ وقد رسموا صورتهُ على نقودهم كما تراها في رسومنا مع صورة الإلهة عشترت المزدان رأسها بالهلال (الصورة عدد ٣)·ومما يدلُّ على قدم عبادة عشترت في لبنان انَّ اسمها ورد في مكاتبات تل العمارنة التي يرقى تاريخها الى القرن الخامس عشر قبل المسيح وكذلك صرَّحت كتب العهد العتيق باسمها واسم البعل وعبادتهما في الشام وفلسطين

وقد بكَّت الله شعبهُ اسرائيل مراراً وضربهم الضربات الشديدة لسجودهم لهما كما ورد في سفر القضاة وسفر الملوك الاوَّل

ومما ثبت اليوم بابحاث المستشرقين وحفريَّات ارباب العاديَّات انَّ الفينيقيين باسفارهم البحرية ورحلهم الى البلاد السحيقة واحتلالهم مستعمرات عديدة في آسية واوربة وافريقية نشروا عبادتهم للبعل ولعشترت حيثما حلُّوا وكانوا يبيعون لاهل البلاد تماثيل آلهتهم التي وُجد منها عدد وافر في انحاء مختلفة

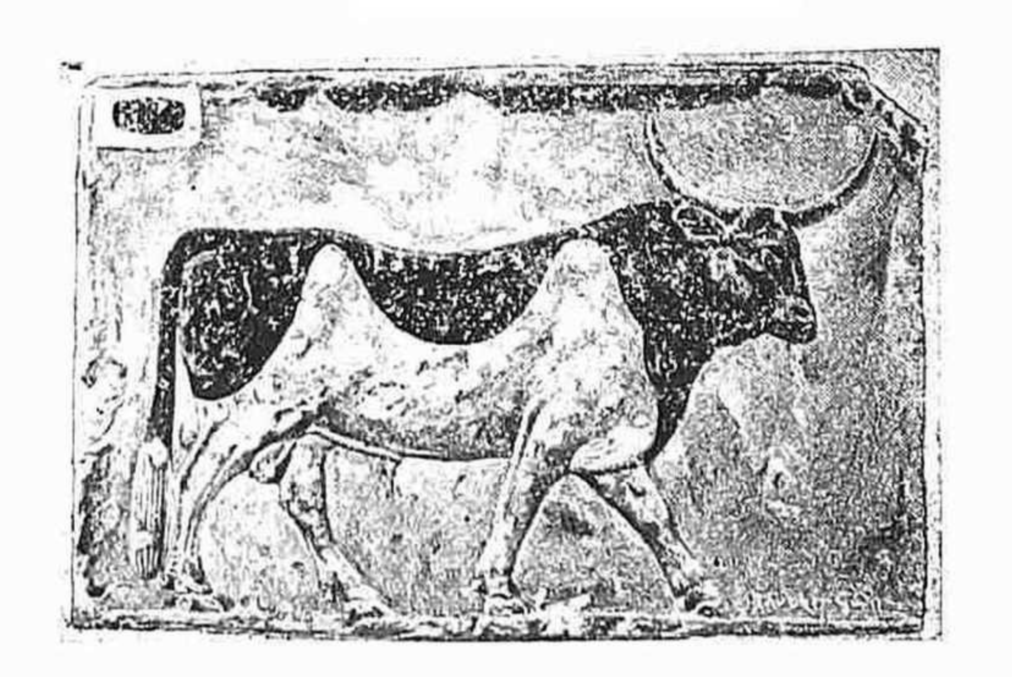
وان سألت ماذا يُعرَف من مناسك الفينيقيين وعاداتهم الدينيَّة أجبنا ان دينهم الباطل والخرافات التي تشبَّثوا بها حملتهم الى اقامة مواسم شتى عمدوا فيها الى رتب غريبة جمعوا فيها بين الفظاظة الهمجيَّة وضروب الفجور زاعمين والعياذ بالله انهم يتقرَّبون بذلك الى آلهتهم ويردُّون عنهم غضبها

ومن اعمالهم الهمجيَّة الدالَّة على شراسة اخلاقهم وسوء تعبدهم انَّ كهنة البعل وعشترت كانوا في بعض فصول السنة يتزيَّون بازياء النساء متخنثين ويطلون وجوههم بالمغرة ويكشفون عن سواعدهم ويسيرون في الشوارع زرافاتٍ شاهرين السيوف والفؤوس · وكان بعضهم يدقّ آلات الطرب وبعضهم ينفخ بالابواق والزمَّارات ثمَّ يصيحون ويولولون ويحرّكون اجسامهم حركاتٍ غريبة فيرقصون مرَّة ويقفزون اخرى وحيناً يحنون صدورهم الى الحضيض وتارة يتمرَّغون في التراب حتى يصيبهم نوع من الجنون فيعمدون الى المدى



٣







٤

والشفرات والحراب والسيوف فيخدشون وجوههم ويشرّحون لحمانهم ويغرسون الحراب في بطونهم فتسيل دماؤهم وتصطبغ بها ابدانهم وهم يرون بذلك التقرُّبَ من آلهتهم واستلطافهم · ولنا في قدم هذه المواقف الفظيعة نصٌّ ثابت في سفر الملوك الثالث (ف ١٨) في خبر المحرقة التي عرض ايليّا النبي اصعادها دون نار دلالة على صحة دينهِ وسوء دين كَهَنة البعل الذين اجتمعوا بعدد ٤٥٠ وجعلوا على المذبح ثوراً يريدون تقريبهُ · قال الكتاب : « ودعوا باسم البعل من الغداة الى الظهر وهم يقولون : ايها البَعْل أَجبنا · · · وكانوا يصرخون بصوت عظيم ويرقصون حول المذبح وتخدَّشوا على حسب رسمهم بالسيوف والحراب حتى سالت دماؤهم عليهم» ثمَّ يذكر الكاتب فشلهم ونجاح ايليّا في محرقتهِ وقتلَهُ للانبياء الكَذَبة

وكان لاهل جُبيل موسمٌ يقيمونه في بدء الربيع لإلهم ادونيس المعروف ايضاً بتمُّوز وكان لهذا العيد شهرةٌ عظيمة يتقاطر اليهِ الزوَّار من كلّ اوب · فاذا حان يومهُ رأيت القوم في هياط ومياط استفزَّتهم الحميَّة الدينيَّة فيجتمعون ليحتفلوا بموت إلههم فكان يتقدَّم الموكب جماهير من الفتية والفتيات وهم يولولون ويعولون كأنهم فقدوا اعزَّ الاحباب · تليهم عذارى يحملنَ على رؤوسهنَّ اطباقاً ومقاطف فيها اجناس الزهور والاثمار وضروب الطيوب والعطور التي تزان بها جثث الموتى · ثمَّ تسير خلفهنَّ نساء لابسات الحداد عليهنَّ السرابيل الضافية الذيل لا نطاق لهنَّ يظهرنَ من الالم اشدَّهُ وهنَّ سادلات شعورهنَّ يقرعن صدورهنَّ ويخدشنَ وجوههنَّ ويعولنَ على ايقاع الجنك · وكان يُحمَل في اثرهنَّ تمثال الاله تمُّوز تحملهُ الكهنة على المناكب فيُرى صريعاً على نعشهِ والدم يقطر من جنبهِ كما تصوَّروهُ يوم قتلَهُ وحشٌ ضارٍ في مشارف لبنان وكان الحضور اذا رأوهُ على هذه الصورة علا ضجيجهم واجهشوا بالبكاء والعويل ثمَّ يسيرون بجَلَبة عظيمة الى نهر ادونيس (نهر ابراهيم الحالي) وهم يزعمون انَّ احمرار مياههِ في ذلك الفصل من اصطباغهِ بدم الاله فيغمسون التمثال في النهر ظنّاً منهم انَّهُ يحيا بمسيس مياههِ ثمَّ يعودون الى المدينة وقد تحوَّلت اتراحهم الى افراح يتهللون بالاناشيد المطربة اشارةً الى قيامة ادونيس من الموت فيقفزون فرحاً ويرقصون الرقص الخلاعيّ ويستسلمون للملاهي الرجسة

وامَّا خلاعتهم فكانوا يسترونها تحت حجاب الدين فيعدُّون اعمال العهارة والفجور كأفعال تقويَّة ترضى بها الآلهة · ولم يستنكف كهنتهم عن المجاهرة بالارجاس بل جعلوا هياكلهم كماخورات يعرضون فيها نساء يدعونهنَّ قدسات لضروب السيئات ! !

واقبح من ذلك قرابين بشرية كانوا يضحُّونها لتلك الطواغيت من اسرى حرب وعذارى ولا سيما الاطفال كانوا يجعلونهم على ذراعي الصنم الممدودتين ثمَّ يوقدون تحتهُ ناراً فيحترقون بينما كان الكهنة يضجُّون ويصخبون ويدقُّون الطبول والصنوج لئلا تُسمع اصوات وعويل الضحايا

وقد اصبحت هذه الديانة الباطلة عثرةً في سبيل شعب الله بني اسرائيل وقد تكرَّر في اسفار التوراة سيرهم على سُنَنها الفاحشة فسجدوا لآلهتها وضحَّوا اولادهم لاكرامها كما ورد في المزامير (١٠٥ : ٣٥ — ٣٩) حيث قال عن بني اسرائيل : « اختلطوا بالأمم وتعلَّموا اعمالهم وعبدوا اصنامهم فكان لهم ذلك وهقاً وذبحوا

بنيهم وبناتهم للشياطين وسفكوا الدم الزكي دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لاصنام كنعان فتدنست الارض بالدماء ». وذكر النبي حزقيال (٨ : ١٤) اجتماع نسائهم ليبكين على تموز فونَّبهم الله على كل هذه الارجاس بلسان انبيائهِ الكرام وعاقبهم العقوبات الاليمة حتى انابوا اليهِ وارعووا تائبين

وبقيت الديانة الفينيقية الى ايام تملُّك اليونان والرومان على لبنان وسواحل الشام ودان بها كثيرون منهم بعد ان مثَّلوها على صورة موافقة لمذاهبهم فاعتبروا البعل كزفس او جوبتير وانزلوا عشترت بمنزلة ڤينوس وهلمَّ جرًّا

وقد تحقق العلماء المحدثون في ابحاثهم عن آثار الدين الفينيقي انَّ الفينيقيين جمعوا بين آلهة مختلفين فعبدوا في كلّ مدينةٍ مجموعاً خاصاً . فعبد اهل صور البعل وملكرت وعشترت واكرم اهل صيدون البعل واشمون وعشترت . وكان البيروتيُّون يدينون في هيكل دير القلعة لبعل مرقد ولعشترت ولعطارد . وهذا المجموع هو المجموع البعلبكيّ المعبود تحت اسماء جوبتير وجونون ومركور . كما ظهر من عدَّة كتابات شرحها الآبوان سبستيان رنزڤال ولويس جلابرت في مجلَّة المشرق (١٠ سنة ١٩٠٧ ص ١٥٨ — ١٦٢)

وكان تحت حكم هذه المثلَّثات الاصليَّة آلهة اخرى ثانويَّة كالالهِ سمان والالهِ بيس منها ذكور ومنها اناث . وعدد ما يُعرف منها يزداد سنة بعد سنة بمساعي الاثريين واكتشاف الكتابات القديمة

وقد اتَّسعنا في وصف الدين الفينيقي لعظم شأنهِ في لبنان وسواحل بحر الشام وطول ثباتهِ فيها مدَّة الوف من السنين حتى غلبهُ آخراً الدين النصرانيّ في القرن الخامس للمسيح

٢ الاراميون ودينهم في لبنان

ينتسب الاراميُّون الى ارام بن سام بن نوح واخوتهُ عيلام واشور وارفكشاد ولود وكلهم آباء أمم عظيمة وكان ارام اصغر اخوتهِ . سكن هو ونسله اولاً في العراق بجوار اخوتهِ ثمَّ كانت عليهم بركة ابيهم نوح فنموا وكثروا ثم انتقل ارام وبنوهُ الى جهة الغرب فاستوطنوا بلاد الجزيرة فعُرفت بهم وعُرفوا بها فقيل ارام نهرين ثم توفَّر عددهم فبلغوا حدود الشام حتى زاحموا الكنعانيين وغلبوهم على قسم كبير من مواطنهم فملكوا على حمص وحماة ودمشق وحلب ومنبج وربَّما نُسبوا اليها فقيل ارام دمشق وارام صبا وهلمَّ جرًّا . ومن بني ارام النبطيُّون الذين لعبوا في الشام وحدود العرب دوراً مهمَّاً

امَّا الانحاء التي بقيت في حوزة الكنعانيين فان بني ارام دخلوها وامتزجوا باهلها امتزاج الماء بالراح . وهكذا فعلوا في شمالي لبنان وفي مدنهِ الساحليَّة وان لم تكن لهم فيها اليد العليا

ولم تخلُ فينيقية ولبنان من آثار الاراميين عند سكناهم في ربوعهما ولو لم يبقَ من ذلك سوى اعلام مئات من قرى لبنان لكفى بهِ دليلاً على انتشار العنصر الاراميّ . فان معظم هذه الاسماء ليست كنعانية بل اراميَّة محضة باقية الى يومنا على لفظها القديم المفتوح آخرها كرشميَّا (رأس الماء) وميروبا (الماء الغزير) ودلبتا (الدلب) وبسكنتا (بيت المساكن) وبيت مري (بيت السادة) وبكفيَّا (البيت الصخري) وعيناتا

(الينابيع) وزرعاتا (المزارع) وعينطورا (عين الجبل) وبقعاتا (السهول) وبرمّانا (بيت الرمان)

لا بل ثبت اليوم بانتقاد العلماء ان اللغة الاراميّة غلبت بعد حين اللغة الكنعانية فاصبحت هي الشائعة في انحاء سوريّة جمعاء الى ان درست لغة بني كنعان ودخلت في خبر كان • وقد انتبه لذلك كبار المؤرخين في عهدنا لا سيما ائمتهم كالمؤرخ الالماني الشهير مُمْسِن حيث قال : اني ارى ان اللغة الارامية سادت على كل لغة سواها في لبنان على عهد الدولة الرومانية • وذهب العلامة المستشرق نُلْدِكِه الى انها اصبحت اللغة الوطنية وبقيت في سيادتها الى زمن العرب وفتوحهم للشام فاخذت العربية بعد مدةٍ تزاحمها حتى حصرتها في الكنائس والطقوس الدينية

☆ الديانة الارامية ☆ كانت ديانة بني ارام اقرب الى دين الاشور بين منها الى دين الكنعانيين لما كان بينهم وبين البابليين من وحدة الاصل فاخذوا عنهم كثيراً من مزاعمهم الدينية • فكانوا كالاشوريين والبابليين يعبدون بيل الاله العظيم • ونبيو اله الفكر • وأنُو اله السماء وابو الآلهة كانوا يصوّرونهُ على شبه انسان في نصفهِ الاعلى وعلى شبه سمكة في النصف الاسفل • ونرجَل الاله الاسد • وعبدوا الإلهة عَتَر (وهي إستار الكلدانية وعشتروت الكنعانية) • والإلهة شِيما معبودة اهل حماة • والمرجح ان اسم القرية كفرشيما في لبنان منسوب اليها

ومما عبدهُ الاراميون على مثال الاشوريين النيّرات السموية والكواكب • فعبدوا الاله شَمَس اي الشمس وكانوا يعدونها ذكراً • وكان الاراميون يدعون الشمس باسم آخر وهو هَدَد ربما ورد ذكرهُ في كتاباتهم • وفي الاسفار القديمة عدة ملوك من الاراميين كانوا يُدعون باسم هذا الاله • وكانوا يرمزون اليه بدائرة ذات اشعة • ومن معبوداتهم الاله سين وهو القمر وكانوا اقاموا له هيكلاً عظيماً في حرّان • وكذلك عبد الاراميون الكواكب لاسيما السيارات السبع فرداً واجمالاً

وقد ألَّه الاراميون كسواهم من الشعوب قوّات الطبيعة فادّوا لها العبادة • فعبدوا الإله رِمّان وهو إله الرياح ورِشِف اله النار • ومن اخص معبوداتهم أترعَطِي (Atargatis) المدعوّة بالإلهة السوريّة (Dea Syra) مركّب من أتَر وهي عشترت اضافوا اليها اسم الإله عَطي (Attis , Attei) كقرينها وكانوا يسمّونها ايضاً دِرْكيتو يجعلون قسمها الاسفل كسمكة وكان عبادها يمتنعون عن اكل السمك اكراماً لها • وكانوا بقرب هيا كلها يغذون لاكرامها سمكاً في احواضٍ يشيدونها لهذه الغاية

وقد عبد الاراميّون ثلاثة من الآلهة كالكنعانيين والفينيقيين اعني هَدَد وسِميوس قرين الإلهة شيما ثمّ اترعطي زوجة الاله هدد • وفي الكتابات الرومانيّة قد ابدلوها باسماء جو پيتر (المشتري) وڤانوس (الزُّهَرة) ومركور (عطارد)

هذا ما يُعرف عن ديانة الاراميين والمجهول منها كثير تكشف المآثر الدفينة كل يوم منهُ شيئاً • وقد ورد في كتابات تدمر وسنجرلي اسماء عدّة آلهة ارامية كأيل وركيل وعجلبول ويرحيبول وغير ذلك • وفي كتابات النبطيين آلهة أُخرى كقيس وذي شرى وظَلَم • والعلماء لا يزالون يبحثون عن خواصها ومميزاتها

٣ الحثيون وديانتهم

الحثيون ينتسبون الى حثّ بن كنعان بن حام بن نوح كما ورد في سفر التكوين (١٠ : ١٥)هاجروا في الالف الثالث ق م الى شمالي سورية ونواحي فلسطين . وقد ذكرهم موسى في قصّة ابراهيم الخليل الذي ابتاع منهم مغارة حبرون التي فيها قُبر هو وابنهُ اسحاق وحفيدهُ يعقوب وازواجهم . ثمّ نما جيل الحثيين وصاروا دولة عظيمة امتدّت من شمالي لبنان الى الفرات كما صرّح بذلك سفر يشوع بن نون (١ : ٤) في وصف تخوم ارض الميعاد

وقد انقسم الحثيون في الالف الثاني قبل المسيح الى قسمين بسط قسم منهم سيطرتهُ على قيليقيا وبرّ الاناضول حيث وجدت لهم آثار عديدة . وبقي القسم الآخر في جهات حمص وكانت حاضرتهم هناك مدينة قَدَس وآثارها تُعرف اليوم بتلّ بني مند . ومن حواضرهم مدينة كركميش الحصينة قريباً من مخاضة الفرات واخربتها بجوار جرابلس وقد اخذ الالمان والانكليز قبل بضع سنين يستخرجون عاديّاتها العجيبة بالحفريات (اطلب صورة حثيّ في العدد ٧)

ولمّا قويت شوكة ملوك مصر وطمع الفراعنة بفتح بلاد الشام زحفوا بجيوشهم الى سورية الشماليّة وساروا الى بلاد الحثيين فناوشوهم القتال غير مرّة في عهد تحوتمس الثالث وامانوفيس الاوّل ورعمسيس الثاني ولا سيما رعمسيس الثالث الذي بعد غزوه بلاد الحثيين في جهات الاناضول رضي بمحالفة ملكهم خطاسار سنة ١٣٢٧ ق . م . وقد وُجدت حديثاً صورة العهد المضروب بينهما باللغة المصريّة واحرف الهيروغليفي ثمّ باللغة الاشوريّة والقلم المسماري تاريخهُ سنة ١٣٢٧ قبل المسيح ومنهُ يلوح ما كانت عليهِ الدولة الحثيّة من عظم الشأن والسطوة والبأس

ولنا على قوّة الحثيين وفتوحاتهم شهود عيانيّون في امراء سواحل الشام الذين يكرّرون في مراسلات تلّ العمارنة في عهد امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع شكواهم من غزوات الحثيين لنواحيهم

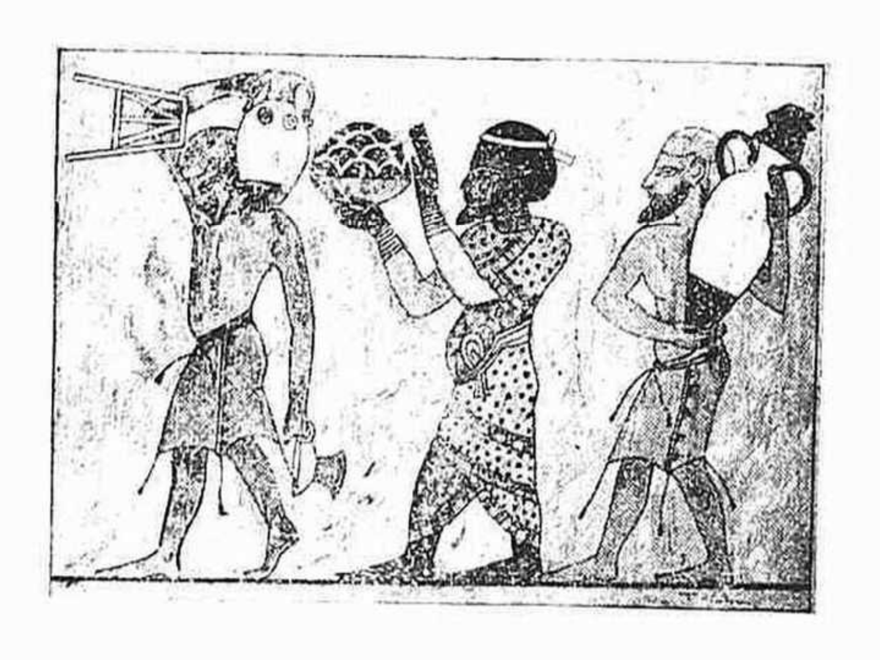
ثمّ قامت بعد ذلك دولة الاشور بين محارب ملكهم تغلت فلآسر ملوك الحثيين واضطرّهم الى دفع الجزية في اوائل القرن الثاني عشر قبل المسيح . ثمّ عاد اولئك الملوك في القرن التاسع والثامن لمحاربتهم فكان الانتصار عليهم حليفاً لملوك اشّورنزيربابال وسلمناصر وسرجون ففتحوا مدينتهم قرقميش وشتّتوا شملهم واضمحلّ ملكهم بموت آخر ملوكهم بيزيريس سنة ٧١٧ ق م

ومما لا ريب فيهِ ان الدولة الحثيّة في زمن عزها قد حكت على قسم من لبنان الشمالي المجاور لحمص حيث كانت عاصمتهم الكبرى قَدَس . وفي مراسلات تلّ العمارنة في القرن الخامس عشر قبل المسيح انهم كانوا يشنّون الغارات على سواحل فينيقية . فانّ ريب ادّي امير جبيل يشكو مراراً من غزواتهم لسواحل لبنان

على ان آثار الحثيين في لبنان لا تزال مجهولة لقدم عهدهم . وانما الامل معقود باكتشافها اذا ما تمكن العلماء من فك رموز كتابتهم التي لم يستطع المستشرقون الاطلاع على اسرارها الغامضة . وكانت المجلات









العلمية قبل اعلان الحرب تبشرنا بوشك حل الغازها ومعمياتها ولا نعلم أتوفّق الأثريّون الى ذلك ام لا

ومما ذهب اليهِ بعضهم حدساً انَّ بين اسماء قرى لبنان اعلاماً حثّيّة يستدلّ منها على نفوذ الحثيين في لبنان · والله اعلم

❋ ديانة الحثيين ❋ لا يعرف منها الا النزر الزهيد · ولعلها تختلف عن ديانة الامم المجاورة لهم في الصورة اكثر منها في الحقيقة · فانَّ الآثار البابلية والآثار المصرية تذكر من جملة آلهة الحثيين الهاً يدعونهُ تيشوبو وهو عندهم كالبعل الكنعاني وهدد الارامي · وقد وجدوا صورتهُ في عاديات بابل تراهُ لابساً زيّ الحثيين وفي يدهِ الفأس والصاعقة كالاله هَدَد

ومما ذُكر للحثيين من المعبودات في عهد رعمسيس الثالث مع ملك الحثيين الشمس وهي معدودة هناك كذكرٍ يدعونها باله السماء واله الارض · وورد هناك ايضاً بين آلهتهم الاله سوتخ والمظنون انهُ الاله سيت المصري

وقد استعاروا ايضاً من جيرانهم الكنعانيين عبادة عشترت الإلهة الكنعانية وآلهة غيرها يعدُّون بعضها كسادة الارض او سادة الجبال او رؤوس المظاهر الطبيعية · وخلاصة القول انَّ الحثيين عشقوا جمال الطبيعة فاتخذوا محاسنها كآلهة فادَّوا لها من الاكرام ما لا يحقّ الا للخالق عزّ وجلّ

٤ الكلدان والاشوريون في لبنان وديانتهم

تملَّك الكلدان ثم الاشوريُّون دهراً على فينيقية ولبنان قبل الدولة المصريّة وبعدها · ثبت ذلك من آثارهم المرويَّة في الكتابات المسمارية المكتشفة في القرن الماضي والمدونة في بعض انحاء لبنان كما سبق في باب الآثار القديمة

الكلدان وهم البابليُّون من اقدم شعوب المعمور ثمَّ تبعهم الاشوريُّون وكلهم من عنصر ساميّ استولوا على حوضَي دجلة والفرات بعد ان دحروا الكوشيين الذين سبقوهم في ملكها في عهد نمرود · وقد عُرفت هذه الامم بالشدَّة والبأس والعظمة والفتوحات الواسعة والتمدُّن الراقي والفنون الجميلة والاكتشافات الفلكيّة العجيبة (اطلب صورة ملك اشوري ع ٦)

❋ ديانتهم ❋ اقدم ما ورد في آثار الكلدان عن ديانتهم انهم عبدوا اوَّلاً ثلثة آلهة اعني بهم : اولاً أنو إله السماء وابا الآلهة · ثانياً أنليل اله الارض الذي عُرف بعد ذلك باسم بيل وشاعت عبادتهُ في مدينة نيفور · وثالثاً الاله إيا او إنكي اله البحر وسيّد البشر ومخترع الفنون ومنشئ التمدُّن · وقرنوا بهذه الآلهة ثلث زوجات وهنَّ « انتو لأنو » و « نيليل لأنليل » و « دنكي او دمكينا لإنكي »

ثم تحوَّلت بعد ذلك ديانتهم الى ديانة فلكية فعبدوا الاله سين وهو القمر ثم الاله شمش وهو الشمس زعموا انهُ مولود الاله سين ثمَّ عشتار · وكانوا يعتبرون الاله سين كاعظم الآلهة كملك آلهة السماء والارض وكانت هياكله مشهورة في مدينتي اور وحرَّان · وكانوا يعدُّون الاله شمش كاله العدل والنواميس · كانت

عبادتهُ شائعة في صغَر شمالي بابل وفي لارسة جنوبيَّها · اما عشتار فكانوا يدعونها ملكة السماء ويزعمون انها الزُهرة كوكب الصبح وينسبون اليها مبدأ الحياة والنشوء وكان الاشوريون يكرمونها كإلهة الحرب فجمعت بين الهمجيَّة الدمويَّة وضروب الخلاعات · وقد كان اهل ارك اقاموا لها هيكلاً فخماً تجري فيه الرتب الدينيَّة الفاحشة · ولذلك تدعى مدينة ارك في الآثار الاشوريَّة بمدينة المومسات والعواهر

ولما تولى الملك حمُّوربي بابل اصبحت هذه المدينة مركز الدين لسائر مملكة البابليين فاتخذت لها معبوداً الاله مردوك واعتبره كهنتها كاله الكون وهو على زعمهم ابن الاله ايا · كانت زوجتهُ الالهة صرفنيت خالقا الاله نابو اله الحكمة والعلوم ومعبود مدينة برُسِپا · وعبدوا ايضاً الاله نينيب اله الحرب والصيد والفلاحة والاله نرجل اله الاوبئة والموت · والاله هَدَد او رمَّان اله الزوابع والانواء والاله دموزي او تموز اله الربيع والنسل سبقت عبادته في بابل قبل شيوعها في فينيقية

والاشوريُّون الذين خلفوا البابليين اخذوا عنهم كل خرافاتهم الدينيَّة الا انهم رفعوا إلههم اشُّور الى رتبة عظام الآلهة يجلُّونه ويكرمونه في كل فتوحاتهم · وكانوا يدعون ان هذا الاله لا ابَ لهُ ولا ابنًا ولا قرينة · واسمهُ يدخل في اسماء كثير من ملوك الاشوريين كأشُّور بنيبال واشُّور نزار واشُّور حدُّون

وكان الكلدان والاشوريون بارعين في علم الهيئة وقد نشر الابوان اليسوعيَّان الالمانيَّان ستراسماير وابيننغ ارصادهم الفلكيَّة فبهت العلماء بضبطها ودقَّتها · على ان علم الفلك دفعهم الى التنجيم وضروب السحر المبني على حركات النجوم · وقد ذكر حزقيال النبي (٢١ : ٢٤) بعض طرائقهم من العرافة كإجالة السهام واستشارة الترافيم والنظر في اكباد الحيوانات وقد تفنَّنوا في كل ذلك حتى اصبح اسم الكلدان مرادفًا للسَّحَرة

ومن عباداتهم تقدمة الجواهر والاطعمة لآلهتهم وكانوا يرمزون الى بعض هذه الآلهة بحيوانات يكرمونها مثل الحيَّة وغيرها وكانوا يضحُّون الضحايا لآلهتهم من طيور واسماك وذوات الاربع كالبقر والخراف والغزلان · وكانوا يعتقدون حياةً اخرى بعد الموت حيث يثاب الصالحون ويخلَّد الطالحون بالعذاب · اما البعث وقيامة الاجساد فلم يجدوا لها ذكراً في الآثار المسمارية حتى اليوم

وقد ثبت بعد اكتشاف شرائع حمُّوربي انَّ البابليين امتازوا بين الشعوب القديمة بحكمتهم ودقَّة نظرهم في حسن الآداب · على انهم لم يبلغوا في ذلك مبلغ الاسرائيليين

٥ المصريون في لبنان ودياناتهم

ينتسب المصريون الى مصرائيم بن كنعان بن حام ساروا من العراق مهد بني نوح الى جنوبي جزيرة العرب ثمَّ قطعوا بحر القلزم واستوطنوا في افريقية من الصعيد الى البحر المتوسط الانحاء المدعوَّة باسمهم مصراً

وقد اثبتت الآثار الهيروغليفيَّة المكتشفة في مصر انَّ ملوكهم الفراعنة لما بلغوا ذروة عزّهم تجاوزوا حدود بلادهم وساروا الى برّ الشام واستولوا دهراً طويلاً على مدنها الساحليَّة · وذلك منذ القرن السادس عشر قبل المسيح الى القرن العاشر · وقد جاءت رسالات تلّ العمارنة المكتوبة في القرن الخامس عشر قبل

المسيح فاثبتت تلك الحقيقة باصدق برهان · وكان كَتَبَة تلك الرسالات امراء فينيقيين يحكمون على مدن لبنان الساحلية كعُمّال للملوك مصر فهم يُفيدون سادتهم بهذه الرسالات عمّا يحدث في جهاتهم من الحوادث ليكونوا على بصيرة من امرهم ويأخذوا حذرهم من الاعداء الواقفين لأملاكهم بالمرصاد · ومن اعدائهم المذكورين هناك الحثيون الذين مرّ الكلام عنهم

ومما استفاد ملوك مصر من لبنان في زمن حكمهم على اهلهِ تجهيز سفنهم واساطيلهم كانوا يتقدّمون بتعميرها في سواحل لبنان لحذق اهلهِ في هذه الصناعة واقرب الغابات والخشب منهم كما انهم استخدموا الفينيقيين لتدبير تلك المراكب ولحروبهم البحرية · (اطلب الصورة العدد ٨ وهي تمثل رجالاً من الفينيقيين يأتون فرعون بالجزية)

اما اللبنانيّون والفينيقيّون فانهم اصابوا ايضاً مسحةً من التمدن المصري وقد سبق لنا في تاريخ الآثار القديمة ما وجدوا في حفريات سواحل الشام من النواويس المنحوتة على شكل النواويس المصرية في صيداء وبيروت وجبيل · وكذلك وجدت في صور وصيداء وعمريت تماثيل ودُمى ومصاغات وحليّ مصرية عليها صور وكتابات مصرية

❊ الديانة المصرية ❊ كان المصريون الاقدمون عريقين في الدين كما يظهر من كل آثارهم لا سيما هياكلهم الفخيمة ومدافنهم يقصدون بها العبادة للآلهة واعتقادهم بخلود نفوسهم بعد الموت · وهذا ما دفعهم الى اقامة الاهرام والمباني العظيمة التي صبرت حتى يومنا على كوارث الزمان وتحتار لنظرها أَلباب المعتبرين · وقد تركوا لنا آثاراً ناطقة عن ديانتهم طالما احتجبت عن العلماء الى ان توفّق الى حلّ اسرارها الفرنسويّ شمپوليون ألا وهي الكتابات الهيروغليفيّة المعروفة عند العرب بالقلم المجهول المرقومة على الابنية القديمة او على البابير اي البُرْدي فان تحوي معظمها مدارهُ على دين المصريين تروي اساطير آلهتهم او تسابيحهم وصلواتهم الدينية او تفصّل تعاليمهم عن حياة الآخرة

وممّا تقرّر لدى المدققين من العلماء انّ قدماء اهل النيل عرفوا إلهاً اعظم خالق جميع الكائنات فوصفوا كمالاتهِ العديدة واشاروا اليها برموز شتى استعاروها من عالم الكون · ولانّ الشمس في اعين البشر هي اعظم واشرف هذه الكائنات اتخذوها كصورة ذلك الاله الاعظم ونسبوا اليها تدبير العالم فكأنها بسيرها في الفلك تمثّل ملكاً يجري في مركبتهِ ليعاين رعيّتهُ فينيرها ويحييها ويغذيها ثمّ يتوارى في الليل جارياً على نهرٍ مسرّي الى عالم خفيّ هو عالم الارواح ليوزّع على الموتى النور والبهجة

ولمّا نمت الدول المصرية وانقسمت الى ممالك شتى في الصعيد ومصر الوسطى ومصر السفلى ثمّ انشأت كلّ مملكة منها المدن العامرة ومصّرت الامصار جعل ملوك كلّ ناحية واهل كلّ مدينة يعبدون ذلك الاله الاعظم على هيئة خاصّة وينسبونه الى ولايتهم او مدينتهم وتعدّدت بذلك اسماؤهُ مع وحدانيتهِ فدعاهُ اهل هيليو پوليس اي مدينة عين شمس باسم أتوم وعبدهُ اهل منِف باسم فتاح واهل هرمو پوليس (الاشمونين) باسم طوت ومدينة ثيبة (القصور) باسم عمّون · ومدينة ادفو باسم هورس · واهل أليفنتين (جزيرة اسوان)

باسم خنوم · وكان يدَّعي عبَّاد كلّ منهم انَّ الهه هو الاله الاعظم

على انَّ تعدُّد هذه الاسماء وتخصيصها بمدن ونواحي مختلفة لم يلبث ان أَوْلدَ في مخيلة عابديها خرافات شتى كانت داعية لتعديد الآلهة وفصل قوّاتها بل صارت المدينة الواحدة تخص إلهها بجملة اشخاص من حاشيته وقرابته تنسب اليهم قسماً من لاهوته كزوجته واولاده وانصاره يقابلهم اخصامهم من آلهة الظلمات والشرور. ثم اخذوا يرمزون الى هؤلاء الآلهة المتعدّدين برموز مختلفة منها من عالم الجماد والنيّرات كالقمر والسيّارات والكواكب والانهار لا سيما نهر النيل · ومنها من عالم النبات كالنيلوفر والاكاسيا وخصوصاً من الحيوانات · بعضها ضوارٍ كالاسد والثعلب · وبعضها اهليّة كالكلب والقط والكبش والبقر لا سيما بقرة ابيس الشهيرة معبودة منف (اطلب صورتها العدد ٥) · وبعضها زحّافات كالحيّات والافاعي السامّة · وبعضها طيور كالصقر · وبعضها اسماك او حيوانات نهرية كالورنك والتمساح · وبعضها حشرات كالجُعَل والخنفساء · وقد اقاموا لكل هذه المعبودات هياكل فاخرة كان يتولى خدمتها سدنة من الكهنة · وكانوا يغذون تلك الحيوانات واذا ماتت حنّطوها بكل حرص · واذا قتل رجلٌ واحداً منها عمداً حكموا عليه بالموت ولو كانت تلك الحيوانات مؤذية كالحيّات والتماسيح · وقد وُجد في المدافن المصريّة مئات والوف من هذه الحيوانات محنَّطةً · وفي كلّ متاحف اوربّة ولا سيَّما في متحف بولاق في القاهرة منها عدد وافر · وقد اشتهر في سكّارا بالقرب من القاهرة المدفن المسمّى سيرابيوم (Serapeum) دفنت فيه عدّة بقرات ابيس

ومن معبودات المصريين الذائعة الشهرة مجموع مركَّب من ثلثة آلهة الاله اوزيريس والإلهة ايزيس قرينته وابنهما الاله هورُس · كان اوزيريس ابن الاله الشمسيّ الاعظم أتوم راع ووليَ عهده ملكَ مدّة وعُرف بحسن سياسته وعدله فحسدهُ اخوهُ سيت وتمكّن من قتله · فسعت قرينتهُ بجمع اعضائه المفرَّقة وتحنيطها · ثم عاد الميت الى الحياة في الدنيا الآخرة حيث تعيَّن كديَّان الموتى · امَّا سيت الذي كان تولى الامر بعد قتل اخيه اوزيريس فانَّهُ خُلع من الملك وقُتل بهمَّة هورس بن اوزيريس وايزيس وجلس على تخت ابيه

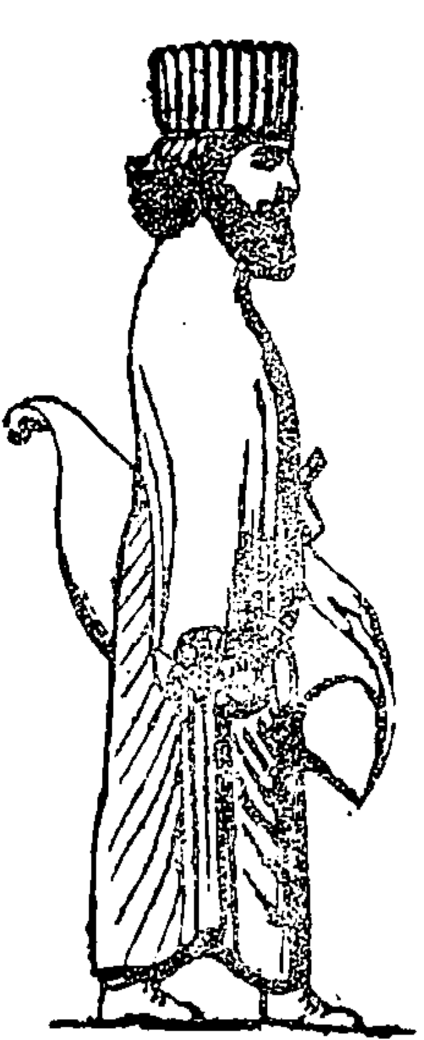
امَّا اعتقاد المصريين بالآخرة فهو مدوَّن في كتاب شهير يُدعى كتاب الموتى كانوا يرقمونهُ بتمامه او ببعض اقسامه على مدافن الموتى وعلى توابيتهم وعلى اللفائف التي يحنّطونهم بها · وهناك يُرى الميت مصوَّراً وهو منتصب امام اوزيريس الديَّان المحاط باثنين واربعين قاضياً حولهُ ليؤدّي الحساب عن اعماله التي توزن في قسطاس بكل دقّة فيثاب عنها بالخلود والهناء الدائم او يُعاقب بضروب العذابات

ولنا في مدافن المصريين دليل آخر على معتقدهم بالآخرة فانهم كانوا يحكمون صنعها ويحرصون على تحنيط الموتى ظنًّا منهم انَّ الميت في عالمه الآخر يأوي الى صورته المحنَّطة ويأنس بها · وما كانت الاهرام الا مدافن ملوكهم يعدُّها الفراعنة لآخرتهم كقصور تسكن فيها نفوسهم بعد الموت بالرغد والهناء

هذه لمحة وجيزة في دين المصريين وفي كتب المستشرقين ايضاحات تستغرق عدّة مجلّدات نُحيل اليها القرّاء اذا ارادوا التفصيل

٦ الفرس في لبنان ودينهم

الفرس عنصرٌ آريّ ينتسبون كالاوربيين الى يافث بن نوح · سكنوا بعد تفرّق الامم أنجاد إيران العالية التي تفصل حوض دجلة والفرات عن حوض نهر الهندوس وبقوا دهراً طويلاً منفردين مستقلين الى ان صمّم ملوك الكلدان الاقدمين العزم على قهرهم وادخالهم في طاعتهم فزحفوا الى بلادهم ولم يزالوا يتوغّلون فيها حتى بلغوا انحاء ماداي القاصية الى حدود بحر الخزر فذلّلوهم و بسطوا عليهم سلطانهم


جندي فارسيّ

وبقي الفرس والماديُّون صاغرين خاضعين دهراً طويلاً حتى شعروا بهرم الدولة البابليّة في القرن السادس قبل المسيح فانتهزوا الفرصة ونشروا راية العصيان عليها · ولمّا ضبط كورش عنان الملك في فارس سار الى بابل وحاصرها وتمكن من فتحها عنوةً وقتل ملكها بالتصّر سنة ٥٣٨ ق م كما كان سبق دانيال النبيّ واعلمهُ بهِ لمّا عمد ذلك الملك الى آنية هيكل الربّ المنقولة من اورشليم وشرب منها هو ونساؤهُ فظهرت يدٌ سماويّة كتبت على جدران مجلسهِ هذهِ الكلمات : « مني شقل فرس » المشيرة الى انقراض دولتهِ وموتهِ · ثمّ استفحل امر كورش ونوى محاربة الدولة المصريّة وقدم بجيوشهِ الى بلاد الشام فاذعنت لملكهِ سوريّة ودخلت فينيقية تحت طاعتهِ دون محاربة

ثمّ مات كورش وخلفهُ ابنهُ كمبيسس فاستعان بالفينيقيين لا سيما اهل صور وصيداء وارواد وتقدّم اليهم بان يُمدُّوا لهُ اسطولاً يمكّنهُ من فتح مصر وجزائر بحر الشام واليونان فانجدهُ الفينيقيُّون بمئات من سفنهم ونالوا الحظوى في عينه وصاروا مذ ذاك الحين انصار الفرس في غزواتهم وحروبهم الى ظهور الاسكندر وسقوط الدولة الفارسية اي نحو مائتي سنة · وكثيراً ما ادّى الفينيقيون لملوك فارس الخدَم الحسنة بسفنهم فمكّنوهم من الفوز باعدائهم · وقد اقرّ اولئك الملوك بفضلهم واثابوهم على امانتهم بان اطلقوا لهم الحرّية في توسيع نطاق معاملاتهم وترويج تجاراتهم فبلغت سواحل لبنان في عهد الفرس مبلغاً عظيماً من الترقي فصارت صور وصيداء وارواد اشبه بممالك صغيرة · الا انّ الدولة الفارسيّة في آخر عهدها تشدّدت على اهل فينيقية واثقلت اعناقهم بالضرائب واساءت اليهم المعاملة حتى عمدوا الى العصيان فحاربهم اوكوس ملك فارس وبالغ في الانتقام منهم لاسيما من اهل صيداء الذين كانوا ثاروا على مرزبانهِ فقتلوهُ · غير انّ الدولة الفارسيّة لم تفتأ بعد زمن قليل ان انقرضت بانتصار اليونان عليها

﴿ الديانة الفارسية ﴾ ان اعتبرنا الآثار القديمة التي اكتشفها المحدثون في حفريّات بلاد فارس وعرضناها على نصوص قدماء المؤرخين وجدنا انّ الفرس عبدوا اوّلاً قوى الطبيعة البارزة لابصارهم في بعض

الكائنات الممتازة بعظمتها او بشدة عملها . قال هيرودوتس المؤرخ : « ليس من عادة الفرس ان ينصبوا تماثيل للآلهة او يشيدوا لهم هياكل ومذابح بل كانوا يحسبون من يفعل ذلك احمق والظاهر انهم لا يعتقدون اعتقاد اليونان بان الاله على شبه الانسان . وقد اعتادوا تقريب القرابين لجوبيتر فوق قمم الجبال الشامخة ويسمون كل دائرة السماء باسمه ويضحّون للشمس والقمر والنار والهواء والماء دون سواها . ثم مالوا الى عبادة الزهرة السماوية اخذوا ذلك عن الاشوريين ... والفرس يدعونها ميترا »

تلك كانت ديانة الفرس الاوّلين الا انّ المجوس وهم ارباب دينهم قسموا الكائنات الى قسمين طاهرة فنجسة اعتبروهما كعنصرين متناقضين او مبدأين صالح فطالح هما في نزاع متواصل . فتلك هي الديانة الثانويّة التي اعلن بها المجوس وفي مقدمتهم زرادشت الذي يُنسب اليهِ ذلك المذهب وهو واضع كتاب الأوستا المشتمل على اصول الديانة الثانويّة ثم وضع خلفاؤهُ شرحاً عليهِ سمّوه « زنده » فعُرف كلاهما باسم « زنده اوستا » ومعنى الكلمة « الشريعة والسنّة » ومن زنده اشتقّ العرب كلمة زنديق لما اعتقدوهُ في المجوس من الزندقة والكفر

ومرجع ديانة الثانويين الى انّ للعالم إلهَيْن اله الخير واله الشرّ . فيدعون اله الخير هرمزد هو الاله الاعظم خالق الكائنات واصل كل خير يدعونهُ ايضاً اله النور . ويدعون اله الشرّ اهريمان وهو اله الظلمة وينبوع كلّ شرّ ورئيس اركان الجحيم . ويسمّون ايضاً الاله الصالح « مزدق » من حيث هو اله الارواح بخلاف اهريمان الذي هو مكوّن المادّة . وبين الاله الصالح والشرير وسيط هو ميترا اله الشمس وكان الفرس يسجدون لهُ في صورة الشمس كما انهم كانوا يعظمون النار ويوقدونها في هياكلهم ويزعمون أنّها ممثّلة لإلههم وكانت غاية ديانتهم ان يطهّروا اصحابهم من دنس السفليّات ووضر الجسد ويلحقوا بهم الى عالم العلويّات حيث يحلّ فيهم لاهوت الاله الاعظم . وقد بقي الى يومنا في الهند وبعض جهات بحر الخزر تبعةٌ للديانة الثانويّة يُعرفون بالپارسي (اي الفُرس القدماء)

ومع انّ الفرس ملكوا على لبنان وفينيقية نحو مائتي سنة فليس من اثر يشهد على انتشار هذا الدين فيهما في تلك الحقبة

٧ اليونان في لبنان وديانتهم

اصل اليونان كالفرس من عنصر آري انتقلوا في الالف الثالث قبل المسيح من شرقيّ العراق الى آسية الصغرى ثمّ عبر قسم منهم البحر الى الجزائر المدعوّة باسمهم . وفيها تناسلوا وانقسموا الى قبائل شتى ثم الى امم مستقلة لكل منها اخبار وحروب ورد ذكرها في تواريخهم وقصائد شعرائهم . فلما توسط القرن الرابع قبل المسيح استفحل امر المقدونيين وصارت السيطرة لملوكهم ولاسيما لفيلبُّوس الملك ثم لابنهِ الاسكندر المعروف بذي القرنين . فان فيليبُّوس استولى على الدول اليونانية المتفرقة فخلفهُ الاسكندر واتمّ عملهُ ثمّ تخطى الى الاقطار المجاورة فتصدّى لهُ داريوس ملك فارس بجيوشهِ الا انّ الاسكندر اسرع الى مناجزتهِ وكسرهُ

كسرة قبيحة في سهول فيليقية فاستولى على دمشق وسار الى محاصرة صور التي ابت الخضوع لدولتهِ فلم يزل يضايقها حتى فتحها عنوةً بعد اربعة اشهر في اواسط السنة ٣٣٢ · واذ بلغ الاسكندر انَّ فرقة من اللبنانيين اغتالوا قوماً من اصحابهِ سار بنفسهِ الى لبنان مع قسم من جيشهِ فلم يلقَ في وجههِ عدوًّا فقطع الجبل الشرقي ثمَّ عاد بعد عشرة ايام غانماً ظافراً فأتمَّ فتوحاتهِ العجيبة حتى صارت الارض باسرها في حوزتهِ الى فارس وحدود الهند · ولما عاجلهُ الموت في بابل بعد عشر سنوات فصرعهُ فيها تقسَّم قوادهُ ممالكهُ فصارت سورية حصة سلوقوس نيقاطور وسلالتهِ السلوقيين الذين ملكوا عليها الى اواسط القرن الاول قبل الميلاد

﴿ ديانة اليونان ﴾ طُبع اليونان على حب الجمال فلما عاينوا مشاهد الطبيعة الجميلة في اوطانهم وجدوا في المواليد الطبيعية الثلاثة ما فُتنت بهِ ألبابهم وسحرت عقولهم فاستفادوا من ورائها قوة الحيَّة لم يفرزوها عن تلك الكائنات فاستسلموا الى الشرك

وقد جاءت الاكتشافات الحديثة في اقريطش وبعض جهات اليونان فبيَّنت خواص دين اليونان القديم فمنها يؤخذ انَّ اول ما باشروا بعبادتهِ الجماد وذلك انهم عمدوا الى الانصاب الضخمة التي كانوا ينحتونها على هيئات معلومة يرون فيها صورة المعبودات العلوية فيقرّبون لها القرابين ليستعطفوها · ومن معبوداتهم الجمادية الرجوم والنيازك وبعض الحجارة السوداء البركانية كانوا ينصبونها في هياكلهم للعبادة اذ تخيلوها اجساماً روحانية هابطة من السماء تأوي اليها الآلهة

وكذلك المواليد النباتية خصُّوها بعبادتهم لما وجدوا فيها من قوة النمو والتناسل فنسبوا ذلك الى الآلهة الساكنة فيها · وقد خصُّوا كل شجرة باحد الآلهة فكان السنديان يعتبر كشجرة زفس اي المشتري والزيتونة كشجرة الإلهة مينرفة او اثينا · والغار كشجرة الاله ابولُّون وهلمَّ جرًّا

ومثلها المواليد الحيوانيَّة فان اليونان الاوَّلين دانوا لها لزعمهم ان شيئاً من الذات الالهيَّة حالٌّ فيها فاكرموها إكرامهم للآلهة فكانت الحيَّة مثلاً تكرم في هيكل مدينة اثينة المقام على مشرف البلد المسمَّى اكروبول فكانوا كل شهر يقدمون لها فطائر مع العسل · وكانت الحيَّة تكرم ايضاً في هياكل إله الطب اسكولاب وفي هيكل ألوسيس حيث كانوا يقيمون حفلات سريَّة لمن يدخل في سلك المتعبدين للإله ديمتر · وكان الملاحون يكرمون الدلفين ممثل اله البحر پوسيدون · ومثلها الطيور فكان العُقاب طائر المشتري والحمامة طائر افروديت اي الزهرة والبوم طائر اثينا او مينرفة

ومن مناسكهم الدينيَّة عبادتهم لبعض مشاهير الموتى كانوا يكرمونهم بالتقادم من آنية واسلحة ومآكل · وكانوا يقيمون بجوار قبورهم المذابح لتقدمة الذبائح الدمويَّة من بهائم وطيور حتى الضحايا البشرية التي لم يستنكفوا من تضحيتها في بعض الاحيان كما شهد على ذلك المؤرخون اليونان انفسهم

والظاهر ان اكرامهم للموتى ادى بهم بعد ردح من الدهر الى نظمهم في سلك الآلهة فتخيلوا آلهتهم على شبه البشر جعلوا لكل منهم سلسلة نسب فعددوا اجدادهم ثمَّ نسلهم ووصفوهم باوصاف متباينة منها حسنة ومنها سيئة بل اعاروهم كلَّ ما وجدوا في الانسان من الاهواء والشهوات حتى ادناها واقبحها · ومن تصفَّح اقدم

كتب اليونان كالالياذة واسفار عوليس لهوميروس اخذهُ العجب مما اخترعهُ اليونان من الاساطير والخرافات في تاريخهم الديني وعنهم يصحّ قول احد كبار الخطباء انهم في تعدادهم للآلهة لم ينسوا الا الاله الحقيقي . وفي خطاب القديس بولس الرسول أمام مجمع اريوس باغوس في اثينا ما يصرّح بهذا الغلوّ في اكرام المعبودات المختلفة حتى المجهولة منهم (اعمال الرسل ١٧ : ٢٢ — ٣٥) . وقد بلغ عدد الذين اعتبروهم كآلهة الالوف المؤلفة من جملتهم العناصر الطبيعية كالارض والهواء والسماء والبحر والجبال بل اعتدُّوا كآلهة ما ندعوهُ باسماء معانٍ كالموت والنوم والاحلام والزمان والقضاء وعيَّنوا آلهةً لكل الاحوال البشرية من مولد الانسان الى موتهِ ولم يدعوا صنعةً الا جعلوا لها إلهًا كان اصحابها يتَّخذون له موسمًا لاكرامهِ

ومن غريب امور اليونان انهم لمَّا فتحوا البلاد في ايَّام الاسكندر وامتزجوا بالشعوب الاجنبيَّة اضافوا الى دينهم معبودات اولئك الشعوب فاخذوا عن الفينيقيين عبادة البعل وعشترت وعن المصريين عبادة ايزيس واوزيريس وعن الاشوريين عبادة بال . وكانوا اذا حاول احد عقلائهم ان يردعهم عن هذه الخرافات تحاملوا عليهِ وحكموا عليه بالموت كعدوّ الآلهة وملحد . وهكذا فعلوا بسقراط الفيلسوف اذ سقوهُ السمّ بعد حكمهم عليه بالزندقة

وكما انَّ اليونان استعاروا كثيرًا من الخرافات الدينيَّة الشائعة بين الشعوب المجاورة لهم كذلك ينبغي القول بأنهم اشاعوا بين الامم التي امتزجوا بها جملةً من اباطيلهم الدينيَّة . وفي تاريخ فينيقية ولبنان ما يثبت ذلك كما تشهد عليهِ الآثار المكتشفة هنالك التي مرَّ لنا وصفها في مقالة سابقة

والديانة اليونانيَّة هذه صبرت عهدًا طويلاً على حوادث الزمان الى ان ظفرت بها الديانة النصرانيَّة ومحت آثارها بقوَّة براهينها وانتشار عقائدها في انحاء المعمور

٨ الايطوريون في لبنان وديانتهم

الايطوريُّون جيل من العرب يرقى نسبُهم الى اسماعيل بن ابراهيم الخليل الذي يذكر سفر التكوين (٢٥ : ١٥) بين ابنائهِ المدعو ايطور . سكن الايطوريُّون في شمالي شرقي فلسطين في جبالٍ تُعرف اليوم بجبال اللجا قريبًا من تخوم الشام . ثم امتدوا الى الجبل الشرقي وانحاء البقاع فجعلوا هناك مدينة كلسيس وهي عنجر عاصمة ملكهم . وقد ورد ذكر هؤلاء الايطوريين غير مرَّة في تاريخ اليونان والرومان . والكتبة يطنبون في بأسهم وحذقهم برمي السهام

وكان للايطوريين ملوك يسوسونهم فلمَّا رأوا ما صارت اليهِ دولة السلوقيين من الضعف في اواخر القرن الثاني قبل المسيح تقدَّموا الى سواحل بحر الشام وتوغلوا في لبنان من جهتهِ الشماليَّة فاستولوا على رأس الشقعة وانحاء جبيل وتحصَّنوا فيها . ولمَّا سار الرومان تحت قيادة پومپيوس الى سوريَّة وجدوهم هناك فلم يروا بُدًّا من محاربتهم وكان ملكهم اذ ذاك يُدعى ديونيسيوس (وهو اسم الاله بخوس باليونانيَّة) وكان تحت امرهِ نحو ثمانية آلاف فارس فانتشبت الحرب بينهما فكانت الدولة على الايطوريين فردَّهم الرومان الى مواطنهم ثم

حوّلوا بلادهم الى اقليم روماني ألحقوهُ بسوريّة · وقد اخبر لوقا الانجيلي انَّ ايطوريّة كانت ربعاً يتولى عليهِ فيلبُّوس بن هيرودس الكبير في السنة الاولى من كرازة السيد المسيح

ومّما يُعرف عن الايطوريين مدّة حكمهم على لبنان انهم كانوا اتخذوا فيهِ الحصون المنيعة كسنّان وجيغرنا وبوروما وكانوا وراء اسوارها اعزّ من العقاب يهجمون منها على النواحي المجاورة مندفعين كالسيل الجحاف لا يقوى احد على كسر شوكتهم فينهبون ويسلبون ويعودون الى اوكارهم ظافرين غانمين

اما « ديانتهم » فلم يذكر الكتبة عنها شيئاً ولا شك انها كانت كديانة النبطيين جيرانهم يعبدون الشمس والكواكب ولا سيما الزهرة وذا شرى (Dusarès) الذي يعتبرهُ المؤرخون كديونيسيوس او بخوس · وكثيراً ما ورد ذكرهُ في الكتابات النبطيّة في حوران واللجأ

٩ الرومان في لبنان وديانتهم

كان دخول الرومان في لبنان في القسم الثاني من القرن الاوّل السابق للمسيح على عهد پومپيوس القائد الروماني بعد حربهِ لميتريدات ملك پونتوس وفتحهِ ارمينية فانهُ سار الى سوريّة فنزعها من ايدي انطيوخوس المعروف بالاسيويّ سنة ٦٤ ق م ثم اعلن الحرب على الايطوريين المتحصنين في شمالي لبنان فكسرهم واخرج الجبل من حكمهم والحقهُ بالاملاك الرومانيّة كما استولى على كلّ مدن فينيقية الساحليّة دون معارض وبقي حكم الرومان على بلاد الشام وعلى لبنان الى ان خلفهم عليهما ملوك بوزنطية الروم

❊ عنصر الرومان ودينهم ❊ الرومان من العنصر اللاتيني الايطالي وفرع من الشعوب الهندوجرمانيّة الراقية بالنسب الى يافث بن نوح · كانوا في اوّل امرهم قبائل بادية ترعى المواشي ثم عمدوا الى الحضارة فاخذوا يحرثون الاراضي ويبنون القرى الى ان تحرّى زعيمهم رومولوس تشييد مدينةٍ دعاها باسمهِ رومية

وقد تبعت ديانتهم تقلّبات احوالهم من البداوة الى الحضارة فكانوا اوّلاً يجلّون قوى الطبيعة ومآثرها المحسوسة فباشروا باكرام الافلاك والعناصر كالشمس والارض والنبات والينابيع ثم اكرموا بعض الحيوانات والاشجار العاديّة والحجارة · وما كانوا كاليونان ليبالوا بمحاسن الطبيعة او يكترثوا بتمثيلها على صورة بهيّة وانّما عبدوها كما وجدوها في عالم الكون او توهّموها في مخيلتهم الفطريّة دون ان يجسموها في صورة محسوسة

ثم رسخت بعد ذلك قدم الرومان وعظمت سلطتهم فأعاروا آلهتهم خواصّ موافقة لعظمة عبّادها فجعلوا كبير آلهتهم إله العنصر الهندوجرمانيّ والسلالة اللاطينيّة جوپيتر إله السماء وعدّدوا اسماءهُ فعبدوهُ تحت اسم إله البرق وإله الرعد وإله النور ثم اقاموا لهُ هياكل كان اعظمها هيكل الكاپيتول في رومية فدعوهُ بالإله الأجود الاعظم (Jupiter Optimus Maximus) وصنعوا لهُ تماثيل كانت بادئ بدء خشبية غليظة على مثال جيرانهم الاتروسكيين ثم اتقنوا صنعها لما تحسّن ذوقهم بتأثير الصناعة اليونانيّة فيهم

وزعموا ان لجوپيتير عرساً هي الإلهة جونون الملكة فعدّدوا لها صفاتٍ شتى كما لزوجها· وقرنوا بهما إلهاً ثالثاً كانوا يدعونهُ كويرينوس لكنّهم ابدلوا بعد ذلك كويرينوس بالاله مرّت وهو المرّيخ اله الحرب كانوا

يكرمونهُ بذبائح دمويَّة فيضحُّون لهُ الخنزير والكبش والثور بل ضحَّوا لهُ الضحايا البشريَّة لاسيَّما اسرى الحرب

وكان للرومان آلهة اهليَّة خصُّوها بحراسة البيت واهلهِ وكل اطوار حياة الانسان من مولدهِ الى موتهِ . منهم الاله جانوس حارس الابواب والالهة ڤستا حارسة نار البيت ثم اتخذتهما الدولة فاكرمتهما اكراماً رسميًّا فجعلت الاوَّل حارساً لابواب الهياكل يُعنى بداخليها والخارجين منها . واتخذوا الثانية كحارسة النار العموميَّة واوقدوا في هيكلها ناراً وضعوها تحت نظر عذارى يحفظنها موقدةً ابداً فاذا انطفأت عاقبوهنَّ بالموت ووأدوهنَّ حيَّات

ثم تعزَّزت الدولة الرومانيَّة وبسطت حكمها على انحاء المعمور فسمحت للخاضعين لامرها بحفظ اديانهم. فما كان بعد قليل الا ان اختلطت تلك الاديان بالدين الروماني لا سيما دين اليونان والاديان الاسيويَّة الغربية كدين ميترا الفارسيّ ودين قيبال الفريجيّ ودين الزهرة او عشترت السوريّ

ولمَّا صارت دولة رومية في عهدة الامبراطرة بلغ بهم اكرامهم لملوكهم او بالحري تذلُّلهم لهم ان ادرجوا اسماءهم في عداد الآلهة فشرعوا يقيمون لهم الهياكل وهم احياء جعلوا عليها سَدَنةً خدمتها حتى اذا مات القيصر احتفلوا بتأليههِ وان كان من اشرار الناس والأئمة الكبار كنيرون ودومطيانوس وكركلاَّ

امَّا نفوذ الديانة الرومانية في لبنان فكان في الغالب سطحيًّا لم يؤثر في قلب الوطنيين مع ما شيدهُ الرومان من المعابد الفخيمة كمعبد بعلبك ومعبد دير القلعة . فكانت معبودات تلك الهياكل مشتركة بين ارباب الدولة والوطنيين فيعتبرها الروماني كهياكل آلهتهِ ومثلهُ الوطني يراها مقامةً لاجلال معبوداتهِ وكان كلٌّ من الفريقين يدعوها كما يشاء وتحت الاسم الذي يشاء فيدعو الروماني مثلاً جوبتير ما يدعوهُ الفينيقيّ بعلاً ويكرم الروماني جونون في تمثال يعدُّهُ الوطنيّ كتمثال عشترت . وقد اثبتت الكتابات القديمة اختلاط الديانتين مع اختلافهما في اعين كلٍّ من الفريقين . ثم انتقض حبل كلتا الديانتين بتنصر قسطنطين الملك حتى طُمست آثارها بعد موت جوليان الجاحد وفوز ثاودوسيوس الكبير (اطلب الصور ١، ٢، ٣، ٤)

١٠ الروم البوزنطيون في لبنان والديانة المسيحية

الروم فرع من الرومان الذين اقبلوا الى الشرق واستوطنوا البلاد المجاورة لبوزنطية عاصمة ملكهم بعد ان جعلها قسطنطين اهلاً بمقام الملوك ودعاها باسمهِ قسطنطينيَّة . واندمج هؤلاء القادمون باهل تلك الانحاء فصار شعباً واحداً أُطلق عليهِ اسم الروم اضحت لغتهم الرسميَّة بعد حين اللغة اللاتينيَّة ثمَّ غلبت عليها اليونانيَّة لغة تلك الجيات . وكذلك انقسم العالم الروماني بعد قسطنطين وثاودوسيوس الى قسم غربيّ ما لبث ان سقط تحت ضربات امم البرابرة وقسم شرقي حكم عليهِ ملوك الروم نيفاً والف سنة الى ان تمكن السلطان الغازي محمَّد الثاني من فتح مدينة القسطنطينيَّة سنة ١٤٥٢

وكانت سورية مع لبنان احد اقاليم مملكة الروم وكان ملوك الروم يولُّون عليها وعلى فينيقية حكاماً باسمهم جعلوا مركزهم في دمشق وبقيت في حوزتهم الى السنة ٦٣٤ حيث فتحها العرب في خلافة ابي بكر الصديق

❊ ديانة الروم البيزنطيين ❊ كانت ديانة مملكة الروم كما لا يخفى النصرانية ثم أصبحت فرقًا تختلف في بعض العقائد الا انها تتفق في اعظم المعتقدات كتوحيد الاله في جوهرهِ وحدوث العالم بقدرتهِ وتثليث الاقانيم في وحدة اللاهوت فتسجد للآب وتعتبره كرأس اللاهوت وكالوالد بطريقة العقل للكلمة ابنهِ وضياء مجدهِ وصورة جوهرهِ وكانبثاق الروح القدوس وهو الحبّ الجوهري المتبادل بين الآب والابن ونؤمن جميعها بتجسّد الاله الكلمة في احشاء العذراء مريم وهو السيد المسيح نزل من السماء ليفدي بحياتهِ واستحقاقات موتهِ الجنس البشري المدنَّس بالخطيَّة الاصليَّة · وكذلك تتفق الفرق السابق ذكرها في ان السيد المسيح انشأ كنيسة واحدة جامعة مقدَّسة رسوليَّة تحت حكم رأس منظور · كما انها تقول كلها بقيامة الموتى في اليوم الاخير وبحياة ابدية صالحة او طالحة على حسب اعمال الناس من حسنات او سيئات

اما ما تختلف بهِ هذه الفِرق فكان اولاً بانكار آريوس لاهوت السيد المسيح اذ جعلهُ مخلوقًا لا مولوداً من الآب ومن ثمَّ ليس بمساوٍ لجوهرهِ · وثانيًا بزعم نسطور ان ابن الله المتجسّد يتركَّب من اقنومين قائمين بذاتها فولدت مريم العذراء السيّد المسيح الذي اتحد بشخصهِ الكريم اقنوم الكلمة فهذا ابن الله وذاك ابن مريم · وثالثًا بالمذهب الاوطاخي واليعقوبي القائل بان المسيح اقنوم واحد وطبيعة واحدة لا كما تعلّم الكنيسة طبيعتان إلهية وبشرية · وان تلك الطبيعة الواحدة هي الطبيعة الالهية التي اختلطت فيها الطبيعة الانسانيَّة · ورابعًا بقول المنوثليين اي ذوي المشيئة الواحدة الذين جعلوا بالصواب طبيعتين للمسيح لكنهم لم يعترفوا لها الاَّ بمشيئة واحدة وفعل واحد هما المشيئة الالهيَّة والفعل الالهي · بخلاف ما تعتقد الكنيسة الكاثوليكية التي اثبتت الطبيعتين والمشيئتين للمسيح في المجمع السادس القسطنطيني سنة ٦٨١

وكان الملكيُّون يعلّمون مع الكنيسة الكاثوليكيَّة والمجامع الستة المسكونية انَّ ابن الله الهٌ واحد كالآب الذي وُلد منهُ يساويهِ في جوهرهِ وسائر كمالاتهِ وانَّ هذا الابن هو الذي صار انسانًا في احشاء السيّدة البتول واتخذ الطبيعة البشرية كاملةً دون ان يلحق بطبيعتهِ الالهيَّة ادنى نقص او تغيير مع قيام كلتا الطبيعتين في اقنومه الالهيّ الوحيد وحصول الطبيعتين على مشيئتهما وافعالها الخاصَّة بهما

الاَّ ان الروم فيما بعد انكروا انبثاق الروح القدس من الابن ورفضوا قضايا اخرى اخصّها الخضوع للحبر الاعظم

ثم انَّ الطوائف الشرقية بعد انفصالها عاد جزء منها في الاجيال الاخيرة الى حجر الكنيسة الكاثوليكيَّة وخضعت للحبر الروماني فصار منها شطر كاثوليكي وشطر غير كاثوليكي كما ترى بين الروم الملكيين والسريان والكلدان والارمن والقبط والحبش فانَّ في كلّ هذه الطوائف قسماً كاثوليكيًا بازاء قسم آخر منفصل الا الموارنة فانهم جميعاً كاثوليك · ولهذه الطوائف الكاثوليكيَّة الشرقية طقوسها وقوانينها ولغاتها التي ورثوها عن اجدادهم ويحرص البابوات على حفظها

وها نحن نذكر حالة المسيحيين في وقتنا الحاضر تتمَّة للافادة : ان المسيحيين في لبنان قبل الحرب كانوا نحو ٣٠٠٠٠٠ يقسمون الى كاثوليك وغير كاثوليك فالكاثوليك خمس طوائف : موارنة وروم كاثوليك

وارمن وسريان ولاتين . واما غير الكاثوليك فروم وسريان يعاقبة وارمن غريغوريون وبروتستانت

المسيحيون الكاثوليك

١ ✻ الموارنة ✻ اقدم الطوائف الكاثوليكيّة في لبنان واوفرها عدداً ينتسبون الى اول بطاركتهم مار يوحنا مارون الذي عاش في اواخر القرن السابع واوائل الثامن . ويقال انّ نسبتهم الى دير مار مارون المبنيّ على اسم القديس مارون الناسك قرب نهر العاصي في جهات افامية (قلعة المضيق) . لهم بطريرك يُدعى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق تحت طاعته اثنا عشر رئيس اساقفة او اسقفاً . يقيم بطاركة الموارنة حالاً في دير بكركي في كسروان شتاءً وفي جديدة قنوبين (ديمان) صيفاً . وقد اقاموا سابقاً في عدّة اديرة من لبنان ولا سيما في دير سيدة يانوح وفي ميفوق وقنّوبين . وعدد الموارنة نحو ٣٥٠٫٠٠٠ الثلثان منهم في لبنان والثلث الآخر في بعض الولايات كحلب ودمشق وفي مصر وديار المهاجرة . وللموارنة ثلاث رهبانيّات قانونيّة تنتمي كلها الى مار انطونيوس الكبير وقوانينها متخذة من رومية . الاولى الرهبانيّة اللبنانيّة او البلديّة انشأها سنة ١٦٩٥ في لبنان ثلثة من الحلبيين وهم جبرائيل حوّاء وعبد الاحد قرا ألي ويوسف بن البتن . والثانية الرهبانيّة اللبنانيّة الحلبيّة انفصلت باذن الكرسيّ الرسولي عن الرهبانيّة البلديّة سنة ١٧٧٠ . والثالثة الرهبانيّة الانطونيانيّة يُدعى رهبانها بالانطونيانيين او برهبان مار اشعيا انشأها الاسقف جبرائيل البلوزاني سنة ١٧٠٠ قبل ان يخلف في الكرسيّ البطريركيّ اسطفان الدويهيّ الشهير سنة ١٧٠٥ ثم توفي سنة ١٧٠٦ . ولهذه الرهبانيّات الثلث نحو ٨٠ ديراً ما عدا الاناطش يبلغ عدد المترهبين فيها نحو ١٤٠٠ . غايتها خدمة الله بالزهد والصلاة والشغل اليدوي مع خدمة القريب بالروحيات . وبين اديرتها نحو عشرة اديرة للراهبات الوطنيّات تحت طاعة رؤساء الرهبانيّات الثلث او كهنة علمانيين . وقد اقام غبطة البطريرك الحالي مار الياس الحويك جمعية راهبات لتهذيب البنات مركزها في عبرين . لها سبعة اديرة في عبرين والبترون وجبيل وعمشيت واهمج وقرطبة وحدث الجبة عددهن نحو ٥٠ . وفي الطائفة المارونيّة جمعيّة مرسلين لبنانيين ينسبون الى دير الكريم حيث انشأها سنة ١٨٧٢ المطران يوحنا حبيب قبل اسقفيته . يبلغ عددهم العشرين

٢ ✻ الروم الملكيّون الكاثوليك ✻ ابتدأت سلسلة بطاركتهم المنتظمة بعد انفصالهم عن الملكيين الاورثذكس بالسيد كيرلّس طاناس سنة ١٧٢٤ ويلقّب بطاركتهم ببطاركة انطاكية واورشليم والاسكندريّة وسائر المشرق . كرسيّهم في مدينة دمشق وقد سكنوا مدّة في لبنان في دير المخلّص قريباً من صيداء ويتنقلون في بعض السنين الى القطر المصري فيقيمون في الاسكندريّة . تحت حكمهم ١٤ مطروبوليتاً او اسقفاً . يبلغ اليوم عدد الروم الكاثوليك نحو ١٢٠٫٠٠٠ منهم في لبنان وسواحل الشام نحو ٥٠٫٠٠٠ والباقون في دمشق وحلب وفي القطر المصري . لغتهم الطقسية اليونانية او العربيّة . وللروم الكاثوليك ثلث رهبانيات ايضاً منتمية جميعها الى القديس باسيليوس : الاولى الرهبانيّة القانونيّة الحنّاويّة نسبةً الى القديس يوحنا

الصابغ وتُدعى بالشوريَّة لوقوع ديرها الاوَّل قرب الشوير في لبنان. وكان اوَّل منشئيها راهبَين حلبيَّين خرجا من دير البلمند سنة ١٦٩٧ وهما الكاهنان جراسيموس وسليمان اختارا الشوير مقاماً لكنَّ سليمان عاد الى البلمند فقام مكانهُ الخوري نيكيفورس كرمة وهو اوَّل رئيس عام على الرهبانيَّة الحنَّاويَّة التي اشتهر فيها بعد ذاك الخوري نيقولاوس الصائغ والشمَّاس عبدالله زاخر . والثانية الرهبانيَّة القانونيَّة الحلبيَّة وهي قسم من الرهبانيَّة الحنَّاويَّة جرى انقسامها شرعيًّا سنة ١٨٢٩ فخُصَّت الرهبانيَّة الحنَّاوية باهل الشام فدُعيت بالبلديَّة والرهبانيَّة الحلبيَّة باهل حلب. والثالثة الرهبانيَّة القانونيَّة المخلِّصيَّة انشأها سنة ١٧١١ المطران افتيميوس صيفي. وفي مجلَّة المشرق (٩ : ٨٥١ و١٠ : ١٧٠ و١٤ : ٦٤١) مقالات واسعة في هذه الرهبانيات وتاريخها. وقد أُنشئت كلها في لبنان وقوانينها معرَّبة عن قوانين مار باسيليوس ومثبتة من الكرسيّ الرسولي. واوفرها عدداً الرهبانيَّة المخلِّصيَّة لها ثمانية اديار ستَّة منها للرهبان البالغ عددهم نحو ٢٥٠ وديران للراهبات وراهباتهما نحو ٣٠ . ثمَّ الرهبانيَّة الشويريَّة عدد رهبانها نحو ١٢٠ لهم اربعة اديار وراهباتها نحو ٦٠ لهنَّ ديران . ثم الرهبانيَّة الحلبيَّة لرهبانها ثلثة اديار فيها نحو ٧٠ راهباً ولراهباتها ديران فيهما نحو ٣٠ راهبة . وغاية هذه الرهبانيَّات الفرائض الدينيَّة وخدمة النفوس في الرعايا . وقد انشأ الطيب الذكر السيِّد جرمانوس معقَّد سنة ١٩٠٣ جمعيَّة المرسلين البولسيين التي مركزها في حريصا (اطلب ترجمة منشئها في المشرق ١٥ : ٤٥٦)

٣ ※ الارمن الكاثوليك ※ سلسلة بطاركتهم القانونيَّة المستحدثة ابتدأت بالسيد ابراهيم ارزيقيان سنة ١٧٣٥ وقد اقام بضع سنين في دير الكريم الذي اوقفهُ احد شيوخ العائلة الخازنيَّة على الارمن سنة ١٧١٦ ثم انتقل خلفاؤهُ بعد موتهِ (سنة ١٧٤٩) الى دير بزمَّار فاقاموا فيهِ الى ايَّام السيد البطريرك حسُّون الذي جعل مقامهُ في الاستانة العليَّة سنة ١٨٦٦ فتبعهُ خلفاؤهُ في سكناهُ. وبطاركة الارمن يلقَّبون ببطاركة قيليقية ويضيفون الى اسمهم اسم بطرس . تحت طاعتهم ٢٠ رئيس اساقفة او اسقفاً . وعدد الارمن الكاثوليك يبلغ نحو ١٢٠،٠٠٠ منهم في لبنان وبيروت بضع مئات فقط. ولغتهم الطقسيَّة الارمنيَّة القديمة. وفي طائفتهم رهبانيَّتان : الاولى الرهبانيَّة الانطونيَّة انشأها البطريرك ابراهيم قبل انتخابه بطريركاً سنة ١٧٢٨ وهو مطران حلب ومقيم في الكريم مختفياً من اعدائه الغريغوريين. وفي السنة ١٨٢٠ انتقل هؤلاء الرهبان الى دير مار انطونيوس خشبو قريباً من غزير فقطنوهُ الى السنة ١٨٨٥ . والرهبانية الثانية الجمعيَّة المكيتاريَّة المنسوبة الى منشئها مكيتار في السنة ١٦٧٦ وهي تنقسم الى فرعين ينتمي بعضهم الى البندقيَّة والبعض الآخر الى فينَّا وغايتهما كلتيهما التعليم والكتابة ونشر التآليف الارمنية القديمة . اطلب مقالة المشرق في طائفة الارمن الكاثوليك (٣ : ٤٩ و١٥٠) وفي الجمعيَّة المكيتاريَّة (٥ : ٣٣) . وقد انشأ البطريرك اسطفان عزاريان جمعية لراهبات ارمنية يُدعينَ براهبات الحبل بلا دنس لتعليم بنات طائفتهِ نحو السنة ١٨٨٥

٤ ※ السريان الكاثوليك ※ كان اوَّل انضمامهم الى الكنيسة الكاثوليكيَّة بعد جحودهم اليعقوبيَّة في اواسط القرن السابع عشر بهمَّة السيد اندراوس اخيجيان سنة ١٦٦٢ . ثم عاد البطريرك

ميخائيل جروه بعد حقبة من الدهر فاستأنف سلسلة متواصلة من بطاركة خاضعين للحبر الروماني كان هو اول حلقاتها سنة ١٧٨٢ وقد قصد لبنان فارًّا من اضطهاد اليعاقبة (اطلب ترجمتهُ في المشرق ٣ : ٩١٣) فسكن دير الشرفة هو وخلفاؤهُ الى السنة ١٨٥٢ حيث نُقل الكرسي الى ماردين · وبطاركة السريان يلقّبون ببطاركة انطاكية تحت طاعتهم نحو عشرة رؤساء اساقفة او اساقفة لغتهم الطقسيّة السريانيّة وعدد السريان الكاثوليك نحو ٤٠،٠٠٠ منهم في لبنان وبيروت نحو ٦٠٠ نفس · وللطائفة السريانيّة رهبنة على اسم مار افرام أُنشئت اوّلاً في رومية ١٧٠٨ ولبنان (١٧٠٩) بهمة السيد اثناسيوس سفر مطران ماردين ثم تجددت في ماردين سنة ١٨٨٤ بمساعي المنسنيور افرام احمر دقنه

٥ ❊ طائفة اللاتين ❊ تتألف هذه الطائفة من متوظفين يقصدون بلاد الشام لمصالح دولهم السياسيّة او من مرسلين يتقدمون اليها لخدمة الدين او من متاجرين يقيمون فيها للعاملات التجاريّة · ومنهم من اصلهُ قديم في الشرق ينتسبون الى أُسر اتت سابقًا من مالطة او من البندقية للمتاجرة فاستوطنت سوريّة في القرون المتأخرة وبعض اللاتين وطنيون قد ارتدُّوا الى الطائفة اللاتينيّة من طائفة غير كاثوليكية · او دخلوا فيها باذن الكرسي الرسولي · قد بلغ احصاء اللاتين في سورية وفلسطين مع قبرس ٦٠،٠٠٠ منهم في لبنان زهاء الف نفس · وللاتين في فلسطين بطريرك اورشليمي يسكن القدس الشريف منذ السنة ١٨٤٧ · اما سورية ففيها قصَّاد رسوليُّون يتولّون تدبير طائفتهم الروحي ويقيمون في بيروت · ابتدأت سلسلتهم المنظمة الثابتة سنة ١٧٦٢ وتاريخ هذه القصادة مع صور اربابها قد نُشر في مجلة المشرق (١٢ : ٣ — ٢٤) · واللغة الطقسيَّة لهذه الطائفة هي اللاتينيَّة

وبهذه القصادة تُناط الرسالات الكاثوليكية اللاتينية التي تديرها جمعيات رهبانية مرسلة من الحبر الاعظم لمساعدة الاكليروس الشرقي الكاثوليكي وخدمة الطوائف الكاثوليكية ومعظمها رهبانيات من كافة الامم رؤساؤها في رومية لا علاقة لها سياسية مع الدول الاجنبية · ودونك اسماءها واسماء المنشئيها مباشرةً بجماعات الرهبان ثم نتبعها بجماعات الراهبات جارين في تعدادها على سياق التاريخ ومقتصرين على ذكر من يسكنون لبنان وسواحلهُ

الرهبان اللاتينيون

١ ❊ الرهبان الفرنسيسيُّون ❊ انشأهم سنة ١٢١٠ القديس فرنسيس الاسيزيّ المتوفى سنة ١٢٢٦ كان اوّل حلولهم في القطر الشامي نحو السنة ١٢٢٠ فسكنوا اوّلاً انطاكية وجبل اللكّام · وقد ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص١٤٩) كنيستهم في هذه المدينة في القرن الرابع عشر · وليس للفرنسيسيين حالاً في لبنان سوى دير حريصا سكنوه اولاً سنة ١٦٢٨ في زمن الامير فخر الدين مدةً ثم عادوا اليهِ سنة ١٦٨٠ فلم يبرحوه الى يومنا · وانما لهم اديرة او منازل في كل مدن الساحل اللبناني في اللاذقية وطرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكّاء يتولّون في اكثرها خدمة رعايا اللاتين · هذا فضلاً عن اديرتهم العامرة في حلب ودمشق

وانحاء فلسطين والولايات الداخلية. رئيسهم الاكبر يقيم في رومية اليهِ مرجع الرهبانية الفرنسيسية باربعة فروعها وعدد التابعين لهذه الطريقة نحو ١٧،٥٠٠ منهم في سورية وفلسطين زهاء ٤٥٠ راهباً. وغاية هذه الرهبانية الزهد بالدنيا والانقطاع الى الصلاة ونشر الدين وحفظ الاماكن المقدَّسة

٢ ❊ اليسوعيُّون ❊ نسبتهم الى اسم يسوع الكريم ويقال لهم جزويت نسبةً الى الاسم عينهِ في اللاتينية والافرنسية ويقال ايضاً فرقة يسوع (Cie de Jésus) انشأ هذه الرهبانية سنة ١٥٣٤ احد اعيان اسبانية القديس اغناطيوس دي لويولا المتوفى سنة ١٥٥٦ وهي تتألَّف اليوم من نيف و١٧،٠٠٠ راهب من سائر الدول يتولون كل الاعمال الدينية مع تدريس العلوم العليا وادارة المنشآت العلمية والفنية والتحرير والتأليف. لهم رسالات في اكثر البلاد الاجنبية أُرسلوا اوَّلاً الى لبنان بصفة قصَّاد رسوليين سنة ١٥٧٨ و١٥٨١ و١٥٩٥ وفي السنة ١٦٢٥ عهد اليهم البابا اوربانوس الثامن رسالة سورية فورد الى حلب اثنان منهم بموجب فرمان شاهاني نالاهُ من الباب العالي. ثم نما عدد المرسلين ففتحوا ديراً في دمشق سنة ١٦٤٣ ثم في صيداء (١٦٤٤) ثمَّ في طرابلس (١٦٥٠) واخيراً في لبنان في عنطورا (١٦٥٢). ولما أُلغيت جمعيتهم سنة ١٧٧٤ احتلَّ اديرتهم بأمر الحبر الاعظم الآباء اللعازريون. ثم عاد اليسوعيون ثانيةً الى سورية سنة ١٨٣١ بامر البابا غريغوريوس السادس عشر فسكنوا اوَّلاً في لبنان في عين تراز ثمَّ فتحوا لهم اديرةً في بكفيا سنة ١٨٣٣ ثم في معلقة زحلة سنة ١٨٣٤ بفضل الاميرين بشير الكبير الشهابي وحيدر اللمعي. ثم فتحوا دير بيروت سنة ١٨٤١ ثم دير ومدرسة غزير (١٨٤٣) ثم دير زحلة (١٨٤٦) ثمَّ صيداء (١٨٥٦) ثم دير القمر (١٨٥٩) ثمَّ ميتم تعنايل الزراعي وكسارا (١٨٦١) ثمَّ دمشق (١٨٧٢) ثمَّ حلب (١٨٧٣) ثمَّ حوران (١٨٨١) ثمَّ حمص (١٨٨٢) ثمَّ دير السيدة في عكار (١٩٠٦) وآخراً في جزين (١٩١٠) وقد أُقفل منها ديرا صيداء ودير القمر. وفي السنة ١٨٧٤ نُقلت مدرسة غزير الى كلية القديس يوسف في بيروت في حيّ الدحداح وأُلحقت بها المطبعة الكاثوليكية. ثمَّ انشئت السنة ١٨٨٣ المدرسة الطبيَّة قريباً منها ثمَّ انتقلت الى ابنية جديدة على طريق الشام (١٩١٢) وعدد رهبان الرسالة نحو ١٦٠

٣ ❊ الكرمليُّون ❊ هذه الرهبانيَّة تنتسب الى جبل الكرمل بقرب حيفا حيث اقام ايليَّا النبيّ مع جمهور الانبياء فيرتئي الكرمليُّون ان بهِ تتَّصل طريقتهم فيكرمونهُ كمنشئهم. امَّا منشئ الرهبانيَّة الكرملية على صورتها الحاليَّة فهو الطوباوي بروكرد السنة ١٢٠٩ فسكنوا دهراً جبل الكرمل عائشين فيهِ كنسَّاك ثم غادروه زمناً وانتشروا في انحاء اوربَّة حتى قام سنة ١٥٧٠ القديس يوحنَّا الصليبي المتوفى سنة ١٥٩٤ والقديسة تراز يا المتوفَّاة سنة ١٥٨٢ فعنيا باصلاحهم. وكانت عودتهم الى بلاد الشام سنة ١٦٢٧ ففتحوا لهم ديراً في حلب. وفي السنة ١٦٤٣ دخلوا لبنان فاهداهم الموارنة منسك مار اليشاع قريباً من بشرَّاي حوَّلوهُ الى دير وسكنهُ اوَّلاً الاب سلستينوس المنسوب الى القديسة لودڤينا. ثم استأنفوا السكنى في جبل الكرمل سنة ١٧٢٠ ثم فتحوا لهم اديرة في طرابلس ثم في حيفا حيث يتولَّون خدمة طائفة اللاتين ثم في القبيَّات في جبل عكَّار. وعدد الكرمليين في هذه الاديرة نحو ٥٠ راهباً الا انَّ ديرهم في حلب قد أُقفل منذ عهد مديد وانما لهم

دير في الاسكندرونة ومنزل في بيلان · ويتبع قانون الكرمليين الحفاة راهبات انشأت جماعتهنَّ القديسة تراز يا لهنَّ اديرة في فلسطين دون سورية · وهنَّ منقطعات للعبادة فقط

٤ ※ الكبوشيون ※ احد فروع الشجرة الفرنسيسية امتازت رهبنتهم منفصلةً عنها سنة ١٥٢٥ وكان المتولي انقسامها الاب متى بَسكي (M. Bascio) المتوفى سنة ١٥٥٢ كان دخول الكبوشيين في سورية سنة ١٦٢٥ فسكنوا اولاً صيداء وفي السنة ١٦٢٦ فتحوا لهم ديراً في حلب ثم في طرابلس (١٦٢٩) ثم في بيروت (١٦٣١) ثم في دمشق (١٦٣٧) وكان دخولهم في لبنان سنة ١٦٤٠ فدعاهم الامير فخرالدين المعنيّ الى صليما · ثم فتحوا دير اعبيه سنة ١٦٤٦ ثم دير غزير (١٦٩٤) ومنذ مدة قريبة دير بعبدات نحو السنة ١٨٩٠ · وهم يهتمون باعمال الرسالة وخدمة الرعايا مع المدارس الراعوية وقد اقفلوا من اديرتهم في القرن الماضي اديار صيداء وحلب ودمشق وطرابلس وصليما · رئيسهم العامّ مقيم في رومية · وعددهم نحو ١١٠٠٠ منهم في لبنان وسورية نحو ٣٠

٥ ※ اللعازريون ※ جماعة رهبانية انشأها سنة ١٦٢٤ القديس منصور دي پول المتوفى سنة ١٦٦٠ ودعاها بجمعية الرسالة واسم اللعازريين نسبة الى حيّ سكنوه اولاً في باريس وغايتهم اعمال الرسالة خصوصاً في القرى ثم تهذيب الاكليروس والمسيحيين في كلّ طبقاتهم لاسيما الفقراء والمسجونين كان قدومهم الى سورية السنة ١٧٧٦ ليحتلّوا اديرة الرهبانية اليسوعية الملغاة فخلفوا اليسوعيين في حلب ودمشق وطرابلس وعنطورا وبقيت هذه الاديرة في ايديهم بعد رجوع اليسوعيين وقد اتمّوا فيها كلّ اعمالهم الرسولية وفقاً لغاية منشئهم وقد اضافوا اليها دير بيروت نحو السنة ١٨٥٠ ثم اكبس سنة ١٨٧٠ وبعض المراكز الموقتة كريفون ١٨٣٦ واهدن والهامة · ومدرستهم في عينطورا مشهورة · واللعازريون اليوم نحو ٣٠٠٠ راهب يقيم رئيسهم الاكبر في باريس

٦ ※ اخوة المدارس المسيحية ※ يعرفون باسم « فرار » · منشئ جمعيتهم القديس يوحنا دي لاسال الفرنساوي المتوفّى سنة ١٧١٩ · وكان انشاؤها في ريمس من اعمال فرنسة سنة ١٦٨٠ · مقام رئيسهم العام في باريس وغاية هذه الاخوية الاولى تهذيب الناشئة لاسيما الاحداث الفقراء · عددهم اليوم نحو ١٤٠٠٠ في اربعة اقطار العالم منهم في سورية ولبنان نحو ٢٠٠ · كان قدومهم الى الشرق منذ ٥٠ سنة ففتحوا اولاً مدارس في مصر ثمّ بعد سنين دخلوا فلسطين فأنشأوا لهم اديرة في القدس الشريف وفي بيت لحم والناصرة ويافا وحيفا · ثمّ اتوا اخيراً الى سورية ولبنان في السنة ١٨٨٩ فسكنوا بيروت ثم طرابلس واللاذقيّة والاسكندرونة وبيت شباب · (اطلب في المشرق ٤ : ٤٦٥ — ٤٧١ ترجمة منشئهم)

٧ ※ اخوة مريم او الماريست ※ انشأ جمعيتهم سنة ١٨١٦ الخوري مرسلّين شمپانيا (Marcellin Champagnat) المتوفّى سنة ١٨٤٠ يقيم رئيسها العامّ قريباً من مدينة ليون في فرنسا · غايتها التعليم الابتدائي والثانوي · عدد رهبانها نحو ٥٥٠٠ منهم في هذه البلاد نحو ٧٠ قدموا الى سورية ولبنان نحو السنة ١٨٩٥ فاقاموا اولاً في بيروت ثم اتّسعوا ففتحوا لهم اديرةً ومدارس في جونية وصيداء وعمشيت

الراهبات

١ ﴿ راهبات الزيارة ﴾ هنَّ اقدم الراهبات التابعات لرسوم الرهبانيَّات الغربيَّة· لهنَّ دير في عينطورا انشأهُ الاب غينار اليسوعي (Ant. Gueynard) سنة ١٧٤٤ وجعل راهباتهِ تحت قانون القديس فرنسيس سالازيوس المتوفى سنة ١٦٢٢ ومنشئ رهبانيَّة الزيارة مع القديسة جان فرنسواز دي شنتال المتوفاة سنة ١٦٤١ · على ان هؤلاء الراهبات المحصَّنات باقيات على طقسهنَّ الماروني تحت حكم بطريرك الطائفة المارونيَّة· وليس لهنَّ دير غير هذا يتولَّينَ فيهِ تهذيب البنات· كانت اوَّل رئيساتهِ الاخت روزا روزاليا الخازن · ومدرستهنَّ اوَّل مدرسة أُنشئت في لبنان لتربية الاوانس وعدد الراهبات حالاً نحو ٣٠ راهبة (اطلب تاريخهنَّ في المشرق ٤ : ٧٠٤ — ٧١٠)

٢ ﴿ راهبات المحبَّة ﴾ انشأ اخويتهنَّ القديس منصور دي بول سنة ١٦٣٢ مع احدى السيدات الفرنساويات المدعوَّة لويز دي ماريلياك ارملة السيد لوغرا (le Gras) المتوفَّاة السنة ١٦٦٠ كالقديس منصور· غاية راهبات المحبَّة خدمة المرضى وتثقيف البنات وتربية الاطفال واليتامى ومساعدة الفقراء روحيًّا وجسديًّا · كان اوَّل دخولهنَّ في سورية سنة ١٨٤٧ اذ قدمت بيروت الاخت جيلاز فأنشأت فيها عدة مشروعات خيرية ثمَّ فتحت لاخواتها اديرة في دمشق سنة ١٨٥٤ ثمَّ في طرابلس (١٨٦٣) ثمَّ في زوق ميكائيل في لبنان (١٨٧٠) ثمَّ في برمَّانا سنة ١٨٨٤ وفُتحت بعدها الاديار الآتية في تنُّورين (١٨٩٨) ثمَّ في بجنس (١٩٠٢) ثمَّ في عجلتون ١٩٠٣ ثمَّ اخيراً في برج البراجنة في ضواحي بيروت · هذا فضلاً عن اديرتهنَّ في الجليل وفلسطين ولهنَّ حيثما حللنَ المياتم والمآوي والمستشفيات ودور اللقطاء ودور الصحَّة والمستوصفات ودور الصناعة والمكاتب العامية ما يشهد لهنَّ بالايادي الجمَّة في كل اعمال الخير· عددهنَّ ينيف على ٢٠٫٠٠٠ منهنَّ في لبنان وسورية نحو ٤٠٠ راهبة

٣ ﴿ راهبات مار يوسف ﴾ كان انشاؤهنَّ يوم عيد الميلاد سنة ١٨٣٢ في مدينة غلياك (Gaillac) من اعمال فرنسة واسم المنشئة البارونة اميلي دي ڤيالار (Emilie de Vialar) فدعت جمعيَّتها باسم مار يوسف ذي الرؤية (St Joseph de l'Apparition) لاكرام هذا القديس في سرّ الفداء اذ كشفهُ لهُ الملاك بعد خطبتهِ لمريم العذراء· غايتهنَّ انجاز اعمال الرحمة وتربية الاناث في اوطانهنَّ والبلاد الاجنبيَّة · كان اوَّل قدومهنَّ الى بيروت سنة ١٨٤٧ لكنهنَّ بعد سنتين قضينهما فيها وفي لبنان دُعين الى القدس الشريف سنة ١٨٤٨ ثم فتحن اديرةً شتَّى في فلسطين كبيت لحم والناصرة ويافا ونابلس مع مستشفيات ومياتم ومستوصفات ومدارس ثمَّ رجعنَ الى سوريَّة ففتحنَ اوَّلاً دير صيداء (١٨٥٣) ثمَّ دير حلب (١٨٥٦) ثمَّ دير القمر (١٨٦٦) ثم بيروت ثانية (١٨٧٢) ثمَّ صور (١٨٨٢) ثم الاسكندرونة (١٨٨٦) ثمَّ عمشيت (١٨٩٣) ثمَّ اعبيه (١٩٠٠) · ومركز رئيستهنَّ العامَّة حالاً في مرسيلية منذ السنة ١٨٥٢ · عددهنَّ نحو ٥٠٠٠ منهنَّ في سوريَّة وفلسطين نحو ١٤٠

٤ ❊ راهبات قلبي يسوع ومريم ❊ هنَّ جمعيَّة وطنيَّة أُنشئت لتهذيب البنات في لبنان ونواحي بلاد الشام ولا سيما في القرى . وتتألف اخويتهنَّ من فرعين أُنشئ الاوَّل في معلقة زحله والثاني في بكفيا في سنة واحدة اي ١٨٥٣ . امَّا منشئوها فالمرسلان بولس ريكادنَّا وسليمان استاف مع الخوري يوسف الجميّل والاختين روزا حبيقة ومريم حنَّه حاج نصَّار . فدُعي الفرع الاوَّل براهبات قلب يسوع والثاني بالراهبات المريمات ثمَّ انضمَّا في رهبانيَّة واحدة سنة ١٨٧٢ تحت اسم راهبات قلبي يسوع ومريم . ويبلغ عددهنَّ اليوم نحو ٢٠٠ لهنَّ زهاء ٣٠ ديراً تلحق بها مدارس للاناث . وقد عهدت اليهنَّ الحكومة السنيَّة في ايام الحرب الاعتناء بالمآوي التي انشأتها في بيروت ولبنان . وغايتهنَّ مساعدة الكهنة في تعليم البنات اصول الدين ونظارة الاعمال التقويَّة المنشأة للنساء كالاخويَّات والجمعيَّات الروحيَّة وبيوت الشغل والمستوصفات

٥ ❊ راهبات الناصرة ❊ ويقال سيدات الناصرة (Dames de Nazareth) انشأت جمعيتهنَّ سنة ١٨٢٢ في بلدة مونميرايل (Montmirail) الدوقة دي لارشفوكو دودوڤيل (de Larochefoucauld - Doudeauville) المتوفَّاة سنة ١٨٤٩ مع الآنسة رولا (Mlle Rollat) المتوفَّاة سنة ١٨٤٢ والاب بطرس روجه (P. Roger) المتوفى سنة ١٨٣٩ . غايتهنَّ اكرام العائلة المقدَّسة وتربية الاوانس . مقام رئيستهنَّ العامة في مدينة ليون من اعمال فرنسة . عددهنَّ نحو ٤٠٠ منهنَّ في القطر الشامي نحو ١٣٠ دعاهنَّ اوَّلاً الى فلسطين الطيب الذكر البطريرك ڤالركا فأنشأن اديرة ومدارس للفقراء مع مستوصفات للمرضى في الناصرة سنة ١٨٥٥ ثم في حيفا (١٨٥٨) ثم في عكَّا (١٨٦١) ثم في شفا عمر (١٨٦٤) . وأتين آخراً الى بيروت سنة ١٨٦٨ فشيدنَ ديرهنَّ العامر سنة ١٨٧٣ ولهنَّ منزل في عين مشرع (لبنان)

٦ ❊ راهبات الراعي الصالح ❊ أُنشئت جمعيتهنَّ في مدينة أَنجه من اعمال فرنسة سنة ١٨٣٦ انشأتهُ السيدة ماري بلّيتيه (Marie de Ste Euph. Pelletier) المتوفَّاة سنة ١٨٦٨ غايتهنَّ العناية بتربية البنات واصلاح مَن أساء السلوك منهنَّ فتاب . دخلن اوَّلاً القطر المصري منذ نحو اربعين سنة ولهنَّ دير في حمانا (لبنان) انشأنهُ نحو السنة ١٨٩٥

٧ ❊ راهبات العائلة المقدَّسة ❊ انشأ هذه الجمعية سنة ١٨٢٠ كاهن فرنساوي اسمهُ پرو نوايل (Preux - Bienvenu Noailles) توفي سنة ١٨٦١ ويتفرَّعن الى عدَّة فروع منها للعبادة بحتاً ومنها للتعليم و بعضهنَّ لحراسة المرضى في البيوت وغيرهنَّ لتعليم الاشغال اليدويَّة . اتين الى بيروت بدعوة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس سنة ١٨٩٤ . ثم بعد خمس سنوات استقللنَ بالعمل ففتحن لهنَّ اديرة في بيروت ثم في جونية ثم في بكفيا لتربية البنات ثم في بعبدا

٨ ❊ راهبات محبَّة بيزانسون ❊ (Sœurs de la Charité de Besançon) كذا دُعين باسم المدينة التي أُنشئنَ فيها في فرنسة . انشأتهنَّ سنة ١٧٩٩ السيدة جان انتيد طوره (Jeanne Antide Thouret) المتوفَّاة سنة ١٨٢٦ . غايتهنَّ تعليم البنات وتهذيبهنَّ لضبط البيت وتدبير المنزل ثم ادارة الاجزائيات والمستوصفات . يبلغ عددهنَّ نحو ٥٥٠٠ منهنَّ ٤٠٠٠ في ايطالية وعدد اديرتهنَّ نحو ٢٥٠ . اتينَ سوريَّة

سنة ١٩٠٣ ففتحن ديراً اوّلاً في بسكنتا ثم في بعبدات(١٩٠٥) ثم في بيروت(١٩٠٨) وآخراً في القريّة ١٩١٢

٩ ﴿ راهبات السجود ﴾ هذا اسمهنَّ الشائع في بيروت امَّا اسمهنَّ الاصليّ فجماعة مريم المكفّرة عن الآثام (Société de Marie Réparatrice) انشأتهنَّ سنة ١٨٦٥ السيدة البارونة دي هوغفرست (Hooghvorst) البلجكيّة وكان انشاؤهنَّ في معاملة ألزاس . غايتهنَّ اكرام القربان الاقدس بالسجود المتواصل لهُ والتكفير عن الاهانات اللاحقة بهِ . وهنَّ يُعنَين مع ذلك بمشروعات دينيّة كتعليم البنات اصول الدين وإعدادهن لقبول الاسرار الروحية وكتهذيب الإماء وترويض النساء بالرياضات التقوية . وكان قدومهنَّ الى الشرق سنة ١٨٨٥ حيث فتحنَ ديراً في القدس الشريف . ثم قصدنَ سوريّة فاتخذنَ لهنَّ ديراً في بيروت سنة ١٨٩٨

١٠ ﴿ الراهبات الكرمليات ﴾ هنَّ غير راهبات الكرمل المحصّنات في اديرة فلسطين . انشأ الآباء الكرمليّون جمعيتهنّ ليتفرّغن للتعليم وتهذيب البنات تحت قانون الرهبانيّة الكرمليّة انقسمنَ منذ نحو ٥٠ سنة الى فرعين فرنساوي وايطاليّ وهنَّ وافرات العدد في ايطاليا . وقد استدعاهنَّ الآباء الكرمليّان ليؤازرنهم في ضبط مدارس الاناث في اديرتهم الثلثة في حيفا ثم في الاسكندرونة ثم في القبيّات من جهات عكار وفي بشرّي وقد اتينَ الى سورية نحو السنة ١٩٠٠

١١ ﴿ راهبات القديس شرل ﴾ هنَّ الراهبات الالمانيّات المنتميات الى جمعيّة القديس شرل بورروماوس (Borromaerinnen) نسبةً الى المنزل الاوّل الذي اوين اليهِ . وكان انشاؤهنَّ في مدينة نانسي في فرنسة سنة ١٦٥٢ اجتمعن للقيامة بلوازم المرضى والمسقومين في مستشفى القديس شرل ثم دعت الاحوال الى ان تفرّعن اربعة فروع اقدمهنَّ فرع نانسي . ثم فرع تراف (Trèves) في المانية سنة ١٨١١ . ثم فرع براغ في المجر سنة ١٨٣٧ واخيراً فرع تربنيتز (Trebnitz) في اقليم سيلازيا في المانية ايضاً سنة ١٨٤٨ . وراهبات مستشفى بيروت ينتمينَ الى هذا الفرع الاخير . وعدد راهبات الفروع الاربعة بين ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ غايتهنَّ الاعتناء بالمرضى وتهذيب البنات وخدمة الغرباء وفتح المآوي والمطابخ للفقراء . يبلغ عدد اديرتهنَّ نحو المائتين كان قدوم راهبات القديس شرل من فرع تربنتز الى الشرق سنة ١٨٨٣ ففتحن ديراً في الاسكندريّة ثم في القدس الشريف (١٨٨٦) ثم في حيفا (١٨٨٨) ثم في الكرمل (١٩٠٢) ثم في القاهرة (١٩٠٤) ثم في عمواس (قبيبة) ١٩٠٦ ثم في بيروت (١٩٠٨) ثم آخراً في حلب (١٩١٣) . ولهنّ في بعض هذه المدن مدارس ومستشفيات ومآوي ودور للعجزة . وقد دعتهن الحكومة السنيّة بعد اعلان الحرب الى ادارة مستشفياتها في دمشق وبعلبك وبئر سبع وكان عددهنّ سنة ١٩٠٩ في مصر والشام قبل الحرب ١٠٩ راهبات

١٢ ﴿ راهبات الفقراء العجّز ﴾ شاع اسمهنَّ هذا في بيروت غير انَّ الاسم يطلق على جمعيّة رهبانيّة اخرى منشأة سنة ١٨٤٠ انشأها الكاهن الفرنساوي لوپايور (Le Pailleur) في معاملة بريطانية الفرنساويّة وجمعيتهنَّ منتشرة في اربعة اقطار المعمور . امَّا راهبات بيروت فاسمهنَّ بنات سيدة الاوجاع (Les Filles de Notre Dame des sept Douleurs) انشأت جمعيتهنَّ منذ وقت قريب السيدة

سان فراي (Mère St.-Frai de Tarbes) مركزهن في مدينة تارب من اعمال فرنسة · اتينَ الى سورية فانشأن في بيروت دار العجز السنة ١٩٠٨

المسيحيون غير الكاثوليك

الطوائف غير الكاثوليكية في لبنان الروم الاورثذكس والانجيليُّون وقليل من السريان اليعاقبة والارمن الغريغوريين

١ ※ الروم ※ سبق ذكر اصلهم ومعتقدهم · وهذه خلاصة احوالهم حاضراً · للروم بطريرك يلقب ببطريرك انطاكية وسائر المشرق · وكانت انطاكية كرسيهم اقاموا فيها الى القرن الخامس عشر ثم انتقلوا الى دمشق · وكانت بطريركيَّتهم غاية في الاتساع يبلغ عدد المطرو بوليتين فيها ١٥٠ · واليوم ليس تحت حكمهم سوى ١٣ مطرابوليتاً وكلهم وطنيُّون · ولغة الروم الطقسيَّة في سوريَّة ولبنان هي العربيَّة غالباً واليونانيَّة قليلاً · عدد الروم الاورثذكس في سوريَّة نحو ٣٠٠,٠٠٠ منهم في لبنان اكثر من ٦٠,٠٠٠ يرجعون في امور الدين الى خمسة مطارنة مطران جبيل والبترون ثم مطران طرابلس ثم مطران بيروت ثم مطران زحلة ثم مطران صور وصيداء وللروم ١١ ديراً كلها في لبنان لا يبلغ عدد الرهبان الساكنين فيها الثلاثين وقد أُنشئت مدارس في بعضها كدير البلمند ودير كفتين · امَّا الراهبات فليس لهنَّ دير في لبنان بل خارجاً عنهُ في صيدنايا ومعلولا · وقد أُنشئت في بيروت جمعيَّة رهبانية قبل ٣٠ سنة لتعليم البنات بهمَّة مؤسّستها ورئيستها الاخت مريم جهشان وانشئت ايضاً جمعية رهبانية للعبادة باسم السيدة أسستها الاخت كاترين كركبه وقد ناهزت راهباتها الثلاثين عدّاً · وقد انشأت بعض راهباتهم مدرسة تهذيب الفتاة الشرقية · وللروم مستشفى في بيروت كان سابقاً على طريق النهر ثم نُقل منذ عشر سنين الى محلة الغابة شمالي الاشرفية تقوم بخدمتهِ نساء من الطائفة وبجواره مأْوى للعجز

٢ ※ السريان اليعاقبة ※ كانوا سابقاً في لبنان وسواحلهِ عدداً غفيراً كما تشهد عليهِ الآثار التاريخيَّة لكنيسة السريان · وقد وجدهم الشريف الادريسيّ في القرن الثالث عشر في جونية قال في كتابهِ الموسوم بنزهة المشتاق : « ان جونية حصن على البحر واهلهُ نصارى يعاقبة · وكان لهم في طرابلس على عهد الصليبيين مدرسة شهيرة · وقد أُطلق عليهم اسم يعاقبة او يعقوبيين نسبةً الى يعقوب البرادعي الذي جدَّ وكدَّ في نشر هذه الشيعة في القرن السادس للمسيح بعد ان كبت نارها وكادت تتلاشى

لليعاقبة اليوم بطريرك يسكن في الغالب في دير الزعفران قريباً من ماردين وهو يلقب ببطريرك انطاكية يحكم على عشرة مطارنة او اساقفة · واكثر اليعاقبة في طور عابدين شمالي شرقيّ ماردين ومنهم في جهات الموصل وديار بكر يبلغ عددهم نحو ١٠٠,٠٠٠ وفي الهند نحو ٢٠٠,٠٠٠ · امَّا سورية ففيها منهم نفرٌ قليل في زحلة · ومنهم بضعة آلاف في حمص والقرى المجاورة لها والواقعة بين القريتين ودير عطيَّة · وقد ذكرنا مخالفتهم للكاثوليك بقولهم ان للمسيح طبيعةً واحدة ومشيئة واحدة · ويقيمون رتبهم الدينية بالسريانية

٣ ﴿ الارمن الغريغوريون ﴾ ليس منهم في لبنان غير افراد . ولهم في بيروت كنيسة جنوبي السراية الجديدة والثكنة السابقة . يبلغ عددهم بضع مئات . وهم على دين اليعاقبة يوافقونهم في القول بالطبيعة والمشيئة الوحيدتين في المسيح . ولغتهم الطقسيّة الارمنيّة القديمة وتسميتهم بالغريغوريين انتساباً الى رسول الارمن القديس غريغوريوس المنوّر الذي ازهر في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للمسيح

وللارمن الغريغوريين ثلاثة بطاركة يترأس عليهم بطريرك اتشميازين الذي يسوس كنائس كل ارمينية الكبرى والولايات المجاورة لها . وهو يسكن دير اتشميازين ويثبتهُ ملك العجم . ثم بعدهُ بطريرك سيس في قيليقية ويدعونهُ كاتوغيكس اي جاثليقاً يدير كنائس قبادوكية وقيليقية وقبرس وسورية . والثالث بطريرك اغطار وهو اصغرهم . ولهم في الاستانة والقدس بطريركان شرفيّان و يبلغ عدد كراسيهم الاسقفية نحو الستين امّا عدد الارمن الغريغوريين فنحو ثلاثة ملايين

٤ ﴿ الانجيليُّون ﴾ هم البروتستانت يجمعهم هذا الاسم على اختلاف فرقهم ودولهم . كان اوّل من دخل منهم في القطر الشامي مرسلين اميركيين القس اسحق برد (Isaac Bird) والقس وليم غودل (W. Goodell) سنة ١٨٢٣ على انهما اضطرّا الى الابتعاد مدّةً ثم عادا سنة ١٨٣٠ ونما عددهم وفي السنة ١٨٣٤ نُقلت مطبعتهم المنشأة في مالطة الى بيروت . ثم انشأُوا لهم مركزاً في اعبيه في لبنان سنة ١٨٤٦ ثم في سوق الغرب (١٨٥٨) . وفي السنة ١٨٦٠ انشات السيدة بوون تومسون في بيروت مدرستها الاولى الانكليزية (British Syrian School) وفي ١٨٦٢ نقلت مدرسة سوق الغرب الى صيداء وأُقيمت في سوق الغرب بدلاً منها مدرسة للجماعة الاسكتلنديّة (School Commitee of Scotland) وفي سنة ١٨٦٦ أُنشئت الكليّة الاميركانيّة في بيروت وفي السنة ١٨٧٣ فتح الاميركان مدرسة طرابلس . وفي ١٨٧٧ اربع مراكز جديدة في بيروت ودمشق وطرابلس وحلب لجمعيّة تهذيبية . وفيها انشأت جميعة الاصدقاء (Society of Friends) مستشفى ومدارس برمانا . وفي ١٩٠٠ أُنشئ مستشفى العصفوريّة في جوار بيروت . وفي ١٩٠١ فتح ميتم صيداء المعروف بدار السلام . وفي ١٩٠٢ فتح مستشفى ومستوصف جونية . وفي ١٩٠٨ فتح في الشبانية قرب حمانا دار الصحة لمعالجة المسلولين . وفي سنة ١٩٠٠ انشأُوا في بيروت غرف للقراءة وقد انشأُوا ايضاً غرفة للقراءة في زحلة والشويفات والحدث . وعدد المرسلين البروتستانت حالاً في القطر الشامي ولبنان نحو المئة بين رجال ونساء اكثرهم تحت تدبير جماعة الرسالات المنشأة في نيويرك (American Presbyterian Board of Foreign Missions) . امّا عدد التابعين للمذهب البروتستاني في سورية ولبنان وفلسطين فانهُ يبلغ ٨٠٠٠ او ١٠,٠٠٠ نفس

﴿ ديانتهم ﴾ من المعلوم انّ الانجيليين يختلفون اختلافاً عظيماً في مذاهبهم ليس فقط عن الكنيسة الكاثوليكيّة والفرق النصرانيّة القديمة بل فيما بينهم ايضاً . وفي سورية ولبنان منهم نحو عشر فرق اخصُّها البرسبيتيريان والكونكركاشن والانكليكان واللوثرانيُّون والاسكتلنديون والمعمدانيون يعمُّهم اسم

البروتستانت اي المحتجين على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية · وهم لا يقبلون غير التوراة بعهديها القديم والحديث دون الكتب المعروفة بالثانوية ولا يخضعون لسلطان الكنيسة الكاثوليكية في تأويلها للاسفار المقدسة بل يقولون بحرية التأويل كما يبدو لهم · اما المعتقدات والاسرار فلكل فرقة منهم مذاهب شتى فمنهم من يعتقد قليلاً منها ومنهم من يقبل كثيراً على حسب نحلته وكذا يقال عن خدمة الاسرار فبعضهم يقبل الاسقفية وبعضهم الكهنوت وغيرهم ينفيهما ويكتفي بمبشرين او مبشرات يتولون اجتماعاتهم الدينية دون رتبة خاصة · وكلهم يقترنون بالزواج ولا رهبانية بينهم الا ما ندر عند الانكليكان

﴿الدياكونيس﴾ هو اسم السيدات البروسيانيات اللواتي يخدمن المرضى ويعلمن البنات عند البروتستانت · انشأهن احد خدمة الدين اسمهُ تاودور فليدنر في مدينة قيصرورث (Kaiserwerth) من اعمال بروسيا سنة ١٨٣٦ وهن يلتزمن اعمال الجمعية دون ان يرتبطن بنذور بل بمواعيد موقتة ثم يخرجن متى شئن ويدخلن العالم · كان لهن قبل عشر سنوات نحو ١٠٠ مستشفى او مكتب · وكان عددهن نحو ٩٠٠٠ ما عدا الطالبات البالغ عددهن ٥٥٢٤ قدمن بلاد الشام سنة ١٨٦٠ وفتحن في بيروت المستشفى البروسياني ومكتبهن ولهن ايضاً في لبنان بعض المنازل

١١ المَرَدَة في لبنان ودينهم

لمّا فتح العرب بلاد الشام لم يفتحوا من لبنان سوى مدنهِ الساحلية وذكر البلاذري ان فاتحها كان يزيد ابن ابي سفيان سار اليها بعد فتح دمشق مع اخيهِ معاوية ففتح صيداء وبيروت وجبيل وعرقة فتحاً يسيراً ثم عاد اليها الروم بعد ذلك فوجب على العرب تحصينها في ايام الخليفة عثمان بن عفّان فشحنها معاوية بالمقاتلة واعطاهم القطائع ·

اما جبل لبنان فلم يدخلهُ العرب لما كان عليهِ من وعورة المسالك وكثرة الاحراج والتفاف الادغال فرأى ملوك الروم تحصينهُ في وجه العرب · وكان اذ ذاك في جبل اللكّام قوم من النصارى يعرفون بالجراجمة ينتسبون الى مدينتهم جُرجومة الواقعة على ما روى ياقوت في معجم البلدان قريباً من انطاكية بين بيّاس وبوقة · وكان هؤلاء الجراجمة غزاة ذوي بأس وفروسية يدعوهم كتبة الروم والسريان بالمَرَدَة وهو اسم مشتق من « مَرد» الفارسية معناه فيها البطل والرجل الشجاع · واصل المَرَدة من العجم وقد تتبّع العلامة الفرنسوي انكتي دوپرُّون (Anquetil Duperron) تاريخ المردة منذ عهد الاسكندر ذي القرنين وعدّد مهاجراتهم المتعددة قبل حلولهم في جبل اللكام ولهُ في ذلك محاضرة واسعة عرضها على المجمع العلمي في باريس ورد قول الزاعمين بان المردة موارنة لبنان

فلعلم ملك الروم قسطنطين اللحياني بتدرُّب هؤلاء المَرَدَة في آداب الحرب وشدَّة بأسهم حيثما حلّوا لاسيما في الاقطار الجبلية انتدبهم لمدافعة عن جبل لبنان وردّ غارات العرب عنهُ فارسل منهم ١٢،٠٠٠ ليحتلوا مشارفهُ فانتقلوا اليهِ · ثمّ اخذوا يزحفون الى السواحل والسهول ويندفعون اليها اندفاع السيول الجارفة

فينهبون ويسلبون ويعودون بالغنائم الى مواطنهم آمنين . فبقي الامر على ذلك مدةً الى ان صالح عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي ملك الروم على ان يؤدّي اليهِ كل جمعة الف دينار ليكفي العرب شرّهم فصالحهُ وردّ الجراجمة الى مدينتهم باللكّام

وان سألت عن ديانة هؤلاء المَردة اجبناك انها كانت النصرانيَّة بلا ريب يصرّح بها البلاذري في محلّ آخر حيث ذكر خروج مَسْلَمة بن عبد الملك عليهم واضطرارهُ الى مصالحتهم وامَّنهم « على ان ينزلوا بحيث احبُّوا من الشام ويُجرَى على كلّ امرئٍ منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ... وعلى ان لا يُكرَهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم على ترك النصرانيَّة ... ولا يؤخذ منهم ولا من اولادهم ونسائهم جزية » وقد دعا زعيمهم بطريقًا وهو اسمٌ يُطلق على كبار عمَّال الروم . وفيهِ دليل على ان المَردة كانوا كالروم في ذلك العهد تابعين للمجمع الخلقيدوني

١٢ العرب في لبنان

انّ العرب استولوا على سواحل لبنان دون انجادهِ وبقي الامر على ذلك الى القرن العاشر للمسيح فكان العرب في عهد الخلفاء الامويين والعبَّاسيين يحكمون على سواحل البحر ومدنها واذ رأوها هدفًا لسفن الروم وغاراتهم لم يزالوا يحصّنونها بالقلاع الحريزة التي لا تُرام الى ان صارت بلاد الشام في حوزة الفاطميين ملوك مصر فضغطوا على لبنان ودخلوا قسمهُ الجنوبي واوساطهُ فاستولوا على اقاليمه الخرُّوب والتفّاح والغرب ووادي التيم والفتوح وكسروان تدلُّ على ذلك آثار وجدت في قرى لبنان من مسكوكات عربية وكتابات مدفنيَّة وردوم جوامع . وبقي النصارى في جهات لبنان الشماليَّة في مشارفهِ واغوارهِ

ولمَّا زحف الصليبيُّون الى الشرق في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد لاسترداد الاراضي المقدسة انضوى اليهم نصارى الجبل ودانوا لهم فصار لبنان مع مدنهِ الساحلية في يدهم ملكوا عليهِ دهراً طويلاً الى اواخر القرن الثالث عشر فعاد العرب ودوّخوا الفرنج في عهد الملك المظفَّر صلاح الدين يوسف بن ايوب وانتزعوا من ايديهم سواحل الشام . ثمّ اتمّ الفتح بعد الايُّوبيين ملوك مصر الشراكسة المعروفون بالمماليك البحريين خصوصاً الملك الظاهر بيبرس البندقداري والملك المنصور قلاوون وابنهُ صلاح الدين خليل الاشرف وألحقوا لبنان بأملاكهم . وفي ايَّام دولتَي المماليك والشراكسة البحريين والبرجيين دخل لبنان الامراء الشهابيُّون والتنوخيُّون والمعنيُّون والارسلانيُّون تنازعوا فيهِ الرئاسة والحكم الى ظهور الدولة التركية . وفتح السلطان سليم الاوّل لسوريَّة بعد انقراض دولة الشراكسة ودخل لبنان مذ ذاك في جملة ممالك الدولة العثمانية اقطعهُ السلاطين العظام امراء من المعنيين وبني سيفا وبني عساف والشهابيين تحت نظارة ولاة دمشق وصيداء وطرابلس الى ان اناوهُ النظامات المعروفة في القرن الاخير

١٣ العجم والمتاولة ودينهم

سبق لنا ذكر قدماء الفرس في لبنان على عهد ملوك فارس ومادايِ . وقد ورد ذكر العجم بعد الفتح العربيّ

لبلاد الشام وسواحله وحلولهم في مدن الساحل · وذلك منذ اوائل الخلافة الاموية· اخبر اليعقوبي في كتاب البلدان ان الخليفة معاوية لما فتح بلاد الشام وجد مدنها الساحلية خالية من السكان لخوف من غارات الروم عليها فاستقدم قوماً من العجم احلّهم فيها وخصوصاً طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء وعرقة وانزلهم ايضاً في بعلبك فصارت على هذا المنوال كل النواحي المحيطة بلبنان والايالات القريبة من المدن المذكورة في ايدي العجم · وقد وجد الرحالة العجمي نصري خسرو في القرن الثالث للهجرة قوماً منهم ذكرهم في رحلته · ولا شكّ انّ ما يُرى في لبنان حتى يومنا من المتاولة من نسل هؤلاء الاعجام تدلّ عليه صفاتهم ومميزات هيئتهم

✻ دين العجم والمتاولة ✻ قلنا انّ الشيعة فرقة كبيرة من الاسلام · والعجم كلّهم من الشيعيين ومثلهم متاولة الشام · قال نصري خسرو في رحلته المذكورة يذكر طرابلس: «انّ اهل طرابلس كلهم من الشيعة» وكرّر ذلك عن اهل صور · والمتاولة من الشيعة عُرفوا في بلاد الشام بهذا الاسم لانهم تولّوا علياً واهل بيته اي اتخذوه وليّاً وكان الصواب ان يُدعوا بالمتولّية او المتولّين فقالوا لهم في العامة متاولة وقيل انهم دعوا بالمتاولة اذ قالوا توالينا بعد الله علياً واهل بيته ولهم في هذا وغيره مزاعم يأباها اهل السنّة ولذلك يدعونهم بالرافضيّة والشيعيّة · ومن مدعياتهم ان الثاني عشر من نسل علي المعروف بالمهدي عاش متوحداً ناسكاً في جوار بغداد ويعتقدون انه لم يمت وانما سيظهر بعد احتجابه في آخر الازمنة فيوحّد الجامعة الاسلامية ويقودها الى الجنّة مع آل بيته · والمتاولة لا يختلطون بمن جاورهم من غير المسلمين ويحرصون على عاداتهم المذهبيّة واخلاقهم المليّة · عددهم بلغ في لبنان نحو ٣٠٠٠٠ اكثرهم في جنوبي لبنان في جهات الشوف وجزّين والمتن وفي ضواحي بيروت ثم في كسروان والبترون

١٤ الدولة التركية في لبنان

كان دخول الدولة العثمانية في سورية سنة ١٥١٦ اذ حارب السلطان سليم الاوّل دولة الشراكسة وقتل ملكهم طومان باي فصارت بلاد الشام ولبنان معها تحت حكم الدولة العثمانية الى يومنا الحاضر

وبنو عثمان ينتمون الى عثمان بن ارطغرل بن سليمان شاه · وكان سليمان شاه جدّ عثمان احد زعماء عشائر الترك في بقعة تركستان · وتركستان موطن الاتراك تُعرف اقطارهُ في التاريخ بتوران وما وراء النهر وهي تشمل بلاداً واسعة ومفاوز ممحلة تمتدُّ بين بحر الخزر وتخوم الصين كانت روسيا تحكم على قسم من مقاطعاتها الشمالية · ومع رحبها لم يتجاوز عدد سكانها ستة ملايين من البشر · وكان سكان تلك الاصقاع قبائل تقطن جبال ألطاي فلما نموا وكثروا نزلوا الى الصحاري الممتدّة بين تلك الجبال وبلاد المغول والصين · ثم تشعّبوا شُعباً وعشائر وبطوناً وقبائل لا يكاد يحصى عددها · ولتلك القبائل لغات تعود الى اصل واحد وهو التركيّ القديم ومنهُ الحديث وليس للتركيّ قلم خاص وقد كُتب بستة اقلام اي اليونانية واللاتينية والسريانية والرومانية ثم بالعربية والارمنية هذا ما خلا الحرف الاويغوري الذي استخرجتهُ قبائل الاويغور من الكلدانية

وكما تشابهت تلك القبائل بلغاتها كذلك تعود عناصرها الى اصل واحد. والكتبة قد اطلقوا عليهم اسماء متباينة كالاسقيثيين والهونيين ثم شاع اسم الترك والتركمان والمغول والتتار

والمحدثون من العلماء يجمعون على ان اصل هذه الامم من العنصر اليافثي فهم من حيث الجدّ الابعد اخوة الشعوب الاوربية وكذا يرتأي الكتبة العثمانيّون على انهم يجعلون القدمية للترك على المغول والتتار وسواهم ويقولون ان تركاً كان اكبر اولاد يافث بن نوح وان من نسلهِ ولد اخوان هما تتر ومغول جدّا القبائل التترية والمغولية

وقد اشتهر الترك في كل تاريخهم بالاقدام وكثيراً ما دوّخوا البلاد المجاورة لهم حتى الصين وتبّت . والكتبة الصينيون اوّل من ذكرهم باسم « توكيو » بالواو بدلاً من الراء لخلوّ حرفها في لغتهم. وقد دعاهم المؤرخ اليوناني هيرودوتوس في القرن الخامس قبل المسيح باسمهم الصحيح (Tourkoi)

ثم توالت عليهم الدهور فلما أنسوا بضعف الدولة الرومانية تقدّموا الى نواحي اوربة وجهات العراق وعُرف زعماؤهم باسم الخاقان ثم اختصروهُ بالخان ثم دعوا الخان الاكبر قاان . وفي ايام الدولة العباسية عادوا واستولوا على بلاد الاسلام ومنهم دُوَل بني سلجوق الذين تولَّوا على العراق والشام والروم. وكان ارطغرل في خدمة علاء الدين السلجوقيّ ساعدهُ في محاربتهِ للمغول فأقطعهُ مدينتي سكعد ويكي شهر فقام بعده ابنهُ عثمان ثم سلالة عثمان ففتحوا الفتوحات العظيمة الى ان فتحوا عاصمة مملكة الروم وتوغلوا في اقاليم اوربة الشرقية حتى كادوا يملكون على النمسا فبلغوا اوج عزّهم في زمن سليمان خان القانونيّ

❊ دين الاتراك قبل اسلامهم ❊ كان الدين الغالب على طوائف الاتراك في سالف الاجيال الدين المعروف بالشَّمْنية او السَّمْنية المبني على اكرام قوّات الطبيعة وعناصرها الاربعة المزعومة اي النار والهواء والماء والارض وكانوا يكرمون الارواح ويقدمون لها التقادم والذبائح وكذلك عظَّموا نفوس الاجداد وعبدوا تماثيلها . قال المسعودي يذكر دينهم قبل الاسلام (طبعة مصر ١:٥٨) : « ودينهم دين من سلف وهي ملة تُدعى السَمْنية عباداتها نحو من عبادات قريش قبل الاسلام يعبدون الاصنام ويتوجهون نحوها بالصلوات ومنهم من يقصد بصلواته الخالق عزَّ وجلّ ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة . والجاهل منهم مَن لا علم لهُ يشرك الاصنام بإلهيَّة الخالق ويعتقدها جميعًا . . . وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة لهُ ووسيلة لهم اليه »

ثم انتشرت بين الاتراك النحلة البوذية اشاعها اصحابها الهنود في الصين والبلاد المجاورة ودانت لها بعض قبائل الترك

وكذلك دان بعضهم للدين المجوسي ولمذهب ماني المعروف بالثانوية اي بمبدأين او الهين متضادين إله خير وإله شرّ كما ثبت بعدة آثار اكتشفها السيَّاح حديثًا في جهات تركستان

ودخلت ايضًا النصرانية بين قبائل الترك قبل اسلامهم وفي المشرق مقالة عن النصرانية بين قدماء الترك والمغول فيها الشواهد العديدة على ذلك (المشرق ١٩١١ : ١٤ : ٧٥٤-٧٧٢) . وكان اوّل

*

ـن اسلم من ملوكهم تاغودر اخو الملك ارغون فدُعي بعد اسلامهِ بالسلطان احمد في القسم الثاني من القرن الثالث عشر سنة ١٢٨١ — ١٢٨٣ م (راجع تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٥٠٥ — ٥٢٣)

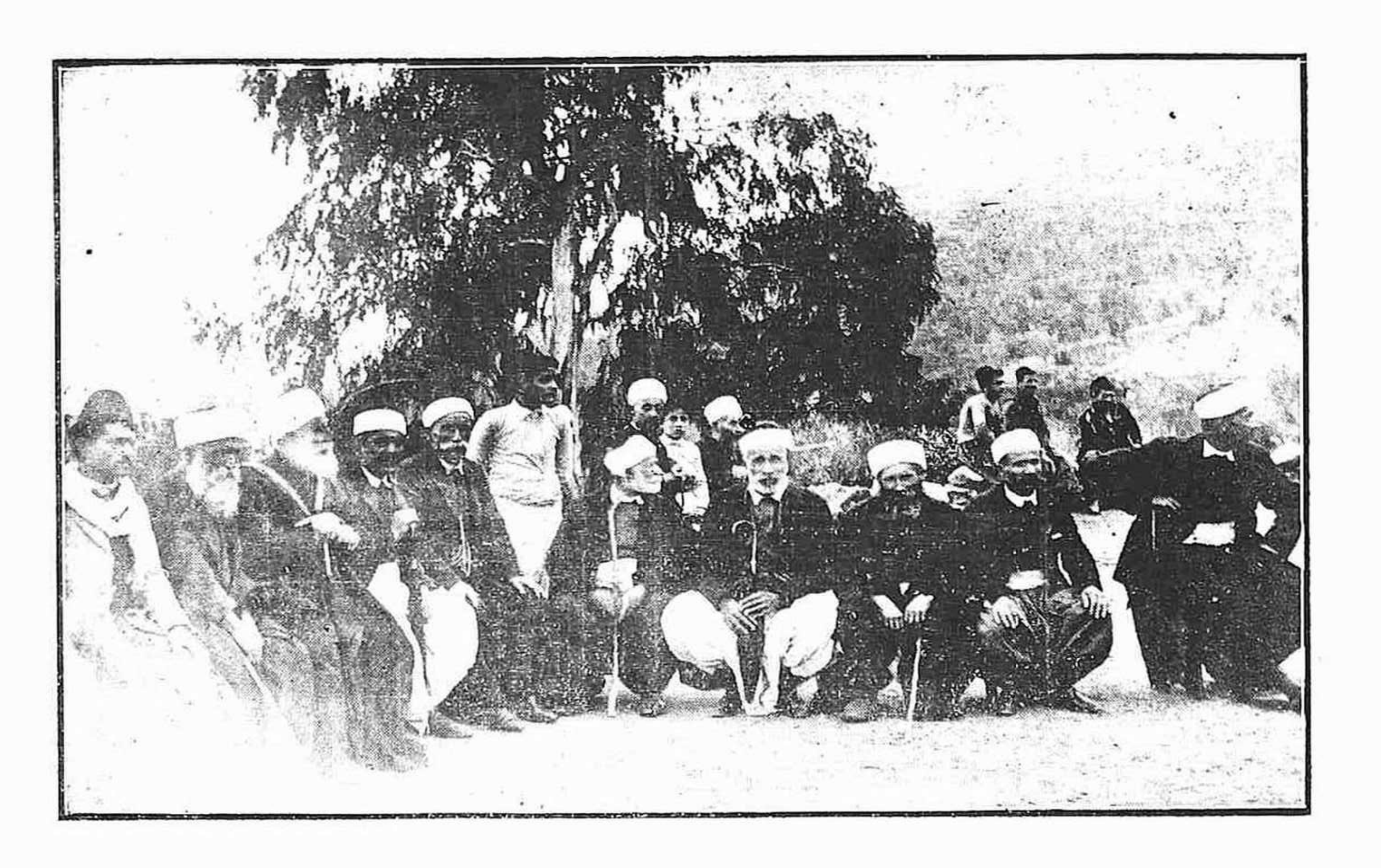
١٥ طائفة الدروز ودينهم

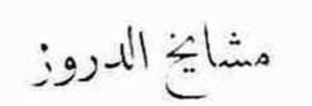
ومن الطوائف الشائعة في لبنان الدروز واصلهم عريق في الجبل يرتقي الى القرن الخامس للهجرة . ومذهبهم الديني احد المذاهب المحجوبة

وقد ظهر امر الدروز في اواخر القرن الرابع للهجرة في ايام الدولة الفاطمية قيل انهُ دخل في خدمة سادس خلفائهم ابي علي المنصور ابن العزيز بالله الشهير بالحاكم بامر الله رجلٌ من القرامطة يُدعى محمد بن اسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين كان احد دعاة الطائفة الباطنية فجعل يتقرَّب الى الخليفة بتعظيم شانهِ زاعماً ان العقل الكلي آدم جاز الى الانبياء ثم الى السلالة الفاطمية التي اليها ينتسب الحاكم بامر الله فزيَّن لهُ الادّعاء بالالوهيَّة فوافقهُ الحاكم على قولهِ . ثم اخذ الدرزي ينشر بدعة الوهيَّة الحاكم في مصر فحصل من جراء ذلك شغب بين الجمهور كاد يهلك فيهِ الدرزي ثم ارسلهُ الحاكم الى القطر الشامي ليذيع مذهبهُ فقدم الى لبنان ونشر دعوتهُ في وادي التيم واليهِ نسب الناس طائفة الدروز وهم ينبذون هذا الاسم و يدعون نفوسهم بالموحدين ثم قُتل الدرزي في بعض الوقعات سنة ٤١٠ ه (١٠١٩ م) فقام مكانهُ رجل آخر اسمهُ حمزة بن علي تولى الدعوة الى الوهيَّة الحاكم و يلقبهُ الدروز بالهادي و بالغوث في اكرامهِ فاشاع تعاليمهُ سنة ٤٠٨ ه (١٠١٧ م) وجاهر بمعاداة الدرزي ونسب الى نفسهِ الامامة . وفي تلك الاثناء قتل الحاكم بامر الله سنة ٤١١ ه (١٠٢٠ م) فلم يكفَّ حمزة عن نشر مذهبهِ في الوهيَّة الحاكم بل انكر موتهُ وكتب رسالتهُ الموسومة «بالسجل الذي عُلّق على المشاهد في غيبة مولانا الامام الحاكم» زعم فيها ان الحاكم اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين

وللدروز عدَّة رسائل دينيَّة مدارها على معتقداتهم فيها الامر والنهي والتنبيه والتحذير والزجر والتقريع تُعزى الى الحاكم بامر الله والى حمزة والشيخ بهاء الدين الصابري والشيخ يوسف الكفرقوقي شرحها الامير عبد الله التنوخي الملقب عندهم بالسيد وهو من اوليائهم لهُ مقام في قرية اعبيه يزورونهُ بالهدايا والنذور . ومن هذه الرسائل نسخ متعدّدة في خزائن الكتب العربيَّة في حواضر اوربا . وقد وصفت مجلة المشرق سنة ١٩٠٢ (٥ : ٨١٠ — ٨٠٢) ما عرف منها في هذه البلاد . و بعضها قد نُشر بالطبع كالسجل السابق ذكره وكميثاق ولي الزمان ورسالة الموحدين والرسالة المنفذة الى قسطنطين فاصبح بها مذهب الدروز معروفاً نوعاً بعد ان كان محجوباً . ومن اراد الاتساع في معرفتهِ فعليهِ بكتاب العلاَّمة المستشرق دي ساسي في مجلدين ممتعين اسمهُ باللغة الافرنسية (La Religion Druze)

والمستخلص من هذه المنشورات ان لاهوتهُ تعالى تجسَّد غير مرَّة وظهر في الارض على صورة بعض الاولياء كان آخرهم الحاكم بامر الله (وهم يقولون الحاكم بامره) و يفسرون ما يروي المؤرخون باجمعهم من اعمالهِ الغريبة على شبه الرموز . والحاكم على رأيهم هو الاله الوحيد و يدعى اتباعهُ لذلك بالموحدين . و يقولون





مشايخ الدروز

انهُ سوف يظهر في آخر الزمان ويجازي اتباعهُ فيجعلهم امراء وسلاطين على بقيَّة البشر ويعاقب سواهم باشدّ العذاب

ومن آرائهم ان النفوس البشريَّة تكوَّنت كلها معاً في بدء الخلق من نور حمزة الذي هو العقل الكليّ . وانَّ هذه النفوس معدودة لا تزيد ولا تنقص مدى الازمنة فاذا مات الانسان ولد في مكان آخر وهذا ما يسمُّونهُ التقمُّص والمراد بهِ انتقال نفس الميت عند موتهِ الى مولودٍ آخر ويسمُّون الجسد قميصاً

وفي المذهب الدرزي طبقات ورُتب فان تحت الحاكم الوحيد خمسة وزراء يُدعون بالحدود اوَّلهم العقل الكليّ وهو حمزة المدعوّ ايضاً بنقطة البيكار والامام . ثم النفس الكلية وهو اسمعيل بن محمَّد التميميّ احد كتبتهم . ثم الكلمة وهو محمَّد بن وهب . ثم الجناح الايمن او السابق وهو سلامة بن عبد الوهاب السموري . ثم الجناح الايسر او اللاحق وهو بهاء الدين ابو الحسن عليّ بن احمد السموكيّ المتوفى سنة ٤٣٣هـ (١٠٤٢ م) وهم يؤرخون بسنة وفاتهِ . وتحت هؤلاء الدعاةُ والمأذونون والنقباء او المكاسرون وهي الاسماء التي شاعت سابقاً عند الباطنيين

والدروز لا يلتزمون باركان الاسلام اعني الشهادة والصوم والصلاة والحج والزكاة لان حمزة رفعها عنهم وقد عوَّضهم بسبعة دعائم توحيدية وهي اوَّلاً صدق اللسان (وهم يكتبون سدق بالسين) . ثانياً حفظ الاخوان . ثالثاً ترك ما كانوا يعتقدونه من عبادة العدم والبهتان . رابعاً البراءة من الابالسة والطغيان . خامساً التوحيد لمولى الحاكم . وسادساً الرضى بفعلهِ كيفما كان . وسابعاً التسليم لامرهِ في السرّ والاعلان

والدروز قسمان عقال وجهال . فالعاقل عندهم من تعفف وقنع وامتنع عن شرب الخمر والمسكرات والتبغ وعن لبس الحرير ويتعمم بعمامة بيضاء على طربوش احمر ويكتسي بقميص وسروال من الخام فوقهما قفطان من الخام الابيض او الكحليّ فوقهُ عباءة من الصوف مخطَّطة قصيرة ضيقة الاكمام . وبين العقَّال درجات على حسب معرفتهم لامور دينهم . ومنهم من يتنسكون ويتوحدون ويتقشفون فيعملون لهم مناسك يبنونها منفردةً يسمُّونها خلوات واصحابها خلواتية او اجاويد . ولهم في قراهم خلوات صغيرة يجتمعون فيها ليلة الجمعة لامور دينهم وللبحث في شؤونهم يسمُّونها مجالس . امَّا الجهَّال فليس لهم شيءٌ من مميزات العقال فتراهم لا يكترثون لامر الدين بتَّة ولا يعرفون من شريعتهم الا النادر الزهيد كالوهية الحاكم بامرهِ وبعض الاصول العمومية . وفي نسائهم الزاهدات وهنَّ يتميزن بلبسهنَّ البسيط دون الحلي ويحضرن مجامعهم

وقد اشتهر الدروز بالمجاملة والعصبية والشجاعة وذمة الجوار واكرام الضيف والاخذ بالثار والتكتم . وهم شديدو الحرص على كرامة اعيانهم ومناصبهم فيبالغون في اكرامهم حتى ان شيوخهم الطاعنين في السن منهم اذا قابلوا احد كبارهم ولو كان ولداً اكبَّ على يدهِ وقبَّلها ولهذا نرى لكبارهم نفوذاً عظيماً لم تضعفهُ التقلبات السياسية التي جرت في لبنان

وكان سكون الدروز اوَّلاً في وادي التيم ثمَّ امتدُّوا الى جبل الشوف في لبنان والى العرقوب ثمَّ الى

الجرد والمتن واستوطنوا جهات صفد والكرمل · ثم انتقلوا الى جهات حوران والنجاة · يبلغ اليوم عددهم نحو ١٥٠،٠٠٠ منهم في حوران ٥٠،٠٠٠ والباقون في لبنان

وهذه صورة شهادة الدرزي العاقل التي يتلوها يوم وقوفهِ على اسرار ملتهِ وانضمامهِ الى عقلائها [1]

ميثاق وليّ الزمان

توكّلتُ على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزّه من الازواج والعدد أقرّ فلان ابن فلان إقراراً اوجبهُ على نفسهِ واشهد بهِ على روحه في صحةٍ من عقله و بدنه وجواز امره طوعاً غير مكرهٍ ولا مجبر انهُ قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على اصناف اختلافاتها وانهُ لا يعرف شيئًا غير طاعة مولانا الحاكم جلَّ ذكره والطاعة هي العبادة وانهُ قد سلّم روحهُ وجسمهُ ومالهُ وولدهُ وجميع ما يملكهُ لمولانا الحاكم جلَّ ذكرهُ ورضي بجميع احكامهِ لهُ وعليه غير معترض ولا منكر لشيءٍ من افعالهِ ساءهُ ذلك ام سرّهُ · ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلَّ ذكرهُ الذي كتبهُ على نفسهِ واشهدَ بهِ على روحه او اشار بهِ الى غيرهِ او خالف شيئًا من اوامره كان بريئًا من الباريء المعبود واحترم الإفادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من الباريء العلي جلَّ ذكرهُ ومَن اقرَّ ان ليس لهُ في السماء إله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جلَّ ذكره كان من الموحدين الفائزين

كُتب في شهر كذا في سنة كذا من سني عبد مولاه جلَّ ذكره ومملوكهِ حمزة بن عليّ بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين المرتدين بسيف مولانا جلَّ ذكره وشدّة سلطانهِ وحده

١٦ النصيرية ودينهم

النصيرية — ليس أنصارية كما يدعوهم بعض الفرنج — فرقة اخرى من الباطنية وهم قوم يسكنون طرابلس الشام وجبل عكار والجبال المجاورة للاذقية المعروفة باسمهم · ومنهم طائفة في دمشق والصالحية · وهذه الشيعة تشبه الدروز في حرصها على مذهبها فتحجب مذهبها على غير اتباعها

وأصل هذه الشيعة قديم · قال ابو الفداء في تقويم البلدان نقلاً عن ابن سعيد « انّ النصيرية يُنسبون الى نُصيَر مولى عليّ ابن ابي طالب » فان صح هذا الرأي وجب القول بان اصلهم يرقى الى اوائل الاسلام · واغربُ من هذا ما رواهُ بلينيوس الروماني المتوفى سنة ٧٩ للمسيح اذ قال في تاريخهِ الطبيعي « انّ قوماً يُدعون نصريين (Nazarini) يسكنون جبل برجيلوس يفصل بلادهم نهر العاصي عن افامية » فالنصريُّون كالنُّصَيريين وجبل برجيلوس هو جبل النصيرية يفصلهم نهر العاصي عن افامية اي قلعة المضيق · فيلوح من هذا القول انّ النصيريين سبقوا الاسلام بمئتين من السنين وانهم عنصر وطني عابد للاوثان

---

(١) نشرت هذه الشهادة عن كتب درزية في كتاب (Adler : Museum Cuficum Borgianum) المطبوع في رومية سنة ١٧٨٢ ص ١٣٤ — ١٣٥

امّا الرأي الغالب في عهدنا عند العلماء انّ النصيريين ينسبون الى محمّد بن نُصَير احد اتباع حسن العسكري الامام العلوي المتوفى سنة ٢٦٠ ه (٨٧٣ م) وقد ذكرهُ ابن العبري في تاريخهِ السرياني المدني فقال عنهُ انهُ ظهر في الكوفة · ووصفهُ الكتبة المسلمون باحد غُلاة الشيعة · ومنهم من يدعوهُ بنُصَير النمَري يقولون انهُ كان كثير الصوم والصلاة معدوداً من الاولياء فاختار اثني عشر رسولاً ينذرون بتعليمهِ فلما شاع امرهُ أُلقي في السجن بامر السلطان ففرّ من حبسهِ وادّعى انّ ملاكاً من السماء اطلقهُ فازداد تحمُّساً في نشر مذهبهِ وفي الدعوة الى أُلوهيّة علي بن ابي طالب فوافقهُ قوم وتحرّى رجال بثّ آرائهِ اخصُّهم الحسين بن حمدان الخصيبي الذي تصرّف بتعاليم النصيرية ورتَّبها على صورة معلومة ثم اذاعها في الشرق وخصوصاً في شمالي سورية وجبالها

والنصيريّة فرقٌ منهم الشمالية يسكنون شمال جبلهم ويُدعون بالشمسيّة ايضاً لانهم يعبدون الشمس · ومنهم الكلازيّة او القمريّة يعبدون القمر ومنهم الكلبيّة يعبدون الحيوان والغيبيّة يعبدون الهواء · وكلهم يضمرون تحت هذه الرموز عبادة علي بن ابي طالب · ويقال انّ بينهم من يبيح المنكر ويأتونهُ في خلواتهم والله اعلم بصحّة هذا الامر الشائع في حقّهم

وللنصيريّة ثلث رُتب لشيوخهم : رتبة الامام وهي ارفعها · ورتبة النقيب · ورتبة النجيب · يتولون صلواتهم واعيادهم واجتماعاتهم · وعندهم الخاصّة والعامّة فالخاصة بمنزلة العقّال عند الدروز والعامة كالجهّال لكنَّهم لا يطلعون النساء على اسرارهم بل يعتبرونهنّ كالحيوانات ويزعمون انّ لا نفس لهنّ فلا يجازينَ بثواب ولا عقاب

ويشبهون ايضاً الدروز في قولهم بتناسخ الارواح التي بعد موت اصحابها تحلُّ في بشر او في حيوان على حسب دراجاتها من البرّ والصلاح او الشرّ والطلاح · وارواح النصيرية لا تزال تتناقل في المواليد الى ان تصفو من كدرها فاذا بلغت كمالها تحولت الى احد نجوم السماء

وممّا لا يُنكر انّ النصيرية استعاروا اشياء كثيرة من النصرانية ما يدلُّ على انّ هذا الدين شاع بينهم قديمًا فمن ذلك ما يدعونهُ بالقداس يقرّب فيهِ امامهم الخبز والخمر · ويكرمون اعياد النصارى كميلاد السيّد المسيح وعيد الغطاس وعيد البشارة والشعانين والعنصرة وعيد بعض القديسين كيوحنّا المعمدان ويوحنّا فم الذهب وبربارة الشهيدة ويسمُّون اولادهم باسماء النصارى كمتّى وجبرائيل وهيلانة الخ · على انهم كانوا معادين للصليبيين لمّا نزلوا سواحل الشام واستولى على جبالهم القمص ريموند صنجيل فبقيت في حكمهم الى ان تملكها صلاح الدين الايُّوبي

وليس للنصيرية معابد مثل المسلمين والنصارى بل لهم خلوات صغيرة مقبيَّة في اطراف قراهم او يجتمعون في بيوت معلومة لهم · والكتبة المسلمون في عهدنا يعدُّونهم كملحدين فدونك ما كتبهُ عنهم جودت باشا في تاريخهِ (طبعة بيروت ص ٣٧٢) :

« امّا الحادهم (اي النصيرية) وزعمهم الباطل فيما يتعلّق بالالوهية والنبوة فلا يشبه عقيدة امّة من الامم

مطلقاً · وذلك انهم يقولون بالالوهية لهابيل ومنهُ حلّت في شيت · وان آدم كان نبيّاً كريمًا وان الالوهية انتقلت بعد ذلك الى اسماعيل والنبوّة الى ابراهيم ثم انتقلت الى موسى ثم الى عيسى ثم الى سيدنا محمد بن عبدالله و بالمثل انتقلت الالوهية الى هارون ثم الى شمعون المعروف بين النصارى ببطرس ثم الى عليّ بن ابي طالب واستقرّت فيهِ الى ان التفّ بالحلّة وصعد الى السماء وحلّ في الشمس وانهُ موجود في الشمس الى الآن وانّ الكواكب التي في السماء هي ارواح كبار عقّال النصيرية فلذلك يسجدون للشمس حين طلوعها وغروبها ويحترمون الكواكب وفي ادعيتهم يطلبون حاجاتهم من العليّ الاعلى بالتوسّل بحرمة الكواكب الزاهرة · ويدعون المقداد بن ابي الاسود احد الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) بربّ الناس ويقولون انّ عليّاً خلق محمّدًا وانّ محمّدًا خلق سلمان الفارسيّ وانّ سلمان خلق المقداد وانّ المقداد خلق سائر العباد· وليس لهم معابد كالجوامع والكنائس بل يجتمعون كلّ وقت في بيوتهم وتأتي اليهم العقّال والمشايخ ويتلون عليهم القصص والخرافات والاباطيل ويقولون عن ذلك يوم عيد· ولهم محلّ مخصوص محفوظ في بيوتهم لجمعية هذه الاعياد لا يدخلها غيرهم ولا يقف على امرها احد وعلى الفرض لو دخلها غيرهم فانهم يسعون في قتلهِ واخفائهِ من دون ان يشعر بهِ احد ولهم عيد ميلاد وعيد رأس السنة مخصوص بهم واماً العيد الاكبر عندهم فهو الرابع من نيسان ويدعونهُ بالنيروز »

« والحاصل انهم يشبهون الدروز في جهات عديدة ويشبهون المجوس بعبادتهم الشمس وتعظيمهم وتملّقهم للكواكب· ويشبهون النصارى في بعض اشياء كتعظيمهم لبطرس واستعمالهم الخمر في الجمعيّات الدينية وتحليل شربها وموافقتهم لهم في بعض الاعياد· ويشبهون الروافض في غلوّهم في تعظيم حضرة عليّ رضي الله عنهُ والأئمة الاثني عشر واما في حقيقة الامر فان احوالهم تخالف الجميع واطوارهم خارجة عن اطوار كافة الملل »

والنصيرية يرتزقون بالفلاحة · وعددهم اليوم في جبالهم ١٣٠،٠٠٠ يضاف اليهم ٢٠،٠٠٠ في جهات آدنة ومرسين · ومركزهم في مصياد فتحوا حصنها سنة ١١٤٠ م · والنصيرية هؤلاء غير الاسماعيلية فانّ الاسماعيلية فرقة ثالثة من الباطنيين الا انّ بينهم و بين النصيرية عداوةً كبيرة · وهم ينتسبون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصديق وهو السابع من الأئمة العلوية· وقد استفحل امرهم في القرن التاسع للميلاد بمساعي زعيمهم عبد الله بن ميمون · ولمّا حاربتهم الجيوش الاسلامية في فارس والعراق فرّ قسمٌ منهم الى شمالي سورية فسكنوا سلمية قريباً من حماة· ثم زاحموا النصيريين في جبالهم ففتحوا بعضها وعُرف زعماؤهم عند الفرنج بشيوخ الجبل (Vieux de la Montagne) ودعا الفرنج أنصارهم بالحشاشين لاكلهم الحشيشة المسكرة ومنها اشتقّوا اللفظة الفرنسوية (Assassins) ومعناها القاتلون الناحرون لكثرة مَن اغتالوهم من الملوك والامراء باغراء زعمائهم · على اننا لا نخوض في تعريف دياناتهم اذ يسكنون خارجاً عن لبنان

١٧ اليهود ودياناتهم

في لبنان نفرٌ قليل من اليهود في اقليم الشوف الا انهم في سواحل الشام اوفر عدداً لاسيما في بيروت

حيث يبلغون نحو ١٥٠٠ فيهم التجار المعدودون· ولليهود جمعية كبيرة مركزها في لندن تهتمّ باليهود أُنشئت سنة ١٨٩٦ بهمة الدكتور النمسوي اليهوديّ هرتسل فشاعت تحت اسم الصهيونية لان اخص من سعى بانشائها جمعية صهيون في النمسا· وكانت الغاية من تأسيسها ايجاد وطن للشعب اليهوديّ في فلسطين · ومذ ذاك الحين تعدّدت المؤتمرات وتوفّرت الوسائل لتوجيه اليهود من كلّ البلاد الى فلسطين فاقتنوا فيها الاملاك وانشأوا المستعمرات حتى كادت فلسطين تُعدّ كملكهم الخاص ولهم في ولاية بيروت مستعمرتهم الشهيرة في حيفا

امّا الديانة اليهودية فمعروفة من التوراة وشرائع موسى كليم الله · لكنّ كثيراً من السنن الموسوية قد أُبطلت منذ خراب هيكل اورشليم في زمن الرومان فلا مدينة لهم تجمعهم فباتوا متفرّقين بين الامم · وانمّا لهم في كل مدينة كنيس لصلواتهم وفرائضهم يرأسها ربانيون يعرفون في الشرق بالحاخامين· ولا يجوز لهم تقدمة الضحايا في هذه الاماكن طبقاً لاوامر موسى النبيّ الذي حصر بامر الله الضحايا والقرابين في هيكل اورشليم

ولليهود ما عدا الشريعة الموسوية وكتاب التوراة كتب اخرى وضعها بعض أئمتهم بعد المسيح كالتلموذ والمثنى والجمارة جمعوا فيها اقوال كبارهم فبنوا عليها سُنناً وآداباً يلزمونها كشرائع موسى والانبياء اخذوا كثيراً منها عن تقاليد الفريسيين التي اشار اليها السيد المسيح في الانجيل وكشف عن ضعف اساسها

واليهود اليوم في المعمور نحو ١٢،٠٠٠،٠٠٠ منهم في الدولة العلية نحو ٣٠٠،٠٠٠ وهم كما لا يخفى من عنصر ساميّ محض لم يختلط بعنصر آخر لحرص اليهود على الزواج في قومهم · ولغتهم القديمة العبرانية · امّا لغتهم الحديثة فمزيج من الكلدانية والعبرانية تُدعى بالسريانية الفلسطينية في زمن المسيح ثم كثر فيها الدخيل من ألسنة غيرها حسب البلاد التي سكنوها كالعربية في البلاد الشرقية والالمانية او الروسية في المانيا وروسيا · واليهود عدّة اقسام اخصها السفرديم والاشكنازيم فالسفرديم هم من سلالة اليهود الاسبانيين والبرتغاليين الذين ابعدتهم الملكة ايزابيل من اسبانية في القرن الخامس عشر وهم يتكلمون غالباً بالعربية او بالاسبانية· اما الاشكنازيم فاصلهم من روسيا والنمسا والمانيا والمجر وهولندة يتكلمون باللغة الالمانية الدارجة المختلطة بعدّة الفاظ دخيلة · وهم يقسمون الى پروشيم (اي فريسيين) وخاسيديم وفرق اخرى· هذا فضلاً عن السمرة الذين بقي منهم جيل قليل في نابلس ولا يقبلون من التوراة غير اسفار موسى الخمسة عندهم منها نسخة قديمة على رقّ سبقت عهد المسيح· والسّمرة لا يوافقون اليهود في حقيقة قيامة الاجساد

الاســلام

هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان بانَّ ما جاء به الرسول الاعظم نبينا محمد صلى الله عليهِ وسلم حق وصدق واركان العقيدة الاسلامية ستة وهي الايمان بالله تعالى و بملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليوم الآخر وبالقدر والقضاء وقد بُني الاسلام على خمس: شهادة ان لا إله إلاَّ الله وان محمداً عبدهُ ورسوله والصوم والصلاة والحج والزكاة . وان دين الاسلام هو دين التوحيد ومستند على الحق والحقيقة والذي جاء بهِ هو خاتم الانبياء عليهِ وعليهم الصلاة والسلام و يعتقد المسلمون بانهُ سبحانهُ وتعالى متصف بصفات الكمال .

انَّ القرآن المبين الجامع لاوامر الحق ونواهيه وسائر حقائقه منزل من طرف الرحمن على الشارع الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم . وانهُ اشرف الكتب السماويَّة وناسخ لها وحكمه باقٍ الى يوم القيامة وهو من اعظم المعجزات لبلوغه في الفصاحة والبلاغة حدًّا خرج عن طوق البشر. إنَّ آمال الرسول الاعظم وغاياته في دعوتهِ الى الحق والحقيقة ومكارم الاخلاق والفضائل البشرية التي ظهرت في اجتهاده وتبليغهِ في ربع قرن تتظاهر للعيان من قوله تعالى :

لقد جاءكم رسولٌ من انفسكم عزيزٌ عليهِ ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤفٌ رحيم

ويعتقد المسلمون بانَّ الغاية في هذا الدين هي السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة . وأنَّ ما أمرهم به الحق من العبادات تضمن لهم مقاصد عالية في الحاضر والاستقبال من سلامة الحال واطمئنان النفس .

الاسلام يعرّف المكلَّف بهِ وظائفه امام نفسهِ وخالقهِ وابناء جنسهِ . إنَّ ما انطوى عليهِ الاسلام من الحريَّة الدينيَّة هو قانون اجتماعيٌ مهمٌ جدًّا .

قال الله تعالى : وان تولَّوا فإنَّما عليك البلاغ والله بصير بالعباد .

وما شاكلها من الآيات الكريمة يتضح منها جليًّا مقدار بُعد الاسلام عن الجبر والاكراه . ونتأكد حريَّة النفس الشخصيَّة وقدر اهميَّتها من سائر الآيات القرآنيَّة ايضاً كآية :

وان ليس للانسان إلاَّ ما سعى .

هل لا تُفهم حقيقة المساواة الاجتماعيَّة في هذا العصر من قوله تعالى :

يا ايها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنَّكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى .

أمَّا قوله تعالى : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الارض

فهو جامع لجميع القوانين الاخلاقيَّة في الهيئة الاجتماعيَّة . إنَّ القرآن العظيم الذي بُنيت عليهِ الشريعة المحمَّديَّة جامع للاحكام المُنزلة من طرف الله تعالى الشاملة جميع النوع الانساني وهذه الاحكام باقية الى يوم

القيامة ٠حيث انها تقبل اساس تغيُّر الاحكام بتبدُّل الايام ٠ وهذا له شأن كبير في المسائل الاجتهاديَّة ٠ وقد يفهم من قول الشارع الاعظم :

الدين يسر

انَّ إرادة الحق هي عدم التشديد ونفي الصعوبة عن كل امر اعتقاديًا كان او عمليًّا في المسائل الاجتماعيَّة ٠ وكذلك ما ظهر في كل دين من الاحكام هو عبارة عن التوافق في احوال المجتمع البشري ٠

المشقّة تجلب التيسير ؛

إنَّ عمل الناس حجّة يجب العمل بها ؛

الضرورات تبيح المحظورات ؛

تُترك الحقيقة بدلالة العادة ؛

المعروف بالعرف كالمشروط باللفظ ؛

الثابت في العرف كالثابت بالنصّ ؛

العادة محكَّمة ؛

العبرة للغالب الشائع ؛

التصرّف بحسب الولاية يتوقف على وجود الفائدة ٠٠٠

وغير ذلك من احكام القواعد الكليَّة تُثبت بلا تردّد أنَّ دين الاسلام هو دين اجتماعيّ غايته السّهولة ٠

ثم انَّ المقصود من الشرائع الالهيَّة اصلاح الخلق وصلاح العالم ٠ إذ لا يمكن الادّعاء بان كل شرع جيءَ بهِ لشارعهِ بل للمشروع إليهم ٠ وممَّا امتاز به الاسلام بذل الجهد لصلاح العالم وتهذيب الأخلاق بكثير من الاحكام الاجتماعية والاخلاقيَّة ٠ وانَّ الغاية من هذا السعي في الاحكام الدينيَّة والاعتقاديَّة خلاصتُها — من الظلمة الى النور — وهذه هي البغية التي تتطلّبها البشريَّة في الحياة ٠ ويُستدلّ على هذا بكثير من الآيات البيّنات مثل قوله تعالى :

هو الذي ينزّل عَلَى عبده آيات بيّنات ليخرجكم من الظلمات الى النور ؛

ويجعل لكم نوراً تمشون بهِ ٠

وقد جاء في القرآن الكريم : الله نور السموات والارض ٠

والاسلام وضع الوحدة والتوحيد والاتحاد اساسًا لسوق الإنسان الى الجامعة الجنسيّة ٠ ويمكن ارجاع كل المسائل الدينيّة والاحكام الاعتقاديَّة تجاه الحق والنّفس والعالم الانساني الى هذه الامور الثلاثة ٠

لا يمكن إجراء الجبر والاكراه في تبليغ الدين الاسلامي ونشره كما أنهُ لا يجوز التسلّط على وجدان احد قوله تعالى :

لا اكراه في الدين

وتفهم صورة التبليغ من قوله تعالى :

أُدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ·
إنَّ شمائل الاسلام التي تتظاهر من سياق كلام الحق هي عبارة عن :
طهارة القلب ؛
حسن القصد وسلامة الطويّة ؛
الرحمة والرفق بالانسان ؛
رعاية حقوق الخلق ؛
المجاهدة في سبيل الله ؛
الايفاء بالعهود والمحافظة على الامانات ؛
مخافة الله ؛
اجتناب المنكرات ؛
الصدق في القول والعمل ؛
الجود والاحسان ؛
تمييز الحق من الباطل ؛
العدل واصلاح ذات البين ؛
حسن الظّن بالناس ؛
وما في مصاف ذلك من السّجايا العالية والمكارم الفاضلة · · ·

ان الدين الاسلامي يعتبر معرفة النفس دليلاً على معرفة الحق · ثم يترقى بها الى معرفة الآفاقيّات والطبيعيات · ولا ينكر احد وجود المناسبة بين عالم الانسان وعالم الطبيعة · والبحث عن هذه المسئلة والاهتمام بشأنها يتجلّى لنا من قوله تعالى :

أأنتم اشدّ خلقاً ام السّماء بنٰيها ؛
لخلق السموات والارض اكبر من خلق النّاس

ويفهم من ذلك أنَّ الله تعالى خلق الطبيعة وبنى تكوينها على مقاصد مهمّة · · · ثم ان للدين الاسلامي احكاماً تتعلق بالمجتمع البشري وأهمّ هذه الاحكام — الامر بالمعروف والنهي عن المنكر — ولا يوجد دين سوى دين الاسلام يكلّف فرداً بهذه الوظيفة امام الهيئة الانسانيّة · · · وانتظام العالم البشري يقضي بوجود الوسائط بين الحق والخلق لتبليغ الرّسالات الالهيّة بلا خوف من احدٍ سوى الله فيما يبلغونهُ :

قال الله تعالى : الّذين يبلّغون رسالاتِ اللهِ ويخشونهُ ولا يخشون احداً إلاّ الله ·

إنَّ الشّارع نظر في الاحكام المشروعة الى نقطة المصلحة اي المعاملات المتداولة بين الناس · وقد عرّفها الشرع بأنها — جلب المنفعة ودفع المضرّة — ولم يختلف بهذا احد من الأئمّة في زمان من الازمنة · حتى انَّ منكري الاجماع لم يتردّدوا بهذا الاصل المهمّ · إنَّ الشرع يحدّد العادة بالامور المستقرّة في

النفوس والمتكررة والمستحسنة لدى الطبع السليم ٠ والعادات التي لم يستحسنها الطبع السليم يلزم تركها وشأنها وهذا لعمري من الضروريات الدينيّة والعقليّة. وشهادة العقل مشروطة في العرف ايضاً. وانّ قسماً كبيراً من المسائل الفقهية يرجع الى اعتبار العرف والعادة وتقديرها. والشريعة الاسلامية قائلة بقابليّة تغير الاحكام المبنية على العرف والعادة ٠

ان الادلة الشرعية هي الكتاب الكريم والسنّة السنيّة واجماع الامة المحمّدية والقياس الصحيح ٠ وكان الاجتهاد ايضاً في عصر الرسول صلى الله عليهِ وسلم ٠ وقد كان اصحابه الكرام والتابعون ومن جاء بعدهم من الائمة المجتهدين يعملون بالقياس في مسائل كثيرةٍ لم يرد النصّ بها ٠ ومن هذا يظهر جليًّا مقدار سعة احكام الشريعة الاسلامية ٠٠٠ الغاية في كلّ شيءٍ السهولة — ترك العسر لليسر — تلك قاعدة مهمّة في الدين الاسلامي ٠ قال الله تعالى :

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر٠

وجاء في صحيح البخاري :

ان الدين يسر ؛ خير دينكم اليسر ٠

و يأتي بعد النصّ والحديث اصل اجماع الامّة ٠ وذلك دليل شرعي مهم وهو عبارة عن اجماع مجتهدي الامّة في اي عصر كان على امر ديني اجتهادي يحصل به ما لم يكن قبل وهو لا يقبل النسخ لانه لم يخالف النصّ. ولا ينعقد الاجماع في ما يخالف النصّ ٠ وذلك كله مبنيّ على رعاية المصلحة حتى انّ اكثر اختلافات الشرائع لم يكن ناشئًا الاّ عن تغير الازمنة ومصلحة العالم ٠ وقد مرّ ان قسماً من المسائل الفقهيّة يرجع الى اعتبار العرف والعادة وتقديرها. والفقهاء قد اعتمدوا على ذلك حتى جعلوه من جملة الاوصاف المشروطة لمن يتولّى منصب القضاء ٠ فقد شرطوا على القاضي ان يكون مقتدراً على ادراك عادات الناس ٠

وردت الاحكام في الدين الاسلامي التي تدل على عظم ماهية الانسان وعدم خلقهِ عبثًا ومن هنا نعلم مقاصد الاحكام المتجهة نحو حفظ النفس وحفظ النسل وحفظ العقل التي هي من ضروريات الحياة ٠ وبها يسلّم كل عاقل نظراً لاعتبارها من اهمّ الاحتياجات العمرانيّة والمدنيّة ٠ ومن اهمّ احكام الدين الاوصاف الاجتماعيّة والفضائل الاخلاقيّة ٠ وهذه الاحكام قرّرت وضع كل وظيفةٍ تجاه نفس الانسان وعائلته وقومه وسائر مشاركيه في البشرية على سبيل الانفراد. والرسول الاعظم بُعث لاتمام مكارم الاخلاق كما رويت عنهُ احاديث متعددة بذلك ٠ فالعقل المستنير لهُ مكانة عظيمة في مظاهر الدين ٠ قال تعالى :

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الاّ العالمون٠

ان العقل في استقراء المسائل الدينيّة واستقصاء الكمالات البشرية مطلق الحرّية في نظر الاسلام حتى ان الشارع الاعظم جعلهُ مداراً للتكليف ٠ بل الحرّية بانواعها لها قيمة كبيرة لديهِ ايضاً كحرّية الكلام وحرّية الوجدان ٠٠٠ وهذا يدلّ على الضالّة المنشودة في عالم الوجود ألا وهي الفائدة الاجتماعية والمنافع العمومية وبقاء سعادة الخلق ٠ قال الله تعالى :

واماَّ ما ينفع النَّاس فيمكث في الارض ·

وخلاصة القول أنَّ الدِّين الذي اعتبر الخلق عيال الله ودعا المسلمين الى الاتحاد كنفس واحدة وأمر بالتخلّق بأخلاق الله هو دين اشتمل على أسمى الغايات · والمسلمون يعتقدون ان الله تعالى خالق وموجد جميع الافعال وأنَّ الخير والشرَّ والنفع والضرَّ والطاعة والعصيان والكفر والايمان وكل ما يكون وما كان هو بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته وهذا انقياد عظيم وتوكل كليّ تجاه عظمة المعبود جلَّ وعلا · ومعنى الاسلام التسليم وسلامة النفس · وهذا الدين المبين اوضح سبيل الوصول الى الحقّ والحقيقة وبيّن صورة اكتساب النجاة والسّعادة في الدارين · واظهر ما يوجب الانسان المخلوق بالفطرة السّليمة ان يسعى لصلاح حاله وتهذيب نفسه · وهذا ممّا يزيد اعتماد الانسان على حسن الظنّ بذاته ويزيده اعتقاداً بكمال مكارم الحق التي لا تحصى وصفاته التي لا تستقصى كما يزيده معرفةً بنقصان كماله وفضله في وجوده وعقله · ولا شك أنَّ بهذا يتعالى الانسان عقلاً وفكراً · إنَّ مقدرات الانسان وتجلّياته عبارة عن سرور وكدر · والاحكام تجري دائماً من هذين الموردين · والحياة الانسانيّة معقودة عليهما تقرّباً واجتناباً · ولهذا عرّفنا الاسلام أسباب ما يوقعنا في الاكدار وما يجلب لنا المسرّات · ويمكن لمسلم أن يتخذ من الاحكام الشرعيّة سبيلاً لهذه الغاية باستعداد عقله وقوّة نفسه والسلام على من اتبع الهدى ·



لمحة

في تاريخ لبنان

مقدمة

انَّ جبل لبنان لم يكن في سالف الاجيال مستقلاً في حكمهِ يتولى اصحابهُ شؤونهُ على انفراد بحيث يستطاع تدوين اخبارهِ بمعزلٍ عمَّا يجاورهُ من الاقطار وانمَّا كان في صدر الازمنة الاولى غير منفصل عن سورية . ومن ثم ليس بالامر اليسير تتبُّع احوالهِ التاريخيَّة في القرون القديمة

على اننا ساعون مع ذلك في جمع شتات مآثر هذا الجبل المتفرّقة في تآليف القدماء فنرويها على غاية ما يمكننا من التدقيق . وقد اعتبرنا في هذه المقالة لبنان مع سواحلهِ ومدنهِ البحرية المعدودة سابقًا من فينيقية فانها بلا مراء لاحقة بهِ فلا يجوز فصلها عنهُ وذلك من صور ومصبّ الليطاني جنوبًا الى طرابلس وارواد وجون عكار شمالاً . ورجاؤنا من لطف القرّاء ان يغضوا النظر عمَّا يجدون من الخلل في رواياتنا عن اخبار لبنان السابقة لميلاد المسيح الى عهد دولتنا العليَّة في اوّل الفتح العثماني سنة ١٥١٦ م . ويمهد عذرنا عدم وجود تاريخ صحيح للبنان قبل ذلك وعلى الله الاتكال

١ القرون السابقة للتاريخ

لا شكَّ في انَّ فينيقية ولبنان من اقدم مواطن البشر . ولنا على ذلك عدَّة ادلَّة : منها مركزها الطبيعيّ في قلب العالم القديم فأصبحا منتابًا للأمم ومشرعًا للشعوب وملتقىً للطرق والصلات بين واديَي النيل والبحر المتوسط الى العراق و بلاد فارس و بين جزيرة العرب وآسيا الصغرى وقد ثبت بالاستقراء ان هذه الاقطار كانت اوّل مهد البشرية . ومنها اعتدال المنطقة الجوّية في لبنان وسواحلهِ حيث يتيسر لسكانهما النجاة من نفحات البرد القارس ومن لفحات الحرّ المحرق باستيطان شواطئ البحر شتاءً او بحلول مشارف الجبل صيفًا دون كلفةٍ عظيمة . ومنها ايضًا جوار البحر فيجد الآدميّ في مياهه ما يحتاج اليهِ للمعاش باصطياد اسماكهِ فضلاً عمَّا يجديه من المنافع لمعاملاتهِ التجارية بركوب السفن وتجشّم الاسفار للبلاد الدانية والقاصية

وهذه الادلة النظرية اخرجها قدماء الشعوب الى حيز الوجود حتى في الاطوار السابقة للتاريخ البشري . لنا على ذلك شواهد ناطقة فيما خلفوهُ لنا من الآثار ألا وهي ضروب من الظرّان او حجارة الصوّان ممَّا عمدوا اليهِ قبل معرفتهم للحديد واشتغلوهُ على هيئات شتى فاصطنعوا لحاجاتهم عدَّة ادوات استعانوا بها لتحصيل قوتهم واستحضار ملابسهم وردّ هجمات عدوّهم . وقد مرَّ في وصف آثار لبنان ما يوقفك على محطّاتهم الظرّانية

نحت الظران وصقلهِ في طول سواحل فينيقية وفي عدَّة امكنة من الجبل فعليك بها ٠ وكذلك رجّحنا كون تلك القبائل انما كانت من سلالة كنعان بن حام ثم من الآراميين الاوَّلين

٢ لبنان في مبادئ الطور التاريخي

لو أعرنا سمعنا الى التقاليد الفينيقية القديمة التي جمعها سَنكُنْ يَتُن المؤرخ البيروتي في القرن الرابع قبل المسيح ونقلها عنهُ فيلون الجُبَيلي واسطفان البوزنطي واوسابيوس القيصري لزعمنا انَّ التاريخ اللبناني يبتدئ مع تكوين البشر الاوَّلين لا بل سبق عهدهم اذ تجد في هذه الاساطير روايات غريبة ترقي اصول مدن سواحل الشام الى الآلهة وخصوصاً جبيل و بيروت وصيداء وصور ٠ فدونك مثلاً ما رواهُ سَنكُنْ يَتُن عن بيروت وقس عليه بقية مدن فينيقية قال : « انَّ الاله ايل او عليون وهو اوَّل ملوك جبيل تزوَّج الإلهة بيروت قرينتهُ ثم بنى مدينةً فدعتها زوجتهُ بيروت باسمها (في الفقرة الثانية من تاريخه العدد ٨) ٠ وقال الشاعر نونُّس في قصائد الاله ديونيسيوس (Dionysiaques XLI : 67, 91) ان بيروت اوَّل مدينة بناها الاله ايل بنفسه وهي وحدها أُنشئت قبل سائر مدن المعمور وتقدمت الاله فايتون (اي الشمس) الذي يستعير القمر من ضوئه ٠ ثم اردف سَنكُنْ يَتن قائلاً : ان ايل اهدى بيروت اله البحر بوصيدون (المدعو عند الرومان نبتون) مع الجبابرة المعروفين بكبيري (Cabires) الذين اخترعوا فن الملاحة ٠ فناهيك بهذه النصوص روايات فريَّة مختلقة يلوح زورها لكل ذي بصيرة ٠ وانما يجوز ان نستخلص منها فائدة تاريخية راهنة ألا وهي قدم التمدُّن والعمران في سواحل لبنان ان لم نقل عن هضابهِ ومشارفهِ

وبديهي ان طور التاريخ الصحيح يبتدئ بعد الطوفان وتفرُّق الامم ٠ ولم يكن يعرف العلماء سابقاً قبل توراة موسى الكليم والاخبار التاريخية المدوَّنة في اسفارهِ الخمسة آثاراً اخرى يُستند اليها ٠ الا ان القرن التاسع عشر استنبط منها ينابيع جديدة واستخرج من قلب الارض خزائن ثمينة لا تحصى عدًّا كانت مدفونة في العراقين العربي والعجمي وفي انحاء مصر بعضها منقوش بالالوان الزهية وبعضها مرقوم في الآجر مطبوع فيها ٠ فلم يزل يعمل ارباب البحث فيها نظرهم حتى تمكنوا من حل رموزها فجاءت مضامينها مثبتة لاخبار موسى النبي موسّعة لنطاقها الى حدود بعيدة لم تكن تخطر على بال

ففي هذه الآثار قد ورد لاوَّل مرَّة اسم لبنان في الكتابات المسمارية على صورة لبنانو بمعنى الجبل الابيض لما كان يكسو قممهُ من الثلوج الغراء وهو يومئذٍ اعلى منهُ اليوم بنحو ٢٠٠ ذراع كما بيَّنهُ الجيولوجيُّون ٠ وقد رُوي اسمهُ في الكتابات الهيروغليفيَّة في مصر على صورة لمنو ولبنانو

ويؤخذ من اخبار ملوك الكلدان الاوَّلين المنقوشة في بلاد بابل بالخط المسماري ان اولئك الملوك غزوا غير مرَّة القبائل الساكنة في سواحل الشام في الالف الثالث قبل المسيح وبسطوا عليها سيطرتهم طول زمن عزّهم ٠ ولمَّا ضعف سلطانهم وانتقض حبلهم انتهزت الفرصة عشائرُ الكنعانيين والآراميين وكانوا يسكنون اوَّلاً السهول المجاورة لخليج العجم فتقدموا الى الغرب يزاحم بعضهم بعضاً حتى ادَّى بهم المسير الى شمالي

سوريّة فسكنوها ثم انقسم منهم فرعٌ توغّلوا في المسير حتى بلغوا سواحل البحر المتوسط وغلبوا اهلها عليها وذلك في القرن العشرين قبل الميلاد فاستوطنوا خصوصاً القسم المعروف بفينيقية وهو الساحل البحري الواقع ما بين اللاذقيّة وصور. وهذا علَم اشتقّوهُ من اسم بعض تلك القبائل التي كان المصريّون يدعونها بالفونية (Pouanilt, Pœni, Puni) ثم دعاهم اليونان فونيقيين او فينيقيين واطلقوا على بلادهم اسم فينيقية فزعم بعض الكتبة ان معناها بلاد النخل ظنّاً منهم ان اللفظة يونانية اصلها (فوينيكس) وهي النخلة وقالوا دُعيت بذلك لكثرة نخلها

ثم نمت تلك القبائل وتفرّقت واتخذت لها المستعمرات على طول الساحل اللبناني كسلسلة متواصلة وقويت شوكتها وصارت كلٌّ منها شبه مملكة صغيرة مستقلة بالحكم والتدبير عن سواها . واشتهرت بين هذه الممالك مملكة ارواد ومملكة جبيل ومملكة بيروت ومملكة صيدون ومملكة صور. والمرجَّح ان الجُبَيْليين هم الذين تقدموا الى الجنوب فبنوا اولاً مستعمرة بيروت قبل صيدون وجعلوها مملكة متاخمة لمملكة جبيل كان طولها يبلغ من الشمال الى الجنوب ٣٦ كيلومتراً تنحصر حدودها بين نهري الكلب والدامور اما عرضها فكان معدّله لا يتجاوز عشرة كيلومترات من شاطئ البحر الى سفح الجبل

على ان تعدُّد هذه الممالك الساحلية مع صغرها كثيراً ما فرّق كلمتها ودعاها الى المخاصمات ومحاربة بعضها لبعض فان التاريخ القديم يذكر انّ الصيدونيين سعوا غير مرّة الى قهر سلطة اهل بيروت واستعبادهم فردّهم البيروتيّون خاسرين. وقد جرت مثل هذه المنازعات بين صور وصيداء

٣ لبنان وفينيقية تحت حكم فراعنة مصر

وكان على تلك الممالك الصغيرة خطرٌ اعظم من جانب الدول الكبرى التي كانت تحاول تقسيم كلمتها لتجعلها يوماً غنيمةً باردة . وكان اول من طمع في فينيقية في القرن السادس عشر قبل المسيح الفراعنة ملوك مصر فزحفوا اليها في عهد السلالة الثامنة عشرة تحت قيادة ملوكهم تحوتمس الاوّل وساتي الاوّل وتحوتمس الثاني ورعمسيس الثاني وتحوتمس الثالث فلم يزالوا يدوّخون بغاراتهم المتناوبة كلّ انحاء الشام وهم يدعونها بكتاباتهم « خارو » حتى كسروا شوكتها واستولوا عليها الى نواحي الفرات . وصارت فينيقية ملحقةً بمصر يسوسونها بعمّال وطنيين يدعونهم خزانو فيجبون الجزية للفراعنة ويحفظون التخوم من غارات الاعداء ولا سيما الحثيين المالكين على الثغور الشماليّة والشماليّة الشرقيّة ويصرفون عنايتهم الى تجهيز السفن وتعميرها لخدمة مواليهم

وهذه الفوائد التاريخية قد اطلعتنا عليها المكاتبات المكتشفة في عهدنا في بلاد الفيّوم في مكان يعرف اليوم بتلّ العمارنة في الصعيد. وهي رسائل سياسية كان امراء المدن الفينيقية يكتبونها بلغتهم بالقلم المسماري فيرسلونها الى الفراعنة وكان للفراعنة تراجمة يفسرونها لهم. وقد وجد منها عدد وافر تسابق علماء العاديّات لنشرها. وكلها مكتوبة في عهد الملك امينوفيس الثالث وامينوفيس الرابع ابنه فأُودعت في جملة سجلاّت

المملكة وبقيت مطمورة الى ان اتاح الله بظهورها الى النور على يد بعض الفلاحين في وادٍ جنوبيّ مدينة المنيا ومنها يؤخذ انّ الفراعنة كانوا اقاموا على فينيقية ولبنان ولاةً يُدعى احدهم كرب ادّى وكان مقامهُ في جبيل يذكر في مراسلاتهِ الى الفرعون ان الحثيين يتهددون فينيقية ويطلب منهُ النجدة للدفاع عن حمى البلاد · ويكرّر هناك ذكر السفن التي يُعنى بإعدادها من غابات لبنان · ومما يصف في كتاباتهِ مدينة بيروت فينعتها بالبلدة المنيعة وبالفُرْضَة البحرية المهمة ويذكر سفنها وبوارجها الحربية التي سارت الى بلاد امُّوري فظفرت بها

ومن جملة تلك المراسلات رسالتان لعامل الفرعون على بيروت يفيد سيّدهُ انهُ خرج لمحاربة اعداء الدولة بخيلهِ ورجلهِ وعجلاتهِ وانهُ ردهم على اعقابهم · وفي كلامهِ دليل باهر على مناعة بيروت في ذلك الزمان وعلوّ مقامها ورقي تجارتها وسعة ثروتها

وفي المتحف البريطاني في لندن اثر آخر يرقى عهدهُ الى السلالة المصرية الثانية عشرة وهو عبارة عن وصف رحلة لاحد المصريين باشر بسياحة الى انحاء الشام فوصف المدن التي وجدها في طريقهِ مبتدئاً بالمدن الداخلية منتهياً الى حلبون وهي حلب ثمّ عرّج على المدن الساحلية وذكر منها جبيل وبيروت وصيدون وصرفند · وهو اوّل اثر ورد فيهِ اسم بيروت

ومَن دقّق النظر في هذه الكتابة وعرضها على غيرها من الآثار المصرية والاشورية القريبة من عهدها يتحقّق ان فينيقية كانت مذ ذاك الحين راقية في معارج التمدّن واسعة العمران · والمصريّون يعددون لها نحو ١٤ مدينة · وقد اتّسعوا في ذكر جزيرة ارواد ووصف اهلها المدعوّين بالزاهي الساكنين في جزيرتهم الحصينة مع قسم منهم يسكن البرّ الموازي للجزيرة ويصفونهم بالبأس وشدّة المراس ويثنون على حذقهم في خوض البحار ويذكرون دينهم للالهة عشترت ولبعل ارواد الذي كان شلوهُ انساناً واسفلهُ سمكاً كالاله الفلسطينيّ داجون

ومما ذكروا من مدن فينيقة مراث اي عمريت وانترادوس اي طرطوس وقرنة وهي قرنون شمالي طرطوس وعرقة · ثم ذكروا بين عرقة والبترون مدينة سياني وهي مجهولة ثم محلّات وكايز وميزا والمظنون انها المدن الثلاث التي كانت تتألف منها طرابلس · ثمّ البترون ووجه الحجر المشرف عليها المدعو في الفينيقية فانيل اي وجه ايل · وفي رسالات تل العمارنة تُدعى البترون بطرون وجبيل جوبلو وبيروت بريت وصيداء صيدون وصور زورو وعكّاء عكو · ومعنى زورّو الصخرة اشارة الى مدينتها المبنية في البحر على صخر اصمّ واسم نهر القاسمية في الآثار المصرية نزانا · وذكرت الآثار الاشورية بيزيتي وهي عين زيتون فوق صور

فمن تعداد هذه الاسماء مذ ذاك العهد القديم يلوح لذوي الاعتبار ان فينيقية كانت من جملة البلاد العامرة مع رتوعها في ظل الدولة المصرية · وكان جبلها الممتدّ في شرقيّها كسور منيع يصونها من غارات الامم الداخلية كما انّ البحر كان يجعلها في مأمن من جهة الغرب لولا ان الحثيين شمالاً كانوا يضمرون لها الشر طامعين في خيراتها

وكانت جبيل وصيداء قد امتازتا بطاعة فراعنة مصر على خلاف غيرها من مدن فينيقية الساحلية التي حاولت غير مرّة خلع النير المصري كالارواديين والسّمريين فجازاها الفراعنة ببعض الامتيازات والانعامات التي مهّدت لها سُبل الرقي والثروة. ومن ثمّ نرى لهاتين المدينتين نهضة جعلتهما في مقدمة مدن فينيقية. فصار اهلها يستفرغون كنانة الجهد في توسيع نطاق تجارتهم برًّا وبحراً فاصبحتا بعد قليل غنيّتين راتعتين في بحبوحة الهناء ولا سيما صيدون التي فازت بسيادة البحر

والآثار القديمة تشهد كالتاريخ على رفعة مقام صيدون وسيطرتها في عهد السلالات المصرية الثامنة عشرة الى العشرين. فانّ الصيدونيين توجهوا بسفنهم الى كل البلاد الواقعة في جوار البحر المتوسط حتى اقصاها فتاجروا مع اهلها وان ساعدتهم الاحوال احلّوا فيها بعض مواطنيهم لينشئوا فيها معامل للمتجر او مستعمرات كانت تغنيهم بمعاملاتها التجارية مع الوطنيين. والى الصيدونيين يعود الفضل في تعدين مناجم الذهب والفضة وفي شغل النحاس والحديد. ولعلهم اوّل من نفذ في مضيق الدردنيل وتوغلوا الى سواحل البحر الاسود. ومذ ذاك الحين اخذ الفينيقيون بنشر الحروف الهجائية التي تُعرف باسمهم وبفضلها شاعت الكتابة

ولما دخل العبرانيُّون ارض الميعاد لم يتعرض لهم الصيدونيون فكانت المعاملات بين الامتين سلمية

وقد دامت سيادة صيدون على سائر مدن فينيقية نحو اربعة اجيال اعني من القرن السابع عشر الى الثالث عشر قبل المسيح. وهي في هذه المدة جارية على ولائها لملوك مصر تخدمهم بسفنها التجارية ومراكبها الحربية. وقد تحقق ارباب العاديات المصرية ان الاساطيل التي ورد ذكرها في كتابات الفراعنة وساعدتهم على قهر اعدائهم انما كانت منشأةً في سواحل صيداء يديرها ملاّحوهم ذوو الخبرة في كل فنون النقابة البحرية

على ان صفاء عيش الصيدونيين تكدّر في اواسط القرن الثالث عشر قبل المسيح بغزوة احد ملوك الاشوريين لفينيقية ولبنان نريد به الملك اشورنزيربال الذي قدم من بابل لمحاربة الحثيين وبلغ سواحل الشام فضرب على مدنها الضرائب. قال في احدى كتاباتهِ المسمارية المكتشفة في القرن الاخير: «ثمَّ تملكتُ جوار لبنان وقصدتُ بحر فينيقية العظيم وزرتُ على مشارف الجبال هيا كل الآلهة العظام فقدمتُ لهم القرابين والضحايا ثم قبلتُ ضرائب ملوك البلاد كصور وصيداء وجبيل وارواد التي في البحر فأتوني بكوسهم من فضة وامرب ونحاس وآنية حديدية ومنسوجات ارجوانية وغيرها ومن خشب الصندل وغيره وكلهم خضعوا لدولتي»

وانما هذه الغزوة لم تكن في سماء اهل صيدون الا كسحابة صيف فما لبثت ان انقشعت فرجع اشورنزيربال الى بلادهِ مكتفياً بما نالهُ من الضرائب راضياً بمجاملة الفينيقيين لشخصه وخضوعهم الموقت لدولتهِ. لكنَّ خطراً آخر كان يتهدد مدينة صيدون لم تحسب لهُ حسابًا دهمها وهي في اوج رفعتها فكاد ينفيها من عالم الوجود

٤ لبنان وفينيقية في عهد الفلسطينيين

كانت في جنوبيّ صيداء على مرحلة منها مستعمرة فينيقيةٌ اخرى آخذة في النموّ في القرن الخامس عشر والرابع عشر قبل المسيح تدعى تيروس اي صور لحلول اهلها على صخور شبه جزيرة وجدوها هناك فحصّنوها بسور عالٍ ذي حجار ضخمة وكانوا ينسبون اصل مستعمرتهم الى الاله ملكرت اشتهر الصوريون بعبادته وانشأوا له هيكلاً فخماً اتقنوا بناءه فأضحى مقصداً لسكّان الاصقاع المجاورة

وفي تلك الاثناء كانت قبائل من جزيرة كريت قد اعتادت فنّ الملاحة وبلغها ضعف سلالة ملوك مصر العشرين فركبت سفنها وتقدّمت الى سواحل الشام الجنوبيّة فاحتلّت عسقلان دون معارض. ومن تلك العشائر امّة الفلسطينيين الذين بهم دُعيت البلاد الواقعة بين مصر وسواحل الشام. ثم اطمع هذه القبائل فوزها فتشوّقت الى غزو مدينة صيدون رغبةً في امتلاك ثروتها العظيمة فاخذ الفلسطينيون يستعدّون لهذه الغاية فأنشأوا السفن الكبيرة وشحنوها بالمقاتلة ثم ساروا نحو صيدون فباغتوا المدينة في حين غفلة اهلها عنهم وهجموا عليهم كالاسود الكواسر واعملوا السيوف فيهم ودمّروا المدينة بعد ان نهبوا كل غناها ورجعوا الى عسقلان غانمين ظافرين وذلك نحو السنة ١٢٠٠ قبل المسيح. وكانت تلك الضربة قاضيةً على صيدون أخمَلتها بالدقعاء لمدّة نحو مائتي سنة

على انّ كثيرين من اهل صيدون تمكّنوا من الفرار ونجوا من سيف الفلسطينيين فالتجأوا الى مدينة صور فرحّب بهم الصوريون وضمّ اهل صيداء قواهم الى اهل صور لتعزيز مدينتهم وترقية شؤونها فما عتمت صور حتى قامت مقام صيداء وبلغت من العزّ والثروة ما كانت نالتهُ جارتها وفي غضون ذلك شيّد الصوريون مدينة ثانية في البرّ عُرِفت باسم باليتيروس اي صور القديمة لانهم كانوا سكنوها مدّةً قبل تشييدهم للمدينة البحرية. وقد عُني اهل صور بالتجارة وانشاء المستعمرات وخوض البحار كالصيدونيين وأُنسوا بكل آدابهم. واوصلوا مدينتهم البرّية بالجزيرة البحرية واتخذوا لهم مرفأين جنوبّاً الى جهة مصر وشمالاً الى مدن فينيقية وقيليقية وقبرس ومن مستعمراتهم العظيمة مدينة قرطاجنة على سواحل افريقية التي لم يقوَ عليها الرومان الا بعد الحروب الطويلة. وقد اهتمّ اهل صور بابتناء الاساطيل الحربية وتجهيز الجيوش وجاروا الصيدونيين في تعدين المعادن وصبغ الارجوان ونشر الكتابة المبنية على حروف الهجاء

وفي العشر الثاني من هذا القرن الثاني عشر نحو السنة ١١٠٠ ق م جاء ملك آخر من ملوك اشور الى بلاد الشام وهو تغلث فلاسر الاول فجدد غزوة اشورنزيربال وقطع مع جيشه اواسط سورية ثم صعد الى لبنان دون ان يجسر احد على معارضته ثم نزل الى ساحل فينيقية وركب سفن اهل ارواد ترويحاً للنفس فاصطاد بيده دلفيناً قتله. وبلغ خبره رعمسيس الثالث ملك مصر ففضّل موالاته على محاربته وارسل اليه هدايا كان من جملتها تمساح وفرس بحر فانكفأ ملك اشور الى بلده قرير العين راضي الخاطر دون ان يلحق باهل صور من مجيئه اذى يُذكر

وساعد نموّ صور وترقيها انّ ملوك مصر خافوا بعد حين من تحمس الفلسطينيين وجسارتهم فناجزوهم القتال وذلّلوهم فزادت صور بذلهّم سطوةً . ثم صار الملك فيهم لرجال ذوي حزم احسنوا رعاية شعبهم ذكر منهم التاريخ حيرام الاول الذي طلب منهُ داود النبي ملك يهوذا واسرائيل ان يرسل اليهِ مهندسين عالمين بفنّ البناء ليشيدوا لهُ بلاطاً في مدينة صهيون . ثم خلفهُ ابنهُ ابيبعل الذي عاش مع داود بوداد مبتهجاً بانتصاراتهِ على الفلسطينيين اعدائهما معاً

وكان ابنهُ حيرام الثاني معاصراً لسليمان بن داود ملك من سنة ٩٧٨ ق م الى ٩٤٤ وقد ذكر سفر الملوك واخبار الايام صداقتهُ لسليمان وما ارسلهُ اليهِ من الصنعة لبناء هيكل اورشليم مع ما لزم لذلك من اخشاب لبنان وارزهِ وكذلك ورد هناك ذكر اتفاق الملكين في بعثة بحرية الى بلاد اوفير قال (في سفر الملوك الثالث ف ٩ع٢٦ — ٢٩): « وبنى الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب ايلة عند شاطئ بحر القلزم في ارض ادوم فارسل حيرام عبيدهُ في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاّحين عارفين بالبحر فأتوا اوفير واخذوا من هناك ٤٢٠ قنطاراً من الذهب واتوا بها الى الملك سليمان » وقد اشتهر حيرام هذا بأبنيتهِ وقصورهِ التي شيدها في عاصمتهِ فاضحت صور من اجمل المدن . وجدد بناء هيكل ملكرت بعد مرور الف سنة على بنائهِ الاول واقام هيكلاً آخر للالهة عشترت

وممّا روى سفر اخبار الايام الثاني عن سليمان (٨ : ٦) انهُ شيّد لهُ ابنيةً في لبنان سواءٌ قيل انهُ حكم على قسم من هذا الجبل او انّ ملك صور اهداهُ فيهِ بعض الاملاك

ثم ملك بعد حيرام ابنهُ بلعازر سبع سنين ثم حفيدهُ عبد عشترت تسع سنين فتآمر عليهِ بعض ارباب الدولة واغتالوهُ فصارت امور صور في اسوإ حال وغزاها الفرعون شوشنك فتفاقم صدعُها ولم تصلح احوالها الا بعد ان قام احد كهنتها المدعو ايتوبعل سنة ٨٨١ فجلس على تخت الملك وتولّى تدبير المدينة واعاد اليها نظامها واحيا مَوَاتها وايتوبعل هذا هو الذي صاهر ملك اسرائيل احاب فقرنهُ بابنتهِ ايزابل التي نشرت دين البعل بين اسباط اسرائيل العشر في عهد ايليا النبي وشيّدت الهياكل لمعبودها وامرت بقتل الانبياء وملك ايتوبعل ٣٢ سنة وينسب اليهِ البعض بناء مدينة البترون وقد سبق ان البترون كانت قبل عهدهِ بدليل ذكرها في الآثار المصرية القديمة

وفي تلك الاثناء كان الصيدونيون عادوا الى حاضرتهم وجددوا ابنيتها واحيوا مواتها وسعوا بنشاط عظيم الى ترويج صنائعها وتجارتها حتى اضحت مدينة عامرة زاهية كما كانت قبل خرابها

٥ لبنان وفينيقية تحت حكم الاشوريين

وفي هذا القرن التاسع قبل المسيح نشأت الدولة الاشورية الثانية في العراق وحارب ملوكها ملوك نينوى ففتحوا حاضرتهم وابطلوا ملكهم فعزّت بابل واخذ ملوكها يطمحون ببصرهم الى البلاد المجاورة فاغاروا عليها ثم ساروا بجيوش جرارة الى محاربة الحثيين فذللوهم

ثم قام سلمناصر الثاني (٨٦٠—٨٢٥ ق م) فجيش الجيوش وحارب ملوك الحثيين والآراميين واجاب ملك اسرائيل وحزائيل ملك دمشق فكسرهم في ثلث غزوات فتحت له الغزوة الاخيرة طريق فينيقية ولبنان فجاءه اهل صور وصيداء وياهو ملك اسرائيل بالجزية صاغرين

وجرى على مثلهما خلفهما هدد نيراري الثالث (٨١١ — ٧٨٣ ق م) فقهر الحثيين وانتصر على صيدون وصور وعلى عمري ملك اسرائيل . وتوالت الضربات على بلاد الشام وعلى فينيقية في عهد سلمناصر الثالث (٧٨١ — ٧٧٢) ثم اشوردان الثاني (٧٧١ — ٧٥٤) ثم تغلت فلاسر الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧) الذي يذكر في كتاباته انتصاره على رزين ملك دمشق ومناحم ملك السامرة وحيرام ملك صور وسبتيبعل ملك جبيل . ثم تكررت هذه الغزوات في ايام سلمناصر الرابع وسرغون وسنحاريب واسرحدون الى عهد نبوكدنصر الثاني (٦٠٦ — ٥٦٢ ق م) الذي فتح اورشليم واحرق هيكلها كما انه كسر شوكة ملوك آرام وسواحل الشام بعد ان حاولوا مراراً خلع نير الاشوريين عن عناقهم

وكان هؤلاء الملوك يقصدون خصوصاً مدينتي صيداء وصور لغناهما ومناعتهما . فان سلمناصر الثاني ثم سلمناصر الرابع سنة ٧٢٧ ق م ضربا الجزية على اهلها . ثم ذلها سنحاريب سنة ٧٠١ . ثم قصدها اسرحدون ففتحها عنوة سنة ٦٧٦ وقتل ملكها عبد ملكرت مع كثيرين من اهلها وجلا الباقين الى بلاده وغير اسم صيدون فدعاها عير اسرحدون اي مدينة اسرحدون . ثم عادت بعد ذلك الى عمرانها لكن نبوكدنصر الثاني قهر سطوتها بعد ان مات نصف سكانها بالوباء فتمت فيها نبوة حزقيال (٢٨ : ٢٠—٢٣) : « يا ابن البشر اجعل وجهك نحو صيدون وتنبأ عليها . . . هكذا يقول الرب هاءنذا عليك يا صيدون . . . وألقي فيها الوباء والدم في شوارعها فيسقط القتلى في وسطها بالسيف الآتي عليها من كل جهة »

اما صور فانها كانت امنع مقاماً واحرز موقعاً في قلب البحر فاكتفى ملوك اشور بوضع الضرائب عليها . لكنها ابت الخضوع لسلمناصر الرابع لما زحف الى سورية واخضع سواحل فينيقية فحاصرها سنين عديدة دون ان يقوى عليها . وكذلك سرغون خلفه (٧٢٢ — ٧٠٥) عجز عن فتحها فصالح ملكها أولي على مال يدفعه لملوك اشور . ولما خلف سنحاريب اباه سرغون لم يشأ أولي دفع تلك الضريبة فانقض سنحاريب كالعقاب الكاسر على صور واسعده الحظ في فتحها فاعمل السيف في اهلها واشبع جيشه من غنائمها . وبقيت صور مقهورة الى ايام نبوكدنصر الثاني حيث عمدت الى العصيان وكانت اساطيلها لا تزال عامرةً وتجارتها البحرية زاهيةً زاهرة . فسار اليها نبوكدنصر وحصرها مدة ثلاث عشرة سنة الى ان قطع نظامها واباح ذمارها . وقد وصفها حزقيال وصفاً غاية في البلاغة والدقة وقابل بين عزها التي هي عليه وذلها الذي ستصير اليه كما اوحى الله اليه به . وذلك في ثلثة فصول مطولة (ف ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) لم يكد يضاهيها قلم كاتب قديم

وقد سبق في فصل الآثار ذكر ما خلفه الاشوريون من المآثر في لبنان من رسوم وكتابات عند مضيق نهر الكلب وقريباً من نهر قب الياس وفي جبل اكروم ووادي بريسا فضلاً عن نواويس واعلام قرى تشهد على فوزهم بهذا الجبل كما ثبت ايضاً من وجود اخشاب الارز اللبناني في قصورهم ومبانيهم في بابل واشور

٦ لبنان وفينيقية على عهد الفرس

انتهت دولة البابليين بدخول قورش الى بابل وقتل ملكهم باشصّر سنة ٥٣٨ ق م فصارت الولايات الخاضعة لملوك بابل في عهدة الفرس فاجتهد قورش في تأليف قلوب اهل تلك الولايات لاسيما سوريّة وفينيقية واطلق الحرّية لمن اسرهم نبوكدنصّر من الصور يين فعادوا الى مدينتهم واخذوا يستدركون امورها ويسعون في اصلاحها. ثم ارسل قورش وملوك الفرس من بعده عمّالاً من قبلهم لتدبير اهل سوريّة وسواحل الشام وحفظ البلاد تحت نواميس الفرس وجباية الاموال. بل رأى قمبيسس الملك ابن قورش (٥٢٩—٥٢١) انّ في نقابة الفينيقيين البحريّة وسائل عظيمة تمكنهُ من فتح المدن الساحلية في آسية الصغرى والاستيلاء على بلاد اليونان وجزائرهم فحملهُ ذلك الى ان يخوّل الفينيقيين امتيازات خاصة وانعامات سابغة اعانتهم على توفير سفنهم وتجهيز عمائرهم . فكان هذا التساهل داعيًا لرقيّ المدن الساحليّة في فينيقية حتى بلغت الصناعة والتجارة فيها مبلغًا رفيعًا

وقد تكرّر في تاريخ ملوك الفرس لا سيما في عهد داريوس المادي (٥٢١ — ٤٨٦ ق م) ذكر مآثر الاساطيل الفينيقية في حروبهم البحريّة مع جزيرة قبرس واصقاع اليونان ومصر فيُروى انّ مقاتليها وملاَّحيها أبلوا بها البلاء الحسن. وقد اطنب المؤرخون في وصف سفن الفينيقيين وحسن صنعها وعددها الوافر حتى انها بلغت في بعض الوقائع نيفًا وستمائة سفينة حربيّة . وكان كثير من هذه السفن تزيد على مئة ذراع طولاً يبلغ بعضها ثلاثًا بل خمس طبقات مجهَّزة بالاسلحة التامَّة والذخائر الوافرة

ومن شهادات التاريخ للملاحي فينيقية في ايام دولة الفرس ما رواهُ هيرودوتوس المؤرخ (ك ٧ ع ٤٤) عن ارتحشتا (كسركسس) الملك انهُ اراد اختبار حذاقة نوتيّي البحر المتوسط فاستدعى بملاَّحي البلاد الساحلية لسباقٍ عظيم تسابقت فيهِ نحو ١٢٠٠ سفينة لامم مختلفة فكان الفائزون الصيدونيين فلم يشأ بعد ذلك ان يركب غير سفنهم

وبقيت فينيقية على ولائها لملوك فارس الى اواسط القرن الرابع قبل المسيح يذكر في غضونها مؤرخو اليونان ازدياد قوّة صور البحرية ورقي صيداء في معارج الفلاح والمجد ما اصَّل في قلوب اهل فينيقية حبّ الدولة الفارسيّة . ولمَّا اضطربت احوالها وانتكث حبلها فثارت عليها الولايات الخاضعة لها تطلب الاستقلال وتجاهر بالعداوة على الفرس استمرَّت فينيقية خاضعة لهم الى ان تحقق ضعفهم عن حمايتها وانتشار المظالم من قبل اربابها فتعاهد الفينيقيُّون على خلع طاعة الفرس واستعدُّوا لمحاربة ارتحشتا الثالث المسمَّى اوكوش والمعروف بالظالم (٣٦٨ — ٣٣٢) وكانت صيداء في مقدَّمة العُصاة على الفرس . فسار ارتحشتا الى فينيقية وساعدهُ على فتح صيداء احد اعيان الفينيقيين المدعوّ تبناس لينتقم من اهلها فدخلها واحرقها فمات فيها بالنار ٤٠،٠٠٠ من اهلها رموا انفسهم بلهيبها لينجوا من ايدي ارتحشتا بعد ان القوا في النار كلّ كنوزهم

٧ فينيقية ولبنان في زمن اليونان

لم تطل مدة الفرس بعد حملتهم هذه الى فينيقية حتى تقوّى في اليونان عنصر المكدونيين وقام فيهم رجل ذو بأس وسطوة الا وهو الملك فيلبوس بن امنتاس (٣٦٠ — ٣٣٦ ق م) الذي ضمّ الى دولته المكدونية قوى اليونان المتفرقة بعد انتصاره عليها، ثم وليَ في الملك ابنه الاسكندر (٣٣٦ — ٣٢٣ ق م) ذو القرنين فما كادت ترسخ قدمهُ في ملك ابيه حتى حشد الجنود وسار لمقاتلة داريوس الثالث المسمّى كودومان فانتصر عليه في معركتين شهيرتين في معركة ايسوس في حدود سورية وقيليقية سنة ٣٣٣ ثم في معركة اربل (٣٣١) فانفتحت امامهُ دولة الفرس ومالكها باجمعها. وكان اول فتوحاته بلاد الشام وفلسطين ولم يقم في وجهه سوى مدينة صور فحاصرها مدة اربعة اشهر وبنى سدًّا بين البرّ وجزيرتها فاخذها عنوة سنة ٣٣٠ ثم صعد بقسم من عسكره الى مشارف لبنان حيث بلغهُ ان بعض الجبليين اغتالوا قومًا من اصحابه فلم يجسر احد منهم ان يتصدى له فصارت سورية كلها في قبضة يده

لكنّ موت الاسكندر بعد مدة قليلة في بابل اضرم نار الفتن بين قواده فاقتسموا بينهم ممالكهُ وبعد منازعات عديدة صارت سورية نصيب سلوقوس الاول المعروف بنيقاطور اي الظافر الذي استبدّ بالامر واخضع لحكمه عدة بلاد سنة ٣٢٠ وانشأ دولة سورية سنة ٣١٢ ق م بعد انتصاره على القواد اقرانه. وبهذه السنة يبتدئ تاريخ السلوقيين المعروف بتاريخ اليونان. والى سلوقوس المذكور يرتقي اصل مدن كثيرة شيّدها في انحاء سورية كسلوقية المدعوَّة باسمه المعروفة اليوم بسويدية ثغر مرفإ مدينة انطاكية التي وضع ايضًا اساسها وجعلها قاعدة ملكه. وبنى ايضًا اللاذقية وافامية على نهر العاصي ومدنًا اخرى. ومات قتيلاً سنة ٢٨١ ق م اغتالهُ ضيفهُ تيرونس بن بطلميوس الاول ملك مصر فبقيت سورية تحت حكم سلالته الى الفتح الروماني سنة ٦٤ ق م

على انّ فينيقية مع لبنان لم تدخل ضمن مملكة السلوقيين الاوّلين. فانها بعد وفاة الاسكندر صارت اوّلاً حصة قائده لاوميدون ثم تملكها بطلميوس لاغوس اوّل ملوك البطالسة على مصر سنة ٣٢٠ فانتزعها من يده انطيغونس خصمهُ فالحقها بمملكته آسية الصغرى وبقيت تابعةً لها الى السنة ٢٨٧ فاستردّها بطلميوس لاغوس وضمّها الى مملكة البطالسة المصريين الذين ساسوا اهلها بحكمة وتودّدوا مدّة ٧٠ سنة (٢٨٧—١٩٨ ق م) وفي تلك الغضون عاد الفينيقيون الى حركتهم التجارية ومسابقة الامم في التجارة البحرية والاسفار البعيدة. ونهضت صور من خمولها بعد الضربة الاليمة التي اصابتها من الاسكندر. اما صيدون فانها بخضوعها للاسكندر عند مروره بفينيقية كانت نالت منهُ امتيازات خاصة بلّغتها امانيها من الثروة والمجد فزاد رقيها في عهد البطالسة

وفي السنة ١٩٨ جرت الحرب بين انطيوخوس الكبير ملك سورية وبطلميوس الخامس المعروف بالشهير فانتصر انطيوخوس وضبط ما بقي من سورية في ايدي البطالسة وتملك بلاد البقاع ولبنان وفينيقية واحسن

الى الفينيقيين ليؤلف قلوبهم فاطمأنت بالهم وسكن بلبالهم وخضعوا لملوك سورية بطيب الخاطر

وفي مدة هذا الطور السلوقي خاصة انتشر في فينيقية التمدُّن اليوناني وشاعت بين الخاصة اللغة اليونانية وتوفَّرت في لبنان وسواحله الآثار الفنية المستعارة من اليونان كالكتابات والهياكل والابنية والتماثيل والحلي والادوات الصناعية التي سبق وصفها في فصل الآثار

بل سعى اهل فينيقية بان ينالوا من ملوك سورية استقلالاً نوعيًّا لمدنهم فاخذوا يُنشئون لهم مجالس لتدبير احوالهم تحت سيطرة السلوقيين · ومذ ذاك الحين ايضًا التمسوا الرخصة بضرب النقود الوطنية المستقلة وقد وصفها الدكتور جول روفيه بمقالات مستجادة خصَّها بكل مدينة من مدن فينيقية ورسم مسكوكاتها الذهبية والفضية والنحاسية الدالة على استقلال عكا وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس وارواد وعمريت · ولهذه النقود تواريخ وطنية غير تاريخ اليونان لكل مدينة تاريخها

ومن الامور الجديرة بالذكر انه قام سنة ١٤٦ ق م رجل اسمه اسكندر بالا يدعي الملك لنفسه فنشبت بينهُ وبين الملك الشرعي ديمتريوس الثاني نيقاتور حرب عوان دافعت فيها بيروت عن حقوق ملكها بشهامة ومروءة فكان الانتصار حليفًا لديمتريوس · الا ان تريفون وزير اسكندر بالا تحزَّب بعد موت مولاه لابنه انطيوخوس السادس المسمَّى ديونيسيوس ليجلسهُ الى كرسي المملكة ويملك باسمه · ولعلمه بوفاء بيروت واهلها لملكهم اغار على مدينتهم ليثأر منهم واخرب ابنيتها وحرقها بالنار سنة ١٤٠ ق م فذهبت ضحية وفائها · الى ان تريفون نال جزاءهُ بعد قليل فغلبهُ انطيوخيوس سيداتس اخو ديمتريوس ومات طريدًا خاملاً

وقد ذهب البعض الى ان بيروت بقيت على خرابها نحو مئة سنة غير انهم خُدعوا بنصٍ ورد في كتاب الجغرافي اليوناني اسطرابون حملوه على غير معناه الصحيح وتأييدًا لرأيهم زعموا انه لم يُروَ لبيروت اثر يذكر في تلك المدة · لكنَّ الدكتور جول روفيه كشف القناع عن صحة الامر وبيَّن ان بيروت لم تبقَ على خرابها زمنًا طويلاً بل عاد اليها اهلها وجددوا بناءها لكنهم عدلوا قليلاً عن موقع المدينة المدمَّرة واظلالها الحديثة مائلين الى الجنوب حيث وجدت هناك آثار شتى كنقود قديمة وعاديَّات وقطع فسيفساء وخزفيات · والنقود المذكورة تشبه تمامًا نقود بيروت السابقة فتمثل الإلهة عشترت قائمة على مقدمة سفينة · وانما تختلف عنها بالاسم فانها بدلاً من الحروف BHR اي بيروت قد رُسم عليها ΛΑΡΗ وهو اسم آخر لبيروت يراد به لاذقيَّة فينيقية او لاذقية كنعان كما هو مرقوم عليها بحروف فينيقية وعلى رأي الدكتور المنوَّه به كان موقع هذه المدينة المستحدثة عند الخان الجديد بين وادي الشويفات ونهر الغدير على بعد نحو عشرة كيلومترات من بيروت · وأيد الدكتور روفيه رأيهُ باكتشاف اثر جديد وصفهُ في مجلة المشرق في سنتها الاولى (ص١٧) وهو وزنٌ قديم لبيروت تاريخهُ سنة ١٢٨ ق م عليه شعار المدينة واسم محتسبها المدعو نيقون ما يدل جليًا على ان بيروت لم تكن خرابًا كما زعموا بل عامرة لتعاطي التجارة كما يتضح من هذا الوزن

وفي تلك الحقبة بُنيت في لبنان والسواحل عدَّة معابد وحصون وبنايات عامرة وهياكل فخيمة كاد يظنُّ ناظرها انَّ فينيقية من جملة بلاد اليونان · وفي تلك الاثناء ايضًا ظهر في بلاد فينيقية نخبة من الرجال

شرَّفوا بلادهم بآدابهم وعلومهم كسكن يتن المؤرخ البيروتي وفيلون المؤرخ الجبيلي وكفلاسفة صور وصيداء دبُوس وتاودوطس وفيلوستراتس و بويتيوس وديودوتس الذين أنَّفوا مصنفات جليلة في اليونانية في فنون الحكمة والآداب . الاَّ انَّ اللغة الفينيقية الارامية بقيت دارجة بين العامة لا سيما في لبنان وفي داخلية البلاد

وفي اوائل القرن الاوَّل قبل المسيح ضعفت الدولة السلوقية باستسلام ملوكها الى اللذَّات ورفاهية العيش بعد الحروب الاهلية المنتشبة في ظهرانيها فرأى الاهلون من الواجب عليهم ان يدعوا نجاتهم الملك دغران ملك ارمينية وقلَّدوهُ الحكم عليهم فاذاقهم حلاوة السلام مدَّة بضع سنين قبل الفتح الروماني

غير ان الايطوريين عصوا عليه وتحصَّنوا في شمالي لبنان بعد ان ساروا الى مشارفهِ واستولوا عليها في اواخر الدولة السلوقية ورسخت فيها قدمهم الى ان اضطرَّهم بمپيوس الى النكوص على اعقابهم سنة ٦٣

٨ الرومان في فينيقية ولبنان

لمَّا حارب الرومان تحت قيادة لوكولُّس متريدات ملك بونتس التجأ هذا الملك الى دغران ملك ارمينية الذي رحَّب بهِ ووعدهُ بالمساعدة فاعلن الرومان الحرب على دغران وسار لوكولُّس بجيشهِ الى قاعدة ملكهِ نصيبين في بلاد الجزيرة ففتحها وانتصر عليهِ في واقعة تغرانوكرت . وجاء بمپيوس بجيش آخر وناهض متريدات وأوقع بعساكرهِ حتى فرَّ هاربًا وقدم عليهِ دغران خاضعًا خانعًا فاستولى بمپيوس على سورية وفينيقية ولبنان سنة ٦٤ ق م كما انهُ دوَّخ الايطوريين ودحرهم الى مواطنهم في بادية الشام وعزل انطيوخوس الثالث عشر المعروف بالاسيويّ الذي حاول بعد كسرة دغران ملك الارمن ان يخلف في ملك سورية اجدادهُ السلوقيين فلم يجسر ان يقوم في وجه الرومان . فنظَّم بمپيوس سورية في سلك ممالك رومية فصارت اقليمًا من اقاليمها يولُّون عليها عمَّالاً يدعونهم وكلاء فناصل ترسلهم العاصمة اليها وكان مركزهم في انطاكية . بيد انَّ بمپيوس تلطَّف مع مدينتي صور وصيداء وسمح لهما بتدبير شؤونهما تحت ظلّ رومية كما كانتا قبلهُ في عهد السلوقيين . فبقيتا على استقلالهما الى ايام اوغسطوس قيصر . ولعلَّ طرابلس حظيت بذلك

وكأنَّ الرومان عرفوا ما تستحقهُ بيروت من الرعاية وانها لحسن موقعها ومجايا اهلها الطيبة قابلة للرقيّ والنجاح فجعلوا عليها نظرهم واخذوا يزينونها بالبنايات الفخيمة المتنوعة . وممَّا حدا بهم الى ذلك انَّ الفينيقيين كانوا يعتبرونها كمدينة مقدَّسة خصُّوها لخدمة البعل المنسوب اليها المدعو « بعل برت » وقد اقاموا لهُ هيكلاً على الجبل المشرف على مدينتهم في بيت مري وهو هيكل بعل مرقد الذي كان يحجُّ اليهِ الناس من كلّ اوب فحسَّنهُ الرومان وزادوا في ابنيتهِ واشاعوا عبادتهُ تحت اسم جوبتير البعلبكيّ

ولما صار الامر لاوغسطوس قيصر امتعض من صور وصيداء لانتصارهما لقرنهِ انطونيوس فخصَّ دونهما بيروت بألطاف وهبات لم ينعم بها على غيرها فولَّى عليها القائد مرقس وسپسيانوس اغريبًا بعد ان تزوَّج بابنتهِ جوليا . وكان صهرهُ مغرمًا بتشييد المباني الفخيمة فاقام فيها الدور الشاهقة والقصور الباسقة وقام

بعده هيرودس الكبير ثم حفيده هيرودس اغريبا الاول ثم اغريبا الثاني فانفقوا القناطير المقنطرة لتزيين بيروت بضروب الابنية الملكيّة الدينيّة والمدنيّة معاً حتى اصبحت بيروت تجاري حواضر العالم الروماني بمحاسنها الوافرة ومشاهدها الفتّانة (راجع باب الآثار)

وفي السنة ١٥ ق م اسبغ اغسطوس قيصر على بيروت بنعمة جديدة لم ينلها الا قليل من المدن الخاضعة لرومية فميزها باسم « مستعمرة رومانيّة » وخوّل اهلها حقوق الوطنيّة ودعاها باسم ابنته جوليا . قال بلينيوس الطبيعي يذكر بيروت : « تجاور هذه المدينة نهر ماغوراس الجاري اليها من لبنان وهي مستعمرة تُدعى باسم جوليا السعيدة » وورد اسمها في النقود على هذه الصورة (Colonia Julia Augusta Felix Berytus)

وكذلك لبنان نال من فضل الرومانيين ما كان يتمنّاه وهو اليه في حاجة ماسّة من تمهيد الطرق على سواحله وفي وسط جباله وكبناء الجسور الوثيقة والمعابر فوق انهاره وتجبيز القني لجمع مياهه وتوزيعها في المدن والحقول وكصيانة غاباته من اضرار الحيوانات وجهل الحطّابين وكتأمين سكانه وسابلته من عداء المعادين بتشييد الحصون ونصب المخافر . وكل هذه الغايات قد ادركها الرومان بشدّة عزمهم ولا تزال حتى يومنا بقايا آثارهم تشهد لهم بحسن السياسة والنظر البعيد

وفي ايام اغسطوس قيصر كان مولد السيد المسيح ثم بشّر بالانجيل في ايام طيباريوس فاتاح الله لاهل صور وصيداء ان يسمعوا كلامهُ كما صرّح بهِ لوقا في انجيلهِ (٦ : ١٧) بل سار يسوع الى تخوم صور وصيداء وبشّر في ساحل بحر الشام وهناك ابرأ ابنة المرأة الكنعانيّة (مرقس ٧ : ٢٤) وقد اثبت احد كتبة مجلّة المشرق السنة ١٩٠٨ (١١ : ٨١ — ٩٢) ان السيد المسيح في سياحتهِ الرسوليّة في فينيقية قطع لبنان شرقي صيداء مجتازاً فيهِ ليذهب الى المدن العشر كما ترى في الخارطة المرسومة هناك

وبعد صعود المسيح الى السماء بزمن قليل بشّر رسلهُ في سواحل الشام وقد ورد ذلك في سفر اعمال الرسل بعد ذكرهِ لاستشهاد القديس اسطفانس قال (١١ : ١٩) : « وكان الذين تبدّدوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب اسطفانس قد اجتازوا الى فينيقية وقبرس . . . واخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع » ثم ذكر كنيسة صور ونزول بولس بين الاخوة فيها وفي عكّا وقيسريّة (٢١ : ٣ — ٧) عند رجوعهِ الى اورشليم

وفي كتاب الابحاث والميامر المنسوب الى القديس اقليميس تلميذ بطرس الصفاة وخلفهِ على كرسيه الروماني ان هذا الرسول اجتاز في بيروت لما رحل الى انطاكية وجعل عليها اسقفاً تلميذه كوارتس . وفيهِ ايضاً انهُ عين راعياً للمتنصرين في طرابلس يدعى مارون . اما جبيل فتفتخر باول اساقفتها المسمّى حنا مرقس المذكور في سفر الاعمال (١٢ : ٢١) يشهد على تسقيفه المؤرخون القدماء والكلندارات البيعية معاً . ومن المرويات القديمة ان التلميذ يهوذا مات شهيداً في بيروت . ولا يعلم هل هو الرسول اخو يعقوب ام احد السبعين تلميذاً الملقب بتداوس

فيتضح من هذه الشواهد ان النصرانية قامت منذ القرن الاول للميلاد لمناهضة دين الشرك وعبادة

الاصنام. الا ان الدين الوثني شعر بما لحق به من الفشل عاجلا او آجلا فاخذ من ثم يحتاط لنفسه لحفظ سيطرته فسعى سدنة الوثنية في تعزيز قواته والذود عن حياض آلهتهم. والتاريخ يشهد على نهضة عبدة الاصنام في سورية ولبنان في القرنين الثاني والثالث للمسيح للدفاع عن دينهم وتوسيع نطاق عبادته. فان هياكل كثيرة للاصنام ترتقي الى ذلك الزمان كهياكل بعلبك وفقرا وحصن سليمان وناوس قريباً من كوسبا وبزيزا وكان قياصرة رومية كأدريان واسكندر ساويروس ممن ينشطون الاهلين على عبادة الآلهة باقوالهم واعمالهم

لكن دعاة النصرانية لم تكسر عزمهم تلك النهضة بل زادوا نشاطاً في نشر دينهم واذ صمم الوثنيون على ان يردوهم عن دينهم بالوعد والوعيد وارهبوهم بضروب العذابات وصنوف الموت المرّ وجدوهم اصمّ من الصخور فمات كثير منهم شهداء دينهم كلاونطيوس واسپاتيوس وثاودولس الذين استشهدوا في عهد ادريانوس الملك في مدينة طرابلس. وكيليوس اللبناني الذي قتل شهيداً في فيليقيا السنة ٢٨٣ اذاقه الوالي مرّ النكال وامر بان تقطع رأسه. وفي اعتناء … لبناني الاصل من اسرة نصرانية وان اباه بريكيكوس نصراني واحد ضباط الجيش واعاد بوحنا … شهامة البيعة. وكريلينا عذراء جبيل قصف المتعصبون غصنها الرطيب فماتت شهيدة سنة ٢٩١ وليس لها من العمر سوى ١٢ سنة وكلوقيوس او لوسيان المستشهد في طرابلس ايضاً وهو المكرّم عند الموارنة باسم نوهرا اسمه سريانياً معناه النور كمعنى اسمه اللاتيني. وكارسنس الانطاكي الذي قضى عدة سنين في لبنان منقطعاً للعبادة قتل شهيداً بعد ان خرج من عزلته لنشر الدين. وكزينوبيوس الكاهن الصيداوي المتطبب نال اكليل الشهادة في انطاكية ذكره اوسابيوس القيصري كما ذكر جوقاً وافراً من الشهداء قتلوا في مدينة صور اذ لم يرضوا بجحود ايمانهم. فدماء هؤلاء الشهداء لم يذهب مطلولاً بل كان كزرع نامٍ مهّد الطريق لفوز الدين المسيحي على الدين الوثني اولاً في سواحل لبنان ثم في الجبال المرتفعة عن البحر

ومما اكسب بيروت شرفاً وفخراً باذخاً في عهد الدولة الرومانية مدرستها الفقهية التي ألفتت اليها انظار الدولة الرومانية باسرها. اما اصل هذه المدرسة فيرقيه البعض الى عهد اوغسطوس قيصر الذي جعل هذه النعمة من جملة الطافه نحو بيروت. لكن الرأي الغالب بين العلماء ان هذه المدرسة نشأت في اواخر القرن الثاني للمسيح لما صارت الدولة الرومانية في عهدة السلالة المعروفة بالسورية التي كان سبتيميوس ساويرس اول ملوكها (١٩٣-٢١٥ م) ومما لا شبهة فيه ان هذه المدرسة كانت عامرة في اوائل القرن الثالث كما روى الامر احد المتخرجين فيها القديس غريغوريوس العجائبي في اواسط القرن الثالث. وفي عهده كتب عنها احد الجغرافيين اليونان سنة ٢٣٩ للمسيح ان بيروت جامعة لكل دساتير الشرائع الرومانية

والحق يقال ان الرومان انشأوا مدارس غير مدرسة بيروت لتعليم الفقه في رومية وفي الاسكندرية وفي قيصرية فلسطين وفي اثينة ثم في القرن الرابع في حاضرة القسطنطينية وانما بيروت نالت قصبة السباق وفاقت على تلك المدارس حتى مدرستي رومية والقسطنطينية

وقد اشتهر في المئة الثانية والمئة الثالثة للمسيح فقهاء سوريون استوقفوا الى بلادهم ولاسيما على مدرسة بيروت الفقهية انظار معاصريهم منهم الفقيه الفينيقي الشهير پاپنيان واوليپيان الصوري ويوليوس بولس الحمصي فهؤلاء الثلاثة بلغوا ذروة المجد بعظم فضلهم وسعة مداركهم تشهد لهم بقايا عديدة من مآثرهم صبرت على آفات الدهر واستقى من مناهلها الفقهاء اخلافهم

ولعظم شهرة مدارس بيروت اعفى ديوقليسيانوس قيصر دارسيها الفقراء من الضرائب العمومية تنشيطاً لهم فراجت فيها سوق الآداب اي رواج

وممن اطنبوا في وصف مدرسة بيروت الفقهية واثنوا عليها الثناء الجميل كاتب لاتيني وضع في اواسط القرن الرابع تاليفاً بيّن فيهِ خواص البلاد عنوانهُ معرض المعمور (Expositio totius mundi) فلما انتهى الى ذكر بيروت نعتها بالمدينة البهجة المستكملة الخضارة الى ان قال عن علومها : « وفيها مدارس الحقوق على مقتضى الدستور الروماني واليها يتوارد الطلبة افواجاً لان منها يخرج المحامون القانونيون لمحاكم العالم كله » . وقد سبق القديس غريغوريوس العجائبي فلقبها بالمدرسة الرومانية المحضة وبالمركز الثابت لشرائع رومية . وقال الشاعر نونُّس : بيروت موطن الحقوق ومدينة الفقهاء ومرضعة الحياة بالالبن والتؤدة . وقال حنا اناطوليوس احد معلميها : انها كرسي الآداب والنعم

وقد ابقى لنا التاريخ اسماء بعض معلّميها وهم كيرلُّس ودمرستان ودومنينوس واوذكسيوس ولاونطيوس . ثمَّ اشتهر منهم اناطوليوس ودوروتاوس . ولكيرلُّس كتاب مدرسي يُعرف بالتحديدات الفقهية كان عليهِ المعوَّل في مقدَّمات الفقه

ومع ما كانت عليهِ بيروت من الشهرة في ايَّام الرومان اصبحت عثرة في سبيل الناشئة لتزاحم الشبَّان فيها وحريَّتهم المطلقة في حركاتهم وسكناتهم لاسيما في عهد الوثنيَّة فانَّ الكتبة المعاصرين كاوسابيوس القيصري وغريغوريوس العجائبي يدعون بيروت مصيدة النفوس الزكية ومدعاة الى اللهو وارتكاب المحرَّمات بهوائها الطيّب وحدائقها الزاهية وبحماماتها ومقاصفها وملاعبها . فشبَّهها غريغوريوس بساحرة تفتن عقول الاحداث وتهوي بهم الى قعر الفساد

ومما كان يجعل بيروت معثرة لذوي الصلاح ما أُقيم فيها من هياكل الاصنام التي تسعر في القلوب الشهوات الباطلة وتؤلّه الاميال البشرية فكان الوثنيُّون يجاهرون بعبادة عشترت إلهة الزنى و باخوس اله الخمر والقصف لها الهياكل حيث يتاجر سدنتها بالعهارة حتى انَّ الشاعر اليوناني نونس نعت بيروت ببلاط عشترت وبمقام اللذَّات البهيمية وهيكل المرح والبطر . ثم افاض في وصف حدائق بيروت وغاباتها الصنوبرية وما يشرف عليها من الرُّبى الزاهية والاكمات المزدانة بالآثار والابنية الفخيمة منها هيكل جوپيتر البعلبكي في بيت مري الذي كان يتوارد اليهِ الزوَّار من انحاء فينيقية . وكانت كلّ هذه الاماكن مجلبة للتنعم ورفاهية العيش والخلاعة تجذب اليها قلوب الشبيبة جذب المغناطيس للحديد

وممَّا رواهُ كتبة ذلك العهد انَّ مدارس بيروت لم تقتصر على علم الفقه فقط بل كان طلبتُها يعكفون

ايضاً فيها على العلوم الادبيَّة بفروعها كاللغة والادب والفلسفة · ففي هذه القرون الاولى التابعة للمسيح اشتهر هرميبوس البيروتي تلميذ فيلون الجبيلي والمؤرخ الفينيقي في فنون الادب وطورس البيروتي في الحكمة كان متشيعاً لمذهب افلاطون في الفلسفة · ولو بركوس البيروتي في اللغويات ومناسياس البيروتي في فن الخطابة

واشهر من هؤلاء في الآداب احد كبار اللغويين اللاتينيين البيروتي مرقس ڤاليريوس پروبس اصاب في زمانهِ السهم الافوز في المعارف والفنون الادبيَّة كما روى عنهُ المؤرخ سويتونيوس في كتابهِ عن اللغويين الرومانيين · وقد عني پروبس بتنقيح كتب اللغة وشرح قصائد ورجيليوس الشاعر وصنف كتباً عديدة في الفصاحة والبيان والخطابة وفي اصول اللغة اللاتينيَّة وخاض في ابحاث اخرى ادبيَّة برَّز فيها حتى انَّ بيروت عُدَّت بفضله كحاضرة الآداب في المشرق

وممَّن تخرَّجوا في مدارس بيروت الشرعيَّة احد كبار احبار النصارى وهو الشهير في الآباء غريغوريوس العجائبي اسقف قيصاريَّة من اعمال قپادوكية في اواخر القرن الثالث للمسيح · ومنهم شهيد مدينة قيصريَّة فلسطين أفيان او ابيانوس الذي درس في بيروت الفقه الروماني خمس سنوات مع اخيهِ اوداسيوس وانكبَّ ايضاً على علوم الفصاحة والفلسفة فاحرز منها ما شاء وقد دوَّن المؤرخ الكنسي اوسابيوس القيصري اخبارهُ مدَّة دروسهِ في بيروت وكيف خالف سلوك رفقتهِ الدارسين بورعهِ وتقواه · وفي السنة ١٩٠٧ وفي التاسعة للمشرق مقالة حسنة في هذا الشاب الصالح ومآثرهِ وموتهِ في سبيل الايمان في شرح شبابهِ على عهد الملك ديوقلسيانوس

ولو عوَّلنا على بعض التقاليد القديمة لذكرنا بين مشاهير بيروت الشهيد القديس جرجس في زمن ديوقلسيانوس المذكور والذي يزعم العموم انهُ خلَّص بيروت من تنين هائل ظهر فيها كما روى صالح بن يحيي الخبر في تاريخ بيروت (ص ١٦) لكنَّا نضرب الصفح عن ذكرهِ لعدم ثبوت تفاصيل اخبارهِ

ولقد صار لغير بيروت من مدن فينيقية سمعة حسنة في العالم الروماني في تلك الحقبة · فاشتهر في صور مارينوس الجيوغرافي كان معاصراً لبطليموس القلوذي في القرن الثاني للمسيح صنَّف كتاباً حسناً في علم الهيئة وصورة الكرة الارضيَّة · ومن مواطنيهِ برفيريوس الفيلسوف الصوري في القرن الثالث كان يدعى باسم ملكوس اي ملك فابدل اسمهُ باسم يوناني اشار بهِ الى ارجوان وطنهِ صور · وقد برع في فن الفلسفة وشرح كتب ارسطو ولهُ كتاب الايسوغاجي الذائع الشهرة بين العرب وليس دونهُ في الشهرة پولس الفقيه في عهد سپتيميوس ساويرس · وكان لصيداء ايضاً في ذلك العهد مدرسة حكمة اصابت بعض المفاخر · الاَّ انَّ شهرة بيروت قد علت فوق جميع مدن فينيقية وكان يضرب المثل بمدارسها في سائر العالم الروماني

ولم يبخل القياصرة عليها بالامتيازات بعد اغسطوس قيصر لاسيما قياصرة السلالة السوريَّة التي كان اوَّلها سپتيميوس ساويرس (١٩٣—٢١١ م) ومنها اسكندر ساويرس قيصر (٢٢٢—٢٣٢ م) وامهُ مامة نصرانية من عرقا القريبة من طرابلس فانهم اعفوا بيروت عن دفع الجزية ومنحوها الاستقلال عن حكم والي الولاية فأضحت كأنها دولة صغيرة في ضمن الاملاك الرومانية في الشرق تتصرَّف بأحكامها كالعاصمة نفسها

وكان لبيروت على مثال رومة حاكمان يُرجَع اليهما في التدبير يحلاّن ويربطان يأمران وينهيان كقناصل رومية السنويين مع دار ندوة تتباحث فيهِ لجنة من رؤساء الاعشار عن امور البلد · وكان الاهلون هم الذين يختارون ولاتهم وحكامهم دون تداخل العاصمة في شؤونهم ما لم يدعُ الى ذلك داعٍ معلوم من شغب او افتراق كلمة بين السكان · ومما ازدانت بهِ المدينة من البنايات على شبه رومية ساحة كبرى لاجتماع الجمهور وأروقة مظلّلة للتنزُّه وملعب للملاهي العموميَّة ولعلها ايضاً خُصَّت بهيكل كهيكل المشتري في رومة المعروف بالكابيتول · فكان الرومان يتقاطرون الى بيروت لترويح النفس ويؤثرونها على سواها من مدن الساحل اللبنانيّ مع قربها من الجبل لقضاء فصل الصيف في مشارفهِ · والدليل على كثرة احتلال الرومان في ربوع بيروت وفرة الكتابات اللاتينيَّة التي وُجدت فيها وهي مع عددها اقدم عهداً من الكتابات اليونانيَّة الراقية الى زمن ملوك الروم غالباً · وقد اشار الى هذه الآثار صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ١٣ — ١٤) فقال : « ومما يستدلُّ بهِ على كبر بيروت وسعتها ما يجد الناس في الحدائق بظاهرها من الرخام وآثار العمائر القديمة بما طولهُ من ميلين اوّلهُ مكان يسمَّى بأَيْدة وذو قسية غربيّ البلد الى مكان يسمَّى حقل القشا »

ومن مدن فينيقية التي افاض عليها الرومان شيئاً من فضلهم مدينة جبيل وان كانت حصتها دون حصَّة بيروت بكثير وآثار الرومانيين في المدينة بيّنة كما سبق القول في مقالة العاديَّات

وكذلك لبنان فانهُ في ذلك العهد اصاب قسماً طيباً من سوابغ نعمهم · فحيثما سرت تجد من آثار الرومان الناطقة بفضلهم · فهذه طريق الساحل اللبناني فانها لا تزال ظاهرةً للعيان في عدَّة اماكن مع تراكم الرمال فوقها وانطمارها تحت الردوم وتراها الى اليوم منقورةً في الصخر بقرب نهر الكلب وجونية ومثلها الطريق التي تقطع اعالي لبنان فوق العاقورة حيث تخرق السكة الرومانيَّة شعباً بين جبلين فتفضي الى بركة اليمّونة ثم تتسع وتمتدُّ فتصبح من افضل السكك الجبليَّة واتقنها وانما درست آثارها في منعطف لبنان الشرقيّ · وقد وجدت بقربها كتابة لدوميطيانوس قيصر من اواخر القرن الاوَّل للمسيح · وكذلك وجدت انصاب عليها مدوَّنة ارقام المسافات بين ميل وميل وبُعدها عن حواضر المدن مع اسماء القياصرة الذين امروا بنهج تلك السكك

وللرومان كتابات عديدة في سائر انحاء لبنان في المقاطعات البعيدة كالعاقورة وتنُّورين وقرطبة ومنها في قمم الجبل او في وهادهِ · وكثيراً ما يتكرَّر فيها اسم ادريانوس قيصر الذي تولى الحكم على الشام زمناً طويلاً قبل ان يدعوهُ طرايانوس الى تدبير المملكة الرومانية وكان يصحبهُ في اسفارهِ عدد غفير من المهندسين وارباب الصناعة والنقَّاشين ليقوموا بما يعهد اليهم من الاعمال النافعة

وادريانوس المذكور سعى طاقة جهدهِ في حفظ غابات لبنان وكانت الحكومة الرومانية قد احتكرت اربعة اصناف شجرها اي العرعر والارز والسرو والصنوبر وكلّها من اشجار لبنان الصلبة الخشب الوارفة الظلّ اختصَّها الرومان بأنفسهم لئلاّ يتصرَّف بها الوطنيُّون فيقطعوها بلا حكمة · وكان الرومان يتخذون منها الخشب لعمارة سفنهم وابتناء مساكنهم في سورية · واوَّل من استفاد منها بين الرومان القائد بمبيُّوس اصطنع لهُ اسطولاً من خشبها سوَّل لهم التجوُّل في بحر الروم لقطع دابر القرصان المتلصصين في جهاتهِ

وقد خُصّت بيروت بغاباتها القديمة فمنها ما كان يزين جبالها المشرفة عليها من ارز وشربين ٠ ومنها ما كان يظلّل السهول المحدقة بها كالنخل وكان كثيراً فيها وكالزيتون الذي لا يزال يغني ضواحيها وكالسرو الذي زعموا انّ منهُ اشتقّ اسمها بيروت وهو من معانيها في اللغة الفينيقية ولعلّهم ارادوا به الصنوبر الذي اتّسعت غاباتهُ حول بيروت ٠ ولنا على قدم عهدها شواهد ترتقي الى زمن دولتهم فانّ الشاعر اليوناني نونّس اطنب في القرن الرابع للمسيح في مدح غابات الصنوبر في بيروت في قصيدته الثانية والاربعين من ديوانه المدعوّ بالديونيسي

وبقيت تلك الغابات الى ايام العرب. فذكرها الشريف الادريسيّ في جغرافيته المعنونة بنزهة المشتاق في اخبار الآفاق في اواسط القرن السادس للهجرة حيث قال : « لبيروت غيضةٌ من اشجار الصنوبر سعتُها اثنا عشر ميلاً في التكسير تتّصل الى نحو لبنان »٠وروى معاصرهُ غليلموس الصوري ان الصليبيين لما حاولوا محاصرة بيروت عمدوا الى اخشاب غاباتها فجهزوا منها المجانيق والادوات الحربية

وكذلك ورد في تاريخ بيروت لصالح بن يحيى(ص٢١٣) ما صنع الامير الكبير يلبغا سنة ٧٦٧ﻫ(١٣٦٦م) اذ امرهُ بيدمر الخوارزمي بان يتوجه الى بيروت ليعمّر من غاباتها مراكب كثيرة٠ وذكر المؤلف هناك بناء العمارة وما تكلّفوا عليها من المال٠ ولعل كثرة ما قُطع من تلك الاشجار لابتناء السفن كاد يتلفها فان احد الزوّار الالمانيين في السنة ١٤١١م افتقدها فذكر ان سعتها ميلان فقط٠ ومن المعلوم ان هذه الغابات الباقية الى يومنا تُنسب الى فخر الدين المعنيّ ومن المرجح انهُ اهتم بتجديدها وتوسيعها ٠ وليس ما يرى منها اليوم سوى فضلات غروسهِ وهي كافية لتبيّن لنا منافعها ومحاسنها السابقة حتى ان لامرتين الشاعر الفرنساوي في اواسط القرن الماضي اشاد في ذكرها وكاد يبلغ في وصفها الى الغلوّ والمغالاة

وقد اكتسب الرومان في ايام حكمهم على فينيقية شكر اهلها ايضاً بتنشيطهم للتجارة والصنائع في انحاء البلاد وقد سبق ان مدن لبنان الساحلية تصلح كل الصلاح للمعاملات التجارية لحسن موقعها على شواطئ بحر الشام متوسطةً بين فلسطين وفيليقية قريبة من دمشق وحوران وسورية المجوّفة (البقاع) وسورية الشمالية والاقطار الحلبية ٠ فعرف الرومان ما تحت ذلك من عظم الشان مع شهرة الفينيقيين بالحذاقة في التجارة والصناعة والزراعة فاخذوا في تنشيطهم ومهلوا لهم الامور بجلب المياه الى السواحل وفتح الطرق بينها وبين البلاد المحيطة بها ٠ وكانت المدن الساحلية تتسابق في هذا الميدان الجليل لا سيما صور وصيداء وبيروت٠ قال الكاتب الروماني اميان مرشلّان في اواسط القرن الرابع للميلاد في تاريخهِ (ك٣٠ف ٤) : « ان اجلّ مدن فينيقية بيروت وصور وصيداء » ثم اطرأ مدارس بيروت وسبقها في الفقه واردف قائلاً : « ان الترفُّه ورغد العيش ومجالي الأُبهة غالبة على بيروت »

واخبر صاحب وصف البلدان في ذلك العهد انّ منسوجات بيروت من الصوف والكتّان كانت مشهورة في كلّ الاصقاع ٠ وصارت كذلك مركزاً لتجارة الحرير والمصنوعات الحريريّة لم يعارض بيروت في ذلك سوى مدينة صور ٠ وقد نمت هذه الصناعة في ايّام دولة الروم كما شهد على ذلك المؤرخ پروكوپيوس في

تاريخ الدفائن (Historia Arcana) حيث بيَّن إقبال اهل زمانهِ على تلك المنسوجات وذيوع شهرتها

وكان اهل صور وصيداء ثابتين على صنائعهم التي سبقوا اليها من صبغ الارجوان واستحضار آنية الزجاج فكان تجارهم ينقلونها الى اقاصي البلاد · ومما وُجد في مدينة بوزولة من اعمال ايطالية كتابة يونانية تصرّح بوجود تجار من اهل بيروت كانوا هناك منذ القرن الثاني للمسيح (CIL, X, 1634)

وكذلك اشتهرت فينيقية بحدائقها واثمارها · ذكر منها الرومان التمر والنارنج والعنب ومما روى الشاعر نونّس انّ الكروم كانت تكسو رُبى بيروت بثوب سندسي يروق للنظر وقد امتدح بلينيوس الطبيعي (ك ٥ ف ١٧) عنبها اللذيذ وخمرتها الطيبة (Berytia vina) ووصف مثله الشاعر العربي خمر بيروت وقراها فقال :

سبيئةٍ من قرى بيروت صافيةٍ عذراءَ قد سُبيت من ارض بيسانِ

وساعد على زهوها ونموّ غلاتها ووفرة بقولها تلك القنيّ الوثيقة التي اصطنعها الرومان لسحب المياه الجبلية كما مرّ · قال صالح بن يحيى عن قناة بيروت : « اما القناة التي كانت تجري اليها فهي من العمائر العجيبة وكانت تجري من مكان يسمى العرعار قيد اثني عشر ميلاً » فلا عجب ان توفرت بذلك محصولات بيروت ومدن فينيقية حتى كانت تنقل الى غيرها من البلاد

وقد استفاد الرومان من معادن لبنان كما استفادوا من غاباتهِ ومياههِ فمن المعادن التي كانوا يستخرجونها من الجبل النحاس والرصاص والحديد كما يتقرَّر من عدَّة شواهد جمعها الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتويه لبنان من الآثار (ج ٢ص ٢٢٤—٢٢٦) اخصّها ما ورد في الكتابات الاشورية والهيروغليفية · واجود هذه المعادن الحديد لكثرة منافعهِ في ضروب الصنائع وربما ورد ذكره من جملة صادرات بيروت حتى ان المصريين نسبوها اليها فدعو الحديد بإِن بَرْت اي معدن بيروت · وبقي تعدينهُ الى ايام العرب كما صرح بهِ المقدسي في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٨٤) وكذلك ذكرهُ من بعدهِ الشريف الادريسي فقال : « وبمقربةٍ من بيروت جبل فيهِ معدن حديد طيّب جيّد القطع يستخرج منهُ الكثير ويُحمل الى بلاد الشام » · وقد جمع ابن بطوطة في رحلتهِ (طبعة باريس ج ١ ص١٣٣) بين مرافق بيروت النباتية وحديدها حيث قال : « سرنا الى مدينة بيروت وهي صغيرة حسنة الاسواق وجامعها بديع الحسن ويُجلب منها الى الديار المصرية الفواكه والحديد »

٩ تاريخ لبنان وفينيقية في عهد الروم

تبعت فينيقية ولبنان في انقسام العالم الروماني بعد قسطنطين الكبير عاصمة انطاكية ثم بعد ثاودوسيوس صارت تحت حكم القسطنطينية وملوك الروم الى ايام العرب فتقلبت عليها الاحوال على حسب اميال الملوك واخلاق العمال المتولين من قبلهم

وما لا شك فيهِ انَّ تنصُّر قسطنطين الكبير أثَّر في الاهلين تأثيراً حسناً فارتدَّ منهم كثيرون الى النصرانيَّة

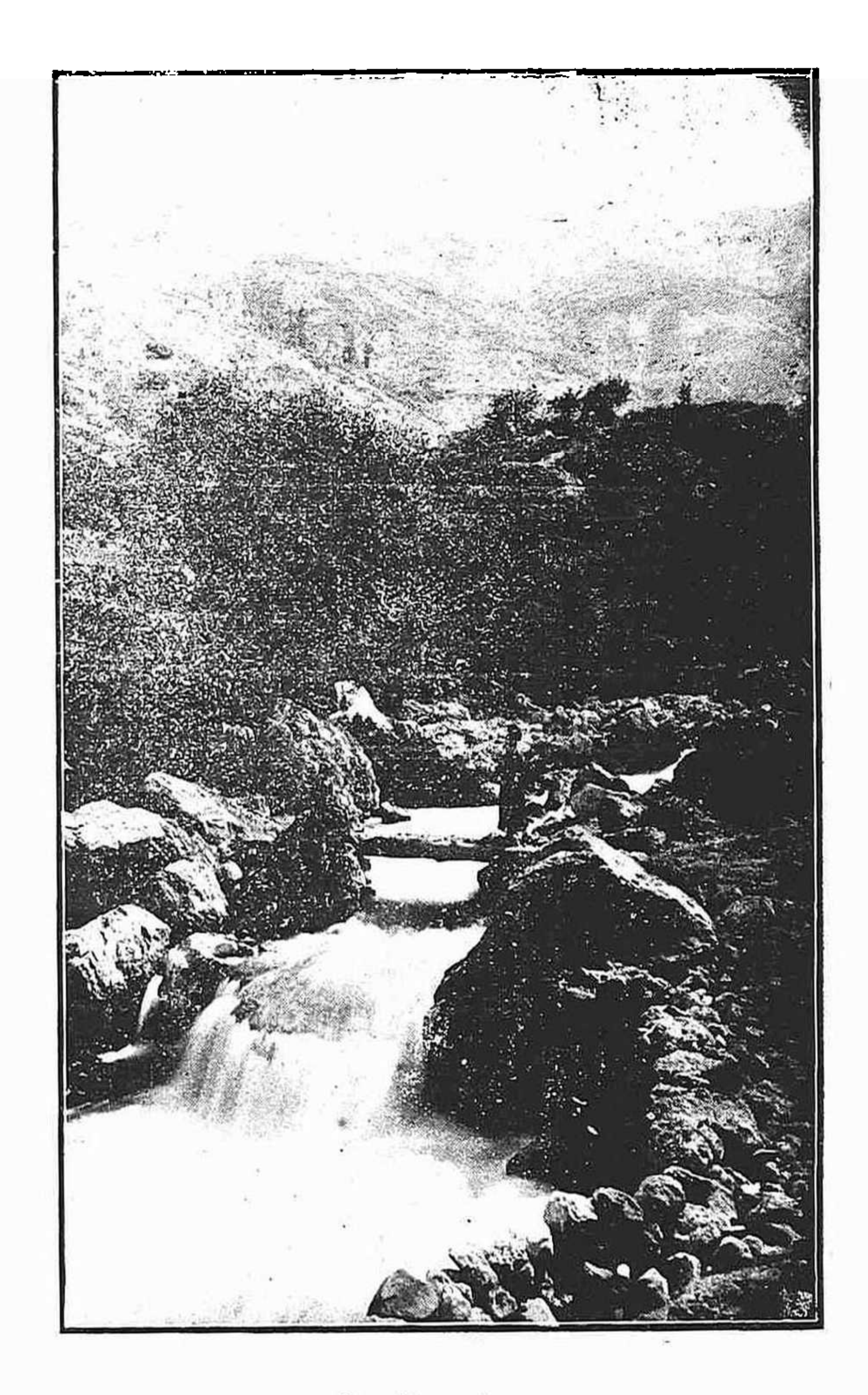
ونبذوا وراء ظهرهم ترّهات الوثنيّة · ولنا في اسماء الاساقفة الذين كانوا يديرون كنائس فينيقية في القرن الرابع والخامس دليل باهر على قولنا وقد دوّنت مجلة المشرق في السنتين ١٩٠٦ و١٩٠٧ اسماء هؤلاء الاحبار على عكّا وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس · الّا انّ النصرانيّة لقيت في لبنان عقبات شاقّة لم تفز بها الّا بتمادي الزمان لرسوخ قدم الوثنية في مشارفهِ وكثرة هياكل الاوثان على قممهِ وتحمّس سدنتها في حفظ كرامتها

ولما بلغ قسطنطين ما يجري في بعض هذه المعابد من المنكرات أرسل من يدمرها ويبدد كهنتها كما فعل في هيكل افقا · لكنّ الوثنية عادت الى اباطيلها بجلوس يليانوس الملقّب بالجاحد على منصّة الملك فانهُ أمر باستئناف دين الشرك وتعزيز عبادة الاصنام ومصادرة المتنصّرين ولمّا مرّ في سوريا قبل محاربتهِ للفرس تقدّم بترميم هيكل افقا واراد ان يقوم كهنة عشترت وادونيس في جبيل برتبهم السابقة وحضر معهم في موسم موت ادونيس وقيامته عند النهر المنسوب اليه (نهر ابراهيم) وضحّى الضحايا في بعض تلك الهيا كل · وجرى على هذا المثال حيثما حلّ الا انّ ملك يليانوس كان كسحابة صيف انكشفت بعد قليل حيث قُتل في حرب الفرس ومعهُ نزلت الوثنية في قبرهِ فقام بعدهُ يثيانوس (٣٦٣ م) ثم ثاودوسيوس الكبير (٣٧٩ م) فضربا الوثنية ضربةً لازبة لم تقم لها بعد ذلك معها قائمة واضطرّت بقاياها الى ان تستتر في اعالي لبنان او في وهادهِ القاصية · اما هياكل لبنان الوثنية فمنها ما حوّلوهُ الى كنائس ومنها ما اتخذوهُ لمعاهد عموميّة ولم يتوّضوا منها غير المعابد التي كانت مدعاة للفجور او للتعصّبات الدينية

وممّن ساعدوا الى استئصال شأفة الشرك في لبنان احد مشاهير الانطاكيين نريد بهِ ذاك الخطيب المصقاع الذي رُقي الى كرسيّ القسطنطينية اعني بهِ القديس يوحنّا فم الذهب فانهُ اذ علم بان في بعض انحاء لبنان قوماً من عبدة الاصنام لا يزالون متسكعين في ظلمات الشرك ارسل دُعاةً ليرشدوهم الى طريق الهدى فاستنفدوا وسعهم لبلوغ هذه الغاية بالانذار والتبشير وملاطفة السكان حتى اجتذبوهم الى عبادة الاله الحقيقيّ

وفي تلك الاثناء كانت العيشة الرهبانية آخذة في النموّ والانتشار · وبعد ما ازهرت في جهات الصعيد بفضل ابي الرهبان القديس انطونيوس الكبير سطع ايضاً نورها في بلاد الشرق كلها كجزيرة العرب والعراق · وكانت سورية عموماً ولبنان خصوصاً من اوّل الاقطار المقتفية آثار الصعيد فانّ التقاليد المحلية وبعض الآثار التاريخية تتفق في اثبات وجود مناسك للسيّاح الاقدمين والمترهبين الوطنيين منذ القرن الرابع فسكنوا اوّلاً الكهوف والاغوار قبل ان يبتنوا الاديرة

فمن ذلك المغاور التي تُرى في عدلون بين صور وصيداء البالغ عددها نحو المئتين كانت اوّلاً مقابر للموتى ثم حوّلها الزهّاد الى مناسك رهبانية عاشوا فيها منقطعين الى الله بالعبادة · ومثلها الكهوف التي تُرى منقورة في الصخر في الوادي المجاور لقرية فرزل شمالي زحلة سكنها السيّاح القدماء · والاهلون يدعون مكانها حتى اليوم بمقام الحبيس ولعلّ هذا الحبيس هو القديس هيلاريون تلميذ انطونيوس الكبير الذي روى عنهُ القديس



وادي قاديشا

ايرونيموس انهُ عاش بضع سنين متعبداً في تلك الجهات · ومثلها ايضاً المغارة التي ترى عند قرية الهرمل المعروفة بمغارة الراهب التي يدعوها الموارنة بدير مار مارون على مقربة من اكبر ينابيع نهر العاصي · وهذه المغارة لها متدليات منقورة في الصخر وهي طبقات يُصعد اليها من درج مجهَّز ايضاً في امّ الصخر ولها قبة ذات حنية مقوّسة ما يجعلها مقاماً موافقاً للنسك

وفي اواسط لبنان وادٍ بعيد الغور تتناصر الشواهد على اختصاصهِ بنسَّاك لبنان القدماء نريد بهِ وادي قزحيّا حيث يجري نهر قاديشا وناهيك بهذين الاسمين دلالةً على العبَّاد الذين قدسوهُ في عهد دولة الروم · وهناك كهوف احتلها النسَّاك وعاشوا فيها بالصلاة والشغل · وهناك خصوصاً في بهرة الوادي دير قنُّوبين المشتق اسمهُ من لفظة يونانية (Koinobion) معناها الدير ينسب الموارنة انشاءهُ الى ثاودوسيوس الملك والمرجَّح انهُ لبعض تلامذة ثاودوسيوس الناسك الذي ازهر في القرن الخامس وتكرمهُ الطائفة المارونية اكراماً خاصاً

فلا غرو ان هؤلاء الرهبان بقدوتهم الصالحة و بتعاليمهم وارشاداتهم كانوا من اكبر انصار الحق بين سكَّان لبنان فكشفوا عن عيونهم ستر الظلال وازالوا بقايا التوثُّن · ولا بأس ان نذكر هنا احد اعيان الرهبانيَّة القديس سمعان العمودي الذي قضى اربعين سنة على عمود نصبهُ في جبل سمعان المنسوب اليهِ فانَّ مؤرخهُ يذكر اللبنانيين في جملة الذين سعى في هدايتهم فرجَّعهم الى الدين بما اجترحهُ من الكرامات والعجائب امامهم · ويحسن بنا ايضاً ان نذكر هنا احد اولياء الله وهو ربُّولا السميساطيّ الذي روى عنهُ تاريخ قديم كما ورد في اعمال البولنديين في تاريخ ١٥ شباط انهُ بمساعدة الملك و يوحنا حاكم بيروت شيَّد ديراً في الجبل تعبَّد فيهِ هو وفريق من الرهبان وردَّ عن الوثنيَّة جمًّا غفيراً من اهلهِ · وكان ذلك في اواسط القرن الخامس للمسيح · وفي الزمن المذكور قدمت الى بيروت امرأة فاضلة تدعى مطرونا بعد ان فتحت ديراً للعذارى في حمص فانارت عدداً دثراً من نسائها الوثنيَّات

وما كاد لظى الوثنيَّة يخمد حتى تأججت في العالم الروماني الشرقيّ نيران اشدّ استعاراً نريد بها البدع التي زرعت في العقول بذور الشكّ واورت زناد الفتن وقسمت النصرانيَّة شعاباً لم يلتئم صدعها بعد قرون طويلة · واوَّل هذه البدع كانت الاريوسيَّة لصاحبها اريوس الاسكندريّ الذي نكر لاهوت السيِّد المسيح ثمَّ تبعتها النسطوريَّة المنسوبة الى نسطور بطريرك القسطنطينيَّة المدَّعي بانَّ في المسيح اقنومين الهيّ وانسانيّ ثمَّ الاوطاخيَّة لمبتدعها اوطيخا الذي مع مناقضتهِ لنسطور في اثبات اقنوم واحد في المسيح زعم انَّ لهُ ايضاً طبيعةً واحدة · وقد نشر هذا التعليم يعقوب البرادعي فعُرفت الشيعة باسمهِ يعقوبيَّة · ثم بدعة المشيئة الواحدة في المسيح وهم المنوثليُّون الذين انكروا على اليعاقبة قولهم في الطبيعة الواحدة وجاروهم في القول بالمشيئة الواحدة والفعل الواحد

وكان لكل هذه البدع عكس صدىً في فينيقية ولبنان فانَّ التاريخ يروي ما جرى فيهما من المنازعات الشديدة بسبب هذه الهرطقات لاسيما ان كثيرين من القياصرة تمذهبوا بمذاهبها الباطلة كقُنسطانس (٣٣٧) ووالِنس (٣٦٤) الاريوسيَّين · وكزينون (٤٧٤) وانستاس (٤٩١) اليعقوبيَّين · وكهرقل نصير المنوثليَّة

(٦١٠) · وقد اشتهر في مدن فينيقية رجال من الطرفين دافعوا عن الحق او ناقضوهُ الى أن التأمت المجامع المسكونية ورذل الآباء آراء المبتدعين في نيقية والقسطنطينيّة وافسس وخلقيدونية الا ان الحق لم ينتصر تماماً الا بعد دهر طويل وبعد استشهاد عدد من انصار الدين كالرهبان الشهداء الذين قتلهم اليعاقبة في سبيل الايمان الحقيقي سنة ٥١٧ وكان عددهم ٣٥٠ راهباً يكرمهم اللبنانيّون باسم تلاميذ مار مارون لسكناهم في الدير المشيّد على اسمهِ قرب نهر العاصي · وكان لبنان مذ ذلك العهد ملجأ للطرداء فانّ التاريخ يذكر عن انستاس القيصر انهُ طرد من القسطنطينيَّة راهبات كنَّ يدافعن عن المجمع الخلقيدوني فقصدنَ لبنان واتخذن لهنَّ فيهِ سكناً وعطّرنهُ بعرف فضائلهنَّ

وفي عهد ملوك الروم حدث بعض تغييرات في مراتب المدن الفينيقيّة فان مدينة صور اصبحت اوّلاً مركز مدن فينيقية ورأسها الاعلى ثم اعطى ثاودوسيوس مدينة بيروت رتبةً شبيهة برتبة صور وفي كلتا المدينتين عُقدت عدَّة مجامع خاصَّة ثم قسمت فينيقية الى قسمين قسم جنوبيّ بقيت صور مدينتها المركزيَّة وقسم آخر جبلي دُعي بفينيقية لبنان تعيَّنت بيروت مركزها وخصَّت بامتيازات الحواضر الكبرى

وبقيت مدارس بيروت الفقهيَّة في عزّها وعلوّ مقامها في ايَّام الدولة البوزنطيَّة وكان عدد الطلبة لا يزال نامياً يتقاطرون اليها من كل انحاء الشرق يفضّلونها على غيرها · وفي بعض خطب ليبانيوس الاستاذ الانطاكي الشهير فقرةٌ يلوم فيها شبيبة عصرهِ الذين كانوا يتزاحمون في طلب الفقه في بيروت ويهملون فنون الادب التي كان هو احد اركانها · ولم ينكسف مجد بيروت طول القرن الخامس ونصف السادس للمسيح

ولنا على عيشة الدارسين في بيروت شاهد عياني كان في القرن الخامس وهو زكريا الاستاذ الذي كتب بالسريانيَّة سيرة ساويرس الانطاكي الذي اشتهر بعد ذلك كزعيم البدعة اليعقوبيَّة فوصف زكريَّا حسن سلوكهِ في بيروت اذ كان يدرس معهُ فيها الحقوق سنة ٤٨٧ و ٤٨٨ م فقابل بين رزانتهِ وخفَّة طباع الشبَّان رفقتهِ كما روت ذلك مجلَّة المشرق في سنتها السادسة عشرة ١٩١٣ (ص ٩٣٠ — ٩٣١) وهناك لمحة عن تنظيم المدارس الفقهيَّة وطبقاتها وترتيب صفوفها ومعلّميها يخص منهم الكاتب بالذكر لاونطيوس بن اودكسيوس · وغير ذلك من التفاصيل التي تمثل لنا بكل تدقيق حياة المستفقهين في اواخر القرن الخامس

ولما ضبط الملك يوستنيان ازمَّة الملك في القسطنطينية اراد تهذيب الشرائع الرومانيَّة وتنظيمها وحصر ابوابها فانتدب نخبة فقهاء ذلك العصر ليقوموا بهذا العمل الجليل واستدعي من جملتهم ثلثة اساتذة من مدرسة بيروت وحدها ساعدوهُ في عمله مساعدة هامَّة وهم اودكسيوس واناطوليوس ودوروتاوس فانجزوا في سنين قليلة تلك المهمَّة التي يعتبرها العلماء كطرفة ذلك العهد حيث برز الدستور اليوستنياني في كل اقسامهِ وفروعهِ على صورة وابواب معلومة عوَّلوا عليها مذ ذاك الوقت في درس الفقه · وفي ذاك الدستور قسمٌ بديع يُعرف بالمنظَّم (Digesta) هو كلُّهُ بقلم اودكسيوس البيروتي · فعُدَّ عمل يوستنيان من افضل نعم دولته واضحى كأساس الدروس الفقهية في كل الدول التي جاءت بعدهُ وكركن الشرائع المستحدثة · وفضل بيروت ظاهر في هذا المشروع العظيم

ثم رأى يوستنيان وجوب اصلاح المكاتب الفقهيَّة فألغى مدارس قيساريَّة واثينة والاسكندريَّة ولم يُبقِ منها غير ثلثٍ فقط وهي رومية والقسطنطينيَّة وبيروت · وقد لقّب بيروت في كلامه عن مدارسها بامّ العلوم وظئر الشرائع · وكان الملك يختار لهذه المدارس الثلث معلميها ويجري عليهم الجرايات · وكان لبيروت خمسة اساتذة واحد لكل سنة من السنين الخمس اللازمة لإحراز العلوم الفقهيَّة فيخرج التلامذة بعد ان ينالوا الشهادة من اساتذتهم مستعدين لكل الامور الشرعيَّة متقنين لحقائقها ودقائقها اتمَّ الاتقان

كانت فينيقية في مبادئ القرن السادس سائرةً على ما يروم اهلها من السعد والاقبال لا يكدر صفاءها شيء من كوارث الزمان يؤمل اهلها لهم مستقبلاً حسنًا الا انهُ

« لكل شيء اذا ما تمَّ نقصانُ »

فما بلغ الفينيقيُّون اواسط ذلك الجيل حتى دهمتهم طوارئ الدهر الغدَّار فهبطت ببلادهم من اوج العزّ الى اعماق الذل نعني بها تلك الزلازل الهائلة التي تكرَّرت على سواحل الشام فقلبتها ظهراً لبطن وقد اصيبت بيروت خصوصًا بضرباتها الاليمة · والتاريخ يروي انها نُكبت قبل ذلك بزلزال شديد حدث في السنة الثانية عشرة للملك قنسطانس (٣٤٩) كاد يلحقها بالدقعاء الا انها ما لبثت ان نزعت عنها ثوب الحداد فعادت بعد زمن يسير الى ما كانت عليه من البهاء والشهرة في تدريس الفقه والعلوم البيانية · وفي السنتين (٤٩٤ و ٥٠٢) شعر البيروتيون بهزَّات جديدة لكنها كانت خفيفة فيها بخلاف جارتيها صور وصيداء فانَّ الزلزال اخرب معظم ابنيتهما · امَّا بيروت فانهُ خرب فيها في زلزال ٢٢ آب سنة ٥٠٢ كنيس اليهود كما رواهُ المؤرخان زوناراس ومالالا · ثم عادت الزلازل في ٢٦ ايار سنة ٥٢٩ فاذاقت اهل سورية الامرَّين وفيها خربت انطاكية ومات من اهلها ٢٥٠,٠٠٠ نفس · ولم تنجُ بيروت من ويلاتهِ فخرب ايضًا قسم من بناياتها وهلك جانب من سكانها

على ان هذه النكبات لم تكن غير مقدَّمات لجوائح اسوأ غائلةً حلّت بفينيقية بعد ٤٠ سنة · ففي عام ٥٤٣ حدث في سواحل الشام هزَّات ارضيَّة كانت ضرباتها وبيلة جدًّا حتى انها غيرت هيئة الساحل اللبناني في بعض الاماكن · وذكر تاوفان المؤرخ المعاصر ان رأسًا من الرؤوس الواقعة بين طرابلس والبترون زُجَّ في البحر وتكوَّن في مكانهِ خور واسع ولم تعد الطريق الممتدة في شمالي هذا الرأس مسلوكةً وصار هناك الساحل على هيئة صخور منتصبة عموديًّا على سطح البحر · وانخسفت الارض في عدة امكنة وساخت خصوصًا في قيساريَّة وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون فخرب قسمٌ كبير من هذه المدن الساحلية

وافجع من هذه الرزيئة الزلزال الذي حدث في ٩ تموز سنة ٥٥١ وقد اهتز حينئذٍ كل الساحل الفينيقي من جزيرة ارواد الى صور اهتزازاً شديداً وانما كان نصيب بيروت من هذا المصاب اوفر من سواها · روى المؤرخون ان البحر جزَرَ الى مسافة ميلٍ ثم مدَّ على شبه جبلٍ مائع وسيل عرمرميّ بصدمةٍ هائلة فحطّم السفن واودى بحياة الوفٍ من البشر ولا سيما الشبَّان الدارسين الذين قصدوها من العالم اجمع ودمَّر كل ابنية بيروت

واساخها في قلب الارض كما شاهدنا حديثًا من اطلالها قسماً عند سوق البازركان · وفي تلك الفاجعة قال الشاعر اليوناني اغاثياس يرثي بيروت : « ذوت زهرة فينيقية مدينة بيروت بمصاب الزلزال الرهيب وزال عنها جمالها الرائع دُكَّت ابنيتُها الشامخة البديعة المنظر المحكمة الهندام فتقوَّضت عن آخرها ولم يبقَ منها سوى الردم والخراب وقد هلك تحت انقاضها جمٌّ غفير من الاهلين والاجانب المستوطنين فيها وقد اذاقت المنيَّة كأسها المرَّ نخبة الشبَّان المتقاطرين اليها لدرس الحقوق في مدارسها الرومانيَّة الطائرة الشهرة التي كانت لها فخراً ولمفرقها تاجًا تباهي بهِ اعظم المدن أخواتها »

فتلافيًا للشرّ الذي حصل لبيروت بذلك الزلزال نقلت الدولة مدرستها الفقهيَّة الى صيداء ريثما تُصلح المدينة وترمَّم ابنيتها المتداعية · فتمَّ ذلك بعد سنين قليلة مع وقوع زلزال آخر حدث سنة ٥٥٤ ثم عادت الامور الى مجاريها واخذت الدروس تسير في بيروت كالسابق سيراً منظَّمًا كان الناس يتوسمون فيهِ الخير ويتباشرون برجوع المدينة الى رونقها الاول لولا نكبة اخرى اغتالتها فأجهزت عليها الا وهي نكبة الحريق الذي شبَّ في بيروت سنة ٥٦٠ فالتهم معاهدها ومساكن اهلها · وفي تلك الفاجعة قال احد المعاصرين عن لسان المدينة : « وا اسفاه اني لمن اشأم المدن طالعاً وأسوإها حالاً رأيت جثث ابنائي متراكمةً في شوارعي وساحاتي في ظرف تسع سنوات واليوم رماني ڤولكان (اله النار) بسهامهِ المتقدة بعد ان صدمني نپتون (اله البحر) بتيَّارهِ الجحاف · اين بهائي الرائع كيف مسحهُ الدهر واحالني الى رماد · فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلَّة »

وبقيت بيروت صرعى متخجعة في مدفنها الناري ملتحفةً برمادها ردحًا من الدهر كما اشار الى ذلك السائح انطونين المعروف بالشهيد لمَّا اجتاز بها في اواخر ذلك القرن فذكرها بقولهِ : « وصلنا الى بيروت المدينة الفائقة الجمال حيث كانت قبل هذه السنين مدرسة الشريعة وهي ايضًا قد استولى عليها الخراب »· والحقّ يقال انَّ بيروت بعد تلك النكبات لم تبلغ الى مقامها السابق وان لعبت في القرون الوسطى ادواراً مهمَّة وقد بقيت في خمولها حتى اشرق عليها القرن التاسع عشر فنفضت عنها ثوب الهوان وجلست ثانية على عريكة المجد في ظلّ الدولة العليَّة

وهذه الزلازل لم تكن النكبات الوحيدة التي اصابت فينيقية فانها نُكبت ايضًا بآفات الحروب فكانت لها ثالثة الأثافي · فان كسرى انوشروان ملك فارس سار بجيش كثيف وتخطى تخوم المملكة الرومانيَّة فدوَّخ مدنها وتقدَّم الى انطاكية فاستولى عليها واعمل في اهلها السيف ثم عبر الى سواحل الشام ففتح بعض مدنها واسر قسماً من اهلها وابهظ على عاتق الباقين الضرائب وكان ذلك سنة ٥٤١ م

وتضاعفت خطوب سوريَّة بغزوة الفرس للدولة الرومانيَّة لمَّا حاول كسرى ابرويز ان ينتقم من فوقاس لقتلهِ الملك موريس صهره فبعث جيوشهُ الى كل انحاء الروم حتى جهات مصر فحوَّل كثيراً من البلاد الى قاع صفصف ودخل الفرس مدينة اورشليم وسبوا اهلها واخذوا صليب المسيح · امَّا فينيقية فضرب منها الفرس قسمها الجنوبيّ لاسيما مدينة صور بدسائس اليهود · ومن دسائسهم ما رواهُ صالح بن يحيى في تاريخ

بيروت عن « قونة خشب مصوَّرة (وهي صورة مصلوب) ضربها بعض اليهود بسكين فصارت تنزف دماً. قال (ص ٢٧) : « ونُقلت هذه الصورة الى قسطنطينيَّة فعمَّروا عليها كنيسة يعظّمها الفرنج » . وظلَّت سوريَّة على خرابها في حكم الفرس الى ان طردهم هرقل الملك وانتصر عليهم انتصاراً باهراً

١٠ تاريخ فينيقية ولبنان في عهد العرب

لمَّا ظهر الاسلام وظفرت جنود خالد بن الوليد وابي عبيدة بدمشق حاضرة الشام استخلف ابو عبيدة يزيد بن ابي سفيان على دمشق . قال ابن الاثير في جملة اخبار سنة ١٣ للهجرة (٦٣٥ م) : « فسار يزيد الى صيداء وعرقة وجبيل و بيروت وهي سواحل دمشق وعلى مقدّمته اخوهُ معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من اهلها ... ثم انَّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر واوّل خلافة عثمان فقصدهم معاوية ففتحها ثم رممها وشحنها بالمقاتلة واعطاهم القطائع » امَّا الواقدي في كتابه فتوح الشام فانهُ روى فتح مصر على يد عمرو بن العاص ثم قال : « ودخل عمرو القيساريَّة يوم الاربعاء في العشر الاول من رجب الفرد سنة تسع عشرة من الهجرة ووصل الخبر الى الرملة وعكَّة وعسقلان ونابلس وطبريَّة فعقدوا كلهم صلحاً مع المسلمين وكذلك اهل بيروت وجبلة واللاذقية وملَّك الله الشام للمسلمين »

فيظهر من هذه الاقوال انَّ سواحل الشام لم تلبث ان دخلت في حكم العرب واذ خاف عليها معاوية من غزوات الروم استدعى قوماً من الفرس ليستوطنوا تلك السواحل كما شهد على ذلك اليعقوبيّ في كتاب البلدان فقال في عرض كلامهِ عن جند دمشق : « ولجند دمشق من الكور على الساحل كورة عرقة ... فيها قوم من الفرس ... ومدينة اطرابلس واهلها قوم من الفرس ... وجُبَيْل وصيداء و بيروت واهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان » . وقال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص١٦٢) . « نقل معاوية في سنة٤٩ او سنة ٥٠ الى السواحل قوماً من زُطّ البصرة والسبابجة وانزل بعضهم انطاكية»

وكانت فينيقية في ايَّام الخلافة الاموية منوطة بدمشق تُعدّ بيروت كفُرْضتها . فلمَّا اراد معاوية غزو جزيرة قبرس سنة ٢٧ ﻫ عمَّر المراكب في بيروت لهذه الغاية وجهَّز فيها الجيش لمحاربة الروم . امَّا لبنان فلم يمكن العرب ان يفتحوا منهُ غير سفوحهِ القريبة من البحر لوعورة مسالكهِ ولتحصُّن اللبنانيين في حصونهِ الحريزة ولا سيما بعدما اوفد اليهِ ملوك الروم قوماً من جندهم يُعرفون بالمردة كانوا في جبال قيليقية وكلوا اليهم الدفاع عن لبنان وكان عددهم ١٢,٠٠٠ جنديّ

وهؤلاء المرَدة قد عرفهم العرب باسم الجراجمة نسبةً الى مدينتهم جرجومة التي كان موقعها على جبل اللكّام . قال البلاذري يصف احوالهم (ص١٦٠) : « لمَّا كانت ايام ابن زبير وموتُ مروان بن الحكم وطلبُ عبد الملك الخلافة بعدهُ لتوليته اياهُ عهدهُ واستعدادهُ للشخوص الى العراق لمحاربة مصعب بن الزبير خرجت خيل الروم الى جبل اللكّام وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى لبنان وقد ضوَت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وانباط وعبيد أبَّاق من عبيد المسلمين فاضطرَّ عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل

جمعة وصالح طاغية الروم على مالٍ يؤديهِ اليهِ لشغلهِ عن محاربتهِ وتخوُّفهِ ان يخرج الى الشام فيغلب عليهِ واقتدى في صلحهِ بمعاوية حين شُغل بحرب اهل العراق فانهُ صالحهم على ان يؤدي اليهم مالاً وارتهن منهم رهناء ... وذلك في سنة ٧٠ » وكلام البلاذري ينطبق على ما يرويهِ مؤرخو الروم والسريان كتاوفان ومحبوب المنبجي وابن العبري فانهم يدعون هؤلاء المردة فرقة جنديَّة ارسلها قسطنطين الحياني الى الشام لمدافعة عنها فاحتلوا لبنان ودوَّخوا العرب بهجومهم على السواحل الى ان صالح عبد الملك ملك الروم فامر برجوعهم الى مواطنهم السابقة· وقد سبق في باب العناصر اللبنانية كلام في اصلهم ودينهم· والاب لامنس كلام مطول في المردة والجراجمة في كتابه تسريح الابصار في ما يحتويه لبنان من الآثار (٢: ٤١ — ٤٨)

وبعد خروج المردة من لبنان الى فيليقية ضعفت عزائم اهل لبنان في شمالهِ فشرعوا يؤدُّون الخراج الى خلفاء بني اميَّة ولبثوا في ظلهم آمنين مطمئنين في جبالهم سائرين على تقاليدهم الملّيّة وعاداتهم القديمة وفرائضهم الدينية· وبعض كنائس شمالي لبنان راقية الى ذلك العهد

على ان مدن الساحل اللبناني لم تزل معرَّضة لغزوات الروم فلم يرَ خلفاء بني اميَّة بُدًّا من تحصينها· قال البلاذري (ص١٤٣) : « ان الروم اخربت عسقلان واجلت اهلها عنها في ايام ابن الزبير ... وخرجت الروم ايضًا الى قيسارية فشعَّثتها وهدمت مسجدها فلما استقام لعبد الملك بن مروان الامر بنى عسقلان وحصنها ورمَّ قيسارية واعاد مسجدها واشحنها بالرجال وبنى صور وعكا الخارجة وكانت سبيلها مثل سبيل قيساريَّة »

وقال البلاذري ايضًا (ص١٦٣) : « كانت بنو اميَّة تغزو الروم باهل الشام والجزيرة صائفةً وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة وتقيم المراكب للغزو وترتب الحفظة في السواحل ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم »

وكان الامويّون في تلك الاثناء في حاجة الى هدو اهل الشام واخلادهم الى الطاعة لما توالى عليهم من المشاغب والحروب في جزيرة العرب والعراق وجهات الارمن بينهم وبين انصار علي بن ابي طالب وسلالتهِ· وفي ذلك الوقت ايضًا تألفت بين العرب تلك الاحزاب المشؤومة التي قسمت الدولة الى حلفين متعاكسين يمني وقيسي انحاز الى الاول قبائل عرب اليمن الذين باشروا الفتوحات العظيمة في اول الاسلام في الجزيرة والشام· والى الثاني القبائل المنتمية الى مضر وقيس عيلان· فتفاقمت المنازعات بين الحزبين مدة اجيالٍ طويلة جرت بسببها الدماء سيولاً ووقع من الاضرار ما لا يحصى· ولم يخمد سعير هذه الفتن الا في هذه القرون الاخيرة

ومع ما كان يحدق من الاخطار ببني امية لم يعدلوا عن رغبتهم في فتوح البلدان كالسند والهند وما وراء النهر ولاسيما الروم فتقدموا في بلادهم حتى بلغوا ابواب القسطنطينية لكن الله اراد ان يخص بفتحها الدولة العثمانية فنجت حينئذٍ من فتك العرب

وكانت الدولة الاموية تحسن الصنع الى رعاياها وتجدّ في تاليف قلوبهم وتتساهل معهم في امور دينهم وعلى الاخص في مبادي حكمها لقلة العرب في المدن وكثرة الوطنيين· قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص٢٣) : « ثم صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم يقلّون منها وقتًا بعد وقت حتى صار اكثرهم مسلمين » وقوله

هذا في بيروت يصح ايضاً في بقية المدن الساحلية · وذلك ما دفع ايضاً خلفاء بني امية الى ان يستعملوا في دواوينهم النصارى نخص منهم بالذكر سرجون بن منصور كاتب معاوية وكاتب عبد الملك على الخراج والجند يتولى له ديوان الشام كما ورد في كتاب موارد الادب وفي العقد الفريد لابن عبد ربه · وقد زاد ابن عساكر في تاريخ الشام ان له كنيسة كان بناها خارج باب الفراديس وان الكنيسة باقية الى زمانه · وسرجون هذا هو سرجيوس جد كاتب شهير وولي انبر يدعى يوحنا امشقي الذي خدم مدة بني امية ثم زهد في الدنيا مترهباً في دير القديس سابا قريباً من القدس وصنف المصنفات الجليلة في الفلسفة واللاهوت

وكان معاصراً له كاتب آخر اشتهر في وضع التسابيح الكنسية كان اصله من حمص وخدم بصفة شماس كنيسة القيامة في بيروت نعني به رومانوس المرتل ثم انتقل الى القسطنطينية فاطرب اهلها بمنظوماته التقوية التي تتلى حتى يومنا في فرائض الروم وهي تدل على جودة قريحته وعظم بره

ثم قام في تدبير الخلافة بنو عباس بعد انتقاض حبل الامويين فنقلوا العاصمة من دمشق الى العراق ونزلت سورية عن رتبتها العالية واصبحت عملاً يحكم عليه الولاة من قبل خلفاء بغداد · على ان بني العباس ادركوا ما لثغور الشام من عظم الشأن فأمروا بتحصينها · قال البلاذري (ص١٦٣) : « لما ولي ابو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ما احتاج الى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور · ثم لما استخلف المهدي استتم ما كان بقي من المدن والحصون وزاد في شحنها قال معاوية بن عمرو : وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون (الرشيد) في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد امراً عظيماً اقام من الصناعة ما لم يقم قبله وقسم الاموال في الثغور والسواحل واشجى الروم وقمعهم وامر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك في سنة ٢٤٧ (٨٦١ م) »

فكل هذه المساعي تبين باجلى منوال ما كان يبنيه الخلفاء العباسيون من الامال في تحصين سواحل الشام ومما توسل اليه ابو جعفر المنصور العباسي لتحصين الثغور والشواطئ الفينيقية انه ارسل قبيلة من المسلمين لتخلف المردة باحتلال تلك الجهات وانما هي ارومة الامراء التنوخيين الذين قدموا ضواحي بيروت واحتلوا اواسط لبنان واقاموا بها منذ بدء استيطانهم

واختلف في اصل آل تنوخ فمن قائل انهم عجم وفي قول انهم قبيلة عربية جاءت قبل الفتح الاسلامي الى نواحي حوران وانضمت الى عسكر خالد بن الوليد وكوفئت على بسالتها باقطاعها ارض المعرة · ومما لا خلاف فيه وعليه الاجماع ان التنوخيين مالأوا العباسيين فاحلهم ابو جعفر المنصور سنة ٧٣٦م غربي لبنان وعوّل عليهم في صد غارات الروم واهالي الجبل وقد نزل الامير ارسلان احد رؤسائهم محلة رأس البيدر وقطن الباقون ارباض بيروت وصيداء وهذه هي القبيلة الاولى من العرب التي دخلت لبنان ووليت بادئ بدء على جهة الغرب منه · واماً شماليه فقد بقي في حوزة الموارنة الذين كانوا يتدبرون امورهم ويديرون شؤونهم بانفسهم ويؤدون الجزية على ايدي المقدمين مخلدين الى الطاعة والانقياد

واعلم ان اخبار لبنان وفينيقية في عهد العباسيين نزرة قليلة كتاريخهما في عهد بني امية لان المدن

الداخليَّة كحلب وحمص ودمشق كانت تستوقف انظار الناس دون المدن الساحليَّة · وكانت الابصار تطمح خصوصاً الى دمشق لعظم جاهها وكثرة سكانها وسعة ارزاقها · فلمَّا رأى ذوو المطامع انَّ الخلافة العبَّاسيَّة ضعفت عن تدبيرها وعن ضبط جندها والنواحي اللاحقة بها اسرعوا الى بسط سلطتهم عليها · وكانت فينيقية ولبنان تابعين للتقلُّبات الطارئة بها خاضعين للدول الشاميَّة التي تولَّت الامر مستبدَّة الواحدة بعد الاخرى

فكانت اوَّل دولة انتزعت من ايدي الخلفاء سوريَّة ولواحقها الدولة الطولونيَّة المنسوبة الى طولون التركي احد موالي الخليفة المأمون من المتقدّمين عندهُ في الرتب · ثم خلفهُ في منصبهِ ابنهُ احمد سنة ٢٤٠ ﻫ (٨٥٤ م) فحظي عند الخلفاء فولاَّهُ الخليفة المعتزّ سنة ٢٥٤ ﻫ (٨٦٨ م) على مصر فعزَّ فيها وبزَّ ثم استقلَّ بالسلطة وخافهُ الخليفة وقلَّدهُ ايضاً الشام فضمَّها الى دولتهِ · وورثها عنهُ ابناؤهُ حتى انقرضوا سنة ٢٩٢ ﻫ (٩٠٥ م)

فعاد الخلفاء وارسلوا الى الشام عمَّالاً يقومون بتدبيرها فلم تطل مدَّتهم اكثر من ثلثين سنة اذ قام والٍ آخر من ولاة دمشق يدعى محمد بن طغج الاخشيدي كان ابوهُ طغج ابن احد قوَّاد فرغانة في ما وراء النهر دخل في خدمة خلفاء بغداد فارسلوهُ والياً على دمشق ثم تغير عليهِ الخليفة فامر بحبسهِ الا انَّ ابنهُ محمد تمكَّن من ضبط الولاية في دمشق ثم اعلن باستبدادهِ وانشأ في الشام سنة ٣٢٣ ﻫ (٩٣٥ م) الدولة الاخشيديَّة التي ملكت الى السنة ٣٥٨ ﻫ (٩٦٩ م) فخلفتها بالشام الدولة الفاطميَّة الى ايام الصليبيين

وممَّا يذكر في تاريخ لبنان ان القرامطة عند قدومهم سوريا اختلطت معهم شيع علويَّة دخل بعضها الجبل لاجئين اليهِ ومنهم طائفة النصيريَّة الذين افترقوا بمذهبهم عن سائر الشيع الاسماعيليَّة وسكنوا جبل السمَّاق في شمالي لبنان وانبثت شيعتهم من هناك حتى وادي التيم · وبعد امتداد سطوة الفاطميين في سوريا نشأ ايضاً ايام الحاكم بامر الله شيعة اخرى كانت اصلاً لطائفة جديدة استوطنت غربي لبنان وهي الطائفة الدرزية · امَّا اصل هذا المذهب فانهُ مبهم جدًّا غير انَّ المؤرخين مجمعون على ان الحاكم بامر الله كان قد استقدم اليهِ رجلين من بلاد فارس وهما محمد بن اسماعيل الدَّرزي وحمزة بن علي بن احمد وكلاهما قاما بالدعوة الى المذهب المحدث في وادي التيم على التعاقب احدهما بعد الآخر فنُسبت الدعوة الى محمد الدرزي واول ما ظهرت كانت نشأتها في الشوف من لبنان حيث لبثت الطائفة الدرزيَّة قويَّة قائمة حتى الآن وكانت في اول النشأة تخضع لرئيس واحد إمام اقام مدةً بالقرب من حاصبيا ثم لم يمرَّ طويل من الزمان حتى تمشت هذه الطائفة على سنن النظام الاقطاعي فاصبحت ازمَّة السلطة الادارية بايدي الزعماء وقد وقع منذ القدم منازعات بين الدروز والمسلمين السنِّيين وايضاً بين الدروز والشيعيين

واشد ما كان النزاع والقراع اقتتال الدروز والنصيريَّة على الخصوص في اوائل القرن الحادي عشر فان الفئة الاولى تغلَّبت على الثانية وطردتهم من وادي التيم ومكث النصيريَّة مستمرين بالجبل المعروف بهم يسكنون الوعر والجبل الاعلى وكان بينهم وبين النصارى عداوة شديدة · وقد ازداد في هذا العهد انتشار

الشيعة العلوية واقام السنيُّون في المدن الكبرى دون سواها ينازعون اهل الشيعة في امرهم · اما الشيعيون (المتاولة) الذين ما زالوا الى اليوم في نواحي صور وصيداء وبلاد بشارة والبقاع وبعض جهات لبنان فهم ولا شك بقايا شيعيّ هاتيك الايام ولا سيما الجاليات الفارسية التي انزلها معاوية في السواحل الفينيقية وحافظت كل المحافظة على كنه مذهبها العلوي الاصلي

وبالجملة فان سكان سوريا ولبنان قد عمّتهم الفوضى وتعددت فيهم التحزبات والانقسامات وكثر بينهم الشقاق ما خلا الموارنة فانّ نواحيهم من الجبل لزمت الاخلاد الى السكينة والراحة تحت حكم مقدّمين يختارونهم من ملتهم حتى قدوم الاتراك السلاجقة ومن ورائهم الافرنج الصليبيُّون الذين قبلوا حالة هذه البلاد وبدّلوا هيئة كيانها السابقة ونشأتها الأُولى

وفي اواخر الدولة الفاطميَّة ظهرت في سوريَّة الدولة السلجوقية المعزّوة الى سلجوق بن تقاق من امراء الترك فاستولى احد اولاده طغرول على خراسان سنة ١٠٤٠ وزحف على بغداد وسار عنها الى الموصل ففتحها ومات بلا عقب فافضت السلطنة بعده الى ألب ارسلان بن داود اخيهِ وهو الذي اسر رومانوس الرابع ملك الروم في وقعة الكبادوك · وسنة ١٠٧١ سار ألب ارسلان الى حلب وافتتحها وافتتح احد امرائهِ الرملة وبيت المقدس وحاصر دمشق فاعتاصت عليه وقُتل الب ارسلان (١٠٧٣) وخلفهُ ابنهُ ملكشاه وبعد ثلاث سَنوات دخلت دمشق في حوزة السلجوقيين وقد اقطع ملكشاه اخاه تتش سوريا وما يتم فتحه على يدهِ من البلاد وبسط سلطته على حلب ودمشق واجتاز الشام · وفي سنة ١٠٨٥ خرج سليمان السلجوقي صاحب قونية فاخذ مدينة انطاكية من ايدي الروم فحدثت المنازعات وانتشبت الحروب بين الامراء السلاجقة في سوريا واضطر السلطان ملكشاه ان يقدم حلب بعسكره ارجاعاً للنظام فاغتنم خليفة مصر هذه الفرصة فساق بعثاً الى سوريا واستولى على صور وصيداء وعكا وجبيل فباتت الشواطئ الفينيقية بايدي المصريين · وتوفي السلطان ملكشاه في بغداد سنة ١٠٩٣ فتنازع السلجوقيون بعده السلطنة فوقعت حروب طويلة سالت فيها الدماء وانتهت بمقتل تتش امير الشام · ثم انقسم القوّاد والعمّال الى حزبين واشتدت الوقائع بين الفريقين فاسرعت عوامل التجزئة في الدولة السلجوقية بسوريا · فبقيت سواحل فلسطين وفينيقية الى طرابلس تحت سلطة خليفة مصر الفاطمي وصارت باقي الجهات منقسمة الى عدة اعمال مستقلة · وهم في هذه الحال اذ قدم الفرنج الصليبيُّون هذه الديار سنة ١٠٩٩ اما لبنان فقد ازداد ايام السلاجقة نظام اهلهِ ولم يجدوا بدًّا من الاقتداء بهم تنسيقاً للجندية فجعلوا عليهم امراء ينقادون اليهم في سبيل مقاومة مهاجميهم ووحّدوا السلطة فتبدّلت الاقطاعيات العقارية باقطاعيات جندية · وكذلك كانت حالة الدروز في غربي البلاد لِما رأَوا من اقدام السلجوقيين على تهديد جامعتهم الكيانية اذ كانوا يقاومون كل شيعة وفرقة تخالفهم في مذهبهم السني

هذه احداث عموميَّة جرت في انحاء الشام في عهد الخلافة العباسيَّة قبل الحروب الصليبيَّة اشتركت فيها سورية وفينيقية ولبنان · اما الامور الخاصة التي تفيدنا بعض العلم عن لبنان وسواحلهِ فاننا سننقلها عن اوثق المصادر حيث رويت متفرقةً

فمن ذلك ما جاء في كتب البلدان من وصف لبنان ومدنه في تلك القرون . اقدم كاتب من العرب اشتهر في وصف البلدان هو ابو القاسم عبيد الله بن خردادبه الذي عاش في اوائل القرن العاشر للمسيح فانهُ ذكر في كتابه المسالك والممالك اقليم لبنان في جملة كورة دمشق ثم ذكر كورة جونية وكورة اطرابلس وكورة جبيل ثم بيروت وصيداء ولم يزد تعريفاً

ثم ازهر شمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري بعد ابن خردادبه بنحو ٧٠ سنة فقال في كتابهِ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (ص ١٨٨) : « امَّا الجبال الشريفة فجبل زَيْتا يطل على بيت المقدس . وجبل صدّيقا بين صور وقدس وبانياس وصيداء ... وامَّا جبل لبنان فهو متَّصل بهذا الجبل مشرف على صيداء وطرابلس كثير الاشجار والثمار المباحة وفيهِ عيون ضعيفة يتعبد عندها اقوام قد بنوا لانفسهم بيوتاً من القش والخصاص من القصب يأكلون من تلك المباحات و يرتفقون بما يحملون منها الى المدن من القصب الفارسي والمرسين وغير ذلك وقد قنُوا به » . امَّا المدن الساحليَّة فقد ذكر منها المقدسيّ (ص ١٦٠) صيداء و بيروت وطرابلس وعرقة قال : « وصيداء و بيروت مدينتان على الساحل حصينتان وكذلك طرابلس الا انها اجلّ وعرقة حصينة داخل الحصن مزارع » . ثم ذكر صور (ص ١٦٣ — ١٦٤) قال : « وصور مدينة حصينة على البحر بل فيه يُدخَل اليها من باب واحد على جسر واحد قد أحاط البحر بها ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا ارض تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تُجَرّ السلسلة كي لا يعبر عليها الروم في الليل ولهم ماء يدخل في قناة معلَّقة وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع كالبصرة وخصائص ومنها اكثر سكَّر الشام ولهم ماء غزير ومزارع القصب بها كثير و بينها و بين عكا شبه خليج ولذلك يقال عكا حذاء صور » وذكر بين تجارات صور (ص ١٨١) السكَّر والخرز (و يروى الجزر) والزجاج الخروط والمعمولات

وكان ابن الفقيه معاصر المقدسي فوصف لبنان في مختصر البلدان (ص ١١٢ و ١١٧) بكثرة المتعبدين فيه والزهَّاد ثم بوفرة فواكهِ و بقولهِ و ينابيعهِ الباردة المياه وقد اثنى خصوصاً على تفَّاح لبنان الفائق اللذَّة

وفي اواسط ذلك القرن الرابع للهجرة اشتهر ايضاً الجغرافيَّان العربيَّان الاصطخري وابن حوقل فذكرا بعض مدن سواحل الشام اخصها بيروت وطرابلس . قال الاصطخري في مسالك الممالك (ص٦٥) : « بيروت مدينة على شط بحر الروم خصبة (و يروى حصينة) من عمل دمشق بها كان مقام الاوزاعي » وقال ابن حوقل في المسالك والممالك واحسن (ص ١١٦) : « بيروت على ساحل بحر الروم... وبها يرَابط اهل دمشق وسائر جندها واليها ينفرون عند استنفارهم ولِيسوا كاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم مَن اذا دُعي الى الخير اجاب واذا ايقظهُ الداعي اناب . و ببيروت هذه كان مقام الاوزاعي وهي ذات نخيل وقصب سكر وغلاَّت متوفرة وتجارات البحر عليها دائرة وسابلتها غير منقطعة حصينة خصيبة متينة السور رخيصة الاسعار جيدة الاهل مع منعة فيهم من عدوهم وصلاح في عامة امورهم » . ووصف كلاهما طرابلس فقالا انها فرضة دمشق في زمنهما وانها وافرة الغلات يقيم فيها جند الشام ومنها يخرجون لغزو الروم . ثم يثنيان على لين عريكة اهلها ووفرة مرافقها

وكذلك ابن رسته من كتبة ذلك الزمان قال يذكر لبنان صيداء في كتابهِ العلائق النفيسة (ص٣٢٧) : « ان بها (كذا) قوماً من قريش ومن اليمن . ولجند دمشق من الكوَر على الساحل كورة عرقة ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس ناقلة وبها قومٌ من ربيعة من بني حنيفة . ومدينة اطرابلس واهلها قوم من الفرس كان معاوية بن ابي سفيان نقلهم اليها ولهم مينا عجيب يحتمل الف مركب . وجبيل وصيداء وبيروت واهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية بن ابي سفيان . وصور وهي مدينة السواحل فيها دار الصناعة ومنها مخرج مراكب السلطان لغزو الروم وهي حصينة جليلة واهلها اخلاط من الناس »

وفي شعبان سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٠ م) تجوَّل في سواحل الشام رحالة فارسي يُدعى نصري خسرو فوصف مدن فينيقية وصفاً مستجاداً نعرّب منهُ بعض فقراتهِ . مرَّ اوّلاً بطرابلس سائراً اليها من حلب فوصف حدائقها الغنَّاء ومزارعها من قصب السكر والاترج والنارنج والموز والنخل وكان مرورهُ فيها يوم عصرهم قصب السكَّر واتسع في وصف اسوارها من نحيت الحجارة ذات باب واحد في شرقيها وخنادقها ومناجيقها لردّ غارات الروم واسواقها شبه القصور غاية في النظافة ودورها ذات اربعة الى ستة طوابق . ثم وصف فواكهها اللذيذة المتوفرة وجامعها الجميل الهندسة ومياهها النميرة وكان اهلها حينئذٍ على مذهب الشيعة ٢٠،٠٠٠ ومن معاملهم معمل لورق الكتابة كمعمل كاغد سمرقند . وكانت طرابلس في ذاك الوقت في حوزة ملوك مصر الفاطميين اعفوها عن اداء الضرائب لامانة اهلها في واقعة سابقة انهزم فيها الروم

ثم سار من طرابلس على الساحل فمر بحصن قلمون ثم بالبترون الى جبيل فقال عنها انها مثلثة الزوايا قاعدتها شاطئ البحر وانها محصنة باسوار عالية غاية في المتانة يحدق بها النخيل واشجار غيرها

ثم قصد بيروت فقال : « وسرنا من جبيل الى بيروت حيث راينا قنطرة من حجر تمتدُّ الطريقُ فوقها فقدَّرتُ ان علوَّها خمسون كزًّا (يساوي الكزّ متراً وربع متر) وجانبا القنطرة مبنيان بحجارة بيضاء ضخمة ثقل الحجر نحو الف منّ (والمنّ كالرطل تقريباً) وعن يمين القنطرة وشمالها اسطوانتان من الآجرّ علوُّها عشرون كزًّا . وفوق الاسطوانتين عمودان من الرخام علو العمود ثمانية كزوز لا يكاد رجلان يلفّان على العمود ذراعيهما لضخمهِ . وعلى العمودين كانت مبنية قناطر من الحجارة الكبيرة دون ملاط ولا كلس والقنطرة الكبيرة هي في وسط هذه القناطر وهي تعلو فوقها نحو ٥٠ آرشا (اي ذراعاً) وعلى ما اظن يبلغ علو كل حجر من تلك القنطرة سبعة آراش في عرض اربعة منها ووزنهُ نحو ٧٠٠٠ منّ . وكل هذه الحجارة منقوشة بنقوش غاية في الدقة واللطف قلما يُرى مثلها في المصنوعات الخشبية نفسها . وكان جواب الذين سأَلتهم عن خبر هذه القناطر انها عريقة في القدم وهم يدعونها باب بستان فرعون . والسهل الذي يحيط بهذا الاثر فيهِ عددٌ لا يحصى من الاعمدة ورؤوس الاكلّة كلها من الرخام المنقوش بعضها مستدير الشكل اسطواني وبعضها مربع مكعب وغيرها مسدس او مثمن الزوايا . وحجرها نهاية في الصلابة لا يعمل فيهِ الحديد وليس في جوار المكان مقلع يستدل بهِ على انهم استخرجوهُ منهُ . . وهناك حجر آخر مانع يلوح لناظرهِ انهُ مركب تركيباً صناعياً لا يؤَثر فيهِ الحديد . وفي بلاد الشام ترى السواري والاعمدة ورؤوس الاكلة ملقاة في كل مكان ينيف

عددها على خمسمائة الف لا يعلم احد ماذا قصدوا من جمعها ولا من اين اتوا بها »

فيتقرر من وصف خسرو السابق ان الابنية العديدة التي كان الرومان والهيرودوسون الثلاثة بنوها في بيروت وضواحيها لم تطمس آثارها بعد في القرن الحادي عشر اما القناطر التي ذكرها فلم نتحقق اين كان موقعها أفوق نهر ابراهيم ام نهر الكلب ام نهر بيروت

ثم واصل خسرو سيره الى صيداء فراقهُ منظر رزداقها واسوارها المتينة من الحجر المنحوت يُدخَل اليها من ثلثة ابواب · ثم استحسن هندسة جامعها المفروش كلهُ بالطنافس البديعة النقوش وقال عن اسواقها انها كانت حسنة جدًّا مزدانة بالحليّ كأنهم في انتظار احد الملوك فسأل عن الخبر فكان جوابهم ان المدينة على هذه الصورة ابداً · اما حدائقها فخيّل له انها غُرست لسلطان وكان في وسطها جواسق يتنسمون فيها الهواء

ثم تخطّى الى ذكر صور وبنائها العجيب على صخر ممتد في البحر واسوارها المحدقة بها معظمها في البحر ايضاً ليس منها في البرّ سوى مئة كزّ وحجارتها كلها منحوتة وضعوا بينها القطران لئلاَّ ينفذ فيها ماء البحر · ومساحة المدينة الف ارش مربَّع تبلغ طوابق بيوتها الخمسة او الستّة في اكثرها نوافير الماء واسواقها كثيرة الخيرات وهي مشهورة بين مدن الشام بغناها وسعدها · ومعظم اهلها من الشيعة تأتيها المياه بقنيّ من الجبل

فهذه الاوصاف لاهل ذلك الزمان تبين حالة فينيقية ولبنان في ايّام الدولة العباسيَّة · وهي بالاجمال مرضيّة الا انّ المؤرخين العرب افادونا بأمور غيرها مكدرة ومصائب أليمة نرويها تتمَّة للافادة

فمن ذلك عدَّة زلازل نغَّصت عيش السوريين في السنين الآتية ٧٣٨ و ٧٤٦ و ٨٥٩ و ٩٩٢ م والظاهر انّ سواحل لبنان لم تتأذَّ منها كما ورد في الازمنة السالفة الا زلزلة سنة ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) قال الطبريّ في وصفها : « كانت في هذه السنة بانطاكية زلزلة ورجفة في شوّال قتلت خلقاً كثيراً وسقطت منها ١٥٠٠ دار ··· ونقطَّع الجبل الاقرع وسقط في البحر فهاج وارتفع منهُ دخان مظلم منتن وغار منها نهر على فرسخ لا يُدرى اين ذهب »

ومنها آفات الحروب التي كانت مدن السواحل معرَّضة لها اكثر من سواها من قبل ملوك الروم قبل مجيء الصليبيين الفرنج · قال يحيى بن سعيد الانطاكي في تاريخهِ الذيل على تاريخ ابن بطريق (ص ١٣١) يذكر ملك الروم نيقيفور فوقاس في تاريخ سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) : « وفي هذه السنة فتح نيقيفور معرَّة النعمان وحماة وحمص واخذ منها رأس التديس يوحنا المعمداني وسار الى طرابلس ونزل عليها يوم عيد الاضحى في العاشر من ذي الحجَّة واقام عليها تلك الليلة واحرق ربضها وحاصر مدينة عرقا تسعة ايام وكان لها حصن منيع ففتحهُ بالسيف وفتح حصن انطرسوس ومرقية وحصن جَبَلَة وصالح اصحاب اللاذقيَّة وضرب من القرى ما لا يحصى »

وقال في تاريخ سنة ٣٦٤ يذكر غزوة الملك يوحنا زيميسيس (Jean Zimiscès) الذي يدعوهُ العرب ابن الشمشقيق قال : « وفي السنة ٣٦٤ غزا يانيس بن الشمشقيق الى الشام ونزل على بعلبك وفتحها ··· وسار على طريق الساحل وفتح بيروت واسر اميرها نصر الخادم وحملهُ الى بلد الروم ونزل على طرابلس وقاتلها

ولم يتمّ له فيها شيء واخذ حصن بانياس وحصن جبلة وتسلّم ايضاً حصن برزويه وحصن صهيون »٠وذكره ابن القلانسي في تاريخهِ المعروف بذيل تاريخ دمشق(ص١٤) قال: « فانتقل (ابن الشمشقيق) الى ثغر بيروت فامتنع اهله عليهِ فقاتلهم وافتتح الثغر عنوةً ونهبهُ وسبى السبي الكثير منهُ وتوجّه الى جبيل فاعتصم اهلها عليهِ وجرى امرها مجرى بيروت ونزل على طرابلس فاقام عليها تقدير اربعين يوماً يقاتل اهلها و يقاتلونهُ فبينما هو على ذلك اذ دسّ اليهِ خال بسيل وقسطنطين سمّاً فاعتلّ منهُ ٠٠٠وتوجه الى القسطنطينيّة وتوفي ٠٠٠ »

وكان وافق خروج ابن الشمشقيق على سواحل الشام عصيان الحاجب التركيّ ألفتكين المُعزّي على العزيز لدين الله ٠ فانّ الفتكين المذكور كان خدم خلفاء بني عباس ثم انفصل عن بغداد لمّا تولى الخلافة الطائع لله فوصل اوّلاً الى حمص ثم انتقل بعد حين الى دمشق فعرف الخليفة الفاطميّ المعزّ لدين الله فضلهُ فولّاهُ على دمشق ٠ ثم صار الامر بعد المعزّ لابنهِ العزيز فلم يثق بامانتهِ وارسل يستدعيهِ الى مصر فخاف الفتكين على نفسهِ وابى الذهاب فجهّز اليهِ الخليفة عسكراً ليحاربهُ فانضوى ألفتكين الى القرامطة واستدعى زعيمهم الحسن بن احمد القرمطيّ لدفع جيش المغاربة المرسل من مصر فاشتدّ القتال بين الفريقين وعمل الفتكين على اخذ ثغور الساحل وسار فيمن اجتمع اليهِ ونزل صيداء وقاتل واليها ابن الشيخ وفتك بالمغاربة حتى ضاقت الامور بقائدهم جوهر فلم يجد بُدّاً من مصالحة الفتكين واستلطافهِ وتأمينهِ في ولايتهِ سنة ٣٦٥ ه

وممّا رواهُ ابن القلانسيّ ايضاً في تاريخهِ (ص ٥٠ — ٥١) ما حدث في صور سنة ٣٨٧ ه (٩٩٧ م) في ايّام الحاكم بامر الله الخليفة الفاطميّ وخادمهِ برجوان القائد ٠ قال: « وكان اهل صور في هذه السنة قد عصوا وامّروا عليهم رجلاً ملاّحاً من البحريّة يُعرف بالعلاّقة وقتلوا اصحاب السلطان ٠٠ وانضاف الى ذلك خروج الدوقس عظيم الروم في عسكر كثير الى الشام ونزولهُ على حصن افامية ٠٠٠ فندب برجوان القائد ابا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وياقوت الخادم ومن معهُ من عبيد الشرا لقصد صور ومنازلتها وفتحها وكان قد ولي جماعة من الخدم السواحل فأُنفذوا اليها وأُنفذ في البحر تقدير عشرين مركباً من الحربيّة المشحونة بالرجال الى ثغر صور وكتب الى عليّ بن حيدرة والي طرابلس بالمسير اليهِ في اسطولهِ والى ابن شيخ والي صيداء بمثل ذلك والى جماعةٍ من الجهات بحيث اجتمع الخلق الكثير على باب صور ووقعت الحرب بينها وبين اهلها واستجار العلاقة بملك الروم وكاتبهُ يستنصرهُ ويستنجدهُ فأَنفذ اليهِ عدّة مراكب في البحر مشحونة بالرجال المقاتلة والتقت هذه المراكب مراكب المسلمين فاقتتلوا في البحر قتالاً شديداً فظفر المسلمون بالروم وملكوا مركباً من مراكبهم وقتلوا من فيهِ وكانت عدّتهم مائة وخمسين رجلاً وانهزمت بقيّة المراكب فضعفت نفوس اهل صور ولم يكن لهم طاقة بمن اجتمع عليهم من العساكر برّاً وبحراً ونادى المغاربة: « من اراد الامان من اهل الستر والسلامة فليلزم منزلهُ » فلزموا ذلك وفُتح البلد وأُسر العلاقة وجماعة من اصحابهِ ووقع النهب وأُخذ من الاموال والرجال الشيء الكثير وكان هذا الفتح اوّل فتح على يد برجوان الحاكم وحُمل العلاقة واصحابهُ الى مصر فسُلخ حيّاً وصُلب بظاهر المنظر بعد ان حُشي جلدهُ تبناً وقُتل اصحابهُ ووُلّي ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان صور واقام بها »

وقد مرَّ في باب الآثار القديمة (ص ١٣٦) ذكر كتابات عربية اسلامية وُجدت في بعض انحاء لبنان وسواحله ·

هذا مجمل ما ورد من اخبار سواحل الشام ولبنان في عهد الخلافة العباسيَّة · وقد روى بعض الكتبة المحدثين انهم وجدوا عند الامراء الارسلانيين كتابات تشتمل على مآثر لاجدادهم منها انَّ الخليفة العباسيّ ابا جعفر المنصور حجَّ سنة ١٤٠ (٧٥٧ م) ثم قدم الى دمشق فاقطع المنذر بن مالك واخاه ارسلان اقطاعات في الغرب وامرهم بالسكنى في جبال بيروت فاستوطن المنذر سرحمور ونزل اخوهُ ارسلان في سن الفيل · وارسلان هــذا هو جدّ الارسلانيين الاعلى وقد جرت لهمواقع عديدة مع المردة الذين وكل اليهم ملك الروم حراسة لبنان وانهُ توفي في سن الفيل سنة ١٧١ ه (٧٨٧ م)

ورووا كذلك عنهم قدوم مراكب للروم الى بيروت سنة ١٨٥ ه (٨٠١ م) فغزوا ساحلها واستأسروا عند مقام الاوزاعيّ اميراً من الارسلانيين اسمهُ عمر ابن الامير ارسلان فبقي عندهم حتى فداهُ بعد ثلث سنوات القاسم بن هارون الرشيد

ومن رواياتهم ايضاً انَّ الامير نعمان بن عامر الارسلاني تولَّى بيروت وصيداء وجبلهما بامر ماجور التركيّ سنة ٢٥٧ ه (٨٧١ م) فبنى في بيروت داراً فخيمة وحصَّن سور المدينة في خلافة المتوكّل العبَّاسيّ · وممَّا اخبروا عنهُ انهُ قاتل الروم اوّلاً في نهر بيروت قتالاً عظيمًا عدَّة ايَّام حتى انتصر عليهم وكتب الى الخادم موسى بن بغا في بغداد يخبرهُ بالواقعة وارسل اليهِ رؤوس القتلى وعدداً من الاسرى فاكرم موسى رسلهُ وسُرَّ بظفرهِ وعرض الامر للمتوكّل على الله الخليفة فكتب اليهِ كتاباً يثني فيهِ على شجاعتهِ ويحرّضهُ على قتال الاعداء ثمّ يقرّهُ على ولايتهِ هو وذرّيتهُ واهداهُ سيفاً ومنطقة وشاناً اسود واعاد رسلهُ مكرَّمين · فتقلَّد الامير السيف وشدّ المنطقة ولفّ الشاش ودعا لامير المؤمنين فاشتدّ امرهُ وعظم شأنهُ · ويقال هناك انّ هذا الامير ردّ غارة الروم سنة ٣٠٣ ه (٩١٥ م) وكانوا نزلوا من سفنهم في رأس بيروت فسار اليهم واسر منهم ثمانية رجال وقتل ستة · ثم فاداهم على من اسروهُ من المسلمين · واخبروا ايضاً انّ الامير احمد ابن محمد بن ابي يعقوب بن هارون الرشيد مرَّ مع اسرتهِ في بيروت فاستقبلهُ الامير نعمان المذكور وخطب ابنتهُ السيّدة كلثوم لابنهِ الامير منذر فزفَّها اليهِ · وكانت وفاة الامير نعمان سنة ٣٢٥ ه (٩٣٦ م) وعمرهُ ٩٨ سنة توفي في بيروت وبها دُفن ثمّ خلفهُ في ولايتهِ ابنهُ المنذر ولقب سيف الدولة

هذه المنقولات وجدت كما يقال في اوراق مصونة عند الامراء بني ارسلان ولم يمكنَّا ان نتثبَّت صحَّتها بعرضها على غيرها من التواريخ فرويناها على علاتها · وما هو اثبت من ذلك ما رواهُ صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٣٦) انَّ الحاكم بامر الله الخليفة الفاطميّ ولَّى على بيروت سنة ٤٠٥ ه (١٠١٤ م) الفتح دودار قلعة حلب الذي كان في خدمة صاحب حلب ابي نصر بن لؤلؤ فجرت وحشة بينهُ وبين استاذهِ فعصاهُ واستولى على القلعة وكاتب الحاكم بامر الله فارسل الحاكم نوّابهُ فتسلموا حلب وقلعتها من فتح واقطعهُ الحاكم عوضها صور وصيداء وبيروت ونعّتهُ مبارك الدولة وسعد الدولة · قال صالح: « وكان ارتفاع الثلاثة اماكن

المذكورة ثلثمائة الف دينار » يريد بالارتفاع ما يُرفع الى السلطان من الجزية والاموال الاميرية

وفي السنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧) كان المتولي على بيروت ابا سعيد قابوس بن فاتك امير الغرب من قبل المستنصر بالله خليفة مصر· وفي السنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) اقطع المستنصر عكة وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة ثمال بن مرداس صاحب حلب عوضاً عن حلب التي تنزّل عنها للخليفة لكنّ اقاربهُ لم يوافقوهُ على ذلك فاسترجعوا حلب من عمّال المستنصر واستعاد المنصور المدن الثلث الساحلية · وقد اختصر صالح بن يحيى تاريخ سواحل الشام ولبنان في القرون الثلاثة السابقة للصليبيين بقولهِ : « وكان الذي يقوى على دمشق يملك على السواحل حسب ما ذكرهُ المؤرخون »

اما مشاهير تلك الحقبة في الجبل وسواحلهِ فقليلون اخصهم الامام الاوزاعي قال ابو جعفر الطبري في ذيل تاريخهِ المذيّل (ج ٣ ص ٢٥١٤) : « هو عبد الرحمان بن عمرو ويكنّى ابا عمرو الاوزاعيّ المنتسب الى الاوزاع وهو بطن من هَمْدان وكان يسكن بيروت من سواحل الشام وكان في زمانهِ احد مفتي تلك الناحية ومحدّثيهم وذوي الفضل منهم وتوفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ (٧٧٣م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنةً · وزاد صالح بن يحيى افادةً على قولهِ في تاريخ بيروت (ص٢٣—٢٤) « ان الاوزاعيّ هو امام اهل الشام وعالمهم قيل انهُ اجاب في سبعين الف مسألة وصار يُعمَل بمذهبهِ في الشام نحو مائتي سنة · · وكان عظيم الشأن بالشام وكان امرهُ فيهم اعزّ من السلطان · وكان مولدهُ في بعلبك سنة ٨٨ هـ (٧٠٧ م) وقيل ٩٣ هـ (٧١٢) ومنشأهُ بالبقاع ونقلتهُ امهُ الى بيروت فرابط بها الى ان مات » وقبرهُ على ما افاد ابو الفداء في تاريخ سنة وفاتهِ (ج ٢ ص٧) في قرية على باب بيروت يقال لها خنتوس (ويروى حنتوش) وهو في عهدنا مزار خارج المدينة جنوبيها الغربيّ ويقول علماء المسلمين انهُ كان يدرّس في الزاوية المعروفة باسمهِ حتى الآن جنوبي السوق الطويلة وهناك سبيل أُنشئ سنة ٩٣٥هـ (١٥٢٩ م) تذكاراً له »

ثم ذكر صالح بن يحيى ابنَ الاوزاعي واسمهُ محمَّد قال « انه كان عابداً قانتاً وكان يُظَنّ فيهِ انهُ من الابدال عاش بعد ابيهِ عشر بن سنة » وأَلحق بالاوزاعيّ وابنهِ بعض الزهّاد الذين عبدوا الله في بيروت او امتازوا بعلومهم كالوليد بن مَزْيَد العُذريّ المولود سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) المتوفى سنة ٢٠٣ هـ (٨١٨ م) وكأبي الفضل بن العباس بن الوليد البيروتيّ المولود سنة ١٧٩هـ (٧٩٥م) والمتوفى سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٤ م) وكأبي مُسْهِر البيروتي المعروف بمكحول الحافظ المشهور المتوفى سنة ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) · ومن نُسبوا الى صيداء وصور هشام بن الغازي بن ربيعة الجُرَشي الصيداويّ روى عن مكحول المذكور مات سنة ١٥٦هـ (٧٧٣ م) · وابو الحسن محمد الغسّاني الصيداوي المعروف بابن جميع الحافظ والمحدّث كان مولدهُ سنة ٣٠٥ (٩١٧م) · وابو عبدالله محمد بن عليّ الصوريّ الحافظ قال عنهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٤٤١) انهُ طاف البلاد في طلب الحديث قيل كان يذاكر بمائتي الف حديث توفي في بغداد

ومما يُناط بتاريخ لبنان ما ذكره المؤرخ المسعودي عن الموارنة في كتابهِ التنبيه والاشراف الذي كتبهُ سنة ٣٤٥هـ (٩٥٦ م) وهو من اقدم الشواهد عن هذه الطائفة فروى هناك ان نسبتهم « الى رجل من اهل

مدينة حماة من اعمال حمص يعرف بمارون» ثم قال عن موارنة زمانه ان « امرهم مشهور بالشام وغيرها اكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص واعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان » ثم ذكر دير مار مارون العظيم الذي جعل موقعهُ شرقي حماة وشيزر ووصف بنيانه العظيم وصوامعهُ المنيفة على ٣٠٠ صومعة وما كان فيها من آلات الذهب والفضة والجوهر قال : « فخرب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من العرب وحيف السلطان وهو بقرب نهر أرنط نهر حمص وانطاكية » ثم اردف بعد ذكره لمارون ومذهبه قائلاً : « ولبعض متّبعيهِ من المارونية ويُعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم انتهى بتصنيفهِ الى خلافة المكتفي (٢٨٩—٢٩٥ هـ = ٩٠٢—٩٠٨م) ولم ارَ للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره » ثم ذكر المسعودي للنصارى الملكية تاريخين جليلين اعني تاريخ محبوب بن قسطنطين المنبجي الذي طُبع حديثاً في بيروت لاول مرة وتاريخ سعيد ابن بطريق الذي تجدَّد فيها طبعهُ

اما قول المسعودي انهُ لا يعرف للمارونية غير تاريخ قيس ففيه نظر لانهُ عاش قبل قيس المذكور ماروني آخر له تاريخ ايضاً. قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٢١٩) يذكر وفاة توفيل بن توما النصراني المنجم الرهاوي رئيس منجمي المهدي الخليفة العباسي في اوّل محرّم سنة ١٦٩هـ (٧٨٥ م) فقال عنهُ : «كان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتاب اوميرس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة » وتاريخهُ قد فُقد كتاريخ قيس الماروني الا ان محبوب المنبجي قد اختصر منهُ صفحات في تاريخه السابق ذكره (من الصفحة ٣٦٩ وما يليها)

١١ تاريخ لبنان وفينيقية في عهد الصليبيين

قرأنا في كتاب الفتوحات الاسلامية المطبوع في مكة سنة ١٣٠٢ هـ (ج ٢ ص ٢ — ٣) فصلاً حسناً عن مبادئ الحروب الصليبية لشيخ الاسلام احمد ابن السيد زيني دحلان ننقلهُ هنا بالحرف الواحد لفائدتهِ في تعريف اسباب هذه الحروب

ذكر ابتداء الحروب الصليبية : « كان من اسباب قيام ملوك الافرنج وهيجانهم لتلك الحروب ان رجلاً منهم اسمهُ بطرس الناسك ترهب وانفرد عن اهلهِ سائحاً متنسكاً فزار بيت المقدس واخذتهُ الحمية في استخلاص تلك الاماكن من ايادي المسلمين فلما رجع الى بلاد ايطاليا اجتمع مع البابا وخاطبهُ في ذلك. فوافقهُ البابا على استحسان افكارهِ وما قام بنفسه وعزم في الحال على اتخاذ الاسباب والوسائط المقتضية لاتمام هذا المشروع فامر بطرس ان يجول في اقطار البلاد منادياً ومبشراً للشعوب بانقاذ النصارى واستخلاص تلك الاراضي من ايادي المسلمين . فاخذ بطرس يجول من مكان الى آخر منذراً ومحركاً قلوب الناس للاشتراك في هذا العمل فاجتاز من ايطاليا الى فرنسا. ثم سار الى اكثر ممالك اوروبا زارعاً بين الجميع هذه الافكار

مهيجًا اياهم للنهوض والقيام · وفي اثناء ذلك عقد البابا عدة مجامع في ايطاليا وفرنسا وطرح فيها هذه المسألة امام الجمهور الحاضرين منتهضًا همتهم للمبادرة والاستعداد في هذا المشروع وجعل للرعايا المقيمين بذلك انعامات ورفع عنهم كثيراً من الضرائب والخراجات · فنهض احد الاساقفة وطلب من البابا ان يكون اوّل من يجاهد في هذا السبيل فسلمهُ البابا راية الصليب فتبعهُ جملة من رؤساء الدين ومن عامّة الناس ورسموا على صدورهم صورة الصليب بلون احمر وجعلوا هذه العلامة على الاسلحة والألوية والرايات والبنود ومن ذلك الوقت سُمّوا الصليبيين ودُعيت حروبهم بالحروب الصليبية · واذا أراد الله ظهورَ امرٍ هيّأ اسبابهُ »

هذا ما قالهُ السيد احمد بن دحلان · وممّا يجب ذكرهُ من اسباب الحروب الصليبيّة ما رواهُ المؤرخون العرب كالمقريزي وابن القلانسي ويحيى الانطاكي عن الحاكم بامر الله اذ امر بهدم كنيسة القيامة في القدس الشريف مع الوف من البيع غيرها فحرّك هذا العمل الغضب في قلوب الفرنج وكان من اكبر الدواعي الى نهضتهم مع ما بلغهم من تعدُّد الدول الاسلاميّة والمنازعات بينها

ولا حاجة الى تفصيل اخبار الصليبيين هنا وانما نلخّص ما يختص بلبنان وسواحلهِ · بعد فتح الفرنج لمدينة انطاكية ساروا اوّلاً الى معرّة النعمان ففتحوها عنوةً ثم جروا على طريق شيزر فمصياد فرفنية وحاربوا النصيريّة في جبلهم ثم دخلوا سهول البقاع في ربيع الاوّل ٤٩١ هـ (شباط ١٠٩٩) ثم عدلوا بعد اجتيازهم بحصن الاكراد الى سواحل البحر فاستولوا على طرطوس واللاذقيّة فجعلوها مرفأً لسفنهم · ثم تقدّموا على سيف البحر وحاصروا مدينة عرقة فصالحهم عليها منقذ صاحب شيزر كما صالحهم على حمص صاحبها جناح الدولة · وفي ايار من السنة قطعوا مدن البترون ثم جبيل ثم جازوا مضيق نهر الكلب فوصلوا الى بيروت وكان يحكم آنئذٍ بيروت بعض امراء التنوخيين تحت ولاية ظهير الدين طغتكين السلجوقي صاحب دمشق فطلب من زعماء جيوش الفرنج ان يكفّوا عن اذى المدينة واهلها وعن العيث بغلاّتها فقبلوا وانما اشترطوا عليهِ ان يقدّم لهم حاجتهم من الاقوات والذخائر بثمن معتدل

ثم انتقلوا من بيروت الى صيداء فصور فعكا دون ان يحاولوا محاربتها اذ لم يكن همّهم غير الاستيلاء على مدينة القدس وكذلك امراء المدن الساحليّة خافوا ان يتعرّضوا لهم في مسيرهم فكانوا يسرعون الى مسالمتهم وتمّ فتح بيت المقدس في ١٥ تموز من تلك السنة اخذوهُ عنوةً من النائب افتخار الدولة الذي كان ملوك مصر الفاطميّون استنابوهُ فيهِ وملكوا عليهم غودفروا دي بوليون احد امرائهم المعروف عند العرب بغودفريد فلم تطل مدّتهُ ومات في السنة التالية

فانتدب زعماء الفرنج اخاهُ بغدوين او بودوين صاحب الرها ليخلفهُ في ملكه فقدم من الرها ومرّ بساحل بحر الشام مع فرسانهِ فلما وصل الى دربند نهر الكلب اجتمع عليهِ امراء بيروت وصور وصيداء وعكا ليصدُّوه عن قطع ذاك المكان الحرج فاستطرد لهم بغدوين وحمل الامراء على فرقتهِ فكرّ الفرنج راجعين وتعقّبوا جنود الامراء وبدّدوا شملهم واجتازوا الدربند

ملك بغدوين على القدس ثماني عشرة سنة (١١٠٠—١١١٨ م) ثبّت في مدّتها دولة الفرنج واضاف

اليها عدَّة فتوحات اخصها الساحل اللبناني فباشر اولاً بمدينة حيفا فملكها عنوةً سنة ٤٩٤ ه (١١٠١ م) ثم ملك ارسوف بالامان ثم فتح مدينة قيسارية بالسيف

قال ابن الاثير في تاريخه (١٠ : ١٣٨) : « وفي السنة ٤٩٥ ه (١١٠٢ م) نازل القمص ريموند دي صنجيل مدينة طرابلس وحصرها واتاهُ اهل الجبل فاعانوهُ على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى فقاتل من بها اشدَّ قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة ثم انهُ هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهي من اعمال طرابلس فحصرها وفتحها » ثم قال في تاريخ سنة ٤٩٧ ه (١١٠٣ — ١١٠٤ م) : « وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى اللاذقية فيها التجار والاجناد والحجَّاج وغير ذلك فاستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحصروها معهُ برًّا وبحراً وضايقوها وقاتلوها اياماً فلم يروا فيها مطمعاً فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالاً شديداً فلما رأى اهلها عجزهم عن الفرنج اخذوا اماناً وسلموا البلد اليهم ... فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها في البرّ والبحر وكان الوالي بها اسمهُ بنا و يعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبةً الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم اشدَّ قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منهُ وملك الفرنج البلد بالسيف قهراً »

ثم قال في تاريخ سنة ٤٩٩ ه (١١٠٥ م) : « كان صنجيل الفرنجي قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحيث لم يقدر ان يملكها بنى بالقرب منها حصناً وبنى تحتهُ ربضاً واقام مراصداً لها ومنتظراً وجود فرصة فيها . فخرج فخرُ الملك صاحب طرابلس فاحرق ربضهُ ... ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين فعُدمت الاقوات » ثم ذكر في تاريخ سنة ٥٠٣ ه (١١٠٩ م) كيف اتاهم المدد من مراكب مشحونة بالرجال فهجموا على البلد وملكوهُ عنوةً ونهبوا الاموال وكان اهلها من اكثر اهل البلاد اموالاً وتجارةً

وفي نيسان من السنة ١١١٠ فتحت بيروت بعد ان زحف اليها بغدوين ملك القدس مراراً فكان حاصرها اولاً سنة ٤٩٥ ه (١١٠٢ م) فرحل عنها بعد ان اطال المقام عليها دون ان يجد فيها مطمعاً فاستلطف اميرها عضد الدولة الافرنج بالذخائر فتركوها ثم عاد اليها بغدوين سنة (٥٠٣ ه) مع الكنت برتران دي صنجيل ونزل على ثغرها برًّا وبحراً وعاونهُ جوسلين صاحب تل باشر فعملوا اولاً برجاً من خشب صنوبر بيروت ونصبوه على سور المدينة فكسره المسلمون بحجارة المنجنيق فجهزوا برجين آخرين لمحاربتها الا انَّ الافضل صاحب الجيوش المصرية ارسل لنجدتهم اسطولاً يتركب من ١٩ مركباً حربية فظهروا على مراكب الفرنج وملكوا بعضها وادخلوا الميرة الى بيروت فتقوت بها نفوس اهلها . فارسل بغدوين الى السويدية يستنجد بمن فيها من الجنويَّة فاتوه باربعين مركباً مشحونة بالمقاتلة فزحفوا الى بيروت باسرهم في نيسان من السنة ١١١٠ ونصبوا البرجين على اسوار المدينة واشتدُّوا في القتال ففتحوا المدينة في ٢٨ شوال ٥٠٤ ه فهرب اميرها مع جماعة من اصحابه لكنَّ الافرنج ادركوهُ وقتلوهُ ونهبوا بيروت واسروا اهلها . وهذه خلاصة ما رواه ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق (ص ١٣٨)

وفي تلك السنة في ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيداء وذلك ان بغدوين اجتمع بقوم من حجّاج النصارى اتوا لزيارة بيت المقدس في ٦٠ مركبًا مشحونة بالرجال والذخائر قال ابن الاثير (١٠: ١٨١) : « وتقررت القاعدة بينهم ان ينزلوا مدينة صيداء فضايقوها برًّا وبحرًا وكان الاسطول المصري مقيمًا على صور فلم يقدر على انجاد صيداء فعمل الفرنج برجًا من الخشب واحكموهُ وجعلوا عليهِ ما يمنع النار عنهُ والحجارة وزحفوا بهِ فلما عاين اهل صيداء ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب اهل بيروت فارسلوا قاضيها ومعهُ جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فأمَّنهم ٠٠وقرَّر على اهلها ٢٠،٠٠٠ دينار وتسلمها وكانت مدّة حصارها ٤٧ يومًا »

وكانت صور آخر مدينة فتحها الفرنج في الساحل اللبناني كان فتحها سنة ٥١٨ﻫ (١١٢٤م) بالامان بعد ان حاربوها برًّا وبحرًا وكان البندقيون قد جمعوا عليها اسطولهم وبقي الحصار نحو خمسة اشهر قبل ان يستسلم لهم اهلها٠ وبفتحها صارت فينيقية كلها في ايدي الفرنج فاسرعوا الى تحصينها بالقلاع وجعل الملك بغدوين الاول ثم خلفهُ بغدوين الثاني على مدنها رجالاً من اشراف الدولة ليحكموا عليها ويدافعوا عنها

وكانت سواحل لبنان منقسمة بين ملك القدس وصاحب طرابلس٠ اما جبل لبنان فلا يذكر الكتبة فتحهُ وما لا شك فيهِ انهُ تبع السواحل ودخل في امان الفرنج فما كان منهُ في الجنوب صار حصة ملك القدس وصاحبي صيداء وبيروت الخاضعين له وما كان في الشمال تملكهُ صاحب طرابلس

وفي تلك الاثناء أُنشئت الرهبانيات المجاهدة من الفرسان الهيكليين (Templiers) او فدائيين ومن المضيّفيين او اسبتلار (Hospitaliers) والتوتونيين الالمان (Chevaliers Teutoniques) فشيدوا عدة حصون وتولَّوا الدفاع عنها في لبنان وسواحله واقطعهم ملك القدس وامراء الفرنج اقطاعات عديدة في داخل الجبل لدينا قائمتها الواسعة الشاملة لكل انحاء لبنان

وقد تكرَّرت حملات الصليبيين حتى بلغت دولة الافرنج غاية امتدادها سنة ١١٤٤ فشملت سلطتهم ما بين العريش جنوبي فلسطين حتى خليج الاسكندرونة وصار لهم في هذه الارجاء اربع إمارات امارة الرها وكانت ممتدة شرقًا الى ما وراء الفرات ثم امارة انطاكية وحدودها من طرسوس في قيليقيا حتى جنوبي اللاذقية عند قلعة المرقب ثم امارة طرابلس وحدُّها جنوبًا جسر الداخلة اي المعاملتين وكان صاحبها امير طرابلس الكونت برتران بن صنجيل ثم امارة اورشليم وكانت ممتدة الى تخوم امارة دمشق الاسلامية والى اطراف البادية ومن عكا الى ما وراء بيروت عند جسر المعاملتين٠ وهذه المملكة كانت ذات عدة اعمال كبيرة وصغيرة منها عمل بارون بيروت وعمل دوق صيداء وانما كان ملك اورشليم الرئيس الاعلى يرجع اليهِ في المهمات السياسية وتصريف الشؤون الجسام وله امرة مطاعة على سائر الولاة والعمال اذ كانت سلطتهم مستفادة منهُ مستندة اليهِ

اما دستور المملكة الحديثة فقد وُضع بهمّة غودفروا واطلق على بنوده اسم قواعد اورشليم او المجالس الاورشليمية ثم جرى تنقيحها وزيدت موادها في ايام خلفائهِ وكان مستودَع حفظها في كنيسة القبر المقدس٠

واما اوضاعها فقد أُخذت عن سنن الحكم الاقطاعي عندهم في الغرب مع تعديلها بمراعاة العادات والاطوار المكانية في الشرق ومن احكامها ان يكون للقضاة مجلسان احدهما برئاسة الملك واعضاؤهُ من النبلاء ينظرون في الدعاوي والمسائل الواقعة بين الولاة وكبار العمال والآخر يتولى رئاستهُ الملك ايضاً وأعضاؤه من الوجوه في عامة البلاد وصلاحيتهُ رؤية دعاوي ذوي الاملاك وما يعود الى الحقوق العمومية · واتخذ محكمة ثالثة للنظر في دعاوي المسيحيين الشرقيين وقضاتها ممن ولدوا في سورية الناطقين بلغة اهلها بحيث تكون الاحكام بمقتضى نصوص شرائع البلاد والعرف العام فيها · وباعتبار هـذا النظام كان للملك وحدة جامعة غير متجزئة فاذا توفي الملك بلا عقب ذكر خلفتهُ الانثى من سلالتهِ بحق الارث وان لم يكن له وارث فلعلية الاكليروس ورؤساء ذوي الاقطاعات ان يختاروا ملكاً عليهم يلزمهُ حلف اليمين حفظاً للدستور والبطريرك يلبسهُ تاج الملك ·

ولاختلاط الافرنج الصليبيين بالشرقيين اقلعوا عن كثير من اطوارهم وعاداتهم وبدلوها واخذوا عن اهل الشرق ازياء واذواقاً واساليب في المعارف والصناعة وما لبثوا ان سلكوا سبيل التساهل مع جميع الناس على اختلاف الملل والمذاهب حتى ان المسلمين كانوا في دعةٍ وراحة كما يشهد ابن جبير وان لم تكن حالتهم كحالة النصارى ايامئذٍ من كل وجه

اما لبنان في عهد الصليبيين فكان منقسماً الى عدة امارات افرنجية منها ما هو تابع لبارونية بيروت وقسم لامارة صيداء وغيرها من البارونيات في الجنوب · والقسم الشمالي كان ملحقاً بامارة طرابلس على ان المسيحيين ما برحوا يتولون امورهم بانفسهم فاطاعت الخورية لأمرائهم في ادارة شؤون اقطاعاتهم وما كان بطريركهم منحصر السلطة عليهم في المسائل الدينية فقط بل هو بمثابة رئيس إمام يمثل وحدتهم القومية وليس ذلك ببدع فانهم قبل قدوم الصليبيين كانوا ينزلون البطريرك منزلة اكبر رئيس عليهم متخذينهُ إماماً لهم وقائداً في الدين والدنيا وقـد عظم شأن الاكليروس وسيادتهم ونفاذ كلمتهم فيهم على عهد الصليبية لما للاكليروس عندهم من رفعة القدر والمنزلة · وكان لهم في لبنان حوالي الاقطاعات الوطنية عدة اقطاعات وقصور وقلاع وبقاع واسعة تناوحها او تجاورها كقلعة المرقب وقصر القنطرة بالقرب من المنيطرة بحذاء افقا · وكان للفرسان كثير من المنازل والمحلات الرحبة في المختارة وبعقلين ودير القمر وجزين وغيرها من جنوبي لبنان وكان للمدن الساحلية اوانئذٍ تجارة واسعة ذات صلات مالية مع حواضر ايطاليا ومدن فرنسا الجنوبية

ان دولة الصليبيين في الشرق لم ينفسح الزمان لعزها وبهائها فترامى امرها الى الضعف والتأخر لما كان قد دخل على السلطنة الملكية من الوهن لمزاحمة جماعة الشرفاء والاكليروس والاعيان لها فضلاً عن طوارئ الحسد والطمع بين زعماء الصليبيين · فولد ذلك المنازعات والخصومات المفضية الى الضعف والتخاذل وتفرق الكلمة · وما كفى ذلك حتى ان الكثيرين منهم لما رسخت اقدامهم في سورية وترفوا تحت جوها الصافي متنسمين نفحات رياحها الطيبة راوين من مياهها العذبة دبت في عروقهم نشوة المرح والبطر وتولتهم فترة الانهماك

والتهافت على الملاهي والملاذ فغدوا متهاونين واعترت صولتهم وقوتهم عوامل الوهن فآذنت دولتهم بالتقهقر ومن ورائها الخمول والزوال

ومن جهة اخرى كان امراء المسلمين قد اصلوهم منذ قدومهم ناراً حامية وحرباً عواناً فلم يلقوا يوم راحة يخلون فيه عن القتال والمناوشات . ففي سنة ١١٤٥ نهض على بودوين الثالث عماد الدين زنكي صاحب الموصل والشهباء وفتح الرها وما يليها و سنة ١١٥٥ اخذ نور الدين محمود زنكي دمشق واعتصم بها وزعزع اركان المملكة الصليبية ثم تلاهُ صلاح الدين الايوبي وكاد يقضي عليها بعد ان قضى على الدولة الفاطمية في الديار المصرية وكانت مدتها ٢٦٣ سنة قام منها اربعة عشر خليفة بين سنة ٩٠٩ و ١١٧٢ . فاستقل صلاح الدين يوسف بالملك بعد موت نور الدين زنكي سنة ١١٧٣ ونشبت الحرب بينهُ و بين الافرنج والامراء المسلمين وتعددت الوقائع والانتصارات ففتح الديار الشامية سنة ١١٧٥ وعمت سلطتهُ مصر و بلاد العرب والجزيرة ومعظم سورية ولم يبقَ من يناوئه سوى الافرنج الذين هزمهم شرَّ هزيمة في وقعة حطين الشهيرة سنة ١١٨٨ وأسر ملكهم لوزينيان وكثيراً من امرائهم وجنودهم وفتح اكثر المدن التي كانت في حوزتهم واستولى على اورشليم ولم يبقَ من المملكة الصليبية الا بعض المدن الساحليَّة . ثم ظهرت جماعة المماليك سنة ١٢٥٠ وهم فرقة جندية جمعها سلاطين مصر من الخدمة الاتراك والمغول فاستبدّوا بالسلطة في مصر واخذوا من الصليبيين كل ما كان باقياً لهم في سورية على عهد الملك الاشرف ابن قلاوون سنة ١٢٩١ وهكذا زالت دولة الافرنج من سورية ولبنان زوالاً تامًّا وكانت مدة احتلالهم هذه البلاد من حين فتحهم انطاكية سنة ١٠٩٨ الى يوم اخراجهم من عكا سنة ١٢٩١ مئة وثلاثًا وتسعين سنة

ولكل من امراء الفرنج مدَّة اقامتهم في سواحل لبنان وحكمهم على الجبل اخبار واسعة تفيد ما خدموا به البلاد . فكانت على صور أُسرة دي مونفرًا ثم اسرة دي مونفور . وعلى صيداء اسرة غوتيار . وعلى بيروت اسرة ديبلين وعلى جبيل اسرة دي لمبرياك من ١١٠٤ الى ١٢٨٠ . وعلى طرابلس وطرطوس وانفة والبترون اسرة دي صنجيل الكونت دي طولوزة (١١٠٩ — ١٢٨٩ م)

وقد ضرب هؤلاء الامراء باسمهم نقوداً من دنانير ودراهم وفلوس وصفها العلاَّمة الاثري شلومبرجار في كتابه المعنون بنقود الشرق اللاتيني ولغتها غالبًا اللاتينية ومنها ما هو باللغة الفرنسوية و بعضها بالعربية ضربها اصحاب عكَّة وصور و بيروت وطرابلس بالحرف الكوفيّ على شبه النقود الاسلامية مع رموز نصرانية كالصليب او شواعر نصرانية كالبسملة وايات كتابية

والحق يقال ان الفرنج الذين استوطنوا بلاد الشام في عهد الصليبيين بذلوا وسعهم في درس لغة البلاد وقد افادنا غليلموس اسقف مدينة صور ومؤرخ الصليبيين ان اكثر امراء الفرنج كانوا تعلموا اللغة العربية . وفي تواريخ العرب كسيرة صلاح الدين لابن شداد وكتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ما يثبت ذلك القول . روى ابن شداد في تاريخ سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) نزول صاحب قلعة شقيف ارنون الى معسكر صلاح الدين طلبًا للامان . قال بهاء الدين بن شداد : « فدخل على صلاح الدين فاحترمهُ واكرمهُ وكان من كبار الفرنج

وعقلائها وكان يعرف بالعربية ويتكلم بها وعنده اطلاع على شيء من التواريخ وبلغني انهُ كان عنده مسلم يقرأ لهُ ويفهمه ٠٠٠ واقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت ويناظرنا في دينهِ ونناظره في بطلانهِ وكان حسن المحاورة ومتأدبًا في كلامهِ »٠ وقد ذكر غليلموس الصوري غيره من الفرنج كانوا يحسنون التكلم بالعربية فيوفدهم قومهم الى ملوك المسلمين في حاجاتهم ٠ هذا فضلاً عن جملة من العمال الوطنيين الذين كانوا في خدمة الفرنج على دواوينهم وسعيًا في امورهم وتسهيلاً لمعاملاتهم مع الاهلين فاتخذوا لهم التراجمين والكتَّاب ورؤساء الاقلام منهم مسلمون ومنهم نصارى ٠ وبذلك تقرَّبت القلوب وحصل ائتلاف مشكور بين الشرق والغرب اعار كل منهما خصمهُ شيئًا من حسناته ٠ وربما كان يدعو اعيان الفرنج وامراء العرب بعضهم بعضًا لمواسم يقيمونها اكرامًا للوافدين عليهم فيجملون معاملتهم ويخلعون عليهم الخلع الثمينة ويتهادون الهدايا فيما بينهم كالاصدقاء المخلصين ٠ فاستفاد كل قوم من قرنه بعض تمدُّنه الخاص

وقد ظهر هذا التلطف بين الامتين في احوال كثيرة ٠ فقد ذكر بهاء الدين رحمة صلاح الدين نحو امرأة افرنجية كان أُسر ابنها الصغير فردَّهُ اليها بكل سرعة ٠ وروى غليلموس الصوري لملك بغدوين مثل ذلك اذ ردَّ لشيخ مسلم امرأته المسبية فجعلهُ من احمّ اصدقاء الفرنج

والشاهد على حسن معاملة الفرنج للعرب ما ذكرهُ ابن جبير عن المسلمين المقيمين في املاك الصليبيين قال: « ورحلنا من تبنين وطريقنا كلهُ على ضياع متصلة وعمائر منتظمة سكانها كلها مسلمون وهم مع الافرنج على حالة ترفيه ٠٠٠ ومساكنهم بايديهم وجميع احوالهم متروكة لهم وكل ما بايدي الافرنج من المدن بساحل الشام على هذا السبيل رساتيقها كلها للمسلمين وهي القرى والضياع وقد أُشربت الفتنةُ قلوبَ اكثرهم لما يبصرون عليهِ اخوانهم من اهل رساتيق المسلمين وعمالهم لانهم على ضدّ احوالهم من الترفيه والرفق وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين ان يشتكي الصنف الاسلامي جور صنفهِ المالك لهُ ويحمد سيرة ضدّهِ وعدوّهِ المالك لهُ من الافرنج ويأنس بعدلهِ »

ومما يشهد ايضًا على هذه المواصلات الودّية ان الفرنج والعرب اجتمعوا غير مرَّة لمحاربة اعدائهم ٠ بل كان للفرنج فرقٌ من الاتراك يحاربون معهم يدعونهم توركوپل (Turcoples) رووا عنهم المآثر الشريفة والاعمال المشكورة

وما لا يختلف فيهِ المؤرخون انَّ الفرنج لحلولهم في بلاد مختلفة عن مواطنهم هواءً وماءً وتربة لم يجدوا بدًّا من الاقتداء بالشرقيين وآدابهم لموافقتها لمقتضى الاحوال فنزعوا عنهم ملابسهم الكثيفة الضيقة فلبسوا ثياب الشرقيين السابغة الواسعة الاكمام الزاهية الالوان المطرَّزة بالحرير والذهب ٠ وجعلوا على رؤوسهم الكفيات فوق خوذهم تلطيفًا لحرارة الشمس ٠ ومنهم من تعمَّموا كالعرب وانتعلوا بنعال مروّسة وتمنطقوا بالمناطق الغالية الثمينة ٠ وكانت نساء الفرنج اسرع الى الارتداء بالثياب الشرقية ٠ كما روى ذلك ابن جبير في رحلتهِ في وصف زفاف حضرهُ في صور لبعض الفرنج سنة ١١٩٤ م قال: « ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدَّث بها زفاف عروس شاهدناهُ بصور في احد الايام عند مينائها وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً

واصطفّوا سماطين عند باب العروس المهداة والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية حتى خرجت ٠٠٠ وهي في ابهى زيّ وانخر لباس تسحب اذيال الحرير المذهّب وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفّت بشبكة ذهب منسوجة على لبّتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحللها ٠٠٠ وامامها جلّة رجالها من النصارى في انخر ملابسهم البهيّة ٠٠٠ » وقد لحظ في محل آخر : « انّ زيّ النصرانيات كزيّ نساء المسلمين ملتحفات منتقبات خرجن في العيد وقد لبسنَ ثياب الحرير المذهب والتحفنَ اللُّحُف الرائقة وانتقبن بالنُقب الملوّنة وانتعلنَ الاخفاف المذهبة وبرزن لكنائسهن حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضّب والتعطّر ٠٠٠ »

وما قلناهُ عن ملابس الافرنج يصح ايضاً عن مبانيهم الخاصة فان اشرافهم تقلدوا اهل الشرق ببنائهم فاتخذوا لمنازلهم الدور الرحبة ذات الغرف والمعاهد والدواوين النزهة المكشوفة للهواء المحدقة بالجنّات والاشجار لتلطيف الحرارة ٠ وكانوا يرصفون قصورهم بالفسيفساء البهيّة ويلصقون على جدرانها الداخلة صفائح الرخام ويموّهون سقوفها بالذهب والنقوش الزهيّة والتطاريز العربيّة الرائعة المنظر ويفرشونها بالطنافس الشرقيّة الغالية الثمن ويزينونها بالاثاث الفاخر واقمشة الحرير والمصنوعات الخشبيّة الدمشقيّة والآنية الزجاجيّة المصنوعة في صور وطرابلس والاوعية النحاسيّة المنمّقة وكانوا يجعلون في وسط دورهم الاحواض والبرك تمجّ فيها الماء تنانين وتماثيل الحيوانات ٠ امّا بُناة تلك القصور فكانوا قوماً من الصنعة الشرقيين مسلمين ونصارى سريان وروم يتنافسون في تحسينها

وكذلك حصونهم ومستحكماتهم العسكرية فانهم جروا فيها اوّلاً مجرى القلاع الفرنجيّة ثم رأوا في التحصينات العربيّة ما هو اوفى بالمرام فاخذوا عنهم بعض طرائقهم الهندسية مزجوها بهندستهم الغربيّة

ومثلها المباني الدينيّة فان الكنائس التي بنوها عند حلولهم البلاد تظهر فيها مسحتها الفرنجيّة اكثر من البيع التي اهتموا بتشييدها بعد ذلك

فمن الطرز الفرنجيّ كنيسة بيروت التي امر الملك بغدوين ببنائها سنة ١١١٠ م فانها على طرز الكنائس اللاتينيّة شيّدها على اسم القديس يوحنّا المعمدان وهي على شكل مصلّب ذي ثلثة اسواق ونقدّم بنقشها بالتصاوير التقويّة وكان النصارى يصلّون فيها مدّة ولاية الصليبيين على بيروت ٠ قال صالح بن يحيي في تاريخ بيروت (ص ٥٨) : ولمّا قدّر الله بنزع بيروت من يد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عندهم بكنيسة مار يوحنّا وكان بها صور فطلاها المسلمون بالطين وبقي الطين الى ايّام الجدّ (اي جدّ صالح بن يحيى) فبيّضهُ وازال عنهُ آثار تلك الصور » فالجامع الموصوف هنا هو الجامع الكبير الذي فيهِ مقام النبيّ يحيى ٠ وقد بقي في كوّتهِ على شمال الداخل اليهِ من بابهِ الغربيّ كتابة يونانيّة وهي آية من الزبور « انّ صوت الربّ على المياه » ما يدلّ على ان هناك كان جرن المعموديّة ٠ ولعلّ كنيسة مار يوحنّا المذكورة بناها بغدوين عوضاً عن كنيسة اخرى اقدم عهداً تبعد عنها في غربيها بنحو مئة ذراع اخربتها الزلازل وهي التي وُجدت آثارها في المدّة الاخيرة عند سوق البازركان

ومعظم الكنائس التي بُنيت في عهد الصليبيين في لبنان طرزها شرقي على مثال الكنائس البوزنطيّة ٠

وقد خصَّ الاب لامنس في وصفها فصلاً مطوَّلاً في كتاب تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار

وممَّا اقتفى فيه الصليبيُّون مثال الشرقيين مواسمهم وحفلاتهم اللهوية فكانت مآكلهم في المآدب والولائم من لحوم الضأن والطيور والابازير والافاويه والفواكه الوطنيَّة بانواعها · وكانوا يشربون الخمور اللبنانيَّة الشهيرة يجلبونها من اللاذقيَّة وانفة وجبيل والبترون مع ضروب المشروبات المعطَّرة المثلوجة · وكان ثلج لبنان لا ينقطع عنها في فصل الصيف · وكانوا في لياليهم يستصبحون بالشمع الممسَّك

وكان للامراء منهم جوقات لدقّ آلات الطرب وللنوبات العسكريَّة تشبَّهوا فيها بالمسلمين وقد عدَّ اصناف تلك الآلات احد كتبة الفرنج في ذلك العهد فاذا اكثرها أدوات شرقيَّة كالارغن والمزمار والعود والقيثارة والجنك

ومن هذه الجوقات ما كان مختصًّا بالرقص والزفن وضروب الالعاب · وقد استحسن امراء الفرنج طرائق ألعاب العرب الرياضيَّة من سباق الخيل والجريد فارتاضوا بها وكانوا يجتمعون بفرسان المسلمين ليباروهم فيها

ومما تقفَّى به الفرنج آثار العرب في العهد الصليبيّ ايذان بعضهم بعضًا الاخبار بنيران كانوا يوقدونها في اعالي الجبال او بسهام ناريَّة ملوَّنة كانوا يطلقونها في الجوّ لينذروا بعضهم بخطر ملمّ او يشيروا الى امر ذي شأن · قال صالح بن يحيى في تاريخه : «وقرَّروا ايضا اعلامًا نارية تصل الى دمشق في ليلة فكانوا يشعلونها من ظاهر بيروت فتجاريها نار في رأس بيروت العتيقة ومنهُ الى جبل بوارش ومنهُ الى جبل يبوس ومنهُ الى جبل الصالحيَّة ومنهُ الى قلعة دمشق فكانت النار لحوادث في الليل وحمام البطاق لحوادث في النهار والبريد للاخبار» اراد بحمام البطاق حمام الزاجل السيَّار كانوا يربُّونهُ في ابراج خاصَّة ويرسلونهُ من مكان الى آخر حاملاً اخبارهم تحت اجنحته اتخذهُ ايضًا الفرنج قدوةً بالعرب لتبليغ امورهم بسرعة

واستأجر الفرنج قومًا من الشرقيين ليرافقوا جيوشهم في حروبهم ويساعدوهم في نقب الاسراب تحت القلاع ووضع الالغام المتفجِّرة واعداد النفط المتَّقد بالماء (feu grégeois) لاحراق الحصون المعادية وتركيب الكبوش والمجانيق · وكان بينهم قوَّاسة من اهل الجبل يحسنون رمي القسيّ · وقد اثنوا في ذلك خصوصاً على الموارنة الذين كانوا يحسنون هذا الفنّ

وممَّا استفادوهُ وقتئذٍ من العرب في ملاحتهم استعمال الابرة المغناطيسية ليهتدوا بها في البحر وهي المعروفة عند العرب بالحُكّ (boussole) كان العرب اخذوها من اهل الصين

ومن الصنائع التي يقرُّ الفرنج بانهم تعلموها من الشرقيين تربية دود الحرير ونسج الاقمشة الحريريَّة وصبغها وصناعة الطنافس الفارسيَّة ونقش الخزفيَّات بالميناء وعمل الآنية الصينيَّة واستحضار الزجاج وكذلك الاوعية النحاسيَّة المنقورة نقرًا دقيقًا والمطعَّمة بالاسلاك الفضيَّة والذهبيَّة مع كتاباتها المشتبكة · ومثلها الاسلحة من سيوف مجوهرة وقامات منقوشة · فكل هذه الفنون دخلت في بلاد الغرب بنفوذ الصناعة الشرقية

ومذ ذاك الحين راجت المعاملات التجارية بين الشرق والغرب فكانت المراكب الفرنجية تأتي في اوقات معلومة لاسيما في زمن المواسم من مرسيلية والبندقيَّة وجنوة ناقلةً البضائع الغربيَّة الى الشرق وحاملةً مرافق

الشرق الى مرافئ ايطاليا وفرنسا فتُنقل منها الى اقاصي بلادهم حتى تعمّ كافّة الاقطار الاوربية

ولا شكّ انّ لبنان نالهُ من كل هـذه الحركة منافع جديدة ديناً ودنيا اشعر بها كتبة ذلك العهد. واخصُّ تلك المنافع تقرُّب الكنائس الشرقيّة من مركز الايمان الكاثوليكيّ فان غليلموس الصوري يذكر في تاريخ سنة ١١٨١ (ك ٢٢ ف ٨) نزول الموارنة في عدد نحو ٤٠,٠٠٠ ليقدّموا خضوعهم للقاصد الرسولي ايمريك بطريرك انطاكية اللاتينيّ. ويذكر لهم هناك ثلثة اساقفة على طرابلس والبترون وجبيل ما يدلُّ على انهم لم يتجاوزوا بعد نهر ابراهيم. وكان بطريركهم يسكن في معاملة طرابلس يتنقل في اديرة الجبل القريبة منها وهذه الاديرة معدودة في آثار تلك الازمنة وهي دير سيدة يانوح من معاملة البترون ودير سيدة هابيل قرب جبيل. ودير مار الياس مع دير السيدة في لحفد. ثم دير السيدة ودير مار مارون كفرحيّ. ودير مار انطونيوس (قزحيا) ودير مار سركيس في حردين الذي خرب سنة ١٤٤٠ ثم دير مار متري في بشري ومار قبريانوس في كفيفان ودير مار جرجس في الكفر ومار سركيس وباخوس في اهدن. وقـد ذكر الدويهيّ في تاريخهِ (ص ١٠٣) في السنة ١١١٢ مباشرة اهل الجبل بدقّ النواقيس النحاسيّة بدلاً من الخشبيّة للصلاة وشروع بعض اهل البرّ ببناء كنائس واديرة ومدارس ذكر منها كنائس بشنين وبشرّي وحدث الجبّة

وكان للسريان اليعاقبة ايضاً اديرة في لبنان وكان بطريركهم يقيم في انطاكية والمسمى منهم اغناطيوس الثاني ربّان داود ارسل لبابا رومية قراراً بخضوعه لسلطتهِ سنة ١٢٤٧. وكان لليعاقبة مطران في عرقة ومطران في طرابلس وكان لهم في هـذه المدينة مدرسة عامرة درس فيها المفريان الشهير غريغوريوس ابن العبري (اطلب مجلة المشرق ج ١ ص ٢٩٤)

وقد ذكر كتبةُ الصليبيين النساطرة في سواحل لبنان في طرابلس وجبيل وبيروت وعكّة هذا فضلاً عن مدن الشام الداخليّة كدمشق وحلب

وقد ورد ذكر لبنان وسواحلهِ في رحل بعض المسلمين على عهد الصليبيين منهم ابن جبير قال (ص٢٨٧): « هـذا الجبل من اخصب جبال الدنيا فيهِ انواع الفواكه وفيهِ المياه المطردة والظلال الوارفة وقلَّ ما يخلو من التبتّل والزهادة » وقد ذكر هناك حسن معاملة نصارى لبنان نحو زهّاد المسلمين قال: « ومن العجب انَّ النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا بهِ احد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت واحسنوا اليهم ويقولون: « هؤلاء ممن انقطع الى الله عزّ وجلّ فتجب مشاركتهم ». وكان دخولهُ مدينة عكّة سنة ٥٨٦ هـ فنعتها بقاعدة مدن الافرنج بالشام وبملتقى تجّار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق وروى انَّ سككها وشوارعها تغصُّ بالزحام. وقال عن صور: « انها مدينة يضرب بها المثل في الحصانة قد اعدّها الافرنج مفزعاً لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لامانهم.. هي ألطف من عكة سككاً وشوارع ومنازلهم اوسع وافسح واحوال المسلمين بها اهون واسكن » . ثم اتّسع في وصف مناعتها العجيبة واسوارها ومرفإها فاطنب

وممّن ذكروا لبنان في ذلك العهد الشريف الادريسيّ المتوفى سنة ١١٨٧ م قال عن صور: « هي مدينة حسنة على ضفة البحر وبها المراكب إرساء وإقلاع وهو بلد حصين قديم والبحر قد احاط بهِ من ثلاثة

اركانه ولهذه المدينة ربض كبير ويُعمل بهِ جيد الزجاج والفخّار وقد يُعمل بهِ من الثياب البيض المحمولة الى كل الآفاق كل شيء حسن عالي الصفة والصنعة ثمين القيمة وقليلاً ما يُصنع مثلهُ في سائر البلاد المحيطة بها »

ونعت صرفند بحصن حسن ٠ وقال عن صيداء : « هي على ساحل البحر المالح وعليها سور حجارة يُنسب الى امرأة كانت في الجاهليَّة وهي مدينة كبيرة عامرة الاسواق رخيصة الاسعار محدقة بالبساتين والاشجار غزيرة المياه والسعة والكُوَر لها اربعة اقاليم وهي متَّصلة بجبل لبنان واقليم يعرف باقليم جزين وفيهِ مجرى وادي الحرّ وهو مشهور بالخصب وكثير الفواكه ٠ واقليم السربة وهو اقليم جليل ٠ واقليم كفر فيلا واقليم الزامي وهو نهر يشق جبالها ويصب الى البحر ٠ وجميع هذه الاربعة اقاليم تشتمل على نيف وستمائة ضيعة وشراب اهلها من ماء يجري اليها من جبلها في قناة ٠ وروى عن الناعمة انها حصن كالمدينة الصغيرة وانَّ « مدينتها حسنة واكثر نبات ارضها شجر الخرنوب الذي لا يُعرف في معمور الارض مثلهُ قدراً ولا طيباً » ثم ذكر بيروت قال : « هي على ضفة البحر عليها سور حجارة كبيرة واسعة ولها بمقربة منها جبل فيهِ معدن حديد » ٠ وقال عن جبيل : « هي مدينة حسنة على البحر لها سور من حجر حصين ولها كورة واسعة واشجار وفواكه وكروم وليس لها ماء جارٍ وانَّما يشرب اهلها من مياه الآبار وبها إرساء وحطّ »

ثم اجتاز « حصن بثرون وحصن انف الحجر » ووصف طرابلس الشام فقال : « مدينة عظيمة عليها سور من حجر منيع ولها رساتيق واكوار وضياع جليلة وبها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكَّر وانواع الفواكه وضروب الغلاَّت الشيء الكثير والوارد والصادر اليها كثير والبحر يأخذها من ثلاثة اوجه وهي معقل من معاقل الشام مقصود اليها لضروب التجارات ينضاف اليها عدَّة حصون ٠٠٠ ومنها في جهة الجنوب حصن بناهُ ابن صنجيل الافرنجي ومنهُ افتتح اطرابلس وبينهما اربعة اميال وهو حصن منيع جدًّا وهو بين واديين ٠ ويقابل مدينة اطرابلس اربع جزائر في صف فاوَّلها ممَّا يلي البرّ جزيرة النرجس وهي صغيرة خالية وإليها جزيرة العمد ثم اليها جزيرة الراهب ثم اليها جزيرة ارذقون » ٠ ثم ذكر مدينة عرقة فقال : « انها مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلوّ ولها في وسطها حصن على تلعة ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات واهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها ونهرها جارٍ ملاصق لها وبها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكر وبها مطاحن على نهرها وبينها وبين البحر ثلاثة اميال وحصنها كبير وعيش اهلها خصيب رغد وبناؤها بالجصّ والتراب والخير فيها كثير »

وقال عن مدينة انطرسوس : « انها مدينة صغيرة على البحر بها سور حصين وعلى مقربة منها في البحر جزيرة ارواد وهي جزيرة كبيرة فيها كنيسة كبيرة معمورة متقنة البناء شاهقة منيعة ذات ابواب حديد وهي كالحرس » ٠ وذكر اخيراً على الجبل المطلّ عليها حصناً منيعاً يدعى حصن الخوابي قال : « واهلهُ حشيشيَّة خوارج من الاسلام لا يعتقدون شيئاً من البعث ولا القيامة من بعد الموت لُعنوا بمذهبهم »

فترى من هذه الاوصاف ما كان عليهِ لبنان في عهد الصليبيين وبهِ الكفاية

هذا ولم يخلُ لبنان وسواحلهُ في عهد الصليبيين من نكبات الزلازل كما في القرون السابقة ٠ لا سيما

زلازل السنتين ٥٥٢ و٦٠٠ ه‍ (١١٥٧ و١٢٠٣ م) ذكر ابن الاثير الزلزلة الاولى فقال انهُ خرب منها بلاد كثيرة منها حماة وحمص وانطاكية واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيداء وصور وعكّة وخربت قلعة شيزر كلها وقُتل فيها جميع بني منقذ اصحابها

ووصف عبد اللطيف البغدادي زلزال السنة ٦٠٠ قال: «الذي صحّ عندي انَّ هذه الزلزلة حركت في ساعة واحدة طائفةً من الارض من قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل بامرها والشام طولاً وعرضاً وتعفَّت بلاد كثيرة بحيث لم يبقَ لها اثر ... وتأثر منها بعض القلاع فاوّلها قلعة حماة مع اتقانها وبعلبك مع قوّتها ووثاقتها... ويقال انَّ عكّة سقط اكثرها وصور ثلثها وعرقة خُسف بها وكذلك صافيتا. واما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليهِ بين جبلين يُجمع منهُ الريباس الاخضر فيقال انَّ الجبلين انطبقا على من بينهما ...»

وفي عهد الصليبيين صارت بعض الشهرة للامراء التنوخيين في لبنان. فانهم لوجودهم في بيروت وسواحلها الجنوبيَّة الى الدامور وفي مقاطعات لبنان في الشوف والشحّار والغرب الاقصى والاعلى كانوا وسطاً بين الفرنج واعدائهم فربما تنازعهم الفريقان. فقد روى صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٧١ — ٧٢) منشوراً للملك العادل نور الدين لزهر الدولة ابن بحتر يُشعر بهذا النزاع. كما انهُ روى (ص٨٣ و١١١ — ١١٢) صكوكاً لبعض امراء الفرنج يخوّلون انعامات لبني بحتر

وممَّا يخبر عن المشايخ التلاحقة انهم نزلوا الى بيروت سنة ٥٣٩ ه‍ (١١٤٤ م) فسكنوا رأس بيروت برهةً وكان في المدينة قوم من امراء بني الحمراء فجرت بين الفريقين مشاجرة قُتل فيها احد بني الحمراء فخاف التلاحقة وهربوا الى مقاطعة الغرب. ثم حضر منهم الى بيروت الشيخ شاهين وكان لهُ فيها قيساريَّة باسمهِ فبلغ خبر قدومهِ اصحاب بني الحمراء فاغتالوهُ وقتلوهُ آخذين بثار اميرهم لكنَّ التلاحقة اجتمعوا تحت امرة ولدي شاهين وانحدروا الى بيروت متسلحين وكسروا ابوابها المغلقة وقتلوا كثيرين من اهلها. وفي بيروت توفي سنة ١١٦٢ ملك القدس بغدوين الثالث وكان راجعاً من انطاكية الى حاضرة مملكتهِ فمات على ما يقال مسموماً بدسيسة طبيب يهودي يقال لهُ براقا

وفي هذه الفترة من الزمان كان قد قدم جبل لبنان أُسرتان شريفتان احرزتا شأناً خطيراً ومنزلة عالية وهما الامراء المعنيون الذين قدموا بداءة ذي بدء ثم من بعدهم جاء الامراء الشهابيون

☀ الامراء المعنيون ☀ قال الامير حيدر شهاب في تاريخهِ ما ملخصهُ: ان اصل الامراء المعنيين من العرب الايوبيين وهم بطن من بني ربيعة ومنازلهم نجد وديار ربيعة طلع من بعض سراتهم رجل يدعى ايوب وكان فارساً شجاعاً دأبهُ شنّ الغارة نهباً وسلباً فثقلت وطأته فثار عليهِ سادات ربيعة وطردوهُ حسداً من عند انفسهم فانصاع الى جزيرة الفرات ونما نسله في اولاده واعقابه فكثر سوادهم ودُعوا العرب الايوبيين نسبةً الى جدّهم ايوب ثم قام فيهم ربيعة اميراً من بني ايوب ونزل في الديار الحلبية وفيها مات وخلفهُ ولدهُ معن

وقد اجمع المؤرخون انهُ في سنة ١١١٧ خرج الامير معن لغزوة الافرنج بجوار حلب فاقتتلوا مقتلة شديدة في وقائع عديدة قيّض له فيها النصر عليهم · ثم في اثناء ذلك قدم كبير الافرنج بغدوين فامسك عليهِ الطريق الامير معن بجماعة من الاتراك اصحاب غازي امير الترك وهو مشهور ولمّا اقبل بغدوين بجيش الافرنج صدموهُ واشتدت وقائع الحرب بين الجانبين كان الظفر فيها للافرنج فقويت عزائمهم واستفحل امرهم فجلا الامير معن بجماعته الايوبية يريد الديار الشامية فنزلوا سهل البقاع سنة ١١١٨ ثم زايلهم الامير الى دمشق وافداً على طغتكين صاحبها في ذلك الحين فاكرم وفادته وخلع عليه خلعة بهيّة واتخذهُ من نصرائه ثم امره ان يبرح بعشيرتهِ البقاع وينطلق الى الجبال العالية من لبنان المطلّة على ساحل البحر ويتبوأها معتصماً بها ويرسل الغارة منها على الافرنج المحتلين السواحل · فنهض الامير معن على عهد الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢ — ٥٢٩ هـ = ١١١٨ — ١١٣٥) مستصحباً آله ورهطهُ من البقاع ونزل في جبل الشوف ولم يكن عامراً ولا آهلاً وطفق يتودد الى آل تنوخ امراء الغرب اي جهة لبنان الواقعة غربي بيروت وعليهم يومئذٍ الامير بحتر جد الامير زهر الدين (او ظهير الدين) التنوخي فأحبهُ الامير معن واتخذه أليفاً حليفاً يستنصر بهِ على الافرنج ثم ما لبث الامير زهر الدين ان امر باعداد منازل مبنيّة بالحجر لهُ ولآل بيتهِ فسكنها الامير معن وهجر المضارب والخيام وجعل يحث قومه على البناء فكثرت المباني في الشوف وتوارد اليها الناس قصد السكنى من كل محلة حلَّ فيها الافرنج من حوران والشام وحلب وجوار لبنان واستمر الامير معن على الشوف نحواً من ثلاثين سنة الى ان توفي سنة ١١٤٩ على عهد السلطان نور الدين محمود زنكي بن سنقر صاحب الشام · وهو الجد الجامع للامراء المعنيين واليهِ ترتقي نسبتهم وصار الجبل معروفاً بهم يقال له جبل بيت معن (لبنان)

وخلف الامير معن على جبل الشوف ولده الامير يونس وكان مقرّه بعقلين · وفي ايامه اتى الامراء الشهابيون من حوران الى وادي التيم فوالاهم وزوّج ابنته طيبة بابن كبيرهم الامير منقذ واخذت وشائج القرابة تشتبك بين الاسرتين · وفي سنة ١١٧٧ توفي الامير يونس المعني وخلفهُ ولدهُ الامير يوسف في الشوف على عهد السلطان صلاح الدين الايوبي وكانت مدّة ولاية هذا الامير سبعاً واربعين سنة وتوفي سنة ١٢٢٤ وتلاهُ على الشوف ولده الامير سيف الدين المعني ثم تلاه الامير سعد الدين وتوفي فخلفهُ ولدهُ الامير عثمان وتزوج بابنة الامير بكر شهاب وقام بعده الامير قاسم المعني وهكذا لبثت هذه الاسرة تنمو ويعظم شأنها حتى القرن السابع عشر

✻ الامراء الشهابيون سنة ١١٧٢ ✻ في زمن ولاية الملك العادل نور الدين محمود على الشام وولاية السلطان صلاح الدين على مصر خامر الوجل آل شهاب لما وقع بين الملكين من الوحشة والنفرة فارتحلوا من حوران ونزلوا مدة في صحراء جسر يعقوب غربي الشام ثم برحوها الى وادي التيم عن طريق الظهر الاحمر وعدد امرائهم عشرة اكبرهم الامير منقذ وهو امير الامراء والباقون اولاده واخوته وابناء عمهِ · والبقعة التي نزلوا فيها كانت يومئذٍ في حوزة الافرنج فاستظهر الامير منقذ عليهم بعد المجاهدة فولوا هاربين وكانت



مظفّر باشا

العشائر التي يأمر عليها الشهابيون لا يقلّ عددها عن خمسة عشر الفًا واتصل نبأ استظهاره بالسلطان العادل نور الدين فانعم عليهِ بخلعة سنية وبموءَدّب لاولادهِ هو رستم بك الداودار وملّكهُ على البلاد التي فتحها· وكان وقتئذٍ الامير يونس ابن الامير معن على جبل الشوف فلما علم بقدوم الامراء الشهابيين الى وادي التيم وجوار حاصبيا وانتصارهم على الافرنج سرّ كثيراً وخرج بموكب حافل للسلام عليهم وقضى في ضيافة الامير منقذ ثلاثة ايام· ثم كان أن عقد للاميرة سعاد ابنة الامير منقذ لابن الامير يونس واتصل النسب بينهما سنة ١١٧٥ وعاش الامير منقذ عيشة راضية رغيدة كل ايام حياتهِ وهو اول الامراء الشهابيين في وادي التيم الى ان توفاه الله بحاصبيا سنة ١١٩٤ م عن ثمانٍ وستين سنة ايام الملك الظاهر وخلفهُ في الولاية ابنهُ الامير نجم فطفق يُعنى بشؤُون امارتهِ وشيَّد في حاصبيا منازل لروّادهِ ومريديهِ واطاعه اخوتهُ واعمامهُ ورعيتهُ· كان مصطافهُ قمة جبل الشيخ اتخذ فيها داراً بهية الى ان وافتهُ المنية سنة ٦٢١هـ (١٢٢٤ م) ولهُ من العمر ست وسبعون سنة وكان كريم الاخلاق· ثم خلفهُ على الامر اكبر ولده الامير عامر وفي ايامهِ زحفت عساكر الافرنج من قلعة الشقيف الى وادي التيم وكسرت الشهابيين فاستنجد الاميرَ عبد الله ابن الامير سيف الدين المعني فتغلب على عسكر الافرنج واستولى على الديار الغربية من وادي التيم ١٢٤٠ م· ولما علم الملك الصالح الايوبي بافعال الامير عامر الشهابي وتغلبه على الافرنج اقطعهُ عدة قطائع في سهل البقاع فانشأ هناك كثيراً من العقار ومثله في وادي التيم فعظمت من ثمَّ امارته وذاعت أنباء صولته الى ان توفي (٦٥٩ هـ ١٢٦١ م) وخلفهُ على الامارة ولده الامير قرقماز وهو ابن له من جارية رومية ولم يكن له ولد ذكر غيره فاستخفّ بهِ ابناء عمهِ لحدَّة في طباعه وكثرة نزَقه وأبوا ان يطيعوا له امراً او نهياً ولم يجلّوا قدره وافتأتوا عليهِ في العمل يجري كل منهم على هواه وما لبثوا ان ائتمروا بهِ خلعاً له عن الولاية· فاعجلهم عن قصدهم بمكيدة دبّرها وفتك بثلاثة منهم وامر غلمانهُ فضربوا اعناق عشرة رجال من اعوان اولئك الامراء الذين قُتلوا· ثم ولي بعده في حاصبيا ولده الامير سعد فلم يفلح الا بعض الشيء مع طول مدة امارتهِ خمساً وثلاثين سنة قضاها بالمصائب والمتاعب اذ في ايامه غشي المغول بلاد الشام وما زالوا يوغلون فيها وعليهم هولاكو يقودهم حتى انتهوا الى وادي التيم فقاتلوا الامراء الشهابيين وبددوا شملهم شذر مذر فأقوت هاتيك الربوع وباتت خالية على عروشها ردحًا من الزمن الى ان عاودها بعض اهليها بعد مضي خمس سنين فعمروا القرى التي في جبل حاصبيا وقدم لبنان حينئذٍ خلق كثير

١٢ تاريخ لبنان وسواحله في عهد مماليك مصر

لما اضمحلت سلطة الصليبيين في المشرق صار لبنان وسواحلهُ تحت حكم دولة المماليك المصريين المتولين على الشام· وهؤُلاء المماليك خلفوا الدولة الايوبية· وانما دُعوا بالمماليك لانهم كانوا في الاصل من رقيق الجركس والتركمان باعتهم النخّاسون في مصر فدخلوا في خدمة ملوكها ثم نما عددهم وزاد نفوذهم حتى صار الامر في يدهم وتولوا السلطة على مصر والشام بعد الايوبيين

وهؤلاء المماليك دولتان البحرية والبرجية . فالمماليك البحريون من التركمان قيل لهم بحريون لانهم كانوا يأمرون اولاً على ارياف مصر البحرية . وهم ٢٥ سلطاناً ملكوا ١٣٦ سنة قمرية (١٣٢ شمسية) كان اولهم الملك المعز ايبك التركماني الذي تسلطن سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) وآخرهم الملك المنصور حاجي بن الاشرف الذي خُلع سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)

اما المماليك البرجيون فكانوا من الجراكسة دعوهم بالبرجيين لإمرتهم على قلاع مصر وبروجها كانوا ٢٢ ملكاً دامت سلطنتهم ١٣٨ سنة قمرية (١٣٥ شمسية) كان اولهم السلطان ظاهر برقوق تملك سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) وآخرهم طومان باي الذي قتله السلطان سليم الاول سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م)

وقد تولى من المماليك البحريين تسعة في عهد الصليبيين حاربوا الفرنج حتى انتزعوا من ايديهم املاكهم في برّ الشام وقد اشتهر في محاربتهم ثلثة من السلاطين الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ) ثم الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ) وابنهُ الملك الاشرف خليل (٦٨٧ — ٦٩٣ هـ) وبهِ انقطع دابر الافرنج من سواحل الشام

وكان اول ما سعى بهِ هؤلاء الملوك بعد انتصارهم تحصين سواحل الشام في وجه الاعداء لئلا يعودوا فيستولوا عليها كما فعلوا سابقاً لاسيما انهم كانوا لايزالون متمكنين على جزيرتي قبرس ورودس فيترصدون عن كثب سواحل الشام . وقد كشفوا عن مكنون قلبهم غير مرة فان مؤرخي العرب كالنويري والصفدي وابي المحاسن بن طغري بردي ذكروا تردد سفنهم الى سواحل الشام . ففي سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م) وصل الى بيروت مراكب كثيرة وبُطَس للفرنج مشحونة بالمقاتلين فحاولوا النزول الى البرّ وشنّ الغارة على الساحل لولا ريح شديدة حطمت قسماً من سفنهم وبددت شمل الباقي منها فرجعوا خاسرين

وفي السنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ م) توجه اسطول من مراكبهم الى صيداء فاخذوها وقتلوا من اهلها جماعة واسروا جماعة ونهبوا منها شيئاً كثيراً

وفي ذاك الوقت استولى بعض الفداويين او الهيكليين على جزيرة ارواد فملكوها مدّة ثم اضطرّوا الى تسليمها

وعادت سفن الفرنج من الجنويين سنة ٧٣٤ فنزلوا الى بيروت واخذوا الاعلام السلطانيّة وقتلوا جماعة من المسلمين ثم حضروا ايضاً سنة ٧٨٤ فاخذوا صيداء وهمّوا بفتح بيروت ثم ابتعدوا عنها الى قبرس . وبعد ايام رجعوا الى بيروت فحاربوا اهلها ونزلوا لينهبوها فنصبوا سنجقهم على علوة منها لكن المسلمين تضافروا على مقاتلتهم فتمكنوا من ردّهم على اعقابهم فانهزموا بعد ما غرق منهم جماعة

وفي السنة ٨٠٦ (١٤٠٣ م) حضروا الى طرابلس ثم الى بيروت فنزلوا الى البرّ وتملكوا البلد ونهبوهُ واحرقوا دار امراء الغرب والسوق القريبة من الميناء فاقاموا يومهم وهو العشرون من محرَّم في المدينة الى عصر النهار ثم رجعوا الى مراكبهم وساروا الى صيداء وحاربوا اهلها ثم عادوا الى جهة بيروت فذهبوا الى نهر الكلب ليملأوا منهُ ماءً

فهذه الحملات كلها بيّنت لملوك مصر ونوّابهم في الشام حاجتهم الى تحصين الساحل وحراسته في وجه الاعداء

وكان للدولة المالكة اعداء آخرون ضمن البلاد من شذّاذ الناس واخلاطهم قد تحصنوا في الجبل وتهددوا سواحله وقطعوا طرقهُ . فالكتبة يدعونهم بالكسروانيين والجُرْدِيين وليسوا كما زعم البعض من الموارنة او النصارى اذ لا تنطبق عليهم اوصاف المؤرخين وقد صرَّح باسمهم ابو الفداء في تاريخهِ فقال: « انهم كانوا من النصيريَّة والظنّيين وغيرهم من المارقين » وعلى رأي ابن الحريريّ وابن سباط انَّ الجُرْدِيين كانوا من الدروز فلم يرَ نوّاب الشام ندحةً من محاربتهم. ففي سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٢ م) توجه لقتالهم الامير بيدرا قائد السلطنة بمصر فقصد جبال كسروان ومعهُ كثير من الامراء والجند لكنهم لم يأخذوا الامر بحذافيرهِ قال صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (ص ٤٦) : « فحصل الفتور في امرهم حتى تمكن الكسروانيُّون من بعض العسكر في تلك الاوعار ومضايق الجبال فنالوا منهم وعاد العسكر شبه المنكسر المنهزم وطمع فيهم اهل تلك الجبال حتى اضطرَّ الامير بيدرا ان يطيّب قلوبهم ويحسن اليهم وخلع على جماعة من اكابرهم فاشتطّوا في الطلب فاجابهم الى ما التمسوهُ من الافراج عن جماعة منهم كانوا قد اعتُقلوا بدمشق لذنوب وجرائم صدرت منهم. وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن في حسابهم »

ثم طغى اهل كسروان واشتدَّت شوكتهم وتطاولوا الى اذى العسكر عند انهزامهِ من التتر في سنة ٦٩٩ (١٣٠٠ م) اذ تفرَّقوا في البلاد فحصل لهم أذى من المفسدين وخصوصاً من اهل كسروان وجزين قال صالح (ص ١١٦) : « واكثرهم اذيَّة للهارب اهل كسروان فانهم بلغوا الى ان امسكوا بعضاً منهم وباعوهم للفرنج » والسلطان يغضي عنهم فتفاقم الامر حتى اظهروا الخروج عن الطاعة فسار اليهم سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ م) الامير جمال الدين آقوش الافرم نائب الشام في ٥٠،٠٠٠ من الجند ومعهُ نائب طرابلس ونائب صفد قال صالح بن يحيى : « فطلع اسندمُر نائب طرابلس الى جبل كسروان من اصعب مسالكهِ واجتمعت على اهلهِ العساكر واحتوت على جبالهم ووطئت ارضاً لم يكن سكانها يظنُّون انَّ احداً يطأها وقُطعت كرومهم وقُتل منهم خلقٌ كثير وتفرَّقوا في البلاد ... حتى اضمحلَّ امرهم ». وروى ابن الحريري وابن سباط انَّ تلك الموقعة حصلت عند عين صوفر وانَّ الجُرْدِيين هربوا بحريمهم وثلثمائة من اتباعهم واجتمعوا في مغارة نيبيّه فوق انطلياس فحموا نفوسهم بالقتال فامر نائب دمشق ان يُهال عليهم التراب ثم يبنى سُدٌّ من الحجارة على باب المغارة فهلكوا فيها »

فاستدعت هذه الاحوال من خوف الاعداء وفتن الاشرار الى استدراك الخلل فجعل نائب الشام آقوش الافرم سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) ناظراً على بلاد بعلبك والجبال الكسروانيَّة اسمهُ بهاء الدين قراقوش فواصل محاربة من تأخَّر في كسروان وقتل البعض من اعيانهم وامَّن الذين خرجوا من وطنهم . ثم اعطوا بعض اشراف المسلمين اراضي في كسروان مدَّةً. قال صالح بن يحيى (ص ٥١) : « ثم ابطلوها عنهم واقطعوها التركمان فادركوا موانئ البحر ودروب البرّ من ظاهر بيروت الى عمل طرابلس واستمرُّوا الى وقتنا هذا وشُهروا بتركمان

كسروان . وروى ابن القلاعي كثيراً من الحوادث السابقة على وجه مخالف لروايات غيره لا نعلم ما فيها من الصحة

ثم اخذ النوّاب في ترميم اسوار المدن الساحلية . روى صالح بن يحيى تجديد الامير بَيْدمر الخوارزمي نائب الشام سور بيروت على جانب البحر . قال (ص ٦١) : « جعل بيدمر اوّل السور من عند الحارة التي لنا على البحر واصلاً الى تحت البرج الصغير العتيق عمارة تنكز نائب الشام المعروف ببرج البعلبكيَّة وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركَّب عليهِ سلسلةً تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج سمّي باب السلسلة »

واتخذوا ايضاً لحراسة السواحل الايزاك اي الطلائع من الجنود والعسس كانوا يحلُّون في بيروت ابدالاً يأتي كل بدل من بعلبك فيبقى في بيروت شهراً

قال صاحب تاريخ بيروت (ص ٦٢) : « وفي السنة ٧٠٦ هـ اقرُّوا التركمان بكسروان وتداركوهم بثلثمائة فارس وجعلوا دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الاسد على حدود معاملة طرابلس . وكانت سكناهم في برج جونية فكانوا يمنعون من يستنكرونهُ ان يتعدى دربند نهر الكلب إلاَّ بورقة طريق من المتولي او من امراء الغرب كما يفعلون بقَطْيَة على درب مصر وجعلوا التركمن المذكورين ثلاثة ابدال كل بدل يقيم في الدرك شهراً .. وكان الملك المظفَّر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة قد اوقف وقفاً على جماعة خيَّالة ورجَّالة برسم الجهاد في سبيل الله تعالى بشرط عليهم ان يكونوا في اقرب المواني الى دمشق . فلما استوطن المسلمون بيروت بعد فتوحها الاخير استقرَّ اقامة المجاهدين المذكورين بها لقربها من دمشق . وفي ايام السلطان الظاهر برقوق عُمِّر البرج الكبير ببيروت على قاعدة برج من ابراج القلعة الخربة فقرَّروا بهِ المجاهدين المذكورين »

فهذه الاستحكامات التي ذكرها صالح عن بيروت ونواحيها في ايام دولتي المماليك قد جرى مثلها في سائر الساحل اللبناني لردّ غارات العدوّ فكفّ الفرنج عن غزواتهم بل اخذت الدول الاوربية تسعى في عقد معاهدات تجارية مع الشرق لاسيما مصر وسواحل الشام بعد ما اختبروا غنى تلك البلاد بضروب الخيرات واصناف المتاجر . لنا على ذلك شواهد في الكتابات الرسمية والعهود الدولية التي نُشرت في هذه الازمنة الاخيرة وخصوصاً بين سلاطين المماليك والبندقية والجنويين واهل بيزة وتجار قبرس ومرسيلية . وقد نوَّه بذلك صالح بن يحيى في تاريخهِ قال (ص٥٩) : « ثم بعد ذلك صارت بعض مراكب الفرنج تتردَّد الى بيروت بالمتاجر قليلاً قليلاً وكانت مراكب البنادقة تحضر الى قبرس فيرسل صاحب قبرس بضائعهم في شونتين كانتا له الى بيروت نقلةً بعد اخرى . وكان للقبارسة كُنُس ببيروت وجماعة من التجار يسكنون فيها ولهم خانات وحمامات . ثم بطل ذلك وتكاثر حضور مراكب طوائف الفرنج وكانت ضرائب الواردات والصادرات تؤْخذ ببيروت وهي تبلغ جملةً مستكثرة . وكان على باب الميناء دواوين وعامل وناظر ومشارف وشادّ يوليهم نائب دمشق الشام والمتوفر عن المرتبات يُحمل الى دمشق »

وترويجاً لهذه المعاملات التجارية أُقيمت مذ ذاك العهد القنصليات . وقد سبقت البندقية جميع الدول في ذلك فكان لها منذ ايام الصليبيين بموجب معاهدة تاريخها سنة ١١٢٣ قناصل في صور وجبيل وانطاكية وكان

للقنصل شورى من اهل ملتهِ فثبت هؤلاء القناصل في مهنتهم بعد الصليبيين ونالوا انعامات خاصة من امراء البلاد · فابتنوا لهم فنادق وتعاملوا مع الوطنيين بنقودهم فراجت كثيراً وسرَّ بها الناس · وكان للبنادقة كنيسة في بيروت على اسم شفيع جمهوريتهم القديس مرقس

وكذلك رهبان القديس فرنسيس نالوا من دولة المماليك مناشير تخوّلهم حراسة الاراضي المقدسة والسكنى في بلاد الشام ففتحوا اديرة في حلب ودمشق وعكة وصيداء وبيروت وطرابلس وقد نشر هذه المناشير احدهم الاب غولوبوفتش في تاريخ رؤساء اديار الاراضي المقدَّسة (ص ١٢٨ — ١٧٧)

وقد ذكر صالح بن يحيى كنيستهم القديمة في بيروت وما حلَّ بها بعد الصليبيين قال (ص١٤٩) : « لما جُعل دَرك امراء الغرب على بيروت واقتسموا ثلثة ابدال اتخذوا الكنيسة التي شرقي البلدة داخل السور فكانت لهم منزلاً وكانت هذه الكنيسة تُعرَف بكنيسة إفرنسيسك ويزعم الفرنج ان افرنسيسك هذا قديس ظهر متأخراً من مدة مائتي سنة مضت الى هذا التاريخ وكانت هذه الكنيسة كبيرة فجعلها السلف اصطبلاً وجعلوا في اعلاها اطباقاً وهي في وقتنا هذا خراب بيعت لبني الحمراء (قوم من عرب البقاع) فنقلوا حجارتها الى مدرستهم وذلك بعد العشرة والثمانماية وكانت معروفة بالسلف وهم لم يبرحوا فيها بدلاً بعد بدل · · · ثم كره ناصر الدين الكنيسة لبعدها عن البحر · · · فاستمرَّ بدل العرامونيين في الكنيسة المذكورة » وعلى ظننا ان مكانها اليوم مسجد الحمراء غربي الجامع العمري الكبير فيهِ ضريح الشيخ محمد الحمراء احد بني الحمراء المذكور آنفاً

وليس للبنان وسواحلهِ ما يستحق الذكر في زمن المماليك المصريين الاَّ انهم كانوا جعلوا لهم نوَّاباً في المدن الساحلية كعكة وصيداء وطرابلس كان مرجعهم الى نائب دمشق الذي كان في يدهِ الحلّ والعقد والامر والنهي · وربما تشاغل سلاطين مصر عن لبنان بحروبهم مع التتر وتيمورلنك وفرنج قبرس وضعفت سلطتهم فسعى البعض من نوَّاب الشام بان يستقلّوا بالحكم فوجبت محاربتهم

وبقي لبنان على سكينتهِ فتوفرت فيهِ الراحة وقصدهُ الناس حبّاً بالامن والطمأنينة لاسيما الموارنة المتفرقين في الاماكن البعيدة · وفي ذلك الوقت بُنيت عدّة كنائس واديرة وأُرسل قصّاد رسوليّون الى لبنان من الرهبان الصغار · وقد روى الاب هنري لامنس ترجمة احدهم المدعو فرا غريفون في اعداد السنة الاولى للمشرق وبيّن اعمالهُ في لبنان في القرن الخامس عشر

وفي هذا العهد صارت الشهرة لبعض الأُسر من الامراء وقد سبق ذكر المعنيين منهم والشهابيين · وعُرف اذ ذاك آل عسّاف وهم التركمان الذين وُكلت اليهم حراسة ساحل كسروان نُسبوا الى اميرهم عسّاف الذي اشتهر بفروسيّتهِ وغناهُ وجرى ابناؤهُ على مثالهِ من الامانة في خدمة وطنهِ الى عهد الدولة العثمانية وكانت مواطنهم في ازواق كسروان زوق مصبح وزوق مكائيل وزوق الخراب وسكنوا عينطوره وعين شقيف وانشأوا فيهما الحدائق وانتقلوا اخيراً الى غزير حيث لا تزال لهم بعض الآثار وكانت حدود ولايتهم من نهر الموت شمالي بيروت الى النهر البارد

ولمّا صار الامر بعد المماليك البحريين للجراكسة البرجيين بقي امراء التركمان موالين لسادتهم ثابتين في طاعتهم وتبعهم اهل شمالي لبنان وكان زعيمهم احمد منطاش فاستولوا على بلاد الشام وحاربوا انصار الدولة الجديدة من تنوخيين وارسلانيين لكنَّ السلطان ظاهر برقوق جهّز عسكراً لمناصرة اصحابه فقُتل احمد منطاش وخضع التركمان للدولة الجركسيَّة فعادوا الى وظيفتهم من حراسة السواحل · وقد كسب التركمان حبّ الاهلين بحسن معاملتهم وسعيهم في راحة الناس وكفّ الظلم

امّا التنوخيُّون بنو بحتر امراء الغرب فانهم لم يزالوا بعد الصليبيين على ترقٍ ونجاح وجُعلت بيروت في عهدتهم للمدافعة عن ثغرها مع ساحلها الى نهر الدامور · وقد ذكر صالح بن يحيى (ص ١٣٦) ما اصابهم من أذى غزاة الفرنج لمّا نزلوا على الدامور سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) حيث قُتل واحد من امرائهم وبيع الآخر فاستفكّوه بثلاثة آلاف دينار · وقد ذكر المؤلف عماراتهم في بيروت من حارات واسعة وابوانات ودور مسوَّرة وقيسارية ومسجد (ص ١٤٩ و٢٤٩ الخ) ووصف كذلك ابنيتهم في الغرب في اعبيه وطردلا وعرامون ورمطون فيها العلاليّ والدواوين الرحبة والحمامات والبرك (ص١٤٩—٥٢ و٨٦ و٩٧ و٢٠٢ الخ) وذكر ايضاً شواني وسفناً كانوا يجعلونها في خدمة سلاطين مصر في غزواتهم لقبرس كما انهم ساعدوهم في حروبهم البرّيَّة كفعلهم في حرب احمد منطاش

وقد بلغ آل تنوخ في هذا العهد اوج عزّهم ونبغ فيهم اماثل الرجال من اصحاب سيف وقلم عدّدهم صالح ابن يحيى في تاريخ امراء الغرب ووصف مآثرهم وما عُرف به كل منهم من السجايا الطيبة وقد ثبتوا في امرتهم على الغرب الى ما بعد الفتح العثماني فكُسفت شمس الامارة التنوخيَّة وسطع نجم المعنيين بعد خمولهم

١٣ تاريخ لبنان وسواحله منذ الفتح العثماني

❋ لبنان في اوائل الدولة العثمانية ❋ اقبل القرن السادس عشر على سوريا ولبنان مبشراً بعهد رقي وفلاح تحت ظل سلطنة سنية جديدة الا وهي دولة الفاتحين الغزاة سلاطين آل عثمان العظام

ان السلطان محمد الثاني بعد ان فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وقلب دولة ملوكها حوّل نظره الى سوريا علماً بما لها من الاهمية الموقعية · على ان عاجل المنية حال دون اتمام هذه الامنية وكانت وفاته سنة ١٤٨١ ·
وقد اتاح حسن الحظ للسلطان سليم الاول ان يتم ما كان قد نواه جده فكان انه لما توسم في سوريا ولبنان نشأة ميل الى الفاتحين العثمانيين ودرى بانقسام المماليك بعضهم على بعض وبوهن سلطتهم وتهاونهم بأمر الدين وآنس من بعضهم ميلاً الى الاعجام خصوصاً وقد ظهر من وراء الفرات في بلاد فارس دولة جديدة صوفية الصبغة اسسها الشاه اسماعيل صارفاً معظم همته لتقوية الملة الشيعية وكان بينهُ وبين قنصوه الغوري ملك مصر مخابرات لا يؤمن ان تكون غايتها معاكسة آل عثمان عدا ما كان العثمانيون نافسين به منكرين على المماليك ابقاء طرق الحج ومشاعره وابواب مدائنه ومعاهده بايدي اقوام مثلهم « اخساء الارومة لا خلاق لهم » كل ذلك حمل السلطان سليم الاول على افتتاح سورية وتأمين مسالكها الدينية فسار اليها بقواته



يوسف باشا فرانقو

ودخلها من جهة عينتاب واستظهر سنة ١٥١٦ في وقعة مرج دابق شمالي حلب على الغوري ملك مصر وقتله وبذلك الاستظهار تفتحت ابواب سورية للسلطان العثماني فدخل الشهباء وحماة وحمص منتصراً لا يلقى مناوئاً ولا مقاوماً وولج دمشق ظافراً في ١٢ تشرين الاول من السنة نفسها · وبعد مدة دوّخ الديار المصرية وقلب دولة المماليك قهراً سنة ١٥١٧ فاصبحت سوريا ومصر شطراً من المماليك العثمانية وقسماً من اقسام السلطنة السنية · فوضع لسورية نظاماً خاصاً سنة ١٥١٧ عدّله ابنهُ السلطان سليمان سنة ١٥٢١

اما جبل لبنان فقد لبث عند حدوث الفتح ملحوظاً بعين الرعاية والايثار علماً بانهُ لا يطيب عن عاداتهِ القديمة اذ طالما غشيته في العصور الخوالي شعوب وأسَر اميرية اقامت بهِ مستوطنة مالكة عليهِ تباعاً ولكنها لم ترهقهُ عسراً بهضم شيء من خصائصهِ وعاداتهِ · والفاتح الجديد لم يدخل جبل لبنان بل كتب الى امرائهِ يؤمنهم ويدعوهم اليهِ وكانوا قد توافدوا عليهِ في دمشق الشام تأديةً لواجب الخضوع والطاعة والاكرام فاحسن مقابلتهم وآثر ابقاءهم آمنين في معاقلهم وحصونهم الجبلية مرابطة ومحافظة على الشواطئ والجبل نفسه ·

وقد روى الدويهي ان الامراء الذين وفدوا على السلطان سليم ومثلوا بين يديهِ هم الامير قرقماس ابن الامير يونس بن معن والامير جمال الدين اليمني والامير عساف التركماني وغيرهم · اما امراء الغرب التنوخيون فلم يفدوا على السلطان الفاتح لانهم كانوا من محازبي المماليك الجراكسة فتحذروا منهُ · فولّى الامير قرقماس على بلاد الشوف والامير جمال الدين على الغرب والامير عساف على كسروان وبلاد جبيل وامرهم ان يحسنوا السياسة ويجروا العدالة كل منهم في قومهِ واعطاهم بذلك خطاً شريفاً واثبت امتيازاتهم المعترف لهم بها من سلالتي مماليك مصر البحر بين والبرجيين سنة ١٢٦٠ فاقرّ كل امير منهم على خطتـه وضرب عليهم جزية خفيفة فاصاب منها مقاطعة كسروان سبعمائة سلطانية والسلطاني ثلثا الغرش الاسدي وقدّم عليهم الامير فخر الدين الاول ابن الامير عثمان بن معن امير الشوف

وهكذا بقي حال الولاية في لبنان اقطاعياً كما كان في العهد السابق على كل اقطاعة (مقاطعة) أُسرة اميرية وطنية واستمرت الاقطاعات الكبيرة منقسمة الى خطط صغيرة يدير شؤُونها امير او مقدّم او شيخ وما زال الامراء الذين توالوا على ولاية الجبل ينتخبهم ذوو الاقطاعات عند انقراض الاسرة الاميرية وكانت هذه الولاية تستمر متواصلة متوارثة فيهم غير ان الامير الاكبر كان يخلع على الاصغر إيذاناً بتاييد السلطة المتسلسلة حسب قواعد الاقطاع المألوفة وعاداتها

ان الولاية الاقطاعية قد دامت مستمرة في غربي لبنان وفي وادي التيم عند الدروز فولي على هذه الطائفة في القرن السادس عشر بضع عشائر اميرية اقدمهنّ آل تنوخ الذين مال نجم سعدهم متراميًا الى الافول في حين كان طالع المعنيين القاطنين الشوف آخذاً في الظهور والاشراق منذ سنة ١١١٨ وكان سؤددهم يزداد يوماً فيوماً فاحرزوا بحذقهم وملاينتهم جاهاً كبيراً فسادوا كثيراً بين الشوفيين حتى صارت كلمتهم نافذة فيهم ولهم عليهم سيطرة عظيمة خصوصاً ايام فخر الدين الاول فانه ولاشك قد استاثر بالسلطة العليا المطلقة واضحى كرأس زعماء الطائفة الدرزية ولتبسطه في السيادة والجاه أعلى شان عترتهِ المعنية الى الدرجة الاولى بين

الأُسر الاميرية في لبنان. وكان لآل معن حلفاء منذ القرن الثاني عشر مقيمين بحاصبيا وراشيا وبما يجاورها في وادي التيم وهم الامراء الشهابيون وانما الصلة الجامعة بين الجانبين انَّ كلتا الاسرتين المعنية والشهابية تدلي بصلة النسب الى قبيلة قريش وتدين بمذهب السنّيّة جهاراً وكانوا في الخفاء يبدون ميلاً وهوًى الى مذهب رعاياهم فعرفوا كيف يتلينون تملقاً و يتلاونون تودداً للحصول على طاعة الطائفة الدرزية فادركوا منها ما ارادوا فتابعتهم على اهوائهم وتخلقت باخلاقهم

اما شمالي لبنان فكان ابّان الفتح العثماني منقسماً الى عدة اقطاعات فكسروان إقطاعة التركمان العسافيين الذين وسدت اليهم امارة الجهة الشمالية من قِبل دولة المماليك فلبثوا محافظين مقيمين بحصونهم في الازواق ونهر الكلب وجونية . ثم لمّا جاء الفاتح السلطان سليم زادهم بسطة في الولاية حتى جبيل فاتخذوا عندئذٍ بلدة غزير قاعدة لامارتهم الصغيرة فعزّت ولا سيما في ايام الامير منصور العسافيّ الذي طالت مدة ولايتهِ من سنة ١٥٥٢ الى ١٥٨٠ وعمّ فيها الامن جميع تلك الديار وامتدت سلطته من بيروت حتى عرقا وما بينهما البترون وبشراي والزاوية والكورة والضنّيّة . وفي هذا العهد اشتهرت عائلة حبيش التي كانت قد هاجرت من يانوح الى غزير فراراً من تيّار ثائرة الشيعيَّة وادّوا عدّة خدمات حسنة للامير منصور عساف واجلُّها احباط مكيدة كان قد كادها لهُ عبد المنعم احد اعدائهِ فعرف لهم حسن الصنيع وكافأهم على اخلاصهم الخدمة والقصد في جانبهِ بأن فوّض اليهم عهدة غزير والكفور وفتقا فكانوا من اكبر اعوانهِ وفي مقدمة انصاره على اعزاز شأن سلطتهِ وتأييد اركان ولايتهِ

ولما شاعت واشتهرت ذكرى ولاية هذا الامير العسافيّ وما في بلادهِ من الراحة والامن تكاثر ورود الناس اليها من انحاء شتى فقدمها من جهة البقاع مسلمون سنيُّون واقاموا بفتقا والجديدة وساحل علما وفيطرون. وجاء جماعة من دروز المتن والصرود واستوطنوا برمانا ومزرعتا. وجاء اخيراً من الهرمل الى اعالي لبنان بين الفتوح وعكار قوم من الشيعيين وهم عائلة حماده المشهورة العجميَّة النجار في قول بعضهم . وكانت عائلة اخرى شهيرة من الشيعيين بجوار بعلبك يخاف سطوتها عابروا الطرق وسكان سهل البقاع وهي عائلة الامراء الحرافشة في حين كان الزعيم منصور بن فريخ متسلطاً على بداويّ البقاع بين حمص و بعلبك والشام حتى نابلس

وفي هذا العهد كان يتنازع امارة طرابلس آل سيفا وبنو شعيب وكلتا هاتين العائلتين من الاكراد وما زالتا كذلك حتى تغلّبت الاسرة السيفيَّة اواخر القرن السادس عشر وفاز احدهم بامر الولاية على طرابلس مع لقب باشا من صاحبها . وقبل الفتح العثماني كان النصارى خصوصاً الموارنة وجماعة النصيريّة خاضعين لحكومة طرابلس مباشرةً ثم تمكنوا من الانفصال عن خطة حاكمها وعُيّن لهم مقدّمون كان من اخص اعمالهم جباية اموال الخراج بالرفق واللين ومرجعهم متسلم ينصبهُ الباب العالي وكان اكبر مقدمي الموارنة مقدم بشرّي ومقدم جبيل ومقدم البترون . اما الضرائب فكانت سنة ١٥٩٦ ألفي ريال على اراضي الموارنة خلا ما كان يُتقاضى منهم رسم خراج وهو ريال عن كل جريب من الارض (والجريب ستون ذراعاً مربعة) ورسم جزية عن الاعناق سبعة عشر ريالاً . وايضاً كان الفلاحون يؤدون الى مواليهم وساداتهم المرتبات الاقطاعية

وكانت التقادم والهدايا واجبة على الرعية كلها ومثلها الغرامة المفروضة تحكماً من قبل الباشاوات ونوابهم

ومما يذكر ان اللبنانيين ما برحوا حتى اواخر القرن السادس عشر آمنين مطمئنين في حالتهم التي كانوا عليها مع انقسامهم الى حزبين قيسي ويمني وابتلائهم بخصومات ومشاقات محلية الى ان فاجأتهم سنة ١٥٨٥ نكبة كدرت صفو عيشهم وشوشت احوالهم وهي انهُ بينما شرذمة من الانكشارية سائرة في جون عكار باموال ضرائب مصر وسورية الى استانبول وثب عليها اللصوص وسلبوها فوجهت التهمة حينئذٍ على بعض امراء لبنان عموماً وعلى امراء بلاد الدروز خصوصاً فانتهزت الدولة الفرصة لاظهار قوة بطشها في الجبل وتولى ابرهيم باشا عامل مصر اجراء هذه البطشة فاطلق اليد فيها بشدة وكان اذ ذاك حاكماً كبير الامراء الامير قرقماز ابن الامير فخر الدين المعني الاول فلم يلبث في وجه ابرهيم باشا وتوارى مختبئاً في قلعة شقيف طيرون او شير طيرون وهناك مات كمداً وتحسراً . اما الامراء التنوخيون فقد سار بهم قائد هذه الحملة الى دار الملك حيث بُرّئت ساحتهم وأُعيدوا مقررين على اماراتهم . وكان للامير محمد منصور عساف مغنم فرصة لاذلال الدروز غير ان يوسف باشا سيفا عدو عائلته كاد له مكيدة ارداهُ فيها بين البترون والمسيلحة سنة ١٥٩٣ وبمقتلهِ كان آخر العهد بالعائلة العسافية فخلفهم بنو سيفا في غزير وتزوج يوسف بامرأة الامير محمد واستولى على جميع امواله واملاكهِ واقرتهُ الدولة على هذه الولاية

١٤ لبنان في زمن الامير فخر الدين المعني الثاني وسلالته سنة ١٥٨٤ — ١٦٩٧

بينما سلطة بني سيفا تتعالى ممتدة على كل شمالي جبل لبنان كان متوارياً في قرية بلّونة تحت عجلتون ولد صغير سيصير ذات يوم من كبراء مشاهير الشرق الا وهو الامير فخر الدين المعني الثاني ابن الامير قرقماز الناكص الجدّ ارسلتهُ والدتهُ الاميرة نسب الى هناك مع اخيهِ الامير يونس انقاذاً لهما من سورة غضب ابراهيم باشا فاقاما مدة مختبئين على خلوة في منزل لآل خازن ولبثا ثمَّ حتى أُمِنَ عليهما كل خطر فأُخرجا من مخبئهما وسُلّما الى خالهما الامير سيف الدين التنوخي والي الشوف أوانئذٍ سنة ١٥٩٠ فاحسن تربيتهما وتدربهما فتخرج الامير فخر الدين في ضروب السياسة والتدبير وتدرج يونس في معرفة فنون الحرب وكلاهما برع فادرك الغاية من فنه . ولما بلغ الامير فخر الدين أشدّهُ راشداً ألقى اليهِ خالهُ مقاليد الامارة على الشوف واول عمل باشرهُ انهُ استدعى والدتهُ وطلب مؤدّبه كيوان واستقدم الشيخ ابا نادر الخازن واتخذه لنفسهِ مدبراً فكان موضع ثقته واكبر مساعد له في اعمالهِ منذ سنة ١٦٠٠ فصاعداً وكثيراً ما عاونهُ على اعزاز شأن لبنان

ومن السنة ١٥٩٨ الى ١٦١١ كانت عناية الامير فخر الدين منصرفة الى توسيع نطاق امارته خصوصاً فضمَّ اليها قسماً من املاك يوسف باشا سيفا حاكم كسروان وطرابلس وكان قد استوطن مدةً بيروت حتى جاء فخر الدين وسلخها عن امارتهِ وتزوج بابنتهِ ثم استولى على اراضي امراء البقاع الحرفوشيين وبيت قريش وعرفت الدولة قصده بما كان منهُ فلم تقلق لنجاحهِ وتقدمهِ لما فيهِ من مظاهر الاذلال لامراء عتاة لا يؤمن شرهم

وقد سرَّها اقدامهُ على قهرهم وتغاضى عنهُ السلطان احمد الاول من سنة ١٦٠٣ الى سنة ١٦١٧ اذ كان متشاغلاً بمحاربة الفرس والبحر وتركتهُ الدولة يبسط سلطتهُ على كسروان والمدن الساحلية والاقاليم الممتدة الى صفد وعجلون وبانياس وكان لبيروت وصيداء النصيب الوافر من اصلاحاتهِ. قال جورج سنديس في كتاب رحلتهِ الى الشرق: لقيت الامير فخر الدين في صيداء سنة ١٦١٠ — ١٦١١ فرايتهُ متدبراً متأهباً لكل حادث طارئ وهو واثق من نفسهِ بقوتهِ لا يبالي بوعيد اعدائهِ اذ كان ذا ثروة واسعة جمعها من غزواتهِ وما جباهُ من المكوس التي ضربها فاستعان بما لديهِ من المال على تعبئة جنودٍ اشداء وتدر بهم صوناً لحرمتهِ ومهابتهِ وتأييداً لجانبهِ في امارتهِ. وما زال يعنى بامر الجندية حتى بلغ عدد جيشهِ فيما رُوي اربعين الفاً من الجنود الغير المنظمة المعروفين بالسقمان ومن المغاربة والمسيحيين ومعظمهم في الغالب من الرجَّالة. وفي سنة ١٦٠٠ فوَّض قيادة عسكره الى اخيهِ الامير يونس لانهُ كان قد اظهر في عدة وقائع بسالة وشدة بأس ومدارك عالية في فن القتال. وحذراً من مباغتة العدو اتخذ لعسكرهِ مرابطات حصينة ومواقف موافقة فانشأ على طول خطوط الحدود والطرق الخطرة سلاسل من الاستحكامات والقلاع المنيعة لا تخلو مطلقاً عن قوة كافية من الجند ثم انهُ حصَّن جميع المدن الدانية من الحدود من مثل صبيبة وبانياس وشقيف ارنون وشقيف طيرون ونحوها

وفي السنة ١٦٠٨ اقدم على فعل اعظم من كل ما ذكر آنفاً وهو عقد ميثاق مع اسرة المديشيس اصحاب توسكانا على يد الدوق فرديناند الاول ثم عقد ميثاقاً آخر على يد الدوق قزما الثاني سنة ١٦٠٩ وهذه المواثقة لم تكن تجارية محضة اذ كانت مشتملة على الدفاع والهجوم

ولم تطل مدة تبسطهِ في السطوة والسلطة حتى اتجه الباب العالي عليهِ شبهات وريَب فتغير عليهِ وساق اليهِ عوامل السخط لِمَا رأَى من شدة جرأتهِ واقدامهِ من غير مبالاة على عقد المعاهدة المذكورة افتتاحاً بالامر. وما كان في وسع الدولة ان ترضى او تغضي عن مثل هذه الحال من الاستقلال باقامة امارة كبيرة عزيزة الجانب في وسط سورية العثمانية

وسنة ١٦٠٩ عُيِّن لولاية الشام حافظ باشا وكان ذا عزمٍ وحزمٍ فدرى بحسن درايتهِ ويقظتهِ ان مطامع الامير اللبناني مستجلب على الدولة خطراً لا محالة لاسيما ان كثرة الضرائب التي احدثها في البلاد قد جعلت الرعية شاكية غير صابرة على ذلك بخيف وقوع المحذور بداعي الضعف الطارئ على السلطة من الوجه المذكور فابلغ الى الباب العالي كل ما رآهُ وعرَّفهُ حقيقة الحال باطرافها وتولى بنفسه قيادة عساكر الاناضول لكبت الامير العاتي ورجالهِ فاهتم الامير للامر ودرى بما وراء الاكمة فتقلق واضطرب وبادر لاتخاذ الحيطة باثارة حمية القوم في الدامور وحضهم واستنهاضهم لمظاهرتهِ فلم يجيبوه وحينئذٍ لم يجد بدًّا من الترحال تخلصاً مما كان يخشاه خذلاناً فتسوء عقباه

وما لبث ان عهد بولاية الامارة الى ابنه علي واناب عنهُ اخاه الامير يونس وكيلاً بالوصاية في ادارة الشؤُون وركب البحر خامس عشر ايلول سنة ٩١٣ هـ قاصداً ايطاليا فاستقبل في قصر اصدقائهِ المديشيس بالاحتفال والاحتفاء، وعلم حافظ باشا بسفره على حين فجأَة فبهت مفكراً في ذلك. ثم توسلت اليهِ الاميرة نسب

ان لا يلحق بالامارة شرًّا او اذى استياء من فرار زوجها وسفره خفيةً فطمَّن بالها

وفي اواخر السنة ١٦١٥ او اوائل السنة ١٦١٦ عاد الامير فخر الدين من جلائهِ وغربتهِ في الغرب الى لبنان آمنًا شر عدوَّيهِ الالدّين نصوح باشا وحافظ باشا لان الاول توفي في خلال تغرُّبهِ والثاني كان قد أُقيل من ولايتهِ وأُديل منهُ في الشام محمود باشا الذي رضي عن الامير ولم يأبَ رجوعهُ الى مركزه في وطنه مشترطًا عليهِ ان يهدم حصون بانياس والشقيف

وحينئذٍ طفق هذا الامير الهمام يجدد صولتهُ ويحسن طريقتهُ بحذقهِ ساعيًا لتسكين هواجس الدولة وازالة قلقها من جهتهِ فتمكن بذلك من قهر اعدائهِ وتقليص ظلهم ومحو آثارهم خصوصًا بني سيفا ولاة طرابلس فانهُ هدم حصنهم في عكار ودكَّهُ دكًّا واذلَّهم وما لبث ان اصبح الآمر الناهي المطلق السلطة على كل البلاد بين الكرمل وانطاكية وقد باتت امارتهُ منيعة الجوانب تحميها حصون صفد ومعاقلها وقلاع نيحا وشقيف طيرون وعجلون وقب الياس و بعلبك والمرقب والبترون وغيرها من المعاقل والصياصي والمرابطات

وقد اجمع مؤرخو ذلك العصر على ان الامير فخر الدين كان اعظم امراء السلطنة العثمانية اوانئذٍ بلغ دخل خزينتهِ السنوي تسعمائة الف ليرة كان يؤدي منها الى خزينة السلطان ثلاثمائة واربعين الف ليرة وكان بامكانه ان يجمع في عشرة ايام عشرة الآف جندي خلا الف رجل سقماني مرابطين في الثغور والتخوم وما زال يعلو كعبهُ ويعظم قدرهُ في الاستانة حتى منحهُ السلطان لقبًا قلَّ من نالهُ فدعاهُ سلطان البرّ مع اختصاصه بحق اطلاق النظر والاشراف على سائر البلاد السوريَّة فطاف في هذا الاقليم العظيم مُدلاًّ بابهته وعظمتهِ

ولا يخفى ان سوريَّة عمومًا وجبل لبنان خصوصًا قد ادركا عهدًا جديدًا ونالا حظًّا وافرًا سعيدًا في سبيل التقدم والفلاح فان الامير فخر الدين عزم منذ ابتداء ولايتهِ على فتح ثغور السواحل اللبنانيَّة ومرافئها لتجارة اوربا وقد قويت فيهِ هذه العزيمة وازداد رغبةً واهتمامًا بالمشروع بعد ايابه من السفر لما رأى هناك من اسباب المدنيَّة الغربية ومظاهر الفروق بينها وبين الحضارة الوطنيَّة حسنًا ورونقًا فتوخى في عمله النسج على منوال المعاهدات المنعقدة بين فرنسيس الاول والسلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٥ . وراعى اي الامير قوام قواعدها ومقاصدها فمكَّن تجار الفرنسيس في صيداء من بعض الفنادق والخانات وغيرهم في غيرها

على انَّ الامير فخر الدين امسى مُعجبًا بنفسهِ مُدلاً بسطوتهِ وهو في نشوة نشأتهِ الكبرى فحدثتهُ نفسهُ ان يبلغ الغاية من السؤدد والجد بالاقدام على الاستقلال التام عن سلطة السلطنة السنيَّة فتصدَّى لهُ اليمنيُّون واستنجدوا بالباب العالي فدرت الحكومة المركزية بنيتهِ وقصدهِ فاتخذت اشدَّ التدابير لصدهِ عما نوى ميلاً مع الهوى وساق عليهِ احمد باشا قوى الدولة القاهرة وهاجمهُ برًّا وانتصر عليهِ في وادي التيم حيث قُتل ابنهُ الامير علي وبعد بضعة ايام توفي الامير يونس متأثرًا من جراحهِ ثم ما عتَّم ان غلبهُ على قب الياس وطرابلس و بعلبك وصفد واخذها كلها منهُ اخذ مقتدر . واقبل من صدر البحر الاسطول العثماني بأمرة القائد جعفر باشا للايقاع بهِ وما كانت سدود الرمل التي احدثها الامير في بعض الثغور والمراسي لتصد جري الاسطول

وتقدمهُ نحوها وايقن الامير بالهلاك فانهزم لاجئاً الى قلعة شقيف ضيرون العاصية فلم تغنِ عنهُ شيئاً فاضطرَّ ان يخرج منها فارًّا الى احدى المغاور واختبأ فيها ثم لم يستطع الثبوت في مخبئهِ لشدة جذعه ويأسهِ فسلم نفسهُ اخيراً الى الوزير المنتصر فسار بهِ مغلوباً على امرهِ مهيض الجناح الى استانبول وهناك كان آخر العهد بهِ فقتل سنة ١٦٣٥

هكذا انتهت حياة اكبر امير أحرز اعظم مجد خطير في جبل لبنان وابقى له من الآثار في هذه الديار ما لم يمحُهُ كرور الاعصار نخص منها بالذكر اسباب الترقي والاقتصاد والعمران في بيروت ولبنان فرفع مقامها بين البلدان الشرقية. ومن فضلهِ تمكين صلات الالفة الرابطة بين الطوائف الوطنيَّة مما آل بالجبل ان يكون اكبر عامل مؤثر في شؤون سورية كلها

وما كانت نهاية عهد الامير فخر الدين لتؤثر شيئاً في حالة لبنان حيث خلفهُ على منصب امارتهِ الامير ملحم ابن اخيهِ واعترف بهِ الباب العالي واقرَّهُ في الولاية الا انهُ سلخ عنها البقاع ومرجعيون فتابع الخلف في العمل تقاليد عمه السلف فلم يخلُ أواخي الاخاء مع الامراء الشهابيين ولا خفر ذمام الاسرة الخازنيَّة والاسرة الحبيشية وانما داوم على رعاية الاصول والروابط وصلات الموالاة السابقة فتوطدت بذلك سلطته واعتزَّ جانبه في الجبل وضعف كثيراً قواء الحزب اليمني ولا سيما بعد انقراض بني سيفا وقد بالغ في اجتهاده للجمع بين مرضاة الدولة العلية عند ثقتها به وكفايتهــا مؤونة التشاغل والاهتمام بشؤون جبل لبنان الداخلية

وسنة ١٦٥٧ خلف الامير ملحم ولداه احمد وقرقماز وانفرد الامير احمد المعني بالولاية مستقلاً بعد وفاة اخيه قرقماز الثاني سنة ١٦٦٥ وسار على سياسة ابيهِ مع الدولة والرعية ملتزماً خطة المحافظة ابقاء للقديم على قدمهِ فاستمر لبنان في عهدهِ يرتقي بتواصل علاقاتهِ التجارية مع اوربا على انهُ في اواخر ايام الامير لم يخلُ جوُّهُ عن بعض مما يحيق من غيوم الغموم والكدورات الناشئة عن تعديات جماعة الشيعيين على الموارنة تلك العصابة التي قهرها فخر الدين واذلها فعاودت غشيان ارض لبنان واخذت في الاعتداء والسلب فجرت بين الطائفتين عدة وقائع في جهات واماكن مختلفة وعلى الخصوص في جهة عكار فان النزاع والعداء قد اشتدَّ بين الفريقين حتى افضى الحال الى مهاجرة من كان من الموارنة في تلك النواحي والاطراف الى جهة الجنوب فاحسن الدروز استقبال اللاجئين الى ديارهم وانزلوهم في اراضيهم وضياعهم منزلة حرَّاثين بقَّارين وقد صار بعضهم في الجلاء الى بلاد البشارة واستوطنوا عينبل وما يجاورها فوجدوا ثمَّ عائلات من اهل الشيعة فسالموهم موادعين خوفاً من مجاوريهم الدروز واستمر الشيعيون في شمالي لبنان يغزون ويسلبون الناس اموالهم واشياءهم حتى ظفر بهم حكام طرابلس وبدَّدوهم

وسنة ١٦٩٣ امر الباب العالي باقالة الامير احمد المعني من منصبه واقام خلفاً لهُ في دير القمر فاجتمعت الكلمة في لبنان على مناصرة الامير وخذل خلفه معرضين عنهُ ولم يراجعوهُ في شيء من امورهم ومصالحهم على الاطلاق وامتنعوا عن اداء الضرائب والتكاليف الاميرية وبلغ الباب العالي ذلك كله اعراضاً وامتناعاً

للسبب المذكور فامر باعادة الامير احمد المعنيّ المشار اليهِ اميراً عليهم ولم تتجاوز مدَّة اقالته بضعة اشهر فاستمر في منصبهِ متبوّئاً فيهِ باقي ايام حياتهِ

١٥ لبنان في زمن الامراء الشهابيين من سنة ١٦٩٧ الى ١٨٤١

سنة ١٦٩٧ توفي الامير احمد معن حفيد الامير فخر الدين الثاني بلا عقب فانقطعت بوفاتهِ سلسلة السلالة المعنيَّة التي ولي امراؤها بابهة وعظمة على بلاد الشوف اولــــ الامر ثم عمَّت ولايتهم وامتدت كثيراً ودامت مدَّة خمسة قرون متوالية فلم يكن بدٌّ حينئذٍ من اختيار عائلة اخرى اميرية للولاية وتغاضت الدولة العلية اذ ذاك عن الاهتمام بهذا الشان لتشاغلها بمشاكل ازمة شديدة افضت الى عقد معاهدتين مشؤومتين احداها معاهدة كارلوويتز (Carlowitz) سنة ١٦٩٩ والاخرى معاهدة باسَّاروڤتز (Passarowitz) ١٧١٨ وكلتاهما كانت مقدمة لتجزئة الممالك التي افتتحها سلاطين آل عثمان العظام في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . وكان الباب العالي قد استوثق وعداً من اعيان اهالي لبنان باداء جزية سنوية فاذن لهم ان يجتمعوا اجتماعاً رسمياً في مرج السمقانيَّة بين دير القمر والمختارة وينتخبوا لهم اميراً حاكماً عليهم تتوارث ذريتهُ منصب الولاية خلفاً عن سلف فوقع اختيارهم على حلفاء المعنيين وهم الامراء الشهابيون رؤساء الحزب القيسي وقتئذٍ وانتخبوا منهم الامير بشير الراشاني كبير أُسرته حاكماً على لبنان بيد أنَّ الباب العالي ارتأى الخلاف بأن حق ارث المعنيين في منصب الولاية آئل الى الامير حيدر الحاصباني سليل الامير علي شهاب وأبى الاعتراف بالحق للامير بشير الأَكوصيّ على الامير حيدر ابن عمه المنوَّه بهِ لانهُ لم يكن متجاوزاً السنة الثانية عشرة من عمرهِ فجازت ولاية الامير بشير بالوصاية سنة ١٦٩٧ ولم يكن لمدتها شأن يذكر وتوفي سنة ١٧٠٦

اما الامير حيدر الشهابي فقد عُرف منذ ابتداء ولايته بجميل المزايا ومضاء العزيمة فاستطاع ان يتغلب تغلباً تامّاً على الحزب اليمني فسحقهُ . ثم كان أنَّ احد مشايخ الدروز الطامعين المدعو محموداً قد وُفق للحصول على ثقة الباب العالي فنال منهُ لقب باشا وبهذه الوسيلة تمكن من تحريك الحزب اليمني ضد الامير فتوارى هذا لاول وهلة واختبأ ثم خرج من مخبئه في الوقت الموافق وحمل على الشيخ محمود وظفر بهِ منتصراً في وقعة واحدة بعين داره سنة ١٧١١ وكانت هاتيك المعركة قاطعة العدال في شأن لبنان اذ جاء بها النصر التام على الحزب الابيض اليمني فأهلك معظمهم في حومة القتال وتفانى قوام عصبيتهم كل التفاني وفي جملتهم امراء عائلة علم الدين الذين كانوا صدعاً مستمرّاً في بناء سلطة المعنيين والشهابيين وكان في هذه المعركة المقدَّم حسين اللمعي من اسرة ابي اللمع الدرزيَّة القاطنة المتن التي ينتمي اصلها الى قبيلة بني الفوارس العربيَّة فابلى بلاء حسناً وعُزي اليه معظم البأس في النزال والانتصار

وبعد هذا الانتصار الباهر انصرفت عناية الامير حيدر الى اصلاح شؤون لبنان وتحسين احوال اهليه وترتيب ادارته الداخليَّة فجعل جميع عمَّالهِ من حزب القيسية فولى على الشوف بني جنبلاط وعلى المناصف بني نكد وعلى العرقوب بني عماد وجعل الجرد لبني عبد الملك والمتن للامراء اللمعيين الذين تقرَّر يومئذٍ تأميرهم

اي جعلهم امراء والغرب الاعلى لبني تنوخ والغرب الاقصى للامراء الارسلانيين · واما في خارج الشوف فولّى على كسروان المشايخ الخازنيين اصدقاء المعنيين والشهابيين ووُسّدت الزاوية الى مشايخ بيت الضاهر والكورة لمشايخ بيت العازار وجبة المنيطرة لمشايخ آل حمادة الشيعيين

ولم يكتفِ الامير حيدر بتقوية سلطته في جبل لبنان حتى أُشرب حبه مشايخ بلاد البشارة الشيعيين ومشايخ حاصبيا وراشيا ومشايخ البقاع وبعلبك والضنيَّة فمالوا اليهِ ومالأوهُ على ما اراد فاصبح يدير الشؤون من مركزهِ في دير القمر او بيروت ليس في لبنان فقط بل في بلاد البشارة ومرجعيون والبقاع ايضاً وهي عبارة عن معظم ولاية الامير فخرالدين الكبير الواسعة الاطراف

وسنة ١٧٣٢ خلف الامير حيدر ابنه الامير ملحم شهاب فقام على رعاية املاك ابيه وامواله وخططه وكان مبلغ المال الذي يؤديه كل سنة الى الدولة ما خلا خراج لبنان مائة وخمسين كيساً تساوي الفين وخمسين ليرة من نقودنا عن البقاع الغربي · وفي ايامهِ دان اولاده بالنصرانية وتابعهم عليها غيرهم من آل شهاب واقتدى بهم بعض الامراء اللمعيين تاركين مذهبهم الدرزي · وهاتان الاسرتان هما اعظم الاسرات شأناً في لبنان وكان السبب في تنصر كثير منهما بل معظمهما قصد الانضمام الى الطائفة المارونية اعتداداً بها واستناداً اليها بالنظر الى اكثريتها عدداً واهميتها عُدَداً

ثم اعتلَّ جسم الامير ملحم فنحل وقعد بهِ ضعفهُ وهزاله عن النهوض لمباشرة المهام فطمع فيه اخوتهُ واعوانه فاستقال من منصبهِ قبل بلوغ ابنه يوسف اشدَّهُ وودَّ لو يخلفهُ قاسم ابن اخيهِ عُمَر شهاب غير ان عميهِ احمد ومنصوراً لم يوافقاهُ في ما اراد من تولية قاسم المنصب العام فاقتصر على تقليدهِ امارة غزير وهناك كانت وفاتهُ متنصراً سنة ١٧٦٨ وفيها مدفنهُ وله ابنان احدهما يدعى حسناً والآخر بشيراً لم يتجاوز بضعة اشهر من مولدهِ وهو الذي صارت اليهِ الولاية العامة على جبل لبنان وسيأتي مزيد بيان في ترجمتهِ · اما الاميران احمد ومنصور عمَّا الامير ملحم وخلفاه على المنصب فلم يطل اتفاقهما في الامر وحدث اذ ذاك ان انقسم الدروز الى قسمين واتخذوا لهم صبغة حزبين متناظرين يعرف احدهما بالجنبلاطي والآخر باليزبكي نسبة الى آل جنبلاط من جهة والى آل عماد سلالة يزبك من جهة اخرى فكان الامير منصور زعيم الحزب الجنبلاطي والامير احمد زعيم الحزب اليزبكي وتطرَّق الانقسام الى الموارنة متابعةً ومشايعةً للحزبين المذكورين فانحاز المشايخ الخازنيون الى زعيم الحزب الجنبلاطي والمشايخ الدحداحيون الى زعيم الحزب اليزبكي و بعد تنازع طالت مدتهُ بين الحزبين اخلد الامير احمد الى السلم والموادعة وقضى باقي ايام حياتهِ في دار اخيهِ ملازماً السكينة والدعة حتى توفي سنة ١٧٧٠ ولهُ ولد وحيد يدعى حيدر وهو صاحب التاريخ المشهور باسمهِ

اما الامير منصور فلم تطل مدة انفراده بالولاية وتمتعهُ بلذة الفوز والظفر بُغيتهِ لان الامير يوسف ابن الامير ملحم كان قد احرز شاناً خطيراً باستظهارهِ على الشيعيين مرة بعد اخرى

ومجمل الخبر ان الموارنة في شمالي لبنان كانوا يسعون للتخلص من ربقة الاستعباد لمشايخ الحمادية الشيعيين الذين وسَّد اليهم باشاوات طرابلس جمع الجزية وجباية الضرائب من اهالي جبة بشراي مدة من الزمن ·

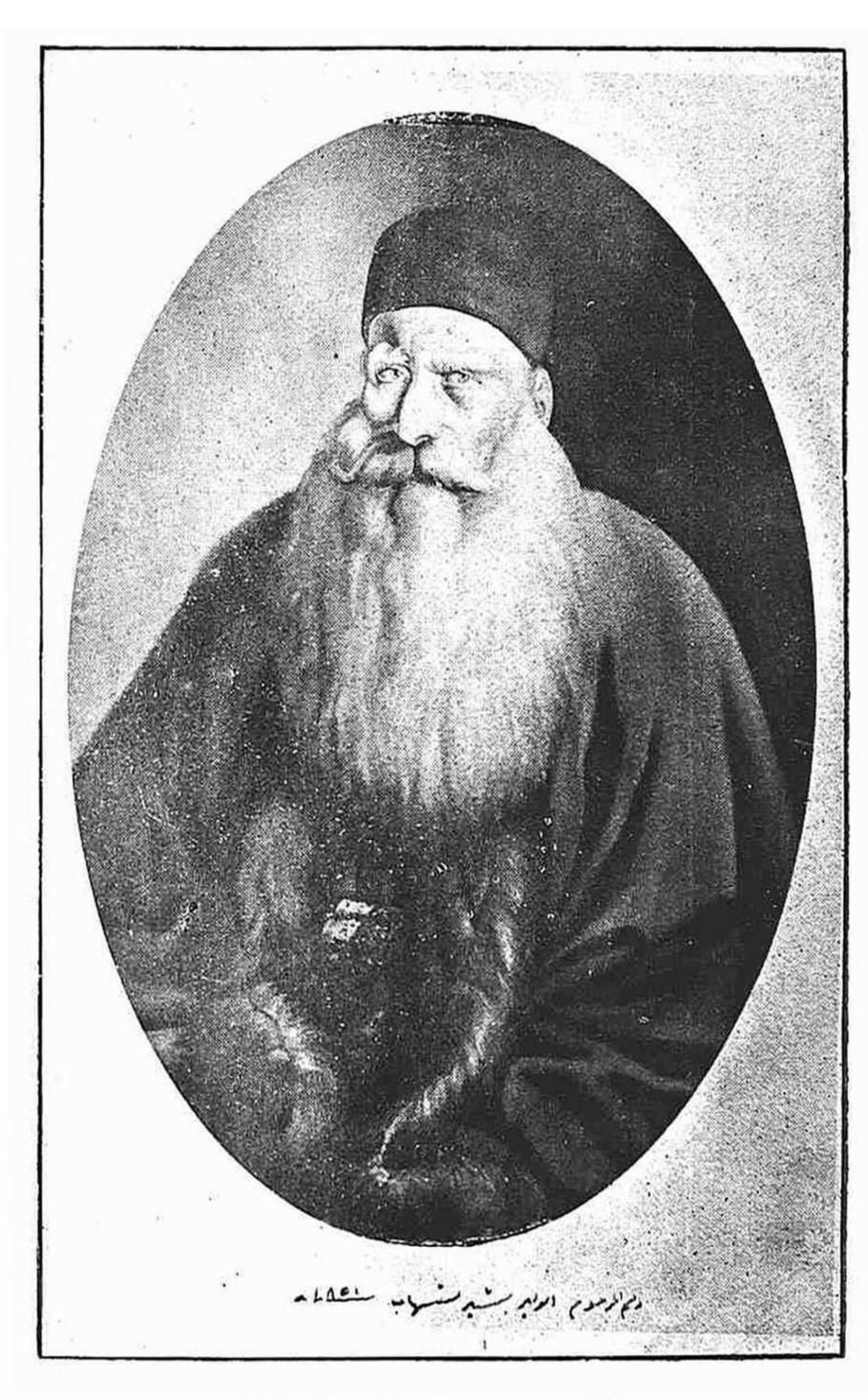
وما خلا عسف هولاء العمال وشدة وطأتهم فانهم قتلوا مطران اهدن فالتأم مشايخ الموارنة اذ ذاك وقد هاج جأشهم وأقسموا بانهم لا يلقون السلاح ما لم يتم طرد الشيعيين من اقليمهم وقد ساعدهم على طلبهم باشا طرابلس لانهُ كان منذ حين مستاءً من الشيعيين المذكورين كل الاستياء لتهاونهم بسلطتهِ ومخالفتهم لكل نظام استخفافًا سنة ١٧٦٢ فأُخرجوا كرهًا من الجبة والمنيطرة وبلاد جبيل. ثم كان ان الامير يوسف تولى رئاسة الموارنة سنة ١٧٦٦ فبدد شمل الشيعيين في واقعة اميون وطردهم من الكورة . ومنذ ذلك اليوم اصبح شمالي لبنان بعهدة اعيان الموارنة فاقام المشايخ آل الضاهر ببشراي وبولس الدويهي باهدن ١٧٩١ حيث خلف عائلتهُ آل كرم على العهدة واقام بنو عواد والشدياق وغيرهم من الاعيان بحصرون وعين طورين وسواها . وولى الامير يوسف المشايخ الدحادحة على بلاد جبيل والبترون واستلفت اليهِ الانظار فاجتمعت القلوب على حبهِ واتفقت كلمة الجنبلاطيين والنكديين سعيًا لتوليتهِ ثم اجتمع اعيان البلاد في الباروك فاضطر الامير منصور ان يستقيل من الولاية فاجمع القوم الحاضرون على القاء مقاليدها الى الامير يوسف ابن اخيهِ سنة ١٧٧٠

ثم ان الامير يوسف الحاكم الجديد في لبنان لاقى مقاومًا له شديد الحَول ظاهر العُمَر الذي كان يومئذٍ مستوليًا على عكاء وهو شيخ بدوي اتخذ لنفسه امارة تشبه ان تكون مستقلة والدولة العلية وقتئذٍ مهتمة بمسالة خلافية ادَّت الى قطع العلاقات السياسية مع كاترين الثانية امبراطورة الروسية فانتهز الشيخ ظاهر المذكور هذه الفرصة فخالفها على الدولة العثمانية ومن ثم استولى على صيداء ويافا والرملة ونابلس فلم يجد الامير يوسف بدًّا من مضادته حرصًا على صون امارتهِ واملاكهِ ووقايتها. على ان الشيخ ظاهر العمري لم يكن ليحسن العمل على تقوية سلطتهِ وتشييدها على اسّ وطيد فلما تم الصلح بمعاهدة كينارجه بين الدولة العلية والروسية سنة ١٧٧٥ ثار انصاره عليهِ فقتلوه

ولقد قُدّر على الامير يوسف وقوع ما كان يتوقعهُ من قبل مقتل عدوهِ الالد الشيخ البدوي الا وهو الابتلاء بدهاء من هو اشد خطراً عليهِ منهُ ذلك الرجل المخيف احمد باشا الجزار من رجال الدولة الطغاة وقد خُيِّل له أُمنية طامحة مترامية الى ما بلغهُ الامير فخر الدين المعني الشهير من باذخ الشان وشامخ العز والمجد. اما اخبار هذا الرجل الداهية فهو ارناؤوطي الاصل من البانيا او بوسنه دخل دار علي بك بمصر غلامًا باسم احمد فتخيل فيهِ الشر والجرأة والغدر فاستخدمهُ لادراك مآربهِ من اعدائهِ الى ان قدم الشام ودخل في خدمة واليها ثم اتصل بالامير يوسف حاكم لبنان فادخلهُ في خدمته وفوض اليهِ قيادة بعض جنودهِ ثم عهد اليهِ بالمحافظة على مدينة بيروت اكبر مدن ولايتهِ اللبنانية فسوّلت له نفسهُ والنفس امّارة بالسوء ان يغدر بالامير سيده فطفق يحصن مركزه الجديد فاوجس منهُ خيفةً واراد اخراجه من بيروت فتعاصى وما لبث ان لاذ بالشيخ ظاهر العمر السابق ذكره فحماه ثم قاده طمعه الى خيانة الشيخ مجيرهِ ثم اخذ يحتال لاغتياله فادرك ما اراد من الاساءة اليهِ سعايةً ووشاية حتى ارداهُ. وما زال الجزّار يتخذ الوسائل الممكنة حتى نال من لدن الباب العالي حسن الرضى عنهُ والالتفات اليهِ وتعين واليًا لايالة صيداء مكافأة له على مساعيهِ وخدماتهِ سنة ١٧٧٢ وبلغ الامير يوسف نبأ ترقّيه وتبوئه هذا المنصب فهاله الامر جدًّا وبات قلقًا مضطربًا لمجاورة هذا الرجل

الخوف فجعل يتلطف تخلصاً من علاقته السياسية مع ايالة صيداء . وما خلا ذلك فقد سعى ان يهلك واليها الجديد بكمين نصبه له قرب الدامور فنجا منهُ واخفق الامير في سعيهِ وتدبيره لان الجزار كان قد تيقظ ودرى بسوء نيته فأخذ حذره منهُ واحتاط لوقاية نفسه بان ضبط محافظة بيروت وحصنها وجعل فيها قوة كافية من الحامية بامرة احد اعوانهِ . وفي الوقت عينه استولى على املاك الامراء الشهابيين في البقاع وكان ذلك سنة ١٧٧٦ . واخذت سلطتهُ تمتد يوماً فيوماً من السنة ١٧٨٢ الى حين مماته سنة ١٨٠٤ وتسنى له الحصول تكراراً على ولاية دمشق وطرابلس وكان يدرأ عنه شكوك الباب العالي في اخلاص مقاصده باداء مبالغ جسيمة من المال . ثم نقل مركز اعمالهِ واقامته من صيداء الى عكا فبدأت هذه تترافى وتلك تتراجع الى الوراء . وقد صرف اهتمامه في عكا لاجراء الاصلاح والتحسين والتحصين حتى صيّرها بما انشأ فيها من ضروب الاستحكام والتحوط قلعة قوية منيعة لا تكاد تؤخذ واعدّها للتجارة الاوربية باجراء التسهيلات اللازمة . وعلى هذا المنوال سار الجزار في ادارة ايالته فكان كأنهُ قيلٌ مستقلٌ لا يدفع من الجزية الا ما شاء وكيف شاء ومتى شاء

ومن صفات الجزار القسوة والجور وشدة الفتك حتى اشتهر بالجزار اي السفّاك للدماء . وكان ذا حزم ودهاء وتدبير متقلب في السياسة محنكاً مدرباً في الامور الجندية فنظم ما امكن له واستطاع من شؤون الايالة ورتّب ماليتها ووضع لرجالهِ وجندهِ نظاماً شديداً قوياً واضاف الى معسكرهِ بعض فرق وكتائب . ومن مظاهر بأسهِ واقدامه انهُ استطال على اهل البادية وبطش بهم واذلّ الشيعيين وتطرق الى مناوأة امراء الجبل الطامعين حينئذٍ في بعض ارجاء ايالته الاقليمية . ولا يخفى ان الجزار كان مدركاً ينظر الى العواقب بالنظر الثاقب فلم يأمن طارئ الخطر الدائم الذي كان يتهدده جوانب جبل لبنان بما لاهليهِ من الجرأة والشجاعة وما فيه من الوعور والمعاقل والحصون الطبيعية المنيعة وبكونهِ مطلاً على بيروت مشارفاً لصيداء فكان لذلك لا يجد مندوحة ليطمئنّ على استقلالهِ من الاستيلاء على هذا الطود العظيم الشاهق المنيع ولحسن طالعهِ كان اللبنانيون اوانئذٍ متفرقي الكلمة تتعاورهم عوامل التحزبات وتتلاعب بهم نكباء الاغراض والاهواء فانتهز الفرصة السانحة لادراك بغيتهِ وتوسل لها بتكثير اسبابها وتوسيع ابوابها بضروب المداهنة والمداجاة مع الامراء الشهابيين في طرق إطماعهم بالمنصب واحداً بعد آخر حتى صارت خلعة الولاية كالسلع تعرض للمساومة والمزايدة فكان الامير الكبير يضطر الى قبول المقترحات والشروط الثقيلة تفادياً من غلبة مزاحميه ونظرائه . قال احد معاصريه : « وكان الباشا على هذا الوجه يتناول طوائل المال منهالة عليهِ بكثرة ويحرزها ادخاراً وهكذا كان دخلهُ يزداد سنة بعد اخرى . وليس ما مرّ فقط فانهُ كان يبعث عساكره الى الجبل لعدّ الاشجار وتقدير الاثمار واحصاء الغلال في الحقول والضياع ورقم كل ذلك في دفاتر مخصوصة . وكان الامراء المزاحمون من جهة اخرى يكثرون الضرائب على الاهلين تيسيراً لجمع المطلوب من مقادير الاموال الباهظة التي تقيدوا وعوداً بتاديتها له » حتى اضطر الامير يوسف ان يلتمس كل سنة تجديد خلعة الولاية ويدفع غرامتها . فبات اللبنانيون في شدة وضيق وكادوا ينوؤُون ويرزحون تحت اعباء هاتيك المغارم والمظالم الفادحة . وتضعضعت السلطة في خلال ذلك الى ان تعسر التعبير عنها بجلاء . وبعد ان تقلبت على



الامير بشير الشهابي المالطي"

الامير طرائق مكر الجزار وتلوّنت مموّهات مواعيده بين تحيُّن الفرصة لتولية المنصب وإطماع غيره فيه من الامراء عنّت للامير سنة ١٧٨٨ ندحة مؤاتية للتخلص من ربقة استبداده بأن قد ثار اوانئذٍ على الجزار احد اعوانهِ واتفق مع الامير وباغتاه بعساكرهما زاحفين على عكا فدفعهم الجزّار بقواه وهزمهم في واقعة قبّ الياس ويوم مرجعيون وانكفأ الامير يوسف برجاله متقهقراً ولم يقوَ على الثبات والبقاء في منصب الامارة فاستقال منهُ للامير بشير ابن اخيهِ الذي كان في الثالثة والعشرين من سنيهِ ·ثم وشى الامير بشير بعمهِ الامير يوسف فانطلق الى الجزّار فحبسهُ وقتله

١٦ لبنان في عهد الامير بشير الكبير (سنة ١٧٩٠ الى ١٨٤٠ م)

ان الامير بشير الكبير كما يصفهُ الناس في جبل لبنان كان رجلاً فريداً في طباعه وفعاله وخلاله نسيج وحده في زمانه · وُلد في غزير بكسروان من لبنان سادس كانون الثاني سنة ١٧٦٧ ونصّره ابوه الامير قاسم ابن عمر شهاب اذ كان هو قد دان بالنصرانية منذ حين وتوفي في السنة عينها · ثم ان والدة الامير بشير تزوجت بعد وفاة زوجها ولم تقم على تربيتهِ وتنشئتهِ فنشأ وشبَّ كما شاء لا كما ينبغي ان يكون مثلهُ اميراً وبقيت اخلاقه فطرية غير مستجمعة لمحاسن التهذيب التام · ولما بلغ السنة الثالثة عشرة من عمره انطلق الى بيت الدين دنوًّا من ذوي قرباه الامراء الشهابيين الذين كان كثيرون منهم مقيمين بدير القمر وما لبث ان تدخَّل في شؤون عائلتهِ ومسائلها ومشكلاتها فاظهر من الحذق وقوة الادراك والفطنة ما جعل لهُ منزلة عالية في النفوس واحدوثة حسنة بين القوم ومع ما كان عليهِ من الجفاء وحدَّة الطباع المتغلبة فيهِ لم يعدم من نفسه مزية حسن البصر بعواقب الامور كالشهاب الثاقب فكان ينتهز الفرص السانحة انحيازاً الى الجانب القوي فينضوي اليهِ · وكان اوائل احداث ولايته ان اخا الامير يوسف الناكص الجدّ واولاد اخيهِ هاجوا عليهِ مناوئين ومالأهم في مضادتهِ المشايخ النكديون وامدُّوهم · واتصل بالجزار خبر هياجهم فساق الى الامير بشير قوة جندية امداداً واقداراً على ازالة الشغب واطفاء نار الهياج فلم يوفق الى ما اراد من ذلك فاخفق وانهزم · فسخط عليهِ الجزار واعرض عنهُ استضعافاً لشأنه وآثر ابن الامير يوسف ومنحهُ خلعة الولاية سنة ١٧٩٣

ثم لم تطل الايام على هذه الادالة في الولاية اللبنانية فعاد الامير بشير الى منصبهِ باسترضاء الجزار ووعده لهُ بتوفير الاتاوة والجزية · ثم تجدَّد سخطه عليهِ فادال منهُ غيره الى ان رضي عنهُ لآخر مرَّة فاقرَّهُ في منصبه مستمراً وكان ذلك كلهُ سنة ١٧٩٤ وفي خلال المدة المذكورة جدَّ حرصُ الامير على رسوخ قدمهِ في الولاية ان سعى ودبر لاذلال مناظريهِ واهلاك مناوئيه فاستدعى الى بيت الدين المشايخ النكديَّة لايقاعهم في مكيدة اعدَّها لاغتيالهم فجازت الحيلة عليهم وهلكوا خنقًا على غرَّة فقوي جانبهُ وتوطدت سلطتهُ وتأيد شأنهُ

ثم حدث ان بونابرت القائد الفرنسوي زحف بجيشهِ الى سورية في ١٩ آذار سنة ١٧٩٩ وفي اثناء ذلك كتب الى الامير بشير واهدى لهُ بندقية بديعة الصنعة وسأَلهُ الانضمام اليهِ في حملتهِ فاجابهُ على كتابهِ بما دلَّ على دقة فطنة ودهاء انهُ يتوقع منهُ فتح عكا لينضم اليهِ · وما احد يجهل ما كان من مصير بونابرت

الى الفشل حوالي اسوار عكا ونكوصه راجعاً ادراجه في ٢٠ ايار سنة ١٧٩٩ ولم تبقِ حملتهُ هذه اثراً يذكر في سورية لسرعتها اذ انها لم تتجاوز ستين يوماً • وكان لانكلترة في احباط الزحفة المذكورة يد قوية لان الانكليز بدأوا من ذلك الوقت يتخذون جميع التحوطات لابطال كل الاعمال والمساعي الطارئة من الخارج على سورية محافظة على طريق الهند • وبعد ان أمن الجزار خطر الحملة الفرنسوية بدفعها عن البلاد السورية واخلائها حوّل غضبه ضد الامير بشير ناقماً عليه تباطوءه عن مناصرته وامداده في صد تلك الحملة فاضطر الامير ان يستأنف الحرب والمهاجرة فلقي في العريش الصدر الاعظم • ثم عاد الى لبنان سنة ١٨٠٠ واسترضى الجزار فتجدد نجم سعده اشراقاً الى ان توفي الجزار سنة ١٨٠٤ وهو راضٍ عنهُ وبوفاته استراح الامير من مسيطر مُعنِت والباب العالي من تابعٍ مُريب وتخلصت البشرية من ظالم غشوم منتقم

ولما ان قضى الجزار نحبهُ اتخذ الامير بشير قاعدة مطردة لسياسته وهي انهُ لا يتصدى لمغاضبة احد من الباشاوات ويطيع ممثلي الباب العالي في ايالة صيداء وهكذا على اتم الوفاق مع خلفي الجزار الواحد بعد الآخر وهما ابراهيم باشا وسليمان باشا خصوصاً سليمان لانهُ اتسع لهُ حتى احرز في القطر السوري مكانة ممتازة

وسنة ١٨٠٨ بدا ليوسف باشا والي دمشق فهمّ بالهجوم على مصطفى آغا بربر متسلم طرابلس فطلب هذا من الامير ان ينجده بعسكره فلم يفعل مع ان له عليه سبيلاً الى الاجابة بالنظر الى تابعية بلاد جبيل لحكومة طرابلس معتذراً بضرورة ملازمة جنده ارض الجبل لاخماد الفتنة الناشبة بين النصيرية والاسماعيلية فغلب بربر على امره بداعي المجاعة • واذ خرج الوهّابيون اصحاب عبد الوهاب احد خوارج القرن الثامن عشر من بلاد العرب شنّاً للغارة على سورية نهض الامير بشير لانجاد والي الشام ووالي عكا فهزموا المهاجمين ومزقوهم شذر مذر • ولما امر الباب العالي بعزل يوسف باشا من ايالة الشام وادال منهُ سليمان باشا تمنّع يوسف باشا من التسليم فاقتتلا فخرج الامير بشير يومئذٍ عن حد الحياد الى جانب الدولة وسار برجاله مع سليمان باشا لقتال يوسف باشا فدارت عليه الدوائر وولى هارباً الى اللاذقية قصد الشخوص منها الى مصر ونال الامير من سليمان باشا مزيد الرضى والاختصاص بترك المزيد في المال المرتب على الجبل واطلق يدهُ في ادارة شؤونه الداخلية فبلغ بذلك شرفاً شامخاً وعزاً باذخاً في الديار السورية • نعم ان امارته لم يكن لها من السعة ما كان لامارة الامير فخر الدين الا ان حكمته السياسية وحنكته الادارية اعلت كعبهُ ورفعت مقامه واحلّتهُ ذُرى السيادة والمجد كما كان سلفهُ الأسبق الامير المعني الخطير

ثم لما اختلف الحرافشة امراء بعلبك وتنازعوا تدخل الامير بشير بجدّ فيما بينهم ومن ثمّ بسط سلطتهُ على البقاع الشمالي وجعل امارته ملجأً لدروز الجبل الاعلى الذين ضايقهم الحلبيون فجلا اليها منهم زهاء اربعمائة عائلة سنة ١٨١١

وسنة ١٨١٥ سار الامير بشير الى عكا يزور سليمان باشا فاستُقبل في كل بلدة مرّ بها بمزيد التجلة والاكرام وكان استقباله في عكا على منوال نادر المثال من حسن الاحتفال • وبالجملة فانهُ وطد سلطته وأيد امارته في لبنان من كل وجه بجميع الوسائل مع قطع النظر عن حقائقها خيراً كانت او غيره • وكان قاسياً

شديداً في اجراء العقوبات عن عدل وانصاف · ولقد اشطَّ وتجاوز الحد في تشدّدهِ على آل ارسلان من الشويفات والمشايخ التلحوقيين فاذاقهم الامرَّين ولم يبقِ ولم يذر في جانبهم شيئاً من ضروب النكال ولم يحاش احداً من شدّة وطأته حتى انهُ انزل في عائلته نفسها بلايا الويل والوبال فكانت عقبى هاتيك القسوة المتناهية في الشدَّة نهوض كثيرين لمضادته واضمار السوء لهُ

ولما كان جرجس باز من دير القمر مدبراً مطلق اليد في ادارة شؤون الامراء القاصرين اولاد الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان السابق اخذ يسعى لهم بدراية وحسن تدبير حتى حصلوا على خلعة الولاية من جانب الجزار والي ايالة عكا وكان مدبرهم جرجس باز هو الآمر الناهي فعلاً وفيه جرأة واقدام مع سجايا كريمة · ثم لمَّا خلصت الولاية التامة المطلقة للامير بشير صحَّت عزيمته على الانتقام من اعدائه ونظرائه وفي المقدَّمة جرجس باز واخوهُ عبد الاحد فاضمر لهما السوء وتربَّص بهما غرَّة الاغتيال وشرَّ المنقلب حتى اذا كان ثامن ربيع الاوَّل سنة ١٢٢٢ اقدم هو واخوهُ الامير حسن معاً واعوانهما عن سبق مؤامرة بينهم على قتل جرجس واخيه عبد الاحد فدعا الامير بشير جرجس الى مجلسه بدير القمر للتذاكر في بعض المهام على عادته وفي نيته الفتك بهِ فحضر وجلس اليه فما لبث الامير ان خرج واغلق الباب عليه ومن فورهِ امر جلاوزته وشرَطه من بني زين الدين فدخلوا اليه مفاجئين وقتلوه · وفي اليوم نفسه سار الامير حسن من غزير بجماعته اليزبكيَّة الى جبيل متظاهرين بقصد السلام على الامراء اولاد الامير يوسف واذ اقبلوا على عبد الاحد رأى منهم ما رابه فتحفز للدفاع عن نفسه فتواثبوا عليه واحاطوا بهِ فلم يغنِ عنهُ دفاعه شيئاً وايقن بالهلاك فتردَّى من نافذة دارهِ العالية الى جهة اخرى فادركوه وهو يقزل من شدَّة الصدمة والحقوهُ باخيه جرجس قتلاً على غرةٍ في يوم واحد ونهبوا كل ما وجدوا عندهُ من المال والاثاث والرياش وسائر النفائس وكانت شيئاً كثيراً وقبض الامير حسن ساعتئذٍ على اولاد الامير يوسف ثلاثتهم ثم امر الامير بشير بنقلهم من جبيل الى درعون وبسمل عيونهم · فاطمأنَّ باله وطابت له الايام · واسف الناس اسفاً شديداً على جرجس باز لما كان عليهِ من جميل الخصال وكرم الطباع وحسن تلقي قاصديهِ بقضاء الحاجات

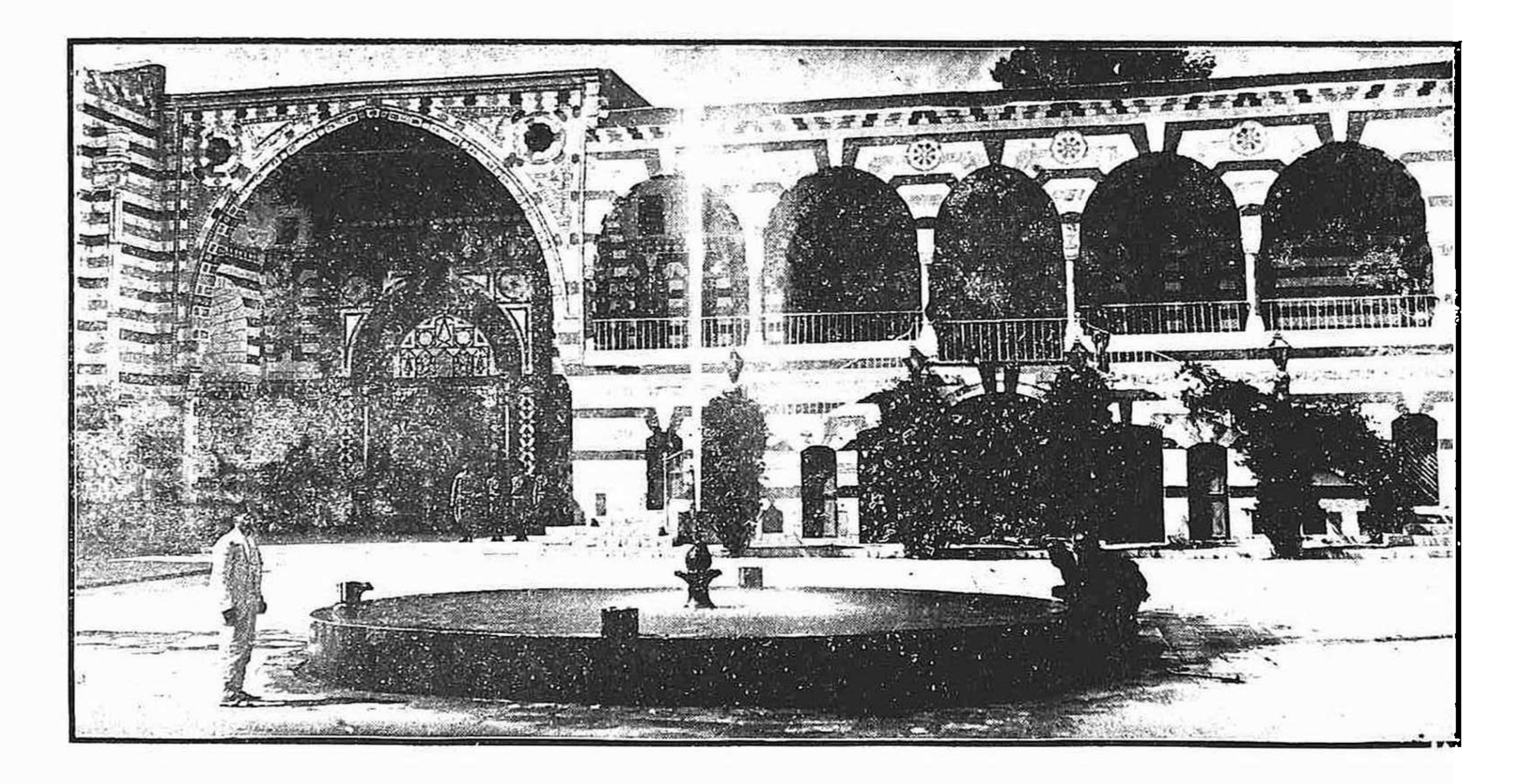
لا ينكر ان تلك النقم والبطشات الهائلة قد ألقت الرعب في قلوب الحزب المناوئ للامير بشير امراء ومشايخ وغيرهم فسكنت رياح القلاقل وانقطعت اسباب المشاغب والفتن وعمَّ الامن واستتبَّت الراحة مدَّة بضع سنوات بيد ان ذلك الهدوء والسكون كان كالرماد فوق الجمر لأنَّ الضغائن لا تنام وحزازات الصدور لا تزول حتى اذا حانت الفرصة المؤاتية انبعثت من مكامنها · ففي السنة ١٨١٨ خلف سليمان باشا في عكا عبدالله باشا فافرط في مقترحاتهِ على الامير حاكم الجبل فاستاء ولجَّ عليهِ في الطلب واشتدَّ فاحتمل حتى اذا نفد جلَده ولم يبقَ في قوس الصبر منزع ولم تمكنهُ المقاومة تخلى عن الولاية مضطرًّا ولجأ مدَّةً من الزمن الى حوران سنة ١٨٢٠ ثم لم يخلُ الجوّ مليًّا لاعدائهِ ومبغضيهِ يمرحون في لبنان مخرقين فاعجلهم عن ادراك امنيَّتهم باسترضاء درويش باشا والي الشام وعبدالله باشا والي عكا فعاد الى المنصب وأُيِّد جانبه اجتماع الاقوام والاعلام في السمقانية حيث ابدوا له الخضوع والاحترام · ثم ما عتم ان أُلجئ الى مناصرة عبدالله باشا

على درويش باشا في مسألة اختلافهما على حدود نابلس وكاد العسكر اللبناني يرجّح كفة ميزان المغالبة . وكان أن السلطان محمود الثاني قد اعلن تمرد عبدالله باشا واحال ولايته الى عهدة خصمه درويش باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر لبنان شاخصاً الى مصر سنة ١٨٢١ مستجيراً بمحمد علي باشا وهو يومئذٍ في عزّ عظيم . فتلقاهُ بمزيد الاحتفاء والاكرام لما كان يدور في خلدهِ من نزعات الطمع إلحاقاً للقطر السوري بالقطر المصري خصوصاً وانهُ قد سعى لدى الباب العالي وواصل السعي لجلب الفرمان السلطاني بالولاية لكل من الامير بشير وعبدالله باشا في لبنان وعكا فاعاد الامير الى الجبل بصحبة ضابط مصري حاملاً الفرمان العالي المشار اليهِ باقرار عبدالله باشا في منصبهِ في حين كان درويش باشا محاصراً اياه في عكا

وطفق الامير على اثر عودتهِ من مصر يدبرّ على هلاك عدوّه الالدّ الشيخ بشير جنبلاط لما كان يخشاه من كثرة مالهِ ورجالهِ فنجح في تدبيرهِ وسعيهِ لدى عبدالله باشا وتحميلهِ عليهِ حتى فتك بهِ خنقاً في سجن عكا فاستراح منهُ ثم انتقم من بعض الامراء ذوي قرابتهِ لاساءتهِ الظن بهم بان سمل عيونهم وقطع ألسنتهم وهكذا بات الامير بشير عند رجوعه الى منصبه للمرة الثانية حاكماً مطلقاً في جبل لبنان خُلُواً من مُناظر او منازع في امارته ومع شدة قساوتهِ وبغيهِ من بعض الوجوه سار باللبنانيين الى النجاح والراحة فضرب اطناب الامن والطمأنينة في البلاد واستأصل منها شافة اللصوصية والسلب على الطرق وترقت بهمتهِ اسباب الثروة واتسعت ابواب الرزق ودرّت اخلاف الكسب والانتفاع وتقدّمت بيروت على سائر الثغور والمراسي الشرقية . وكان الامير بشير كالامير فخر الدين المعني حريصاً على احراز الفخر والسؤود والمباراة بالاعمال الخطيرة والمباهاة بانشاء المباني الفخيمة الشاهقة فشيد السراي المعروفة بهِ في بيت الدين وأسبغ عليها حلة حسناء ضافية الذيول من محاسن التأنق في البنيان وزخارف النقوش على آنق طرز في ذلك العصر وجرّ اليها المياه العذبة من جهة عين زحلتا على مسافة ثلاث ساعات وهي باقية الى الآن ملكاً لمتصرفية لبنان بالشراء من ورثتهِ وبنى ايضاً عدة دور كبيرة في بيت الدين لاصطبلاتهِ ولسكنى اولادهِ الامراء . ومما يذكر لهُ فيشكر محافظته على الآداب والعادات الشرقية واهتمامه بنشر المعارف في انحاء لبنان

اما شأنهُ السياسي بالنظر الى الدولة العثمانية والايالة المصرية فلم يسلم من العراقيل والمشكلات الطارئة ولذلك قد التوى عليهِ قصده من ملازمة الوقوف في سياسته على الحياد لان عبد الله باشا ما لبث ان انقلب ضدهُ غير مراعٍ سابق نصراتهِ له بالعسكر اللبناني في المحاربة النابلسية وايقن بمعاكسته وسوء نيته وقلة اخلاصهِ من جهتهِ ليضع من قدرهِ ويخفض مقامهُ فلاذ بمحمد علي باشا قَبْل البلاد المصرية ومالأه عند اقدامه على فتح سورية وكانت الفرصة يومئذٍ موافقة لذلك لاشتغال الدولة العثمانية بمسألة التنظيمات الخيرية على عهد السلطان محمود الثاني . ولما كانت جوقة (وجاق) الانكشارية الجندية سنة ١٨٢٨ معاضدة للحزب الرجعي ابادها . وكانت الدولة متعبة على اثر فراغها من محاربة اليونان منعاً لاستقلالهم ومن معضلة سلخ بعض املاكها بمقتضى معاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩

وكان السبب في حملة محمد علي باشا على سورية ان عبد الله باشا استقرض منهُ مبلغ عشرة آلاف كيس



مدخل سراي بيت الدين

سنة ١٨٢٨ وابى عليهِ اداءها. وامتنع ايضاً من تسليم ستة آلاف فلاح مصري كانوا قد لجأوا الى ايالة عكا تفادياً من ادخالهم في سلك الجندية المصرية وتخلصاً من دفع المغارم الباهظة فأنذرهُ انهُ ان اصرَّ على امتناعه فهو مصمم ان يسير اليهِ بنفسهِ لاسترجاعهم . فلم يعبأ بانذارهِ فجعل يتأهب للحملة على سورية وندب لها ابنهُ ابرهيم باشا فانتدب

وفي حزيران سنة ١٨٣١ حشد الجيش وطفق يجهزه على هذا القصد حتى اذا كان تشرين الاول من السنة المذكورة اجتمع العسكر المجهز في العريش وجاء ابرهيم باشا قائده بحراً الى يافا بالجند المشاة والمدافع وغيرها من المعدات الحربية واقام بها ريثما تكامل وصول فرق الجيش اليهِ وبعد استيلائهِ على يافا زحف بعسكره في ٢٦ تشرين الثاني الى عكا فحاصرها واشتد في حصارها فافتتحها ثامن حزيران سنة ١٨٣٢ وكان في خلال ذلك قد استولى على الشواطئ والسواحل كلها حتى طرابلس وما زال حتى دخل دمشق في ١٤ الشهر المذكور وحينئذٍ انضم اليهِ الامير بشير بخمسة آلاف رجل من اللبنانيين وكان هذا الانضمام سبباً في تعجيل فتح سورية باطرافها وخضوعها لسلطة ابراهيم باشا. ولقد اصاب من قال ان وجود الامير بشير في معسكر ابراهيم باشا هو عبارة عن تسليم سورية لايدي المصريين. وما كفى ان الامير سار برجالهِ الى الجيش المصري امداداً له فان ابناءهُ الامراء سارعوا الى المدن الفينيقية في السواحل واكرهوا اهاليها على التسليم والخضوع للباشا المشار اليهِ ولم يقوَ الذين حاولوا الامتناع والمقاومة على درء البلاء وصدّ الاحتلال اذ كانت العساكر المصرية قد غشيت دير القمر وبيت الدين واقامت بهما مرابطة

وكان ابراهيم باشا يموّه على الناس ان مراده بدخول القطر السوري كفاية السلطان شرور ذويهِ من اعوانهِ ووزرائهِ واقسم للسوريين بان ليس من قصده ان ياخذ احداً منهم للجندية على الاطلاق . وكان ابوه محمد علي باشا يتظاهر في اثناء هذه الحملة مجاهراً بطاعتهِ لسلطة السلطان العليا معترفاً بان للدولة عليهِ أمرة مطاعة. وكان يطلب من الباب العالي تأييد ولايتهِ على ايالة عكا فلم يفز ببغيتهِ وكانت الجنود العثمانية التي في بعلبك تكاد تلتقي بالجنود المصرية هناك فهاجمها ابراهيم باشا ملتزماً استصحاب الامير بشير في مدة حملته هذه ارتياباً بهِ او استيثاقاً منهُ وهزم جانباً منها في حمص تاسع تموز تلك السنة وبدد القسم الاكبر في حماة . ثم بعد يومين استولى على حلب وادرك الاتراك وهزمهم في بيلان في ٢٩ من الشهر المذكور. وفي الغد سلّمت له اسكندرونة بلا مقاومة. واول آب دخل العسكر المصري انطاكية. وحدث اذ ذاك ان رشيد محمد باشا منتصر الروملي صار صدراً اعظم وواليًا على مصر وقائداً عاماً ووكل اليهِ الامر بقهر محمد علي المتمرد وبلغ خبره ابرهيم باشا فاخترق جبال طورس واجتاز مضايقها الوعرة المنيعة وقاتل رشيد باشا وانتصر عليهِ واسره وافتتح قونيه في ٢١ من تشرين الاول سنة ١٨٣٢ فامست بلاد الاناضول كلها في يدهِ . وكان ابرهيم باشا على اثر احتلاله الثغور السورية قد طلب ايالة عكا وبعد اخذ قونية زاد في تطلبه ولاية آطنه فدلّت مطالبهُ هذه على ما في نفسهِ من الطمع والاستبداد

على ان الدول تنبهت الى مقاصد محمد علي الآيلة الى تجزئة السلطنة وكانت انكلترة باذلة قصارى جهدها

لوقايتها وصون سلامتها احترازاً من دنو الروسية واقترابها الى البحر المتوسط ولا سيما انها كانت قد نالت بمعاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ بسطة شأن ونفوذ كلمة في الشرق فاوجبت انكلترة بالاتفاق مع فرنسا والنمسا على المتحاربين التوقف عن مداومة القتال وأُجري توقيع معاهدة كوتاهيه خامس ايار سنة ١٨٣٢ وبمقتضاها صارت سورية وولاية آطنه الى محمد علي وصار لبنان بالتبعية تحت سيطرة مصر

ثم بعد زمن قليل طرأت مشكلات اخرى فان السلطان محمود الثاني نقم على فرنسا وانكلترة والنمسا اضطرارهن اياه على التسليم بمطاليب تابعه المتمرد ومقترحاته واتفق مع الروسية فامضى معها معاهدة اونكيارسكه له سي (Unkiar Skélessy) التي تمَّ توقيعها ثامن تموز سنة ١٨٣٣ وفيها تعهدت الروسية ان تساعد السلطان بقوة السلاح على كل عدوٍ يتهدده وبمقابلة ذلك نالت الحرية لاسطولها ان يمرّ في مضايق الدردنيل المحظور ولوجها واجتيازها على سائر اساطيل الدول · وبلغ ذلك انكلترة وفرنسا فاسرعتا محتجّتين على هذه المعاهدة القاضية بجعل السلطنة العثمانية قيد غايات الروسية وعزمتا كلتاهما على ابطالها ومحوها بدء ما يكون ومن ثم غدت شؤون سورية عرضة لتلاعب ايادي دول اوربا وفي هذا الشأن تفصيلات ما جرى من المخابرات بين بطرسبورج وباريس ولندرة وفينا وبرلين بعد مدة قد سردها بصراحة تامة العلامة نورو دانجين

ان محمد علي باشا قد تسنى له بعد معاهدة كوتاهيه ان يكون مطمئناً في ادارة شؤون القطر السوري وبما ان الكلام منحصر موضوعه في تاريخ لبنان لم يكن لنا ان نتجاوزه الى ما سواه باكثر من كلمات قلائل تتعلق بالحكومة المصرية على وجه الاجمال فنقول ان احسن اثر يذكر لذلك العهد امر الضبط والربط اذ تمكن محمد علي في زمن قصير ان يعيد الى سورية ما يصلح ان يكون مداراً لكل تقدم وترقٍ · قال احد مؤرخي هذا القطر ان حكومة محمد علي باشا كان لها في ذلك الوقت من القوة والوحدة والانتظام ما لا يستطاع بلوغ افضل منهُ في المشرق · وللقائل ان يقول لعله كان في الامكان رفع سورية الى ما هو اعلى مما وصلت اليه ايامئذٍ لولا تعرض اوربا لمحمد علي في امر الاحتلال والاستيلاء ولولا استبداده باثقال كواهل الاهالي وتجشيمهم ما لا طاقة لهم به · بيد أن الذي حداه الى ذلك نضوب موارد مصر المالية على اثر حروبه فلم يرَ بدًّا من الاعتياض عما ذهب من الذهب فوجه وصرف همتهُ الى سورية علماً بان كثرة المال والرجال هي اعظم الوسائل لازدياد السؤدد والمجد · جاء محمد علي باشا على سورية وافتتحها كمخلّص وها انهُ قد انقلب الى ظالم

١٧ لبنان ايام حكومة مصر ١٨٣٣ — ١٨٣٩

لمّا دخلت حكومة جبل لبنان حصل الجبل في بدء الامر على حال حسنة وانتهز الامير بشير فرصة اعزاز شأنهِ في مصر بالنظر الى مساعدته بالسرعة والجدّ على انتصار ابراهيم باشا ونشر سلطته في البلاد فتمكن هو ايضاً من تقرير سلطته على الجبل وإضعاف قوة ذوي الاقطاعات فانشأ ينزع العهد من اصحابها بالتدريج ويوسدها الى غيرهم من اقربائه الامراء ثم نطرق الى تجريدهم من السلطة القضائية وتقليدها على الاطلاق

ثلاثة قضاة الاول هو شيخ درزي ومركزهُ بيت الدين ودير القمر . والثاني اسقف ماروني ومركزهُ غزير . والثالث شماس ماروني ومركزهُ زغرتا . فتقرَّب بهذه الوسيلة وامثالها من الاكليروس وهكذا اكتسب إخلاصهم ومساعدتهم القوية . ثم امر حتماً باستعمال القوانين المقرَّرة المكتوبة وقيَّد المحاكم بنصوص الشريعة الاسلامية مع مراعاة عادات البلاد . وكان دأبهُ توسيع خزينته وتقويتها ولذلك طفق يجدّ في جباية الضرائب المالية اكثر من مرَّة في كل سنة . وكان محمد علي قد فرض على الجبل مبلغ ٦٧٨٢ كيساً فكان الامير يتقاضى الاهلين ضعفيْ هذا المقدار ويدّخر في خزائنه الخاصة المال الزائد على المفروض وكانت طريقة الجباية للاموال سيئة قاسية ثقيلة على الرعية فالغني تعفيه سعة يدهِ ونقيه والفقير يشقيه ضيق يدهِ ويُعييهِ تكليفهُ اداء ما ينقص من مقادير تلك الضرائب الطائلة بالعنف والجور

فبدأ الناس يشكون من كثرة الضرائب والتكاليف المالية تجهيزاً للجيش المحتل وتحصيناً للحدود والثغور اذ كانت جبايتها تجري جزافاً من غير عدل ولا انصاف لان الحاضر كان يُسام اداء ما على الغائب حتى اقدمت الحكومة المتسلطة على اضطرار كثيرين من العملة واكراههم ان يباشروا الاشغال التي يساقون اليها بالنزر اليسير من الاجرة

وما كانت النفوس لتصبر على مثل هذا العسف والجور الفاحش لان الصدور تفيض عند امتلائها فحدث سنة ١٨٣٤ ان الناس ثاروا في جهات نابلس وفلسطين وتداعوا من كل صوب فاحاطوا بابراهيم باشا وكانت الثورة هائلة مخيفة الى حد ان اضطرت العزيز محمد علي ان يأتي سورية بنفسه فقدم يافا واقام بها وكتب الى الامير بشير يأمرهُ بجمع الرجال من اللاذقية حتى الشام ومن محلات الشيعيَّة وبالشخوص اليه فامتثل . وما كانت ثائرة النابلسيين لتهدأ وتسكن الأعقب سقوط حصونهم ومعاقلهم واذ ذاك سار الامير خليل ابن الامير بشير الى جهة طرابلس لاخماد بعض الفتن وانضمَّ الى سليم بك اطفاء لنار شغب النصيريَّة ومكابرتهم الى ان أُحرق كثير من قراهم فاستسلموا

وفي تشرين الاول سنة ١٨٣٤ حدث هياج في حلب ثم في بيروت وانطاكية وغيرها . وكان ابراهيم باشا قد عمد الى اتخاذ عدَّة تدابير شديدة لمنع تجدد امثال هذه الثورات فزادت في الطين بلَّة وفي الطنبور نغمة واوغرت الصدور وذلك انهُ امر الامير بشير ان يجمع السلاح من جهات صفد وعكا وصور وبلاد البشارة . ثم اوعز اليه ان يفعل الفعل نفسه في طائفة الدروز لامتناعهم عن تهيئة الف وستمائة شاب للجندية المصرية . وحذراً من الهياج جاء ابراهيم باشا بعشرة آلاف جندي مدرَّب الى دير القمر وبيت الدين فجمع اسلحة الدروز بسهولة ثم استدعى في الليل وجوه المسيحيين في الدير وامرهم بجمع السلاح من الديريين ولم يمهلهم في ذلك اكثر من ثلاث ساعات ثم عمَّ هذا الامر فشمل سائر المسيحيين . فاثر هذا العمل في الامير بشير اشدَّ التأثير على غير طائل

وبعد جمع الاسلحة من سورية باسرها شرع ابراهيم باشا غير هيَّاب في امر التجنيد فطلب من الدروز الفاً ومائتي شاب وكان قد طلب من النصيرية اربعة آلاف ولم يستثنِ من الجندية سوى مسيحيي الجبل فأُجريت

هذه الاوامر ينتهي العنف . ومن اجل الشدَّة في امر التجنيد ضعفت اسباب الزراعة وتعطلت اعمالها لقلة الحراثين ولم يكن للدروز طاقة ان يصبروا طويلاً على هذه الحال . واستأنف ابراهيم باشا مضايقتهم سنة ١٨٣٨ فرفعوا راية العصيان في وادي التيم وحوران بزعامة شبلي العريان وتحصنوا في معاقل اللجا فلم تقوَ عليهم العساكر المصرية والالبانية فاستنجد عليهم ابراهيم باشا حينئذٍ بنصارى جبل لبنان واعطاهم اربعة آلاف بندقيَّة استبقوها لانفسهم فساعدوا المصريين على الدروز مكرَهين ونشأ عن هذه المساعدة ضغائن واحقاد كامنة في النفوس كمون النار في الحجر الصلد لكنها ستنقدح ذات يوم ويتطاير شرر لظاها في اكباد البلاد . وقد سلَّم ثوَّار الدروز وقتئذٍ الى ابراهيم باشا وباؤوا بالخضوع والطاعة فعفا عنهم

ثم عقب هياج النابلسيين وثورة الدروز ظهور الوهن والضعف في جانب الحكومة المصرية فعلمت انكلترة ان الوقت قد حان لقهر العزيز محمد علي فبدأت بمخابرة الباب العالي في ١٦ آب سنة ١٨٣٨ وامضت معه معاهدة مضمونها الغاء كل الامتيازات والاحتكارات في جميع الممالك العثمانية حتى في مصر وسورية لانها مرجع قوة العزيز المالية ولم يكن مراد انكلترة وقتئذٍ منحصراً في الحرص على وقاية تجارتها الشرقية وانما جلّ مقصودها هدم قوام قوة الحكومة المصرية المتجددة وكانت منذ حين قد استولت على عدن مفتاح البحر الاحمر وفي نيتها يومئذٍ ان تحتفز سرًّا على احتلال الديار المصرية عند سنوح الفرصة المناسبة فجاءت المعاهدة المذكورة توطئةً لتدخلها ضد محمد علي

اما السلطان محمود فقد دار في خلده بعد حدوث الثورات السابق ذكرها ان قد حان الزمن الملائم لاخذ الثار المُنيم من محمد علي فساق ثمانين الف جندي بقيادة حافظ باشا . غير ان عسكر ابراهيم باشا قدّر له النصر عليها فهزمها وشتتها في نصيبين في ٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩ ولما بلغ هذا الانكسار الى الاستانة كان السلطان محمود قد توفي اول تموز من السنة المذكورة وافضت الخلافة والسلطنة الى ابنه السلطان عبد المجيد والحالة سيئة مكدرة كما مرّ . ومما زاد الخطب جسامة ان امير البحر احمد فوزي باشا قد خان الدولة بتسليمه الاسطول العثماني الى عزيز مصر فاصبح طريق القسطنطينية مفتوحاً امام الظافر وبات السلطان لا يرى بدًّا من التسليم بجميع المطاليب . فعرضت انكلترا في الحال على فرنسا والنمسا وروسيا الاشتراك معها في ايقاف محمد علي باشا وازالة كل سبب لتدخل الروسية بموجب معاهدة اونكيار سكله سي (Unkiar Skelessy)

وهكذا التزمت اوربا تسوية مسألة الخلاف العثماني المصري بناء على مبدإ سلامة السلطنة السنية العثمانية الذي صار محوراً للسياسة الدولية وصممت الدول الثلاث انكلترا والنمسا وروسيَّة مع الدولة العثمانية على محاربة محمد علي باشا في سورية وتمَّ توقيع صك الاتفاق رباعيًّا بمعزل عن فرنسا مربوطاً بمعاهدة لندرة المؤرخة في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ ومن مندرجاتها ضمانة انفاذ الانذار السلطاني لمحمد علي باشا الحاوي الامر بارجاع الاسطول العثماني واخلاء الاقاليم المغصوبة في مهلة عشرة ايام وانه بهذا الشرط يترك له ان يتولى مدة حياته ايالة عكا ويعطى حق توارث الولاية على مصر . وان يذعن تسليماً بهذه المطاليب على الوجه المشروط في الاجل المضروب له تؤخذ منهُ ايالة عكا عنوةً ويخرَج بالقوة من مصر نفسها بعد عشرين يوماً

وفي ١٤ آب سنة ١٨٤٠ ارسلت الدول المتحالفة اسطولاً بقيادة امير البحر روبرت ستوبفورد (Robert Stopford) والسير شارل سميث (Charles Smith) فجاء وارسل الكومودور السير نابيير (Commodore Napier) الى بيروت فضربها في ١١ ايلول ١٨٤٠ وأُخذت جبيل والبترون وكان ابرهيم باشا متحصنًا لاول وهلة في بحرصاف قرب بكفيا غير انهُ اضطر بعدئذٍ الى التغلغل في تضاعيف الجبل فراراً من وجه السير نابير وكان عثمان باشا في كسروان فولّى مدبراً منهزماً في وطإ الجوز بالقرب من ميروبا لتغلب مطارديه الكسروانيين عليهِ برئاسة الامير بشير قاسم ملحم شهاب والشيخ افرنسيس ابي نادر الخازن في ٤ تشرين الاول سنة ١٨٤٠ ومكافأةً للامير بشير قاسم ملحم شهاب المشار اليهِ التمس له السير أُود المعتمد الانكليزي الولاية على الجبل اما الامير بشير الكبير الذي بات منذ مدة قلقًا مضطربًا فلما بلغهُ نبأ انكسار الجيوش المصرية وانهزامها واشتداد ظلام الفتنة وانضمام الامراء والمشايخ والشعب اليها نفوراً من الضرائب التي فرضتها الحكومة المصرية عزم على بذل مالم يطق عنهُ صبراً لهول الخطب الطارئ وكان قد اعلن خلعهُ امير البحر ستيوفورد فاسرع بمزايلة بيت الدين كرسي ولايته مستصحبًا اولاده الثلاثة وزوجته الى مدينة صيداء في ١٠ تشرين الاول وكانت صارت في ايدي رجال الدول المتحالفة وسلم نفسهُ الى خليل باشا مندوب الدولة واكلاً مصيرهُ ونصيبه الى كرم اخلاق الملاء المنتصر فاحسن وفادتهُ فلم يرضَ نابير بهذا الاستسلام وطلب ارسال الامير الى بيروت وما لبث ان نفي وأُبعد في اول تشرين الثاني الى مالطة ثم بعد احد عشر شهراً انتقل منها الى الاستانة فأُبعد حينًا الى زعفران بول ثم الى بروسه وأُعيد اخيراً الى الاستانة وتوفي في قاضي كوي في ٢٩ كانون الاول سنة ١٨٥٠ ودفن في كنيسة الارمن في محلة بيرا

ثم ورد من محمد علي باشا الى ولده ابرهيم باشا امر باخلاء سورية ومن غريب الاتفاق انهُ كان اوانئذٍ في المرافئ المصرية السير شارل نابير باسطوله فجرت بينهُ وبين العزيز محمد علي مفاوضة لا صفة رسمية لها وبدون تفويض الى السير المشار اليهِ ادت الى عقد اتفاق معهُ بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٨٤٠ ودعي باسمهِ ومآله ان محمد علي يتعهد باخلاء سورية وبارجاع الاسطول العثماني على شرط ان تكون ولاية على مصر وشرقي السودان مضمونة له متوارثة في عقبه. وبعد التردد في كيفية هذا الاتفاق قبلتهُ الدول وكان قواماً لعقد معاهدة بلندرة عاشر تموز ١٨٤١ مؤذنة بالغاء معاهدة ١٥ تموز السنة السابقة بعد ان كانت المسألة المصرية قد أُقفل بابها وانقضى اجلها

وبعد مضي ثلاثة ايام على تمهيد جميع العقبات وتذليل المصاعب عادت فرنسا الى الوفاق الدولي وامضت بتوقيعها مع سائر الدول المتواثقة معاهدة المضايق بتاريخ ١٧ تموز سنة ١٨٤١ و٢٣ جمادي الاول سنة ١٢٥٧ المتضمنة ان الدول تعترف للدولة العثمانية بحق منع البوارج وسائر المراكب والسفن الحربية من دخول البصفور وهكذا أُلغيت معاهدة «خنكار اسكله سى» التي كانت اجازت للاسطول الرومي وحده دون سواه حرية المرور في البصفور والدردنيل وتمت سلامة استقلال السلطنة العثمانية وباجراء هذه الامور كلها توطدت سلطة الباب العالي واعتز جانبه. وكان من قبل فشل محمد علي باشا قد لاح على محيًا السلطنة السنية نور رقيٍّ

وبهاء بتجدد عهد سعيد منبثق من اساطير صفحات الخط الشريف السلطاني المشهور بفرمان كلخانه العالي الشان الذي كان كبلجة فجر الدستور لتركيا الحالية الصادر بتاريخ ٢٦ شعبان سنة ١٢٣٥ و٣ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ وقد وسم بسمة التنظيمات الخيرية · وكان مبعث هذه النشأة الاصلاحية ألمعية الوزير الشهير رشيد باشا وبعض رجال الدولة الذين مهدوا لحضرة السلطان عبد المجيد سبيل اجراء هاتيك الاصلاحات الحسنة واهمها اصلاح احوال الرعية والتبعة العثمانية على اختلاف الملل والطوائف مع صيانة ارواحهم واعراضهم واموالهم ووضع طريقة منظمة لتقرير المرتبات الاميرية وجبايتها مبنية على قاعدة المساواة · واتخاذ نسق جديد للتجنيد والخدمة العسكرية · فهذا ولا شك عنوان تقدم عظيم لو لم يثبطهُ ويصد عن سبيله وسيره سعي الرجعية في تركيا

١٨ لبنان بعد حكم المصريين الى سنة ١٨٦١

زالت الحكومة المصرية السنة ١٨٤٠ وتقلص ظلها من سورية بقوى العثمانيين ومحالفة الدول الاوربية ومساعدة اللبنانيين وصدق تابعيتهم للدولة العلية ونصب الامير بشير قاسم ملحم شهاب الثالث حاكماً على الجبل ثالث ايلول من السنة المذكورة الى ما مرَّ آنفاً بموجب فرمان تصديق وتثبيت عالي الشأن ثم عقب ذلك ما لم تحمد أُولاه ولا عقباه اذ ثارت ثائرة الدروز وعصفت نكباء القلاقل وتناوحت رياح الاضطرابات لان الامير الحاكم لم يتلطف في مقابلة زعمائهم عند ايابهم من المنفى كما انهُ ايضاً لم يحسن تمكين سلطته في الجبل ويحمل القوم على مهابتهِ واحترامهِ ولم يتحرَّ معرفة طرق جباية الاموال فحدثت الصدعات في الرأي والتفرق في الكلمة وتضاربت الاغراض والاهواء ودبَّت عقارب العيث والفساد وهاجت الاحقاد والبغضاء بين الدروز والنصارى الى حدّ ان ادّت الى المنازعات والمقارعات ولما اشتدَّت الفتنة بين الفئتين المتعاديتين ارسل الباب العالي امراً الى محمد سليم باشا والي صيداء بان يفاوض زعماءها ويجري مطاليبهم المشروعة فلم يتأتَّ لهُ القيام بهذه المهمة فانفذ الباب العالي من لدنه السر عسكر مصطفى باشا كمعتمد غير عاديّ وعززهُ بقوة كافية فدخل الجبل وقبض ازمَّة الحلّ والعقد والامر والنهي وبعد ثلاثة اشهر عزل الامير بشير ملحم وبعثهُ الى الاستانة وبهِ ختمت ولاية الامراء الشهابيين على جبل لبنان

ثم عيُن مصطفى عمر باشا النمساوي خلفاً للامير المعزول وهو الذي ابلى بلاءً حسناً في حرب الروسية وفي صدمة ابراهيم باشا الاخيرة بسورية سنة ١٨٤١ الى ١٨٤٢ فلم تكن سياسته مستحسنة في جانب الدروز واصحاب الاقطاعات واحتجَّ ممثلو الدول لدى السلطان عبد المجيد على هذا التعيين وطلبوا اعادة الولاية الى آل شهاب واقرار الامن في ارجاء جبل لبنان فاجابهم ناظر الخارجية صارم افندي ان الموارنة يطلبون ارجاع الشهابيين والدروز لا يرتضونهم ويأبون تجديد ولايتهم بما يصل اليهِ وسعهم فاعادة الامراء من آل شهاب الى المنصب تكون باعثاً على تجدد الهياج · وطالت المخابرات والمراجعات في هذا الصدد حتى افضت الى استدعاء عمر باشا من جبل لبنان

ان الباب العالي لم يكن يرى من الصواب ابقاء حكومة لبنان امارة واحدة ممتازة يفوّض زمامها الى امير شهابي خشية من حدوث ما سبق ذكره وحداه حبهُ لخير الجبل واطمئنانهِ ان يولي عليهِ حاكمين اثنين غريبين عنهُ احدها على الموارنة والآخر على الدروز يكون مرجعهما متسلم بيروت فتوسّط في المسألة المسيو مترنيخ مستشار امبراطورية النمسا والمجر واقترح تعيين قائمقام مسيحي على النصارى وقائمقام آخر درزي على الدروز فقبلت الدولة اقتراحه سابع كانون الاول سنة ١٨٤٢ وابلغتهُ الى الدول فوافقت عليه إلاّ سفير فرنسا فانهُ احتفظ بحق ارجاع الولاية الى الامراء الشهابيين فعيّن الباب العالي اسعد باشا واليًا على ايالة صيداء واناط بعهدته المشارفة والسيطرة على شؤُون لبنان وجعلهُ قائمقاميتين مسيحية ودرزية فعين للاولى الامير حيدر اسماعيل ابي اللمع وهي تمتد من طرابلس الى طريق الشام وفي جملتها المتن ثم أُلحق بها بلاد جبيل في ١٤ اذار سنة ١٨٤٣ فاتخذ بكفيا مركزاً للقائمقامية . وعين الامير احمد ارسلان للقائمقامية الثانية وهي تمتد من طريق الشام في انحدار ظهر البيدر الى صيداء فجعل مركزهُ في بيت الدين . وأُحيلت ادارة دير القمر الى عهدة متسلم تركي

ثم جاءت حوادث سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٤ بما ابان للملأ ان هذا الترتيب لم يجدِ نفعًا بل اثار الخواطر وهاج الضغائن بين النصارى والدروز خصوصاً في القائمقامية الدرزية حتى ان بعض اهالي القائمقاميتين رفعوا عرائض التمسوا بها تعيين قائمقام تركي عليهم وقدّم اسعد باشا عدة تقارير انتقد بها قسمة الولاية اللبنانية الى قائمقاميتين واطال الكلام في الخلاف الواقع بين الدروز انفسهم وانقسامهم الى حزبين جنبلاطي ويزبكي وكلاهما لا يرتضيان الامير احمد ارسلان قائمقامًا عليهما ما لم يتعهد لذوي الاقطاعات من الجانبين بمشاطرتهم الامر والنهي وكتب الى الباب العالي انه يتعذر عليه انفاذ سلطته في الجبل بدون استعمال انواع التشديد بالقوة . والتمس مسيحيو دير القمر رفع سلطة الدروز عنهم وطلب الدروز اعادة الامرة في دير القمر اليهم لاندماجها في اقطاعتهم من قبل تخفيف سوء المغبّة . ونهض حمود النكدي نعّاراً في الفتنة وطفق هو ورجاله يعتدون على النصارى سلبًا وقتلاً في القرى المختلطة فتفاقم الخطب وساءت الحال وعمّت الفوضى في مائة وخمسين قرية فاكثر . فتأثر الباب العالي من جراء ذلك وارسل امير البحر خليل باشا صهر السلطان معتمداً ثالثًا الى سورية وكان قد تقدمهُ في هذه المأموريّة سليم بك ولي باشا زاده ابن علي باشا تابلين لمراقبة اعمال مصطفى باشا وقتئذٍ اما خليل باشا فأُنيطت بهِ تسوية مسألة التعويضات المقرّر اعطاؤُها الموارنة وازالة العراقيل الحائلة دون اجراء ترتيبات سابع كانون الاول سنة ١٨٤٢ واوعز الى اسعد باشا والي صيداء ان يبلّغ امر صرف النظر عن ارجاع الولاية الى الاسرة الشهابية . وفي ٤ تموز سنة ١٨٤٤ و ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٦٠ كتب في هذا الشان من بيروت الى امراء الجهة الجنوبية ومشايخها واعيانها ووكلاء قراها واهاليها وهي تبتدئ من طرف قضاء يافا الى آخر قضا المتن وكتب ايضًا في الوقت نفسه والمعنى عينه الى اهالي الجهة الشمالية من فم الميزاب فوق بشراي حتى جونيه وابلغهم كافةً بمنشور به المذكورين قدوم خليل باشا باسطوله اصلاحًا لاحوال لبنان وترتيبًا لشؤُونه . وفي ١٥ ايلول تلك السنة جمع اسعد باشا زعماء النصارى

والدروز واعلمهم ان سنفوّض ادارة دير القمر الى وكيلين احدهما مسيحي والآخر درزي يستقل بتعيينهما قائمقاما الطائفتين وهما الاميران المشار اليهما الى غير ذلك من التنقيحات في مناظم الترتيبات المراد وضعها واجراؤها . ثم أُبدل من اسعد باشا في ايالة صيداء محمد وجيهي باشا وأُزيلت سيطرة واليها عن اصحاب الاقطاعات ووكلاء القرى المختلطة اهلوها واحيلوا في مراجعاتهم الى القائمقامين كل فريق منهم يكون مرجعهُ الامير قائمقام جهته

واذ كانت عقارب الدسائس المحلية ما فتئت تدبّ ساعية لاثارة كوامن الشحناء بين الدروز والنصارى الموارنة كان أنهُ انقدحت نبَخات نارها اواخر نيسان سنة ١٨٤٥ ثم ما لبثت ان اشتدَّ اضطرامها واستطار شررها فسارع بجري باشا متسلم بيروت لتلافي الخطب قبل استفحاله بان جمع أُولي الاقطاعات والكلمة النافذة من الدروز والنصارى الموارنة اصلاحاً لذات البين واستئصالاً لبواقي الاحتقاد فتمَّ لهُ ما اراد وكتب زعماء الطائفتين ميثاق الاتفاق على تناسي الضغائن والدفائن مما سبق وقوعه تفادياً من اراقة الدماء وارّخوه ثاني حزيران السنة المذكورة و ٣٦ جمادى الاولى سنة ١٢٢١ ولكن كل ذلك لم يكن كافياً لاطفاء نار البغضاء ومحو آثارها فاقتضت شدَّة الحال شخوص شكيب افندي ناظر الخارجية الجديد الى سورية اقراراً للامن العام والراحة التامة في البلاد وازالةً لاسباب الفتن والهياج وكان قدومه بيروت ١٤ ايلول من السنة عينها يصحبهُ الايان من الجند المشاة فبدأ باخذ السلاح وجمعه من الاهلين مُنزلاً فيهم عوامل الشدة والقسوة يعاونه المشير نامق باشا قائد فيلق البلاد العربية ثم عزل القائمقامين الدرزي والمسيحي وارسل حمود نكد الى الاستانة حيث لاقى جزاء افعاله . ثم اعاد الامير حيدر اللمعي والامير احمد الارسلاني كلاً الى قائمقاميته ونقح نظام ٧ كانون الاول سنة ١٨٤٢ واصلحه بوضع ترتيبات لديواني القائمقاميتين تعرف حتى الآن بترتيبات شكيب افندي واستمر العمل بموجبها الى سنة ١٨٦٠

وسنة ١٨٥٤ توفي الامير حيدر اللمعي وخلفهُ الامير بشير احمد ابي اللمع على قائمقامية النصارى وعين لقائمقامية الدروز الامير امين ارسلان عوضاً عن اخيه الامير احمد . اما الامير بشير احمد فما كان تعيينه ليصدّ مزاحميه عن مقاومته فانَّ عدداً كبيراً من المشايخ ولا سيما الخازنيين قد نبذوا طاعته وآخرين عديدين من عائلته وغيرها نهضوا ضدَّهُ فاضطر ان يحتمي في بيروت وما لبث ان سافر الى الاستانة ثم عاد منها الى منصبه بلبنان مبرَّأ الساحة . فاخذ يعمل على الانتقام من مناوئيه باغراء الاهالي ضدهم وجدَّ لاثارة الرعية عليهم لاسقاطهم من سلطتهم والحطّ من منزلتهم فانبعثت ثورة الخواطر عليهم بعد ان ركدت ريحها نحو اثنتي عشرة سنة فكان ذلك مدعاة للانقلاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الشعب اللبناني

اما مظهر الهياج على المشايخ فكان في كسروان حيث تألب الاهلون واجتمعت الغوغاء « وما اجتمعت الا اضرَّت » حاملين السلاح برئاسة زعيمهم طانيوس شاهين وتهددوا المشايخ بسوء العاقبة وكان بدء انتشار الاساءات في زوق مكايل لكونها مركز الائتمار وكثر الهرج والشغب في الشعب فحدث ما ساء ولم يخلُ عن اراقة الدماء ثم اندفعت العامَّة المتجمهرة على اموال المشايخ واملاكهم نهباً وغصباً ففرَّ الخازنيون لاجئين الى

مدينة بيروت وانخنس الجنبشيون في بيوتهم ثم امتدَّت الثورة من كسروان الى المتن والمحلات المختلفة ولربما كان للاكليروس في اول الامر ضلع مع الاهالي لازالة عنجهيَّة اصحاب الاثرة والعهدة وسيطرتهم ثم تحولت الكلمة النافذة الى زعماء الاقوام من الشعب عموماً وكان في المقدمة يوسف بك كرم الاهدني الذي امتاز على سواه بالوجاهة والجود والاقدام فكانت هذه الحوادث وامثالها سابقاً ضربةً قاضية على الحكم الاقطاعي في الجبل وبها انقضى اجلهُ اوكاد ينقضي سنة ١٨٥٩ ومن قبلها نقوضت سلطة الامراء الحرافشة سنة ١٨٥٠ ·
اما النصيرية الذين كان لهم شبه سيطرة واستطالة حتى الزمن المحدَّث عنهُ فقد اذلَّتهم الدولة بقهر زعيمهم اسمعيل بك سنة ١٨٥٨ وجرَّدتهم من كل رعاية واختصاص

ثم طرأت حوادث سنة ١٨٦٠ المشئومة فاجهزت على الرمق الباقي من حياة لبنان القديمة « والدائم الله »
وقصارى القول ان دسائس الفتنة الرجعية في تركيا التي كانت سبباً في وقوع القلاقل واسالت الدماء في حلب سنة ١٨٥٠ قد سرت عدواها الى لبنان ودمشق سنة ١٨٦٠ فاوقدت نار الهياج وازداد لهيبها من اجل المنح المعطاة حديثاً للمسيحيين العثمانيين في الخط الشريف الهمايوني سنة ١٨٥٦ وكان ان الدروز قد استاءوا كثيراً من حصول الموارنة وباقي الطوائف المسيحية على بعض امتيازات نالوها على اثر حوادث ١٨٤٥ فهاجت ضغائنهم واقدموا على هاتيك الافعال الفظيعة · ففي شهر ايار سنة ١٨٦٠ تواثبوا على النصارى بجوار بيروت فاثخنوا فيهم وامتدت اعتداءاتهم في الاشهر التالية الى غربي لبنان ومرجعيون ووادي التيم والبقاع وزحلة ودير القمر ودمشق حيث وقعت خطوب جسيمة وافعال مستفظعة · فاستاء الباب العالي كل الاستياء ونهض بهِ ناهض الشفقة والحنان واهتم للامر جدًّا وفي الحال ارسل فؤاد باشا معتمداً غير عادي الى سورية حقناً للدماء واخماداً للفتنة واجراء للتحقيقات ومجازاة للجانين وسائر المجرمين وتعويض المنكوبين · ولما اتصلت انباء هذه الحوادث باوربا تأثرت وبالاتفاق مع الباب العالي تقرر في الثالث من شهر آب سنة ١٨٦٠ ارسال قوة لاعادة السكينة والامن وتشكيل لجنة للنظر في اصلاح لبنان وتنظيم ادارة شؤونه وقد ابدى فؤاد باشا غيرة ومقدرة عظيمتين · وكانت مباحثتهُ اللجنة المختلطة ومناقشاتها الطويلة جديَّة حتى أدَّت الى وضع نظام خاص لجبل لبنان بتاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ وجرى تعديله في ٦ ايلول سنة ١٨٦٤

١٩ لبنان منذ نظامه الجديد سنة ١٨٦١ — ١٩١٤

في اثر الحوادث المشؤومة التي جرت سنة ١٨٦٠ وعود الامان الى اهله بانفاذ السلطان عبد المجيد مندوبهُ فؤاد باشا وبمجيء البعثة الفرنسويَّة الى الشام انعقد في بيروت مؤتمر دولي حضرهُ المفوَّض السلطاني مع خمسة من وكلاء الدول ومفوَّضيهم اعني دولة انكلترَّا وفرنسا وروسيَّا والنمسا وبروسيا فتداولوا في عدَّة جلسات عمَّا ينبغي اجراؤهُ لاستدراك احوال لبنان ومنع تجديد الفتن في ارجائهِ · فكانت نتيجة تلك المفاوضات تقارير رُفعت الى الاستانة العليَّة كانت اساساً لنظام لبنان الجديد الذي قرَّرهُ السلطان عبد المجيد ورضيت بهِ سائر الدول في تاريخ ٩ حزيران سنة ١٨٦١ (غرَّة ذي الحجَّة ١٢٧٧)

والنظام المذكور في ١٨ مادة وخصّ تقريراته ان تكون ادارة الجبل بواسطة متصرف مسيحي من طرف الدولة العليّة ورضى الدول يقيم مدّةً معلومة في خمس سنين او عشر ويكون مع المتصرف مجلس ادارة يتألف من اثني عشر عضواً من طوائف الجبل المختلفة يترتب عليهم توزيع التكاليف ونظارة الواردات والصادرات اللبنانية · ثم يعين النظام تقاسيم الجبل الى سبعة اقضية وعلى نواحي ومحاكم ويعلن مساواة الجميع والغاء الامتيازات السابقة وولاية ذوي الاقطاع من امراء وشيوخ · وبعد تحوير هذا النظام سنة ١٢٨١ (٦ ايلول ١٨٦٤) تقرّر نهائياً باشتراك دولة ايطاليا مع الدول السابق ذكرها وبموجبه تمتّع اللبنانيون مدّة خمسين سنة بالراحة والهناء في ظلّ العرش العثماني

٢٠ نظر عام في احوال لبنان مدة الدولة العثمانية

دخل لبنان في عهد الدولة العثمانية في طور جديد · فانهُ في تلك المدة حصل لهُ تاريخ مستقل بعد ان صار فيه الحكم لأسر من الامراء ولاهم ملوك على الجبل على شروط معلومة من دفع ضرائب وخدمة عسكرية كالتنوخيين والمعنيين والشهابيين والعسافيين ربما قسموا بينهم الحكم فولّوا بعضهم على المقاطعات الجنوبية وبعضهم على الجهات الشمالية ومنهم من حكم على اواسط الجبل فحصل بتعدُّد هؤلاء الامراء منازعات وحروب انتشبت بينهم وقد ساق طمع بعضهم بالاستقلال الى رفع لواء العصيان فوجب على السلاطين ان يجهزوا جيوشاً لمحاربتهم فكانت زحفاتهم آفةً على الجبل واهله

وكانت النصارى في تلك المدة تحت حكم هؤلاء الامراء يدفعون لهم الاموال الاميرية ويؤدون الضرائب المفروضة ويخدمونهم في حروبهم ويخضعون لهم خضوع العبد لسيده فعرف لهم اولئك الامراء حسن خدمتهم واختاروا لهم بينهم وكلاء واصحاب دواوين وكتّاباً نالوا من نعمتهم ان يُنظموا في سلك الشيوخ ويمتازوا بانعامات خاصة اعلت مقامهم بين اهل ملتهم · وقد اشتهر بين هذه الأسر ثلث منها وهم آل خازن وآل دحداح وآل حبيش · وكلهم من الموارنة وقد حظي غيرهم بذلك الامتياز بين الدروز كالمشايخ الجنبلاطيين وآل تلحوق · وبين المتاولة كآل حماده · وبين المسلمين كبيت الشاعر وآل مزهر · وبين الروم كآل عازار · وبين الروم الكاثوليك كآل اليازجي · وغير هؤلاء من مشايخ الجبل كآل الخوري صالح وآل ضاهر وآل بيطار وآل نفاع

وبشيوع رتبة المشايخ بطلت في لبنان رتبة اخرى سبقت عهداً وكانت شخصية كما يظهر يتولاها ذوو المقدرة من قبل اصحاب الامر نريد بها رتبة المقدَّمين التي شاعت قبل الفتح العثماني وبقيت مدّةً في انحاء لبنان الشماليّة بين الموارنة · كانوا كالزعماء عليهم في تدبير امورهم يتوسطون بينهم وبين ارباب الدولة في امور سياستهم ولا سيما جباية الاموال · على انّ الكتبة لم يفيدونا شيئاً صريحاً عن احوالهم وامتيازاتهم

وممّا امتاز به لبنان في عهد بني عثمان انه اصبح بفضل الامراء المتولين عليه من آل عساف وبني معن والامراء الشهابيين ملجاً اميناً للطوائف الكاثوليكية ورؤسائها فإليه نزع اول بطاركة السريان الكاثوليك

اندراوس اخيجان في القرن السابع عشر ثم البطريرك ميخائيل جروه في اواخر القرن الثامن عشر . وللسريان حتى اليوم دير الشرفة الذي سكنهُ . والى لبنان فرّ السيد ابرهيم ارزيقيان بطريرك الارمن الكاثوليك من وجه الغريغوريين . فسكن دير الكريم وانتقل خلفاؤهُ الى دير بزمّار كما سكن رهبانهم دير بيت خشبو . وبحمى لبنان لاذ البطريرك كيرلّس طاناس هاربًا من حيف سلوسترس خصمه فسكن دير المخلص بالقرب من صيداء

وكذلك الرهبانيَّات الغربيَّة أُرسلت الى بلاد الشام فرحب بها سكان لبنان فان الكبوشيين قدموا لبنان في عهد الامير فخر الدين فاعطاهم اديار صيداء وبيروت ثمَّ فتحوا اديارًا في غزير وصليما واعبيه . وجاء الكرمليون فاحتلّوا في طرابلس وبشراي في اواسط القرن السابع عشر . ومثلهم اليسوعيون سكنوا اولاً في طرابلس ثم ابتنى لهم الشيخ ابو نوفل ديرعينطورا سنة ١٦٥٦ . وبعد ذلك بقليل اوقف آل الخازن دير حريصا للآباء الفرنسيسيين سنة ١٦٨١

ومما ساعد على بسط الامن على نصارى لبنان فرامانات شاهانية منحها السلاطين العظام للسفراء الفرنسويين في الاستانة العلية تمكن بموجبها الرهبان الغربيون من سكنى الجبل والولايات العثمانية

وكانت قبل ذلك منذ السنة ١٥٠٧ عُقدت بين الدولة العلية وملوك فرنسة معاهدات تجاريَّة لمصالح الدولتين تكرَّرت غير مرَّة فصارت السفن التجارية تقصد سواحل لبنان لا سيما صيداء وطرابلس تنقل منها السلع الشرقية وتاتيها بمحصولات الغرب . ثم نالت دول اخرى بعد ذلك انعامات مثلها . فراجت التجارة واتسعت المعاملات حتى بلغت في القرن الاخير اوج عزّها لاسيما بعد ان تنظَّم سير المراكب الاجنبيَّة باكتشاف الادوات البخاريَّة فكادت سفن الدول الاوربيَّة تزور كلّ يوم مرافئنا فتغني اقطارنا بمرافقها العميمة وتدفع في صادراتنا الوطنيَّة المبالغ الطائلة

وفي اثرهِ فتحت الطرق الرحبة من بيروت الى دمشق ثم في انحاء الجبل فسوَّلت لارباب التجارة المعاملات الرابحة واغنت السواحل بمحصولات الداخليَّة من الشام وحلب وحوران ثمَّ عقبتها السكك الحديديَّة فحصل اقتصاد عظيم في اثمان الشحن وتوفير الزمان . هذا فضلاً عن سكك الترامواي في انحاء بيروت ودمشق ومن بيروت الى الجبل ومن مرفأ طرابلس الى مدينتها

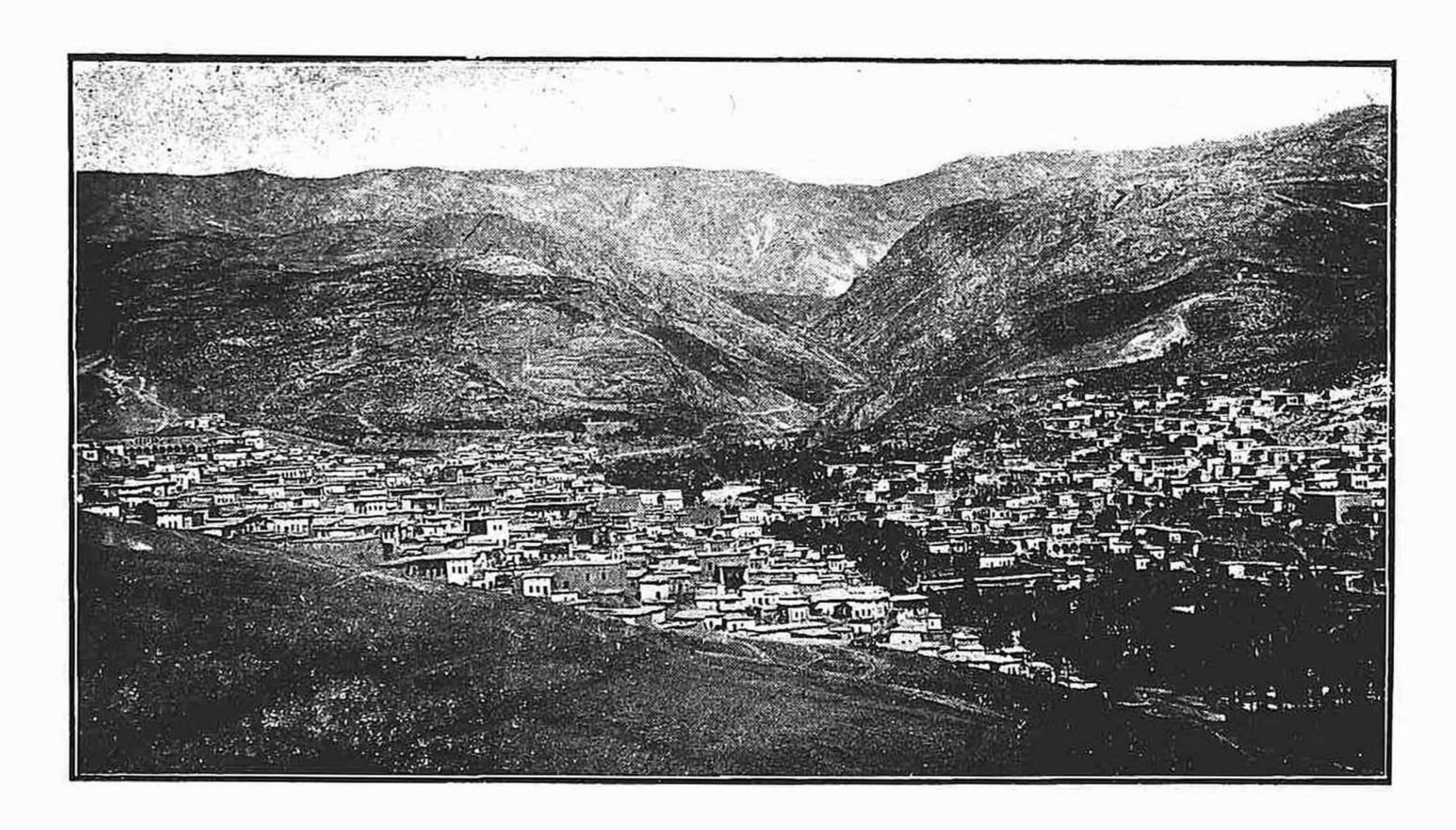
وكانت سواحل الشام من اوَّل اقطار الممالك العثمانيَّة التي مدَّت فيها الاسلاك البرقيَّة لنقل الاخبار الى مراكز الدولة بل الى البلاد الاجنبيَّة . وفي هذه الحقبة الاخيرة مدَّت ايضًا بين مدن الساحل ولبنان الاسلاك التليفونيَّة لخدمة الجيوش الهمايونيَّة كما ازدهت بيروت ودمشق ببهاء انوار الكاز والكهرباء فاضحت لياليهما منوَّرة بالاشعَّة الساطعة في كلّ احيائهما

وكانت نتيجة هذه الحركة العموميَّة تحسُّن ظاهر في احوال اللبنانيين فانهم نهضوا بنشاط مع اهل بلادهم وآل عصرهم وسعوا بترقية جبلهم ماديًّا وادبيًّا . فنهم من تجشَّم الاسفار الى مصر اوَّلاً ثمَّ الى اوربًّا واميركا واوستراليا فحصلوا هناك على ثروة طيبة بعرق جبينهم وما لبثوا ان عادوا الى اوطانهم فصرفوا ارباحهم في

تحسين اسباب معاشهم ونجاح امورهم . ومذ ذاك الحين اخذوا يشيدون لهم المباني المتينة الرحبة و يتقنون هندستها و يغطونها بالقرميد فاصبحت قراهم تبهج النظر بابنيتها اللطيفة المحدقة بالزهور والاشجار . ومنهم من عُني بالحراثة والزرع وغرس الاشجار والغابات فجرُّوا لريّها المياه بالقني فما عتمت ان زكت الزروع ونمت الاغراس فكست بخضرتها بعض انحاء لبنان الجرداء . ومنهم من عُني بالصنائع والفنون الجميلة فانشأوا المعامل لاشغال الحرير في جهات مختلفة

ومما يستحق الذكر في هذا المقام اهتمام اهل الزوق من قديم الزمان بالنسج والحياكة الجميلة وصناعة القصب المزركش (اطلب المشرق ٤ : ٤٤١) واهل المتن بالانسجة القطنية والديما . واشتهر اهل بيت شباب بصناعة الاجراس وعُرف اهل عكار وسكان بعقلين بنسج البُسط . واستخرج اهل جبيل والبترون الاسفنج الناعم الى غير ذلك من الاعمال كاستحضار القرميد والصابون وضروب الاسلحة مما يشهد لاهل لبنان بالحذق والاقدام في سبيل العمران . هذا فضلاً عن نجاح العلوم في المدارس اللبنانيّة كما سترى في فصل الآداب والعلوم

ولعلّ التغرُّب عن الوطن والتخلق باخلاق الشعوب التي نزح اليها اهل لبنان وعدم التعاضد في العمل افقدهم مسحتهم اللبنانية ووحدتهم الشعبية . فضلاً عن ان الحرب الحاضرة قد الحقت بلبنان كما بسواه من بلاد المعمور و يلات متنوعة نسأل الله ان يزيلها في القريب العاجل فيعود لبنان الى بهائهِ السابق في ظل جلالة السلطان الاعظم والمتبوع الافخم محمَّد رشاد وفّقهُ الله لما فيه نجاح البلاد وخير العباد



مدينة زحلة

لمحة نظرية
في
الزراعة

من سرّح رائد الطرف في قرى لبنان البديعة العامرة وقد تكسّرت عليها اشعّة شمس الربيع الباهرة ورأى تلك القرى قائمة منتصبة على قمم لبنان المتسلسلة بعضها الى بعض كأنها اوكار العقبان لا بدّ له من الوقوف وقفة المندهش من سخاء الطبيعة البالغ الحدّ على تلك الاماكن المعتزلة منذ الطور الحجري ... ولا يمكنهُ حينما يرى آثار العمران في كثير من انحاء الجبل الاّ الحكم بأنّ لتلك الاتربة والصخور والجبال والاودية علاقة عظمى برفاهية سكانه وسعادتهم حقيقياً كان حكمه او وهمياً ... لان الانسان يرى في كل امر رابطةً بين الاثر والمؤثر ...

على انّ الظواهر خدّاعة هاهنا ايضاً شأنها في كثير من الامور . من ذلك انّ ما يُشاهد في لبنان من رواء النعمة والحضارة ورخاء العيش واليسر ليس لهُ اقلّ علاقة بتربتهِ وجبالهِ مع انَّ هذه هي الغاية المقصودة منهُ . والحقيقة هي ان كل ما يلوح على هذا الجبل من مجالي النعمة والرفاهية لم تخلعهُ عليهِ التربة والجبال بل كساه اياه المال الذي جمعهُ ابن لبنان بالاقتصاد في بلاد المهجر . فصار ذلك دأبهُ وديدنه . فالحياة اذاً والنعمة كلتاهما مستعارة في هذا الجبل . وقد اعتاد اهلوهُ الذين لا يمكنهم اكتساب قوتهم من اراضيه الصخرية الصلبة وأتربته الرقيقة العقيمة ان يتسابقوا افواجاً افواجاً الى المهاجرة في كل عام ضاربين في اميركا الشمالية والجنوبية وغيرها كمدن اوسترالية وافريقية حيث يعيشون سنوات عديدة بعيدين عن اوطانهم وعيالهم فيجدّون ويكدّون وراء الرزق ثم يعودون الى بلادهم بما اقتصدوه من الاموال التي ربحوها . ومن ثمَّ فمظاهر العمران التي تُرى في كثير من اصقاع لبنان انما منبعها المال المكتسب في ارض المهجر كما سبق القول . فكل شيء فيهِ وكل ما يراه الانسان عليه من العمران هو نتيجة تلك المساعي . وليس من شأننا في هذه المقالة التي خصصناها بالزراعة البحث في محاسن المهاجرة او مساوئها لانَّ كلاًّ يعلم مثلنا ان الرقيّ والمعيشة الهنيئة والثروة ... وبالكلمة اعمّ انَّ كل شيء منسوب الى الانسانية والمدنية وكل رقيّ وميزة في هذه الاصقاع قد انتجتهُ عادة المهاجرة وبها ايضاً يثبت ويدوم . فهذه جبال لبنان ووهادهُ أتُرى هي التي تمنح سكانه وسائط المعيشة واسبابها التي يسعون وراءها طلباً للحياة ؟ تلك مسألة تستدعي التبصّر . فالجواب على هذا السؤال سلبيّ اذا اعتبرناه على صورته الحاضرة . انّ حوادث هذه الايام الاخيرة التي تستوقف الانظار قد دلّتنا على ان كل امّة من الامم تضطرّ بعض الاحيان الى حصر معيشتها وحياتها في ذاتها وبأرضها . وربما استمرّ هذا الاضطرار عدّة سنوات بازاء مزاحمة الامم دون شفقة . ففي مثل هذه الايام المهولة لا بدّ للسكان من

استحضار محاصيل وافرة من اراضيهم . فالامة التي تنحصر في ذاتها فقط لا يلزم اعمال الفكرة طويلاً لمعرفة ما يتهددها من الشدائد في السنين التي تنقطع فيها العلائق التجارية واسباب المعاش بين الامم . وفي قوله تعالى ما هو جدير بتأملها : يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم

ومتى وقع الصلح ورأيت الحرب والاطماع بين بني البشر جارية على غير شكلها الآن واتضحت طرق العمل واصبحت كل امة تشعر باضطرارها الشديد الى الاهتمام بحاجاتها والسعي للاستفادة جهد إمكانها مما لديها من القوى ومن تربتها وهوائها وصحاريها ومياهها ففي ذلك الوقت فقط نؤمل في انبعاث نهضة لازمة لإحياء تلك التربة العقيمة ونفخ روح الحياة فيها مع ما يكتنفها من الصحاري والوديان والجبال

ولا يخفى ان في وسع اميركا اقامة مصاعب عديدة في سبيل اللبنانيين كما فعلت مع اليابانيين ووضع قوانين للمهاجرة لا يمكن احتمالها . وقصارى الكلام تقفل ابوابها في وجوه الذين يأتونها من الخارج . وحينذاك ترى كل امة انها مضطرة ومكرهة لتأمين كيانها بما عندها من القوى وخصوصاً من الحاصلات التي يمكنها إنتاجها من ارضها مهما كانت حالة الدنيا بعد ذلك . وانا لنعتقد انهُ من اهمّ واجبات الحكومة ان تتبصر في هذه الحالة منذ الآن وتهيئ ما يلزمها من الاحتياطات والاسباب

هنالك الاعمال التي لا بدَّ من القيام بها في قمم لبنان الجرداء العقيمة وفي اراضيهِ الوعرة وفي وديانه . ان الطرق الواجب اتخاذها للاستفادة من اقليم كل مكان ومناخه شيء كثيرة لا يمكن تعدادها . على انهُ يمكن في اي وقت كان تحسين الاتربة وبث الحياة في الاراضي الوعرة والاهتمام بزرع حرج هنا ومرج هناك وخزن مياه الاودية في الاحواض وإرواء المزارع الموجودة في الاملاك المجاورة لها وترويج بعض الصنائع الزراعية وتجديد بذور الزرع وإصلاح اصول الزراعة والآلات الزراعية . . . والانتفاع من القوى والمساعي التي تُصرف وتحويلها الى جهة اوفر فائدة . . . ولو عُرفت فقط طرق الاستفادة من قوى الطبيعة التي تذهب سدىً لحصلت منها ارباح طائلة . فاذا وصلنا الى هذا الحد وفكرنا في ما نحن مضطرون الى القيام به وجدنا نفوسنا بازاء الفراغ والعدم . لكن معرفتنا هذه الحالة من العدم لا تجدينا نفعاً في اصلاح شؤوننا . . . كان من اللازم ان نفطن قبلاً لهذه الضروريات ونُعِدّ لوازم التكامل ووسائطه

لا فائدة من البحث عن زراعة لبنان من الوجهة العلمية لانّ فنون الزراعة مجهولة فيه تماماً . وفي الحقيقة لا يمكن ان نشاهد في بلادنا تلك العجائب الخارقة الناتجة عن زراعة فنيّة يجري عليها في سهول ذات تربة طيّبة فنجري عليها نحن ايضاً في مثل هذه الاراضي الجبلية المؤلفة من صخور واحجار فضلاً عن وجود غيرها من الموانع . على ان البحث عن طريقة زراعية علمية معقولة اكثر مما في الوقت الحاضر هو امر لا بد منهُ . اننا نعتبر الآن الزراعة كمسألة اقتصادية ونرغب الترقي فيها بحسب ما تسمح بهِ حالتنا الحاضرة فقط . لان لكل ارتقاء وكمال حدًّا محدوداً ومتى تجاوز الانسان هذا الحدّ الطبيعي نراه كثيراً ما يقع في وهدة اليأس والحرمان . فلا يبرحنّ عن بالنا ان المقصود من الوجهة العلمية في الزراعة هو ان ينال الانسان اوفر المحصولات باقلّ ما يمكن من النفقات . اننا لا نرى في قوى الطبيعة وسخائها ما يبين غايتها على ان هذه القوى المدهشة

الغزيرة لا تخلو من غاية تقصدها الطبيعة توًّا وتقف عندها. ولذلك كثيراً ما نرى في تلك القوى الناتجة عنها احوال الطبيعة وعللها ما يقوم في وجهنا ويعاكسنا فيتحقق قول الشاعر «تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ». فلا بد للعالم الانساني الذي هو أثر من آثار الطبيعة من الاذعان لقوانينها الثابتة العميمة. الا ان للنوع البشري صفةً يمتاز بها وهي التسلط على قوى الطبيعة. لكن لا يغرب عنهُ ان القوى التي تجعل له هذا التسلط والفوز هي ايضاً صادرة عن الطبيعة. فيرتب الانسان تلك التأثرات المتضاربة على صورة مفيدة له ويجتهد في تحويلها نحو الغاية التي يريدها. وهكذا التجدد والرقي الذي نتوخاه في زراعتنا يقوم في المساعي التي لا تتجاوز حدود الطبيعة. ولذلك فاننا اصبحنا بحيرةٍ لا لكوننا لم نرَ على صخور لبنان وحجارتهِ المزارع التي تدار حسب اصول الزراعة الفنية او التي تشتغل باحدث الآلات الزراعية ولا لعدم مشاهدتنا المحلات الحائزة على كافة اسباب الصنائع الزراعية بل لعدم اجراء الامور الابتدائية التي هي في غاية البساطة. اين ذلك من فلاحة الاراضي بالماكنات الكهربائية واعادة القوى التي تنقص في الاتربة بالمواد الغذائية الكيموية والجري على اصول الزراعة المتناوبة التي تقتضيها البلاد الصناعية والزراعية وما شابه ذلك من كماليات هذا العلم... تلك امور لا تخطر لنا على بال مطلقاً... وانما توجد اعمال لابد من القيام بها هاهنا وتحسينات يجب التحرّي عنها ويكفينا قليل من التفكر للبحث عنها والمطالبة بها. ولا مشاحة في ان اراضي لبنان حسنة ويمكن اشغالها في موسمها مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحفظ الاتربة الناعمة التي تجرفها السيول ومياه المطر من اعالي الجبل. فالقمم التي لا يمكن الانتفاع منها بسهولة وطرقٍ مفيدة يمكن انشاء المروج الدائمة فيها بشرط ان نبعد عنها المعزى التي لا يحصل منها سوى الضرر والاستعاضة عنها بتربية الغنم والبقر والخيل وغرس الاحراج وجنائن الفاكهة... ذلك مما يمكن عملهُ في كل وقت من الاوقات. ومما يلزم صرف الفكر اليه ايضاً هو التحري عن طرق الاستفادة من العلوم والصنائع التي لها علاقة بالزراعة قلّت او كثرت

يدلّنا التاريخ على ان لبنان كان مكللاً بالاحراج في العصور الماضية مثل بقية الانحاء السورية. وطبيعي انهُ لا يمكننا الوقوف اليوم على اوصاف الاحوال الجوّية وشروط الزراعة التي كانت عليها تلك الجبال والاماكن المزدانة بالاشجار. وبعد ان قطعت ايدي الجهال تلك الاحراج دون روية كان لابد من ان نرى اختلافاً عظيماً في الاحوال الزراعية والاقليمية في تلك الربوع. ومن جهة اخرى يلزمنا ان نعتبر الاسباب الداعية لقطع تلك الاحراج. ان العالم البشري في كل المعمور قد اقتلع الاحراج من جذورها واستأصل الغابات المتكاثفة ليتخذ المزارع بدلاً منها. وبعد ان اخذ ارباب الزراعة في الازمنة الاولى محصولات حسنة من تلك الاراضي المستحدثة القوية وكانوا يجهلون الطرق التي تعيد العناصر الغذائية التي نفدت مع تمادي الزمان من تلك الاراضي تركوا مزارعهم على حالتها ثم عمدوا الى احراج غيرها فقطعوها ليحصلوا على اراضٍ منبتة جديدة. ولم يزل هذا دأبهم حتى قُطعت كافّة الاحراج واضحت الارض جرداء قاحلة مع ازدياد الاراضي المخصصة للزراعة بالنسبة الى النفوس الموجودة في العالم. واذ لم يجدوا ما يقطعون من الاحراج فيما بعد اخذوا يفكرون بطرق إراحة هذه الاراضي. ولهذا السبب صارت الاراضي تُزرع سنة وتُفلح سنة وتترك

خالية بدون زرع · مع ان علم الزراعة افادنا انه بترك الاراضي خالية لا يمكن ان تعاد اليها القوى والعناصر التي افقدتها اياها الحاصلات · لان المزرعة التي تفلح وتترك على حالها فالقوى التي تاخذها من الهواء والمطر والثلج وغير ذلك هي قليلة جدًّا · · · فبعد ان عُرفت هذه الحقيقة افتكروا بتحسين الاتربة بالسماد وعدم زرع النباتات التي تاخذ من التراب كثيراً من العناصر الانباتية وراء بعضها بعض · لانهم كانوا قد ادركوا ان بعض النباتات لا تاخذ من التربة نفس العناصر التي تاخذها غيرها وانهُ بالعكس يوجد من النباتات ما تقوى بها الاتربة نظراً للعناصر التي تفرزها او تاخذها من الهواء

ثم عُرف ايضاً اذ ذاك علم الزراعة الكيموية وفُهم ان اغصان النباتات واوراقها تعيش من الهواء وان الجذور تستمد الحياة من التربة وعُلم بالامتحانات المتعددة ما يطلبه كل نبات من العناصر الغذائية الخاصة به · فبعد ان بلغ الاختبار الى هذا الحد ظهر ان العناصر التي تطلبها النباتات من الاتربة ليست الاَّ اجزاء دخلت في تركيبها وامتزجت بها وصار من الامور الطبيعية السهلة وقتئذٍ التحري عن العناصر التي تحتاج اليها النباتات فيما اذا كانت موجودة في الاتربة التي ستزرع فيها بحسب كل نوع من النبات وطبيعته · وبفضل هذا العلم اصبحت الاستفادة من الزراعة منظمة على اصول ثابتة غير تابعة للصدف · فالزارع اليوم الواقف على انواع العناصر الموجودة في ارضهِ ومقاديرها وحاجة النبات الذي سيزرعهُ فيها يكون على ثقة دائماً من نوال محصولات كثيرة جيدة على شرط ان يجعل القوى الطبيعة والهواء سيراً حسناً · ولا ريب من ان تلك الثقة تنشّط على تقدمة رأس المال وتحوّل الاعتبار اللازم للزراعة · لان العمل الذي يتبع الصدف ويتكل على جودة الطبيعة والهواء في الزراعة لا يُعتمد عليهِ · فاذا روعيت الامور المارّ ذكرها لا يظنّن الزارع ان الرأسمال الذي يفرز للزراعة يكون باهظاً

***

بعد ان عرفنا ما تحتاجه النباتات وفهمنا عناصر الاتربة ووجدنا الطرق لا كمال هذه العناصر بالوسائط الطبيعية او الصناعية يلزم ان لا تترك المزارع خالية — على امل تقويتها — ومن جهة ثانية قد عُلم بالاختبار انّ بعض النباتات تأخذ قوة قليلة جدًّا من الاتربة وبعضها تأخذ قوة اوفر وان بعض تلك النباتات تكون جذورها في الطبقة العليا من التراب فتأخذ قوتها من تلك الطبقة فقط وتعيش منها ولا ينقص الطبقة السفلى شيء من العناصر الانباتية · وان بعضها تستمد القوى من الطبقة السفلى نظراً لجذورها التي تُعمّق في الارض ومتى زرع مثل هذه النباتات تبقى قوة الطبقة العليا محفوظة · ولذلك فقد فكروا في زرع النباتات التي تأخذ القوة من طبقة الارض العميقة في سنة ثم زرع التي تأخذ قواها من الطبقة العليا في السنة التالية وهلم جرًّا

وعلى هذا الوجه قد وُجدت الطرق التي تمنع نفود القوة من الاتربة مع اجتناء محاصيل منها في كل عام قلّت او كثرت · · · وكان قد فُهم ان الحبوب كالقمح والشعير تأخذ قوة كثيرة من الاتربة · امَّا النباتات الصيفية التي تزرع موضعها اذا ما حُرثت الارض بين جذورها ونُظفت من الحشائش وقُلبت مرّةً او مرّتين في الربيع والصيف فانها تأخذ بالعكس شيئاً يسيراً جدًّا من القوة · وقد حصل ايضاً الافتكار باعطاء المزارع

انواع الاسمدة اي العناصر الانباتية التي فقدتها الارض بتلك النباتات · فتختلط هذه العناصر بالتربة حتى السنة التالية فتصبح بالافعال الكيموية الكثيرة و بتأثير الشمس والهواء والامطار والثلج والبرد في حالة اوفر صلاحية للزراعة · ولهذا السبب صار من المحقق حصول الفائدة من زرع القمح والشعير وازدياد الغلّة في تلك السنة · وكل يعلم وجوب تنظيف الارض التي تفلح في السنة الاولى من الاعشاب الغريبة المضرة التي تأخذ من التراب اكثر قواه وذلك يحفظ قوة الاتربة ويجعلها مؤهلة لحصول يتطلب قوة زائدة كالقمح والشعير ··· وفي الزمن الذي بوشر فيهِ بالعمل على تلك القاعدة تدريجًا كانت الزراعة قد كسبت شيئًا من ارتقاء الصنائع فاختُرع عوضًا عن المحراث البسيط القديم آلات جديدة امكن بواسطتها حرث الارض باحسن طريقة واكثر سهولة ووُضع من الآلات الكبيرة القوية ما يمكن بها حفر التراب على قدر العمق المطلوب · واخترعت آلات كثيرة حديدية تشتغل في الارض اللزجة او الاراضي الصلبة والكلسيَّة وتكسر الكتلات التي تبقى على وجه الارض وتخالل الاتربة بالهواء وتستأصل الجذور الباقية في المزارع وحصلت فائدة جُلّى من القوى المحرّكة التي تدار بالبخار والكهربائية فاصبحت الزراعة بفضل هذه الاختراعات والقواعد بحالة فنيّة مستندة على العلم والصنائع واصبح كلما ازدادت خيرات الارض تزداد سعادة الامم ورفاهيّتهم حتى تجلّت الغاية المنتظرة من الحياة ···

هذه هي ضالتنا التي ننشدها في لبنان وفي بلادنا قاطبةً · ولا بدّ من المباشرة بالشيء اليسير البسيط والجري عليهِ حتى بلوغ الكثير الكامل · فلبلوغ الكمال اصول وقواعد · ولا يبرح عنَّا ايضًا ان قابليات الامور تختلف باختلاف الازمنة والامكنة والاشخاص · ولا ننسَ ان تلك القابلية تؤثر في جميع الكماليات سواء كانت علمية او إخلاقية او زراعية وصناعية وان اهمالها يبعدنا عن غايتنا ولا يورثنا سوى اليأس والحرمان

***

اول ما يبدو لنا من احتياجات لبنان الزراعية مسألة احياء الاحراج التي كانت تزينهُ قديمًا · ومعلوم ان تجارة فينيقية البحرية كانت تتطلّب وجود الاحراج في سواحل سورية · فالمحلات الوعرة والعاطلة التي لا تصلح للزراعة والآكات التي لا تنبت نبات المرعى يمكن ان تغرس فيها اشجار الاحراج التي يوافقها هواء هذه البلاد واقليمها · فالامر المهمّ هو معرفة اجناس الاشجار التي يكون نتاجها جيدًا · ويمكن بسهولة معرفة ذلك عمليًا ونظريًا · فتؤسس الحكومة في محل مناسبٍ مشتلًا تصدر منهُ مئات الالوف من الشتل فتعطى منهُ الاهالي · وتزرع كمية عظيمة منها لاجل الاحراج التي تنشئها الحكومة على نفقتها وباسمها · ونظرًا لكون احراج لبنان قد قُطعت في هذه الازمنة الاخيرة لخدمة السكة الحديدية فاننا نقترح لزوم غرس الاشجار من جديد · ولا احد يجهل ان انشاء الاحراج من اهمّ المسائل الاقتصادية والحيوية في لبنان ··· ثم بعد الاحراج يمكن غرس المراعي الدائمة في الاراضي التي لا تصلح للزراعة · ولا ينكر احد ان المراعي هي مختصَّة بالدور الابتدائي في الزراعة · فالمراعي الاصطناعية او الطبيعية سواء كانت دائمة او موقتة لم تفقد اهميتها

الاولية في اي وقت كان في اهمّ البلاد المتمدنة حيث ترقّت فيها الزراعة رقيًّا تامًّا · وعليه فالاراضي التي لا تصلح للزراعة كاعالي الجبال تجدي فيها المراعي الطبيعية الدائمة فائدة جُلّى لمرعى الحيوانات فتحصل فائدة عظيمة من هذه المروج بتكثير حشائش المرعى · اذ ان قيمة اعشاب المراعي واهميتها في الزراعة هي عظيمة جدًّا · فالحيوانات التي تُربّى بين الحشائش الجيدة المغذية تنمو وتسمن بوجه احسن واتمّ وتتحسن اجناسها والنسل الذي ينتج منها يكون عظيم الجسم قويًّا وبفضل ذلك تكثر الحيوانات التي تصلح للاعمال الزراعية · ونظرًا لاستعمال اسمدتها لتقوية الاراضي تزداد محصولاتها بدرجة محسوسة · والحشائش التي تُقطع من المراعي وتجفّف تكون غذاءً مريئًا للحيوانات · ان المراعي الطبيعية تبقى في الارض ازمنة مديدة فان ايبس حرّ الصيف حشائشها فمطر الخريف الوسمي يحييها فتكتسي الارض في ربيع السنة التالية بنضرة الاخضرار في جميع جهاتها · ثم ان الاراضي التي تصلح للفلاحة والزرع يمكن نزع المراعي منها بعد عدّة سنوات والاستعاضة عنها بزرع القمح او الشعير لان الارض المزروع فيها حشيش المرعى تسترد قوتها الاولى وتصبح بعد مرور مدة من الزمن صالحة لان يزرع فيها اي نوع كان من الحبوب · كما ان الاراضي التي فقدت قوتها بما زُرع فيها مدة طويلة من النباتات التي تأخذ كثيرًا من العناصر الغذائية كالقمح والشعير يمكن انشاء المراعي فيها تجديدًا لقوتها وبعد بضع سنوات تحرث هذه المراعي من جديد ويزرع فيها القمح · هذا ما نسميه في الزراعة المراعي الموقتة

وتوجد ايضًا اعمال لا بدّ من القيام بها في المراعي الدائمة · فهذه اذا تركت على حالتها الطبيعية زمنًا مديدًا تقل فيها تدريجًا الاعشاب الجيدة المفيدة وتنبت مكانها الحشائش المضرة · ومن ثم يفيد جدًّا ان تنزع الحشائش المضرة وتُمشّط في ربيع كل عام وجه المراعي بالآلات الخصوصية تهويةً للتربة وان تُصرفُ عنها مياه المطر الراكدة على سطح تلك الاراضي وينثر عليها مرة في كل عام او عامين السماد المدقوق الناعم · والاحسن من ذلك سقيها بمياه السماد

وعلاوةً على ذلك يلزم زرع المراعي من بذور يختلف نوعها بحسب اتربة الاراضي وطبيعتها واقليمها والغاية المقصودة منها · وهذا العمل يناط هنا بالزراعة العملية · امّا الاراضي التي لا تصلح لزرع الاشجار والمراعي فيزرع فيها العلّيق · والفائدة الكبرى من الاشجار والمراعي والعليق انما هي المحافظة على الاتربة الناعمة الموجودة على وجه الارض لئلاَّ تجرفها الى الوديان الامطار والسيول لان الاتربة الناعمة التي تحصل من تفتت الاحجار في الروابي العالية العارية من النبات تجرّها السيول دائمًا الى الوديان فتختلط هناك بالمياه وتنحدر الى البحر · وقد صار محققًا ان الاتربة تقلّ سنويا في مثل هذه الاماكن وتفقد التربة قوتها للسبب المذكور · ولو اعتبرنا ما تحمله الوديان والانهر الكبيرة من العناصر الغذائية الضرورية وتلقيها في البحار على غير جدوى لوقفنا مندهشين امام تلك الخسائر العظيمة التي لا يمكن التعويض عنها · · · اما الاماكن التي يتمكن فيها التراب على وجه الارض بالاشجار ونبات المراعي والعلّيق فلا يخشى فيها ضياع تلك الاتربة الناعمة او بالحري خسارة هذه العناصر المنبتة والمغذية

ولا يغرب عن فكرنا ان الاشجار من جهة اخرى تحدث في حالة الاقاليم تحسيناً عظيماً فالاحراج ليس فقط هي زينة الارض بل تجدي ايضاً فائدة عظيمة مهمة جداً من الوجهة الصحية والاقليمية فقد صار محققاً عند الجميع ان الاحراج تجذب الامطار اكثر من سواها من الارضين. فالاماكن الغنية بالاشجار يكون هواؤها نقياً عذباً وتصبح السكان في مثل هذه الاماكن في مأمن من الامراض الفتاكة التي تهدد حياة الانسان

لدى بحثنا عن الاحراج يلزمنا ان لا ننسى اشجار الفاكهة. اذ ان كل ناحية من انحاء لبنان تقريباً تصلح لزراعة هذه الاشجار المثمرة. ويمكن غرس المئات والالوف من اجناس الفواكه المختلفة وإنماؤها في كل مكان من الامكنة الحارّة في الساحل حتى مرتفعات صوفر لان اجناس اشجار الفاكهة وانواعها التي تصلح لاقاليم لبنان الحارّة والمعتدلة والباردة هي كثيرة بدرجة لا يمكن حصرها. فبعد ان شاهدنا بعيوننا ما نتج من انواع النجاص والخوخ والتفاح في اقليم صوفر البارد وفي تربته غير الطيبة يمكننا ابداء مثل هذا الحكم: انّ لزراعة الفاكهة مجالاً متسعاً لمنفعة لبنان. ويمكن دائماً تجفيف الفواكه التي لا تستهلك كلها او ارسال الاثمار الناضجة على حالها الى البلاد المجاورة وبيعها هناك... ويمكن إنبات تلك الاغراس في مشتل خاص الى حدة

اما زراعة الخضرة التي هي منبع فائدة كبيرة للجبل انما تمكن في الاراضي الجيّدة اساساً التربة طبيعةً او في التربة التي تحسنت اجناسها وطبائعها بالوسائط الاصطناعية اكمالاً لما نقص منها من العناصر الغذائية رغبة في اكتساب الفائدة منها. لان زراعة الخضر تحتاج الى المياه والى اسمدة كثيرة جداً. الى انهُ وان كان ممكناً حصول فائدة قليلة او كثيرة من زرع الخضرة في الاراضي الوعرة والاتربة الضعيفة او في تربة دون سماد الا ان تلك الزراعة لا علاقة لها بما نقصده نحن هنا من الفوائد العميمة في الزراعة

فالاراضي الصالحة لزراعة الخضرة في الوقت الحاضر هي الاراضي المجاورة لمدينة بيروت المعروفة بالساحل فالفائدة التي يمكن الحصول عليها من الاراضي السهلية الثابتة الممتدة من طريق صيداء حتى نهر الكلب لا يمكن ان يحدّها التصور بشرط مراعاة القواعد العلمية لانهُ يمكن ان يغرس فيها ويزكو كل نوع من الاشجار والخضر المختصة بالاقاليم الحارة وايضاً نباتات المناطق المعتدلة. فالموز وقصب السكر والبلح والبرتقال والمندلينا تعطي فيها غلات وافرة. فالذي ينقص انما هو المعرفة بالزراعة والنظريات العلمية الضرورية للاستفادة من مواهب الطبيعة وقوتها الغير المحدودة. ان البحث باسهاب عما يراه احد اختصاصيي الزراعة اذا ما مرّ في تلك الانحاء وما يشاهدهُ من حالتها السيئة من الزراعة وابداء ما يعنّ لهُ من الملاحظات يجدي ولا شك نفعاً. لكن نطاق هذا الكتاب لا يسمح بذلك. فهذه الاراضي التي يمكن اخذ محصول منها اكثر من مرة في السنة لا يقتضي لها ان نذهب بعيداً لنجد ما تحتاج اليهِ من المياه. فهذه المياه المنحدرة في الوديان من جميع انحاء لبنان ومرتفعاته ألا يمكن جمعها في مكان مناسب من الاودية المسلّطة على تلك الاراضي واقامة سدّ كبير في عرض الاودية لحبس المياه وإرواء اراضي الساحل كلها في ايام الصيف الحارة. نقول ذلك على سبيل الذكرى. وبقليل من الفكرة يمكننا ان نعلم هل يستطاع اخراج مثل هذا الفكر من القوة الى الفعل. بيدَ انهُ وان لم يمكن اتمام ذلك فلا ريب البتة في ان الفائدة التي تحصل من زراعة الخضرة واشجار الفاكهة في اراضي السهل المسمى

بالساحل تكون اعظم جداً لو كانت الزراعة فيها على اصول معقولة اكثر مما في الحالة الحاضرة

يبقى الكلام عن الاعمال المتعلقة بالزراعة العادية مثل فلاحة الاراضي في حينها · وحرثها على وجه احسن · واستعمال الآلات الميكانيكية · وتسميد الاتربة · وزرع النباتات التي تعيد القوة للتربة بعد الحاصلات التي تفقدها قوة عظيمة نعني « الزراعة المتناوبة » واختيار بذور الزرع الجيدة · وتجديد الاجناس التي فسدت منها · · ·

ثم انهُ يمكن في لبنان الانتفاع نوعاً من الكروم التي مع انها لم تزل في حالة ابتدائية بسيطة جداً تعطي بعض المنفعة قلّت او كثرت · فالاشخاص الذين يعيشون منها فقط لم يفكروا في ما تحتاج اليهِ تلك الكروم · فلم يفلحوها في اوانها · ولم يقلّموها (يشحلوها) بطريقة حسنة مطابقة للفن · · · وليحمدوا الله لانهُ لا يوجد اثر في هذه الانحاء للامراض الفتّاكة التي ابادت الكروم الموجودة في كثير من انحاء المعمور · ولكن على اصحاب الكروم وان لم تُصَب بهذا المرض الى الآن اعمال لا بدّ لهم من القيام بها فتكثر حينئذٍ كميّة ما يجنون منها وتحسن اجناس العنب

اما صناعة الحرير المعدودة من اهم منابع الثروة في لبنان فاننا نرى انفسنا باضطرار الى التنويه بها فقط لاننا لم نتمكن من البحث عنها · ان صناعة الحرير في سوريا وهي تضاهي ثلاثة في المائة (?) من حاصلات اوربا واحتياجاتها ربما حصل منها ربح بشرط غض النظر عن نفقات الاستثمار · فلو ان اهل القرى الذين يشتغلون بهذه الصناعة اضافوا الى الحساب الاجرة التي تصرف لقاء عملهم قليلة كانت او كثيرة لما ارتابوا في قلة ربحهم منها · · · وعلى كلٍ فاننا نترك البحث عن هذه الصناعة للاختصاصيين فيها اكثر منا · انما نكتفي بالتنبيه الى ان الزراعة مسألة اقتصادية مهما كانت حالتها وكيفيتها وان اصول الزراعة التي تؤسس في احدى البلاد او تحيا فيها لا بد من اعتبارها من هذه الوجهة · فكما ان الاخلاق هي عبارة عن محصَّل الحسنات والسيئات والمنطق محصّل الخطاء والصواب في الفكر والدنيا محصّل الوجود والعدم كذلك الاقتصاد الزراعي يظهر من محصَّل الربح او الخسارة · ولهذا السبب تحرَّينا في مقالتنا هذه البحث عن طرق الاستفادة من قوى الطبيعة ومن اوصافها الموضعية ومن المقدرة الشخصية بطرق معقولة تدريجاً ولا نظن اننا تهوَّرنا في وهدة الافراط



ذكرنا في ما تقدم ان بعض النباتات تأخذ من التربة كثيراً من العناصر الغذائية وان بعضها تعيش اكثر من الهواء فلا تستمد مواد كثيرة من التربة · فهذه الحقيقة وان لم تكن في الازمنة الغابرة واضحة الى هذه الدرجة لم تكن مع ذلك مجهولة تماماً اذ انتبه الزرّاعون في كل زمان ومكان الى ان البذور التي تُبذر سنوات عديدة متتالية في التربة ذاتها كانت تقلّ حاصلاتها تدريجاً · وبالعكس متى زُرع غير تلك البذور تكثر الحاصيل · وقد عُرف سبب ذلك من زمن بعيد · لانهُ لما اكتُشف بالتحليل تركيب النباتات الكيموي

ظهر للعيان ان بعض النباتات تأخذ من التربة عناصر غير ما تأخذه الاخرى · مثال ذلك ان العناصر المنبتة التي يتطلّبها القمح ويستمدها من التربة هي غير ما تتطلّبهُ منها البطاطا وتستمده · فمتى زُرع القمح او البطاطا في احدى الاراضي سنوات متتابعة وراء بعضها بعض تضعف القوى في تلك الارض ويقلّ المحصول الذي يؤخذ منها سنة عن سنة · مع انهُ عوضاً عن زرع نوع واحد تباعاً لو زُرعت الانبتة التي تستمد من الاتربة عناصر منبتة مختلفة عما تاخذه غيرها من النباتات لما ضعفت قوى التربة ولاستُغلّت في كل عام محاصيل حسنة وافرة · فاصول الزراعة العلمية المعقولة المسماة « الزراعة المتناوبة » او « مناوبة الزراعة » الجارية عليها اهمّ البلاد المتمدنة في العالم قد نشأت من هذا العلم وتأسست عليهِ · والمقصد من الجري على هذه القاعدة هو المحافظة على قوى التربة فضلاً عن ربح غلاّت وافرة في كل عام · · · اننا نقول بمزيد الاسف ان الزراعة المتناوبة هي غير معروفة حتى الآن في بلادنا بل انّ اصول الزراعة المتّبعة فيها هي بقيّة اتصلت الينا من زمن الرومانيين · فاننا نزرع الارض عندنا سنةً ونفلحها في السنة التالية ونتركها خالية رغبةً في إراحتها او لاسترجاع القوى التي فقدتها بالمحصول اي العناصر المنبتة مع ان هذه القاعدة قد نُسخت بتاتاً في اقطار المعمور كافةً وحلّت محلها « الزراعة المتناوبة » · فطبقاً لهذه القاعدة النبات الذي ياخذ قوةً كثيرة من التربة كالقمح والشعير يُزرع مرّة في كل سنتين او ثلاث سنوات او اربع او اكثر بحسب طبيعة التربة ونوع المزروعات وبحسب حاجيات البلاد · ويتخلل ذلك النباتات التي تتطلب السماد او الحشائش التي تُعلَفها الحيوانات · وبفضل تعاقب المزروعات تُستغلّ المحاصيل الجيدة دون ان تفقد قوّة التربة · الا ان القيام بمثل هذه الزراعة المتناوبة ليس سهلاً بهذا المقدار في كل الاراضي كما يُظن · لانهُ مع معرفة تركيب الاتربة الكيموي وما يتطلبهُ من العناصر الغذائية النبات المنويّ زرعه يلزم ايضاً معرفة ما يستغلّ من المحصول بسهولة · وهنا تتضح اهميَّة مسألة الزراعة الاقتصادية · مثال ذلك ان البلد الذي يصعب فيهِ وجود الفعلة فزراعة القطن فيهِ داعية للخسارة · والبلدة التي لا يمكن فيها استخراج السكر من الشمندور اذا زُرع فيها الشمندور فلا يصعب معرفة ما يجديه من الارباح القليلة · · · ومن ثم يتضح انّ الطريقة والقاعدة المتبعة في احد البلاد والتي تعطي ارباحاً طائلة لا يمكن اتباعها والجري عليها تماماً في بلد آخر · وما دُمنا في عهد الطفوليَّة من الزراعة أيمكننا الجري على القواعد والنظريات العلميَّة التي اكتسبتها بلاد اخرى ارتقت اليها تدريجًا منذ قرون عديدة والسعي للتشبه بها · وهل يمكننا ان نكتسي ونتحلّى بتلك الفضائل والكمالات التي ليست مالنا · فعلى اي وجه يلزم حمل مثل هذا الفكر المخالف للطبيعة والمنطق الا على وجه « المباشرة بالعمل من منتهاه » · انّ استعمال العناصر الغذائية الكيمويّة والاصطناعيَّة في بلاد لم يعرف فيها حتى الآن ما هو سماد الحيوان وما هو نفعهُ لا ينتج عنهُ سوى ضرر الناس وخذلانهم · · · اننا قد تحرّينا ابداء ملاحظاتنا عن زراعة لبنان بحسب اعتقادنا هذا · واوضحنا ما يمكن لكل انسان ان يقوم به من الاعمال المفيدة في هذه الاصقاع بسهولة وبنفقات يسيرة · ولم نُرِد ان نكلف احداً ما لا يطاق · والذي اشرنا به انما هو :

١ — انشاء الاحراج في قمم الجبال وفي الاراضي التي لا تصلح للزراعة

٢ — ايجاد المراعي الدائمة او الموقتة بحسب حالة الاراضي

٣ — زيادة اشجار الفاكهة

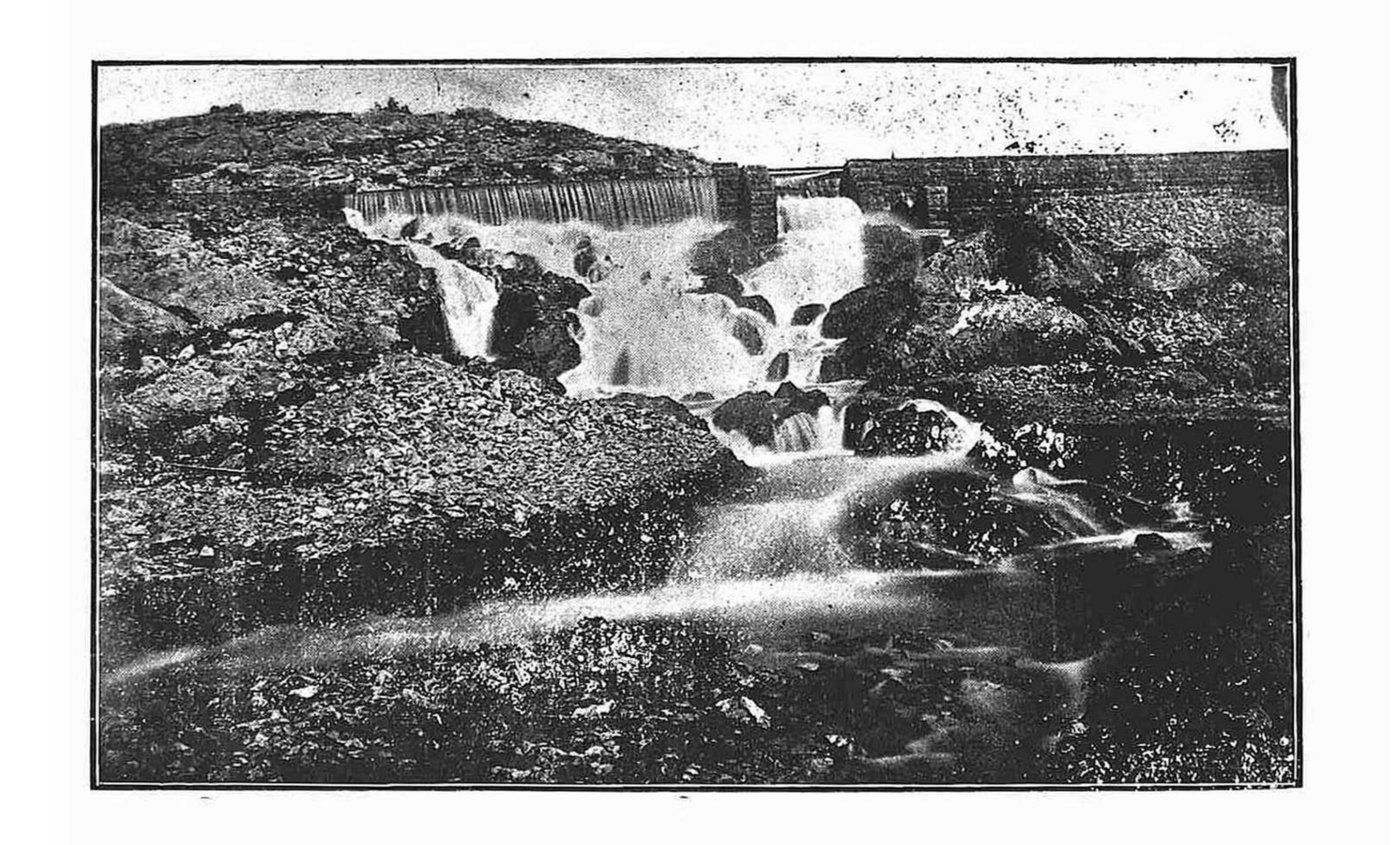
٤ — مزيد الاهتمام بزراعة الخُضر

وقد بحثنا عن الزراعة المتناوبة وعن القواعد العلمية المعقولة فيها بكل بساطة ورأينا الأولى ان نكتفي بالتكلم عن شروطها ٠٠٠ ونريد الآن ان نقول ايضاً انهُ اذا حصل ذلك كلهُ اصبحت جبال لبنان جميلة ورأى سكانها وجه السعادة

لا ريب في ان الذي جعل تلك المناظر البديعة في سويسرا هو احراجها ٠ والبلاد التي تكون على هذه الصورة يقصدها الناس زرافات ووحداناً ولا تجدّ حينئذ الفائدة التي تحصل من هذا الوجه ٠ فالانسان لا ينشرح من مناظر الصخور المعرّاة والاراضي العقيمة ٠ حتى ولو اننا تناسينا منافع الاحراج في الصنائع الخشبية وخدمتها في تحسين الاقاليم والهواء ومحافظتها دائماً على الاتربة الناعمة لئلاّ تُجرف الى الوديان وبقاء المزارع قوية ابداً وما ماثل ذلك من المزايا الطيّبة يلزمنا ان لا ننسى الفوائد العظمى التي تحصل من السيّاح الذين تجلبهم تلك المناظر البديعة ٠ فضلاً عن ان البلاد التي تصبح جميلة باحراجها يحسن فيها ايضاً الاقليم والحالة الصحية لان الناس الذين تزهق نفوسهم في البلاد الموجودة على شواطئ البحر المتوسط ويريدون ان يتنفسوا الصعداء ردحاً من الزمن يعدّون قضاء بضعة اشهر بين مناظر لبنان البديعة نعمةً وهناءً لهم

***

ان ما دعانا لابداء هذه الملحوظات هو اضطرار اهالي لبنان في الحال الحاضر الى ان يهاجروا الى بلاد الغربة طلباً للمعيشة ٠ على انهُ ولو وجدت بعض الفوائد من هذه المهاجرة فلا ريب من وجود وجوه لها ذميمة ٠ ولا بد من القيام بالعمل منذ الآن تخفيفاً لتيار المهاجرة ان لم يكن أُقفل بابها تماماً ٠ وقد بحثنا في مقالنا هذا عن الامور التي رأينا تناولها اوفر سهولة من الوجهة الزراعية والتزمنا في المسائل التي كتبناها البحث عن احتياجات سكان الجبل اكثر مما عن نواقصه الزراعية لانّ نواقصهُ هذه لا حدّ لها نظراً لوجود الزراعة فيه حتى الآن في مهد الطفولية



ضبيه

الزراعة

في

لبنان

تمهيد

معلوم ان منطقة نموّ النبات تزيد ارتفاعاً عن المنطقة التي يعيش فيها الحيوان فتقارب الثلاثة آلاف متر علوًّا في بعض مراكز لبنان ونظراً لارتفاعات الجبل المتفاوتة وما يتأتى عن ذلك من اختلاف الاقاليم نجد فيهِ انواعاً لا يحصى عددها من النباتات ان كان من صغائره او من اعاظمه . فلنباشرنّ الآن بالاحراج ثم ننتقل الى المزدرعات المختلفة وما يختص باستثمارها و بنتائجها وتوابعها

١ الاحراج

يُستدل من الكتاب الكريم ومن التاريخ و بعض الآثار ان سلسلة لبنان من الشمال الى الجنوب وفي جميع اطرافها كانت في سالف الزمن مكسوة بالاشجار يُعد بعضها من اجمل انواع النبات واعظمه نذكر منها الاجناس التالية :

بين الفصيلة الراتينجية : الارز والشوح والصنوبر وعندنا منهُ ثلاثة انواع الاوّل يسمّى پنيون (Pin Pignon) وهو ما يؤكل حبّه . والثاني يقال لهُ صنو بر حلب (Pin d'Alep) والثالث يقارب به كثيراً ويسمّى (Pin Brutia) ويدعونهُ عندنا بَرْزاً . ثم الشربين والسرو والعرعر واللزّاب والدفران

وبين الاشجار والشجيرات الاخرى : السنديان والبلوط او الملول وعندنا منها انواع كثيرة . واللوز واللوز البرّي والكرز والمحلب والمشمش البرّي او القطلب والدراق والتين والبرقوق او خوخ الدب والزعرور والمخلص والاجاص البرّي والخرنوب واجناس مختلفة من الطرفاء ومن السنط (اكاسيا) والزيتون البرّي والتفاح البرّي والعنّاب واجناس من النبق (الزفرين والعجرم) والقيقب والسماق والبطم والغار والدلب والصفصاف والجوز والحور والميس والزيزفون والمقسيس والدردار والدفلى والجميز والبان والبقس والعليق . وابتدأوا من مدة يزرعون الازدرخت لاستغلال خشبه . اما الجوز والحور والصفصاف فقلما تجد منها في الاحراج بل تجدها على حدودها بالمحلات المسقية وبجانب السواقي وغالباً تغرس . اما الجميز فنادر ومفرق في الساحات والمحلات العمومية في منطقة السواحل

فهذه الاشجار والشجيرات منها ما يوجد في كل اقاليم الجبل ومنها في الساحل فقط او في الوسوط ومنها في الجرود . وتجد بعضاً في اعاليهِ كالارز والشوح في غابة اهدن وغابة الضنّية وانواع من السنديان واللزّاب (في غابات اهدن والضنية والعاقورة وافقا واعالي الوجه الشرقي) وهو الحائز السبق الآن حيث تجده على

علو ٢٧٠٠ متر. فبمجرد ذكر هذه الاشجار يتضح عظم المنافع التي يمكن استحصالها من خشبها كالارز والشوح والصنوبر والسنديان والحلب والميس والاكاسيا. او من ثمرها رأساً او بعد التطعيم كالصنوبر والزيتون والخرنوب واللوز والكرز والتين والزعرور والعناب والغار او من موادها الراتنجية والصناعية

ان بعض اشجار غابات لبنان كانت معتبرة من الاجانب ومستعملة جداً في الخارج فكان الفراعنة وملوك اشور وبابل والعجم يفرضون دفعها كجزية. لكن المقام الاول كان يعطى لخشب الارز لصلابته وبقائه. وقد برهنت الحفريات الاشورية التي اجراها المسيو "لايارد" فضل هذا الخشب الذي قام في وجه آفات الدهر نيفاً وثلاثة آلاف سنة حافظاً رائحته العطرية ولونه الاصفر الجميل. وغنيٌّ عن البيان ان الارز المذكور آنفاً هو ارز لبنان واكبر شاهد على ذلك ما يوجد منهُ الى الآن في بعض المحلات اذ ينتج وينمو معطراً تلك الارجاء برائحتهِ الزكية. واحراج الارز هذه هي حرج بشراي الشهير على علو ١٩٢٥ متراً. وغابة الضنية في اعالي قرية سير شمالي الجبل تعلو ١٩٠٠ متر يسمونهُ ضنوباً. وتحتوي ايضاً هذه الغابة على شجر الشوح والشربين والبلوط وتعدّ من اجمل غابات بلادنا بحسن مركزها ونموها واتساعها وحجم اشجارها. لكن اكثرها على ما اعلم ذهب ضحية المنشار والنار. ويتلوها حسناً غابة اهدن وغابة الحدث في قضاء البترون وغابة اخرى بالقرب من الباروك في قضاء الشوف ويسمونهُ الأُبهل. وقد زرع منهُ حضرة الآباء اليسوعيين في تعنايل فافلحوا. ومعلوم ان ساق الارز تمتد كثيراً بالعرض فيكبر حجمها ويصبح خشبها صالحاً لمنافع كثيرة ولهذا اتسعت تجارتهُ في القديم اذ كان يستعمل في الأبنية وفي الفنون الجميلة كالتماثيل والاعمدة وفي الجسورة وعوارض البيوت وتُصفح بهِ الجدران فاستعمله البابليون والاشوريون والاسرائيليون في بناء هياكلهم وقصورهم كما فعل سليمان الملك حيث اشغل نحو ١٠,٠٠٠ فاعل في قطع اشجار الارز والشوح من احراج لبنان لاستعمال خشبها في هيكل اورشليم العظيم. وكان ينقل الى مصر ويُعمل منهُ اثاث البيوت وخصوصاً التوابيت

❋ آفات احراج لبنان ❋ انّ آفة غابات لبنان الكبرى كانت الحروب لجردتهُ من اشجاره وكفى ما اقتضتهُ ترسانات صيداء وجبيل وطرابلس من الاشجار الجميلة العظيمة. الا انهُ لحسن الحظ اتى الرومانيون فاوقفوا هذا الخراب وسنُّوا قوانين تنظّم قطع الاشجار حافظين لانفسهم الحق باستثمار اربعة اصناف منها كما يُستدل على ذلك من كتابات لأدريان الامبراطور التي وجدت في الجبل فجاءت هذه السنن الحكيمة اكبر مساعد على حفظ الغابات. وبالوقت ذاته يسّرت للاهالي والحكومة معاً الانتفاع من محاصيلها لان الرومانيين مع اباحة قص باقي الاشجار الغير المحفوظة لهم كانوا يخضعون هذا القص لشروط معلومة بنوع ان الغابات تبقى مصونة بل تتجدد رغماً عن زيادة عدد السكان وتوسيع منطقة المزروعات. فلما انسحب الرومانيون عاد الخراب فحلّ بشدة اوفر من ذي قبل لعدم مراعاة اصول الاستثمار الواقية فكانت الترسانات خصوصاً ترسانة طرابلس تستمد منها لوازمها

ودام هذا الحال بل تفاقم بسبب اتساع صناعة تعدين الحديد التي كثر انتشارها في الجبل في نواحي كسروان والمتن والشوف في القرون الوسطى حتى اوائل القرن الماضي. ومتى علمتَ انهم يقدّرون بألف

وسبعمائة كيلو من الحطب الكمية اللازمة لاستغلال مائة كيلو من الحديد لا يصعب عليك ادراك ما أُتلف من الغابات من جراء صناعة التعدين

ولما كان السكان يتزايدون ويلزمهم الكلس لابنيتهم انتشرت الاتاتين في الجبل وزادت في دمار الاحراج لانه للحصول على ستة قناطير من الكلس يلزم كمية من الوقود لا تقلّ عن خمسة قناطير

ومن آفات غاباتنا ايضاً المفاحم . لكن الضربة الكبرى القاضية هي الماعز فانها تسطو على كل اقسام الشجرة فتجرّد ساقها وتأكل فروعها النضرة وتنتصب على اقدامها فتبلغ رأس الاغصان وتعدمها فتمنع هكذا نموّ الاشجار

وهل يمكننا طَرق هذا الباب دون ان نذكر مع شديد الاسف الفناء والدمار الجاري الآن بجدّ متتابع في تلك الاحراج . ورُبَّ معترض يقول ان للضرورة احكاماً . فلا ننكر ذلك ولكن مع الاعتراف بهذه الضرورة والرضوخ لاحكامها ألا يمكن تخفيف ضررها بجعل قطع الشجر منتظماً صيانة للمستقبل وذلك باستعمال الطرق التي هدى اليها اختبار مزمن يثبتهُ العلم . فمن خصوص الاجناس الراتينجية التي لا تجدد الا من بذورها يلزم أن تترك حتى تأخذ نموًّا كافياً وتصير صالحة لما يُقصد منها ومتى أُريد استثمارها يعتمد على القص الافرادي فقط اي ان يترك بين كل مسافة واخرى اشجار كبيرة ليتجدّد الحرج بها طبيعيًّا (par ensemencement naturel) اذ تسقط بذورها في الارض فتفرّخ وتكون محمية من حرارة الشمس بواسطة امّهاتها . ولا بدّ لنموها من هذه الوقاية ومن مساعدة يد الانسان احياناً في المحلات التي تبقى خالية . اما الاجناس الاخرى التي تتجدَّد من جذورها ايضاً فمع الاعتماد على القص الافرادي الذي يجوز التوسع فيهِ يقتضي الاعتناء بطريقة القص حتى لا تتأذى الاصول وتبقى سالمة للإفراخ المقبل وذلك بان يصير القص مساوياً الارض او بعض سنتيمترات تحتها وان يبقى الحرج مصوناً من المواشي ومن الماعز خاصة الى ان ينمو النبت الجديد ويصبح ارتفاعهُ كافياً لوقايته من ضررها . وللحصول على ذلك مع عدم توقيف استغلال الغابات بل بالعكس مع توفيره يقسمونها اقساماً يصير استثمار قسمٍ منها كل سنة بنوع ان دور القص يعاد بعد مرور السنين المحددة لنتاج الشجر المكوَّن منهُ الحرج بحسب انواعه ومتطلباتهِ والاستعمال المعدّ لهُ . غير ان تنظيم القص هذا لا ينفي الاستثمار الجزئي من تشذيب الاغصان عند اللزوم . والتفريد وقطع اليابس والاشواك والانواع القليلة الاثمار

وفي احراجنا كما تقدّم اجناس كالخرنوب والبطم واللوز والغار والملّول تنبت اشجارها بذاتها في لبنان . ومن ميزاتها انها تنبت وتنمو في الاراضي القاحلة ولا تحتاج الى عناية خاصة فتجدها في اكثر نواحي الجبل وكانت سابقًا خصوصاً الخرنوب متوفرة الا انها تناقصت في السنين الاخيرة

(الخرنوب) هذا الشجر معروف من قديم الزمان في بلادنا وكان العبرانيون يستعملون ثمره لعلف الخنازير ويستخلصون منهُ الدبس ويتاجرون بهِ مع بلاد مصر ويرسلون اليها من حبوبهِ فيحمّصها المصريون ويشربونها كما نشرب القهوة . وقد جرّبها بعضهم مؤخراً فهيئوها على نسق تهيئة البنّ ولم يكادوا يميزون بين

طعمها وطعم البن. ومعلوم ان دبس الخرنوب مرغوب في ايامنا للاكل والطبخ التين ويدخل في عمل الحلواء وتستخلصهُ معاصر عديدة للحاجة المحلية او لارسالهِ الى سائر البلاد العثمانية ويعطي كل قنطار من الخرنوب من ٤٠ الى خمسين رطلاً حسب جنسهِ والجنس المعروف بالمقدسي يعطي اكثر من ذلك. هذا فضلاً عن ان خشب الخرنوب جيد مرغوب وقشره يستعمل للدباغة. وفي اوربا يستعملون الخرنوب في الصباغة ويعلفون بهِ المواشي ولهذا ترى الاقبال عليهِ في الاسواق الخارجية يزداد يوماً فيوماً وهذا مما يشوقنا الى وقايتهِ من التلف وتوفير اغراسهِ في احراجنا اذ يمكننا ان نحسبه من الاشجار الحرجية الكثيرة الفوائد ونعتمد عليهِ كركن لصناعة تربية المواشي

(البطم) اما البطم فهو ايضاً من اشجار بلادنا تجده بكثرة في احراج لبنان وكان اجدادنا يستخلصون من حبهِ (الترقش) الزيت فيدخلونهُ في طعامهم. وللبطم فائدة عظمى تستوجب ان نعيره مزيد التفاتنا عوضاً عن الاهمال الذي نحن فيهِ وهو انهُ يصلح لتطعيم الفستق فلا تخفى على احد منافع تجارة هذا الصنف وعلو اسعاره فلو تحوَّل الى فستق شجر البطم الموجود الآن في احراجنا لحصل الجبل منهُ على مكاسب تذكر

(اللوز) واللوز يمكن تطعيمهُ بانواع جيدة والانتفاع بثمره

(الغار) اما الغار فيستخرج من ثمره زيت عطريٌّ يستعمل في المصابن وله رواج ايضاً عند اصحاب الاجزاخانات

(الملول) اما الملول فما عدا منافعهُ المألوفة له فائدة لا تقلّ عن سواها اذ عندنا منهُ نوع يصلح ان يطعَّم كستنة وكثيراً ما استعمله في القرن الماضي لهذه الغاية اهالي الجزائر في افريقيا فنجحوا. ولنا صالح خصوصي لاستعماله هكذا لان اراضينا هي غالباً كلسية فلا تنجح فيها الكستنة

فبالانتباه لهذه الاجناس وصيانتها نحصل على ربح اعظم من نتاجها الحرجي المقتصر عليهِ بل انها تستحق ان يفرز لها قسمٌ من احراجنا

✻ منفعة الغابات ✻ ان الحصول على النتاج ليس هو السبب الوحيد الذي يدفعنا الى الاهتمام بالغابات بل هناك اسباب اخرى اكثر نفعاً سواء كان لصالح الجبل ذاته او لعموم بلاد سوريا اذ لا يخفى عِظَمُ منافع الغابات ان كان من جهة المناخ او تكوين الينابيع او نجاح الزراعة فقد بيَّنَ المسيو البزاي روكلو عمل النبات بالنسبة الى الرطوبة فانهُ بعد اخذه نصيبهُ من مياه المطر يساعد على نفوذ ما فضل عنهُ الى اعماق الارض. فاوراق الاشجار مثلاً تخفف وطأة سقوطهِ بان تصبهُ نقطة نقطة على الارض فتبتلّ بهِ وتتشرب به شيئاً فشيئاً ولولا ذلك لانحدرت هذه المياه وجرفت في مسيرها التربة واذا كانت التربة نباتية يبلغ الماء اعماقها لا سيما اذا كانت محروثة فينزل المطر شآبيب. ومن عادة التربة الزراعية المتركبة من بقايا النبات والحيوان ان تمتص كمية عظيمة من المياه لتغذي بها النبات. وليس احد يجهل تأثير الاحراج في رطوبة الهواء والمناخ وتحسين حالة الجبل كمركز اصطياف مع ما يحصل عن ذلك من الارباح المختلفة. فيجب علينا اذاً المبادرة الى صيانة هذه الاحراج بتنظيم استثمارها حسب نوعيتها فنتمكن حينئذٍ من الانتفاع من جناها دون ان نحرم الجبل

وسوريا من منافعها الجمّة · انّ مساحة الاراضي الحرجيّة في الجبل قبل الحرب كانت تعدّل ٢٥ بالمائة بنسبة مساحته وبينها قسم من غير ادنى فائدة لكن هذه المساحة نقصت فيما بعد · واذا استمرّ القصّ جاريًا كما هو الآن بدون اقلّ احتراس فنخشى جدًّا من ان ينتشر الدمار في غاباتنا وتزيد توسعًا البقع الصلعاء الخالية من التربة حيث لا يُشاهَد الاّ صخور جرداء تتخللها الاشواك والبلان فتنضب العيون والينابيع · وبالختام نقول ان غرس الاحراج في الاراضي المتحدرة والاراضي القاحلة يعدّ كخدمة وطنية بل كعمل خيري

٢ المزدرعات

كان سكان لبنان الاولون يستثمرون الغابات ويزرعون لمعاشهم بعض الاودية والسواحل · ولما زاد عددهم بعد دخول الرومانيين اقتضى الامر ان يوسعوا نطاق مزروعاتهم ليضمنوا اسباب معيشتهم · فيمكننا القول ان تعدّد السكان في الجبل وامتداد الزراعة وتقدمها كان في عهد الرومانيين فمن ذاك العهد ابتدأت آثار الزراعة وباشروا باستعمال ادواتها كما اُكتُشف عليها وكان الرومانيون يرغّبون المزارعين بغرس الكرم والزيتون يقودهم الى ذلك ما عرفوه من موافقة الارض لهذه المغروسات فأتت النتيجة محققة لآمالهم · واخذت الزراعة بالاتساع شيئًا فشيئًا ممتدة الى السهول منتفعة من اشغال الريّ التي احدثها الرومانيون اولئك البناؤون الجبابرة · وتتابع هذا التقدم مقرونًا بازدياد عدد السكان بالغًا اوج الكمال في النصف الثاني من القرن الماضي · ولا عجب من ذلك مع ما نعرفهُ من حسن موقع جبلنا وهو كما كتب ڤولنه يحوي ضمن حدود ضيقة مناطق مختلفة لا توجد في غيرها من البلاد الا متفرّقةً على مساحة واسعة وذلك نتيجة ارتفاعه المتسلسل فوق سطح البحر فهو جامع للاقاليم الحارّة والمعتدلة والباردة وتنمو فيهِ زاكيةً النباتات المختصّة بهذه الاقاليم المتباينة كما اتضح من قائمة بعض النبات المتألفة منهُ غاباتنا · وسنرى ان النبات الزرعي لا يقل عن ذلك تنوُّعًا · وهذا كما لا يخفى من اكبر التوفيق الذي انعم علينا بهِ الباريُ تعالى فانّ تعدُّد وتنوُّع اجناس النبات يجدي الزارع نفعًا عظيماً يستغني بهِ عن كثير من محصولات البلاد الاجنبيّة من مزورعات واشجار مثمرة واخشاب وفي كل ذلك ايرادات لا يستهان بها اذ انها تفتح ابواب الرزق وتوفر اسباب الغنى · ولكن مهما كان الامر فلا بدّ من الاعتراف بان مواطننا بلاد جبليّة تقضي بان يُعطى فيها المقام الاول للاحراج والمشجرات فعلينا بصيانتها وتنظيم استثمارها وتوفير غرسها فنحصل على منافع جمّة يمكن ان نجنيها منها رأسًا او بتحويلها وذلك لا يغنينا عن الانصباب على الزراعة وتفرعاتها لتأمين معيشتنا فوجب ان نعيرها اشد اهتمام · ان اكبر شاغل للبنانيين هو الزراعة وكانت محدودة سابقًا فوسعوها تدريجًا وتمكنوا بجدّهم ومثابرتهم على العمل ان يغيّروا حالة جبلهم فاكسبوا الزراعة قسماً من مشارفهِ وتوصلوا الى آكامهِ فنقبوا الارض وحملوا التراب الى المحلات التي جرفتها السيول وكوّنوا فيها مزدرعات خصبة وما اقتصروا على ذلك بل تعرضوا بكدّهم للصخور واقتلعوها بالالغوم واستبدلوها بمسطحات (حفافي) ملأوها اتربة جيدة التقطوها من حواليهم · واذا القيت نظرك على الجبل رأيت جانبًا منهُ تشغله الغابات وجانبًا مكونًا من وعور جرداء نتيجة قطع الاحراج المتتابع بشدة من غير

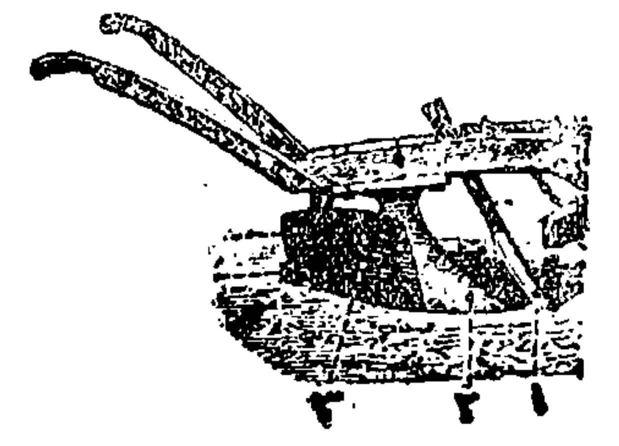
تعويض وجانباً آخر مكسوّاً بالشجرات المنتصبة على سطوح صناعية . فمن البديهي ان اللبناني لم يغفل عن زراعة سهول الساحل المتكوّنة من جرف الانهار والبحر معاً فاقام فيها بساتين وجنائن اكثر فيها من زرع الاشجار المثمرة والبقول ونشّطهُ على ذلك تحسين وسائط النقل بفضل امتداد طرق العربات بحيث تيسر لهُ نقل محصولاته الى المدن والمراكز الجامعة مع زيادة مقطوعية هذه المحلات . ولا بدّ لنا ان نذكر هنا انّ اجدادنا انتبهوا قبلنا الى منفعة استثمار هذه السهول . فضواحي طرابلس وجبيل وصيداء كانت عامرة بالبساتين والجنائن منذ القرن العاشر يزرعون فيها اجناس الليمون وقصب السكر والموز والنخيل الخ والخضر المختلفة كما ذكر الرحالة نصري خسرو

❊ منفعة المياه للمزدرعات ❊ انّ الذي يسّر للبناني توسيع المزروعات في الجبل هو حصوله على المياه اللازمة تمدّهُ بها نواعير عديدة انشأها وصرف عليها مبالغ . فهذه المزروعات المسقية تعطيه ارباحاً وافرة واحسن باب للارتزاق هو توسيع مناطق الريّ لان له شأناً عظيماً في نموّ النباتات خصوصاً في البلاد الحارّة . وتعليل ذلك هو ان الجذور وان كانت قويّة الامتصاص من الارض فليست قوتها كافية لامتصاص كل المواد التي تتغذى النبات بل يساعدها على ذلك الماء فالماء اذا كان منتظماً كافياً يحلل دائماً المواد القابلة التحليل الموجودة في الارض واللازمة لجذور النباتات ويقرّبها اليها . وللماء مفعول آخر وهو انهُ يخفف وطأة الحرارة الزائدة ويقي من ضررها . ولهُ سوى ذلك منفعة خصوصية تتأتى من تركيبه الكيموي . فان للماء قوة على تحليل الجوامد والغازات ولهذا لا نجد الماء صرفاً في الطبيعة بل يحتوي على مواد محللة فيه ومواد محمولة به . فالمواد المحللة فيه منها غازات يمتصها من الهواء ومنها املاح معدنية يأخذها في مسيره . فالغازات هي الحامض الكربونيك والاكسجين والامونياك . والمواد المعدنيّة هي املاح الكلس والصوداء والبوتاس ومركبات الفوصفور الخ . وعلى هذه العناصر يتوقّف اكثر نموّ النبات . ويزيد مياهنا نفعاً املاح نيترات البوتاسا التي يكتسبها بمروره على الصخور الكلسية المركّب منها جبلنا والتي بامتزاجها مع الارض الصلصالية الكثيرة الوجود في سواحلنا تجعلها من اجود الاراضي الزراعية . وعدا عن هذه المواد المحلّلة يحتوي الماء ايضاً على مواد أُخر يحملها بل يجرفها من الاراضي التي يمرّ فيها كما بيّنّا سابقاً . فاذا استفدنا من مياه ينابيعنا وانهرنا نضمن لمزروعاتنا منافع الريّ بكلفٍ طفيفة . ولهذا ما كان اعظم سرورنا لما رأينا في السنين الاخيرة افكار المتنورين من مواطنينا متجهة الى هذا الموضوع كاهتمامهم بمشاريع نهر ابراهيم ونبع العسل وعين الدلبة والباروك ونتمنّى ان تأخذ هذه المشاريع دوراً مهماً وتخرج من القول الى الفعل

❊ الآلات الزراعيّة ❊ ان تربة الجبل هي عموماً خصبة وان كانت في بعض المحلاّت قليلة العمق ويعيرها اللبناني كل اهتمامه ويشتغلها بكدّ وثبات . لكنهُ لو استعمل الآلات المستحدثة او لو كان اشدّ حرصاً على تحسين عاداته السابقة لكان يحصل باقلّ عناء على منافع اوفر . فلا ننكر ان الزراعة لم تزل عموماً في حالة متأخرة : هاك محراثنا فانهُ هو المحراث الذي كان يستعمل في بلادنا منذ ثلاثة آلاف سنة يفتح اثلاماً خفيفة بشق الارض فقط دون ان يقلبها لانّ الزرع لا ينبت سريعاً ولا ينمو بسهولة الاّ بتواتر حرث الارض

وقلبها وبذلك تكون جواهرها معرضة للتأثيرات الجوية فيدخل فيها مقدار زائد يتحوَّل الى تغذية النبات بواسطة الماء فينبغي اذاً ان تُعتبر كل حرثةٍ كسماد بتعريضها الارض لمآثر الجوّية فيلزم ان تحرث الارض حرثاً جيداً ويكرَّر حرثها ما امكن ذلك مع ترك الارض بعد كل حرثة مدَّةً من الزمن حتى تؤثر فيها الاشعة الشمسيَّة تأثيراً تنتج عنهُ الفائدة الكيمويَّة الطبيعيَّة التي ذكرناها

وكما انَّ الحرث هو ضروري للمزروعات فكذلك العزق لتنقية الارض من الحشائش والاعشاب المضرَّة· ولم تفت زرَّاعي بلادنا منفعة تكثير الحرث وقد شاع عندهم المثل السائر: كل سكَّة لها غلة· وليس مرادي هنا تحديد عدد تكرير الحراثة ولا مقدار عمقها فذلك يختلف حسب طبيعة التربة ونوعيَّة الزرع · ولا اطلب من زرَّاعينا المغالاة في الفلاحة مع ما تقتضيهِ من الآلات والاساليب المستحدثة المتممة لكن يمكنهم دائماً اتخاذ سكَّة احدث من السكَّة المستعملة الآن وتكون ذات قلاَّب يرفع الارض ويقلبها ظهراً لبطن · انظر الصورة



صورة الحراث (Araire)

١ً) المقطع او السيخ (Coutre ou Couteau) يشق الارض عمودياً ٢ً) السكَّة او السنَّة (Soc) تشق الارض افقياً وترفعها ٣ً) المقلب (Versoir ou Oreille) يقلب التراب الذي شقَّهُ المقطع ورفعتهُ السكَّة

ومما يوفر عليهم مزيد العناء وضياع الوقت استخدامهم الصفائح المسننة (Herse) لعزق الارض وتفتيتها ولطمر البذار· ويمكنهم ايضاً استعمال آلة اخرى المحالة (المحدلة) لترصيص الارض وصقلها· فتصبح التربة هكذا اكثر قابلية لحفظ الرطوبة· ويمكنهم ايضاً انتقاء البذور · معلوم ان النباتات مثل الحيوانات تتوارث الصفات من اصولها طيبةً كانت او رديئة فعلى ارباب الزراعة ان يعتنوا بانتقاء البذور والاجناس التي يزرعونها· ويلزم تنسيق المزدرعات فان زراعة جنس واحد مع استمراره في ارض واحدة توجب نضب الحاصلات ووهنها

❊ السماد: خواصهُ وانواعهُ ❊ ثم يمكنهم ان يحسنوا استعمال السماد· وكل يعلم ان الارض تضعف من تعاقب المزروعات عليها ولا تُردّ اليها قواها الاَّ بالسماد· فالحامض الكربونيك والنشادر هما جوهران لازمان لخصوبة الارض ويكثر وجودهما في جوّ المناطق الحارَّة وتستمدهما الارض من مياه الامطار (والمطر في بلادنا كافٍ وافٍ) ومن الندى ومن مياه الريّ حيثما تيسر ذلك كما بيناه اعلاه · وكذلك النباتات تمتص شيئًا عظيماً منهما بسوقها ومسامّ اوراقها فضلاً عن ان بعض النباتات كالقطاني او القرنيات مثل الباقلاَّ والفول واللوبياء الخ تمتص النيتروجين من الهواء بواسطة ما يعلق على جذورها من دقائق النباتات الفطريَّة ولهذا فانَّ تنسيق المزدرعات وتعاقب زرع القطاني مع زرع الحبوب يزيد الارض خصباً اذ لا يخفى ان النيتروجين من ألزم مواد السماد حتى انَّ قيمتهُ تقدَّر بمقدار ما فيهِ من النيتروجين· اما السيليكات والبوتاسا والفوسفات

فيوجد منها في جميع فضلات الطيور والرماد وعظام الحيوانات. ثمّ انّ زبل الحيوانات عموماً جامع كل هذه المواد وتكون جودتهُ اكثر او اقل حسب طريقة حفظهِ وكيفية استعماله. ومن الاصول التي لا نزاع فيها عند علماء الزراعة ان خصب الارض انما هو بجودة السماد وليس بكثرتهِ او بقلّتهِ وان جميع النباتات تزهو وتخصب عند ما تجد مواد كيموية تتركب منها عناصرها. فنظراً لقلة المواشي في الجبل وعدم امكان الحصول فيهِ على الكميّات الكافية من السماد علينا ان نجتهد بالحصول على اوفر ما يمكن منهُ مع توفير نفقاتهِ ولهذا وجب علينا ان لا نتلف المواد التي تحتوي على العناصر المسمّدة ايًّا كانت كالاعشاب التي تقلع من الارض وورق الاشجار المتساقط واصول الخضر والرماد وكناسة الطرقات وفضلات البيوت ودم المجازر والعظام والقاذورات والبول فيتركب عن هذه النفايات مختمر. ولا بدّ لذلك من حفرة تُجمع فيها النفايات فتوقى من حرارة الشمس وتسقى حيناً بعد حين ويضاف اليها شيءٌ من الجير الحيّ فتختمر اجزاؤها وبذلك يحصل في بضعة شهور على مقدار وافر من السماد الجيد المحتوي على المواد المخصبة التي ذكرناها. ولم تفت زرّاعينا فائدة السماد المختمر ولو جهلوا سببها فتراهم يفضلون الزبل «النكوب» المختمر نوعاً على الزبل «الفرفور» الفاقد قسماً من موادهِ بتعرضهِ لحرارة الشمس. وحيث أَلمعنا اعلاه الى استعمال العظام فيناسب ان نحوّل انظار زرّاعينا اليها لان العظام من انفع ما تُدمن بهِ الارض ويمكن الحصول عليها بكثرة ولها في البلاد الاخرى مطاحن يطحنونها بها وينتفعون من دقيقها لدمن الارض. وانواع استعمالها مختلفة: فاما ان يخمروها كما سبق او ان يضعوها في براميل ويوضع معها شيءٌ من رماد الحطب بحيث تكون منضّدة طبقة من العظام وطبقة من الرماد ثم طبقة من العظام ثم من الرماد وهلمّ جرًّا ويصبّ عليها قليل من الماء كل مدة لكي تبقى رطبة. فلا يمضي وقت طويل حتى يتخللها الفساد فيحلّلها ويفتتها. ومنهم من يطمرونها بحفر تصنع بجانب الاشجار. انما فائدة هذه العظام الغير المكسرة لا تظهر سريعاً لكنها تدوم سنين عديدة. ومنهم من يسحقونها في المزارع ذاتها (وكل بيت يحتوي على محدلة يمكن استعمالها لهذه الغاية) وتُدمن بكسرها الاشجار والبقول والحبوب على انواعها وهكذا تكون منفعتها قريبة. ويكفي منها القليل لئلاّ تضرّ بالنبات

ويمكن الزرّاع ان يختاروا خصوصاً الاساليب المستحدثة في مزروعاتهم الصناعيّة ليجنوا منها حاصلات اجود واوفر. فباتخاذ هذه الوسائط المستجدّة مع ما يأتيه من زيادة الارباح الناتجة عن توسيع انشاآت الريّ حيثما امكن ذلك ومن التسهيلات والتوفيرات في النقل بامتداد طرق المواصلات يحسن اللبناني حالتهُ. ولا بد له لتأمين معيشتهِ من الاهتمام بالزراعة والعدول عن الطرق القديمة واستبدالها بالمستحدثة. قد عدّلوا ان محصول لبنان من الاغلال لا يكاد يفي بمؤونة الجبل ثلاثة او اربعة اشهر في السنين الجيّدة فبتحسين اللبناني مزروعاتهِ ان لم يمكنهُ سدّ عوزه يضمن لنفسهِ على الاقل مدّة اطول لتأمين معاشهِ

ان الطبيعة ما بخلت عليهِ بانعاماتها فعليهِ ان يساعدها. ويمكنهُ ايضاً متى اعتنى باستخدام المياه التي يفيضها عليهِ جبله ان يدخل بعض المزروعات الاجنبيّة فتزيد ارباحه

﴿ المحصولات الزراعيّة ﴾ اهم المحصولات الزراعية هي الحبوب والقطاني والبقول والخضر والاشجار

المثمرة والزراعات الصناعيّة وغيرها من النباتات والاشجار

ونظراً لعدم وجود معلومات رسميّة يصعب علينا معرفة المساحات التي يشغلها كل من هذه المزروعات سواء كانت مزروعات المعيشة او خلافها. كما اننا نجهل كميّة الحبوب المختلفة التي تدخل لبنان من الخارج لتكملة احتياجاته الغذائية لان قسماً منها يستمده من مرافئ بيروت وطرابلس وصيداء وتجدها مقيدة مع واردات هذه المدن الخصوصية وقسم يدخل من البرّ على الدواب من الولايات المجاورة ومن البقاع وحوران خصوصاً. لكنهُ يستورد اعظم كميّة عن طريق البترون وجبيل وجونيه بواسطة الشختاتير و يدخل الى هذه البلدة سنوياً مليون كيلة و يعدلون ما يرد الى الجبل عن باقي الطرقات (البترون وجبيل وطرابلس الخ) بضعفي هذه الكمية ومعظم هذه الداخلات من القمح والشعير والقطاني

١ الحبوب والقطاني

✻ الحبوب ✻ ان الحبوب التي تزرع في لبنان هي : الحنطة والشعير والذرة والذرة البيضاء : اما القطاني فهيَ العدس والحمص واللوبياء والفول والباقية والكرسنّة والحُلبة والترمس والماش

وقبل الكلام عن كل صنف منها يلزم تعريف المساحات والمكاييل المصطلح عليها فاوّلها الدونم وهو يساوي ١٦٠٠ ذراع مربع ثمَّ الفدّان والمفهوم بهِ ما يزرعهُ الفلاح سنوياً من صيفي وشتوي. والمكاييل الدارجة هي المدّ وتقسيماته ويساوي المدّ الجبلي سبعة ارطال

(الحنطة) منتشرة زراعتها في عموم الجبل وهي اهم مزروعاتهِ الغذائية و يعدلون مقطوعية اللبناني السنوية منها بثمانين رطل فضلاً عما يدخلهُ في طعامهِ من البرغل وملحقاتهِ اي الكبة والكشك ومن الفريكة والسميذ. والقسم الاعظم من هذه المقطوعية يستورده من حيفا وعكا ومرسين واحياناً من اضاليا وسلفكي وصور وغزة. وعند ما تكون اسعار حوران وحلب وحمص وحماة اوطأ يستجلب معظم حاجتهِ من هذه الجهات. و يرغب اللبناني الحب القاسي الاحمر الاكثر امتداداً في عجينهِ لان خبزهُ عادةً مرقوق ولذلك يفضل مشترى الحب القاسي ولو باسعار اعلى ومنذ أُبتدئ باستبدال المرقوق بال«كماجي» ازداد الاقبال على حبوب الداخلية الجيدة وصار يستورد منها حتى من اورفا وسروج وبره جك. و يبذر الزرّاعون من القمح مدّاً تقريباً في الدونم اما اذا اعتبرنا الفدّان فتقارب محصولاته في الاراضي الجبلية من ١٥ الى ٢٠ مدّاً وفي الساحل ٢٠ مدّاً ومعدل محصول المدّ من ٥ الى ٧ بالواحد وهذا قليل بالنسبة لما يمكن الحصول عليهِ. وفي الخارج اجمالاً يستغلون ضعف هذا المحصول واكثر. اما في الجرود فيررون الارض قبل الزرع و يذرّون البذار بكيراً في اواخر آب – ايلول ويسمون كيفية الزرع هذه « رَبْصاً » والغاية من ذلك ان تتمكن الجذور من قوّتها قبل ان يداهمها الجليد ويخترقها فاذا سقط بعده الثلج وكسا الارض يحرق الاصل كما يقولون لكنهُ لا يمنع نموّ النبات. ونظراً لعناية مزارعي الجرود لحقولهم اذ يعزقونها عزقاً جيداً ويسرّحون الماعز فيها في فصل الصيف فيغل المد الواحد من عشرة الى اثني عشر مداً واحياناً خمسة عشر مداً

ولا بد هنا من الالحاح في انتقاء البذار وتأصيله سواء كان بذار القمح او الحبوب او خلافهُ لان جودة الغلة تتوقف غالبًا على جودة البذار فقد ارشدتنا الامتحانات الكثيرة التي جرّبت في هذا الموضوع مدة سنين عديدة الى الامور الآتية : ان في كل نبت بالغ من القمح سنبلة اخصب مما يجاورها من سنابل ذلك النبت وفي كل نبتة حبة اخصب من سواها · فاخصب حبة في كل نبت تكون في اجود سنبلة منهُ وخصب هذه الحبة ينتقل بالارث الى السنابل التي تخرج منها فتكرار الانتقاء يثبت الجودة في ذلك الحب فيصير نوعًا من الحبوب الخصيبة · فعلى الزراعين ان يمتحنوا انواع البذر المعروفة عندنا ويؤصّلوها ويتقنوا زراعتها ويجعلوا درّ البذار مرتبًا بحيث يكون البعد بين الحبوب متساويًا فيضاعفون هكذا محصولهم · والحبّ القاسي الاحمر الذي يزرع في بلادنا مرغوب في الاسواق الخارجية في ايطاليا خصوصًا لشدة « حيلهِ » اذ يستعملونهُ في معامل المعجونات الغذائية كالمعكروني والكعك وخلافه والطلب يزداد عليهِ يومًا عن يوم وتصدّر منهُ مرافئنا كميات وافرة · فالاولى ان نتقن زراعتهُ ونحسنهُ وننتفع نحن بمحصاليه الثانوية بتحضيرها في بلادنا حيث يدخل منها في غذائنا مبلغ ليس بيسير

(الشعير) ان ارضنا الكلسية توافقهُ لكنهُ يتطلّب لتمو جيداً تربةً كثيرة النعومة · وفي المثل الافرنجي « ليس افضل من التراب لنمو الشعير وزكائهِ » وهو من المزروعات التي توجب اعتناءنا لكثرة عازتنا اليها لان الشعير في الشرق هو اساس علف الدواب يبذرونه بمقدار ثلاث ربعيات او مدّ في الدونم اما زمان زرعه فيقدمونهُ على اوائل شباط او يؤخرونهُ الى غرّتهِ ويغلّ ٦ الى ٧ في الواحد لكنّ ما يؤخّر زمن بذارهِ تزيد غلتهُ وتبلغ ٨ الى عشرة وفي بعض الاحايين الخمسة عشر في الواحد والسبب في ذلك ان الارض تكون حصلت على حراثة ثانية · اما خارجًا عن لبنان فمعدّل غلته الاعتيادية خمسة عشر في الواحد

(الذرة) هي من المزروعات الكثيرة النفع فتارةً يأكلونها مشوية او مسلوقة قبل تمام نضجها وتارةً يمزجونها مع طحين القمح · وكثيراً ما يتخذون خارج لبنان الذرة لعلف المواشي وتكون ايضًا سوقها وورقها قوتًا لها ويندر ان يوجد نبات اخصب من الذرة · ان كمية بذارها هي اقل كثيراً من الكمية المستعملة لباقي الحبوب في المساحة ذاتها · وتختلف غلة الذرة اختلافًا عظيماً فتبلغ من ٤٠ الى ٥٠ في الواحد وفي اراضي السقي من ٨٠ الى ١٠٠ ولا تزرع عادة في لبنان الآ في الجرود في اراضي السقي فيبذرونها من ١٥ نيسان وصاعداً لتكون بمأمن من الجليد

يوجد نوع من الذرة اصلهُ من الهند الصينية أُدخل من بضع سنوات الى فرنسا وهم يبنون عليهِ آمالاً عظيمة كعلف للحيوانات فلون حب هذه الذرة احمر فاتح وتبلغ سوقها اربعة امتار ونصف وتقبل الخيل والبقر على اكلها اقبالاً عظيماً · انما الامتحانات التي اجروها هنالك لم تعطِ بذراً فينسبون عدم نجاحها الى شدة البرد وقلة ريها ولعلنا لو حصلنا على بذار منها فجرّبناها وزرعناها في اراضي السقي ببلادنا لأتت بالفائدة المرغوبة

(الذرة البيضاء) كانوا يزرعونها كثيراً لكن مع رخص القمح وفتح اميركا أُستغني عنها وبطلت زراعتها ولا تجدها الآن في لبنان الاَّ في سواحل قضاء الكورة (شكا · حامات · الهري · انفه الخ) · اما كيفية

زرعها فمثل الذرة الصفراء تقريباً

(الرزّين) زراعة هذا النبات مثل الصنف السابق ذكره وهي قليلة الانتشار في لبنان. يزرعون الرزّين في نواحي البقاع خاصة ويتخذونهُ لعمل المكانس اما حبهُ فيأكلونهُ وهو مستعمل عادةً لعلف الطيور واذا أُخذ الرزّين اخضر عُدَّ من اطايب العلف للمواشي

❊ القطانيّ ❊ ان زراعة هذه القطاني قليلة في الجبل يزرعون منها خصوصاً العدس والحمص وتزرع اللوبيا والفاصوليا والحمص والفول والترمس في الوسوط والجرود لاستثمار حبها وفي السواحل لتؤكل خضراء واحسن اجناس الفاصوليا في الجبل هو فاصوليا العاقورة الحمراء وفاصوليا حمانا البيضاء يزرعونهما في ارض السقي ويزرعون الحمص والفول في الوسوط والسواحل في الاراضي البعلية اما الباقية فاكثر زرعها في لبنان لتكون وهي خضراء علفاً للخيل والبقر. وتزرع الكرسنّة لاستثمار حبها وكذلك الماش وهو نادر الوجود. ويغلّ المدّ من القطاني من ١٠ الى ١٢ في الواحد

٢ البقول والخضر

تنمو في لبنان كل بقول الاقاليم الباردة والمعتدلة والحارة. وقد سبق الكلام عن القطاني بمناسبة غلّة حبها. اما باقي المزروعات الخضراء فهي : الباذنجان والبندورة والملفوف وهو كثير الوجود في عموم الجبل والقرنبيط والبصل واكثر ما يزرع في شمالي لبنان وفي الشوف فيؤكل اخضر او يُيبس فيحفظ للمؤنة . والثوم وهو اقل زرعاً والخيار والقثّاء يكثرون من زرعها خصوصاً في الكورة وبلاد جبيل وفي الشطوط البحريّة عموماً ثم الكوسا والقرع واليقطين وكلها شائعة ويكثرون من زرع اليقطين لاستحضار الحلويات منها الحلوى الجزرية والبطيخ والبطيخ الاصفر (قليل) والبامية (تجدها خاصةً في السواحل البحرية وزراعتها بازدياد) ويا حبذا لو جروا على مألوف عادة اهالي جزائر اليونان حيث يكبسونها بماء الملح ويحفظونها لايام الشتاء فتؤكل كانها خضراء . ثم الفجل والشمندور (وهو قليل) والجزر ويعمل منهُ الحلوى الجزرية. واللفت والكرنب (يزرعان خصوصاً في ضواحي زحلة) والقلقاس (في وطأ نهر الكلب) والخس (عمومي) والكرفس والسلق والملوخية (زراعتها تزداد) وكانت تطبخ سابقاً يابسة اما في السنين الاخيرة فأخذوا يطبخونها خضراء على الطريقة المصرية وتسمّى « عائمة » . وأُدخل في مزروعاتنا النباتات الآتية التي كانوا يجنونها سابقاً خارجاً عن البساتين : الحمّيضة . الخرشوف . الهندباء . الخبّازي . النعنع . الكزبرة الخضراء . البقدونس . الهليون . القرّة . الرشاد . الروكا

(البطاطا) وبين الخضر المزروعة البطاطا . فمنذ ٥٠ الى ٦٠ سنة كانت زراعتها محدودة في لبنان فترسَل الى المدن الساحلية وتباع للاجانب لقلّة اقبال الوطنيين عليها في طعامهم لكن فيما بعد اخذت زراعتها تتقدم وتوسعت كثيراً في السنين الاخيرة وبعد ما كانت تزرع خصوصاً في الجرود في الاراضي المسقية كاهدن وضواحيها وتنورين وفاريًا والمزرعة وميروبا صرت تجدها الآن في محلات عديدة لازدياد اقبال

الاهالي على مشتراها · والبطاطا معدَّة لان تنظَّم في سلك افضل المزروعات اللبنانيَّة اذا ما اتسعت اعمال الري وذلك لحسن مداخيلها ويمكن الحصول على غلة اوفر وافضل جنساً منها اذا اتقنت طرق زراعتها وصار الاهتمام بانتقاء بذورها · ولا بدَّ في هذا الصدد من توصية الزراعين ان لا يستعملوا للبذار رؤُوساً صحيحة بل قطعاً ويختاروا لذلك اجود الرؤوس فيقطعونها قطعاً كبيرة اثنتين او ثلاثاً او اربعاً حسب حجم الرأس فتكون هكذا اكثر فائدة واغزر عائدة

(البطاطا الحلوة) أُدخلت زراعتها في ديارنا منذ عشرين سنة تقريباً لكنَّها لم تستلفت انظار ارباب الزراعة الا في الآونة الاخيرة فانصبُّوا على زراعتها خصوصاً في السواحل · وكيفية زراعتها مثل البطاطا غير انها تبقى في الارض طول الخريف والشتاء وتقلع عند الحاجة اليها ويمكن جنيهـا تباعاً منذ آب الى ايلول لكن الرؤُوس الصغيرة تبقى في الارض حتى تكبر وتصير صالحة للطعام · فانهم يكثرون من هذا الصنف اذ يطمرون في الارض قطعاً من الساق مع بقاء عقدتين او ثلاث فوق الارض · وهذا النبات مثل البطاطا ايضاً يستلزم تعشيب الارض وتنظيفها جيداً فيعطي غلة وافرة والبعض من رؤوسهِ يبلغ حجماً كبيراً يتجاوز وزنهُ بضعة كيلوغرامات · ومستقبل زراعة هذا الصنف واسع في بلادنا وذلك لعدَّة اسباب اولاً انه لا يحتاج لمزيد عناية · ثانياً لانهُ يأتي اصحابه بثمر لذيذ الطعم عندما يحسنون تجهيزهُ وهو يؤْكل مشوياً او مسلوقاً او مطبوخاً بانواع شتى · وهو ايضاً من العلف المشكور للبهائم ذات القرون وللخيل وهذه الغاية هي المقصودة خاصة من زرعه في البلاد الاجنبية · واخيراً يمكن استقطار الكحول منه فاذا اردنا تنمية المواشي في بلادنا وجب علينا الاكثار من زرع هذه الجذور وما شاكلها

٣ الاشجار المثمرة

ان هذه الاشجار هي منتشرة في عموم انحاء الجبل وقد اخذ غرسها يزيد عاماً فعاماً خصوصاً في السواحل ولا يزال المجال واسعاً جدًّا للاكثار من زرعها ولا سيما من زرع ما لا يتلف اذا لم يبع في حينه او ما يمكن نقله دون ان يعطل · ويجب التكثير من الفاكهة خصوصاً قرب المدن لكثرة الإقبال عليها وسهولة النقل · ان في سواحلنا البحرية يجد زراعونا الماء اينما حفروا فاذا تابعوا انشاء البساتين والجنائن واستخرجوا المياه من الارض واصعدوها بواسطة النواعير او بآلات اخرى بخارية اذا لم يتيسر جرّها من ينابيعها نالوا ما شاءُوا من وفرة ثمارها فضلاً عن محاصيل البقول وباقي المزروعات

ان اهم انواع الاشجار المثمرة في لبنان هي : التين والليمون والتفاح والاجاص والمشمش والخوخ والقراصيا والدراق والكرز والجرنك والسفرجل والايكيدنيا والرمان ويزرعون ايضاً القشطة والعناب والزعرور واللوز والجوز والتوت الاحمر او التوت الشامي والفستق والبندق والنخيل

(التين) كثير في لبنان في جميع انحائهِ فيوجد منهُ في الوسوط · ومن اجناسهِ المختلفة البياضي والبقراطي والعبيدسي والجمالي والشتوي (العرقوب والمتن وبلاد جبيل والبترون) اما في الجرود فنادر ويزرع خاصة

التين الاسود . واللبنانيون يكثرون من اكل التين سواء كان رطباً او مجففاً او مطبوخاً بالدبس او بالعسل او بدبسه (تين مطبوخ) ويرسلون منهُ الى خارج الجبل والتين اليابس المشهور بجودتهِ هو تين بلاد جبيل (التين العمشيتي) مشرَّح او مطبَّع وتين مجدل المعوش في الشوف (المطبع) ويقدَّر محصول الشجرة السنوي بريال مجيدي ومعدل المحصول الناشف على حسب جنس الثمر فيعطي الرطل من ٤ الى ٥ اواق . وحيث ان تربتنا ومناخنا يناسبان كل المناسبة هذه الشجرة وجب علينا المحافظة عليها وانتقاء انواعها وتحسينها وتكثير زرعها وزيادة الاعتناء في تهيئة محصولها الناشف فتعطينا حينئذٍ غلة جيدة اذ لا يخفى ان اسعار هذا الصنف هي غالية في اوربا و يبلغ ثمن الـ ١٠٠ كيلو من التين الازمرلي الجيد مائة فرنك وتعدَّل صادراتهُ السنويَّة باربعة او خمسة ملايين فرنك بينما محصولاته التي تصدر من شواطئنا يستعمل اغلبها في الخارج لاستقطار الكحول

(الليمون) ليمون البرتقال وليمون الماندارين او يوسف افندي والليمون الحلو والليمون الحامض وليمون ابو صفير . هي الفاكهة التي اتسعت زراعتها اكثر من غيرها في السنين الاخيرة وكان ابتداء اتساعها في اواسط القرن الماضي من حين امتداد شهرة ليمون يافا في البلاد الاجنبية ورواج سوقها فاخذ كل يغرس قسماً من جنينتهِ ليموناً فضلاً عن بساتين الليمون العديدة التي قامت في كل صوب وناحية والحق يقال ان الملاكين اعاروا مزروعاتهم من الليمون عناية خاصة ان كان من جهة التسميد او الفلاحة او ترتيب السقي . ويسمون في يافا بستان الليمون « بيَّارة » وفي شواطئ لبنان « ناعورة » وذلك لان المصطلح عليهِ لسحب الماء هو الناعورة ويوجد منها في كل جنينة واحدة فاكثر . وفي سواحل لبنان اخذت زراعة الليمون بازدياد متواصل منذ عشرين سنة فاصبحت ممتدة الآن على طول الشاطئ بين بيروت وصيداء حيث تحوَّلت الرمال الى جنائن وفي شواطئ كسروان في جونية وضواحيها ونهر ابراهيم

ويحصل البرتقال بتطعيم انواع فصائله بعضها ببعض ولذلك تنوَّع الليمون الى اصناف كثيرة تختلف عصارتها وفرةً وطعماً وغالباً يطعّمون البرتقال على الليمون المسمى « ابو صفير » ومنهُ جنس اصلي يسمى البرتقال المالطي وهو حاصل بذاتهِ اي من غير تطعيم فاذا زرع بزره نما منهُ برتقال بخلاف بزر البرتقال الذي اصلهُ « ابو صفير » مطعم او ليمون حلو فانهُ اذا زرع يعود الى جنس ابي صفير

ويطعم الماندارين على الليمون الحلو ويحصل البعض على نوع كبير منه فيقولون « كبر حجمه لكنهُ فقد رائحتهُ الزكية » ولتدارك ذلك يلزم تطعيمه زمناً فزمناً والاَّ تغيرت ثماره . وانواع البرتقال عديدة تختلف في حجمها ولذة طعمها منها الشموطي والبزري والماوردي واشهرها برتقال صيداء ويافا وطرابلس وليمون صيداء يمتاز بكثره مائيته وطيب طعمه ورقَّة قشرته وكذلك ليمون ساحل علما في لبنان المعروف بالـ « بزري » الا ان برتقال يافا الذي يدخل في حكم « الشموطي » هو اروج سوقاً في البلاد الاجنبيَّة خصوصاً عند الانكليز والسبب ان ثمر يافا اغلظ قشرة فيحفظ جيداً ثلاثة اشهر او اكثر اذا أُحكم إِعداده لاصداره الى الخارج فيبلغ انكلترا وهو على احسن حالة فضلاً عن انهُ يحتوي على اصناف كبيرة الحجم تروق للناظر .

ويعدّلون ما يرد الى بلاد الانكليز من البلدان المختلفة ٢٠٠ مليون برتقالة كل عام. وقد اصبحت غلة الليمون عظيمة في سوريا عموماً وتدرّ عليها مالاً وافراً ويتنعم السوريون باكل البرتقال ستة اشهر وازيد من كانون الاول الى آخر ايار وما لنا الا ان نزيد توسيع زراعة الليمون في شواطئ لبنان لكن يجب ان نتحاشى استخدام نوع الليمون الصيداوي وحده ذي القشرة الرقيقة بل نجتهد بغرس النوع اليافاوي ايضاً ذي القشرة الغليظة فهكذا يتصرّف النوع الاول في ارضهِ وفي البلاد المجاورة التي يمكن ان تقرّب اليها وسائط النقل السريعة وما بقي يصرَّف في سائر البلدان

(التفّاح والاجاص) ان في زراعتهما فائدة كبرى وهذه الاشجار متينة تقوى على تغييرات الجوّ وعلى تغيير التربة وتوجد في نواحي الجبل المختلفة من سواحل ووسوط وجرود واثمارها مجنسة للغاية اما الاجناس المشهورة في جودتها بين الاجاص فهي اجناس بكفيا وريفون والعربانية (الاجاص السكري). وبين التفاح اجناس زغرتا واهدن وبشرّاي وميروبا وجرود الفتوح وعين موفّق وبكفيا. وفي اهدن نوع فضلاً عن جودتهِ يحفظ طويلاً بحالة حسنة ولعله استحضر من الخارج. ويغرس التفاح والاجاص بعلاً في الجبل لكن نطاق زراعتهما خصوصاً الاجاص كان محدوداً انما اخذ بالاتساع في جنائن وبساتين الساحل ويطعَّم التفاح على انواع من جنسه والافضل تطعيمه على تفاح خالص اي ناتج من بزره اما الاجاص فيطعم على اجاص برّي او على سفرجل ويكون الاول اكثر قوة لكنهُ يتأخر حتى يثمر بعكس الثاني فانهُ يعيش اقل من ذاك لكنهُ ينتج اثماراً قبله وتكون اجود. وقد لاحظوا ان التفاح لا يقيم كثيراً في بلدنا اذ انه «يخرّز» ولا يلبث ان يموت وسبب ذلك دودة سنتكلم عنها في باب نفرزه للحشرات المضرّة بالجنائن

(المشمش) هو من فواكه بلادنا الطيبة لكن زمن هذا الثمر قصير لا يتجاوز الشهرين يطعَّم على شجر الخوخ او شجر اللوز واحياناً على الجنس البرّي الناتج من بزره يزرعون منه مشاتل ويطعمونه فيها والاجناس المزروعة في الجبل هي المشمش الكليبي والمشمش اللوزي ولاعتقاد سكّان الجرود ان الاوَّل يعيش اكثر من الثاني يفضّلون زراعتهُ مع ان اللوزي الذي تكون نواته حلوة هو ألذّ طعماً وأعلى قيمة وبين الانواع المشهورة في الجبل: مشمش بكفيا وبسوس وهما من الصنف الاخير

ان زراعة المشمش آخذة بالانتشار وهي جزيلة النفع في البلاد السورية سيما في نواحي الشام وهي تصدر منهُ جافّاً كمية وافرة من النقوع والتمردين هذا المربى هو عبارة عن صفائح رقيقة مجففة حمراء ضاربة الى السمرة وفي طعم هذا المعجون حموضة خفيفة وهو ملين خفيف. تعدل قيمتها السنوية من عشرة آلاف الى عشرين الف ليرة هذا فضلاً عن قسم كبير يؤكل رطباً في نفس البلاد. وللمشمش مدخول آخر من عجوه او قلبه فيشتريهِ الاجانب من بلادنا ويستعملونهُ للحلويات ومنهم مَن يستخلصون منهُ الزيت (في مرسيليا وهامبورج) وتعدل قيمة الوارد منهُ سنويّاً الى بيروت ويصدّر الى الخارج بعشرة آلاف الى عشرين الف ليرة

(الخوخ والقراصيا والدرّاق والكرز والجرنك) زراعة الخوخ والقراصيا منتشرة في بساتين الوسوط

والسواحل وأُدخل من بضع سنوات الى بكفيا ثم الى محلات أُخر صنف اجنبي من الخوخ ذو رائحة ذكية وطعم لذيذ يعرف باسم (Reine-Claude) ومن مزايا هذا النوع انهُ ينبت مع محاسنهِ وميزاتهِ الاصلية من الفسائل الناتجة من عجوهِ وعندنا نوع فاخر ايضاً وهو الخوخ الشامي يحصل منهُ على ثمر ناشف جيد. اما الدراق فزراعتهُ قليلة لكنهُ يحتوي على انواع طيبة (في غزير). اما الكرز والجرنك فيزرعان في الوسوط والجرود ومن الكرز جنس حسن في ضواحي بكفيا واكثر استعماله في الجبل لاستحضار الشراب والمربى. وهو شجرة جبلية برّية تعيش بين الصخور وفي الاراضي المحجرة ويحسن نموّها فيها بقدر ما تأبى الاراضي الرطبة القوية ويطعَّم الخوخ على البزر ومثله تطعيم الدراقن او على اللوز او على الخوخ اما الكرز فيطعم على انواع من جنسهِ او على كرز برّي او الجرنك وهو نوع من الكرز

(السفرجل) كثيراً ما يزرع في قضاء الكورة وقضاء البترون وبجهات الزاوية وفي بلاد جبيل ويستعملونه خاصة لعمل المربى ومنهُ منابت كثيرة يؤخذ منها لتطعيم الاجاص

(الابكي دنيا او الانكدونيا) يغرس في بساتين الساحل وزراعته بازدياد ويجب الاحتراس من سمّ نواهُ

(الرمَّان) كان كثير الوجود في الماضي حتى في القرون المتوسطة اما الآن فقلت زراعته وتجدهُ خصوصاً في السواحل ومنهُ عدة اصناف يؤكل او يعمل منه شراب ويستعمل قشره للدباغة فيصدَّر منهُ كميَّة للخارج

(القشطة) زرع هذا الشجر ليس قديماً في بلادنا و يتطلب ليعيش اعتناء خصوصياً فيجب زرعه بمأمن من الريح الشمالية

(العناب والزعرور) يوجد من هذه الاشجار في الجبل وفي السواحل والعناب نادر فأجوده في جهات بيت الدين اما الزعرور فيزرَع الجوّي منه في الجنائن

(اللوز) يعدّ من الاشجار الوطنية ولا يقتضي لزراعته عناية خصوصية وينمو في الاراضي الجافة القاحلة والتربة الكلسية ويكثر هذا الشجر بتطعيمه على اللوز البرّي او على اللوز العامّ واذا اردت غرسهُ في ارض رطبة فيطعَّم على الخوخ ويستعمل اللوز لتطعيم الدراق في الاراضي الناشفة . ومنهُ اجناس لذيذة الذوق في كسروان وفي دوما (الكورة) ولا بدّ من تنشيط المزارعين على الاكثار من زرع هذا الشجر مع اختيار الانواع الجيدة منه كاللوز الفركي لانهُ يجنى بكثرة ويباع باسعار باهظة فان مئة كيلو منه تساوي من ليرتين الى خمس ليرات حسب الجنس

(الجوز) هو من الاشجار الكبيرة الثمينة اذ ان خشبهُ يعدُّ من احسن انواع الخشب للنجارة وثمره يؤكل رطباً او جافاً ويستخرَج منه في الخارج زيت طيب وقشرة الجوزة الخضراء يعمل منها شراب الجوز وتستعمل احياناً كصباغ للخشب الابيض. وتكثيره يكون عادةً بواسطة البذور ويوجد منهُ في عموم الجبل خصوصاً في الوسوط والجرود (اهدن. بشراي . العاقوره) والجوز مثل اللوز لا يستدعي نقله عناية خاصة ويبقى زمناً طويلاً

(التوت الاحمر او التوت الشامي) يزرعونه قليلاً بجوار البيوت وفي فسحات المزارع لاستثمار « كبوشه » فيؤكل عند قطفه او يعصر ويعمل منه شراب

(الفستق) نادر لكن يمكن التكثير منه بتطعيمه على البطم ومن هذا الجنس عدد وافر في جبلنا

(البندق) نادر يوجد منه بعض شجرات في جونية ولو نما زرعه لأتى بأرباح طيبة

(النخيل) ينمو هذا النبات في الاراضي الرملية ويجود فيها واذا تصفحنا التاريخ تأكدنا انهُ قد كان لزراعة هذا الصنف في الزمن الغابر في بلادنا الشامية شانٌ خطير وايراد غزير ويذكر نصري خسرو في رحلته سنة ١٠٣٥ — ١٠٤٢ م انه شاهد في ضواحي طرابلس وجبيل وصيداء بساتين عامرة عديدةً محتوية على مزروعات جمة من النخيل · بيد ان زراعتهُ الآن اصبحت محدودة للغاية وجلُّ ما تجد منهُ بعض اشجار متفرقة في الجنائن · ولا يُنتظر ان زراعة هذا الصنف تأخذ دوراً يذكر بين مزروعاتنا

ويزرعون الآن ايضاً بعض الشجيرات كانوا سابقاً يجنون ثمرها من غير زرع كالخنبلاس تجد منه بكثرة في جونية وضواحيها

٤ الزراعات الصناعية

نريد بالزراعات الصناعية الجفنة والزيتون والتوت والتبغ والتنباك وقصب السكر · ثم النباتات العطرية والنباتات المستعملة للصباغة والدباغة والنباتات الطبيّة

(الجفنة) هي من مزروعات لبنان العريقة في التقدم وقد كانت مدة من مرافق الجبل الخاصة به فان هواء لبنان وتربتهُ في غاية المناسبة لزراعة هذه الشجيرة فتعيش وتنمو في جميع اقاليمهِ · ومعلوم ان احسن المراكز لزرع الجفنة والحصول على عنب جيد هي الاراضي المسطحة والاكام المعرضة للشمس او السهول التي ينضب ماؤها شأن كثير من اراضي لبنان · اما في الاراضي الكثيرة الخصب والعمق فتطرد بكثرة وقوة لكنها تعطي اثماراً قليلة · ان الطبيعة وجنس الارض ووجهتها والزراعة انتجت انواعاً عديدة من الجفنة في بلادنا عندنا منها في لبنان نصيب وافر ان كان من الاصناف ذات الثمر الابيض او من ذات الثمر الاسود كالزيني والمقساس والقرقاشي والقاصوفي وبيض الحمام والمرواح يؤكل معظمها عنباً في نفس الجبل او في المدن المجاورة واجودها في اقليم جزين وجهات زحلة وبحمدون والباروك وفرنايل وفالوغا وكفرسلوان والعبادية وبكفيا وجبل المنيطرة · وتعمل الخمر الجيدة في كل من الخنشارة وبتغرين وصليما ومحنس وبكفيا وبيت شباب وزكريت وزوق مصبح وغزير والكفور وريفون وسبعل · ويقدرون مساحة الاراضي المغروسة جفنة باثنين وعشرين الف دونم تقريباً · ولا يخفى ان خمر لبنان مشهورة من قديم الزمان ومنذ الجيل الرابع عشر قبل المسيح فكانت فينيقية تتاجر بها وكانت تدخل في الجزية المقدمة من الفينيقيين لملوك مصر ويذكر الكتاب الكريم مراراً خمر لبنان · وبقيت شهرة الخمر اللبنانية في القرون المتوسطة فكانوا يعدُّون خمر بلاد البترون والكورة من اجود الخمور كما انهُ في عصرنا ترى زائري بلادنا يتكلمون عن الخمر اللبنانية وجودتها · ويصنعون

الخمر في لبنان فقشًا او مغليًا وتكون حلوةً ومرّةً فخمر جبة بشرّاي حمراء وخفيفة وخمر الزاوية بيضاء وخمر كسروان عادةً صفراء ذهبية وخمر القاطع حمراء وثقيلة وذلك لغليانهم لها وتمتاز خمر صليما بكونها ورديّة حسنة الطعم وهذه السنين الاخيرة شاع جداً في لبنان خمر كرم عروس في بكفيا وخمر كساره وكلتاهما تعدّ من اجود الخمر ولا تقل طيبًا عن الاجناس القديمة بل الاجنبية الفاخرة

يربّي اهل الجبل كرومهم على الطريقة العالية او على الطريقة الوسطى ونعني بالطريقة العالية ما ترك فيها للجفنة اغصان مستطيلة فتارةً توصل بشجرة من الاشجار كالتين والسنديان او البطم فتشتبك اغصانها باغصان تلك الاشجار او يمدُّون تلك الاغصان من شجرة الى اخرى لتتألف منها عرائش او اكلّة او يسندونها الى الجدران فتمتدّ عليها ما شاءت كما يُرى بجوار البيوت. اما الكرمة المتوسطة العلو فيدَعون ساقها تنمو نحو ذراع ونصف او ذراعين ويدعمون اغصانها بركائز وهذه الركائز منها عالية تسمّى دقرانًا والعامّة يدعونها شلاًّ او شلة وتستعمل في الوسوط والسواحل ومنها واطئة تسمّى مسماكًا ويستعمل منها في اعالي الجبل عدة مساميك لكل جفنة كما في البقاع وزحلة . اما في الجرود فتنبسط الدوالي على الارض . والطريقة المتوسطة هذه هي الجاري عليها في كروم بلادنا واحيانًا في الاراضي ذات الاسطحة

وذلك انهم يغرسون الجفنة على حافة الجلّ مسنودة الى ركيزة ويدَعون باقي الجلّ لمزروعات اخرى . لكن الانواع الافرنجية تزرع على الطريقة الواطية اي ان ارتفاع الجفنة لا يتجاوز ثلاثين سنتيمترًا كما نرى في الكروم التي انشأها بعض الاجانب عندنا وفي مستعمرات الاسرائيليين في فلسطين حيث اتوا باصناف من الكرمة المستعملة في اوروبا

(الزبيب والدبس والعرق) ثم ان اللبناني يستغلّ من كرمه ليس فقط العنب والخمر لكن الزبيب والدبس والعرق فالزبيب يؤكل اغلبه في ارضهِ والقسم الذي يُصدَّر منهُ يستحضر معظمهُ في بحمدون اما الدبس فيستخرجون اكثره في جرود المتن وكسران. والدبس العنبي المشهور هو دبس المزرعة وفاريا وبقعتوتا وميروبا وحراجل وريفون والقليعات ووطأ الجوز. ويستخرجون ايضًا الدبس من الزبيب ويعرف بالدبس الزبيبي خصوصًا في جهات بحمدون وبعضهم يستحضرون الدبس مطروقًا فيتجمد ويضرب الى اللون الاشقر ومربى الدبس هذا من المربّيات اللذيذة النافعة ولا بد ان يزداد رواجه بعد ان اعتاد الجميع على استعمالهِ في المدّات الاخيرة فصاروا يستطيبونهُ لكن استحضارهُ قبل بضع سنين كان قد خف كثيراً وربما سبب ذلك رخص اسعار السكر

ومن محصولات الجفنة المهمّة العرق وهو من المشروبات المستطابة وتجارتهُ رائجة واشهره عرق زحلة والخنشارة واكثر ما يصدر منه من قضا زحلة حيث يحوّلون الى هذا المشروب كل محصول كرومهم الواسعة الاّ ما أُكل عنبًا في ارضهِ. ونزيد هنا انهم أخذوا من بضع سنين بعمل الكونياك وشراب الجوز في كساره وبكفيا فاتى هذا المشروع بنتيجة حسنة

ان رغبة اهل لبنان في غرس التوت ثم قلّة اليد العاملة وما تقتضيهِ زراعة الكرم من العناية المتواصلة والخبرة

والكلفة ادَّت الى تأخر هذه الزراعة وخصوصاً انَّ طلب الخمر اللبنانية في مصر قد خفَّ من جراء مزاحمة الخمور الاجنبية وقلّة مقطوعية الدبس لكن ما لنا الاَّ ان ننظر حوالينا الى المشاريع الاجنبية فنرى ان الكرم اذا أُتقنت زراعتهُ وزيد الاعتناء بمستغلاَّتهِ لا يلبث ان يعود على اصحابهِ بارباح طائلة

لا بدَّ للحصول على ذلك من الاهتمام باستدراك الآفات التي تعتريهِ والاَّ فسد ثمرهُ وربما فنيت الشجرة بتمامها

(رمد الكرم) ومن تلك الآفات مرض فطري يدعونه « الرمد » (Oidium) ظهر في جبلنا منذ اواسط القرن الماضي وعمَّ كرومنا ضارّاً بادئ بدء الاصناف الجيدة منها ذات القشرة الرقيقة (الأشكل) وهذه العلة تسطو على كل اجزاء الشجرة كاسية اياها بوبر رمادي مثل الدقيق وتمنع نمو العنب فتتشقق جلدتهُ وتبخس قيمتهُ ولكن لحسن الحظ ان المداواة سهلة وهي المسارعة عندما تظهر علائم المرض الى استعمال الكبريت فيرشّ على الدالية بواسطة منفخ خصوصي بنوع ان دقائق هذه المادة تعمّها اجمع وللحصول على نتيجة مرضية يجب مراجعة الرشّ فتكون الرشة الاولى في ابتداء نمو الغرس والثانية اوان الزهر والثالثة على الحب وباستعمال طريقة المعالجة هذه تمكنوا في الخارج من استئصال هذه العلّة بينما انها لا تزال منتشرة في بلادنا لا يوقفها معارض . فاذا كانت هذه غفلتنا لمعالجة هذا الداء السهل المداواة والتليل الكلفة فترى ماذا يحلّ بكرومنا اذا دهمتها ضربة قتالة كالفيلوكسيرة

(داء الفيلوكسيرة) ان هذا الداء هو على الباب او بالأحرى اصبح في البلاد . انَّ الفيلوكسيرة هجمت على الممالك الشاهانية سنة ١٨٨٥ فاخذت من هذا التاريخ تزيد تقدُّماً وانتشاراً بنسبة ازدياد سرعة المواصلات في داخلية البلاد وحركة الموانئ في الثغور البحرية وهكذا عمَّت الروملي واكتسحت قسماً من برّ الاناضول ومنذ سنة ١٨٩٦ ابتدأت تفتك في كروم ولاية آيدين . فتناقصت صادرات العنب منها ثم اخذت بالامتداد تباعاً الى ان بلغت في اواخر القرن الماضي شواطئ فلسطين في كروم المستعمرات اليهودية . وفي ابتداء القرن الحالي أُعلن انتشارها في جنوبي سواحل سورية خصوصاً في المستعمرات وسنة ١٩١٢ فتكت فتكاً ذريعاً في بعض قرى قضاء صور ولا ريب مع ما نعرفهُ من سرعة زحف هذه الآفة ان تكون تقدمت نحونا ولعلها الآن في بعض كروم الجبل الجنوبية ونحن غافلون عن وجودها

(صفة الفيلوكسيرة وعلائمها) ان عدوّ الكرمة الالدّ هذا هو حشرة تعيش على الجذور فتمتصها وتميت الشجرة . سميت هذه الحشرة فيلوكسيرة لمشابهتها لفيلوكسيرة السنديان وهي حشرة تعيش على اوراق البلوط الابيض (الملول) ويُعرف وجودها هناك من الصفرة التي تعلو النقطة المقروضة . والفيلوكسيرة ذات اشكال مختلفة منها ارضية ومنها هوائية

(الصنف الاوَّل) ان الصنف الاول هو الخالي من الاجنحة واعضاء التوليد (aptères agames) ومن شاء ان يرى هذه الحشرة لا يجب ان يطلبها في الدوالي اليابسة بين الآثار الصفراء التي تتركها عليها بعد انتقالها بل يجب ان يحفر بالقرب منها على جرثومة دالية تظهر انها سليمة وحينئذٍ يشاهد على اصولها

غبرة صفراء · فاذا أُتي بآلة مكبرة رآها مؤلفة من حشرات كثيرة ذات لون اصفر وهي صغيرة جدًّا لا يزيد طولها على ٤/٣ الميليمتر وعرضها ٢/١ ميليمتر وجسمها مستدير من امام ورفيق من وراء ومنقسم الى اقسام ذات غضون معترضة · ففي اقسامها الاولى الثلاثة لجهة البطن ثلاثة ازواج من القوائم قصيرة ونحيفة · وفي رأسها عينان تحيط بهما ثلاث نقط حمراء وقرنان يتركب كل منهما من ثلاثة مفاصل اثنان كثيفان وقصيران والثالث اطول قليلاً وفي القسم السفلي من رأسها ممص تستخدمهُ لتناول غذائها وهو مركب من ثلاث وبرات موجودة ضمن غلاف خصوصي فتدخل قسماً من خرطومها هذا في قشرة الاصول وتبقيه فيها جاذبةً اليها ما تتضمنهُ من المائية · وكل هذه الحشرات إناث لا اجنحة لها تتوالد بلا توسط الذكور · ومتى انشبت ممصّها في اصل الدالية ألقت حولها من ٢٥ الى ٣٠ بيضة كاذبة (وهي ما وضعتهُ الاناث دون الذكور) ومدّدت جوفها الى كل ناحية والقت من هذه البيوض رُكاماً عديدة صغيرة وبعد ذلك تموت · فلا تمضي ثمانية ايام حتى ينقف البيض وتخرج منهُ كائنات مكروسكوبية شبيهة في كل شيء بامَّاتها · وبما انها تكون في بدء ولادتها نشيطة وخفيفة تنتشر على اصول الدوالي وبعد ثلاثة او اربعة ايام تختار لها مقاماً فتغرز فيهِ خراطيمها ولا تتحول عنهُ الى ان تمتص كل مائيتهِ · وكلما امتصت كبرت وضخمت · وتصوم دون ان تنتقل من مواضعها ثلاث صومات بين الواحدة والاخرى اربعة او خمسة ايام · وبعد مضي عشرين يوماً لنقفها تصير حشرات كاملة فتشرع تبيض · وهكذا تتجدَّد الامور المتقدم ذكرها مدَّة طويلة من السنة اي من ١٥ نيسان الى اول تشرين الثاني في النواحي الجنوبية · ومما مرَّ يُعلم ان تكاثر هذه الحشرات سريع للغاية حتى انهُ تقدَّر مواليد الفيلوكسيرة الواحدة في السنة بخمسة وعشرين او ثلاثين مليوناً · قال المسيو بارال : ان المائة بيضة من الفيلوكسيرة تستطيع في السنة ان تغطي مسافة هكتار من الارض اذا وُضعت طرفاً الى طرف وجنباً الى جنب · وفي شهر تشرين الثاني تموت الحشرات المتقدم ذكرها او بالحري الأُمَّات البائضة · اما الناقفة منها حديثاً فانها تصرف الشتاء متعلقة باصول الدوالي وهي بحالة تخبُّل تامّ وتتخذ اذ ذاك لوناً اسمر ويظهر عليها الضعف والهزال · اما في شهر نيسان فتستيقظ من سُباتها وتواصل سلسلة التوليد على ما تقدم شرحهُ · وقد اكَّد بعضهم ان هذا التكاثر يستمرّ متواصلاً اربع سنوات على الاقل

(الصنف الثاني) ان الصنف الثاني من الفيلوكسيرة يدعى ذرًّا (Nymphes). يلاحظون في مدَّة الصيف من تموز الى ايلول ان بعض الحشرات الناقفة حديثاً والمتولدة عن ذات الجناح لا تصير أُمات بائضة بل تصوم صومتين بزيادة ثم تتحوَّل الى شكل الذرّ · وهي تفترق عن البائضة بان هيأتها العمومية ارقّ وقرونها أطول وفي وسط جسمها غلافان للاجنحة بشكل زائدتين مائلتين الى السواد · ومن صفاتها النشاط والقوَّة ولا يمضي على نقفتها خمسة عشر يوماً حتى تخرج من شقوق الارض ثم تصوم صومة واحدة وتتحوَّل الى حشرة ذات جناح · ·

(الصنف الثالث) هو الفيلوكسيرة المجنحة وهي ايضاً اناث ولكنها غير كاملة بل لا يمكنها ان تصل الى درجة الكمال وتتوالد دون توسط الذكور وجنسها ضارب الى الصفرة وتطير الى كل ناحية وصوب

تارةً الى مسافة قصيرة وتارةً الى مسافة طويلة تبعاً لقوّة الريح . ومتى وقعت على كرمة تلقي على حمل الورق وقشور الدوالي وجذورها ثلاث او ستّ بيضات كاذبة بعضها كبير وبعضها اصغر وتكون هذه البيوض مائلة الى الصفرة في بادئ الامر ثم انها لا تلبث ان تصير صفراء بالتمام وعنها يتولد شكل جديد يدعى الشكل المتولّد (Sexués)

(الفيلوكسيرة المتولدة) فمن البيوض المذكورة تخرج ذكور اذا كانت صغيرة واناث اذا كانت كبيرة ولا يكون لهذه الذكور والاناث من ممصّات فانها لا تأكل واعضاء الهضم فيها ضئيلة وبعكس ذلك جهازها التوليدي هو كبير ممتد ويبلغ طولها ٣٨ من مائة الميليمتر وعرضها ١٥ من مائةٍ ولونها اصفر فاتح ولا تكاد تولد حتى تتزاوج ثم تموت الذكور بينما ان الاناث تبيض بيضةً وحيدة وتلقيها تحت قشور الزراجين القديمة بقرب الفروع الحديثة وتسمى هذه البيضة بيضة الشتاء وتنقف في الربيع عن حشرات خالية من الجناح بعضها يبحث في الحال عن اصول الدوالي فيتعلق بها والبعض الآخر ينساب تحت الورق فيحدث فيه غُدداً صغيرة . ومما مرّ يتضح ان الحشرات البَيوض يمكن ان تتولد اما عن بيضة حقيقية خارجة عن لقاح واما عن بيضة كاذبة خارجة عن إناث غير ملقحة

ان الفيلوكسيرة ذات الجناح وكذلك الفيلوكسيرة الخالية من الجناح والاجنحة ذكوراً كانت او اناثاً تتوارى كلها في فصل الشتاء اما الفيلوكسيرة الارضية فلا يقوى منها على صبارّة البرد سوى الشواب النشيطة

هذا وان الفيلوكسيرة المجنّحة هي اعظم وسيلة لسريان المرض وانتشاره وبما انها تنتقل مع الريح كما سلف البيان فكثيراً ما يحدث في بعض الاحوال ان تحمل العدوى الى كروم بعيدة جداً عن النقطة المصابة . وتوجد طريقة اخرى لانتشار المرض شديدة الخطر ايضاً وهي سريانه بطيئاً من قريب الى قريب تحت الارض ما بين شقوق التربة

(الوقوف على وجود الفيلوكسيرة ومداواتها) في بادئ الامر اي في العامين الاولين لغارة الفيلوكسيرة لا يُدرى بوجودها ولكن بعد ذلك بقليل يأخذ الاسترخاء الدوالي وتضعف اغصان الجراثيم التي هي اشد من سواها اصابة وتصفرّ الاوراق وتتناثر قبل الاوان ولا يبلغ العنب تمام النضج ويشاهد على الجراثيم تضخّم وتعقّد بضعفان الكرمة ولا يلبث هذا التضخّم ان يسوق التالف الى العروق الصغيرة فتتهرّأ واما الجراثيم الكبيرة فتسودّ وتصير سهلة التفتت وهكذا تتلف الدالية عن الضعف والضنى . ولاتقاء شرّ هذه الآفة يلزم ان لا ينتظر ظهورها في كرم ما بل حال ظهورها في منطقة ٢٠ كيلومتراً يجب المبادرة الى اتخاذ الوسائط المقرّرة لان الدوالي الموجودة ضمن هذه المنطقة قد يمكن ان تكون ظواهرها سليمة لكنها لا تُعدّ خالية من المرض . ويلزم خصوصاً منع ادخال الدوالي الاميركية بكل صرامة لانه لوحظ في اوروبا انّ ظهور المرض كان مسبباً عن الاغراس الاميركية فهي كانت السبب في نقل المرض لتلك البلدان . وفي سورية ظهر في ارض كان الاسرائيليون قد غرسوا فيها دوالي اميركية . فاذا أُدخلت الجفنة الاميركية لمحلّ من غير احتراس كاف تدخل الفيلوكسيرة معها لذلك المحل واجناس كرمنا لا تقوى على مضارّ الفيلوكسيرة مثل ما تقوى عليها

الجفنة الاميركية ولهذا سنَّت كل الحكومات القرارات الصارمة مانعةً ادخال الجفنة الاميركية ما لم تكن المحلات المراد نقلها اليها موبوءة بتأكيد

وقد استعملوا لابادة الفيلوكسيرة وسائط شتى منها غمر الارض المزروعة كرماً بالمياه مدة اربعين يوماً ومنها المعالجة بمواد قاتلة للحشرات كسولفور الكربون وخلافهِ الا انهُ نظراً لعدم تيسر تغريقها بالماء كل وقت او لكثرة كلفة باقي الوسائط عدلوا عن هذه المكافحة ويقتصرون الآن على تجديد الكروم التالفة بغرسهم الجفنة الاميركية وهي اصناف يختار منها ما يلائم جنس التربة· وحيث لا يكون ثمر الجفنة الاميركية لذيذاً ولا يصلح للخمر فتطعمُ بالاجناس الاهلية

(الزيتون) ان كل ارض يخصب فيها الكرم والتين يخصب فيها الزيتون ما لم تكن كثيرة الرطوبة فتضرّ بالجذور وتعفنها· ولذلك كانت الاراضي المتحدرة التي تنضب فيها المياه بسرعة انسب من السهول لغرس الزيتون· ان زراعة الزيتون قديمة في لبنان اذ تربتهُ ويبوسة ارضهِ تلائمه تمام الملاءمة وينبئنا التاريخ انهُ منذ عهد الفينيقيين كان الزيت كالخمر يُقدّم كجزية لملوك مصر

يغرسون في اراضي لبنان الجبلية شجر الزيتون في فسحات القرى او في الجلالي بعيداً بعضه عن بعض ويزرعون بينهُ صنوفاً اخرى كالكرمة والتين واحياناً الحبوب ولما كان سابقاً هذا الشجر منتشراً في الاحراج كثيراً ما كان ينقل منها الى المزارع فيطعَّم اما الآن فندر وجوده في الغابات واندثر تقريباً·
ويزرعون ايضاً الزيتون فسائل وجذوراً تُفصل من اصل زيتونة كبيرة وتوضع اولاً في ارض منقوبة جيداً حتى تتأصل ثم تقلع بترابها وتغرس في شهري كانون الثاني وشباط في حفر حُفرت لهذه الغاية في فصل الخريف بعد ان تروى الارض بمطر غزير· ولا بد من تسميد الحفر قبل غرسها بان يخلط جيداً تراب قاعها مع السماد·
ومما يفيد الزيتون من السماد البوتاسا والصوداء والكلس والسيليكا ما عدا السمادات المستعملة· اما البوتاسا والصوداء فيحويهما الرماد واما الكلس فيحويه الحوّارى واما السيليكا فيحويه الرمل وكل هذه المواد قريبة المنال في بلادنا· واصطلحوا الآن في شمالي افريقيا كالجزائر وتونس على غرس منابت من الزيتون تُنقل منها الفسائل بسرعة ولا تلبث ان تعوّض بعد سنين قليلة ما لحق زراعتهُ من التأخير في الابتداء

يوجد في سواحل الجبل مزارع من الزيتون فسيحة عامرة اهمها مزارع الشويفات اذ تبلغ صحراؤها سبعة كيلومترات طولاً في عرض يختلف بين كيلومتر وثلاث كيلومترات وهي مرصوصة متواصلة لا يدخل فيها صنف آخر من الاشجار وقد غرس اكثرها قبل ستين سنة ومزارع المختارة وعماطور وهي اوسع منها الاَّ انها مختلطة بمزروعات اخرى· ثم مزارع الكورة التي تمتد على طول خمسة كيلومترات في عرض كيلومتر ومزارع قصبة زغرتا وهي واسعة ايضاً جميلة الا انها تختلط بغير الزيتون

ان زراعة الزيتون زراعة مستحسنة اذ انها تعطي غلات وافرة كثير استعمالها في بلادنا· الزيتون يؤكل مستحضراً انواعاً كالزيتون الاخضر المسبَّح والمرصوص والزيتون الاسود او يحوّل الى زيت وهو كثير المقطوعية فضلاً عن كونهِ مطلوباً برواج لحاجة معظم البلاد الاجنبية اليهِ وزراعة الزيتون واسعة في

جزر البحر المتوسط و بعدونها من اجل مزروعاتهم ففي جزيرة صفاقص مثلاً تجني الزيتونة التي عمرها ثلاثون سنة من ١٥ الى ٥٠ فرنكاً واحياناً اكثر . هذا فضلاً عن محصول المزروعات الاخرى التي يزرعونها بين الزيتون مثل العنب والخوخ والمشمش والفول والبطيخ . ولكن حتى يُحصل من الزيتون على غلة جيدة يجب على المزارعين ان يعتنوا بجني الحب دون تقصيف اطراف الاغصان . وهكذا تبطل نوعاً شكاية الجبليين من انقطاع حمل الزيتون من سنة الى اخرى لانهم عادةً يعدمون قسماً من رؤوس الاغصان المعدة للحمل في السنة التالية . ويجب عليهم ايضاً ان يتخذوا الطرائق المستحدثة لعصر الزيتون فان الزيت الطيّب المرغوب خارجاً عن برّ الشام لا يُنال الا بالادوات الخصوصية التي انتشرت اليوم في اوروبا وابتدأنا مؤخراً بجلب قليل منها ولا يزال عصر الزيت جارياً عندنا على عادة القدماء . لكن جودة ادوات العصر وحدها لا تكفي للحصول على زيت جيد بل يلزم مداركة الزيتون قبل العصر بأن لا يوضع اكداساً بعضهُ فوق بعض لئلا يختمر فيعطي زيتاً حادّاً . وان كان المقصود من ذلك زيادة العصير فالادوات الحديثة تفي بالمرغوب اذ انها بعد ان تعطي زيتاً من اول طبقة تسحق الحبوب بضغط قوي ثم يُغلى الجفت ويضغط ثانية حتى لا يبقى فيهِ زيت . ولا يخفى ما في ذلك من زيادة الايراد لان في النوى كثيراً من الزيت بينما ان الجفت كان يستعمل سابقاً بما يحويهِ من الزيت كوقود للافران . ثم اخذ بعض التجار يجمعونه ويصدرونهُ الى الاسكندرية . الى ان انشأوا في طرابلس معصرة حاوية آلات لاستخراج الزيت من نفاية الزيتون فاخذوا يستبوردون الجفت والنوى

وكانوا في الماضي يشترون المحصول الحادّ من زيت بلادنا لحاجة المصابن لكن بعد ان شاع استعمال زيوتات اخرى لهذه الغاية كزيت السمسم والفول السوداني والكتان وخلافها قلّ طلب زيتنا وهذا سبب نزول الاسعار المتتابع لدرجة ان سعر الزيت الذي نعدّهُ جيداً لم يتجاوز رطله في بعض السنين الثمانية او التسعة الغروش

ان زيت السمسم كان قبلاً زهيداً جداً وشحن منهُ سنة ١٨٤٣ الى فرنسا كمية قليلة من جبل نابلس وذلك برسم التجربة واذ صادف التوفيق اخذت زراعتهُ تزداد سنة فسنة ثم عمّت زراعتهُ في اراضي بلادنا حتى صار في مدة قصيرة يعدّ من محصولاتنا الكبيرة ويشحن منهُ سنوياً عدة مراكب الى الخارج

فعلينا ان نعير مسألة استخراج الزيت اهتمامنا لان غلة بلادنا من الزيت لم تزل وافرة وتعدّل صادرات طرابلس في سني حمل الزيتون بقيمة مليونين من الفرنكات وصادرات بيروت بمليون فرنك وتنزل في سنين المحل الى مائة الف فرنك ومعلوم ان هذه الكميات اكثرها حاصل من الجبل . وبالاختصار نقول ان اجود الزيتون اذا لم يعتنَ في التقاطهِ ولم يحسن استحضاره لا يعطي الا زيتاً رديئاً

واعلم انّ للزيت اوزاناً ومكاييل اصطلحوا عليها وهي : الجرّة ١٥ اقة والقلّة ١٤ رطلاً وربع . وفي الكورة والزاوية وطرابلس يتعاملون بالقلّة فمتى طلب احدهم ثمن الزيت اراد بهِ القلّة . امّا في جهات الشوف فيتعاملون بالجرّة

(التوت) انّ اهم الاشجار الصناعية في لبنان هي التوت تجده في كل انحاء الجبل في السواحل كما في

الاراضي الجبلية اذ شغلت اشجاره قسماً من مكان الغابات فاقام له الفلاح الجلالي ونقب له الارض وضحّى لاجله مزروعات أُخرى حتى الاشجار المثمرة. وزراعة التوت بازدياد متواصل وامتدّت كثيراً في نواحي طرابلس وصور وصيداء وانطاكية ومرسين واسكندرونة وأكثر من زراعته في المستعمرات الاسرائيلية

ويستخدم ايضاً اللبنانيون قضبان التوت للوقود والقشور للربط. ومنهم من يدخرها للشتاء طعاماً للمواشي وكذلك الورق الخريفي مع نفاية الورق الذي قُدم طعاماً لدود القز ويسمى الجزَّة. وفي السواحل يقطعون كل سنة اغصان التوت. اما في الجبل فيتركون بعض الاغصان للسنة التالية فحينئذٍ يقطعونها ويربون غيرها ولا ريب في ان معاملة التوت هذه السيئة مما يقصر عمر الشجرة فلو كانوا يربون شجر التوت تربية اكثر مناسبة لطبيعته اعاش زمناً اطول

ويعدّل المزارعون زراعة التوت بالاحمال وحمل الورق كناية عن ٣٠ رطلاً او بالمساحة والمساحة المصطلح عليها هي الكدنة عبارة عن مساحة بذار مدّ قمح تقريباً فتعطي من ٤٠ الى ٥٠ حمل ورق حسب حالة التربة وكلفتها. ويصعب تحديد اوان دخول زراعة التوت في اقطارنا الشرقية وربما كانت وطنية فيها لكن البضائع الحريرية كان الفينيقيون ينسجونها بعد استجلاب موادها من الصين والهند والعجم بطريق مصر والبحر الاحمر وعن طريق تدمر والفرات ويبيعونها للرومانيين واليونان وكانت صور وبيروت في فينيقية اهمّ مراكز هذا النسيج وفيهما يقيم تجار وحاكة الحرير ومنهما انتشرت هذه البضاعة في سائر الاقطار. امّا بزر القزّ فدخل بلادنا قرب السنة الخمسمائة والخمس والخمسين اذ كان استحصل عليهِ الامبراطور يوستنيان من الصين بواسطة راهبين كان انتدبهما لهذه الغاية فاتياه بكميَّة من بزر القزّ وبزر التوت مخبأة في عصيهما لوقايتها من المراقبات الشديدة في الهند والعجم والصين استئثاراً بغلّة هذه الصناعة. فلدى الحصول على بزر القزّ ربّى السوريون دوده على شجر التوت «التوت الاسود» المنتشر حينذاك عندهم اذ كان يعطى ورقهُ للمواشي فتوسعت صناعة الحرير هذه لكنها ما لبثت ان توقفت نوعاً بسبب احتكارها من طرف الامبراطور ثم عادت فانتشرت وزهت تحت حكم بني امية والعباسيين وامتدت الى البلاد الاجنبية كاسبانيا وصقلية وغيرها من البلدان ثم الى فرنسا وفي القرن الثاني عشر كانت زراعة التوت متسعة وتربية القزّ منتشرة بكثرة في لبنان وكانت النساء يتعاطينها فيربّين الدود في خصاص كانوا يقيمونها لها في البساتين بالقرب من شجر التوت ومنذ القرن الخامس عشر اصبح حرير لبنان رائجاً في اسواق فرنسا ثم في القرن الثامن عشر تناقصت ارساليات الحرير الى الخارج لاسباب لكن استحضاره بقي ثابتاً بفضل صناعة النسيج الوطنية الزاهية في الشام وحلب خصوصاً وكانت هذه تصدّر كميات وافرة الى جميع الاقطار الشرقية ولما اهملت صناعة النسج في القرن التاسع عشر كان طلب الحرير من الخارج يزداد واصبح كذلك غرس التوت وتربية القزّ يزدادان تباعاً في جبل لبنان حتى بلغت ما هي عليهِ الآن فاصبحت من محاصيل بلادنا المهمة

بقيَ اللبنانيون اجيالاً يربّون جنساً واحداً من البزر يدعونهُ البلدي الذي لونهُ ابيض او اصفر وكان كل مزارع يبزّر حاجته منه فتعطيه اوقية البزر «اي ١٢ درهماً» ستة ارطال من الحرير المحلول وأحياناً

جزر البحر المتوسط و يعدونها من اجلّ مزروعاتهم ففي جزيرة صفاقص مثلاً تجني الزيتونة التي عمرها ثلاثون سنة من ١٥ الى ٥٠ فرنكاً واحياناً اكثر . هذا فضلاً عن محصول المزروعات الاخرى التي يزرعونها بين الزيتون مثل العنب والخوخ والمشمش والفول والبطيخ. ولكن حتى يُحصل من الزيتون على غلّة جيدة يجب على المزارعين ان يعتنوا بجني الحب دون تقصيف اطراف الاغصان. وهكذا تبطل نوعاً شكاية الجبليين من انقطاع حمل الزيتون من سنة الى اخرى لانهم عادةً يعدمون قسماً من رؤوس الاغصان المعدة للحمل في السنة التالية . ويجب عليهم ايضاً ان يتخذوا الطرائق المستحدثة لعصر الزيتون فان الزيت الطيّب المرغوب خارجاً عن برّ الشام لا يُنال الا بالادوات الخصوصية التي انتشرت اليوم في اوروبا وابتدأنا مؤخراً بجلب قليل منها ولا يزال عصر الزيت جارياً عندنا على عادة القدماء . لكن جودة ادوات العصر وحدها لا تكفي للحصول على زيت جيد بل يلزم مداركة الزيتون قبل العصر بأن لا يوضع اكداساً بعضهُ فوق بعض لئلا يختمر فيعطي زيتاً حادًّا . وان كان المقصود من ذلك زيادة العصير فالادوات الحديثة تفي بالمرغوب اذ انها بعد ان تعطي زيتاً من اول طبقة تسحق الحبوب بضغط قوي ثم يُغلى الجفت ويضغط ثانية حتى لا يبقى فيهِ زيت . ولا يخفى ما في ذلك من زيادة الايراد لان في النوى كثيراً من الزيت بينما ان الجفت كان يستعمل سابقاً بما يحويهِ من الزيت كوقود للافران . ثم اخذ بعض التجار يجمعونه ويصدرونهُ الى الاسكندرية . الى ان انشأوا في طرابلس معصرة حاوية آلات لاستخراج الزيت من نفاية الزيتون فاخذوا يستوردون الجفت والنوى

وكانوا في الماضي يشترون المحصول الخاص من زيت بلادنا لحاجة المصابن لكن بعد ان شاع استعمال زيوتات اخرى لهذه الغاية كزيت السمسم والفول السوداني والكتان وخلافها قلّ طلب زيتنا وهذا سبب نزول الاسعار المتتابع لدرجة ان سعر الزيت الذي نعدّه جيداً لم يتجاوز رطله في بعض السنين الثمانية او التسعة الغروش

ان زيت السمسم كان قبلاً زهيداً جداً وشحن منهُ سنة ١٨٤٣ الى فرنسا كمية قليلة من جبل نابلس وذلك برسم التجربة واذ صادف التوفيق اخذت زراعتهُ تزداد سنة فسنة ثم عمّت زراعتهُ في اراضي بلادنا حتى صار في مدة قصيرة يعدّ من محصولاتنا الكبيرة ويشحن منهُ سنوياً عدة مراكب الى الخارج

فعلينا ان نعير مسألة استخراج الزيت اهتمامنا لان غلّة بلادنا من الزيت لم تزل وافرة وتعدّل صادرات طرابلس في سني حمل الزيتون بقيمة مليونين من الفرنكات وصادرات بيروت بمليون فرنك وتنزل في سنين المحل الى مائة الف فرنك ومعلوم ان هذه الكميات اكثرها حاصل من الجبل . وبالاختصار نقول ان اجود الزيتون اذا لم يعتنَ في التقاطهِ ولم يحسن استحضاره لا يعطي الا زيتاً رديئاً

واعلم انّ للزيت اوزاناً ومكاييل اصطلحوا عليها وهي : الجرّة ١٥ اقّة والقلّة ١٤ رطلاً وربع . وفي الكورة والزاوية وطرابلس يتعاملون بالقلّة فمتى طلب احدهم ثمن الزيت اراد بهِ القلّة . اما في جهات الشوف فيتعاملون بالجرّة

(التوت) انّ اهم الاشجار الصناعية في لبنان هي التوت تجده في كل انحاء الجبل في السواحل كما في

الاراضي الجبلية اذ شغلت اشجاره قسماً من مكان الغابات فاقام له الفلاح الجلالي ونقب له الارض وضحّى لاجله مزروعات أُخرى حتى الاشجار المثمرة. وزراعة التوت بازدياد متواصل وامتدَّت كثيراً في نواحي طرابلس وصور وصيداء وانطاكية ومرسين واسكندرونة وأكثر من زراعته في المستعمرات الاسرائيلية

ويستخدم ايضاً اللبنانيون قضبان التوت للوقود والقشور للربط. ومنهم من يدخرها للشتاء طعاماً للمواشي وكذلك الورق الخريفي مع نفاية الورق الذي قُدم طعاماً لدود القز ويسمى الجزَّة. وفي السواحل يقطعون كل سنة اغصان التوت. اما في الجبل فيتركون بعض الاغصان للسنة التالية فحينئذٍ يقطعونها ويربون غيرها ولا ريب في ان معاملة التوت هذه السيئة مما يقصر عمر الشجرة فلو كانوا يربون شجر التوت تربية اكثر مناسبة لطبيعته لعاش زمناً اطول

ويعدّل المزارعون زراعة التوت بالاحمال وحمل الورق كناية عن ٣٠ رطلاً او بالمساحة والمساحة المصطلح عليها هي الكدنة عبارة عن مساحة بذار مدّ قمح تقريباً فتعطي من ٤٠ الى ٥٠ حمل ورق حسب حالة التربة وكلفتها. ويصعب تحديد اوان دخول زراعة التوت في اقطارنا الشرقية وربما كانت وطنية فيها لكن البضائع الحريرية كان الفينيقيون ينسجونها بعد استجلاب موادها من الصين والهند والعجم بطريق مصر والبحر الاحمر وعن طريق تدمر والفرات ويبيعونها للرومانيين واليونان وكانت صور وبيروت في فينيقية اهمّ مراكز هذا النسيج وفيهما يقيم تجار وحاكة الحرير ومنهما انتشرت هذه البضاعة في سائر الاقطار. امّا بزر القزّ فدخل بلادنا قرب السنة الخمسمائة والخمس والخمسين اذ كان استحصل عليهِ الامبراطور يوستنيان من الصين بواسطة راهبين كان انتدبهما لهذه الغاية فاتياه بكميَّة من بزر القزّ وبزر التوت مخبأة في عصيهما لوقايتها من المراقبات الشديدة في الهند والعجم والصين استئثاراً بغلَّة هذه الصناعة. فلدى الحصول على بزر القزّ ربّى السوريون دوده على شجر التوت « التوت الاسود » المنتشر حينذاك عندهم اذ كان يعطى ورقهُ للمواشي فتوسعت صناعة الحرير هذه لكنها ما لبثت ان توقفت نوعاً بسبب احتكارها من طرف الامبراطور ثم عادت فانتشرت وزهت تحت حكم بني امية والعباسيين وامتدت الى البلاد الاجنبية كاسبانيا وصقلية وغيرهما من البلدان ثم الى فرنسا وفي القرن الثاني عشر كانت زراعة التوت متسعة وتربية القزّ منتشرة بكثرة في لبنان وكانت النساء يتعاطينها فيربّين الدود في خصاص كانوا يقيمونها لها في البساتين بالقرب من شجر التوت ومنذ القرن الخامس عشر اصبح حرير لبنان رائجاً في اسواق فرنسا ثم في القرن الثامن عشر تناقصت ارساليات الحرير الى الخارج لاسباب لكن استحضاره بقي ثابتاً بفضل صناعة النسيج الوطنية الزاهية في الشام وحلب خصوصاً وكانت هذه تصدّر كميات وافرة الى جميع الاقطار الشرقية ولما اهملت صناعة النسيج في القرن التاسع عشر كان طلب الحرير من الخارج يزداد واصبح كذلك غرس التوت وتربية القزّ يزدادان تباعاً في جبل لبنان حتى بلغت ما هي عليهِ الآن فاصبحت من محاصيل بلادنا المهمة

بقيَ اللبنانيون اجيالاً يربُّون جنساً واحداً من البزر يدعونهُ البلدي الذي لونهُ ابيض او اصفر وكان كل مزارع يبزّر حاجته منه فتعطيه اوقية البزر « اي ١٢ درهماً » ستة ارطال من الحرير المحلول وأحياناً

اكثر. ثم لما ظهر مرض القرن الأحمر ومرض الذبلان واخذ يفتك في الخصاص جعل اللبنانيون يستجلبون البزر من فرنسا ويزوجونه من الجنس البلدي فحصلوا منهُ على بزر جيد قوي يصح خصوصاً في السواحل . ثم أُتي بالبزر الياباني من فرنسا نحو السنة ١٨٦٣ سمّوه في بلادنا « بزر صيني » كان يرسل الينا على خرائط من كرتون وكان يجري تبزيره في بلادنا مع تجديده حيناً بعد حين فتحسنت نتيجته شيئاً فشيئاً وتحسن جنسه واخذت اوربا تستجلب من بزره جانباً فاصبحت صناعة التبزير رائجة مدة في لبنان وعندما انتشر نحو سنة ١٨٧٢ المرض المعروف بالخُرْوَق (Pébrine) صاروا يأتون بالبزر من المحلات التي لم يبلغها المرض بعد كطرابلس وعين كسور في الشوف وهذا لون شرانقه اصفر مائل الى الحمرة تعدّ الاقة منه ٧٠٠ شرنقة. ثم من قبرس « اصفر وابيض » ثم من كريت « اصفر » ثم من مصر « اصفر » حيث كانت ادخلت تربية القز في نواحي قرّين وزوامل في عهد محمد علي باشا اذ استحضر البزر السوري واستقدم لتربيتهِ قزازين من برج البراجنة وزوق مصبح والدامور . الى ان اكتشف باستور طريقته المشهورة بانتقاء البزر الجيد وذلك بفحص الفراش بالميكروسكوب فينقى منه ما كان مريضاً ويبقى الصحيح حيث ثبت ان البزر الذي يتولد منهُ يكون مصاباً بالداء . فابتدأ اصحاب تربية القز في بلادنا سنة ١٨٧٣ بجلب البزر من فرنسا (ويسمونه عندنا بزر كورسيكا) ويكثرون منهُ سنةً فسنة لجودة محصوله وحسن شرانقه الغرشاء وجودة قماش حريره الى ان اصبح سنة ١٨٧٨ عموم البزر المربّى في سورية من هذا الجنس ولم يزل . على انهُ داوم افراد قليلون على تربية قسم جزئي من البزر الهندي المفحوص فحصاً ميكروسكوبياً ومنهم من يربيه صيفياً اي انهم يحصلون على موسمين في السنة الموسم الثاني يربى على الورق التشريني . ومن بعد انشاء مكتب درس تربية القز في بروسه نحو سنة ١٨٨٢ اخذت ادارته بايعاز من الحكومة السنية تورد كميَّةً منهُ اختبرها زرّاعو سورية فاتت بنتيجة مرضية ولا شك انه اذا دام الاعتناء باستحضاره تتزايد الكمية الداخلة منهُ ويعدلون بسنة آلاف علبة ما رُبي منه في بلادنا في السنة الماضية ١٩١٧

ويقسمون بزر القز الى عدة اجناس منها سنوية ومنها تفقس مرتين او ثلاث مرات او اكثر في السنة ولا يزال منها في بعض انحاء الشرق الاقصى. اما الاجناس التي تربى في اوربا وفي الشرق الادنى فكانت متواترة النتاج ايضاً غير ان حذاقة المربين بلغتهم باختبار انواع الدود ان يصيروها سنوية ويقتضي لبزرتها او بيضتها حتى تفقس ان تعرض مدة للبرد وبالعكس اذا بقي البزر محفوظاً في محل دافئ منذ ولادتهِ حتى وقت التربية في الربيع من غير ان يلحقهُ البرد فلا يفقس الا السنة التي بعدها اذا وضع قبلاً في محل بارد ولهذا يضعون البزر في امكنة باردة ليقضي فيها فصل الشتاء ويدعون ذلك تشتية ويجعلون البزر في سوريا في فصل الشتاء في اعالي الوسوط في الكنائس عادةً وياحبذا لو انشئ في لبنان محلات خصوصية ليقضي البزر فيها فصل الشتاء تكون مستكملة الشروط اللازمة من جهة درجة البرد ونشوفة الهواء . وقبل المباشرة بتربية القز (شيل) يُدفأ البزر تدريجاً ولفقسهِ حسناً يحتاج الى حرارة وهواء وشيء من الرطوبة . ولا بدّ لحسن فقس البزر وللحصول منه على نتيجة جيدة ان ينقل بالتدريج من المشتى الى المدفأ وان يضعوهُ في المدفأ طبقات

خفيفة ولا يُكدَّس البزر فوق بعضه وان يحرَّك من وقتٍ الى آخر حتى يتمكَّن من التنفس ويكون تنفسه متساوياً لئلا يصير اختلاف زمان في التفقيس فيصعب بذلك تربيتهُ· وليست محلات التدفئة ضرورية لتفقف البزر بل يكفي لذلك ان ينقل من المشاتي الى محلات التربية المعرضة لحرارة الربيع الطبيعية لكن البزر ينقف اذ ذاك متأخراً وبازمنة متفاوتة فضلاً عن ان البزر ياتي ضعيفاً نحيلاً

واذا فقس البزر يطعم من ورق التوت ويربى بخبرة واعتناء ان كان من جهة الحرارة والتهوية او النظافة او تقديم الغذاء او نوعيته · والنظافة تقتضي ان تنزع من تحته نفاياته كما انه يلزم التحاشي من تقديم الورق الرطب للدود· وهكذا يحصل المربون على موسم جيد اللهمَّ اذا كان الدود خالياً من المرض وموقياً من العدوى

﴿ علل دود القز ﴾ وأهمّ امراض القز هو « الداء البهاري » (Pébrine) او الفلفلي ويدعونه « محرَوَق » ويعتري البزر علل اخرى كالقرن الاحمر والذبلان والقياح (Muscardino, Flacherie, Grasserie) فالمحرْوَق علة ارثية ومعدية وعلامتها بقعٌ سوداء غاية في الدقة منتشرة انتشاراً سريعاً وتقتل الدودة قبل صعودها الى الشيح اذا نتجت عن فراش مصاب بتلك العدوى او



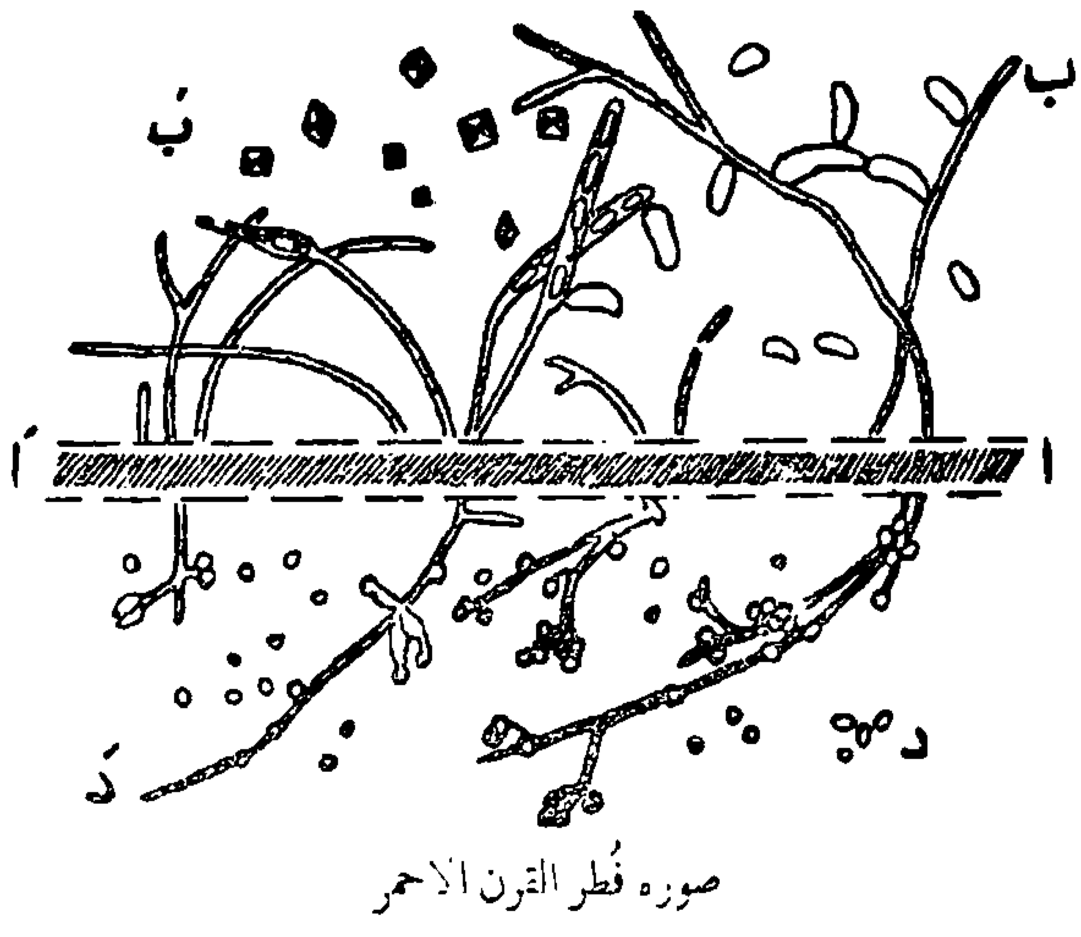
أُصيبت في بدء التربية· اما اذا اصابها الداء بعد الفطرة الرابعة فتعيش وتشرنق · فالدود المريض تُرى على جسمه بقع على شبه البهار ولذلك دُعي الداء بالداء البهاري وهذه الجراثيم المعدية تفنى في سنتها وانما تتوارث بواسطة البزر او البيض الناتج من الفراش المصاب بها ومن هذا ترى اهمية وعظم شان انتخاب البزر والفحص الافرادي بالمجهر على طريقة باستور

(القرن الاحمر)[1] هو علَّة قديمة العهد في سورية وتعرف فيها باسماء مختلفة لان منهم من يسميها علة القرن الابيض وغيرهم علَّة الحرطوق والبعض علَّة سكرديتو تعريب المسكردين (Muscardine) ولم يكن احدٌ في هذه البلاد قبل السنوات الاخيرة ليخاف منها شرًّا بل كانوا يعدّون ظهورها كعلامة الإقبال ويطمرون الدود المصاب بها في وسط الاطباق · فلما تكرَّر منهم هذا الهمل سنوات كثيرة بظروف واحوال مساعدة على سرعة انتشار العدوى اصبح من اقوى العوامل على سريان المرض واشتداد فتكهِ في الجبال وفي الساحل · وقد بلغ تفشيه مبلغاً عظيماً فلم تقتصر الخسارة على نقصان في وزن الشرانق بل اتلفت هذه الآفة الهائلة اخصاصاً برمتها

ان علَّة القرن الاحمر تتأتى عن توالُد نبات حلَي او فطري في الدودة او في الزيز يسمى بوتريتيس باسيانا (Botrytis Bassiana) نسبة الى الاستاذ باسي الذي هو اوَّل من اثبت ماهيته ووصف اضراره سنة ١٧٣٥ فدودة القز متى أُصيبت بعلة القرن الاحمر تحفظ ظواهر الصحَّة حتى قبل ان تموت ببضع ساعات ثم تصير رخوةً ثم تتمدَّد مستطيلة على الجزاز (الجزّة) دون ان تأتي بحركة وبعد مرور ١٠ ساعات او خمس عشرة ساعة

(١) المشرق سنة ١٨٩٨ ص ٩٧٦

على موتها يصير جسمها جاسيًا سريع الانكسار متهيئًا بهيئة ما لصق به و يعلوه وقتئذٍ لون وردي خفيف وبعد مرور اربع وعشرين ساعة تتكون عليهِ من كل جهاته غبرة الى البياض . واذا تمكنت الدودة المصابة من غزل شرنقتها فلا تلبث ان تموت في داخلها بعد ان تنطوي على نفسها (تكرش) وتتصلب وتجسو حتى ترنّ في الشرنقة كأنها حصاة . وهذا المرض يصيبها في كل اطوارها الا انهُ يصيبها عادةً في بدء الصومة الرابعة فاذا ظهر فيها قبل هذا الطور فالاحسن ترك تربية الموسم لان الدود الذي يتوصل الى صنع فيالجهِ



صوره فُطر القرن الاحمر

ا اَ سمك جلدتهِ — ب بَ الالياف المثمرة والجراثيم الوبائية — د دَ الجذور التي منها تتولد الجراثيم

يكون قليلاً ولك ان تتأكد حينئذٍ انَّ البيت الذي تربي فيهِ موسمك هو موبوء بما انَّ العلة المذكورة لا تتولد مطلقًا في امكنة لم يسبق فيها ظهورها . الا انها علة معدية الى حدّ فائق و ينتشي الداء بانتشار الجراثيم الفطرية لكنَّ الدودة المصابة بالقرن الاحمر لا يُخشى منها عدوى رفيقاتها الا متى ابيضَّت جثتها وما ذاك البياض الاَّ نباتات فطرية تفسح مجالاً الى جراثيم شبيهة بالتي كانت بدءًا سبب المرض . و بين انتشار الجراثيم وموت الدود عشرة ايام بوجه الاجمال . وعليهِ فاذا كان الدود يصعد الى الشيح قبل هذه المدَّة فانهُ ينسج شرنقتهُ ولكن الشرنقة تكون اخفّ من وزنها المعتاد . والنسبة بين الشرانق المصابة بالقرن الاحمر والشرانق السليمة نسبة واحد الى ثلاثة . ومما يجب ملاحظتهُ ان الشرانق المصابة بالقرن الاحمر تخرج منها عند التسليك بسبب خفتها كميَّة كثيرة من السواقط . ثم انَّ هذه الجراثيم الفطرية تعدي ايضًا بالتلقيح (فتموت) الدودة وقتئذٍ بعد ثلاثة او اربعة ايام . واعلم ان القرن الاحمر داء عياء لا يقبل الشفاء لكنهُ يوجد لحسن الحظ علاج واقٍ منهُ بكل تأكيد وهو التبخير بالحامض الكبريتي الذي من خاصيتهِ ان يقتل جراثيم هذا الداء وفروعه

(القيّاح والذبلان) تعلّلهما تأثيرات الطوارئ الجويّة التي تحصل وقت تربية القزّ وعدم احسان التربية اي اهمال تهوية المحلّات او الحرارة الرطبة او الهواء الشرقي . وكذلك ازدحام الدود على بعضه . وهذه الاسباب تساعد على فشو الذبلان الذي يتأتى من اختمار او فساد يحصل في جسم الدودة من جراء جراثيم تنمو بوفرة في امعاء الدودة ومن آليّة دقيقة تعدّ كاختمار محض شبيهةً على شبهِ حبوب سبحة . وهذه العلّة هي ارثيّة وفاشية فيعدي الدود بعضهُ بعضاً . ولاحظوا ان البزر المتأتي عن امهات عاشت في وسط اعتراه الذبلان يكون اكثر قابليّة لهذا المرض واقل مناعة ازاء التقلبات الجويّة والتربية المختلّة . ولهذا يجب ان لا يكتفى بفحص الفراش الافرادي للحصول على بزرٍ جيد بل ان يصير بملاحظة الدود قبل طلوعه على الشيح وانتخاب ما كان سالماً منهُ وقوياً وهكذا يفعل المبزّرون اتباعاً لرأي باستور الشهير

(طرق الوقاية من علل دود القزّ) وللوقاية من هذه العلل يشير ارباب العلم بان يحسّن المربون تهوية محلات التربية والنظافة وغذاء الدود ومن اقوى الوسائط الواقية وانفعها لاسيما ازاء القرن الاحمر كما ذكرنا هو التطهير بالكبريت . وكيفية استعمال الكبريت ان يُحرَق على مدة ٢٤ ساعة في محلات التربية بعد ان يصير سدّ نوافذها سدّاً محكماً كيلوغرامان او ثلاثة كيلوغرامات من الكبريت المسحوق مع مئتين الى ثلاثمائة غرام من البَورق تسهيلاً للالتهاب وذلك لكل مئتي متر مكعب من الهواء . امّا اذا كان الدود يُربى في الاخصاص فالواجب اجراء مثل هذا التبخير لآلات القزّ بعد وضعها في محل مقفل . فاذا شوهد مع ذلك اثناء التربية دود أُصيب بالقرن الاحمر فيجب كل يوم اثر الفطرة بعد ان يُقشّ من تحت الدود ان يحرق ٢٥ الى ٣٠ غراماً من الكبريت المسحوق مع غرامين او ثلاثة من البورق وذلك لكل مساحة مئة متر مكعب ويجب الكف عن احراق الكبريت متى بدأ الدود يغزل شرنقته لان الحامض الكبريتي يؤثر في الشرانق فيغير جنسيّة الحرير . ويمكن كذلك التبخير بالفورمول او بالكلور . ولك ايضاً ان تستعمل دخان الحطب الاخضر فانّ الدود لا يتأذى مطلقاً من هذه الامور . على ان استعمال الكبريت على الوجه المتقدم ذكره يجعل الدود بنجاة من القرن الاحمر كما انهُ يبعد عنهُ مرض الذبول في اكثر الاحيان . ومن وسائط التطهير ايضاً ان تغسل ادوات التربية في ماء الكلس الممزوج بسولفات النحاس (الشبّة) او في مزيج من الفورمول (Formol) : فتضيف ليترين او ثلاثة ليترات من الفورمول لكل مئة ليتر من الماء . ويسهل ذلك اذ بُني في المزارع برك طولها طول ادوات القزّ من اعمدة وركائز « وسبابيج وعبابير و بواتير » وعرضها وعمقها بحسب الحاجة فيذوبون فيها من المزيج المراد استعمالهُ وينقعون فيها الادوات . امّا المآوي التي يربى فيها القزّ فيصير طليها بذلك المزيج . وحيث اصبحت الآن طرق العربات منتشرة في اكثر نواحي الجبل فلا بأس من استعمال احواض سيّارة اي نوع من الفاكونات تعرج في طريقها على القرى فتوضع فيها آلات القزّ وتتطهر تباعاً فكل مربٍّ يطهر ادواته بعد الآخر فيكون ذلك اوفر واسهل . ويمكن ايضاً ان توضع الفاكونات مضخات مع انابيب محرّكة فعند وصول الفاكونة بالقرب من البيت المعد لتربية القز تحرّك المضخة ويدار رشّ قساطلها نحو داخل البيت فيصير تطهير الحيطان والسقف بالمادة المطهرة الموجودة في الفاكونة وتستعمل مثل هذه الاحواض النقالة

ومثل هذه المضخّات والمرشّات لغايات شتى منها المضخّات لاطفاء الحريق ومنها لدفع المواد المطهّرة المضادة للامراض السارية ومنها طلمبات جذابات تستنشق الغبار من داخل البيوت ومفروشاتها فلا باس من استعمال مثلها للغاية التي نتوخاها مع اعطاء الاحواض حجماً كافياً لبلّ الادوات التي توضع فيها

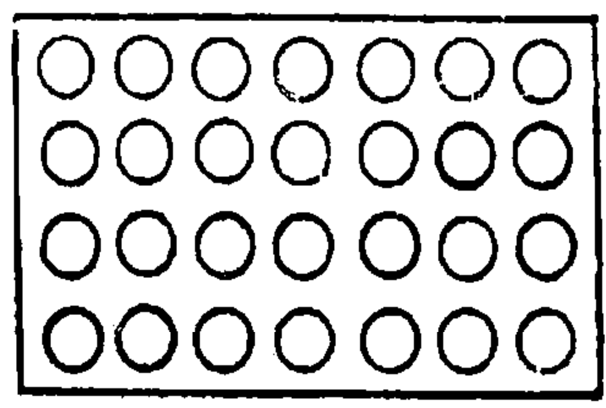
فباستعمال الوسائط المتقدم ذكرها وتعميمها في الجبل كما عرضنا ذلك لحكومة لبنان منذ السنة ١٨٩٥ يحصل المربّون على غلّة اوفر واجود جنساً وذلك بنفقات زهيدة سواء كان من جهة مقطوعيّة الشرانق او من جهة نعومة الحرير بينما ترى معدّل المحصول الحاضر لا يتجاوز في لبنان ١٧ اقة الى ١٧,٥٠ لكل علبة من البزر (٢٥ غراماً) . ومهما بالغوا بالاعتناء يصعب الجزم بامكان حصول نتيجة مرضية دائمة في السواحل اذ لا يستطيع المربّون اللبنانيون ان يتحكموا في احوال الجوّ من حرارة ورطوبة وريح شرقية اوان التربية ولهذا فلا بدّ ان تخفّ تربية القز في سواحل لبنان حتى في اعالي السواحل ايضاً الا في الاراضي القاحلة منها وتستبدل تباعاً بمزروعات اخرى اربح وآمن وذلك متى تيسّر جعل هذه الاراضي مسقيّة بجلب المياه اليها. وتُترك بعض اشجار التوت حوالي البساتين فيُربى عليه مواسم جزئية متفرقة . اما في المنطقة الوسطى من الجبل وما فوقها فتبقى زراعة التوت معززة . ورغماً عن تناقص هذه الزراعة يمكن ابقاء محصول الشرانق على حاله بل مع زيادته اذا أُحسنت زراعة التوت ومعاملته وأُعتني باستعمال البزر الجيد وحفظه وتفقيسه حسبما ترشد اليه الاختبارات المتتابعة المؤيدة بالعلم واذا تعممت اساليب تربية الدود الراقية . وعلى كل حال يُعدّ موسم القز من المواسم المهمة في سورية بل اهم موسم في لبنان لانّ كمية البزر المربى في سورية عموماً من اسكندرونة الى صور تبلغ ٢٣٠,٠٠٠ الى ٢٥٠,٠٠٠ علبة يورد معظمها الى بيروت ويشتى في الجبل . وتقسم هذه الكمية كما يلي : ٢٠٠,٠٠٠ علبة من البزر الفرنساوي « ڤار وكورسيكا » و١٠,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ علبة تبزير الجبل و١٥,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ علبة وارد بروسه و٥,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ علبة وارد ايطاليا . اما الكمية التي تبزّر في باقي سورية فلا تستحق الذكر

و يعدّلون محصول الشرانق السنوي في سورية باربعة ملايين ونصف اقة . وليس لدينا احصاءات رسمية يُرجع اليها لتحديد ما يلحق لبنان من هذه الكمية لكن اذا سلّمنا ان محصول ساحل بيروت وسواحل سورية يبلغ ٣٢ ٪ الى ٣٥ ٪ ومحصول الوسوط « وسوط لبنان وسهل البقاع » يبلغ ٥٣ ٪ الى ٥٥ ٪ ومحصول اعالي لبنان من ١٠ الى ١٥ ٪ فيمكننا تعديل محصول الجبل من ٦٥ الى ٧٠ ٪ من محصول سورية الاجمالي . ومعظم محصول سورية يحلل في معامل لبنان

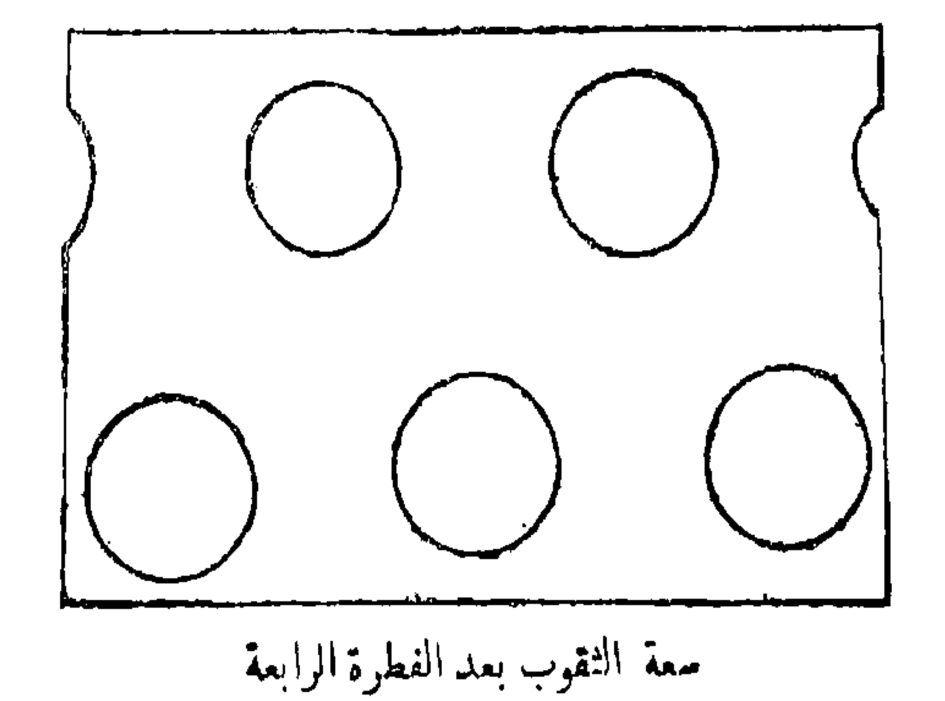
ان كميّة الحرير (Soie Grège) التي تصدّر سنوياً من سورية تبلغ ٢٦٠٠ بالة تقريباً تحوي كل بالة ١٠٠ كيلو ويصدّر ايضاً شرانق ناشفة ٤٠٠,٠٠٠ اقة و٦٠,٠٠٠ اقة مشافة و٤٥,٠٠٠ الى ٥٠,٠٠٠ اقة من نفايات الشرانق والحلّ الاخرى وهذه الصادرات ترسل عن طريق بيروت وطرابلس وقسم عن طريق اسكندرونة ومرسينا . وما تبقّى من الموسم يستعمل في البلاد للصناعة الوطنية

وفي الختام نكرر ما قلناه آنفاً وهو ان انجع وسيلة لنجاح تربية القز هي : ١ً استعمال بزر جيد خالٍ من

المرض والاحسن ان يكون هذا البزر من الحاصل بالازدواج (Grain de croisement) فيكون اقوى ويصح اكثر من غيره في السواحل · ٢ً تطهير المحلاّت وادوات التربية · ٣ً الامتناع عن تربية كميات كبيرة من الدود في محل واحد لانه لوحظ ان الافضل تربية كمية قليلة في محل واحد ونجاح الموسم الذي يتأتى عن ذلك يعوّض عن نقص كمية البزر · ٤ً الامتناع من استعمال بزر جُلبَ متأخراً اي بعد ان يكون تحرك الجنين داخل البيضة والسعي بجلب البزر باكراً قبل فصل الشتاء وارساله حالاً للمشاتي وقايةً من التقلبات الجويّة من حرارة وبرودة ورطوبة لانهُ يتأتى عنها ضرر عظيم للدود اذا تعرض لها البزر بعد ان يكون لحقه شيءٌ من البرد وخصوصاً متى كان «تحرك البزر» اي بعد ابتداء نموّ الجنين في اوائل الربيع · ٥ً الاعتناء بتشتية البزر الحسنة بحيث يؤخذ البزر تدريجًا لتفقيسه ولا يتم ذلك الا متى أُنشئ محلات مجهزة لتشتية البزر حاوية على الشروط اللازمة · ٦ً مداركة تفقيس البزر وضبط درجات الحرارة فينقف هكذا البزر متساويًا ويا حبذا لو أُستعملت لتفقيس البزر المدافئ المصطلح عليها الآن في اوروبا واشهرها وابسطها معًا ما يسمونهُ الـ(le Castelet) الذي استحضرت منهُ مثالاً ادارة الزراعة في لبنان · ولألبرت افندي نقاش مفتش النافعة والزراعة في لبنان سابقًا شرح وافٍ في ذلك وسرَّنا ما اطلعنا عليه مؤخراً في نشرته المطبوعة سنة ١٩١٥ من الافادات المختصة بزراعة التوت وتوابعها والنصائح الآئلة الى تحسين هذه الزراعة · ٧ً يلزم نظافة كلية في محلات تربية القز والقش من تحت الدود من وقت الى آخر ويكون ذلك بتأنٍ دون نفض الغبار واحسن طريقة لذلك استعمال الورق المثقوب كما هي العادة في الخارج او استعمال الشبكات



سعة الثقوب في بدء حياة دود القزّ



سعة الثقوب بعد الفطرة الرابعة

ودونك كيفية استعمال الورق المذكور فانهم يمدون على الرف (الطاولة) طلحية ورق ذات ثقوب مناسبة سعتها لكبر الدود (انظر صورة الورق المثقوب) او شبكة واسعة الزرد يلقون عليها ورق التوت فينتقل حالاً الدود مجتازاً في الثقوب الى طعامه · فحينما ينتقل الدود يرفع الورق المثقوب او الشبك ويعلّق على ركائز موضوعة في جوانب الطاولة فيسهل بذلك تنظيفها بنزع الورقة الباقي عليها نفاية الدود ثم يعتاضونها بورق نظيف ويبسطون فوقهُ الورق المثقوب او الشبكة · وعليهِ لا بد من وضع ورقة سلفًا على الطاولة · ويجوز

استبدال هذه الورقة ببواتير يمكن نقلها بسهولة ٨٠ ٪ التعجيل بالتربية وتقصير ايامها باعطاء الدود علفات متعددة

(التبغ) ان التبغ من المحاصيل المهمَّة في السلطنة العثمانية اذ يبلغ محصولهُ السنوي لا اقل من ستين الف طن يتصدر منهُ اثنا عشر الف طن تقريباً الى البلاد الخارجية اما الوارد منهُ الى البلاد العثمانية سواء كان للتدخين او المضغ او السعوط فلا يتجاوز ٤٩٠،٠٠٠ كيلوغرام· كانت زراعة التبغ سابقاً كثيرة الانتشار في جبل لبنان حتى ان غلتهُ كانت تعدّ اوفر غلة بعد غلة الحرير وشهرة التبغ الريحاني والجبيلي والكوراني خاصةً كانت عمومية والمصدَّر منهُ الى الخارج ولا سيما الى بلاد مصر كان يبلغ كميَّة وافرة· ويقدّرون محصول هذا الصنف في اواسط القرن الماضي بثلاثمائة الف اقة تقريباً وقدَّر بعضهم محصولهُ في ذاك الوقت في عموم سورية بمليون وخمسين الف اقة· لكن عندما تشكلت شركة حصر التبغ سنة ١٨٨٣ اخذت زراعة التبغ اللبناني بالتناقص عاماً فعاماً الى انها كادت تنقرض من جراء ما اصابها من التقهقر والهبوط في اسواق مصر من مزاحمة التبغ الاسلامبولي فضلاً عمَّا اعتراها من الكساد في سوق البلاد حتى نفس الجبل حيث اعتاد المدخنون استعمال الدخان المستورد من الريجي· الاَّ ان مزارعينا في السنين الاخيرة انتبهوا الى الارباح التي يمكنهم كسبها من العود الى زراعة هذا الصنف مع مراعاة ذوق اصحاب التدخين فاستحصلوا بزراً من اصناف التبغ الاجنبي (الاسلامبولي) واخذوا يزرعونها بكثرة فاتت بنتيجة حسنة يمكن زيادة تحسينها اضعافاً باعطاء هذه الاصناف ما تتطلبهُ من المعاملة الخصوصية في طرق زراعتها واستحضارها

امَّا التبغ الوطني فبقيت زراعته جارية في شمالي لبنان ويصدَّر منهُ كميَّة لا تقل عن العشرين الف اقة الى بلاد مصر فيُعرَف فيها بالكوراني لكون اعظم واردات هذا الصنف كانت تستغلّ سابقاً من تلك الجهة وهو مرغوب في بعض نواحي مصر لموافقته للحشيش كما يقولون اذ انهُ بسرعة اشتعاله وتطاير شراره يسهل اشعال الحشيش الممزوج به

ويقدّرون التبغ حاليًّا بمائتين وخمسين الف اقة من الجنس الوطني والجنس الاسلامبولي يصدر منها الى خارج لبنان ما عدا العشرين الف اقة السابق ذكرها نحو خمسة وعشرين الف اقة تصدر لجهات مختلفة الى مصر والمانيا وانكلترا والجمهورية الفضيَّة· وما بقي يستعمل للتقطوعيَّة الداخليَّة· فاذا استندنا على احصاآت شركة الريجي في منطقتها المجاورة لبنان وعدّلنا محصول الدونم باربعين كيلوغرام من التبغ تبلغ مساحة الاراضي المزروعة تبغاً في لبنان نحو ٢٥،٠٠٠ دونم· ولا شك انهُ لو اقتصر على زرع الاراضي المناسبة لهذه الزراعة وهي موجودة بكثرة واختير اطايب البزر التركي المعوَّل عليه الآن من وطنهِ الاصلي وقام بمعاطاة زراعة هذا النبات وخدمته من قطف وتخمير وتنشيف اشخاص خبيرون بهذه المهنة لبلغت منافع لبنان من ذلك درجة تذكر بين ارباحهِ الاخرى· هذا اذا افترضنا ان استعمال الدخان الحاصل يبقى محصوراً في الجبل اذ انهُ لا يخفى ان الوارد السنوي الى الجبل من الدخان لا يقلّ عن مائتين الى مائتين وخمسين الف اقة فما اعظم الربح لو اعتبرنا الكميات الوافرة التي يمكن تصديرها الى مصر والى بلاد اخرى عند ما تصبح زراعة

التبغ الاسلامبولي اكثر انتشاراً ومعالجة النبات اوفر خبرةً · وهاك امامنا نتيجة زرع التبغ في جزر البحر المتوسط كساموس مثلاً وفي مقدونيا حيث تجد في المدن والقرى عدداً لا يحصى من العملة يشتغلون بزراعته وجمعه ومعالجته وبيعه ويعدلون ان المشتغلين بهذا الصنف في مدينة كافالا وحدها يبلغ عددهم خمسة عشر الفاً · ويليق ان ندوّن هنا خلاصة الفحص الذي اجراه حضرة الاجزائي البارع يوسف افندي الجميل في مختبر مدرسة الطب الكيماوي ببيروت اذ بيّن ان التبغ اللبناني باصنافهِ حاصل على مزية كبيرة وفضل عظيم على سواه بخصوص قلّة المادة السامّة النيكوتين المحتوي عليها · بيد ان التبغ التركي يفوق اللبناني برائحتهِ الزكية التي يعتبرها اصحاب التدخين ايّ اعتبار فاذا صار تعميم زراعة الدخان الاجنبي يحصل على مزية التبغين ولو سُمح للبنان بادخال بعض اصناف التبغ للمزج الذي لا بدّ منهُ لراجَ الدخان اللبناني في اسواق المهجر ايّ رواج

(التنباك) اخذوا في زرع هذا الصنف من بضع سنوات في جنوبي لبنان خصوصاً ولا شك انهُ اذا استُخدم اناس خبيرون بزراعتهِ وبتحضيره (وهذا التحضير لهُ المقام الاول في تجنيس الصنف) لراجت سوقه في نفس بلادنا وفي الخارج ايضاً وتلك زراعة معاطاتها معتبرة لانهُ اذا عدّلنا مقطوعية الجبل السنوية من التنباك بـ ٣٥٠ الى ٤٠٠ الف اقة وثمن الاقة المتوسط ٤٨ غرشاً حسبما تتقاضاه ادارة التنباك يتضح الربح الممكن جنيهُ منها

(قصب السكّر) هو من المزروعات الصناعية المهمة لكنهُ في لبنان لا يستعمل الا للمصّ فقط · ان السكّر من لوازم الانسان الضرورية ويزداد الناس في استعماله كلما ازدادوا مدنيةً واكثروا من التفنن في اصطناع الحلويات · ان اصل منبت قصبه الهند وأُدخلت زراعته الى بلاد العرب ومنها انتقلت الى بلاد مصر واوربا وقد زرعته اسبانيا منذ عام ١٤٩٠ في ماديرا · اما في مصر فانها اصبحت الآن من المزروعات الواسعة وأُنشئ لها معامل لاستحضار السكر · ولم تزل في سوريا زراعته محدودة ومتفرقة على الشواطئ البحرية وتجد منه مزارع في صور وصيداء وفي لبنان في وطأ نهر الكلب خصوصاً وجونية ونهر ابراهيم غير ان هذه الزراعة كانت منتشرة في سوريّا وفلسطين في القرون المتوسطة وكان منها مزروعات مهمة في وادي نهر الشريعة وما لبثت ان امتدّت الى سائر الشواطئ السورية لا سيما في اراضي صور وطرابلس · وعرف السوريون منذ ذاك الوقت استخلاص السكر من القصب وبرع فيه خصوصاً العمال الصوريون وآثار معاصرهم باقية الى ايامنا فاصبح السكر من اصناف تجارة هذا البلد المهمّة واخذ عنهم اهالي صقلية اساليب صناعتهم وهم يفضلونها على الطرائق المستعملة حينذاك عندهم · وروى نصري خسرو انه شاهد في اثناء سياحته في برّ الشام في ابتداء القرن العاشر بين مزروعات جنائن وبساتين ضواحي صيداء وجبيل وطرابلس قصب السكر وصادف مرورهُ اوانَ موسمه فكانوا في طرابلس يجنون منه سكراً يستحضرونه في معاصرهم · وكيفية زراعته انهم يكسرون (يقلبون) الارض جيداً ويسودونها قبل زرعه فيعطي غلة حسنة واذا اهتُمّ بجمع الممتص ودفنه في الارض قبل جفافه تستغني به الارض عن كل سماد · ومن السماد المستحسن لهذا الزرع الرماد وعظام

الحيوانات لان هذه المواد مع السماد الاخضر اعني المصاص تحتوي على قدر من النشادر وسيليكات البوتاسا والفوسفات وهي من العناصر التي يتطلبها قصب السكر اذ يحتوي عليها بكثرة . ولا اظن ان هذه الزراعة تتجاوز كثيراً الحد الذي وصلت اليهِ في شواطئ لبنان بحيث تستلزم تجهيز معامل لتحويل عصرها سكراً مبلوراً

(النباتات العطريّة) ان النباتات العطرية كثيرة الوجود في لبنان وسائر بلاد الشرق ومن قديم الزمان كانوا يزرعون بعضاً منها سواءٌ كان لحسن منظرها او لذكاء رائحتها او لاستخلاص الزيوت العطرية الطيارة منها. وزادت زراعة هذه النباتات في السنين الاخيرة عند ما أُنشئت معامل استخراج العطور. اما اهم هذه الاجناس المزروعة في منطقة لبنان فهي اجناس الليمون التي فضلاً عن ثمرها تفيد بما يستخلص من زهرها من الزيت العطري ثم الورد والبنفسج والزنبق والسوسن والقرنفل والنعنع والجرانيوم واليانسون والشمرة والياسمين والنرجس والصعتر والخلندرة والخزام والمنثور والبابونج وشجرة العنبر (Acacia Farnesiana) يستخدمونها عادة في السياجات في الساحل . وغير ذلك من النباتات

(النباتات الصبغية والدبغية) وهي كثيرة ايضاً يزرع بعضها كالحناء واصلها من مصر تستعمل لصبغ الشعر والاظافر وشعر الخيل فتلونها بلون نارنجي . ثم الفوّة لاستخلاص اللون الاحمر القانئ من جذورها انما زراعة هذا النبات اندثرت من لبنان . ثم البربريس . يعمل من جذور هذا النبات البرّي صبغ اصفر . اما المواد الدباغية فيستخلصونها من اشجار شتى اهلية كالعفص والسماق والرمان الخ

(النباتات الطبيّة) منها في سوريا اجناس عديدة كالخشخاش وعرق السوس والخروع والراوند والقنطاريون والخردل . وفي لبنان تجد خاصة المحمودة والغار والريباس والصعتر والبنج (Jusquiame) ويزرعون النعنع والخطمية والحنظل . وأُدخل حديثاً الى حديقة مدرسة الطب بالقرب من حرج بيروت بعناية حضرة مديرها الاب بولوموا اليسوعي انواع شتى كشجرة الكينا وانواع من الخطميّة وخلافها

٥ نباتات واشجار مختلفة

من مزروعات لبنان ايضاً الموز كانت زراعتهُ منتشرة في بلادنا السورية وفي فلسطين ثم تناقصت تدريجاً الاَّ انها الآن آخذة بالازدياد في الشواطئ السورية وهي تتطلب اعتناء وارضاً موقية من الارياح القوية رطبة شديدة الخصب ليجد الموز فيها الغذاء الكافي لنموه السريع ومتى تمت هذه الشروط اتى بارباح وافرة . والموز المصطلح عليهِ في بلادنا يسمى « البلدي » وهو مشهور بحلاوتهِ وحسن طعمهِ . وقد غُرس منهُ اجناس كثيرة بعضها جيدة وبعضها ممتازة بحجمها لكنها دون البلدي لذةً . ويتكاثر الموز بواسطة الازرار الصغيرة التي تنبت حول جذوره كل سنة فاذا نجحت تحمل ثماراً في السنة الثانية من زراعتها لكن ثمرها لا يكون جيداً اما في السنة الثالثة فيحمل الموز ثماراً جيدة ومتى اثمر تنتهي حياته فيقطع وتستمرّ ازراره على النمو فتستحيل الى جملة اغراس متقاربة بعضها من بعض ومتى اخلف الواحد منها ثماراً يُقطع . واذا أُريد زرع الموز تؤخذ الازرار المذكورة وتغرس في حفر مسمّدة أُعدت لهذه الغاية . ومن المصطلح عليهِ تجديد

النبات كل بضع سنين حيث انهُ يُضعِف الارض . واذا اثمر في فصل الشتاء لا تنضج الثمار جيداً فتقطع قنوان الموز وتوضع في التبن فتنضج فيهِ بالحرارة الصناعية التي تتولد في التبن

الصبّير او التين الشوكي يستعمل كسياجات للبساتين ويؤكل ثمره انما يمكن الحصول منهُ على فائدة اعظم واثمن في لبنان خصوصاً وذلك كعلف للمواشي ويحسن لاجل ذلك ان يغرس ضرب آخر منهُ لا شوك لهُ

ويزرعون كذلك القصب والغزّار للسياجات ويتخذون قضبانها لفوائد شتى وللمنافع الاهلية كالبواتير لتربية القزّ وخلافها

ويغرسون الازدرخت والاكاسيا في المنتزهات وعلى الطرقات وياحبذا لو عمّموا غرس مثل هذه الاشجار على طول الطرقات . وفي اواخر القرن الماضي أُدخل شجر الاروكاريا وشجر الصنوبر النمساوي وشجر الاوكالبتوس ومنهُ اصناف عديدة تعيش في اراضٍ ومناطق مختلفة فاخذ بالانتشار لكنه كان يؤمّل ان يكون انتشارهُ ازود واسرع لما لهُ من المنافع ان كان للصحة او لصلاحية خشبه كوقود . وروى البعض ان حرارة القدم المكعّبة منهُ تساوي حرارة القدم المكعبة من الفحم الحجري . او لما يحويه من الزيت العطري الذي يمكن استخراجه منهُ . ويوجد من هذه الشجرة ٤٥ نوعاً في حديقة مدرسة الطب ببيروت قرب الحرج وقد استجلب بعض المولعين بالزراعة او من يهمهم العلوم النباتية اشجاراً كثيرة مثمرة وخلافها مما لم يكن معروفاً عندنا فترى في البقاع بضواحي طريق عربات الشام القديمة اجناساً حرجيّة غرسها مديرو هذه الطريق . وفي حديقة مدرسة الطب على طريق الشام لا اقل من ثلاثمائة نوع من النبات أُدخلت من بلاد مختلفة الى هذه الحديقة واصبحت اليوم متوطنة فيها بينها نباتات طبية ونباتات حرجية واشجار مثمرة ففيها شجر الكوياف (Goyave) ذو الثمر اللذيذ وشجر البابايه (Papayer) وانواع شتى من الفصيلة الآسية (Myrtacées) ولا اقل من ١٨ شكل من فصيلة الشجر المخروط كالصنوبر والسرو ونوع من التين (التين العبّادي) يستخرج منهُ صمغ اللك وذلك بفضل حشرة كالصرصور يدعونها حشرة اللك ويستعمل هذا الصمغ للاصباغ ولشمع اللك . اما النباتات والبقول الحديثة فكثيرة جدًّا الاَّ ان قسماً منها بعد برهة من الدهر يضعف ويفقد خواصّهُ الاصلية لاختلاف التربة على هذه النباتات او بالحري لجهل الاهلين تربيتها

٦ آفات المزروعات من النباتات الفطرية وغيرها ومن الحشرات

(الرهوب والصدأ) يفسد الحبوب بعض الفطريات التي تؤذي بزرها وتتلف احياناً سنابلها واخصّها العلّة المعروفة عندنا بالرَهوب (Charbon et Carie) وينسبونها الى رداءة الطقس او كثرة الرطوبة في الارض فتتحول بزور الغلة الى سفوف اسود كانهُ الفحم الناعم وهذه الجراثيم الفطرية تنتشر وقت الدراسة بين البزور وتثبت فيها . ويسطو على الاغلال فطر آخر يدعى صَدَأً لانهُ يكسو المزروعات ذات السنابل مادةً محمرَةً او قاتمة تشبه صدأ الحديد فيصيب الاصل ويستولي ايضاً على السنبلة وسائر اجزاء النبات فيضرّ بتكوين

الحبّ ويقلّل قوة التبن الغذائية . وهذه العلل معروفة منذ القدم في بلادنا وتُعد من الضربات التي يتهدّد بها النبي موسى شعب بني اسرائيل وانتشرت مراراً عديدة في اراضي فلسطين . وتُستدرك هذه الآفات بان تكلّس الزور او تغمّس بمزيج من السولفات . ويتوقف التكليس على غمس البذار في ماء كلسي (على قدر ثلاثة كيلوغرامات من الكلس الحي في كل ثمانية ليترات من الماء) فيوضع البذار في سلّة ويغمس في المزيج المذكور مدّة بضع دقائق ثم يعرض للهواء حتى يجفّ وكذلك طريقة غمسه بسولفات النحاس على قدر واحد في المئة فيبقى البزر فيهِ نحو ثلاث الى اربع دقائق ثم ينشف وبعد ان يمضي عليهِ نحو اثني عشرة ساعة يحسن زرعهُ ويذرّون عليهِ عادةً شيئًا من الملح ليطول مفعول الكلس

(سوس القمح) ومن الهوام الضارّة سوس القمح وهو من الحشرات الغمدية الاجنحة لونهُ قاتم ودودته بيضاء الا رأسها الضارب الى الصفرة ويكون ظهوره في اول الربيع فيزدوج بعد حين فتدخل الانثى بين كومة الغلة وتجعل فيها بيضها وأذاه عظيم في الاهراء فان دودته تحرق لب الحبة دون ان يظهر في خارجها مع فراغ داخلها فتخف الحبة وتطفو فوق الماء اذا ألقيتها فيه . واحسن طريقة للوقاية من هذه الهامة نظافة الاهراء وتذرية الحبوب

(الالوسيت) (l'Alucite) هي ايضاً من الهوام المفسدة للحبوب كالقمح والشعير والذرة الخ وفراشها اكبر من الدودة السابقة ولونها رمادي فيتطاير زمناً قليلاً قبل الحصاد وبعد سفادها تضع الانثى بيضها الاحمر في السنابل فتنقف او في الحقل او في الاهراء اذا كان أُدخل اليها الحب . فالدودة البيضاء اللون تنخر الحبّ وتأكل اللب وتنسحب . واحسن طريقة لاستئصال هذا الداء وحفظ الحبوب ان تقتل الهامة في بطن الحبة وذلك بان تخنق هذه الهوام بالحامض الكربونيك بوضعها في آبار او اوعية محكمة القفل ومملوءة الى اعلاها والاحسن ان يحرق في هذه الاوعية قبل املائها شيء من الفحم فيتشرب جمرهُ اوكسيجين الهواء الموجود في المحل ويتكون الحامض الكربونيك

اعلن اهل الكورة منذ بضع سنوات وجود هامّة اخرى مفسدة للحبوب يؤخذ من وصفها انها هي المعروفة باسم (le Cephe pygmée) وفراشها اسود وهي ذبابة ذات اربعة اجنحة تضع بيضها على الساق تحت السنبلة فالدودة المنقوفة تدخل في وسط الساق وتتابع سيرها الى اسفل الساق مخترقة العقد وهذه الدودة بيضاء ورأسها كمد اللون وبضعة أيام قبل الحصاد تلتصق باصول النبات عند اسفلها على علو سنتيمتر او سنتيمترين من الارض ثم تبني لها فيلجة لفصل الشتاء بعد ان تكون قرضت الساق داخلاً على شكل دائرة ليمكنها ان تنسحب عند تمام نبتها . ويعرف اذاها من هيئة السنابل التي تكون بيضاء ومستقيمة . اما ما كان سالماً منها فيكون ملتوياً نضراً واذا فحصت ساق السنبلة الفاسدة وجدت الدودة فيها وهي تقرض . وطريقة النجاة من اذاها ان ينزع النبات الفاسد ويحرق في مكانهِ

انّ استدراك الداء قبل وقوعه هو الافضل ولذلك حتى يحصل المزارعون على غلات جيدة يجب عليهم ان ينزعوا من حقلهم الحشائش المضرّة لانها تضعف الارض ويصوّلوا الحبّ . ومما يفيد كثيراً لذلك

تنسيق المزروعات كما افاد بها صاحب النظر العمومي في الزراعة

وللبقول والقطاني نباتات وفطريات وحشرات خاصة بها. فمن النباتات الضارّة النبات المدعوّ خانق الكرسنّة (Cuscute) او خانق العدس او خانق الفول الخ بحسب ما يكون ساطياً على نوع او آخر من هذه المزروعات يفشو خصوصاً في جنوبي لبنان. و يوجد نوع آخر من النبات يدعى أيضاً خانق الكرسنّة او جعفيراً (Orobanche) ينبت كذلك في جوار مزروعات أخرى و يضرّها. فاستئصال هذه النباتات المضرة يكون بنزع البقل الذي يخنقهُ ورش المحل بمزيج من سولفات الحديد (بقدر ٣ كيلوغرامات من السولفات لكل مائة ليتر من الماء)

و بين الحشرات هامّة تدعى (Bruche) وهي من الحشرات الغمدية الاجنحة فراشها اسود مع نقط بيضاء وهي تفسد البقول ودودتها تقرض باطن الحبوب (الحمص واللوبياء والفول والعدس والباقية الخ) والنجاة منها بان تعرض على سولفور الكربون

(المالوش) ومن الدّ اعداء المزروعات المختلفة المالوش (Courtillère ou Taupe Grillon) ومما تمتاز به هذه الحشرة قائمتاها وهما غاية في المتانة تنتهيان باظافير هائلة كاظافير الخلد او اشدّ. واكثر ما يوجد المالوش في التربة الخفيفة ذات الرطوبة والكثيرة السماد فتتوطنها هذه الدويبة وتجد فيها ما يلائم طبعها ولهذا ترى الحقول الواقعة في سهل بيروت وسهول لبنان مصابة كلها بهذه الآفة. ومن طباع المالوش انهُ يخرج في الليل من وكرهِ فيسيح على وجه الارض ليتصيّد الهوام والحشرات. والذكور منهُ تستعين اذ ذاك باجنحتها للطيران. وقد زعم بعض الكتبة ان المالوش من الجوارح لا يأكل اصول النبات وانما يقرضها في طريقه لانها تعيق سيره في طلب الديدان والحشرات. والصواب ان هذه الدويبة تأكل كل ما تصيب من هوام ونبات كما هو دأب اغلب الصراصير. وقد ثبت بالاختبار انها تلتهم حتى نفاية النباتات اما السماد فهو اصلح ما يكون لنموّها لا سيما روث الخيل

والمالوش يعيش نحو ثلاث سنوات وفي سنتيهِ الأُوليين يكون على هيئة دودة اما السنة الثالثة فيبلغ فيها كمالهُ. واوان ازدواجهِ في احد شهري ايار او حزيران والانثى تسرّئ بيضها في حزيران او تموز ولا يمضي على تسرئتها خمسة عشر يوماً حتى تفقس صغارها وتكون الصغار على شبه الكبار الا انها بلا اجنحة و يأكل الذكر نحو تسعين في المئة من صغاره. والمالوش يقرض النبات المتداني بعد تفقه بقليل ولا يمرّ عليه ١٥ يوماً حتى يسلخ سلخه الاول فيأخذ في حفر الاسراب لنفسهِ ولا يبلغ المالوش تمام كيانهِ الا في آخر سنتهِ الثانية بعد السلخ الرابع فيصير مجنحاً قوياً على التوليد

(الوقاية من المالوش) ارتأى ارباب الزراعة وسائل شتى لاتلاف المالوش منها ان يسكب المزارع في ثقب هذه الحشرة مزيجاً من عشرة اقسام ماء وقسم من الزيت او غاز البترول فيغرق المالوش او يموت خنقاً لان الزيت الطافي فوق الماء يسد منافسهُ ولا يصعب الوقوف على هذه الاوكار لان مدخلها دائماً في مركز النقف يدل عليها ارتفاع خفيف من التراب فوق سطح الارض ويعرف ايضاً بالعشب اليابس الذي تجده

بعد السقي او انهطال المطر · ومنها ان تحدّ التربة وتحرث في شهر حزيران وتموز وذلك مما يكشف اعشاش المالوش فعليك حينئذٍ ان تتلف البيض او تسرع الى الصغار فتقتلها قبل ان تغرز في الارض ثانيةً · ويحسن ايضاً لاهلاك المالوش ان تجعل قبل غروب الشمس كوماً من السواد الطريّ في انحاء الزرع فالمالوش يتراكض اليها ويقيم في وسطها فعلى الزارع ان يعجل صباحاً قبل النهار ويحمل هذه الكوم في صناديق وينقلها بعيداً · ثم ينشر السواد المنقول ويسحق بحجر المالوش المنتشر بينها · ومن الوسائل العاملة على اهلاك المالوش المبنية على ارتياحه الى الماء ان تنقطع عن سقي الارض مدة ثم تجعل على وجه الارض آنية تملأها ماء الى نصفها فالمالوش لكثرة حاجته الى الماء ينزو فوق الآنية فيغرق في مائها · والاقحاف التي يستعملها العامة للزهور تصلح لذلك بعد سدّ ثقبها الاسفل

(آفات اخرى) ومما يضرّ ايضاً بالمزروعات اجمع انواع الحلزون والبزاق فيلزم الزارع ان يبحث عنها صباحَ مساء ويفنيها ويمكن أيضاً اتلافها بذرّ شيء من الكلس فوق الارض · ومن اكبر اعدائها كبكاب الشوك فلذلك يوافق اذا امكن جذبهُ الى جنائننا

ولا تخلو الاشجار المثمرة من الآفات كالنباتات الضارّة المتطفلة والحشرات · فاوّلها فساد الجذور (Pourridié) وعلتها فطريات من نوع الفطريات المأكولة تسطو على اصول النبات في الاراضي الرطبة غير السليمة ومن ثم يجب إفراد الشجرة المصابة بحفر خندق حواليها واستئصال جذورها واحراقها وافناء ما بقي في موضعها من تشعبات الفطر باحراقها او بوضع كمية من الكلس الحي في هذا الموضع وخلطهِ مع التربة ويجب الاحتراز من غرس الاشجار في اراضٍ فشا فيها هذا الداء قبل اصلاحها وتجفيفها والصبر عليها بعض السنوات

امَّا ما ينشأ على الاشجار من البثور (Mousses) فيزال بسحي ساقها وطلائها بماء الكلس · واكثر الاشجار المثمرة معرضة للتهرّي (التفاخ) وذلك من مفاعيل التأثيرات الجوّية فاذا لاحظ المزارع اثراً من ذلك وجب عليهِ ان ينظف ما فسد منها تنظيفاً محكماً وان يطليها بمعجون · ومن اشهر هذه الدهونات واقدمها لطلي الشقوق التي تحدث للاشجار والمطاعيم هو الصبغة المنسوبة الى سان فياكر (Onguent St. Fiacre) فيمزجون نصف كمية من روث البقر مع نصف من التراب اللزج (حوّارى) ويلوثونهما بالماء مدّة الى ان يختلطا اختلاطاً تاماً متساوياً · ويوجد ايضاً عدّة دهونات او معاجين لعلاج ما يحدث في الاشجار من التشقق وعلى كل حال يحسن بالمزارع ان يسدّ هذه الشقوق ومقطع الاغصان في البساتين المعرّضة للتهرّي لان ذلك مما يساعد على غارة الحشرات بالاشجار وتعشيشها في خشبها

ولاحظوا ان التفاح لا يعيش زمناً مديداً في بلادنا فانهُ يسوّس (يخرّز) والسبب وجود هامّة تقرض قشرة الشجرة وتثقبها وتفتح في باطنها اسراباً · فتارةً تفسد الاغصان فقط وهي المدعوّة بقارض التفاح الصغير (Petit Rongeur du Pommier) وحيناً تؤذي الساق ايضاً وهي المسمّاة قارض التفاح الكبير (Grand Rongeur du Pommier) · فاذا فرغت الدودة من عملها يبست الاغصان اللهمّ اذا كانت هي وحدها

مصابة او يبست الشجرة بتمامها اذا كان عدوها من الجنس الثاني · وافضل طريقة لاتقاء شرّ هذه الآفة او ما شاكلها من الحشرات التي تنخر خشب الاشجار هي الاسراع الى قصّ الاغصان وحرقها او قطع وحرق الشجرة المريضة بكاملها ولا بدّ من احراقها لانها اذا قُطعت وبقيت في ارضها لتابع الدودة نموّها فتفسد في السنة التالية ما جاورها من الاشجار · فلاستدراك الداء يجب مسح الاغصان وطليها بمزيج من الامزجة القاتلة للحشرات

ويسطو على الزيتون هامّة تدعى قملة الزيتون (le Pou de l'Olivier) وهي حشرة من فصيلة ذوات الاجنحة النصف غمديّة (Hemiptère) لونها مكمدٌّ فتمتصّ مائية شجر الزيتون ويعرف وجودها من غبار اسود تراه منتشراً على الاغصان موشّحها

ولاشجار التفاح والسفرجل واشجار اخرى ذات البزور آفة تصيبها تدعى القطني (Puceron Lanigère) وهذه الهامّة تفسد التفاح في شمالي لبنان في نواحي اهدن والضنيّة فترى اغصان الشجرة وساقها واصولها مكسوة بجلدةٍ قطنية فاذا فحصتها بدقة وجدتَ انّ خشب هذه الاشجار مثقوب بها فيحدث فيها نفاخات وبثور تحلّ قشرتها فتسري اليها هذه الهوام وتنفذ في باطنها ويتعلّل بفعلها حدبات تدعى بثور التفاح (Chancre du Pommier) فلا تلبث شجرة التفاح ان تتلاشى وتعدم · ولإبادة هذه الحشرة وما شاكلها من الحشرات التي ترسب على الاشجار المثمرة وتمتص بخراطيمها مائية الاشجار المغذية لها تطلى الاشجار بامزجة مركبة من التبغ او مواد عفصيّة او الرماد · وكذلك يجوز استعمال سولفات الحديد والكلس للنجاة من هذا الداء (بمقدار ٣ كيلوغرامات سولفات وكيلوغرامين كلس لكل مائة ليتر من الماء) ومن احسن الوسائل للنمش القطني خاصةً تنظيف الساق والاغصان الكبيرة في فصل الشتاء واذا وافى الربيع تطلى الاشجار بالامزجة القاتلة لهذه الهوام وتُملط بمزيج من زبل البقر والحوّارى وماء الكلس

(الحشرات القشريّة والخشبية) : هي كثيرة في بلادنا قد وجد منها انواعاً شتى حضرة الاب كنيانان احد اساتذة كليّة القديس يوسف · تسطو هذه الحشرات على اللوز والليمون والزيتون والفستق والتين والخوخ والمشمش والبطم والتفاح والاجاص والسماق · وافضل طريقة لمعالجتها ان تتخذ اسلاك حديدية رفيعة فتدخلها في قلب الشجرة حيث فتحت الحشرة لها مجازاً الى ان يبلغ رأس السلك اقصى المثقب فيقتل الدودة وان كانت الحشرة الامّ هناك خرجت فيقتلها البستاني عند خروجها

اما الادوات التي تُرش بها الامزجة المفنية للحشرات فرشّاش بعضهُ يستعمل باليد وبعضهُ يحمل على الظهر او على عربة تجرّها الدواب

ويوجد كثير من الحشرات التي تقرض لب الاثمار كذبابة الزيتون وذبابة الليمون فاذا أُصيبت هذه الاشجار بهذه الحشرات فلا بدّ من جمع الاثمار وحرقها فالليمون تجمع ثماره الساقطة وتحرق اما الزيتون فيجنى ثمره سريعاً قبل نضجهِ التام ويُعصر · نعم ان الزيت الحاصل من عصرهِ اقلّ كميّة وادنى جنساً لكن الزارع لا يفقد جناه تماماً بانتشار الداء اما ما سقط من الشجرة فيجمع ويحرق · وبما انّ بعض هذه الحشرات تغادر الثمر حال سقوطه على الارض وليس من السهل قطف الاثمار المصابة وهي على امها فالاحسن ان يطوّق

اسفل الشجرة بالاعشاب او بقطع بالية من القرش فتصبح هذه الاطواق كملجأ تأوي اليه الحشرات بكثرة فلا يصعب حينئذٍ قتلها

(آفة الجيز) ان الجيز (Hanneton) ايضاً من الاعداء الالداء للاشجار المثمرة وظهوره في اول الربيع فعلى صاحب الشجرة ان يهزّها هزّاً قوياً وسط النهار لتسقط عنها الجيزان فيلمها ويلقيها في حفرة مملوءة من الكلس الحي · ان دودة الجيزان المدعوة الدودة البيضاء تؤذي النبات أذًى عظيماً ولا يعرف اذاها الا بعد ان تفسد اصول النبات الذي تسطو عليه · واحسن واسطة لمنع تكاثرها هي إبادة الجيزان وعلى كل لا بدّ من جمع كل دودة بيضاء عند فلاحة الارض وابادتها

(الزلقطة والزنبور) يفسدان ايضاً الثمار · الاولى خاصة ثمار المشمش والخوخ (الدراقن) · والزلقطة تبني عشها في الارض اما الزنبور فيضع وكره في الجدران القديمة ولا سيما في جذور الاشجار النخرة · فالزلقطة يحرق عشها بنار توقد عند مدخله فتخرج من وكرها وتحترق ويمكن ايضاً سكب ماء مغلي في العش · اما الزنبور فيدخلون اذا امكن في فوهة وكره فتيلة مكبرتة وموقدة فتفنيه

ويوجد ايضاً بعض حشرات وديدان قد يمكنها ان تؤذي المزروعات على ان التخلص منها يكون بالمراقبة الدائمة لتنقيتها بواسطة الامزجة القاتلة لها التي تكلمنا عنها سابقاً · والطريقة الفضلى ان تُرصد الحشرات التامة البنية قبل اوان سفادها في الربيع اذ تخرج الى الهواء عند المساء وتنزل على جذور الشجرة واغصانها تقرباً من اناثها فيجتمع منها كميات يسهل قتلها · وعلى كل يجب المحافظة على العصافير والدفاع عنها لان عدداً كبيراً منها يصطاد الحشرات ودودها ويغتذي بها وهو اكبر عدو لهذه الهوام نخص بالذكر منها الخطاف الذي يلتهم في طيرانه عدداً عديداً من الهواء الطائرة والحشرات المضرة بالزرع · وعدّل بعضهم انه يلتهم نحو ستة آلاف ذبابة في اليوم · ومنها الخفاش الذي لا يقتات الا من الحشرات وبتصيد ليلاً فيفني جانباً عظيماً منها · والسمرمر العدو الالد للجراد · والشحرور الذي يلتهم في السنة ما ينيف على ٤٠٠٠ فارة وجرذون وخلد ويطهر البساتين من البزّاق والحلزون · ومنها الزرزور والعصفور الدوري الذي هو من ألدّ اعداء الدودة البيضاء وتفترس صغاره اكثر من ٤٠٠ حشرة في النهار على أن البعض يعتبرونه كآفة للحبوب · ومنها البوم وأبو عميّ (Chouette) فانهما ينقضّان على الجرذان ليلاً ويفنيانها ويسطوان أيضاً على الحشرات الليلية · ومنها القنبرة التي تسطو على الدود والصراصير · ومنها ايضاً الوقواق او الطاطوي (le Coucou) فيقدم على الحشرات المشعرة التي تأباها بقية الطيور فيفترسها

ومما يساعد على مقاومة الهوام الضارّة للزروعات ولا سيما صغار الحشرات هوام مثلها تصليها القتال كالحشرات المدعوّة (Coccinelles) · ويذكر بعضنا تلك الحشرة التي زحفت من بضع سنوات على الحشرات المفسدة ليمون ساحل بيروت وصيداء فنظفت منها الحدائق · ولهذا وجب علينا المحافظة على هذه الحشرات المفيدة او استجلابها الى بلادنا اذا خليت منها · وتحوي الفصيلة النمدية الجوانح على عدد من الهوام الضارّة بالمزروعات منها نوع يفتك بسوس القمح في الاهراء يدعى بلسان العلم (Pteremalus Tritici)

ومن بعض اجناس هذه الحشرات المفيدة جنسٌ يحسّن ثمر التين ويعجّل نضجهُ بتأبيره كما جرى في عدّة بلاد فانهم يتخذون في التين هامةً منها تكون نمت وعاشت في التين البرّي فترى عما قليل ثمارها افضل جنساً واوفر عدداً واسرع نضجاً من سواها. ولذلك يغرس اهل جزائر اليونان تيناً برّياً بجوار تينهم الاهلي من جهة الرياح الغالبة فتنقل الريح تلك الهوام من الشجر البرّي الى الاهلي فيحسّن جنس ثماره. ومنهم من يجني ثمار التين البري وينظمهُ اسلاكاً وقلائد يعلقونها الى شجر التين الاهلي وهكذا يصنع اهل بلاد القبائل اذ تتطاير تلك الهوام من القلائد الى ثمار الشجر الاهلي وذلك سبب رواج التين الرومي وشهرة صنفه

أما في بلادنا فقد اعتاد بعضهم غمس التين الفج بالزيت فيسرع نضجهُ وهذا شائع ايضاً في بعض نواحي البلاد الاجنبية حيث النساء يخزنَ ثقب التين بدبوس يغمسنهُ في الزيت

(حيوانات ضارّة للمزدرعات) وللمزروعات اعداء آخرون اكبر من الحشرات والهوامّ ألاَ وهي بعض الحيوانات القارضة او البرّية كالفأر والجُرَذ والثعلب وابن آوى والخلد

فالفيران والجرذان مشهورة منذ قديم الزمان بعيثها في المزدرعات. وقد ذكرها الكتاب الكريم بين الضربات التي ابتلى بها الله اعداء بني اسرائيل (سفر الملوك ١ ف ٥ ع ٦). والجرذان تتناسل بكثرة غريبة رغماً عمّا يتخذ من الوسائل لاتلافها. وقد تحقق اليوم انها هي الناقلة لوباء الطاعون

ويسبب الثعلب وابن آوى ايضاً اضراراً جمة للمزروعات المختلفة وهما يفتكان بالبساتين والكروم ويفترسان ثمارها ويتبلان بنهم خصوصاً على قصب السكر ليمتصّا حلاوتهُ

أما الخلد فلا يقتات بالخضر كما يظنّ الناس بل لهُ بعض المنافع اذ يجعل قوتهُ من الحشرات والديدان البيضاء التي يلتهم منها كميات لا تحصى. وانما خطرهُ اذا تكاثر بما يحفره في الارض من الاسراب والانفاق فيقطع في سيره أُصول النبات فتيبس

والنجاة من هذه الحيوانات المضرة ان تُنصب لها الفخاخ المختلفة الانواع فيصطادونها بها. ومنهم من يعدّ لها معجونات او اثماراً او قطعاً من اللحم يدوفونها بموادّ سامة كالزرنيخ والفوسفور والستريكنين فتهلك بها تلك الحيوانات المفسدة. ويربي بعض ارباب الزراعة في حقولهم القنفذ او كبابة الشوك فانه من الدّ أعداء الجرذان والحشرات

(الحيوانات الاهلية المفيدة للزراعة) ان تربية الحيوانات الاهليَّة في كل البلاد ولا سيما في البلاد الغنية بالزراعة لمن الموارد المهمة ولا بدّ من صرف النظر اليها باهتمام واذا عُني المزارعون بتهيئة المراعي المريئة وغرس بعض النباتات التي يستطيبها الحيوان الاهلي او توفيرها والمحافظة على الموجود منها في انحاء الجبل فلا تلبث ان تدرّ علينا ارباحاً وافرة اذ تتيسر تربية المواشي فتغنينا بمحصولاتها

وفي لبنان جملة نباتات تصلح لعلف المواشي وتلائمها ايّ ملاءمة. والدليل عليهِ ان الاجانب يستوردونها من بلادنا لقوت دوابهم ومواشيهم ولا يكترثون لما يلحق نقلها من النفقات بينما نحن نتغاضى عنها ولو سعينا بتنمية نبات العلف لأعدنا للبنان نضارتهُ وخضرة غاباتهِ فضلاً عن جني ذات الاثمار منها كالخرنوب والصبير

والذرة والبطاطا الحلوة والسلف والشمندر . فهذه كلها تفيد علف الحيوان وتضاف الى ما يُعلف به اليوم اي الفول (للبقر الحلوبة فقط) ثم الكرسنة والشعير والتبن واوراق التين والكرم والتوت والأزدرخت والجزَّة وقشر قضبان التوت وخضروات أُخر

(النحل وتربيته) ليست كل الحشرات مؤذية بل منها ما يُعدّ من اكبر الاعداء لسواها من الحشرات التي تسطو على المزروعات كما مرّ . ولذا اصطلح الزراعون الحديثون على حفظها وتوفيرها فبعضها تفيدنا بحاصلاتها كالنحل ودودة القز . وقد سبق البحث عن هذه الاخيرة فلنبسط الكلام الآن عن النحل ومنهُ نجني العسل والشمع فضلاً عن فائدته لبعض النباتات والاشجار المثمرة خاصة اذ انهُ بتنقله من زهرة الى زهرة وولوجه في أكمام هذه الازهار يحمل منها مادة التلقيح الى ذكور النبات فيأبرها ويؤمّن غلة الاثمار كما انهُ يحدث تأثيراً مهمًّا في نجاح باقي المحصولات وزيادة خصبها . وكانت صناعتها منتشرة في لبنان ولا تزال مألوفة حتى يومنا

وبعض المحلات تغلّ كميات وافرة من العسل . على ان احسنهُ واشهرهُ يصدَّر من فاريّا ومزرعة كفرذبيان وبلّونة وساحل علما في كسروان ثمّ من العاقورة وتنورين في قضاء البترون ومن بسكنتا في قضاء المتن ويستخرج ايضاً كمية منهُ في الهري من قضاء الكورة

لما كان النحل قديمًا يعيش على نشوء الطبيعة كان يبني خلاياهُ في خاريب الصخور وتجاويف الاشجار وكان زرّاعونا يجنون العسل من هذه المواضع ثم اتخذوا للنحل خلايا ليعسّل فيها فينقلونها صيفًا الى الجرود ثم يعيدونها الى الساحل في فصل الشتاء . الا ان تحسين الخلايا قلّ ما تقدم في لبنان بينما نرى الاوروبيين يحرصون على تحسينها فيجنون من ثمّ عسلاً اوفر واجود . ثم اخذ البعض من الالمانيين والسويسريين بادخال الطرق الحديثة في تربية النحل الى المستعمرات في فلسطين فحصلوا على ثلاثة مواسم في السنة أعني عسل زهر الليمون وعسل زهر الصعتر وعسل زهر السمسم وأُبتُدئ باستعمال هذه الطرق في لبنان . ويعدلون محصول النحل في لبنان بسبعة آلاف أُقة سنويًّا . فنحض الزرّاع على توسيع تربية النحل في اراضيهم لان وجودها كما تأيد بالاختبار يزيد الخصب ويحدث تأثيراً مهمًّا في نجاح المحصولات

(دواب النقل) هي الخيل والبغال والحمير . ان منفعة الدواب لا تنكر خصوصاً في الجبال اذ كانت في السنين الاخيرة اخصّ وسائل النقل ولم يزالوا يعوّلون عليها كوسائط للنقل في اكثر المحلات وخصوصاً البغال لانها اقوى بنيةً واثبت قدماً من الخيل في الجبل . ان اجناس الدواب الموجودة في الجبل قوية جيدة ويصدَّر منها الحمير والبغال . ومن جملة دوابهم في الجبل لحمل الاثقال الجمال يستجلبونها من الداخلية الا انها قليلة ويقدَّر عدد الخيل بنحو ٦٤٠٠ والحمير ٧٠٠٠ والبغال ٢٠٠٠ والجمال ٥٥٠

(البقر) ان هذه الحيوانات تستخدم للحراثة ويربّي البعض من زراعينا البقر الحلوبة للانتفاع بحليبها واكثر وجودها في السواحل فينقل حليبها الى المدن المجاورة ويباع فيها وعندما لا يتيسر للبناني بيع حليبهِ فيروّبهُ لبنًا وسيأتي عنهُ الكلام

ان بقر الفلاحة في الجبل قويّة لكن البقر الحلوبة لاتعطي الكمية المرغوبة من الحليب الا ما ندر · ويمكن زيادة درّها بتحسين علفها مع الاعتناء بتأصيلها · ويسهل في سواحل لبنان تربية البقر الخيسي متى زيد الاهتمام والاعتناء بالعلف · اما جنس الخيسي هذا فاتانا من بلاد مصر وهو من اجود الاجناس الحلوبة لكنهُ لسوء الحظ اصبح نادراً في سوريا على اثر تتابع انتشار الطاعون البقري في سهولنا وكاد جنسهُ ينقرض · ويعدلون عدد البقر بنحو ٣٩،٠٠٠ منها ١٢،٥٠٠ للشغل

(الضأن) يربّون عندنا جنس الضأن المعروف بالخروف القرماني وهو ذو الية سمينة ادخلهُ الاتراك الى برّ الاناضول وهو قليل في الجبل يكتفي كل بيت بتربية خروف لمونة الشتاء يستجلبونهُ من الداخلية من جهة ارض روم فيعلفونه وباواخر تشرين يقلون لحمهُ في دهنه وهو القورمه · وطريقة العلف المصطلح عليها هي التلقيم فيغسلون الخروف مرتين كل يوم وتلقمهُ النساء طول النهار ورق توت وورق عريش او تين فيبلغ في الخريف اوان ذبحهِ وزنهُ قائماً ٣٠/٣٠ رطلاً او ٢٠/٢٣ من اللحم الصافي و٧ الى ٩ ارطال دهن اما ما يلزم من الضأن للجازر فيستوردونهُ راساً من داخلية البلاد ويقدرون عدد الضأن في الجبل بنحو ثلاثة آلاف رأس واكثر مقطوعية اللحم في جهاتنا من هذا الصنف

(الماعز) يقدّر عدد الماعز في الجبل بمائة الف راس يتركونها ترعى في الاحراج من غير ادنى اكتراث فاصبح آفة للغابات كما بينا ذلك ولا يمكن اللبناني الاستغناء عنه لانه فضلاً عن لحمه ينتفع ايضاً بسواده لمزروعاته وعليهِ نقربيّاً يترتب نجاحها لكن يمكن تلافي اضراره بان يمنع دخوله في الغابات الحديثة الاغراس ويمكن ايضاً استبداله تدريجاً بالبقر وذلك بتوفير المراعي والاشجار العلفية فتزيد الارباح اضعافاً

ان تربية البقر لا تقتصر فائدتها على الاعمال الزراعية فقط كما ألمحنا اليه بل انها تدر علينا من الخيرات بما نجنيه من لحمها وحليبها مع تنوُّع استحضاراته من زبدة وجبن وقريشة ومن جلدها فضلاً عن سوادها · ولا يخفى ان احسن انواع الجبن تُصنع من حليب البقر ومنه تصنع اجناس الجبن المشهورة في اوربا والاشقوان والحلوم من اجناس جبن مملكتنا المرغوبة في بلادنا بينما اننا نصنع جنساً واحداً من الجبن الابيض مع حليب الماعز واحياناً الضأن فيؤكل طريّاً وما بقي يكبس في الملح او في الزيت للمؤنة ويُصدر جانب منه ايضاً الى السواحل السورية · ولا شك اننا اذا اعرنا هذه المسألة التفاتنا نكون من الرابحين · هاك بلاد سويسرا الجبلية وما لنا الاّ ان نقتدي بها في هذه المسألة كما في غير مسائل ايضاً فان الموارد من المواشي اصبحت عظيمة فيها وهي قسم مهم من غذاء الشعب فضلاً عما يستفاد منه بتصديره الى الخارج · فبلغت قيمة الصادرات هناك من الجبن والحليب المجمد في ابتداء هذا القرن السبعين مليونًا من الفرنكات

(الخنزير) أُدخلت تربيته في لبنان خاصةً في السنين الاخيرة وهو من الحيوانات التي تعطي لحماً باقل كلفة اذ انه يقتات من نفايات يأباها باقي الحيوانات ويُعد من الحيوانات المجدية للربح الوافر

(الدجاج) لا تخفى اهمية الدجاج الاقتصادية فانه لا يصلح فقط للطعام بلحمه وبيضهِ بل يجدي صاحبه ارباحاً وافرة بتصديره الى البلاد الاجنبية · قد اعتاد اهل الجبل ان يربوا في كل بيوتهم عدداً من الدجاج .

والجنس البلدي اذا أُتقن علفهُ يزيد لحمه وبيضه . ويوجد في الخارج اجناس اجود أُدخل بعضها الى بلادنا منها ما يمتاز بكثرة بيضه ومنها بوفرة تناسله او قابليته للتسمين . فيلزم اختيار ما يوافق الغاية المقصودة. على ان بعضها لا يوافقها مناخ بلادنا . ويحسن بسكان الجبل ان يكثروا تربية الدجاج للاسباب المذكورة آنفاً ثم لانّ تربيته لا تقتضي اعتناءً زائداً ولانه يفني كثيراً من الهوام والحشرات . واذا اردت تسمين الدجاج فعليك ان تحجر عليها وتقيتها مرتين في النهار بمعجون من طحين الشعير او الذرة

تبيض الدجاجة عادةً ٥٠ بيضة في السنة اما الدجاجة البيّوض فتبيض ١٢٠ بيضة واكثر ويستعملون الآن لتفقيس الدجاج آلات خاصة سهلة المنال . ان كمية البيض الذي تورده شواطئنا الى الخارج هي عظيمة فمرفأ اللاذقية وهي اخص المراكز التجارية لهذا الصنف تصدّر سنوياً الى مرسيليا من تشرين الاول الى آخر اذار الف وخمسمائة صندوق بيض طري و١٣٠٠ الى ١٤٠٠ برميل صفار البيض بسعر ١٠٠ فرنك البرميل و٤٥٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ كيلو غرام بسعر ٣٠٠ الى ٤٠٠ فرنك المائة كيلو الْبومين او بياض البيض تستحضرها في سبعة معامل وتصدّر ايضاً كميات مهمة من طرابلس والاسكندرونه وحيفا وتوازي قيمة ما يصدّر من دمشق ومن بيروت عن طريق هذه المدينة ثلاثمائة وخمسين الى اربعمائة الف فرنك

(ديك الحبش والبطّ والوزّ) ان اجناسها قليلة في الجبل ويمكن التكثير منها واذا أُتقن علفها تعطي محصولاً وافراً من اللحم خصوصاً اذا صار تلقيمها كما هو جارٍ للبط والوزّ في كثير من قرى فرنسا والمانيا فيضخم كبدها وقد اشتهرت عموماً علب الاكباد المسمنة التي تستحضر في هذه المحلات

الخلاصة

ان اراضي لبنان هي جبلية فلا تساعد هيئتها على الزراعة الكبرى . وقد توصل اللبناني بكدّه وجدّه الى اكتساب قسم منها للزراعة البيتية الضرورية لمعيشته . وبما انهُ لم يعد في امكانه توسيع نطاق الزراعة في الجبل باستئصال الاحراج صار من الواجب عليه ان يحسن نوع الزراعة ويتقنها. لان المداومة على اتلاف الاحراج تضر بصوالح البلاد والسكان . ولا يخفى ان بعض الاراضي تصلح للاحراج لا للزراعة فضلاً عن ان الاحراج هي ضرورية لها ولحفظ التربة ولتوفير المياه وتطييب المناخ . فيلزم اذاً ان نحافظ عليها ونجددها ونستثمرها بانتظام ونطعم الاشجار القابلة التطعيم فيها. اما اذا اهملنا الاحراج وضحيناها فنضحي معها ارباحاً ذات شأن في المستقبل

ومعلوم ان زراعة لبنان هي بالاجمال متأخرة بينما نرى التحسينات تجري تباعاً على قدم وساق في الممالك العامرة فيكسبون منها محاصيل وافرة وثروة طائلة . ثم ان ادوات زرّاعنا مختلة لا تفي بالمقصود وهم يجهلون استعمال ادوات الحراثة المستحدثة وينقصهم ايضًا السماد لقلة مواشيهم

ان عصرنا عصر تقدم وقد اصاب الزراعة من هذا التقدُّم نصيب كبير فلا بدَّ اذاً من استعمال الاساليب التي اختبر العلماء فائدتها لتحسين الزراعة فنحصل منها على موارد عظيمة لان اراضي لبنان مخصبة منبتة والتربة

طيبة و يمكن ان ينبت فيها ما لا ينبت في غيرها والمياه متوفرة · فاذا كانت الزراعة متأخرة فلا تثريب على الاراضي اللبنانية بل على اللبنانيين · وقد زاد في تأخرنا التغيير الذي حدث في سوق التجارة ومزاحمة الواردات الاجنبية

هذا ولا مندوحة من زرع اصناف مختلفة فيتوزع العمل على مدار السنة حتى اذا خاب املنا في صنف نربح من صنف آخر · وعليه يجب تكثير الاشجار المثمرة وتحسين اجناسها وخصوصاً الاجناس التي تبقى زمناً طويلاً وتُنقل بسهولة و بدون عناء زائد كالجوز واللوز والليمون والسفرجل و بعض اجناس التفاح والتين الناشف والزبيب والديس والمربيات والخمر والعرق الخ

وبقولنا انه يجب على اللبناني ان يتصرف في انواع الزراعة لا نعني استعمال كل اجناس الزراعة التي يحتاج الى محصولاتها لان بين هذه المحصولات عدة اشياء يمكنه ان يستوردها من الخارج باقل كلفة مما يمكنه ان يحصل عليها بشغله الخاص اذ لا يسهو عن بالنا ان اول مبدإ في الزراعة هو ان ننال اوفر المحصولات باقل ما يمكن من النفقات

ان اللبناني قد خصص معظم اهتمامه بزراعة التوت و يا ليته أحسن طرق تربية دود القز وانتقاء اجود البزر و تأصيله في بلادنا لتحصل على جنس يوافقها لان البزر الاجنبي لم يفِ بالغاية المطلوبة بينما كان البزر البلدي القديم يعطي نتيجة حسنة في جميع جهات الجبل

و يحسن ان يفطن الزرّاع لهذا الامر الخطير وهو انه بقدر ما يسعى الزارع لتحسين زراعته بقدر ذلك يزداد النبات رقة وتأثراً من تقلبات الجوّ وطوارئه فتظهر الامراض وتفتك في الزرع . فمع تحسين مزروعاتنا يجب تلافي الامراض التي يمكنها ان تسطو عليها كما اوضحنا ذلك

لكن لا بدّ لتقدم الزراعة من تنشيط الحكومة وحمايتها · فعلى الحكومة ان تنشئ مكاتب تلقي فيها العلوم الزراعية وطرق تربية دود الحرير وكيفية اصطناع الجبن وغيرها من الصناعات الزراعية

وعلى الحكومة ايضاً ان تؤسس جمعيات زراعية تكون غايتها المدافعة عن مصالح الزراعة اللبنانية وتفرعاتها الاقتصادية والعمومية ونشر فوائد الزراعة الفنية واعطاء الاهالي النصائح وتنشيطهم على العمل وانشاء مختبرات يُرجع اليها ومشاتل لتعميم المزروعات التي تكون اختبرت منفعتها والسعي بعقد مؤتمرات زراعية يشترك فيها ارباب الزراعة و يتداولون فيما يعود عليهم بالفائدة · فبإقدام الحكومة على مثل هذه الاعمال الخطيرة التي لا يقدر سواها ان يقوم بها تساعد اللبناني في سبيل نهضته وتؤمن له سعادته المادية في الحاضر والمستقبل وتقرّب للجبل النهضة الاقتصادية

الصناعة

في

لبنان

ان الصناعة في لبنان كانت ضيقة النطاق فطرية كما سبق اليها الاولون · لكنها ترقت نوعاً في الازمنة الاخيرة بترقي العمران واختلاط الاهلين بالاجانب واسفارهم الى بلاد المهجر

١ً صناعات الاعاشة

(المطاحن) هي منتشرة في كل انحاء الجبل يديرها الماء ولا تزال على الطرز القديم تدور على الدواليب الخشبية القديمة · واول مطحنة افرنجية أُنشئت في لبنان اقامها على نهر بجوارة تشرشل بك الانكليزي نزيلها · ثم أُدخلت منذ عشرين سنة مطاحن اخرى حديثة يدير بعضها الماء وبعضها البخار يوجد منها الآن اربع او خمس حاوية على الادوات المتكاملة لغربلة الحب وتصويله وتجفيفه وطحنه وافراز نخالته

(المعاجين الغذائية) يوجد معملان في بيروت لاستحضار هذه المعاجين · اماً في منطقة الجبل فلا تجد منها معملاً واحداً مع كون المعكروني والشعيرية والسميذ كثيراً ما تدخل في مأكولاتنا · وقد سبق القول لدى كلامنا عن الحنطة ان قمح بلادنا يفضَّل لاستحضار هذه المعجونات · ومعظم ما يصدَّر منه الى الخارج يستعمل لهذه الغاية

(معاصر الزيت والمصابن) ان معاصر الزيت والمصابن باقية كما أَلفها اجدادنا واكثر المعاصر تعطي زيتاً حادّاً يأنف منه الذوق ولا ترضاه السوق الاجنبية فيباع فيها باسعار بخسة مع انهُ يمكن استخراج زيت حلو ولذيذ من صحاري الزيتون الموجودة في الشويفات والكورة · وقد كانوا يستقطرون الزيت فيما مضى بسحق (فتس) ثمر الزيتون وعصره بمكابس عادية مصنوعة في بلادنا فباشروا من عهد قريب باستعمال الطرق المستحدثة لاستخراج الزيت وأُنشئت عدة معامل مستوفية الآلات فكانت النتيجة الحصول على زيت جيد مع زيادة في الكمية والربح

وقد بدأُوا يستخرجون زيت الجفت (والجفت هو بقايا الزيت المعصور) وقد كان هذا الزيت يذهب في الماضي ضياعاً · وفي طرابلس اليوم معصرة لاستقطار هذا الزيت تشتغل على الجفت الموجود في الكورة وتوجد في بيروت معصرة اخرى تشتغل على الجفت الموجود في الشويفات

اما المصابن فانها قليلة في الجبل تجدها في الشويفات وكفرشيما ورشميا وفي الكورة · وكانت تستجلب

القلي من جهات حمص تأتي به العربان الى تلك المدينة بعد جمعهِ من اراضي الصحراء . لكنها اخذت الآن تستورد القطرون من مصر . يستمد لبنان اكثر صابونهِ من مصابن بيروت وطرابلس واللاذقية . وحيث أُنشئت معامل مستكملة لصنع الصابون في المستعمرات الفلسطينية فلا بدَّ من ان تستفيد منها معاملنا الوطنية بعض التحسينات لئلاَّ تفقد قيمتها تجاه المزاحمة . ولم يصنع الى الآن في بلادنا الا الجنس العادي من الصابون . اما الصابون الممتاز كالصابون المطيَّب وصابون الغليسرين الذي يباع باسعار فائقة فصنعهُ مجهول في الجبل . ولنا كبير الامل ان ارباب هذه الصناعة يتوصلون الى معرفة سر صناعة الصابون الممتاز فيربحون الارباح الطائلة نظراً لرواج هذا الصنف وغلاء اسعاره . وقد جرَّبت احدى الشركات الالمانية في حيفا صنع الصابون المطيَّب فنجحت نجاحاً عظيماً

(الجبن) ليس لصناعة الجبن معامل خاصة فحيثما تجد في لبنان قطيعاً من الماعز تجدهم يجبنون حليبها بالانفحة (المسوة) على طريقة بالغة حدَّ السذاجة دون مراعاة اصول النظافة . ورغماً عن حالة هذه الصناعة المتأخرة يجني الجبل منها ارباحاً تذكر . ان الجبن يتنوَّع بتنوُّع الحليب الذي يصطنع منه وخصوصاً بتنوع استحضاره وتنوُّع طرق الاختمار . واجود اجناس الجبن المعروفة تصنع من حليب البقر . ولهذا لا بدَّ من تحسين هذه الصناعة وترقيتها اذا حصل اهتمام بتربية المواشي وانمائها فتنشأ حينئذٍ معامل خاصة لاستحضار الجبن وخصوصاً ما اصبح منهُ كثير الرواج من الاصناف الاجنبية نظراً لجودتها ولسهولة هضمها . وللحصول على هذه الاصناف لا يستغنى عن محلات مجهزة لهذه الغاية مستوفية الشروط لحفظ الجبن واختماره . ففي اوروبا كفرنسا وايطاليا وسويسرا حيثما لا يملك الزارعون مواشي كافية لانشاء معمل للجبن يتَّفق كثير من اصحاب المواشي فيجمعون ألبانهم ويشتركون بتجبينها فانه بهذه الوسيلة تكون المصاريف جزئية جداً بالنسبة الى ما كان يقتضي من النفقات لو انفرد كلٌّ بصنعها

(اللبن) هو الحليب المخمَّر يعرفهُ الشرقيون منذ القديم . ان اللبن يشبه الرَّوب الاَّ ان المادة الجبنية (Caséine) فيهِ ممزوجة بمصله بخلاف الرَّوب . ويختلف لبن المعزى عن لبن البقر بميعتهِ وليس فيهِ قطع متجمدة من مادة الكازئين كما في لبن البقر . واذا ارادوا حفظ اللبن اياماً ملحوه وجعلوه في كيس فيسيل منهُ مصله ويضحي بعد ساعتين كالجبن الابيض وذلك ما يُدعى باللبن المقطوع او اللبنة التي يمكن ابقاؤها عدة ايام دون ان تفسد فيصنع بعضهم منها كتلاً فيكبسونها بالزيت ويموّنون بها بيوتهم . ويستخرج عادةً من اللبن الرائب نحو نصف ثقله من اللبن المقطوع . ان اللبن غذاء صالح وهضمه اسهل واسرع من هضم الحليب وهو شائع في كل بلاد الشرق ويدعوه الاتراك « يوغورت » وفي بلغاريا يسمّى « مايا » وهذا هو الاسم الذي أُطلق عليهِ في فرنسا حيث أُدخل منذ بضع سنوات وأُختبرت خواصهُ الممتازة

(الزبدة والسمن) تصنع الزبدة في سوريا من حليب البقر لكنها دون الزبدة الاجنبية جودةً وما ذلك الاَّ لانها لم تصفَّ من مائها تصفية كافية ولهذا لا يمكن حفظها اكثر من يومين او ثلاثة فتفسد . وللحصول على زبدة جيدة لا بد من اتخاذ بعض الادوات الشائعة اليوم في الخارج التي لا يزال يجهلها الاهلون كآلة لقشط

الزبدة (Ecrémeuses) وآلة لتحريكها وخلطها · ولا شك ان البقرة الحلوبة وجنسها ونوعية علفها تؤثر ايضاً في طعم الزبدة وجودتها الخاصة بها كما انها تؤثر ايضاً في وفرة محصول الحليب · والزبدة المذوبة اعني السمنة فان اهل سورية لا يكادون يستعملون في الطبخ غيرها وهي سمنة الضأن فيستمدونها من الداخلية

(معامل الاستقطار) العرق من المشروبات الوطنية وصناعته رائجة في لبنان ويصدّر منه كميات وافرة الى المدن والقرى المجاورة والى الخارج خاصة الى برّ مصر واميركا · ويعدّون العرق الزوقي والزحلاوي من احسن الاجناس وتستحضر منه زحلة اكبر كمية · وهو افضل من المشروبات المسكرة المستجلبة من اوربا وهي في الغالب مغشوشة · وبحسب قيودات ادارة الديون العمومية في المعلقة ما يصنع في زحلة من الخمر ٣٥٠٠٠٠ كيلو ومن العرق ١٠٠٠٠٠ كيلو وربما كانت الكميات اكثر من ذلك · ويستقطرون العرق من النبيذ او من العنب راساً فيعصرونهُ مع عناقيده (عراميشه) ثم يجعلونهُ في دنان (خوابي) من فخار مدّة ١٧ الى ٢٠ يوماً حتى يختمر ثم يقطّرونهُ في الانبيق (الكركة) ثم يعبّرونهُ · ولما كانت هذه المواد لا تكفي لغازة صناعته لاسيما بعد ان ازداد الطلب عليهِ للبلاد الاميركية أخذ صانعوه يستوردون السبيرتو من البلاد الاجنبية لسد حاجتهم · والعيار المصطلح عليهِ للعرق المعدّ لمشروب البلاد فهو من درجة ١٨ الى ٢٢ اما العرق المرسل الى مصر واميركا فيعيرونهُ من ٢٢ الى ٢٨و٣٠ درجة ايضاً والمقصود من ذلك تخفيف كلفة الكمرك · وجل ما نتمناه ان الكحول الاجنبية التي اخذوا باستعمالها لاستحضار العرق يصير انتقاؤها من الاجناس الجيدة والا فلا تلبث شهرة العرق اللبناني ان تتلاشى تدريجاً بينما انهُ يرجى لهذه الصناعة مستقبل حسن لاسيما اذا اقتُصر على استعمال الكحول الوطنية العنبية · ولا ينكر ان نوع الكرمة والارض المزروعة فيها لها تأثير في المشروبات الكحولية · ويطيبون العرق باليانسون ونادراً بالشمرة اما اليانسون المستعمل فهو الشامي ويعدّونهُ افضل من الحلبي والقبرصي والازمرلي

(العطورات) كان في سالف الزمان لصناعة استقطار العطورات شان خليق بالذكر في برّ الشام وكانت الطيوب المستخرجة في دمشق تُحمل الى سائر البلاد الجنوبية وما وراء ذلك الى الهند والى الصين الا ان ما يستقطر الآن في سورية من ماء الزهر وماء الورد يصرف في حاجات البلاد لاسيما المأكولات والمشروبات والتطييب لان العطور والادهان الافرنجية جاءت تنازع البلدية برخص اثمانها واختلاف اجناسها حتى انتبه لهذا الامر اليهود المستعمرون في فلسطين فزرعوا بكثرة في مستعمراتهم الورد الجوري والعنبر ونباتات اخرى عطرية فيستخرجون منها العطورات ويرسلونها الى الخارج فيبيعونها باسعار باهظة · وفي لبنان انشأ في الطيّونة الدكتور گيك احد اساتذة مكتب الطب الفرنساوي تحت اسم « گيك وردرير وشركاهم » معملاً قام بوراثة معمل « بالدي وشكرالله » المنشأ سنة ١٨٩٥ وكان اول معمل لاستخراج الزيوت العطرية والطبية معاً · وتبعه الموسيو لوتيه فاقام في فرن الشباك معملاً وعني بزرع بعض النباتات العطرية كالورد والبنفسج والعنبر والصعتر فكان يستخرج زيت هذه النباتات وزيت قشر الليمون وزيت النعنع وماء الزهر وخلافها · واخيراً انشأ المسيو برون معملاً في شتوره ومعملاً آخر في صيداء للغاية ذاتها ولا بد من اتساع هذه الصناعة الكثيرة

الارباح فان النباتات العطرية كثيرة في لبنان كما بينّا سابقاً فعلينا بتوفير زرعها والانتفاع بمحصولاتها الثمينة وما يتيسر صنعهُ للاجانب يجب ان يكون متيسراً لدينا ايضاً

يوجد في بلغاريا بساتين ورد عظيمة ولا يخفى ان استقطار ماء الورد وعطرهِ هو من اهمّ دعائم الحياة الاقتصادية فيها . اما عطر الورد اللبناني فاوفر جودة وازكى رائحة من العطر البلغاري . هذا مع ما هي عليهِ زراعة الورد من السهولة في الجبل

٢ صناعات الغزل والحياكة

(معامل الحرير) ان صناعة حلّ الحرير هي بلا ريب اهمّ صناعة في لبنان . كانت سابقاً الشرانق تُحلّ على الطريقة القديمة المسماة الحلّ العربي (à la roue arabe) فكان الحلال ينصب وقت الموسم في محلّ من القرية بالقرب من العين غالباً خيمةً يبني تحتها موقدة يركب عليها خلقيناً من النحاس ويعرف موضع الحلّ هذا « بالحلالة » فيضع الشرانق في الخلقين تباعاً كما ترده وكما هي (بدمها) اي من غير ان تنقّى وتطرح على دولاب كبير قطره ٣ أمتار يحرّك بالرجل وعند انقطاع طاق الحرير كان الحلال يحرك الشرانق بواسطة قضيب رفيع ويأخذ الطاق ويعلقهُ على الدولاب من غير وصل فكان الحرير يحصل هكذا من دون عيار ذا طاق خشن وغير منسوب وهذا الحرير المسمى « البلدي » كان على ما هو عليهِ كافياً لحاجات صناعة البلاد . والكمية القليلة الزائدة كانت تصدَّر الى الخارج . انما الاسواق الاوربية لم تكن ترغبهُ وكانوا يخنّقون في الشمس الشرانق التي يتأخر حلّها . وكانوا احياناً ينقّون الشرانق الواردة فينفون منها الموءاتة والبغلية والضعيفة ويحلّون ما بقي على نفس الدولاب العربي لكن مع زيادة اعتناء اذ انهم كانوا ينقونها ما امكن من النمش والجلط . ثم قلّ عدد الحلالات في الجبل منذ انتشار معامل الحلّ الاوربية واخذ يتناقص عددها سنة عن سنة . وما لزم الآن من الحرير البلدي او من الحرير الاسكندراني للصناعة الوطنية يحلّه اصحاب الكراخين في معاملهم حيث افرزوا له محلات يستحضرونهُ فيها من نفايات شرانقهم . انما يستعملون احياناً من اجود الشرانق ايضاً للحرير الاسكندراني ليحصلوا على حرير ناعم جيد تقبل عليهِ الانوال السورية وكان يرسل منهُ كمية الى برّ مصر قبل ان تضع عليهِ حكومة تلك البلاد ضريبة فتناقص الصادر كثيراً

وفي سنة ١٨٣٦ أُنشئ اول معمل في بلادنا لحل الحرير على الطريقة المستعملة آنئذٍ في اوربا اقامه في بيروت بحيّ الدحداح الكونت دي لافرته (Comte de la Ferté) والكونت دي لامون (Comte de Lemont) فكان يحوي على عشرة دواليب تُحمى خلاقينها مثل الحلالة اي ان غليان الماء كان يجري بواسطة الحطب بوقد تحت كل خلقين . وأنشأ الخواجات نقولا وجورج بورطاليس سنة ١٨٣٨ معملاً حاوياً على ١٥ — ٢٠ دولاباً وهو المعمل الاوّل في لبنان استحضر له موءسسوه من اوربا ناظراً وعدداً من الصانعات وكان يجري فيهِ غليان الماء على الطريقة العربية مثل المعمل السابق . وتنازل فيما بعد نحو سنة ١٨٤٠ ١٨٤١ الخواجات بورطاليس عن هذا المعمل لاخيهم الخواجه فورتونه بورطاليس (Fortuné Portalis) فوسّعه . وكان

فريق من اهل الوطن اخذوا عن العالم الاجنبي اسلوب التحليل الافرنجي فقاموا بتشغيلها . ثم اقيمت تباعاً في لبنان معامل عديدة جميعها مجهزة خلاقينها على البخار و بعضها مستخدمة البخار لتحريك دواليبها . وما لبث الحرير الصادر من هذه المعامل ان اخذ شهرة استحقها بجودة صنعه . وفي ذاك الوقت أسست في بيروت وفي طرابلس مخانق للسوافات كانت تستورد الشرانق وتخنقها وترسلها الى فرنسا

ثم ازدادت معامل الحرير انتشاراً وبلغ عددها الآن ١٩٤ في سوريا منها في لبنان ١٥٤ معملاً تشتمل على ٨٦٦٩ دولاباً الاّ ان قسماً من هذه المعامل (٢٠ — ٣٠) أُوقف عن العمل . فاذا عدّلنا انهُ يلزم لتشغيل معمل يحوي ٥٠ دولاباً لا اقل من ٧٠ عاملاً يتضح لنا العدد المهم الذي يعيش من هذه المعامل . ولنلاحظنَّ هنا ان معاملنا بالاجمال تهاملت عن الاقتداء بالمعامل الاوربية والانتفاع من التحسينات الفنية التي أُدخلت على معامل الحل والتي من جملة منافعها انها تساعد الحلال على تشغيل اربع الى ست عمَّالات عوضاً عن اثنتين كما هو مصطلح عليه في لبنان مما يزيد كمية الحاصل في كل خلقين فينتج عن ذلك فرق عظيم من جهة كلفة الحل . ولا يوجد الى الآن على ما نعلم الا معامل قليلة قائمة على التحسينات الحديثة التي تكلمنا عنها ومنها معامل القُرَيَّة وفي القريَّة ايضاً أنشئ اول مخنق من الطرز الحديث لتخنيق الشرانق بواسطة الحرارة الجافة (à air chaud) فيخنقها وينشفها معاً . ثم انشئت مخانق اخرى وبعدُ ما يوجد حالياً من هذا الطرز بخمسة عشر منها تسعة في القريَّة وحدها . ولا تخفى منافع هذه الآلات اذ انها تنقص كلفة التخنيق والتنشيف نقصاً مهماً من ٢٤ الى ٣٠ في المائة وتكون الشرانق المخنقة على هذه الطريقة اكثر لمعاناً واثبت لوناً واوفر مقطوعية من الشرانق المخنوقة على البخار وتقلل من التفريش نحو نصف في المائة ومن العفن نحو الربع في المائة فضلاً عن الاقتصاد في المساحة وكلفة المناشف

انهُ لسوء الحظ لا يوجد في سورية مؤسسات لضبط وزن الحرير (Conditions des Soies) و ياحبذا لو تداركت الحكومة هذا النقص اذ كلٌّ يعرف جاذبية الحرير الباهظة للرطوبة ومنهُ يظهر ما لانشاء معاهد عمليَّة وصناعية ضامنة لكل شروط الصدق والتأمين من المنافع فان معاهد كهذه منشأة باسم « ضبط اوزان الحرير » تقرّب لنا تصدير محصولاتنا البلدية وتسهل لنا معاملات بيعها رأساً مع معامل الانسجة الاوربية

(الحياكة والتطريز) ان صناعة النسج قديمة في بلادنا السورية ومع مرور الايام برع فيها حياكونا واخذوا شهرة زادت في توسيع هذه الصناعة فاصبحت من اهمّ صنائعنا ثمَّ أخذت بالتقهقر شيئاً فشيئاً وقاربت الاضمحلال الا ان جودة ومتانة وطرز بعض منسوجاتنا جعلتها تبقى مدةً حيَّة حتى هبطت واصبحت في حالة العدم منذ القرن الثامن عشر لكن هذه الانسجة كانت بعيدة عن المحصولات القديمة وحسنها ومتانتها وفي اواسط الجيل الماضي انتعشت هذه الصناعة قليلاً لاقبال اهل مصر عليها ثم عادت الى الهبوط نهائياً وسبب ذلك تغلُّب المنسوجات الافرنجية ورخص ثمنها وكثرة التفنن في تلوينها وتغيير اشكالها فضلاً عن المساعدة التي نالتها من التغيير الذي حصل بالاذواق سواء كان في ما يخصُّ اللبس او المفروشات . وزد على ذلك تغلّب منسوجات بعض المراكز العثمانية ايضاً كبروسه وعينتاب اذ كانت تعرض في اسواق مصر وباقي الاسواق

الخارجية حتى في نفس اسواقنا المنسوجات المجانسة للمنسوجات السورية وذلك باسعار ارخص من اسعارنا. وسبب ارتفاع اسعار منسوجاتنا هذا انما حصل عن تصاعد المواد الاولية منذ أُدخلت طرق الحل الحديثة فصار معظم حريرنا يرسل الى الخارج ويباع باسعار عالية بدلاً من حفظهِ في البلاد حيث كان يستعمله الحياكون. فكانت هذه آخر ضربة على صنعة النسيج الوطني خصوصاً بعد اقدام شباننا على المهاجرة المتزايدة

كان اللبنانيون يحيكون قديماً لوازمهم فيحلّون الحرير على الطريقة العادية ويستحضرون القطن من نابلس ومرسين ويغزلونه وينسجونه نسيجاً صقيلاً يسمونهُ خاماً ويصبغونهُ الواناً اخصها الازرق واحياناً تطرزه نساؤهم بالحرير الملوّن المغزول في بيوتهم. وكانوا يغزلون ايضاً وينسجون الصوف والشعر ويأخذون من هذه الاقمشة ملبوساتهم نساءً ورجالاً كغنابيز وزنانير وقمصان واعبئة ويعملون منها بلساً واكياساً وخيماً. وترى العرب المستوطنين في لبنان لم يزالوا الى الآن ينسجون شعر الماعز فيحيكون منهُ حاجياتهم وكان معظم اشتغالهم بهذه الاصناف. ثمّ اخذ اهالي لبنان يجلبون من اوربا القطن المغزول لزيادة نسبتهِ ورخص ثمنه. الا انه أُنشئ في بيروت في اواسط القرن الماضي نحو سنة ١٨٦٤ معمل انكليزي (معمل الادلبي) لغزل القطن البلدي ثم نقل هذا المعمل بعد بضع سنوات الى الشام وكان يغزل جيداً ويستعملون ذاك القطن المغزول كسدى في المنسوجات الحريرية وكلحمة في القطنية. ولما قام قائم الصنائع الافرنجية واخترع احد صناع الانكليز نسج الشيت كاد يُقضى على هذه الصناعة ولكانت بادت تماماً لولا اختراع رجلٍ سوري القماش المعروف بالديما. ثمّ ان رجلاً آخر تفنن بالمنسوجات الحريرية تفنناً غريباً وراجت صناعة هذه المنسوجات في سورية عموماً واخذ منها لبنان نصيباً وافراً واشتهر فيهِ اهالي الزوق ودير القمر وقاطع بكفيا وزحلة وبعبدا. واقتبس اهل دير القمر وبعبدا من اهل الشام عمل انسجة القطن او الحرير الخفيفة ومن اهل طرابلس عمل الزنانير. وفي اوائل القرن الماضي اكتسب من حلب اهل بكفيا وبيت شباب وما يجاورها من قرى القاطع في قضاء المتن صناعة نسج الديما من القطن وشاع الاشتغال بها وامتد منها الى جهات كثيرة وكان يصدَّر من هذه المنسوجات الى سلانيك والى برّ الاناضول. وتعلّم اهل الزوق من اهل حمص وحماة صناعة نسج الاعبئة ثمّ اخذوا يتفننون بصناعتهم وابتدأوا يرسمون العروق على النول بالمكوك وجدّوا بنسج انواع الحلل من اعبئة ومشالح وأَخمرة ومناديل وكوفيات وعراقي وبانتوفلات ومناطق وضروب الاثاث إنْ فرشاً وان كسوةً وكلها موشّاة ومطرّزة بخيوط فضيّة او ذهبية او مبرقشة بالالوان والرسوم المختلفة فاقبل عليها المشترون وراجت في مدن سورية ومصر حتى في الديار الاوربية الى ان قذفت اوربا الى بلادنا بمصنوعاتها بعد تقدُّم الصناعة فيها الى غير ذلك من الاسباب التي المعنا اليها سابقاً فتوقف رواج صناعتنا تدريجاً. وكانوا يعدّلون منذ نصف قرن ١٢٠ نولاً في دير القمر و٤٠ نولاً في بعبدا و٣٠٠ في الزوق ومثلها تقريباً في بيت شباب وبكفيا. وكانوا يعدّلون آنئذٍ الارباح بقيمة توازي نصف ثمن المواد المستعملة. اما الآن فبالكد يبلغ عدد الانوال الاربعين في الزوق واكثر شغلهم هو اقمشة مختلفة منها للفرش واوجه طاولات وبردايات ومنها للملبوس نظير قمصان وبدلات ومحارم وبنتوفلات. وقد اعترى

حركة معظم هذه الانوال السكون فلا يتجاوز عدد الانوال في دير القمر الخمسة والعشرين وفي زحلة كادت ان تندثر وقس عليه أمكنة أخرى. ومن اسباب هذا الكساد قلة الاقبال على المصنوعات الوطنية وسفر اغلب الشبان الى المهجر

الاّ ان حياكة الديما في القاطع (ساقية المسك والمحيدثة وبيت شباب وقرنة شهوان وعين عار) كانت قائمة على ساق قبل الحرب كما يتضح من عدد الانوال وكانت هي تشغل لا اقلّ من اربعة آلاف ومائتي شخص منهم حاكة وحياكات ٣٠٠٠ وعملة يهيئون القطن بنوداً (شللاً) ويعدّونه للصباغة ويُدعَون بجّارين ١٢٠ وصبّاغين وهم ٩٠ لكل مصبغة ٣ والماخات وهنّ العاملات اللواتي يلففنَ القطن المجفف على بكرات من القصب ويضاف اليهنّ ٢٥ عاملة يلففنَ شلل القطن على طيارة من القصب ويُديرنه حول البكرات (اللطخ)

وزد على ذلك ٩٠ من العاملات للسداية و١٣٠ للمشاط ثم من ٥٠ الى ٦٠ مكاراً ينقلون على ١٠٠ بغل القطن ومواد الصباغة من بيروت ثمّ يحملون اليها الصايات بعد نجازها

اما اصحاب هذه المعامل فيبلغ عددهم الثلاثين يرسلون صادرات صناعتهم الى تجار بيروت فيصدرونها الى سلانيك وبلاد الصرب والجبل الاسود وبلغاريا والاستانة. ويعدّلون محصول الثلاثة آلاف نول اليومي باربعة آلاف وخمسمائة صاية طول الصاية من ٧ امتار الى ١١ متراً. ومحصول الديما السنوي في لبنان ثمانمائة الف صاية يمكن تعديل سعرها بمئة واربعين الف ليرة. واذا حسبنا ما يدفع يومياً من الأجور لكافة الذين يشتغلون بصناعة الديما بلغ ٢٠٫٠٠٠ غرش. هذا ما افادنا به الشيخ ميشال الجميّل

فصناعة لا تزال هكذا قائمة رغماً عن تقلبات الاحوال تستأهل ان يسعى متعاطوها بتحسين آلاتها ولا يبخل عليها أولو الامر بمساعدتهم لتبقى ثابتة قائمة تجاه المزاحمة الاجنبية

ان صناعة الحياكة عندنا تستعمل الحرير البلدي والمسلوبة من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ اقة سنوياً في بيروت ولبنان وتستعمل ايضاً الحرير الاسكندراني من ١٠٠٠ الى ١٦٠٠ اقة لبيروت ولبنان. نصف من هذه الكميات لبيروت والنصف الآخر للبنان . فسدّاً لنقص الحرير العربي المستحضر حالاً اخذ اهل سورية منذ بضع سنوات باستعمال الحرير المعروف بالمسلوبة البيضاء وارد بروسه والحرير الصيني ويستعملون المسلوبة خاصةً للقيطان ولرفو (أويا) المناديل

ان كل هذه الانوال تدار في البيوت او في الدكاكين والانوال التي تدار بعدد ٤ او ٥ او ٦ يديرها بعض المعلّمين على نفقتهم الخاصة فيتخذون لها ما تحتاج اليه من العملة ولا يوجد الاّ معمل واحد يستحق هذا الاسم انشأته راهبات المحبة في بيروت سنة ١٨٦٢ ليشتغل به اولاد ميتمهنّ الصناعي وهذا المعمل يشتغل سنوياً من ٤ الى ٥٠٠٠ متر من الانسجة الحريرية البسيطة او الملونة والحرير المستعمل هو من الحرير الجيد المشغول في معمل الحل الذي انشأته الراهبات لميتم البنات في طرابلس ويحتوي هذا المعمل على عشرة انوال تشتغل دون انقطاع. وخلاصة الكلام ليس في سورية اثر للصناعة الكبرى وهذا ما يحول دون رقيها لان ادوات « جاكار » الضامنة برقيها واستطاعتها على مزاحمة الصناعة الاجنبية لا يمكن استعمالها في سورية مع حالتنا



بدوان يشتغلون البلس

الحاضرة . فأسفًا على هذه الصناعة اذا تلاشت في بلادنا بعد ان كانت فخرها وشرفها

(الدانتلات) راجت هذه الصناعة منذ سنوات اي رواج حتى ان بعض معامل الحل اضطرت الى توقيف اشغالها لعدم وجود عاملات لأن أكثر النساء انصببنَ على شغل الخروجة والدانتلات حيث يجدنَ فيهِ اقل عناء وزيادة ارباح مع ملازمتهن بيوتهن . وطريقة الشغل ليس بالاجرة بل ان بعضًا من السماسرة يبيعونهن لحساب بيوتات فرنساوية او اميركانية رسومة الشغل مع الإبر والخيطان والعاملات يبعنَ الخروجة حسب جنسها وكانت تباع هذه الخروجة بثمانمائة غرش الاقة وبعضها بألف وبعضهـا بألف ومائتين الى الألف والخمسمائة قرش بتعديل متوسط ١٤٠٠ غرش الاقة وكان يرسل الى اميركا سنوياً بقيمة مائتي الف ليرة عبارة عن ١٤٫٣٠٠ اقة تقريبًا لكن سوق هذه الصناعة كسد . ومن اسباب ذلك ان بعض الاجناس المرسلة اصبحت غير مرغوبة . فلو اهتمت العاملات بتقدمة الاجناس المرغوبة من اصحاب الازياء الجديدة على ذوق الطلاَّب وقنعنَ بالارباح المعتدلة لعادت السوق الى رواجها

(السجاد) انشأ نحو سنة ١٨٦٥ فرنقو باشا متصرف لبنان اول معمل للسجاد في بعقلين وبقيت هذه الصناعة فيها وهي ايضًا رائجة في بلاد عكار (راجع مجلة الشرق)

(اللباد) صناعته محصورة . يُعمل منهُ في زحلة عراقي وكبابين للخيل

٣ً صناعات اخرى

(الصباغة والدباغة والسكافة) فن الصباغة قديم في اقطارنا السورية وليس احد يجهل شهرة الارجوان الذي كان يصبغ بهِ الحرير في الشواطئ الفينيقية . ثم اشتهر بعده الصبغ الدمشقي في سائر الاقطار لثبوت الوانهِ ولطافة لمعانهِ فلما تغلبت الاصباغ الاجنبية بطل استعمال القديم منها . اما في لبنان فيوجد الآن مصابغ عديدة في حالة متأخرة جدًّا تقتصر اجمعها على صبغ اقمشة الملبوسات البسيطة

اما صناعة الدباغة واستحضار الجلود فهي لم تزل متأخرة ولكنها آخذة بالتحسين تدريجًا وابتدأت تظهر عليها لوائح التقدم . ومعامل مشغرة وزحلة وكفر عقاب هي الاكثر تقدمًا واهمية ولها الفضل في هذه المدات الاخيرة لانها تمكنت من سدّ عازة قسمٍ من الاحتياجات الوطنية

(معامل السجاير) لما عادت زراعة التبغ الى الرواج بعد ادخال البزر الاسلامبولي انشئت معامل عديدة لاستحضار لفافات السجاير وفُتح باب رزق واسع لألوف من العملة والعاملات اللواتي استُخدمنَ في اعمال هذه الصناعة الا ان تعدُّد المعامل الزائد في السنين الاخيرة بعد ان بلغ بمدة وجيزة المئتين جعل مزاحمة مفرطة بين المعامل ادَّت الى تناقصها الى الثمانين تقريبًا . هذا فضلاً عما يصير استحضاره من اللفافات في الدكاكين وفي بيوت الخاصة

(الجليد الاصطناعي) لهذه الصناعة معملان احدهما في جونية والآخر في الساحل على نهر بيروت فضلاً عن معامل بيروت

لبناء حائط تقي بهِ معملها من هجمات امواج البحر ونجحت نجاحًا تامًّا

وقد احتاجت ايضًا مؤخراً ادارة التأسيسات النافعة في جبل لبنان الى الكلس المائي لبعض اشغال

قامت بها تحت المياه فتولت بذاتها صنع هذا الكلس اللازم ونجحت اتمّ النجاح

ان صنع الكلس المائي والسمنتو في الجبل صناعة قابلة للازدياد والنجاح العظيم . فمن كان من ذوي اليسار صاحب استعداد كافٍ للقيام بهذه الصناعة بصورة فنيّة يربح ارباحاً عظيمة ويدل نتائج باهرة . ولا تحتاج هذه الصناعة الى حماية الحكومة لان اكلاف عمل الكلس في اوروبا وسوريا لا تختلف فيربح الوطنيون فرق اجرة النقل وهذه الاجرة تعادل اكلاف صنعهِ وربما اكثر . هذا مع صرف النظر عن الاخطار والصعوبات التي تعترض نقل هذه المادّة والاضرار التي تلحق بها . وكلّ يعلم ان طلب هذه المادّة في سوريا على ازدياد متواصل . فضلاً عن ان الرسوم الجمركية الموضوعة على عموم انواع الكلس والترابة الافرنجية تكفل نجاح هذه الصناعة

(المعامل الخزفيّة) ان شغل الخزفيّات من الصناعات القديمة في سوريا وكانت نامية منذ القرن الثامن للميلاد وزادت نموًّا وتأنّقاً حتى بلغت اوجها في القرن الثالث عشر ودامت زاهية الى القرن الخامس عشر فتوقفت لما استصحب تيمورلنك عملة هذا الصنف ليستخدمهم في بلاده . وقد اشتهرت مدن يافا وبيروت وصور ودمشق بحسن شغل اهلها للفخار المطلي لكنّ خزفيات دمشق المنقوشة والملونة المعروفة في بلادنا « بالقاشاني » كانت تفوق سواها بلطفها وألوانها الزاهية ونقوشها . ويوجد الآن معامل للفخار في دمشق وبيروت وصيداء واللاذقية وراشيا الفخار . اما في لبنان فيوجد عدة معامل منهُ في حالة متأخرة يصنع فيها الاباريق والنعاير والجرار والمعاجن نذكر منها معامل المريجات ومعاصر الفخار وبيت شباب وهي الاهمّ عُرفت منذ مئة سنة ومعظم فخارها ينفق في لبنان وكثير من قرى برّ الشام ومنها تتخذ اوعية للسوائل والجوامد على اختلافها

(معامل القرميد) يوجد منها معمل واحد أُنشئ سنة ١٨٩٧ في القبارية بالقرب من بيروت يعمل من اصناف القرميد قرميد البناء او الطوب المشوي والقرميد المستعمل للسقوف وقد تضرر اصحاب هذا المعمل في بادئ الامر بعض الضرر لشذوذهم عن المبادئ الفنية والتجارية اما الآن فقد غيروا نسق شغلهم واهتدوا الى ما تتطلبهُ هذه الصناعة فتحسن جنس قرميدهم نوعاً ما . ان الطلب على قرميد السقوف خاصة يتزايد في لبنان منذ اصطلح السكان على تغطية سقوفهم بالقرميد عوضاً عن استعمال السطوح القديمة

نتمنى لصناعة القرميد هذه رواجاً اذ انها اصبحت من لوازمنا الضرورية . فمتى نمت وتحسنت مصنوعاتها من قرميد وطوب وبلاط بحيث تتوصل لمضاهاة الواردات الاجنبية وفّرت على البلاد مبالغ طائلة لما يلحق هذه الاصناف من كلفة النقل الباهظة

(معامل سبك الحديد) في قرية بيت شباب المعمل الوحيد من هذا النوع في لبنان وفي عموم سورية وكان يستعمل فيهِ سابقاً الحديد الوطني الا انهُ الآن يستجلب المواد الاولية من الخارج لتوقف تعدين الحديد في لبنان ولأن الحديد الاجنبي ارخص ثمناً بيد انهُ احط جنساً من الحديد اللبناني . وتفردت قصبة بيت شباب بسبك الاجراس الكبيرة وهي من اشهر القرى بالصنائع في ايامنا ويروي ان اول من اهتدى الى صناعة الاجراس هو احد اهالي تلك القصبة فتعلم هذه الصناعة من رجل قدم من اوربا سنة ١٧٨٠ ليسبك

جرساً الى كنيسة مار عبدا في بكفيا واخذ اولاده باتقان هذه الصناعة فاستحضروا اجراسهم في جميع الكنائس واستغنوا عن استقدامها من اوربا . وكانت سابقاً صناعة سبك الحديد معروفة في الشوير ودوما وزحلة . ويسبكون ايضاً في بيت شباب اجراساً صغيرة والنعال والمسامير . ويشتغلون المضخات والموازين وحربات الصواعق والادوات النحاسية

ويصنعون في قصبة جزين سكاكين الجيب (العويسيات) والخناجر المزينة قوائمها بالاشكال والنقوش الشرقية وذلك بان تنزّل قطع او خيوط من النحاس او الفضة في القبضات الخشبية او العظمية

(معامل القوارب والسفن) يشتغلون القوارب والسفن في جونية وجبيل والبترون . ولما كان الخشب متوفراً في لبنان كانوا يتخذونهُ منهُ اما الآن فيستعملون الخشب الاجنبي ولا يؤمل اتساع هذه الصناعة اذ لا يتيسر ذلك الا في المحلات التي يوجد فيها الخشب بكثرة ولذلك لما كان الجبل كثيف الغابات كانت ترسانات شواطئ سورية عامرة فاستفادت منها لتجهزها لكنها تجاوزت الحدود واصبحت تلك الصناعة آفة الاحراج فافنتها

وفي لبنان من الصنائع الأُخر التي لا تزال رائجة لكنها طفيفة كصنع الحدادة والدباغة في زحلة والشوير ومشغرة ودوما وعمل اسلحة الصيد في زحلة والشوير

٤ً الصناعات البحرية

من توفيق لبنان اكتناف البحر جوانبه فيستمد منهُ فضلاً عن تأثيراته الحسنة في هوائه وحالته العمومية منافع جمة من المحصولات الصناعية التي تتولد منهُ اذ يعيش في بحرنا هذا المتوسط انواع متعددة من الاسماك والاصداف والهلاميات (Mollusques) وذوات المفاصل (Arthropodes) وذوات الجلد المشوك (Echinodermes) والسلاحف والاسفنج

(صيد الاسماك والحيوانات الاخرى) نذكر بين الاسماك المتنوعة الاجناس التي يصطادونها على شواطئنا التي هي سبب معاش كثيرين ومنبع ثروة لهم الزليق (Perche) والسلطان ابراهيم (Rouget) والفرّيدة (Truite Saumonée) والجريدة (Pajot) وسمكة مومى (Sole) والانطياس (Thon) وقد كانوا سابقاً يجهزونه بالكبس في اناء المالح بعد ان يسلقوه ويتخذونهُ لمونتهم فيعالجونه بالطبخ مدة الصيام خاصة . ثم المسقار (Lavaret) والغنبار . والاقّس (Alose) والبوري (Muge) والدهبان (Dorade) والسفرني . والسرغوس (Sargue) والبلاميدا (Maquereau) والعُرمُط (Merlan) والشبوط (Carpe) والسمك الترس او المرّ (Raie) وسمك السيف (Espadon) والمنشار (Scie vulgaire) والرعاد (Torpille) وابو منقار . والمنوري . وخنزير البحر (Turbot) والغبّس (Baveuse) والبراق (Loup de mer) والكربال . والداقور . والفقمة (Veau de mer) والحنكليز البحري (Congre) والزرنباية (Muréne)

ويصطادون من الاصداف الاستريديا (Huître) والبطليموس (Patelle) والصبيدج (Sèche)

والاخطبوط (Poulpe) وانواعاً مختلفة من الابواق للأكل · وفي بحرنا صنف من الابواق لا يسعنا الاّ ذكره يدعونهُ (Murex Trunculus) او (Pourpre) وكان الفينيقيون يتخذون منهُ الصبغ الارجواني الشهير فيستعملونهُ لصبغ الاقمشة

ويصطادون من نوع ذوات المفاصل الكركند (Homard) والقريدس (Crevettes) والسراطين (Crabes) ومن نوع ذوات الجلدة المشوكة التوتيا

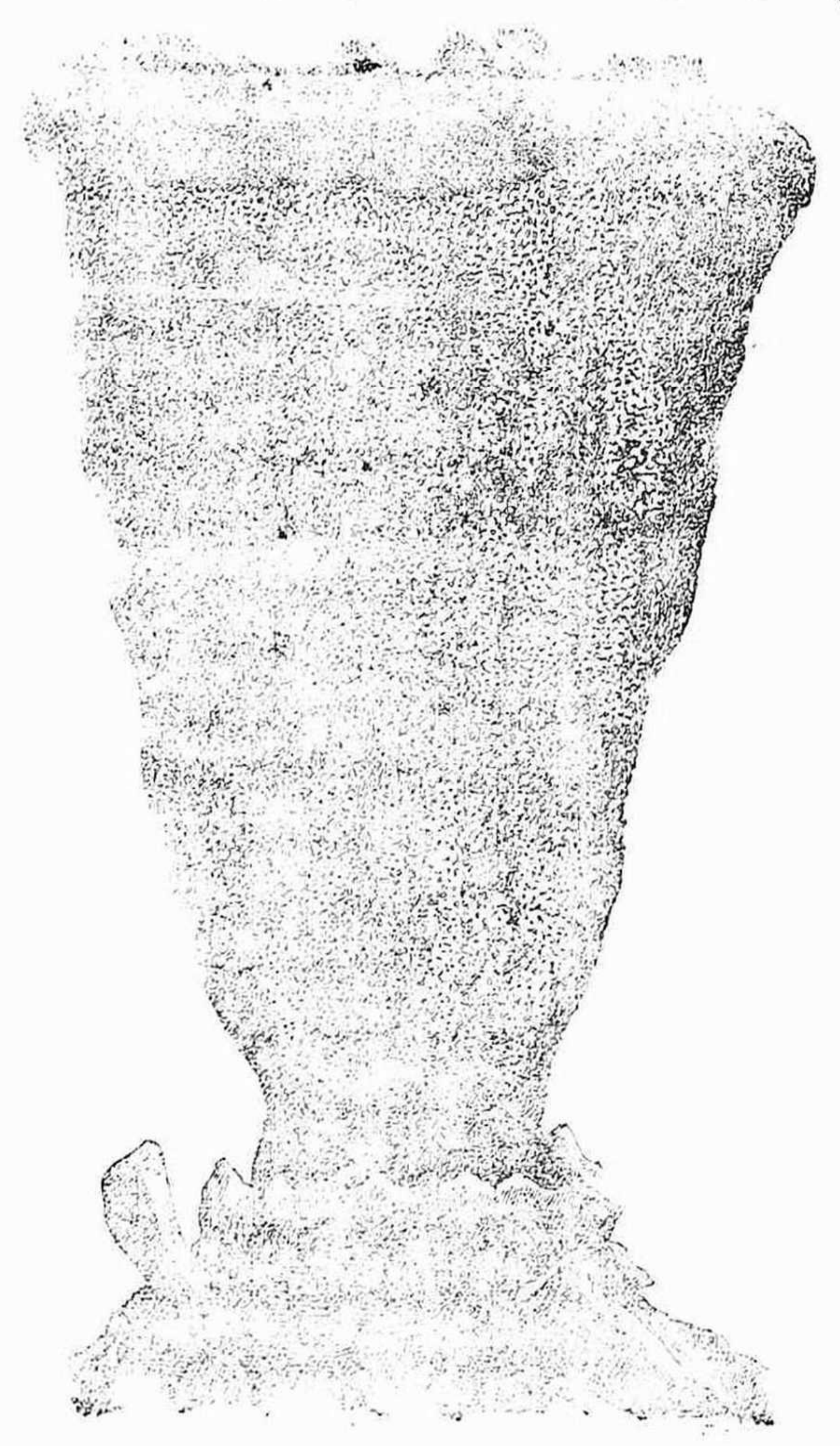
اما السلاحف فلدينا اصناف عديدة منها كالسلحفاة الكبيرة (Tortue) يبلغ طولها نحو متر وثقلها ٤٠ كيلو وما فوق لكنّ الصيادين لا يعبأون بصيدها بينما ان الطباخين في اوربا واميركا يصطنعون من لحمها الوردي الشبيه بلحم العجل ضروباً من المآكل فيستطيبونهُ · ويا ليت الصيادين يقدمون على صيدها قلما يكون في هذه الايام الحرجة ويبيعونها للفقراء باثمان بخسة

ان الاسماك وباقي الحيوانات البحرية لو أُعتني بتكثيرها او بالاحرى بالمحافظة عليها وتنظيم اساليب صيدها ومراعاة ميعادهِ كما هو جارٍ في سائر البلدان لحصلنا من استثمارها على كميات مهمة خصوصاً ان تيسرت وسائط النقل الى مرافئ الجبل المختلفة والى الداخلية ولا يخفى ان مساحة فدان من البحر اذا روعيت الشروط المار ذكرها تنتج من السمك في اسبوع ما لا ينتج من فدان الحراثة وكنا سررنا لما بوشر منذ سنوات بتجهيز الحوض الذي كانت انشأتهُ شركة مرفإ بيروت في الدورة بالقرب من النهر وتهيئتهِ لتربية الاسماك فما لبث هذا السعي ان توقف

(الاسفنج السوري) كان القدماء يعدّون الاسفنج في سلك النبات على ان العلماء اثبتوا اليوم انهُ حيوان بحري من ادنى طبقات الحيوان من الجنس المشعّ (rayonnées) كالمرجان · ويتكاثر نسله بواسطة البيوض ويمكن تكثيره ايضاً بواسطة قطَع تؤخذ من جسم الاسفنجة فلا تلبث ان تنمو وتصبح شبه الاسفنجة التي تولدت منها

يستعمل الاسفنج لحاجات مختلفة ولهذا ترى الاقبال عليهِ بكثرة وتجارتهُ رائجة وهو على ضروب شتى اهمّ ما يجري صيدها في بحر الروم وعلى شواطئ دلماسيا وايستريا في بحر الادرياتيك وبحر الشام · اما الانواع التي تعيش في شواطئنا فهي اجود ما يعرَف منذ القدم وتمتدّ على طول الساحل من الاسكندرونة الى صيداء وافضلها بين بيروت واللاذقية على مسافة كيلومتر او كيلو مترين من سيف البحر ومركز تجارتها في طرابلس ويتعاطى خاصة هذه الصناعة اهالي البترون وجبيل فيبتدئ موسم صيدهم في اواسط ايار وينتهي في ايلول · واحسن انواع الاسفنج هو الاسفنج السوري الناعم (انظر الشكل) يكون شديد اللين اصفر ضارباً الى الشقرة واسعاً في اعلاه ضيقاً في اسفله ويباع الكيلوغرام الواحد منهُ من ٨٠ فرنكاً الى ٢٠٠ فرنك على حسب شكلهِ او حجمهِ · والنوع الثاني الذي يدعى الاسفنج البندقي حيث كانت البندقية مركز تجارته سابقاً فهو اشقر ايضاً لكنهُ دون الاول قيمة ويساوي الكيلوغرام منهُ ٢٥ الى ٦٠ فرنكاً · اما النوع الثالث ويدعوه السوريون قبا فيكون صلباً ولونهُ محمرّ وهو كثير في البحر المتوسط ويباع الكيلوغرام منهُ ٥ الى ٨ فرنكات

ان صناعة صيد الاسفنج مهمة في لبنان وتبلغ قيمة ما يتحصل في بيعهِ سنويًا بضعة آلاف ليرات ففي السنة ١٨٩٠ بلغ ١٥٠,٠٠٠ فرنك والسنة ١٨٩٤ : ١٢٦,٠٠٠ فرنك والسنة ١٨٩٥ : ٢٠٠,٠٠٠ والسنة



اسفنجة ناعمة في سواحل سورية

١٨٩٦ : ٢٠٠,٠٠٠ فرنك والسنة ١٨٩٧ : ١٤٤,٠٠٠ فرنك لكنها كسدت في السنين الاخيرة مذ تواترت المهاجرة الى اميركا ولعلَّ سبب كسادها ايضًا نقص مادَّتها لتوالي الغوص في محلٍّ واحد اذ ان الغوص يجري اوان ابتداء تفقيس البيوض فتتمف مولوداتها قبل نموّها ويتناقص النسل وهكذا قلت الارباح بينما

كان يكسب الغوّاص سابقاً من هذه الحرفة نحو عشرة الاف غرش. والامل ان يسعى اولو الامر في إنعاش هذه الصناعة التي كانت تُعَدّ من مصادر الثروة المهمة في لبنان بان يجعلوا لها نظاماً و يعتنوا بتوفير بيوض الاسفنج وزرع قطعه كما ارشدنا اليه بعض العلماء في فرنسا وفي النمسا بعد اختبارات متعددة باشروا فيها منذ اواسط القرن الماضي وتابعوها بهمة ونشاط فتوصلوا اخيراً الى نتيجة مرضية . فما لنا الاّ ان نقتفي آثارهم ونبقي لبلادنا مورداً لا يستهان بهِ

(الملاّحات) كان يوجد منها سابقاً عددٌ ليس بيسير على شواطئ لبنان إنما أُبطل استثمارها بامر الحكومة السنية واخذ من ثمَّ الجبل يستمدّ لوازمهُ من الملح من الولايات المجاورة تأتيهِ بهِ ادارة الديون العمومية

الازمة في لبنان

ان مساحة الاراضي المزروعة في لبنان زادت زيادة مهمة كما اوضحنا ذلك سابقاً لكن الادوات الزراعيّة بقيت على حالها وبالاجمال أُبدلت المزروعات الغذائية من المزروعات المعدّة للتصدير . على ان جبلنا لا يكفي لمعاش مواطنيهِ وهم مجبورون الى جلب قسم من قوتهم . كذلك الصناعة ان استثنينا معامل التحليل لم يزل نطاقها ضيقاً وعليهِ يقتضي على الاهالي ادخال لوازمهم من الخارج . وبما ان محصولات البلاد تتركب خاصة من الحرير والزيت والتبغ فان مقدرة لبنان على المشترى هي تابعة لنجاح او عدم نجاح المزروعات ولتصريفها الخاضع لاسعار الاسواق وللكميّات الحاضرة الموجودة منها وفي تلك الاثناء حدثت ازمة الصناعه اللبنانية اجمالياً لعدم استطاعة معاملنا على مزاحمة المعامل الاوربية

فمنها اولاً ازمة الزيت لان الصناعة الاوربية توصلت الى اصناف شتى من الزيوت في مصابنها من جملتها زيت السمسم الذي اخذت تستجلب منهُ كميات وافرة من بلادنا السورية فنزلت اسعار الزيت عندنا اذ كان يأنف الذوق الاجنبي من زيتنا الحادّ الكدر

ومنها ايضاً ازمة التبغ منذ سنة ١٨٨٠ عند تأسيس شركة حصر الدخان واقبال المصريين على استعمال التبغ التركي

ثمَّ جاءت ازمة الحرير ضغثاً على ابالة لانهُ منذ توسعت المواصلات البحريّة مع العجم والصين واتسعت زراعة التوت في بعض النواحي المجاورة للبحر المتوسط خفّ الطلب على الحرير السوري . وزد على ذلك ادخال وسائط التحليل المستحدثة في بعض جهات الشرق الاقصى كالهند الصينية واليابان فنتج عن هذا التحسين زيادة في المحصولات عقبها هبوط في الاسعار . ثمَّ بما ان الطرق المصطلح عليها في تربية القز بقيت ناقصة عندنا واصبحت محصولات دود الحرير اقل من محصولات سائر البلاد فكان ذلك ضربةً قاضية على اللبناني فتضاعفت الازمات الزراعية والصناعية

هذا مع انتشار العادات المستحدثة والرغبة في حسن المعاش والترفه . فهذه الحالة التي تزيد كل يوم حرجاً جعلت اللبناني بطلب وسائط يؤمّن بها معيشتهُ فاندفع الى المهاجرة

ان المهاجرة في لبنان هي مهمة ليس لدينا احصاءات يستند اليها تماماً انما يعدلون عدد المهاجرين سنوياً من لبنان عن طريق بيروت وطرابلس قاصدين اميركا باربعة آلاف الى خمسة آلاف شخص من جملة ٤٠٠,٠٠٠ القاطنين هذا الجبل ويقدرعدد الموجودين حالاً خارجاً عن وطنهم بمائة وخمسين الف شخص ذكوراً واناثاً . فيا ترى أهذه المهاجرة مفيدة للبنان ? فمنهم من يستصوبها ومنهم من يذمها والمهاجر اللبناني لا يبتعد عن وطنه الا بنية الرجوع اليه بعد مدة لتعلقه بمسقط رأسه لكن هذه الخاصة معرضة للتلاشي مع مرور الايام والعودة الى الوطن تنقص يوماً عن يوم . ومن يا ترى يمكنه ان ينكر عدد الوفيات التي تصيب المهاجرين بسبب اتعاب الاسفار ومشقة المعاملات وتغيير الهواء . وفي رأينا ان النقص في المواليد هو نتيجة هذه المهاجرة

لا ينكر ان المهاجرة تزيد ثروة الجبل . ومعلوم ان المهاجرين يرسلون سنوياً مبالغ وافرة الى وطنهم يقدرونها بمليون ليرة دخلاً صافياً اي بعد خصم ثلاثمائة الف ليرة تقريباً يستصحبها المهاجرون معهم وقت سفرهم فهذا المبلغ هو ربح مهم للجبل يساعد على نجاحه لو أُحسن استعماله او بالاحرى لو لم يبذروهُ غالباً دون روية . ولعل اللبناني يجد له بعض العذر لذلك وهو محبته لجبله ورغبته في ان لا يتملك خارجاً عنهُ اذ يجد فيه هواءً طيباً وأماناً وافياً . لكن أما كان يمكنهُ مع ادراك رغبته هذه ان يحسن انتقاء وسائط العمل ? فعوضاً عن ان يقيم في كل النواحي حتى في النقط الاقل قابلية للتقدم هذه العمائر الباذخة الشامخة الزائدة على احتياجاته اما كان الاولى به ان يقتصر منها بما يسد حاجته ? اما كان واجباً عليه ان يختار المحلات التي تكون مواقعها قابلة ان تصير مراكز صيفية وان يبني فيها مساكن على صورة نافعة وملائمة للصحة

ومن نتائج المهاجرة الحسنة عادةً ادخال طرق الزراعة والصناعة الحديثة ونشرها في الجبل مما يساعد على ترقي هذه البلاد . ولا شك ان لبنان حصل على شيء من ذلك لكن هذه النتيجة هي عرضية بالنسبة لما يبذل من الجهد والسعي . ومعظم المال المصروف قد دُفع في زيادة اثمان الاملاك الى درجة ليست مناسبة لقيمة مداخيلها فبكل صواب قال احد الكتبة البلجيكيين في تقرير له : ليس للاراضي في سوريا قيمة تجارية ويمكن تحديد سعر المشترى حسب المحلات المروية او غير المروية لكن سعر المبيع لا يتقرَّر بين البائع والمشتري الا عند حضور هذا الاخير . ونرى حقيقةً في لبنان ان جلب المياه الى محل ما او فتح طريق لمرور العربات او عودة عدد من الاهالي من اميركا قارن التوفيق اشغالهم او مزاحمة جار في الرزق او في الجاه سبَّب تغييراً في قيمة الاملاك ورفعها الى مبالغ فائقة الحدود . ولا تزال اسعار الاملاك متزايدةً يوماً عن يوم حتى الحمل من الورق اي مثال درهم بزر تقريباً بلغت قيمتهُ في بعض الاراضي الفين الى ثلاثة آلاف غرش واكثر . ويمكننا القول اجمالاً ان المهاجرة مع عظم فوائدها لم تُجدِ ما كان ينتظر منها من المنافع لعدم تنظيم مواردها

مستقبل لبنان

ان الزراعة لا تفي بمعاش لبنان مع وفرة سكانه · فعلى اللبناني ان يهتمّ بالصناعة · بيد انهُ لا يمكنهُ الإقدام على الصناعة الكبرى لعدم وجود الفحم الحجري وقلة وسائل المواصلات وصعوبة النقل · لكن متى امتدّت الطرق في جميع جهات الجبل وكثرت السكك الحديدية وجُلبت الى القرى مياه الشرب ومياه الريّ واستفيد من الفحم السيّال الذي يسميه الاوربيون الفحم الابيض (la Houille blanche) لتوليد القوّة المحركة للادوات والمجرّة للنور الساطع تيسر حينئذٍ انشاء الصناعات واستثمار المناجم والمعادن الموجودة في الجبل

فريثما نحصل على ذلك يجب علينا توسيع الصناعة الزراعية وخصوصاً الصناعة الغذائية والصناعة النسجية التي هي اصل ثروة لبنان ثم السعي في توسيع حلقة تجارتهِ مع البلاد الاجنبية وخاصةً المصرية اذ انّ هذه البلاد تستمدّ من سوريا عموماً قسماً مهماً من لوازمها واكثر ما تستورده هو من الحاصلات التي يستطيع الجبل ان يصدّرها كالحرير والزيت والخمر والصابون والفاكهة والتبغ والجبن والخضر والبيض والمربيات الخ

يلزم بالاخص ان نعير صناعة الفنادق او المصايف والمشاتي عظيم جدّنا واهتمامنا · لا يخفى ان قرى عديدة في بلاد سويسرا تعيش من موارد الاصطياف وتعتمد عليها كاكبر وسيلة لمعيشة سكانها

تربح سويسرا سنوياً من صناعة الفنادق من مائة الى مائة وعشرين مليوناً من الفرنكات · وتستخدم هذه المصلحة لحاجاتها الخصوصية ٢٧٫٧٠٠ شخص وما عدا ذلك تشغل من ٢٥٫٠٠٠ الى ٣٠٫٠٠٠ شخص من تراجمين وساقة وحمّالين · هذا فضلاً عن الارباح التي ينالها القرويون من تصريف حاصلاتهم باحسن الاثمان · ومن المقرَّر ان لبنان يفوق سويسرا من عدّة وجوه اوّلها انهُ ممتد على سيف البحر فيمكن للسيّاح خاصةً من القطر السوري والمصري ان يقصدوهُ بسهولة و بقليل من الكلفة ثم انَّ اعاليهُ معتدلة الحرّ والبرد· والاراضي التي يمكن سكناها في مشارف لبنان حيث اكثر الاعالي مغطاة بالجليد هي اوسع مما في سويسرا الى غير ذلك من المرافق كوجود المصطافين في بلاد مستعملة فيها لغتهم · فينبغي للبنانيين ان يهتمّوا بصناعة الفنادق فانهم يجدون فيها احسن فائدة للدراهم التي حصلوها في المهجر · فبما ان الطبيعة جادت على لبنان بمنحها من مناظر جميلة وهواء طيب معتدل وماء زلال · فما علينا الا ان نستفيد من هذه المنح ونعيد للبنان محاسنهُ السابقة مع اضافة المحاسن الناتجة عن التمدُّن والتقدم العصري كبناء الفنادق والمنازل المستوفية الشروط الصحية وانشاء المتنزهات وانشاء السكك الحديدية وتحسين حالة الطرق فنجعلها صالحة لمرور الاوتوموبيلات مع فتح غيرها لربط كل المراكز المهمة القابلة العمران بالمدن الساحلية

ومما ينبغي صرف الهمم لتحقيقهِ انشاء جمعيات لتوسيع نطاق الغابات وزرع الاشجار على مثال الجمعيات الاميركانية التي تطلب من اعضائها ان يزرعوا بضعة اشجار كل سنة ولهم يوم عيد يدعونهُ عيد الشجر (Arbor day) يتداولون فيهِ ويبيّنون ما تيسر لهم صنعهُ من هذا القبيل · ومما ذُكر في نشراتهم انهم غرسوا في مدّة خمس عشرة سنة ما ينيف على ٣٥٥ مليوناً من الاشجار · فمثلهم هذا الجدير بكل مديح حمل

الافرنسيين في بلاد الجزائر على اقتفاء آثارهم فكانت النتيجة مرضية للغاية · فيا حبذا لو كان بعض ذوي النفوذ والمروءة والثروة عندنا ينشطون لمثل هذه الاعمال المفيدة فيكونوا قدوةً لغيرهم · فلا تمرّ اذ ذاك على بلادنا خمسون سنة حتى تصير جنّة غنّاء تبهج النواظر وتشرح الخواطر وتزيد لبناننا العزيز ثروةً ونضارةً

ولما كنا منذ عشرين سنة متوجّهين ادارة الزراعة في لواء لبنان رفعنا الى اولياء الامر عدّة تقارير في الاحراج بيّنا فيها كيفية صيانتها وانمائها وتطعيم ما يحسن تطعيمه وتأسيس شركات كالتي سبق ذكرها لانها من انجع الوسائل لاعادة لبنان الى رونقه القديم مع توفير محاصيله

ومن المقرر ان المشروعات التي تعود على لبنان بالفوائد الجزيلة لا تنجح ولا تدوم ما لم تمدّ لها الحكومة يد المعونة · فعلى الحكومة ان تنشطها وتعضدها بكل ما لديها من الوسائل الفعالة · وهي متى ارادت فعلت فانها لذ شاءت لم يصعب عليها توحيد الحساب السنوي وتوحيد العملة · كذلك يسهل عليها اتخاذ ما تقضيه الشروف واحوال البلاد من وسائط الترقي مثل اختصار نشر مستجد لمساحة وتوحيد العيارات والمكاييل والاقيسة فانها بإقدامها على مثل هذه الاعمال تساعد اللبناني في سبيل تقدمه وتسهل لسورية اجمع النهضة الاقتصادية ولكن ليس من الحق ان نكتفي بمطالبة الحكومة وحدها بالعمل · بل ينبغي ان نجمع قوانا مستنكفين عن الانانية ونتضافر على المشروعات العمومية الآيلة الى صالح لبنان · ولنضعنّ نصب اعيننا هذا المبدأ ان لا قوة للشعب اذا سار فرداً فرداً · اما اذا عضدنا بعضنا بعضاً تكاتفنا ... اعتنينا بالفوز والانتصار · حقق الله هذه الآمال



لبناني يشتغل بعمل السلال

الاحوال الزراعية والتجارية والصناعية والاقتصادية
في
جبل لبنان

كلمة تمهيدية

لا شبهة في انَّ ما نشاهدهُ من الترقيّ والتكامل في جميع الممالك المتمدنة في العصر الحالي هو نتيجة توجيه النظر الى الماضي والحاضر بصورة مدققة وموضحة . ان الاهتمام بالاحصاءات «استاتستيق» هو مرآة كل الشُعب الاقتصادية والحيويّة. فهذا التتبع هو الذي يوقفنا على ما ينقصنا وما نحتاج اليهِ في ما يتعلق بطرائق ادارة الشعوب ومعيشتهم وعلى ما يقع من الخطإِ والصواب في ما يُبذَل من المساعي. ومن ثمّ تتضح لنا الطرق الواجب نهجُها لنترقى في سُبل المعاش في معارك هذه الحياة . وبما ان هذا العلم لم يبلغ عندنا الدرجة المبتغاة لا يمكننا ان نحصل عليهِ فعلاً بالسرعة المتوخاة بل لعلّنا لا نظفر بهِ مطلقاً . فنحن كحاطب ليل . ان ما يُصرَف من الوقت لوضع الاشياء في محلها ليستطاع وجودها بسرعة عند اللزوم هوَ اقصر من الوقت الذي نصرفهُ في التفتيش عنها. فبمقتضى هذه القاعدة نرى الامم التي اتخذت التدابير الواسعة لوضع هذه الاحصاءات كانت هي الفائزة. ولا يمكن الحصول على الاحصاءات المستندة الى الارقام الصحيحة الا ببذل تلك المساعي. ان ما قصدناه في هذه المقدمة هو ان نبين ما يلي : بما ان المعلومات التي استندنا اليها في كلامنا عن الاحوال الزراعية والتجارية والصناعية في اللواء لم تكن مبنية على اساسات الاحصاءات الثابتة فلا نتجاوز نبذتنا هذه حدود ما لدينا من تلك المعلومات

الزراعة

(الاقليم) : ان قسم السواحل من جبل لبنان هو من المنطقة المعتدلة الحارّة فاعظم درجة الحرارة فيهِ ٢٥ درجة من الميزان المئويّ والادنى ١٠ تحت الصفر وحيث انَّ درجة الحرارة في المواقع الجبلية تتراوح بين ٢٥ فوق الصفر و ١٠ تحت الصفر فهي بحكم المنطقة المعتدلة الباردة . ان فصل الشتاء عموماً يبتدئ في كانون الاول والامطار تكون غزيرة ومنتظمة الى شهر مارث. اما في سائر شهور السنة وعلى الخصوص في الصيف فلا يُعتبر قدرها. وان يكن ارتفاع معدَّل المطر السنوي ٩٠٠ ميلمتر ولكن حيث انهُ يقع في زمن قصير وبصورة شديدة فانهُ لا ينفذ الى اعماق التراب وبسبب ذلك فالسنون التي لا تمطر في شهر نيسان لا ترى بركة في مزروعاتها ولا سيما لانهُ لا يوجد اقنية لريّ الاراضي البعيدة فلا يمكن والحالة هذه ان تستفيد من المياه الجارية

(الاراضي والفلاحة) : تنقسم الاراضي باعتبار التصرف الى خمسة اقسام

١ الاراضي المملوكة : المتصرّفة بملكية صحيحة . والقسم الاعظم من اراضي الجبل من هذا النوع

٢ الاراضي الوقفية : العائدة الى الاديرة والكنائس والمدارس والجوامع

٣ الاراضي الاميرية : مثل سليخ و بستان وكرم وحرج . وهذه توجد في قضائي البترون والكورة

٤ الاراضي المشاع : العائدة الى القرى كالمراعي والاحراج لاجل الاحتطاب

٥ الاراضي الموات : العائدة الى البلديات والتي هي غير صالحة للزراعة كالاراضي الصالحة للاحراج والصخرية والاراضي البور

ان عموم الاراضي باعتبار استعمالها تتوزع على الصورة الآتية بوجه التقريب :

	كيلو متر مربع					
	يكون	ميري	خصوصي	وقف	مشاع	بلدية
الاراضي المزروعة	٣٠٠	٩٠	١٣٠	٦٠	٢٠	٠
الاشجار المثمرة والتوت	٥٠٠	٣٠	٤٠٠	٧٠	٠	٠
احراج الصنوبر	٧٠٠	٠	٥٥٠	٩٠	٦٠	٠
احراج الارز والسنديان وغيرها	٦٠٠	٤٢٠	٦٠	٠	١٠٠	٢٠
الاراضي الخالية	١١٠٠	٠	٠	٠	٠	١١٠٠
المجموع	٣٢٠٠	٥٤٠	١١٤٠	٢٢٠	١٨٠	١١٢٠

وان صرفنا النظر عن اراضي السقي الواقعة في السواحل وجدنا ان اوسع اقسام الاراضي المزروعة كانت نُحتت من الصخور بالمعاول والمخولة منذ زمن الفينيقيين في اطراف الجبال ومنعطفاتها ودُعمت ببناء السدود . وحيث ان مثل هذه الاراضي هي ضيقة وذات قيمة فبنسبة ذلك يُزرع فيها ما يعطي غلة اوفر . اما اغلب الاحتياجات المحلية من الحبوب فتجلَب من الولايات المجاورة وبرّ الاناضول . فادخالات الحنطة تبلغ ٢١،٠٠٠،٠٠٠ كيلو والشعير وسائر الحبوب ٤٠،٠٠٠،٠٠٠ كيلو

ان انواع المزروعات التي يُعطى اهمية لزرعها ومقدار محصولاتها السنوية هي هذه :

كيلو	
٢،٥٠٠،٠٠٠	حنطة
١،٥٠٠،٠٠٠	شعير
١٢٠،٠٠٠	ذرة صفراء

كيلو	
١٣٠٫٠٠٠	كرسنة
٩٠٫٠٠٠	باقية
٨٠٫٠٠٠	عدس
٥٠٫٠٠٠	فول
٤٠٫٠٠٠	ترمس
١٣٠٫٠٠٠	فصوليا
١٫١٧٠٫٠٠٠	بطاطا
٨٥٫٠٠٠	تبغ (تونون)
١٤٠٫٠٠٠	انواع الخضر والاثمار البستانية

ليست جارية في لبنان زراعة النباتات الصناعية التي تقتضي نكش الارض وتنقيتها من الحشائش وتطهر التربة وتعطي غلة اوفر كالقطن والجم والقنّب وحشيشة الرامي والكتان وحشيشة عمر او حشيشة الدينار (Houblon) والشوندر لكن تقوم محلها الزراعة المتناوبة من التبغ والبطاطا. ونظراً لندرة السماد الحيواني وعدم استعمال المواد الكيموية المخصبة فانهم يتخذون الواسطة الوحيدة لتزيد القوة الإنباتية في التربة اصول النطس يعني اراحة الارض مدة سنة او سنتين

تجري فلاحة الارض بالسكة العادية وقد تستعمل نادراً السكة ذات الاذن. وعادة الكري او الحفريات العميقة اعني عمليات قلب التراب راساً على عقب غير جارية حتى في جنائن الفواكه التي تأسست حديثاً

والحاصل ان الاهالي نظراً لاعتقادهم القديم لم يقنعوا بعد بانهُ اذا زاد المصروف على التربة تكون غلتها مضاعفة وان لذلك تأثيراً كلياً على جودة المحصول. وعليهِ فانهُ يوجد احتياج عظيم لإحداث بساتين وجنائن تكون انموذجاً للاهالي وخصوصاً في هذه البلاد

ان اراضي لبنان ضيقة وغير قابلة لتعاطي الزراعة الكبرى لكنها موافقة جدًّا لغرس الاشجار المثمرة ومع ذلك فان هذه الشعبة الزراعية بقيت بعيدة عن الاهتمام والتكامل اللائقين بها

ان الاشجار التي حسب ما لحظنا تُزرع عادةً في لبنان هي هذه مع بيان محصولاتها السنويّة :

	السعة هكتار	الحاصلات السنوية كيلو	الايرادات السنوية غروش	الايراد السنوي في الدونم
توت	٣١٫٥٠٠	٢٫٠٠٠٫٠٠٠	٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠	١٩٠
زيتون	١٢٫٧٠٠	٧٫٦٨٠٫٠٠٠	٤٩٫٩٢٠٫٠٠٠	٤٢٦

	السعة	الحاصلات السنوية	الايرادات السنوية	الايراد السنوي في الدونم
	هكتار	كيلو	غروش	
ليمون بردقان موز قصب السكر	٤٥٠	١٫١٧٠٫٠٠٠	٢٫٣٤٠٫٠٠٠	٥٢٠
تين	٥٥٠	٨٧٫٧٥٠	٨٨٠٫٠٠٠	١٦٠
كرم	٢٫٣٠٠	٨٫٢٨٠٫٠٠٠	٦٫٢١٠٫٠٠٠	٢٧٠
خرنوب	٢٫١٠٠	١٢٫٦٠٠٫٠٠٠	٣٫١٥٠٫٠٠٠	١٥٠
تفاح · اجاص	٤٠٠	٥٠٠٫٠٠٠	٨٠٠٫٠٠٠	٢٠٠
يكون	٥٠٫٠٠٠	٣٢٫٣١٧٫٧٥٠	١٢٫٣٣٠٫٠٠٠	

فبينما نرى ان الذي ربحهُ اكثر عن كل دونم هو الزيتون والليمون والبردقان والموز وامثالها ثم الكرم كانت مساحة اغراس التوت اوسع · فبناء عليهِ من الطبيعي ان نتساءل لماذا هذا الميل العظيم لغرس التوت وامثاله ؟

فنجيب ان ذلك ناتج عن سفر ألوف من الرجال اللبنانيين وتركهم وطنهم الى امريكا التي رأوها اربح تجارة وبقاء النساء اللواتي فضلن صناعتي القز والدبس المختصتين غالبًا بهن لقلة كلفة التوت والخرنوب بالنسبة الى غيرها من الاشجار

(التوت) : يمكن ان نقول ان التوت الذي بُذلت الاهمية في تكثيره منذ قديم الزمان كاد يكون المنبع الوحيد لثروة اللبنانيين ولذلك فقد تقدمت كثيراً في الجبل صناعتا التوت والحرير بسبب قلة الاراضي وازدحام الاهالي وجهلهم زراعة او صناعة اخرى · وحيث ان واسطة المعيشة هذه لم تكن كافية للنفوس التي تفوق بكثير سعة الاراضي وخصوصًا ان ربحها مقرون بسعد الطالع فمنذ ١٥ — ٢٠ سنة ابتدأت المهاجرة الى امريكا هربًا من ضيق المعيشة وبذلك خفَّت تلك الضيقة ولكن كما هو موضح اعلاه بقي التوت بيد النساء ولم تخدم الاشجار الخدمة اللازمة مثل تبديل المُسن منها واجراء الحفريات اعني الكري والتسميد وبالنظر لقرب الاشجار بعضها من بعض « بينما يلزم ان يكون بين الشجرة والاخرى مسافة لا تقل عن ٣ امتار فقد انزلت الى ١٫٥ » فالخشونة وقلة الغذاء وزيادة وجود الماء الحاصل في الورق سببت امراض الدود وخصوصًا مرض « الذبلان » حتى كادت الخسارة كل سنة تثقل ظهر المربين وبالطبع فان عدم وجود الغذاء وقلة الخدمة اللازمة اثرت تاثيراً سيئًا في محصول الشرانق وقد قلَّ لدرجة ان علبة البزر اصبحت لا تعطي الآن ١٥ — ٢٠ كيلو

(الزيتون) : ان الزيتون بمقتضى المبدإ « النعمة مقابل الكلفة » يكون محصوله اعظم ايراد للارض في كل مملكة · اما في لبنان اذ لم تُحسَّن خدمتهُ ولم يسعَ لانتقاء اجناسهِ الجيدة فمحصولاته ليست بالدرجة المطلوبة · والاجناس التي سعوا بتكثيرها من القديم هي ما تسمى : مصري · رامي · صبيغ · ابيض · فالمصري بوجه العموم

محصور لاستخراج الزيت. والباقي غالباً لاجل رصّه « اسود » وتسبيجه « اخضر ». توجد اشجار الزيتون في اكثر انحاء لبنان اعتباراً من سطح البحر الى ارتفاع ٦٠٠ متر. واهم محلات وجوده هي الشويفات والكورة وشحيم

الزيتون المحصور للاكل حبه صغير بصورة عمومية حتى كاد يقال عنه انه برّي. فحبه صغير ونواته كبيرة وقشره ثخين ولحمه قاس وخشبي. وحيث انه لا يصير اعتناء بتمليحه وكبسه فغالباً يكون طعمه مرًّا حادًّا

امّا زيت الزيتون فبالنسبة الى حبه يعدّ نوعاً ما نفيساً ويعصر الزيت بادوات أوليّة ولا يوجد معاصر حديثة

يصادف في اشجار الزيتون مرض « الذباب » و « المنّ الابيض » واسمه ايضاً « الكرمس » (Icerya Purchasi) ويتولد عن هذا الداء المسمّى « اسود العسلي » « قره باالق » (Fumagine)

(بساتين الليمون والبرتقال) في قطع ارض السقي المستوية التي في السواحل تشاهد عدا الخضر بساتين الليمون والبردقان وانواعه. فهذه الاجناس تتنوّع اشكالها كثيراً من جهة الاقليم والتربة ومع كونها تجد الشروط المناسبة لطباعها ليس ثمرها ذا مائيّة ولذة بنسبة جنسه واقليمه والسبب في ذلك اهمال عملية الكرب الاساسية عند استحضار الاراضي لاجل اتخاذها مشجرة وبسبب غرس الاشجار قريباً من بعضها ولعدم اجراء عمليات التكش والتعشيب والتسميد الذي له اشدّ علاقة بهذا الثمر المعدود من الفواكه المغذية

الاجناس الموجودة هي كما يأتي:

شموطي : قشره رقيق كبير بيضي ومائي

يافي : ثخين القشر كبير بيضي ومائيته قليلة

بزري : مائيته كثيرة ولذيذ. يقال له بزري إما لكون بزره كثيراً او لاحتمال انه ينتج من البزر بدون تطعيم

خمهلي : مقبول للغاية بمائيته ورائحته. يقال له « خمه لي » لانهُ يوجد باسفل ليمونه نتوءة مستديرة بقدر المليك

مغربيّ : النوع الذي يسمونهُ بورتقالاً حلواً. هو مائي وليس فيه حموضة مطلقاً

ماوردي : النوع الذي لون لبّهِ احمر كالورد

(الموز) : الموز الذي ينتج هنا هو لذيذ وذو رائحة نوعاً ما لرطوبة الاقليم ومع انه يحبّ الاراضي الرملية فلا يزرعونهُ الا في الساحل الواقع بين جونية وصيداء حيث الغرين (وهو الطين يجرفهُ السيل او الاراضي الرسوبيّة alluvion)

وهذه هي اجناسه الموجودة :

بلدي : احسن جنس مقبول هو ثخين وقصير ولذيذ وذو رائحة عند نضجه ولونهُ اصفر مائل للاخضرار

مصري : شكله رفيع ومقوَّس ولذيذ وقلما تكون له رائحة وعند نضجهِ يصير لونه اخضر ملوَّن
هندي : ثمره كبير وعند نضجهِ يصير لونه كالكهرباء اصفر جميل المنظر ولكن لا لذَّة لهُ ولا رائحة فليس له اعتبار

(النخل) : ان زراعته لم تكن بدرجة واسعة ومحصوله يصرف ويستهلك في محله وله انواع كثيرة منها المكي والاسكندراني والبلدي والسوداني · يحسُن زرع النخل وتكثيره لقلة نفقاته ولان ثمره يباع باسعار جيدة

(الكرم) : لقد اتسعت زراعتهُ برغبة بين الاشجار المثمرة · والكروم موجودة في اكثر محلات اللواء ولكن التي في الاراضي الواقعة بين زحلة وبحمدون وفي قضاء جزين وفي جهات شمالي غربي قضاء الشوف وفي الاقسام الساحلية من قضاء الكورة هي بغاية الاهمية

يجري زرع الكروم وتشحيلها في هذه الجهات بصورة خاصّة مثلاً في مزرعة كسارا العائدة الى الرهبان الفرنسيس والواقعة في قضاء زحلة فهم يزرعونها حسب الاصول الجارية في اوربا وفي جميع الممالك المحروسة فيجعلون ما بين الكعب والآخر مسافة مترين ويشحلونه بشكل كاس · اما اصحاب الكروم المجاورة لهذه المزرعة فبدلاً من ان يتخذوا ذلك انموذجاً لم يريدوا ان يبدلوا الطريقة التي يجرون عليها · يزرع الوطنيون كعوب العريش بمسافة ٣—٤ امتار وبدلاً من ان يجعلوها قائمة يشحلونها بنوع ان تمتد اغصانها على الارض ودفعاً لوصول عناقيد العنب الى الارض يرفعون الاغصان باوتاد علوها مقدار نصف متر · ولقد تبين لي من التدقيقات التي أُجريتها بهذا الخصوص ان العريش المشحل حسب الاصول المحلية يعطي من ١٢ — ١٥ اقة والذي هو على الاصول الاوربية لا يعطي زيادة عن ٤ — ٥ اقات ولكن البلدي الذي يعطي كمية اكثر هو غير نفيس · وعدا عن ذلك فان اجرينا الحساب على كعوب الدوالي الموجودة باعتبار الدونم يظهر ان لا فرق في مقدار المحصول · ومن خواص عموم النباتات ان الاغصان الافقية تُثمر بكمية اوفر وهذا امرٌ طبيعي ولكن حيث ان النسغ يجري ببطء فيكون جاسياً وقليل الماء

ان اصحاب الكروم الوطنيين يعللون فائدة الغرس على طريقتهم كما يأتي :

اولاً : وفرة غلته · ثانياً : متانتهُ لاجل مقاومة الامراض · ثالثاً : سهولة فلاحة الارض السنوية « فانهم اثناء الفلاحة يقبضون على ساق الكرمة ويحوِّلونها ويضعونها الى الجانب الآخر من المحل الذي تمرُّ فيهِ السكة على زاوية ١٨٠ درجة وبعد ان تمر السكة يعيدون الكرمة الى موضعها الاوَّل » · رابعاً سلامة العناقيد لأنها بسبب قربها من الارض تكون مصونة من اشعة الشمس ومحمية من الارياح · هذه هي مدعياتهم ورغماً عن بطلانها فانهم لا يغيرون عوائد طريقة زراعتهم

انواع العريش الموجودة هي هذه :

زيني : اصفر قشره ثخين وناشف
مقـاس : حبه صغير ابيض بلون الحنَّاء مائي وحلو
قرقاش : بشكل البلح الصغير وجرمهِ لونه محمرّ بلا ماء وبزره قليل

بيض الحمام : حبّه كبير للغاية احمر ومائي
قاصوفي : جرم حبهِ متوسط لونه ابيض مائل للخضرة
مرواحي : كبر حبهِ متوسط اسود بنفسجي فاتح
تفافيجي : حبهُ كبير مدوَّر ذو رائحة وعليه بقع كبقع التفاح
خدّ البنت : حبه مدوَّر كبير ابيض وحلو

(التين) : ان أغراس التين قد نالت اهمية الزيتون والكروم وقد انتشرت تجارة التين اليابس في كل مكان ولا يعتني اهل لبنان بتربية اليابس كولاية آيدين «ازمير» وحيث انهم يضعونهُ في زنابيل عادية محافظين على شكلهِ الطبيعي وغير مهتمين بنظافته فلا يرغب اليهِ اهل الممالك الاجنبية مع ان التين هنا بزره صغير وطعمه لذيذ ولو ربّوه مثل تين ازمير فلا بدّ ان يكون محصوله اعلى وتجارته منتشرة اكثر

انواع التين الموجودة هي هذه :

بياضي : قشره سميك ولكن بزره صغير للغاية مقبول جدًّا
مرداسي : ابيض مخضرّ لحمهُ احمر و بزره كبير يُستهلك اخضر
بقراتي : لونه اخضر او ضارب الى الزرقة حبته كبيرة قشره رقيق قليل اللذة
جمالي : لونه اخضر و يشبه البياضي
عصفوري : حبه صغير وحلاوته كثيرة للغاية وهو احسن الاجناس للتيبيس
عسلي : جرم حبهِ متوسط وعلى فمه مثل العسل
شتوي : لحمهُ احمر كالمرداسي لذيذ جدًّا ينضج في أول فصل الشتاء
عبيدي : لونه اسود ينبت غالباً في الجرود

وعدا هذه الانواع يوجد جنس يسمّى جميزاً (Sycomore) فهو لا ييبّس ولكنهُ يؤكل اخضر وليس له بزر وجرمه بقدر مشمولا (nèfle)

ان جبل لبنان يحتوي على اقاليم مختلفة فلامتداد سواحله ولتعدُّد طرق العربات فيه تسهل وتتسع فيهِ وسائط النقل فبدلاً من ان يرغب اهاليه في زراعة الاشجار المثمرة ويقدّروها حق قدرها نراهم يهملونها اهمالاً ذميماً . ان الفواكه والخضر الصيفية متأخرة جداً حتى ان الاغنياء الذين يجيئون من البلاد الاجنبية لقضاء فصل الصيف يلتزمون بجلب الفواكه والخضر من غير محلات . ومن ثمَّ يقتضي اولاً اصلاح جنس الاشجار المثمرة الموجودة ثم جلب وزرع الاجناس الآتية وهي «الكرز (cerise) والويشنه (griotte) والبندق والكستنة ومشمولا (néflier) . والخوخ المسمى جان اريكي (جنرك) وتربه اريكي . والاجاص المسمى انكوري وآنجه ومصطفى بك وبوزطغان . والتفاح المسمى فريك كموشخانه . والعنب المسمى جاوش وبايتجاق ورزاقي وچكر دكسز (كشمش) ومسكت . وانواع متنوعة غيرها . فاذا تمَّ ذلك حصل دخل كبير وتزداد الثروة المحلية

المواشي

(الخيل) : لا يوجد فرع او نسل خاص بجبل لبنان بين الحيوانات الاهلية . فالخيل المنسوبة الى الجنس الاسيوي الاصيلة والمختلطة الدم بالجنس العربي وان كانت تربّى فيه ولكن نظراً لقلة المرعى والمروج الطبيعية فانها غير كافية للاحتياجات المحلية ولذلك يجلب سنوياً مقدار غير قليل من الخيل من جهات حلب وبغداد . ولا تتخذ الخيل للاشغال الزراعية بل للسرج والجر الخفيف ويفضلون الحمر والبغال لجر الاثقال والحمل

(الحمير) : اجناس الحمير الموجودة قبرسية وقلما تكون بغدادية ومصرية والبلدية ايضاً ليست بقليلة . اما البغال فيجلبونها في الغالب من حلب واكثر ما يستعمله اهل الجبل لركوبهم واشغالهم الحمير والبغال

(البقر) : اجناس البقر التي تتخذ للفلاحة والقصابة هي من جنس بقر الاناضولي التي قطعها صغيرة والبقر الحلابة هي شامية او حلبية . وعدا ذلك فانه يوجد في النواحي القريبة من السواحل في لبنان صنف طويل الجسم هيئة . قليل الارتفاع يبلغ علوه متراً وخمس سنتيمترات قصير القرون كمية حليبه وسط قوي على الفلاحة للغاية . والظنون انه نتج عن ازدواج البقر الهولاندية التي كان جلبها بعض الاغنياء مع العجول الشامية

(الغنم) : اجناس الغنم القصابة هي الغنم البيضاء والغنم العربية . والاجناس القابلة للرفة بالايدي هي المنسوبة لارضروم (المور) ولبغداد (العويس) . واصول التسمين هي من الغرابة بمكان يهتم به النساء والاولاد . فالواحد يمسك ورق التوت الذي يغذى به الخاروف والثاني يلقمه به ويزجان الاكل في فمه جبراً مناوبة ليلاً ونهاراً لا يأخذهما في ذلك ملل فاذا شبع اوردوه الماء تسهيلاً للهضم فيسقونه ويغسلونه ويدلكونه اي يفركونه بايديهم وبعد ذلك يعودون الى الخطة الاولى اي الى تلقيمه الجبري وبعد ان يداوموا على هذا المنوال مدة شهرين يسمن ويدهن ويبلغ الحيوان الى درجة مفرطة من السمن والدهن فيسوقونه للبيع او يذبحونه

ان الحيوانات التي تسمّن بهذه الطريقة لا يندران يبلغ وزنها من ١٠٠ الى ١٢٠ كيلو في جبل لبنان سنوياً ويبلغ عدد ما يعلف ١٤،٥٠٠ خاروف وتبلغ حاصلات الصوف الى ٢٠،٠٠٠ كيلو لكنها ليست نفيسة بالدرجة المطلوبة

(المعزى) : اكثر الحيوانات الاهلية رواجاً هي المعزى لانها بالنسبة الى الغنم والبقر فنوعة والنسب . والتي ترى قطعانها عند العشائر هي المعزى السوداء الاناضولية والصفراء والبيضاء اللون او الكردية . ان المعزى المقتناة في السواحل لاجل الحليب هي المعزى المنسوبة الى السودان والنوبة وتسمى « مالطية » وهنا يسمونها شامية لحمها مقبول نوعاً ما واذا غذيت كما يجب فانها تعطي في اليوم خمسة او ستة كيلو من الحليب . ويربّون في لبنان سنوياً ١١٣،٥٠٠ رأس معزى أما محصول الشعر البالغ على التخمين ٢٠٠،٠٠٠ كيلو يصرف في الداخل لعمل الخيم والأعدال

ومن الممكن توطين معزى آنقره المسماة « تفتيك » وغنم اسبانيا المسماة مرعز ـــــ « مرينوس » ذات الصوف الناعم والجعدي ويمكن تربيتها في جرود لبنان وخصوصاً في ناحية الهرمل وان رغبت الاهالي باستجلابها فان لبنان ينال ثروة كبيرة من اقتنائها ويمكنهم جلبها من ديار بكر وماردين حيث توجد بكثرة

الاحراج

تنقسم الاحراج في لبنان الى صنفين طبيعية ووضعيّة فالاحراج الطبيعية اكثرها ميريـــة وقسم جزئي منها خصوصي . والاحراج الطبيعية بوجه العموم عبارة عن شجر الملول . والوضعية هي احراج الصنوبر والبرز التي زرعت بزراً

(**الاحراج الاميرية**) : من اهم احراج الميريـــة حرج ناحية الهرمل موقعه في شرقي شمالي اللواء وتبلغ مساحته تقريباً ٤٢,٠٠٠ هكتار وهذا الحرج باعتبار نوع الشجر ينقسم الى قسمين : فالاولـــ في الاودية والاراضي الواطية يشتمل على شُجيرات السنديان والملول . والثاني ـــفي الجرود والتلال العالية حيث اشجار السرو واللزاب والعرعر ممتزجة بقليل من اشجار الارز . اما الملول فلم ينبت من البزر بل كله فروخ طبيعية ناشئة بحالة محطب غير منتظم . فهذه الاحراج التي لم تضبط من قديم الزمان كانت معرّضة للقطع غير النظامي وكان يرعى فيها ٢٠٠,٠٠٠ رأس معزى كانت تغتذي بأغصان الملول وكان من نتيجة فاس الحطابة والفحامة المتلفة واجتياز الرعيان في الصيف والشتاء ان فقدت شكلها فما كان منها بطول ٢—٣ امتار و بدورة ١٠٠—٢٠٠ سنتيمتر تكوّرت واصبحت عبارة عن اجسام غير منتظمة وحيث ان هذه الاحراج لم تكن صالحة لعمل الاخشاب ولا تنفع اسوى الفحم والحطب فان الشام وحمص تأخذان احتياجهما من الوقود من هذه الاحراج . وفي الثلاث السنين الاخيرة نظراً لاحاجات الحرب قد قُطع منهـا ما يقارب الخمسين الف طن حطب للاردو الهمايوني الرابع ولادارة السكة الحديدية . وهذا المقدار هو بنسبة ستين في المائة من احراج لبنان العمومية وعليه وان اعتبرنا قطع هذه الكميّة خسارة عظيمة الاَّ انَّ هذه الاحراج التي نشأت بصورة غير منتظمة قد أفرخت جذورها المقطوعة بفضل تشكيلات الاحراج الاخيرة التي وُضعت بالعمل منذ سنتين ولحسن محافظة الحرَّاس عليها فلا تمرّ بضع سنوات حتى تصير في حالة الاحراج المنتظمة

(**اللزاب**) انه بسبب ما قُطع من الاشجار الراتينجية مدّة سنين عديدة قبل التشكيلات صارت احراجها على اسوإ حال واغراسها متفرقة جدًّا ولحسن الحظ بقيت الاشجار غير الصمغية مصونة نظراً لصغرها وهذه اذا احتفظ عليها فالامل ان لا تمرّ مدة طويلة حتى يتكاثر الحرج بالتبزير الطبيعي بواسطة البزور الساقطة منها وعليه فقد مُنع عمل القطران من الاشجار الخضراء وسمح باستحضاره من جذور وكعوب الاشجار المقطوعة بدرجة قليلة . يوجد في قضاء كسروان حرج سنديان وملول ميري باسم شمسطار فهذا الحرج كانت العسكرية قطعتهُ بكامله قبل سنتين وحيث انهُ لا يحتمل القطع فيما بعد فانهُ يعتنى الآن بالمحافظة على فروعه

(**الاحراج العائدة للبلديات**) . موقع هذه الاحراج داخل اللواء في جهات اهدن وبشري والباروك

وجزّين وفي محلات اخرى ولا تتجاوز مساحتها السطحية ٢٠،٠٠٠ هكتار وتحتوي على انواع شجر السنديان وقليل من الصنوبر وبعض اشجار لا قيمة لها. ويوجد عدا احراج البلديات غابات مختصة بالقرى والاهالي ففي كل قرية حرج على جانب من الاهمية من الصنوبر والصفصاف وغير ذلك مما زُرع بزراً

كانت ادارة هذه الاحراج حتى الآن حسنة ولكن في السنين الاخيرة نظراً للاحتياج الفائق العادة قد أُجبر الاهلون على قطعها دون التفات الى ما كان يوافق عمله بدرجة محتملة فأحراج الصنوبر هذه كانت زُرعت قبل ستين سنة بهمة وتشويق رستم باشا متصرف الجبل الاسبق لاجل اجتناء ثمرها. وقد اجتهد الاهالي بتعميمها وتكثيرها دون ان يدركوا عظم وارداتها المستفادة من ثمرها وخشبها. ان الصنوبر بالنسبة الى البرز هو بدرجة الربع ويعطي غلة سنوية لاصحابه تقارب الخمسة آلاف ليرة. وقد افادتنا الكتب التاريخية ان جبال لبنان في زمان الرومانيين كانت مغطاة بكاملها بالاحراج القطرانية ووجدت عدّة كتابات منقوشة على الصخور في جبل لبنان تنهي عن قطع اربعة اصناف من الاشجار. فهذه الاحراج التي لم يُقدّرها حق قدرها الامراء اللبنانيون وخصوصاً المير بشير شهاب كانت عرضة لجورهم وجهلهم فاندثرت وامحت حتى انهُ يروى عن احراج بشرّي واهدن والبارهك وامثالها ان ثورة اهالي القرى المجاورة على المير المومى اليه كانت داعياً لصيانتها وتخليصها منهُ

واعلم ان الاحراج مفيدة للبنانيين من ثلاثة وجوه :

١ — جودة الهواء وانتظام الامطار ونفوذها بصورة مفيدة الى اعماق التراب والمحافظة على التربة لئلاَّ تجرفها السيول

٢ — الاراضي التي لا يمكن الاستفادة منها الشيء فالأولى ان تنشأ فيها احراج بمصروف قليل فتعطي ايراداً عظيماً

٣ — عدا عن ان تكثير الاحراج يزيد زينة الجبل وحسنهُ ومناظره البهجة وبذلك يكون ايضاً واسطة لرغبة المصطافين الذين يأتون من البلاد الاجنبية كمصر واوربا ويصرفون الوف الليرات. وعلى خلاف ذلك اذا جرّد لبنان من احراجه فلا تمر مدة طويلة حتى يقوم عوضاً عن التراب في جروده وتلاله صخور جرداء ويظهر فيه العقم بدلاً من البركة والقوة النامية وقصارى الكلام يحلّ بالجبل بدون شك ما حلّ بجبال البيرينه الفرنساوية التي قُطعت غاباتها فحلّ بها الدمار

ان رسوم ما يُنقل من الفحم والحطب من احراج جبل لبنان ويباع في الولايات المجاورة كبيروت وطرابلس الشام وصيداء ودمشق كان يستوفيها مأمورو جباية احراج الولاية ولكن بعد التشكيلات صارت تؤخذ في اللواء وحيث ان المتصرف السابق علي منيف بك لم يستنسب اخذ الرسوم عن المواد الحرجية التي تستهلك في الداخل كسائر الولايات فقد حصرت هذه الرسوم بالمنقولات الى خارج اللواء

يبلغ مدخول رسوم الاحراج السنوي في جبل لبنان ٤٨٠،٠٠٠ قرش يعطى منها للمعاشات ١٨٣،٦٠٠ قرش

المعادن

لقد وجدوا في لبنان معادن النحاس والزئبق والكبريت والسنباذج (زمباره Eémeri) والفحم الحجري ليكنيت (lignite) فهذه المعادن وان لم يجرِ الحفر والبحث عنها بنوع نظامي ليست بالحقيقة ذات اهمية ولا يستفاد منها ثروة كافية لتعدينها ولذلك أُهملت . ولقد اجريت بعض الحفريات في معادن الفحم الحجري بجوار قرى بزبدين ورأس المتن وارصون وقرنايل ومرجليا ولكن حيث وُجد ان هذا الفحم يحتوي على مقدار غير قليل من الكبريت وان عروقهُ التي ظهرت هي ضيّقة ومخلوطة فقد تُركت . ما عدا معدن مرجليا الذي وُجد موافقاً فتستثمره اليوم ادارة تشغيل المعادن لتقدّم محروقات للسكة الحديدية ولقد استخرجب الادارة المذكورة بظرف سنة ١٣٣٣ ما يقارب ١٣٠٠ طنّ فحم

ان متوسط قوة الحرارة في معادن الفحم هو ٥٠٠٠ — ٥٥٠٠ ويحتوي على ٢٥ — ٣٠ في المائة من الرماد ومقداراً من الكبريت . ثم ان ثمن طنّ الفحم الاوروبي هو ٢٢٠ قرشاً وقوة حرارته ٧٥٠٠ فيكون ثمن الواحد من الحرارة $\frac{٢٢٠}{٧٥٠٠}$ = ٠،٠٣ . مع ان ثمن طنّ الفحم البلدي ١١٥ غرش وقوة حرارته ٥٠٠٠ فيكون ثمن الواحد من حرارته $\frac{١١٥}{٥٠٠٠}$ = ٠،٠٢٣ قرش ومن هنا يظهر انهُ لو أُدخلت التعديلات والاصلاحات اللازمة في كيفية استخراج الفحم ونقله لكان استعمال الفحم البلدي ارخص من الفحم الأوروبي بكثير

وما عدا هذا الفحم فانهُ يوجد في قرى برتي وكفر سلوان ومرجبا معادن حديد من نوع الپيريت والليمونيت وحيث ان هذه المعادن غير غنية فقد اهملت . يحتوي معدن الليمونيت في برتي على ٨٢ في المائة من الحديد فلو تقدمت الحفريات وظهرت عروق موافقة فمن المأمول امكان تشغيلها

(معدن النحاس) . ان معدن النحاس (cuprite) المكشوف في جوار قرية اهمج من قضاء كسروان قد تُرك نظراً لقلته

(مقالع الحجارة) . بما ان اراضي لبنان هي ومن اراضي الطور الثالث الطباشيري فالحجارة الكلسية (فالكر calcaire) توجد في جميع جهات اللواء وهي تُنقل الى ولايتي بيروت وسورية وتقدّر رسومها بـ ٣٠٠ ليرة سنوياً

ان الحجارة اذا استعملت الادوات الميكانيكية لقطعها في المقالع وتهيئتها ونقلها يمكنها ان تؤدّي منافع كبيرة للجبل لانّ لبنان غنيّ بانواع الحجارة وخصوصاً الحجر الكلسي

صخوره هي كلسية وغره (grès) وليتوغرافيا وحوارى وشيست وجبس وامثالها ورخام وسماقي فانها كثيرة في شمالي لبنان واكثر ما يوجد منها الاجناس المسمّاة « شحم لحم » ويوجد في قضاء البترون حجارة كلسية فيها مستحجرات ملوّنة هي في الحقيقة معتبرة للغاية عند اصحاب الذوق

الصنائع

من اقوى الوسائط لتحسين حالة لبنان الاقتصادية الاهتمام باصلاح وانشاء الصناعات المختلفة اكثر من

التجارة والزراعة . لان موقع البلاد الجغرافي يساعد على ذلك اذ ان سواحل الجبل واسعة والنفوس فيه مزدحمة بكثرة . ومن ثم يجد الاهالي طريقاً امينة لتصدير محصولاتهم ومصنوعاتهم في كل زمان . اما الصنائع الموجودة في الحال الحاضر فهي هذه :

حل الحرير . حياكة المنسوجات الحريرية . شغل الخروجة . الدباغة . استقطار الكحول . فهذه الصنائع برمتها عبارة عن مصانع يدوية لا تستحق اسم المعامل

(مصانع الحرير) . تتألف هذه المصانع إما من دواليب بسيطة وتسمى « الدواليب العربية » او من ادوات أدخل على شكلها بعض الاصلاح

فهذه المصانع التي يطلق عليها اسم « الكراخين » يبلغ عددها ١٧٢ ومصنوعاتها لا تقارب المصنوعات الاوربية . فالدواليب العربية التي هي بشكل ابتدائي يُحلُّ عليها خيوط ثخينة وهو « الحرير الاسكندراني » يتكوّن من ١٠ خيوط الى ١٥ خيطاً حريرياً ويستعمل في الداخل لعمل المنسوجات الخشنة . والحرير الذي يُحلُّ بعيار $\frac{٩}{١١}$ و $\frac{١١}{١٣}$ في المعامل التي احرزت بعض الاصلاح يحصر منهُ قسم جزئي للاشغال الداخلية والقسم الاعظم منهُ يرسل ضمن بالات الى اوربا فصادرات الحرير السنوية تقارب ٤٠٠٠ بالة

(الحياكة) : الحياكة في قضاء كسروان منتشرة بعض الانتشار وينسجون بالادوات اليدوية « صدافروزا » واقمشة حريرية وآلاجه . وما عدا ذلك فان الاشغال اليدوية مثل التطريز وشغل الاويا وبردايات التول وانواع الدانتلا والاغطية للطاولات وغارنيتور (garniture) تباع برواج عظيم في اوربا واميركا وبهذه الواسطة لا تقلُّ ارباح هذه الاشغال عن ١٥ الف ليرة سنوياً

(الصابون والعرق) : ان عمل الصابون وتقطير العرق يجريان على الطرز القديم ولهما مع ذلك بعض الجودة وقد اشتهر في السوق « صابون الشويفات » و « عرق زحلة والزوق »

(الدباغة) : يظهر ان صناعة الدباغة تقدمت اكثر من سواها فالجلد والنعل مع عدم متانتهما يشبهان نوعاً ما يستحضر منهما من اوربا

التجارة والاحوال الاقتصادية

يحسن بلبنان ان يكون في عداد البلاد الغنية لكنهُ بسبب تأخر محصولاته الزراعية والصناعية التي تولّد الحركة التجارية قد بقي بمنزلة البلاد الفقيرة والمحرومة حتى ان المهاجرة اللبنانية التي ابتدأت من ربع عصر الى البلاد الاميركية زرافات زرافات لاجل التفتيش عن المعيشة قد بلغت ١٢٠٠٠٠ نفس وهذا ما يقارب ثلث سكان الجبل

اذا اعتبرنا انهُ بواسطة هذه المهاجرة التي اضطرَّ اليها اللبنانيون بدافع الاحتياج يُدخِلون الى بلادهم ما لا يتجاوز مليوناً من الليرات على الكثير فيظهر للعيان ان قليلاً من التكامل والترقي في الزراعة والصناعة الداخلية بعوّض اضعاف هذا المبلغ

ادخالات	
حنطة	٢٠،٠٠٠،٠٠٠
شعير وسائر الحبوب	٤٥،٠٠٠،٠٠٠
خيل. بغال. حمير. بقر	٢،٥٠٠،٠٠٠
حيوانات قصابية	٣،٥٠٠،٠٠٠
كراستة بنية	٥،٠٠٠،٠٠٠
سمن. سكر. قهوة. وغيره	٨،٠٠٠،٠٠٠
جلود غير مدبوغة	٥،٠٠٠،٠٠٠
خيطان قطن	٩٠٠،٠٠٠
صوف وشعر	٤٠٠،٠٠٠
امتعة اوروبية	٦٥،٠٠٠،٠٠٠
يكون	١٥٥،٣٠٠،٠٠٠

اخراجات	
شرانق حرير	٤٠،٠٠٠،٠٠٠
حرير	٢٥،٠٠٠،٠٠٠
اجراس ومعادن ومقالع الحجارة	٥،٥٠٠،٠٠٠
صابون	١،٥٠٠،٠٠٠
جلود	٢،٧٠٠،٠٠٠
منسوجات وشغل يد	١،٥٠٠،٠٠٠
صنعة الشعر وغيرها	١،٠٠٠،٠٠٠
تبغ وسواكير	٢،١٠٠،٠٠٠
بطاطا	٣٠٠،٠٠٠
مشروبات كحولية	٥،٢٠٠،٠٠٠
زيت زيتون	١٢،٥٠٠،٠٠٠
حاصلات الاشجار المثمرة	٣،٥٠٠،٠٠٠
عنب وزبيب	٤،٠٠٠،٠٠٠
الدراهم التي يتركها المصطافون	١،٥٠٠،٠٠٠
الدراهم التي يرسلها اللبنانيون من اميريقا	٩٠،٠٠٠،٠٠٠
يكون	١٩٦،٣٠٠،٠٠٠

فيتضح من مطالعة جدول الادخالات والاخراجات الذي اثبتناه هنا انهُ لو ضُمَّ الى كل قلم من المواد الزراعية والصناعية المخرجة سبعة ملايين قرش تحصَّل بالترقي يفهم حالاً ان التسعين مليون قرش التي يتكبد اللبنانيون السفر الطويل الى اميرقا لتحصيلها يمكنهم ربحها في بلادهم بكل راحة . ولبيان اهمية المبلغ الذي يمكن ربحهُ بالترقي وضمُّهُ الى محصولات الجبل من ترقي الزراعة والصناعة نأخذ مثلاً محصول الشرانق : من المعلوم ان كل علبة بزر تعطي من ١٥ الى ٣٠ كيلو شرانق مع انه يسهل ابلاغ ذلك من ٤٠ الى ٥٠ كيلو باصلاح خلل الطرائق المحلية في ما يتعلق بالتبزير وتربية دود الحرير . بناء عليه اذا ارتقت محاصيل الشرانق من مليونين كيلو الى ٤ — ٥ ملايين او بدلاً من اخراج القسم الاعظم الى اوربا اذا أُدخل بعض الاصلاح الى المصانع المحلية ولم يُترك سبيل لاخراج الشرانق وخصوصاً اذا فتحت معامل لاجل نسج الحرير وتلوينه كانت المحصولات السنوية ٢٠٠ مليون . عوضاً عن ان تكون ٦٥ مليوناً وعليه فلا يعود الفقراء والعمال

يهجرون ديارهم · فباحياء الشعبات الزراعية مثل الاشجار المثمرة وتربية الزهور وبواكير الخضر والمكبسات وعمل الجبن وباعطاء الاهمية لصنعة الكحول والعطريات والحياكة والدباغة والسروجية والصابون والزيت تتبدل الحاجة والفقر بالرفاه والثروة · ان عدم حصول الترقي لحد الآن كان سببهُ الموانع السياسية وغيرها من الاسباب ومن ثم يجب ان نأمل بان القدرة والانتباه اللذين شوهدت مآثرها في الشعب وفي كل نقطة من المملكة عقيب إلغاء تلك الامتيازات الاجنبية المعهودة التي كانت علينا كابوساً جسيماً حتى السنين الاخيرة سوف يظهران بحرية ونشاط بعد عقد الصلح مع اعدائنا فيتم لنا الترقي والتكامل بطريق العلم والاجتهاد



نظرة

في

حالة جبل لبنان الاقتصادية

تمهيد

لبنان سلسلة جبال تبلغ تقريباً ١٢٥ كيلومتراً طولاً في ثلاثين عرضاً ويتحدر من قممها اربعة انهار لا ينقطع ماؤها وعدد كبير من الجداول التي تجف منها المياه مدة عشرة اشهر من السنة وتسيل جميعها وفقاً لمركز الجبل الطبيعي من الشرق الى الغرب في منعطف لبنان الغربي

تبلغ مساحة الجبل	٣٫٢٠٠	كيلومتر مربع تقريباً
ومساحة ارضه الزراعية الجيدة التربة	١٠٠	كيلومتر مربع تقريباً
وفيهِ من الارض المزروعة بالرغم عن ضعف تربتها	٢٠٠	كيلومتر مربع
ومن الغابات والاحراج	٥٠٠	كيلومتر تقريباً
ويبلغ عدد سكانه	٣٥٠٫٠٠٠	نفس .
وتعديل سكانه نسبة الى كامل مساحته هو	١١٠	تقريباً في الكيلومتر المربع
وتعديل سكانه نسبة الى ارضهِ المزروعة هو	٨٧٥	نفساً في الكيلومتر المربع

وتعديل السكان في الولايات المجاورة للبنان من ٨ الى ١٥ نفساً في الكيلومتر المربع

امّا واردات الجبل العادية فهي كما يأتي :

غروش	
٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	من الحاصلات الزراعية كالقمح والشعير والتين والخرنوب والليمون والزيت والعنب وسائر الخضر والبقول
٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	من دخل الفنادق والاصطياف
١٠٫٠٠٠٫٠٠٠	من صنع الكلس والصابون ودبغ الجلود ونسج الاقمشة والتخريم والصناعات الزراعية كالتبغ والخمر وسائر المشروبات والجبن والدبس
٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠	من موسم الشرانق
٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	من حلّ الشرانق وبقايا هذا الحلّ . غروش

١٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠	الاموال التي ترد من اميركا الى الجبل
٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠	« التي تخرج من الجبل الى اميركا
٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠	الباقي

٩٠٫٠٠٠٫٠٠٠

٢٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ يكون المجموع

فيصيب كل واحد من سكان الجبل دخلاً صافياً قدره ٦٢٨ غرشاً
لنبحث الآن بوجيز الكلام في الوسائل التي من شأنها زيادة مدخول الجبل وخصوصاً في مسألة الريّ لانها من أكبر العوامل لانهاض الزراعة في البلدان الحارة وقد قال (سولي Sully) : الزراعة هي الام التي ترضع الشعوب. ثم نتكلم عن الاعمال التي تنهض الجبل وتحسّن موقفهُ الاقتصادي وتدفع بهِ الى التقدّم والعمران كصناعة حلّ الحرير ومسألة الاصطياف. ونختم درسنا هذا بالكلام عن مميزات ما تسمّيه الاوربيّون « الفحم الابيض » وندعوهُ نحن « الفحم السيّال » لانهُ من أكبر موارد الثروة المكنونة في الجبل. ولا نخشى ان ننظر الى نجاح هذه الامور في المستقبل بملء الثقة والارتياح

الريّ

الريّ من اكبر العوامل لانهاض الزراعة

إن مَن اجتاز المسافة الممتدة على الشواطئ البحرية بين طرابلس وصيداء يعجب من التباين العظيم الذي يراه في مزروعاتها فحيث يكون الماء غزيراً تكون المزروعات خصبة بهجة المنظر بعكس الاراضي التي لا ماء لها مع انهُ يمكن ان تكون خصبة كتلك لان تربتها واحدة. فقيمة الارض المروية في الجبل عظيمة جدّاً حتى ان بعض الاماكن الكثيرة السكان في اوروبا لم تبلغ اثمان ارضها ما بلغت اليهِ بعض الاملاك في وطئ نهر الكلب وساحل بيروت والدامور فقد يبلغ ثمن الهكتار فيها احياناً ٢٠٠،٠٠٠ غرش وكثيراً ما تتصاعد قيمة الهكتار المزروع ليموناً الى ٣٠٠،٠٠٠ غرش. ان اهمية الريّ تعود الى الظروف الخصوصية الموجودة فيها سواحل لبنان التي تحميها سلسلة جباله المرتفعة من الرياح الشمالية الشرقية والرياح الشرقية والجنوبية الشرقية فضلاً عن ان سواحل الجبل تتمتع بحرارة معتدلة فيسهل فيها غرس مزروعات البلاد الحارة وهي في مأمن من الجليد والزمهرير. وإذا اتفق وسقطت فيها الحرارة الى ما دون الدرجة الخامسة في المقياس المئوي (السنتيغراد) فذلك نادر لا قياس عليهِ

إن تربة الاراضي الممتدة من طرابلس الى صيداء تتركب من فتات الصخور ومن التربة التي تجرفها مياه المطر من اعالي الجبال والمحتوية على غازات ومواد معدنية هي كالسماد جزيلة الفائدة . غير ان احتباس المطر عنها مدة خمسة اشهر من السنة لا يتيح لها ان تعطي اغلالاً جيدة بالرغم عن جودة تربتها ما لم تروَ ريّاً كافياً. ولذلك ترى اغلال الاملاك المروية هي خمسة اضعاف الاملاك التي لا ماء لها. ومن ثمّ كانت مسألة جلب الماء اللازم لريّ سواحل لبنان منذ اقدم الازمان موضوعاً للاهتمام الكليّ والعناية التامة

اما مياه نهر ابرهيم الذي دعاه الاقدمون (ادونيس) فقد كانت تجري الى سواحل جبيل (بيبلوس) بقناة طولها ١٥ كيلومتراً وكثيراً ما تمرّ هذه القناة فوق مجاري المياه والوديان والوهاد على قناطر عظيمة البناء فخيمة المنظر لا تزال آثارها ظاهرة الى يومنا هذا ومنها قنطرة يبلغ طولها ١٣٠ متراً بعلو ١٥ متراً

ان مسألة سقي الاراضي الكائنة بين نهر الكلب وجونية ترجع الى عهد الرومانيين والاعمال التي قاموا بها في تلك النواحي باقية الى الآن واهمها سلسلة من القناطر الضخمة يبلغ طولها ٣٠٠ متر بعلو ٨ الى ١٦ متراً وهي تمرّ بالقرب من مصبّ النهر في ضوج الجبل الصخري · اما مياه نهر بيروت التي تخرج من نبع الديشونية فقد كانوا يستعملونها في ريّ سواحل الشويفات وقد كانت تمر المياه من ضفة النهر الشمالية الى الضفة الجنوبية على القناطر المعروفة بقناطر زبيدة وآثارها باقية الى الآن و يبلغ طولها نحواً من ٢٠٠ متر بعلو ٤٠ متراً ومنها كانت تدخل المياه الى مجرى منحوت في الصخر يبلغ طوله ٣٠٠ متر · وكان لهذا الجسر اربع طبقات من القناطر مرتكزة بعضها فوق بعض وهو اجمل جسر صنعهُ الاقدمون في سوريا

يتضح مما تقدّم ان الرومانيين ادركوا اهمية ريّ سواحل الجبل ومع ان الوسائل التي كانت لديهم هي احط من الادوات الموفورة لنا في هذه الايام فقد مهدوا العقبات وذللوا الصعاب ولم يدخروا امراً في سبيل الوصول الى غايتهم ولسوء الحظ لم يبق من اعمالهم سوى قناة في نهر الكلب معدة لريّ الارض المعروفة بالوطا وموقعها بين نهر الكلب وجونية · اما في نهر ابرهيم ونهر بيروت فلم يبق من اعمالهم سوى آثار تخلد مجدهم وتلقي في النفوس هيبة ووقاراً

ان قسماً من ارض السواحل اللبنانية تروى من بعض الينابيع التي يسهل الوصول الى مائها · فنبع انطلياس مثلاً يروي اراضي الزلقا وجل الديب والفوّار والعارة · ونبع الديشونية يروي املاك الحدث والشيّاح والمخاضة وسن الفيل وحارة حريك · اما الاقنية التي تجري فيها مياه هذين النبعين فهي محفورة في التراب حفراً سيئاً جدًّا وقد كان الرومانيون يحصرون مياه الديشونية في منبعها اما الآن فلا يبتدئون بحصرها الاّ على بعد ٤ كيلو مترات من منبع المياه فيتسبب عن ذلك ضياع كمية كبيرة من الماء تتغلغل في مجرى النهر وتذهب سدًى ولا تسقي مياههُ سوى ثُلث الاملاك التي كانت تسقيها في عهد الرومانيين

يسقي نهر الدامور بقعة صغيرة من الارض لكنها خصبة للغاية

اما سائر الاملاك التي لا تصل اليها مياه الينابيع المذكورة فيصرف اصحابها الاموال الطائلة في سبيل الحصول على ريّها بواسطة الآبار والنواعير · ثمَّ يختلف مبلغ العمق اللازم للحصول على الماء باختلاف انواع التربة وموقع الارض الطبيعي · ففي حارة حريك والضواحي الجنوبية من مدينة بيروت ينبع الماء على عمق اربعة الى ستة امتار وفي جهات جديدة المتن والدكوانة ينبع على عمق ستة الى ثمانية امتار · اما في جهات جونية فعلى عمق ثمانية الى عشرة امتار · ويوجد في برج البراجنة مثلاً بعض النواعير والآبار التي اقتضى لها حفر الارض نحواً من ٣٠ الى ٣٥ متراً · وكلف النواعير في الجبل باهظة لان املاكه مجزّأة كثيراً والاعمال الزراعية الكبيرة نادرة فيه فيستصعب توزيع نفقات هذه النواعير على مساحة واسعة من الارض ·

ربما استغرب القارئ رغماً عما قدمناهُ من اهمية الريّ كيف يقدم اصحاب الاملاك على اكبر الضحايا في سبيل الحصول على الماء اللازم لريّ ارضهم وكيف ارتفعت اسعار الارض هذا الارتفاع الهائل · غير ان ذلك ناتج ايضاً عن اسباب خصوصية هذه اهمّها :

١ً ان عدد السكان في الجبل نسبةً الى ارضه المزروعة هو كما تقدم ٨٧٥ نفساً في كل كيلو متر مربع

٢ً ان سكان مدينة بيروت ومعظم اللبنانيين يستجلبون المواد الزراعية من البقاع ومن الاراضي الواقعة شرقي الجبل فتستغرق النقليات وقتاً طويلاً وكلفاً باهظة نظراً لبعد المسافة ووعورة الطرق. اما حاصلات السواحل اللبنانية فتصرف في محلها وبما انها لا تكفي لمقطوعية البلاد تحدّد اسعارها على اسعار المواد التي ترد من الاراضي الواقعة شرقي الجبل فيستفيد الفلاح اللبناني الموجود في السواحل من غلاء الاسعار الناتج عن زيادة كلف النقل

٣ً ان قسماً كبيراً من المزروعات كالموز والبلح وقصب السكر والليمون وغيره لا ينجح في الداخلية لعدم موافقة الطقس لهُ وبالعكس فانهُ ينجح اتم النجاح في سواحل الجبل واذا نقلت اثماره الى الداخل تبقى سليمة خالية من العطب رغماً عن طول المسافة. واسعار هذه الفاكهة نسبة الى وزنها مرتفعة جدًّا في الداخلية. ومن جهة اخرى فان البقول والخضر التي تصرفها مدينة بيروت وساحل لبنان وقسم من الجبل نفسه اي نحو من ٢٥٠,٠٠٠ نفس هي بكاملها من محصولات السواحل اللبنانية اذ لا يمكن استحضارها من الداخلية نظراً لبعد المسافة وشدّة الطقس في الداخلية

٤ً ان املاك الجبل كثيرة التجزئة فقلما يوجد من يملك بقعة تزيد عن الهكتارين او الثلاثة ولهذا فان اصحاب الاملاك تأميناً لارباحهم يستعملون اراضيهم استعمالاً متواصلاً ويعتنون في تسميدها اكثر من الداخلية

٥ً ومما يبعث على زيادة قيمة الاملاك كثرة ورود الذهب من الاقطار الاميركية وشدة تعلق اللبناني بارضه

ان الامعان في الامور المتقدمة ووجود الاراضي الواسعة المحرومة من الماء في سواحل الجبل حمل الحكومة اللبنانية على التدقيق في درس مسألة استعمال عموم المياه التي يمكن جرّها لريّ السواحل اللبنانية وقد رأينا قبل ان نأتي على البحث في نتيجة هذه الدروس ان نلقي نظرة اجمالية على بعض مشاريع الريّ التي بوشر بها

جرّ مياه نهر ابراهيم

لقد ذكرنا سابقاً ان مياه نهر ابرهيم كانت في عهد الرومانيين تصل الى جبيل وتسقي بقعة من الارض تبلغ نحواً من ٧ كيلو مترات طولاً بمعدل ٥٠٠ متر عرضاً والفضل في الرجوع الى فكرة الرومانيين يعود الى المرحوم عبد الاحد خضرا الذي حصل على الرخصة بجرّ مياه النهر المذكور لريّ ساحل جبيل فكلف بعض المهندسين الاوربيين بدرس هذا المشروع ووضع الرسوم والخرائط اللازمة له وتقدير اكلاف العمل. غير ان الموت عاجلهُ قبل ان يتوفق الى ابراز هذا المشروع الى حيز العمل . ثم فكّر بعضهم ثانيةً بهذا العمل فلم ينجحوا لعدم وجود المال الكافي لذلك. وقد سعى فيه مؤخراً المرحوم امين عبد النور مدير مهندس الطرق

والمعابر في الجبل سابقاً ولما رأى من نفسه العجز عن ايجاد المال الكافي للقيام بالعمل اشترك مع نعوم افندي باخوس النائب عن قضاء كسروان في مجلس ادارة الجبل فسعى نعوم افندي بما فُطر عليهِ من العزم وعلوّ الهمة واندفع كل الاندفاع في سبيل هذا المشروع العمومي المفيد الذي لا يخلو طبعاً من بعض الفائدة الشخصيَّة ونظراً لثقة الناس بفضله توفق الى جمع قسم من المال اللازم وذلك من قضاء كسروان فقط و بوشر بالحفر في ارض وعرة صخرية غاية في الصعوبة ولم تكد تتم الحفريات على طول ٤٣٠٠ متر تقريباً حتى نشبت الحرب العمومية وتوقفت الاشغال . اما القناة المنوي عملها فيمكن تسييل ٨٠,٠٠٠ متر مكعب يومياً فيها تقريباً وهي تسير على ضفة نهر ابراهيم الجنوبية وقبل وصولها الى مصبّ النهر تنفصل الى قسمين يتجه الواحد منهما الى الجنوب فيسقي نحواً من ٣ او ٤ كيلو مترات طولاً بمعدل ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر عرضاً . والقسم الآخر يقطع نهر ابراهيم بواسطة ممصّ (Syphon) ثم يتجه الى جبيل

تقدَّر مجموع كلف هذا المشروع بـ ٦,٠٠٠,٠٠٠ غرش تقريباً وقد قدَّروا جعل ثمن المتر المكعّب اليومي من ٣٠٠ الى ٥٠٠ غرش بحسب بُعد المسافة . وهذا المشروع الجليل الذي يعود على البلاد بالفائدة العمومية هو اول المشاريع الوطنية المهمة التي فكَّر فيهِ اناس لبنانيون وقاموا بعمله ولذلك نحن نتمنى له من صميم الفؤاد اتمّ توفيق واعظم نجاح ولنا الامل الكبير انهُ يكون قدوة ومثالاً حيًّا للتعاون والتعاضد ومنشطاً للافراد من ذوي الهمم على التكاتف في سبيل المشاريع العمومية لان ما يقوم بهِ المجموع يعجز عنهُ الفرد

نبع الجماجم

ومن المشاريع التي افتكر فيها بعض الوطنيين ونشَّطوا انفسهم الى اتمامها مشروع جرّ مياه نبع الجماجم وقد رخَّصت لهم الحكومة اللبنانية بجرّ هذه المياه الى ناحية القاطع بقضاء المتن وتوزيعها للشرب والريّ على قرنة شهوان وقرنة الحمراء ومزرعة الشعار وديك المحدي والفريكة وزكريت ومزرعة يشوع وغيرها . وهذه الناحية هي بحاجة قصوى الى الماء والاهالي يبنون الآبار لخزن ماء المطر الذي يجري في الوديان واستعماله في ايام الصيف وموقع هذا النبع تحت بسكنتا على ارتفاع ٨٠٠ متر ويبلغ ماؤه ٢٠٠٠ متر مكعب في اليوم تقريباً وقد جُعل ثمن المتر المكعب اليومي بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ غرش . ولما تم حصر الماء ووُضع ١١ كيلو متراً من القساطل الحديدية وبني له حوض (حاووز) بالحجر والكاس المائي في الجهة العليا من قرية بيت شباب نشبت الحرب العمومية فقضت بتوقيف الاشغال

اما الاموال اللازمة لاتمام المشروع فتقدَّر بنحو ٣ ملايين غرش وقد تعهد بتقديمها بنك الخواجات جبيلي في بيروت وتعهَّد بتقديم القساطل الخواجات عرمان التجار المعروفون في بيروت وقد أُسندت ادارة الاعمال الى حضرة الاب عمانوئيل سمعان من الرهبنة الانطونية والى جناب يوسف بك صعب من بعبدا . اما الامور الفنيَّة المتعلقة بهذا المشروع فانها تترك مجالاً لبعض الانتقاد . ومع هذا فاننا نتمنى لهُ كما تمنينا

لسواه من امثاله من صميم الفؤاد اتم توفيق ونجاح

نبع العسل

ان موقع هذا النبع في قضاء كسروان بين قريتي حراجل وميروبا وتبلغ كمية مياهه ٣٠,٠٠٠ متر مكعب في اليوم تقريباً فلما رأى الشيخ سجعان الخازن ان هذه المياه تذهب ضياعاً في مجرى النهر فكر في استخدامها لريّ الاملاك الواقعة اسفل ميروبا كقرية ريفون وفيطرون ومجلتون وغوسطا وحريصا وجونية والزوق الخ٠٠٠

وقد رخصت له الحكومة اللبنانية بذلك غير انهُ لم ينجح في عمله لعدم وجود المال اللازم وبسبب بعض الدسائس والعراقيل ٠٠٠٠ اما سليم بك شاكر فقد ساعده الحظ اكثر من الشيخ سجعان المذكور فنال من الحكومة اللبنانية رخصة جديدة واتفق مع شركة « جاكسن » الانكليزية التي قدمت الاموال والمعدات اللازمة واستلمت إدارة العمل ٠ وقد تم بناء القناة العمومية على مسافة ١٠ كيلومترات تقريباً بين وادي ميروبا وريفون وهي مبنية بالسمانتو على اصول الفن الحديثة ٠ وهذه القناة معدّة لجري ٧,٠٠٠ متر مكعب في اليوم وقد جعل سعر المتر المكعب اليومي بين ٨٠٠ و١٥٠٠ غرش حسب بعد المسافة وقربها ٠ وكانت قد أملت الشركة المذكورة ان تباشر بتوزيع المياه على بعض القرى لكن نشوب الحرب العمومية حال دون امانيها

نبع الصفا

ان مياه نبع الصفا تعدّل بثمانين الف متر مكعب يومياً وتستعمل لريّ قسم من اراضي قضاء الشوف العليا ثم تتجه الى بيت الدين ودير القمر بقناة طولها ١٠ كيلو مترات تقريباً محفورة في الارض والصخور مع اشغال فنّية بسيطة جداً غير ان قسماً كبيراً من الماء يغور في القناة بسبب ما يرشح منهُ وما يحدث في الشتاء من الهبوط في جوانب القناة المذكورة ٠ وقد قام بهذا المشروع حكام لبنان القدماء ٠ اما الآن فقد بيعت المياه بيعاً نهائياً لاصحاب الاملاك

نبع الباروك

يخرج نبع الباروك من قضاء الشوف ويبلغ ماؤهُ ستين الف متر مكعب في اليوم ويستعمل لريّ بعض الاملاك الموجودة في قضائي الشوف وجزين ٠ و يصل الى صيداء ٠ وفيما خلا ذلك هو تماماً كنبع الصفا

مجاري مياه ثانوية

يوجد في لبنان اقنية ثانوية لجر المياه الى بعض الاملاك واكثرها محفور في نفس الاودية التي تمر فيها الانهار والجداول كالتي انشئت لجرّ قسم من مياه نهر الاوّلي ونهر الدامور في قضاء الشوف ونهر بيروت

في قضاء المتن ونهر الكلب ونهر ابراهيم في قضاء كسروان ونهر قاديشا ونهر ابي علي ونهر رشعين في قضاء البترون ونهر البردوني في زحلة· ولا يسعنا السكوت عن بعض الينابيع الغزيرة التي تستعمل كغيرها للريّ بعض الاملاك كنبع جزين في قضاء جزين· ونبع حمانا ونبع بقلّيع ونبع المنبوخ في قضاء المتن· ونبع جديدة غزير ونبع اللبن في كسروان· ونبع الجوز في قضاء البترون ····

مياه الشرب

قد سعى بعضهم بجرّ مياه الشرب الى بعض القرى اللبنانية ومع ذلك لا تزال هذه القرى تشكو قلة الماء فهذه عاليه يصبّ فيها يومياً من مياه حمانا مائة وخمسون متراً مكعباً ويجمدون نحواً من ٥٠ متراً وقد جعل ثمن المتر فيها ٥٠ ليرة عثمانية· اما صوفر فقد اصابها ٢٠ متراً فقط جلبت اليها بواسطة مضخات (طلمبات) وقد جعل ثمن المتر ٥٠ ليرة عثمانية· اما مدينة زحلة فقد جلب اليها ٣٠٠ متر مكعب جعل ثمن المتر منها ٥٠ ليرة ايضاً ومع هذا فلا تزال كلها تشكو قلة الماء

اثمان المياه

لا حاجة بعد ما تقدّم الى البرهان عن اهمية الماء وعظم منفعته خصوصاً في السواحل التي هي موارد الثروة الزراعية ولذلك لا نعجب مما يضحيه سكان الجبل من الاموال الطائلة في سبيل الحصول على قليل من الماء وسننظر نظرة اجمالية فيما يتكلفهُ اللبناني للحصول على متر الماء المكعب اليومي

من المعلوم ان بعض الملاكين الموجودين في ضواحي مدينة بيروت يسقون ارضهم من مياه نهر الكلب التي جرّتها الشركة العثمانية الى هذه المدينة وقد جعلت الشركة المذكورة اجرة المتر المكعب ١٫٦٢٥ غرشاً فلو عدّلنا المدّة التي تحتاج فيها الاملاك الى الماء ١٥٠ يوماً بلغ بدل اجارة المتر المكعب في السنة ١٥٠ × ١٫٦٢٥ = ٢٤٫٣٧٥ غرشاً· فاذا استخرجنا اصل الثمن باعتبار الفائدة ١٠ بالمائة لبلغ ثمنهُ ٢٤٣٧ غرشاً ونصف الغرش وهو ثمن باهظ ومع هذا فطلب الماء متواصل وقد عجزت الشركة على اجابة قسم كبير من الطالبين وتسعى الآن الشركة المذكورة في رفع اثمان المياه

النواعير

كثيراً ما يستعمل الملاكون في سواحل الجبل النواعير للحصول على الماء وتختلف كُلَف هذه النواعير باختلاف الحفر اللازم للوصول الى الماء كما بينّا سابقاً فلو افترضنا ان ثمن الناعورة التي بعمق ٦ امتار يبلغ ٢٥٫٠٠٠ غرش والناعورة التي عمقها ٨ امتار فما فوق تكلف من ٦٠٫٠٠٠ الى ١٠٠٫٠٠٠ غرش يكون معدّل كلفة الناعورة على الحدّ الاوسط وبصورة اجمالية ٤٠٫٠٠٠ غرش يضاف اليها مصاريف دابّة واجرة سائس اذا كانت الناعورة تدار بواسطة الدواب واثمان كاز وزيت اذا كانت تتحرّك بآلة

ميكانيكيّة مع ما يلحق بالادوات من التعطيل ومصاريف التصليح فيمكننا ان نقدّر هذا المصروف بقيمة ٥،٠٠٠ غرش في السنة . فلو استخرجنا الراسمال اللازم لحصول على هذه القيمة بتعديل فائدة ١٠ بالمائة تبلغ قيمتهُ ٥٠،٠٠٠ غرش نضيفها الى كلف حفر الناعورة وثمن ادواتها فيكون المبلغ اللازم لتشغيل الناعورة ٩٠،٠٠٠ غرش . وبما ان الاملاك في الجبل متجزئة جدًّا اصبح من النادر ان تسقي الناعورة الواحدة ارضًا مساحتها اكثر من هكتار واحد اي نحواً من ٢٠،٠٠٠ ذراع مربع فتكون كلفة ريّ الهكتار الواحد ٩٠،٠٠٠ غرش وبما ان الماء اللازم لريّ الهكتار هو ٦٠ متراً مكعباً يومياً تكون كلفة المتر المكعب الواحد ٩٠،٠٠٠ : ٦٠ = ١،٥٠٠ غرش

غير ان كلفة المتر المكعب في بعض الاماكن هي اقلّ مما ذكر فقد أنشأ جورج بك ثابت في املاكه في الدكوانة ناعورة عمقها ٨ امتار تقريباً تتحرك بواسطة زيت الكاز وقد كلفته ٧٠،٠٠٠ غرش تقريباً . فلو اضفنا الى هذا المبلغ ٥٠،٠٠٠ غرش قيمة مصاريف الناعورة اصبح المجموع ١٢٠،٠٠٠ غرش وبما ان هذه الناعورة تسقي ٤ هكتارات من الارض وتستخرج يومياً ٢٤٠ متراً مكعباً اصبح ثمن المتر المكعب الواحد ١٢٠،٠٠٠ : ٢٤٠ = ٥٠٠ غرش وبعكس ذلك تبلغ كلفة المتر المكعب في بعض المحلات حدًّا هائلاً ففي مدرسة البنات في برج البراجنة حفرت بئر قليلة الاتساع يبلغ عمقها ٥٠ متراً فبلغت نفقاتها مع القساطل والمضخة (طلمبة) ٣٥،٠٠٠ غرش . هذا ويحتاج الى فاعل لتحريك المضخة واستخراج الماء الذي يوزع على المدرسة والجنينة . فاذا عدّلنا اجرة الفاعل سبعة غروش يومياً بلغ مجموع المصروف في السنة ٢،٥٥٥ غرشاً اي ٧×٣٦٥ فلو استخرجنا الراسمال اللازم للحصول على هذا المبلغ على تعديل ١٠ بالمائة لبلغ تقريباً ٢٥،٠٠٠ غرش فيكون مجموع النفقات كما يأتي : ٣٥،٠٠٠ + ٢٥،٠٠٠ = ٦٠،٠٠٠ غرش وبما ان الفاعل لا يقدر ان يستخرج اكثر من مترين مكعبين من الماء يومياً تكون كلفة المتر المكعب اليومي ٦٠،٠٠٠ ÷ ٢ = ٣٠،٠٠٠ غرش للمتر الواحد

مياه الآبار

قد حفر كثيرون في مديرية القاطع الكائنة فوق انطلياس آباراً كبيرة لجمع المطر واستعماله لري بعض الاملاك في ايام الصيف اي مدّة الاشهر الخمسة التي يحبس فيها المطر وقد حفروا في قرنة شهوان وقرنة الحمرا وديك المحدي آباراً تسع من ٣٠٠ الى ٨٠٠ متر مكعب من الماء فكانت كلفتها من ٣٠،٠٠٠ الى ٨٠،٠٠٠ غرش

وقد حفر الخواجه جبارا في قرنة شهوان بئراً طولها ٢٠ متراً في عرض ٧ امتار وعلو ٨ تسع ١١٢٠ متراً مكعباً من الماء وقد بلغت كلفتها ٨٠،٠٠٠ غرش فلو استعمل هذه الكمية مدّة خمسة اشهر القيظ أصابهُ يومياً ١٣٠ ÷ ١٥٠١ = ٧،٥ امتار مكعبة فتكون كلف المتر الواحد ٨٠،٠٠٠ ÷ ٧،٥ = ١٠،٦٦٦

وقد بنى الشيخ رشيد طعمه في قرنة الحمرا بئراً تسع ٩٠٠ متر مكعب وانفق عليها ١٠،٠٠٠ غرش فلو

جرينا على التعديل المتقدّم يكون قد حصل الشيخ المذكور على ٩٠٠ ÷ ١٥٠ = ٦ امتار مكعبة من الماء يوميًّا ويكون ثمن المتر الواحد اليومي ١٦٦٦،٦

وقد جرّ الاب امبروسيوس من بكفيا الى عين عار ٣٢ مترًا مكعباً من الماء بقناة كلفتهُ ٢٠٠،٠٠٠ غرش فتعود عليهِ كلفة المتر اليومي كما يأتي ٢٠٠،٠٠٠ ÷ ٣٢ = ٦،٢٥٠ غرشًا

الاموال التي صرفت بدون جدوى

كثيرًا ما ضحى اصحاب الاملاك الاموال الطائلة في سبيل الحصول على قليل من الماء فذهبت اتعابهم ضياعاً وتكبدوا الخسائر العظيمة بدون فائدة وسنكتفي بذكر البعض منهم على سبيل الاستشهاد فالمطران صوايا مثلاً حفر ناعورة قرب الجديدة فبعد ان صرف عليها ٨٠،٠٠٠ غرش تهدّمت لان الارض طرية التربة لا يثبت فيها اساس ولا بناء فالتزم ان يتوقف عن العمل لعدم وجود الوسائط اللازمة لاتمامه · والمسيو كلادرو وضع على نهر بيروت مضخة قوية لدفع الماء اللازم لريّ املاكه الواقعة قرب جسر رستم باشا في الحازمية فكلفتهُ نحواً من ١٠٠،٠٠٠ غرش ولم ينتفع بها نظراً لحادث طرأ على الماكنة فعطلها · وقد حفر الآباء اللعازريون في بيروت ناعورة خصّصوا لها محرّكاً بقوّة ٦ أحصنة بخارية فاشتغلت ساعة ثمّ نضب ماؤُها لان الماء لم يكن سوى نتيجة ترشح بعض المجاري المجاورة لذلك المكان فكان يلزمهم ان ينتظروا زمنًا طويلاً ريثما تمتلئ البئر ثانية وقد اهملوها اخيراً وذهبت كل اتعابهم ومصاريفهم ادراج الرياح · وقد اصاب جناب المركيز دي فريج ما اصاب الآباء المذكورين ايضاً

ونقف عند هذا الحدّ لان امثال هؤُلاء السادة كثيرون يضيق بنا المقام عن تعدادهم

معاضدة الحكومة

لقد نظرت الحكومة اللبنانية الى ما تقدَّم بعين البصير الحكيم وادركت اهمية الاراضي الواسعة التي لا ماء لها والنفع العظيم الذي يحصل من ريها فعكفت على البحث في كل مشروع تعتقد انهُ يعود على البلاد بالنفع والثروة· فما نبسطهُ ونبيّنهُ في هذه النبذة انما هو نتيجة تلك الابحاث

جر مياه نبع الدلبة

على مقربة من مزرعة الشميسة في قضاء المتن وفي مجرى نهر شتوي يمرُّ في وادي حمانا ويمتدّ الى مجرى نهر بيروت على علوّ ٥٠٠ متر عن سطح البحر تتدفق كالبلّور مياه باردة سائغة كالكوثر هي مياه عين الدلبة المشهورة وتبلغ كميتها في ايام النشف (الشحاح) ١٤،٠٠٠ متر مكعب يوميًّا غير انها لا تستعمل سوى لتدوير بعض المطاحن وريّ جزءٍ صغير من الاملاك القليلة النفع بالنسبة الى اهميَّة النبع وغزارة مائهِ ثم تغور في مجرى نهر شتوي هناك وتتغلغل في بطن الارض بدون فائدة· فنظراً لارتفاع نبع الدلبة ٥٠٠ متر عن سطح

البحر ونظراً لضياع القسم الاكبر من مائه بدون فائدة فكّرت الحكومة اللبنانيّة في استعمال هذه المياه لسقي بعض القرى كجمهور وبعبدا والحازمية والحدث وكفرشيما وكلها في حاجة ماسّة الى الماء ومواقع هذه القرى تحت النبع المذكور وقد اعدّت الحكومة اللبنانية الرسوم والخرائط والدروس اللازمة لهذا العمل

وقد ظهر من هذه الدروس انّ طول القناة التي يجب ان تنقل مياه نبع الدلبة الى بعبدا يبلغ ٢٤ كيلو متراً

وانهُ يسهل الحصول على شلال ماء تحت الحلونية يبلغ علوّه ٢٠٠ متر يعطي قوة ٦٠٠ حصان يمكن صرفها في سبيل الاعمال الصناعية كتحريك بعض المعامل او تحريك آلة مولّدة للكهرباء الى غير ذلك . امَّا كلفة جرّ هذا النبع الى بعبدا بقناة محكمة البنيان مغطاة من كل جهاتها مع سائر الاعمال الفنيّة على كل الخط اي على طول ٢٤ كيلومتراً مع اكلاف الشلال فتبلغ ٩٫٥٠٠٫٠٠٠ غرش وان الاقنية والقساطل الثانوية اللازمة لتسييل المياه من القناة الرئيسية الى نقط التوزيع لا تتخطى مبلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ غرش يعني ان مجموع كلف هذا المشروع تبلغ ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ غرش فتكون كلفة المتر المكعب الواحد ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ ÷ ١٤٫٠٠٠ = ٩٢٨ غرشاً

ولما اطلعت الحكومة اللبنانية على هذه الامور طرحت القسم الاول من اعمال جرّ هذا المشروع اي بناء القناة على طول ٢٤ كيلومتراً من عين الدلبة الى بعبدا مع بناء جميع الاشغال الفنيّة اللازمة لها وبناء شلال بعلو ٢٠٠ متراً ببدل مقطوع قدره ٩٢٫٠٠٠ ليرة عثمانية وقد تعهد الملتزم باتمام جميع الاعمال المذكورة على ان لا يدفع له بدل التزامه الاّ تدريجاً بنسبة بيع المياه على ان تستخرج اوّلاً من اثمانها بدل الالتزام ثم يقسم المال الباقي فيعطى ٧٥ بالمائة للملتزم بدل اتعابه وفائدة ماله والخمسة والعشرون بالمائة الباقية تبقى ربحاً للحكومة اللبنانية . اما اسعار المتر المكعب اليومي فلا يجوز ان تزيد على ٥٠٠٠ غرش

ريّ ساحل لبنان

على بعد ١٠ كيلو مترات تقريباً من مصبّ نهر الكلب يوجد مغارة تدعى مغارة جعيتا وهي التي يخرج منها نبع نهر الكلب وموقعها على الضفة الشمالية من مجرى النهر . ويجري قسم من الماء الخارج من هذا الكهف بواسطة قناة موجودة على الضفة الشمالية من مجري النهر فيسقي الاراضي الواقعة بين مصب نهر الكلب وجونية المدعوّة « وطى نهر الكلب » ويبلغ طول هذه القناة المسماة « قناة الامراء » ١٠ كيلو مترات تقريباً

ويتدفق قسم آخر من مياه مغارة جعيتا من احدى الشقوق الموجودة في سفح الوادي في محل واقع تحت المغارة بقليل ويسيل في مجرى نهر الكلب

يبلغ طول مغارة جعيتا ١٢٠٠ يرد تقريباً وعرضها يتراوح بين ٢٠ و ٦٠ متراً ويتكوّن من مائها في داخل المغارة بحيرة عميقة وقد قيس عمقها مراراً عديدة بمقياس يبلغ طوله ٦٠ متراً فلم يصل في اماكن عديدة

الى قعرها اما سطح مياه هذه البحيرية فيعلو امتاراً قليلة عن الموضع الذي تتدفق منهُ المياه الى الخارج

ولا يخلو التدقيق في درس هذه البحيرة من الاهمية و بعض التأثير في فكر الباحث· يحار المرء في بدء الامر عندما يسمع احياناً اصواتاً منقطعة يرتفع دويها في سماء ذلك الغار الفسيح المظلم و يتماوج صداها المزعج في جوّهِ الرطب كأنها هزيم رعد منقطع او هدير امواج بعيدة تعبث بها الرياح الزعازع · وقد يمرّ ردهة من الزمن والسكوت العميق سائد في جوّ الكهف ثم تسمع الاصوات بغتة ثم تعود الى السكون وهكذا يتعاقب الضجيج والسكون بدون انتظام ولربما كانت هذه الاصوات مسببة عن وجود بعض الانابيب والحفائر الطبيعية من نوع الممص (Syphon) التي تمتلئ وتفرغ بالمناوبة في مدّة غزارة المياه وذوبان الثلج · ومن غريب ما يحكى انهُ ظهر لبعض زائري المغارة فصيلة من الحيوانات الصغيرة فاوجس منها قلبهُ فزعاً غير انهُ ما لبث ان اطمأن عند ما رأى ان الخوف متبادل وان تلك الحيوانات قد ولّت الادبار هاربة من وجهه · ولم تظهر هيئة تلك الحيوانات نظراً لشدة الظلام · غير ان بعض القرويين رأوا في مجرى النهر على بعد ٤ كيلومترات من المغارة وفي مقربة من حوض ماء طبيعي حيوانات اختفت عندما اقتربوا منها وقد يستنتج المرء من وصفها انها ربما كانت كلاب ماء (Loutres)

ان شركة مياه بيروت العثمانية بنت على بعد ٥ كيلومترات تحت مخرج الماء من المغارة سدّاً لجمع المياه التي تسيل في مجرى النهر وقد اشترت ايضاً هذه الشركة مخرجاً للماء في قناة الوطا او « قناة الامراء » · وهذا السدّ موجود على علوّ ٢٢ متراً تقريباً عن سطح البحر في الجهة الشمالية من مجرى نهر الكلب· ويجري هذا الماء الى الضبية بواسطة قناة يبلغ طولها ٥ كيلومترات تقريباً وتقطع هذه القناة مجرى النهر على بعد ٢٠٠ متر تقريباً من المأخذ المفتوح في « قناة الامراء » بواسطة قناطر مبنية بالكلس والسمانتو

تصل المياه الى الضبيّة على علوّ ١٧ متراً تقريباً وقد جعلوا هناك شلالاً استعملوه لتوليد القوة المائية المستعملة في تحريك المنضخات (الطلمبات) ثم تدفع المياه الى بيروت فتتجمع في حوضين كبيرين واقعين في الاشرفية على علوّ ٦٤ و ٩٩ متراً وتتوزع المياه من هذين الحوضين على المدينة مدفوعة بعامل الضغط الطبيعي اما القساطل التي ينتقل فيها الماء من الضبيّة الى بيروت فيبلغ طولها ١٠ كيلومترات ونصف الكيلومتر والقساطل المستعملة فيها قطرها ١٨ « انش » اي ٤٥٧ ميليمتراً

لقد قسنا بأنفسنا مراراً عديدة في هذه السنين الاخيرة كمية المياه المستجلبة الى الضبيّة وذلك في الضبيّة نفسها فكانت دائماً هذه الكمية في سنة ١٩١٦ فوق ١٤٠٬٠٠٠ متر مكعب في اليوم وفي سنة ١٩١٧ التي كانت سنة قيظ بقيت كمية المياه ١٤٠٬٠٠٠ متر مكعب في اليوم الى ٢٥ تشرين الاول· ومنذ هذا التاريخ ابتدأت كمية الماء تنقص حتى بلغت في ١٦ تشرين الثاني ١١٥٬٠٠٠ متر مكعب في اليوم وقد اكّد لي بعض الوطنيين المتقدمين في السنّ ان المياه لم تبلغ فيما مضى الى هذا الحد من النقصان

ان كمية الماء الذي تدفعهُ المنضخات الى بيروت تتراوح بين ٥٬٠٠٠ و ١٠٬٠٠٠ متر مكعب في اليوم والماء الباقي اي نحو من ١٠٠٬٠٠٠ متر مكعب يستعمل لتحريك المنضخة ثم يذهب سدًى في البحر

استناداً الى اسعار متر الماء المكعب في شركة نبع العسل وشركة مياه بيروت وشركة مياه الجماجم وعين الدلبة ومياه زحلة وبحمدون التي هي كما يأتي بالترتيب ١٫٢٠٠ و ٢٤٫٣٧١ و ٣٫٠٠٠ و ٥٫٠٠٠ غرش . واستناداً الى مصاريف الآبار والنواعير وحاجة املاك الساحل القصوى الى المياه نعتقد انهُ بدلاً من ان تذهب سدًى الى البحر مياه نهر الكلب التي تولّد القوة في معمل الضبيّة يمكن استعمالها في ريّ ساحل بيروت فتأتي بأكبر فائدة واجزل نفع للبلاد

وقد وضعنا مدفوعين بهذه الفكرة الدروس والخرائط الاولية المتعلقة بهذا المشروع وقد كان هذا الدرس شاقًّا وعانينا الامور الصعاب في سبيله غير اننا تعزينا عندما بيَّنت نتائج ابحاثنا ان هذا المشروع ليس فقط سهل المنال من الوجهة الفنية بل انهُ عمل يعود على البلاد بالفائدة الكبرى وعلى القائمين بهِ بالربح الجزيل وهاك اهمّ النقط في بحثنا هذا :

١) يمكن زيادة كمية المياه إذا استعملت البحيرة الموجودة تحت الارض في مغارة جعيتا كحوض على ان يؤخذ منها في وقت نقصان المياه كمية من الماء الذي خزن فيها في الشتاء ثم اتخذت الوسائط لمنع ما يرشح من المياه التي تذهب ضياعاً في مجرى النهر

٢) اذا اخذت شركة مياه بيروت ١٠٫٠٠٠ متر مكعب يومياً وهي الكمية التي تلزمها حاليًا ثمَّ يحسب لها على سبيل الاحتياط ضعف هذه الكمية اي ٢٠٫٠٠٠ متر مكعب في اليوم يبقى لدينا في اوقات القيظ الشديد اي من اواسط آب الى منتصف تشرين الثاني ١٠٠٫٠٠٠ متر مكعب يومياً وذلك في السنين التي يقلّ فيها المطر اما في ايار وحزيران وتموز ونصف آب اي المدة التي تشتد فيها الحاجة الى الريّ فتبلغ المياه على اقل تعديل ١٥٠٫٠٠٠ متر مكعب في اليوم

٣) تبتدئ القناة من نفس مغارة جعيتا وتمتد بانحدار خفيف مع سفح الجبل الصخري . ومن غريب الاتفاق ان كافة الاراضي القابلة السقي تقريبًا موجودة تحت موقع القناة فيمكن ريّ عموم الارض الساحلية الواقعة بين الضبيّة وكفرشيما . اما طول القناة فيتراوح بين ٤٥ و ٤٦ كيلومتراً حسب الخطة التي يتقرَّر اتباعها

٤) ان مجموع النفقات مع حساب فائدة الاموال لمدة ٣ سنين ومشترى الارض اللازمة وكلف تقديم القوّة الميكانيكية التي تفقدها شركة مياه بيروت بسبب هذا المشروع وبكلمة واحدة جميع نفقات هذا المشروع بما فيهِ من المصاريف الخارقة العادة والغير منتظرة على تعديل الاسعار التي كانت قبل الحرب لا تتجاوز ٥٥٫٠٠٠٫٠٠٠ غرش

٥) فلو قدّرنا ان معدل كمية المياه هي ١٢٥٫٠٠٠ متر مكعب وجعلنا سعر المتر ١٥٠٠ غرش وهو اقل الاسعار المصطلح عليها مع ان الاملاك التي ستروى الواقعة في ضواحي بيروت وهي اثمن الاراضي واكثرها حاجة الى الماء يكون بيع المياه بهذه الاسعار قد نفع اصحاب الاملاك نفعاً جزيلاً وعاد على القائمين بالمشروع بربح غير يسير اذ انهُ يعطي الدخل الآتي : ١٢٥٫٠٠٠ × ١٥٠٠ = ١٨٧٫٥٠٠٫٠٠٠ غرش لقاء مصروف

لا يتجاوز ٥٥،٠٠٠،٠٠٠ غرش فيكون الربح الصافي ١٣٢،٠٠٠،٠٠٠ واذا جرى تضمين متر الماء المكعب بمبلغ ١٥٠ غرشاً في السنة يكون دخل هذا المشروع ١٨،٧٥٠،٠٠٠ لقاء مصاريفه التي لا تتجاوز ٥٥،٠٠٠،٠٠٠ غرش

فيظهر جلياً ان هذا المشروع نافع من كل الوجوه وينتظر ان تضع له الحكومة اللبنانية الرسوم والخرائط النهائية حتى اذا وُجدت مناسبة تفعل بهِ كما فعلت بمشروع عين الدلبة ومن ثم يبلغ صافي ربح الحكومة ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ غرش

الحرير

الحرير هو اجمل الحاصلات النسجية المعروفة وامتنها وهو من اكبر الدعائم الاقتصادية للبلاد التي تعتني باستخراجه او تستعمله في صناعتها

يقدَّر موسم الشرانق السنوي في جبل لبنان بـ ٤،٠٠٠،٠٠٠ كيلو تقريباً فلو افترضنا ان سعر الكيلو على التعديل الاوسط ١٥ غرشاً كان دخل الشرانق السنوي ٦٠ مليون غرش . اما اذا جرى حلّ هذه الشرانق الى حرير فتصبح قيمتها ٨٠ مليون غرش وهذه القيمة الاخيرة تعادل ٦٠ بالمائة من عموم واردات الجبل . يتضح جلياً من هذه الارقام ان الحرير من اهمّ العوامل الاقتصادية للجبل

وقد بدأ يظهر لسوء الحظ منذ زمن بعض الانحطاط سواء كان في صناعة تربية القزّ او في صناعة حلّ الحرير . ويعتقد بعضهم ان زراعة التوت في الجبل لا بدّ من تناقصها تدريجاً نظراً لسهولة استبدالها ببعض المغروسات التي تعود على اصحاب الاملاك بربح اوفر

ينسب اصحاب معامل الحلّ انحطاط صناعتهم الى استيراد الحرير الدائم من الشرق الاقصى ويعتقدون ان الظروف الخصوصية الموافقة لتربية الدود هناك وتعدُّد المواسم في السنة الواحدة ورخص اجور الصناع تجعل نفقات الحرير عندهم اقلّ منها في اوربا والشرق الادنى . هذا ونرى ان مواسم الحرير في الشرق الاقصى تزداد سنة عن أُخرى وقد تسبب عن ذلك هبوط عمومي في اسعار الحرير فالتزم اصحاب المعامل ان يقنعوا بربح قليل وان يدفعوا في الشرانق اسعاراً دون اسعارها الاولى

ويعتقد الكثيرون في لبنان ان انحطاط صناعة الحرير ناتج فقط عن الاسباب المذكورة آنفاً وان هذه الاسباب لا سبيل الى مقاومتها مع ان هذا الاعتقاد خطأ عظيم . فاذا كانت الاسباب المتقدمة قد اثرت تأثيراً جوهريّاً في المربّين واصحاب معامل الحلّ وذلك في الماضي فما ظنك في حالتها الآن وقد زال تأثيرها اذ ظهر في فنّي التربية والحلّ في اوربا والشرق الادنى موازنة اقتصادية صناعيّة جديدة متينة الدعائم

فاذا كان فنّ تربية القزّ وخصوصاً فنّ حلّ الحرير لا يزالان على انحطاط في الجبل فلذلك اسباب خصوصية تسهل مقاومتها

ولربما تعجب القارئ إذا قلنا ان صناعة تربية القزّ شيء كما كانت عليهِ في الماضي بل انها على تقدم ونجاح

بدلاً من ان نتأخر كما يتوهم البعض · والجدول الآتي يؤيد صحّة قولنا :

مقابلة معدَّل حاصلات الشرانق في سوريا عن كل عشر سنين

سنة ١٨٦١ — ١٨٧٠

سنة	كيلو
١٨٦١	٩٦٠،٠٠٠
١٨٦٢	١،٩٠٠،٠٠٠
١٨٦٣	١،٥٠٠،٠٠٠
١٨٦٤	١،٢٠٠،٠٠٠
١٨٦٥	٢،٠٠٠،٠٠٠
١٨٦٦	٣،٤٠٠،٠٠٠
١٨٦٧	٢،٤٠٠،٠٠٠
١٨٦٨	١،٧٠٠،٠٠٠
١٨٦٩	١،٣٥٠،٠٠٠
١٨٧٠	١،١٥٢،٠٠٠
معدل العشر السنين	١،٦٦١،٢٠٠

سنة ١٨٨١ — ١٨٩٠

سنة	كيلو
١٨٨١	٢،٨٠٠،٠٠٠
١٨٨٢	٢،٠٥٠،٠٠٠
١٨٨٣	٣،٣٠٠،٠٠٠
١٨٨٤	٣،٠٧٠،٠٠٠
١٨٨٥	٣،٠٧٥،٠٠٠
١٨٨٦	٣،٢٠٠،٠٠٠
١٨٨٧	٣،٦٤٢،٠٠٠
١٨٨٨	٣،٦٠٠،٠٠٠
١٨٨٩	٣،٧٢٥،٠٠٠
١٨٩٠	٤،٦٣٦،٠٠٠
معدل العشر السنين	٣،٤٠٩،٠٠٠

سنة ١٧٧١ — ١٨٨٠

سنة	كيلو
١٨٧١	٢،١٠٠،٠٠٠
١٨٧٢	٢،٠٠٠،٠٠٠
١٨٧٣	٢،٣٠٠،٠٠٠
١٨٧٤	١،٨٠٠،٠٠٠
١٨٧٥	١،٧٩٥،٠٠٠
١٨٧٦	١،٦٦٧،٠٠٠
١٨٧٧	١،٥٠٠،٠٠٠
١٨٧٨	٢،٢٥٠،٠٠٠
١٨٧٩	٢،٠٠٠،٠٠٠
١٨٨٠	٢،٤٦٨،٠٠٠
معدل العشر السنين	١،٩٨٨،٠٠٠

سنة ١٨٩١ — ١٩٠٠

سنة	كيلو
١٨٩١	٣،٤٩٢،٠٠٠
١٨٩٢	٤،١٠٢،٠٠٠
١٨٩٣	٥،٩٠٠،٠٠٠
١٨٩٤	٥،٢٩٠،٠٠٠
١٨٩٥	٤،٣١١،٠٠٠
١٨٩٦	٤،٧١٠،٠٠٠
١٨٩٧	٥،٤٩٠،٠٠٠
١٨٩٨	٥،٢١٠،٠٠٠
١٨٩٩	٥،٠٥٠،٠٠٠
١٩٠٠	٥،٠٠٠،٠٠٠
معدل العشر السنين	٤،٨٦٥،٠٠٠

سنة ١٩٠١ — ١٩١٠

سنة	كيلو
١٩٠١	٤،٦٥٠،٠٠٠
١٩٠٢	٥،٦٧٠،٠٠٠
١٩٠٣	٥،٣٨٠،٠٠٠
١٩٠٤	٤،٩٦٥،٠٠٠
١٩٠٥	٥،٣٣٠،٠٠٠
١٩٠٦	٥،٠٨١،٠٠٠
١٩٠٧	٥،٨٤٠،٠٠٠
١٩٠٨	٥،٤٧٦،٠٠٠
١٩٠٩	٤،٨٧٥،٠٠٠
١٩١٠	٦،١٠٠،٠٠٠

معدل العشر السنين ٥،٣٣٦،٠٠٠

فلو طرحنا من العدد الاخير مليون كيلو شرانق وهي حاصلات الولايات المجاورة للجبل يبقى للبنان على التعديل الاوسط ٤ ملايين كيلو · ويتضح جليًا من هـذه الارقام ان حاصلات الشرانق على ازدياد · فاذا كان قد اقتلع بعض الملاكين التوت من ارضهم فذلك في السواحل الخصبة حيث يسهل ريُّ الارض واستبدال التوت بالليمون و بالنباتات الخضرية · اما في الجبال فالامر بالعكس نظراً لما هي عليهِ الارض من ضعف التربة وقلة الخصب · وبما ان التوت من الاشجار القوية التي تنمو في الارض الضعيفة نرى سكان الجبال يقبلون على زراعته اقبالاً متزايداً ولا بدَّ لهذه الشجرة من ان تنال في لبنان حظوة كبرى كما نالت الرتبة الاولى في الساڤين والڤار وكورسكا والبيامون ولومبارديا وكالابريا وغيرها من البلاد الجبلية الرقيقة التربة

امَّا ظهور بعض الانحطاط في زراعة التوت وتربية القزّ فسببهُ الوحيد جهالة الزراعين والمربّين

من الغريب ان معدّل كميّة الشرانق التي تحصل في بلادنا من علبة بزر هي اقلّ الحاصلات المعروفة · هذا على رغم اعتدال الطقس وموافقته لطبيعة القزّ · واليك معدّل محصول علبة البزر الواحدة في اهمّ الاماكن التي يربّى فيها القز :

معدّل المحصول بالكيلو لعلبة البزر التي تزن ٢٥ غراماً في ٦ سنوات

في لبنان

سنة	كيلو
١٩٠٦	٢٣,٦٠٠
١٩٠٧	٢٠,٠١٠
١٩٠٨	٢٢,٠٥٠
١٩٠٩	٢٠,١٢٠
١٩١٠	٢٤,٩٤٠
١٩١١	٢٥,٣٠٠
	١٣٦,٤٠٠

فيكون المعدل الاوسط ١٣٦ ٤٠٠ : ٦ = ٢٢,٧٣٣ اي ٢٢ كيلو و ٧٣٣ غراماً

في سائر البلاد

المملكة	السنة	المحصول	
المجر	١٨٩٠ — ١٩٠٥	٣٥ , ٢٠٠	كيلو
ولاية بروسة	« «	٣٤ , ٤٠٠	
ايطاليا	« «	٣٩ , ١١٠	«
فرنسا	« «	٣٩ , ٢٤٠	«
«	١٩٠٦	٤٢ , ١٧١	«
«	١٩٠٧	٤٤ , ٥٧٥	«
«	١٩٠٨	٤٤ , ٤٠٠	«

يتضح من هذين الجدولين ان محصول علبة البزر في فرنسا هو ضعف محصول العلبة نفسها في بلادنا ومع هذا لا يخشى على هذه الصناعة من الانقراض في الجبل بل يؤمل لها النمو والتقدم لموافقة الطقس لها وانما يكون تقدمها اكيداً ومحسوساً اذا اتخذت الوسائط الفعالة لتنشيط هذا الفن وغرس المبادئ القويمة في عقول المربين

ان حالة اصحاب معامل الحل لأشد خطراً وادعى الى القلق من حالة المربين وقد اقفل قسم منهم مصانعهم وصرفوا عملتهم عندما رأوا ان شغلهم لا يعود عليهم سوى بالتعب . وقد كان يوجد في الجبل تسعة آلاف خلقين يقدَّر انها تحل ٦ ملايين كيلو ويشتغل عليها ١٢ ألف عاملة فلم يبقَ منها سوى ٥ آلاف خلقين يقدَّر انها تحل ٣ ملايين كيلو ويشتغل عليها ستة آلاف عامل فقط وقسم كبير من شرانق البلاد تصدَّر الى

اوربا · وينتج عن هذا التصدير امران :

١ً عند ما اصبح شراء الشرانق منوطاً بالسماسرة بدلاً من اصحاب المعامل حدث هبوط في اسعارها فتضرر المربّون

٢ً ان حلّ الشرانق يعادل تقريباً ٣٠ بالمائة من سعرها وهذا الفرق يتوزع اجوراً على الصناع وارباحاً لاصحاب المعامل · فتصدير الشرانق يسلب الجبل هذا الربح العظيم

ولا مشاحة في ان اضطراب موقف صناعة الحلّ يكبّد البلاد خسارة جسيمة غير اننا نتعزى عندما نرى ان هذا الانحطاط ناتج عن اسباب خصوصية يمكننا مقاومتها بنجاح

وقد جعلنا غايتنا في هذه المقالة درس الاسباب الخصوصية التي تحول دون تقدم صناعة الحلّ في الجبل مع البحث عن التدابير التي يمكن ان تنهض بهذه الصناعة وترقّيها

ودرسنا هذا مبنيّ على الاختبار الشخصي الذي احرزناه مدة سنين طوال قضيناها في بلاد الساقلان والتسّان وهو مستند على ارقام وضعية وحقائق حسابية و يقسم بحكم الظروف الى قسم اقتصادي وقسم فنّي

وليس في مطالعة هذا الدرس لذة المؤلفات البيانية التي تزدان بانواع الجناس والبديع ولا هو رواية خيالية فيها رقّة التصور وانما هو بحث في الامور التي تنهض باكبر صناعة وطنية « صناعة الحل » وتحسّن حالة العامل اللبناني ولهذا نؤمل ان ينظر القارئ الكريم الى غايتنا فقط ويعذرنا إذا صادف في درسنا هذا بعض الاقسام الكالحة العارية من طلاوة السبك والتفنن الكتابي فالامور بمقاصدها

حلّ الحرير

اصل الشرنقة — يتألف الحرير من تجمّد وتصلّب سيّال لزج تفرزه بعض انواع الدود المتعلق بحسب التقسيم النباتي بالعائلة المدعوة « Phalènes » او « Bombyx de Linné »

تحبس الحشرة (دودة القز) نفسها ضمن غلاف مركب من ريقها فتصبح بكاملها محاطة به وهذا الغلاف هو عبارة عن كتلة مؤلفة من خيط واحد شديد التجمع يلتفّ على نفسه الوفاً من المرات فتتألف منهُ الشرنقة وهي ناشفة مصمغة بيضوية الشكل

متى احتبست الدودة في شرنقتها تصير « جبزاً » ثم فراشة فتثقب غلافها لتطير وتسعى في تناسلها عملاً بقانون المحافظة على الكيان الطبيعي · ومن « المزاوجة » يحصل البيض او البزر الذي ينقف في حينهِ ويصير دوداً

يقال لجنس القزّ « سنوي » متى كان يستلزم سنة كاملة حتى يغزل الدود شرنقتهُ ويتحول الى « جبز » ففراشة لتنتج البزر الذي ينقف عنهُ الدود · ويدعى « زوجياً » او « ثلاثياً » او « متعدداً » حسبما يكون قادراً على اتمام سائر ادوار حياتهِ مرتين او ثلاثة او اكثر في مدار سنة واحدة

يراد « بمقطوعية » اقة الشرانق الطرية كمية الحرير التي يمكن استخراجها من تلك الاقة فلو قيل مثلاً

هذه الشرانق تعطي ٤٠ درهماً يراد بذلك ان الاقة الواحدة يحصل منها ٤٠ درهم حرير

متى جفت الشرانق تصبح ٣ مرات تقريباً اخف مما كانت عليهِ وهذا مسبب عن جفاف الجبز الموجود في داخلها ويزيد سعرها و « مقطوعيتها » ٣ مرات تقريباً عن ذي قبل

غاية الحلّ — حل الحرير هو مجموع الاعمال التي تحوّل الشرانق الى خيوط يمكن استعمالها في التجارة والصناعة

ومبدأ هذه الصناعة الفنّي يستند بكاملهِ على تركيب الشرنقة الطبيعي وغايتها تفريغ الشرنقة اي تحويلها (باعمال معاكسة لعمل الدودة) الى خيط متواصل

ولا بدّ لنا قبل ان ندخل في بيان كيفية الحل من ذكر بعض التحديدات الجوهرية :

التخنيق — اول الامور التي يجب عملها قتل الجبز الموجود في الشرنقة منعاً له من ان يصير فراشة ويثقب الشرنقة لان خيطها الوحيد المتصل يتقطع في نقط عديدة فتصبح غير صالحة للتفريغ · ويخنق الجبز بتعريضه الى حرارة شديدة في محل محكم الاقفال يطلق فيهِ مجرى من الهواء الحارّ او البخار

سلق الشرانق — تتركب الشرنقة من خيط الحرير ومن مادة صمغية متماسكة لها خاصة التصلب في الهواء واللين في الماء الحار وتتجمد هذه المادة عند خروجها من فم الدودة وتعرضها للهواء تصبح الشرنقة صلبة شديدة

ان الامر الثاني الذي يلزم عمله في حل الشرانق هو تليين الصمغ الذي يحول دون حلّ خيط الحرير والسبيل الى ذلك يكون بجعل الشرانق في ماء تبلغ درجة حرارتهِ ١٠٠ درجة سنتيغراد وتحريكها حركة دورانية وهذا ما يسمونهُ السلق

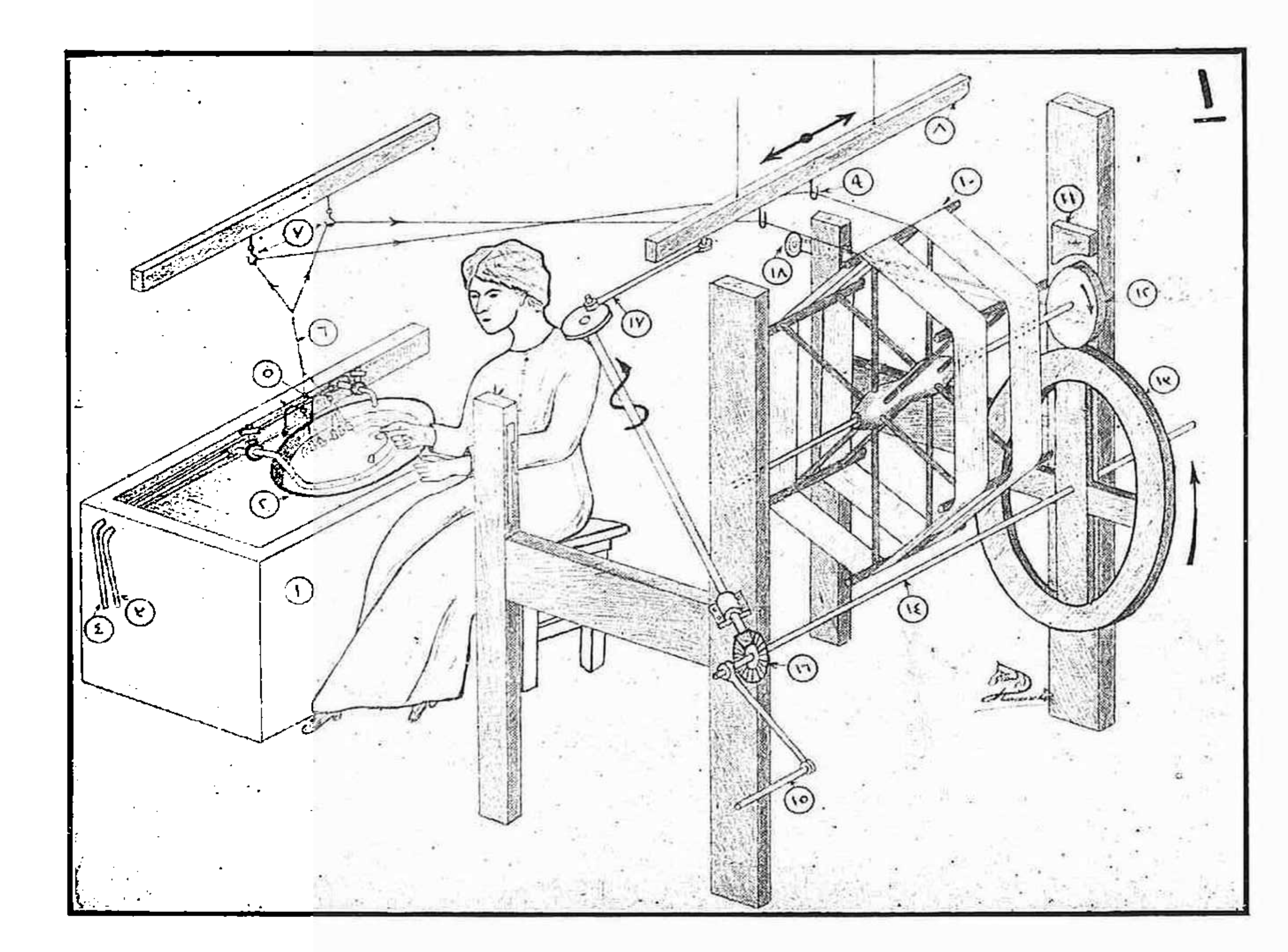
تصفية الشرانق — ان ثالث اعمال الحل هو امساك خيط الشرنقة الخارجي ونزع القسم الذي لا يصلح منهُ للاستعمال ويسمّون هذا العمل التصفية

عندما تسلق الشرانق تعلق خيوطها على وبر « الفرشاية » فتمسك العاملة هذه الخيوط وتقطع منها القسم الذي لا يصلح للاستعمال وتجمعهُ على حدة فيتألف منهُ مادة تدعى مشاقة

دقّة خيط الشرنقة — عند خروج الشرنقة من التصفية تصبح معدّة للتفريغ ولا يبقى سوى جذب الخيط لاتمام هذا التفريغ · فلو حللنا الشرنقة يمكننا الحصول على خيط يتراوح طولهُ بين ٥٠٠ و ١٢٠٠ متر حسب جنس الشرنقة غير انهُ اذا كان منفرداً لا يصلح للاستعمال نظراً لدقته ورفاعته

جمع خيوط عدّة شرانق — بما ان دقة خيط الشرنقة تجعلهُ غير صالح للاستعمال في الصناعة تراهم يجمعون دائماً خيوط عدّة شرانق فيتألف منها خيط واحد هو الخيط المعروف في التجارة ويدعى « الخيط التجاري »

وهذا العمل يحدث في ذات الوقت الذي يجري فيهِ الحل بينما تكون الشرانق مليّنة بالماء الحارّ فتعلق المادّة الصمغيّة بالخيوط وتتصلب عليها متى تعرّضت للهواء وتصبح جميعها خيطاً واحداً لا يقبل التفريق



ادوات الحلّ المستعملة الان فى جبل لبنان

عيار الخيط التجاري — يعرف ثخن خيط الحرير التجاري من العيار. والعيار المستعمل الآن هو ثقل كمية الحرير الموجودة في خيط يبلغ طوله ٤٧٦ متراً

ووحدة العيار « القمحة » وهي تعادل ٠،٠٥٣١ من الغرام فلو قيل مثلاً ان هذا الخيط التجاري من عيار ١٠ يكون وزن ٤٧٦ متراً منه ١٠ قمحات اي ١٠ × ٠،٠٥٣١ = ٠،٥٣١ من الغرام. ويكون عيار الحرير ٢٠ متى كان وزن ٤٧٦ متراً من الخيط يعادل ٢٠ قمحة اي ٢٠ × ٠،٠٥٣١ = ١،٠٦٢ غراماً ونستنتج من هذه الارقام ان كيلو الحرير الواحد من العيار الذي يجري عليه الحل عموماً في الجبل اي عيار ٩/١١ قمحات يبلغ طوله ٨٩٦،٨٤٣ متراً عدداً صحيحاً

الحل على عمالة واحدة او اكثر — تقدم ان خيط الحرير التجاري يحصل من جمع خيطان عدة شرانق وحلها سوية ومتى اجتمعت هذه الخيوط تلتصق وتصبح خيطاً واحداً . ويقال ان الحل يكون على « عمالة » واحدة عند ما تصنع العاملة في وقت واحد خيطاً تجارياً واحداً فقط ويقال ان الحل يكون على « عمالتين » عندما تصنع العاملة خيطين تجاريين في وقت واحد. اما الشرانق التي تستعمل لتركيب هذين الخيطين فتحل في وقت واحد وفي خلقين واحد ولكن كل خيط على حدة. ويكون الحل على ٣ و ٤ و٥ و ٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ عمالات عندما تصنع العاملة الواحدة في وقت واحد وفي خلقين واحد ٣ و٤ و ٥ و ٦ و٧ و٨ و٩ و ١٠ خيوط تجارية

وصف ادوات معمل حل لبناني

أما وقد ذكرنا اعمال الحل الاولية فاليك الآن وصف الادوات المستعملة في معامل حل الحرير في لبنان :

١ السفرة — (انظر رسم ١ عدد ٥) وهي طاولة توضع عليها الاشياء اللازمة للحل

٢ الخلقين — (رسم ١ العدد ٢) وهو اناء من الحديد او النحاس المبيض وقد يكون من الخزف المشوي المدهون يبلغ فيه الماء الى علو معلوم وتتصل اليه الحرارة من قسطل نحامي يدعى « ماسورة النحاس » يحمل الى الماء البخار الذي يتولد في مرجل المعمل وتكون حرارة الماء ١٠٠ سنتيغراد وقت سلق الشرانق ثم تخفف الى ٧٠ او ٦٠ درجة وقت الحل

٣ العمالة — (رسم ١ عدد ٥) وهي دائرة صغيرة من الفولاذ او الفخار او الزجاج او العقيق وموقعها فوق الخلقين على علو ١٠ او ١٢ سنتيمتراً عن سطح الماء وهي مثقوبة في وسطها ثقباً صغيراً تدخل فيه العاملة عدداً مناسباً من خيوط الشرانق فلا تلبث هذه الخيوط ان تلتحم ليتألف منها الخيط المعروف في التجارة . ولا يوجد في اكثر معامل الجبل سوى عمالتين لكل خلقين. اما وجود اربع عمالات او اكثر للخلقين الواحد فهو قليل جداً

٤ البرمة (رسم ١ عدد ٦) غايتها جعل الخيوط المتعددة التي يتألف منها الخيط التجاري شديدة

الانحام ليكون هذا الخيط مستديراً بصورة متناسبة على كامل طوله . و « البرمة » تساعد على ازالة الرطوبة من الخيط وتنشيفه وايقاف الاوساخ التي تعلق به احياناً . والبرمة طرق مختلفة والمستعملة في لبنان هي الطريقة الفرنساوية (Chambon) وهي عبارة عن التفاف الخيطين على بعضهما بعد خروجهما من العالات وهذا الالتفاف يكون بين ١٥٠ الى ٢٠٠ برمة

٥ السنانير — ثم تتجه هذه الخيوط على استقامة نحو سنانير من القزاز (رسم ١ عدد ٧) معلقة في خشبة موضوعة على ٨٠ سنتيمتراً تقريباً فوق الخلقين

٦ سير خيط الحرير — ثم تتجه الخيوط من هذه السنانير على استقامة افقية نحو خطافات من الزجاج (رسم ١ عدد ٩) معلقة في الفرس (رسم ١ عدد ٨) ثم نحو دولاب الحل (دولاب الحلالة) (رسم ١ عدد ١٠) ولكن بين السنانير والخطافات تبرم الخيوط على بعضها برمة جديدة

٧ الفرس — هي عبارة عن مسطرة افقية (رسم ١ عدد ٨) معلقة بخيوط عمودية وفيها من خطافات الزجاج الصغيرة (رسم ١ عدد ٩) بقدر العالات الموجودة في الخلقين . وتتحرك الفرس ذهاباً واياباً بحركة افقية مستقيمة والغاية من هذه الحركة ان يتخذ خيط الحرير في التفافه على الدولاب شكلاً لولبياً بنوع ان لا يلتف الخيط على الموضع ذاته من الدولاب في دورتين متتابعتين وذلك منعاً لاجتماع الخيوط وهي رطبة على الموضع ذاته من الدولاب لئلا تلتصق على بعضها وتصبح قطعة واحدة يتعذر تفريقها

٨ دولاب الحل — (رسم ١ عدد ١٠) وهو يتألف — لكل عاملتين — من دائرة كبيرة بشكل مضلع سداسي منتظم يتحرك حركة دورانية تختلف سرعتها بين ٤٠ و ١٠٠ دورة في الدقيقة واضلاعه هي صفائح من الخشب يلتف عليها الخيط المتجه نحوها من الفرس

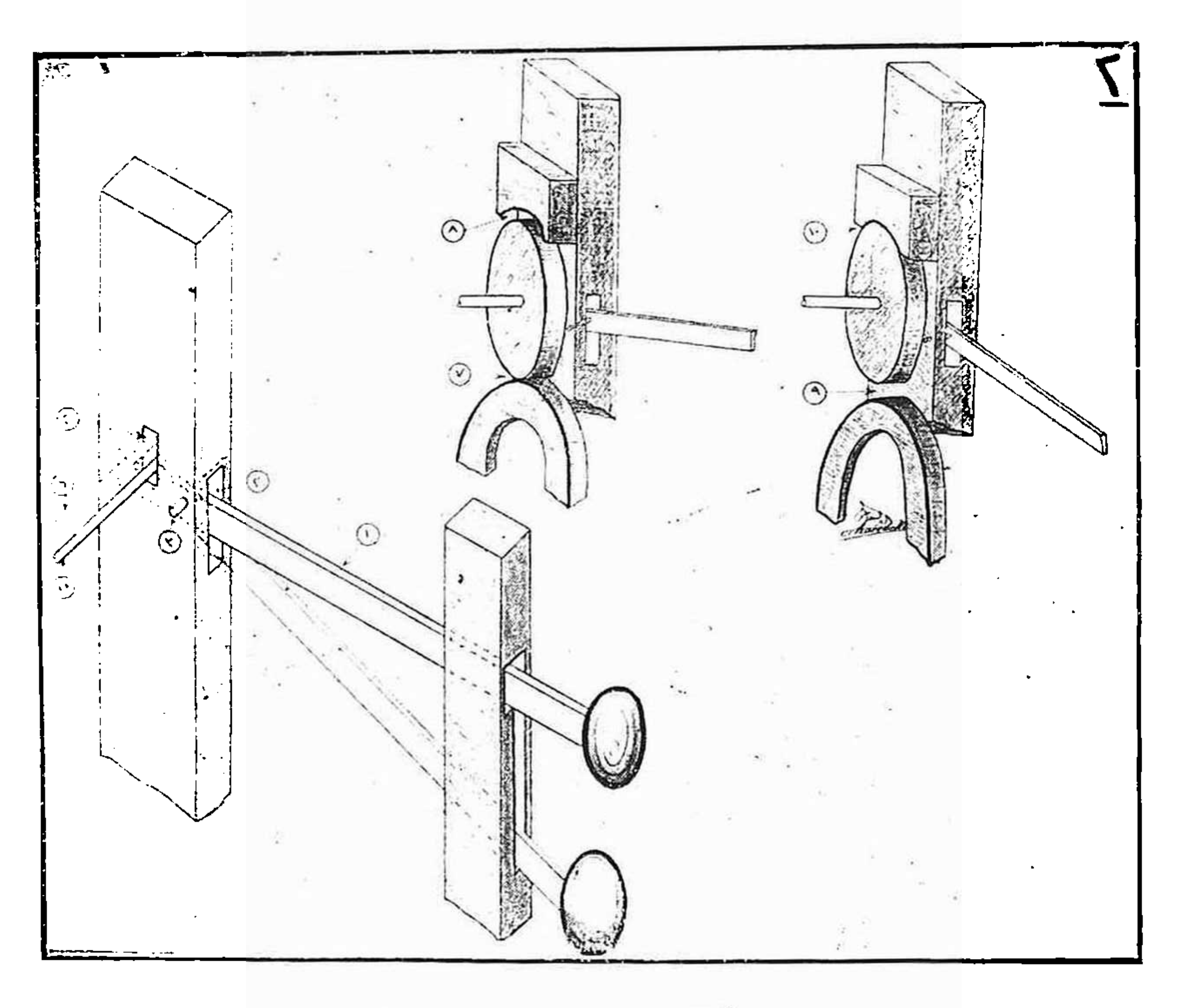
٩ كيفية انتقال الحركة — يتحرك دولاب الحل بواسطة العقرب (رسم ١ عدد ١٥) الذي يبرمه رجل مختص بذلك وهذا العقرب ينقل الحركة الدورانية الى الجسر (رسم ١ عدد ١٤) الذي يتركز عليه الدولاب الكبير (رسم ١ عدد ١٣) وتنتقل حركة هذا الدولاب الدورانية بواسطة الاحتكاك الى دولاب آخر صغير يدعى « كراج » (رسم ١ عدد ١٢) متصل رأساً بدولاب الحل ويعطيه الحركة الدورانية المطلوبة

يوجد على الجسر (رسم ١ عدد ١٤) « اسنان » قائمة الزوايا تسمى طاحوناً (رسم ١ عدد ١٦) وهي التي تنقل الحركة الى الفرس (رسم ١ عدد ٨) لانها تحوّل الحركة الدورانية الى حركة مستقيمة بواسطة المسكة (رسم ١ عدد ١٧) فتتذبذب الفرس بحركة ذهابية ايابية

هذه هي عموم ادوات معامل الحل في الجبل وسنرى ان المعامل الاوربية واليابانية تحتوي على غير ذلك من الادوات التي من شأنها الاسراع بالعمل وتحسينه والاقتصاد فيه

كيف يحل الحرير

يسهل علينا بعد أن وصفنا ادوات معامل الحرير ان نتتبع حركات العاملة التي تريد ان تحل الشرانق



رسم الدلالة على كيفية تحريك وايقاف دواليب الحمل

اولاً تضع العاملة الشرانق في خلقين مملوء ماء درجة حرارته ١٠٠ سنتيغراد وذلك لتطرية الصمغ الموجود فيها ثم تحركها بفرشاية مخصوصة لتعطيها حركة دوران سريع والغاية من هذا التحريك تجريد الشرنقة من الطبقة الاولى التي نسجتها الدودة في بدء عملها وهذا ما يسمونهُ « الملق »

وتتابع العاملة تحريك الشرانق حتى تزول عنها الطبقة الخارجية وتصادف خيطاً متيناً يسمح بكرّها بدون ان تتعرض للقطع . هذا ويجب ان تحفظ مياه الخلقين نقية صافية على قدر الامكان . ثم تخفض حرارة الماء الى ٧٠ درجة سنتيغراد للشرانق السميكة والى ٦٠ درجة للرقيقة وبعد ذلك تأخذ العاملة من خيوط هذه الشرانق عدداً يناسب العيار المطلوب وتدخلها في ثقب العمّالة وتضع خيطاً آخر كالخيط الاول وتدخلهُ في ثقب العمالة الثانية وتعطي لهذين الخيطين البرمة المناسبة وتعلقها على السنانير وتبرمها برمة اخرى وتضعها على خطافات الفرس وتربطها بدولاب الحل

امّا تحريك هذا الدولاب وايقافهُ فيكون بواسطة الآلة المبيَّنة في (الرسم ٢)

واليك بيان ذلك :

عند ما يتحرَّك دولاب الحلّ تكون اليد « المسكة » (عدد ١) في مركزها الاعلى ويأخذ جسر دولاب الحلّ الموضع (عدد ٢) وهكذا يحتك الكراج الصغير على الدولاب المحرّك (عدد ٧) فيتحرَّك بحركتهِ دولاب الحلّ

اما اذا ارادت العاملة ايقاف دولاب الحلّ عن الحركة فتضغط على اليد (عدد ١) وتنزلها من مقامها الاعلى الى مقامها الاسفل في كعب الفرض (عدد ٢) اما المسكة فتحرَّك حول الثقب (عدد ٣) ويرتفع طرفها الداخلي فيجذب بارتفاعه جسر دولاب الحلّ كما هو مبين في (عدد ٦) وهكذا ينفصل الكراج الصغير عن الدولاب الكبير المحرّك (عدد ٩) ليحتك في الكف الخشبي (عدد ١٠) الى ان تنقطع حركته

ان دوران دولاب الحلّ يجذب خيط الحرير فيلتف عليهِ وذلك بعد مروره على الخطافة (رسم ١ عدد ٩) والسنانير (رسم ١ عدد ٧) وعلى البرمة (رسم ١ عدد ٦) والعمالة (رسم ١ عدد ٥) ويستمد الخيط طوله من كرّ الشرانق التي تراها تقفز وتتحرَّك في ماء الخلقين وتبقى محفوظة فيهِ بجاذبية ثقلها . اما العاملة فلا يبقى عليها سوى الملاحظة حتى إذا انقطع خيط احدى الشرانق تعيدها الى الساق وتسرع بامساك خيط شرنقة اخرى تكون قد اعدّتها لهذه الغاية وترميهِ بسرعة تحت العمالة على خيوط سائر الشرانق التي تكون في حالة التفريغ فيلتحم هذا الخيط مع غيره عند مروره في ثقب العمالة

اما إذا انقطع الخيط التجاري اي المؤلف من خيوط عدة شرانق فينبغي على العاملة ان توقف حالاً حركة دولاب الحلّ لتصلح الخيط المقطوع وتعيد البرمة إذا اقتضى الامر

متى فرغ خيط احدى الشرانق تضع العاملة مكانها بسرعة شرنقة اخرى تكون قد اعدّتها سابقاً لهذه الغاية وترمي خيط الشرنقة الجديدة تحت العمالة على خيوط سائر الشرانق التي تكون في حالة التفريغ

بما ان العاملة تلتزم ان تضع يدها غالباً في ماء الخلقين الحار يوضع على مقربة منها إناء فيهِ ماء بارد لتغمس

فيه يدها من وقت الى آخر

على العاملة الحاذقة ان تتجنب احداث « الشلط » (وهو ان تجمع بعض الخيوط في نقطة واحدة بصورة لا تناسب عموم الخيط التجاري) . وقد يتسبب الشلط احياناً عن جنس الشرانق ولكنهُ يحدث غالباً عند ما ينتهي او ينقطع خيط احدى الشرانق وترمي العاملة الخيط الجديد تحت « العالة » فلو رمت خيطاً طويلاً ورمتهُ على ارتفاع غير مناسب يحدث منهُ « شلطة » . فهرباً من حدوث « الشلط » يجب ان يُرمى الخيط الجديد واطياً وان يكون قصيراً على قدر الامكان او كما يقولون « ان توطي العاملة وتقصر في تلقيم دعمها »

ومن الواجب الاعتناء بوصل الخيط التجاري إذا انقطع وصلاً دقيقاً وتشديد البرمة وتطويلها والانتباه الكلي للمحافظة على عيار الخيط وذلك بجعل عدد شرانق الخيط الواحد على نسبة مخصوصة

متى انقطع خيط احدى الشرانق تمضي مدة قبل ان تتمكن العاملة من ملافاة الخلل ويبقى في هذه المدة دولاب الحل متحركاً فيتسبب عن ذلك التفاف ٢٠و٣٠ و٥٠ متراً لا تحتوي على العدد المطلوب من الخيوط لاتمام العيار . وبديهي ان هذا الامر إذا تكرر واذا اضاعت العاملة الوقت قبل ان تستبدل الخيط المقطوع يتغير العيار

كلما تقدمنا في حل الشرنقة نحو طرفها الداخلي كلما خف وزن خيطها وازداد دقة فالـ ٤٧٦ متراً التي تستخرج من الطرف الخارجي تزن تقريباً ٣ قمحات . هذا في شرانق الجنس العادي ومتى استخرج نصف خيط الشرنقة تقريباً يصبح عيارها قمحتين وتدعى « مسلوبة قوية » . وقرب انتهاء الخيط يصبح العيار قمحة واحدة وتدعى الشرنقة « مسلوبة ضعيفة »

فمن اراد الحصول على خيط من عيار ٩/١١ مثلاً يجب عليهِ ان يحل بالصورة الآتية :

٣ شرانق جديدة عيار ٣ قمحات = ٣ × ٣ = ٩ قمحات

او
٢ « جديدة « ٣ « = ٦ «
٢ « مسلوبة قوية « ٢ « = ٤ «
يكون ١٠ «

او يحل بصورة أُخرى :

٢ شرانق جديدة = ٣ قمحات = ٦ قمحات
٣ « مسلوبة ضعيفة = ١ « = ٣ «
يكون ٩ = ٩ «

او :

١ شرنقة جديدة عيار ٣ = ٣
٢ مسلوبة قوية « ٢ = ٤
٢ « ضعيفة « ١ = ٢

يكون ٩ = ٩ قمحات

للحصول على عيار $\frac{١٢}{١٥}$ يجب ان تستعمل الشرانق على الصورة الآتية :

٣ شرانق جديدة عيار ٣ = ٩
٣ مسلوبة قوية « ٢ = ٦

يكون ١٥ = ١٥ قمحة

او :

٢ شرانق جديدة عيار ٣ = ٦
٢ مسلوبة قويـة « ٢ = ٤
٤ « ضعيفة « ١ = ٤

يكون ١٤ = ١٤ قمحة

يتضح مما تقدّم ان عدد الشرانق لا تأثير له في عيار الحرير وانما ينظر الى اجناسها وحالة تقدمها في الكر. ويظهر جليًّا ان هذه الصناعة تختلف عن سائر الصناعات النسيجية كالصوف والقطن والقنب والكتان وغيرها لما تستلزم من المهارة والدقة لان مهارة العملة في هذه الصناعة هي من أكبر عوامل التقدم ودواعي الاقتصاد

اكلاف الحل

على الطرق المستعملة الآن في الجبل

فلندرس الآن كم يتكلف صاحب المعمل اللبناني لحل كيلو حرير واحد :

على الطريقة المستعملة حاليًّا في لبنان اي الحلّ على عالتين على الطريقة الافرنسية (Chambon) تحلّ العاملة في الساعة ٢٠ غرامًا من عيار ١٠/١ . فلنتخذ مثلاً قاعدةً لدرسنا معملاً أكبر يحتوي على ٨٠ خاقينًا تحلّ حريراً من الجنس المتوسط كما هي الحالة في ٨٥ بالمائة من المعامل اللبنانية . اما الثمن فنجعله الحد الاوسط اسعار الحرير في سنتي ١٩١٣— ١٩١٤

٨٠ عاملة (حلاّلة) باجرة ٤ غروش = ٣٢٠
٤ نظّار « ٨ « = ٣٢

٦ برامون	باجرة ٥ غروش	=	٣٠
٢ مشاقات	« ٤ «	=	٨
٢ خادمان	« ٣ «	=	٦
٠,٥ نصف طن فحم سعر	« ٢٥٠	=	١٢٥
يكون			٥٢١
مصارفات غير منتظرة ٥ بالمائة تقريباً			٢٩
يكون عمومي			٥٥٠

فلو قدرنا ان العاملة تشتغل ١١ ساعة في اليوم يكون معدل الحرير الذي يحل في اليوم في معمل كالمعمل المتقدم ذكره كما يأتي :

١١ × ٠,٢٠ غرام × ٨٠ = ١٧ كيلو و ٦٠٠ غرام

فتكون اكلاف الكيلو الواحد :

٥٥٠ : ١٧,٦٠ = ٣١,٢٥

وقد يمكن تخفيف هذه الاكلاف قليلاً اذا ساعدت على ذلك بعض الظروف الخصوصية كوجود بعض المعامل قرب الغابات الكثيفة فيتسهل لها مشترى الوقود بارخص الاسعار او في الجبال العالية حيث ترخص اجور العملة . الى غير ذلك من الاسباب الموضعية

اما في السواحل فالامر بالعكس ولهذا قد جعلنا ٣١,٢٥ او ٣١ غرشاً حدًّا اوسط لاكلاف كيلو الحرير في الجبل

نظرة اقتصادية في صناعة الحل في الجبل

فلنلق نظرة اقتصادية على حالة معامل الحل في الجبل

تتغير اسعار الحرير بالنظر الى اجناسه وهي ثلاثة : الحرير الممتاز . الجنس الاول . الجنس الثاني . وتتغير نظراً للحاصلات وللرواج بالنسبة الى حاصلات معامل اوربا والشرق الاقصى والى رواج هذا الصنف في اسواق اوربا واميركا الشمالية

أما رواج الحرير فيتوقف على اهواء ورغائب « الموضة » واليُسر المالي والاقبال العمومي . وقد كانوا يعتقدون ان الحرير من المواد التي لا تصلح سوى للبذخ والرفاه فلا يقبل الناس عليه سوى في سنين الرخاء

والنعيم غير ان الحوادث الاخيرة في هذه الاحوال الحاضرة قد برهنت ان الحرير — مع كونهِ من عوامل التنعم والترف — هو مادّة هامّة لها المقام الاول في صناعات عديدة

اما اسعار شرانق بلادنا فتتغير

١ً) بتغيير اسعار الحرير
٢ً) بالنظر الى حاصلات الشرانق ومقطوعيتها
٣ً) نسبةً الى مواسم ايطاليا وخصوصاً فرنسا
٤ً) نسبة الى حالة معمل الحلّ في فرنسا

فلنتخذ مثالاً رقمياً · ففي سنة ١٩٠٤ مثلاً كانت اسعار كيلو الحرير كما يأتي :

اسم البلاد	جنس الحرير	العيار	السعر فرنكات
حرير فرنسا	الممتاز	١٠/ً ١٢/١١	٥٣
« ايطاليا	«	١٢/١١	٥٢/٥٠
« سوريا	«	١٠/ً	٥٢
« «	الجنس الاول	١٠/ً	٤٩
« «	« الثاني	١٠/ً	٤٧
« بروسه	« الاول	٢٠/١٤	٤٧
« «	« الثاني	٢٠/١٤	٤٦

وفي الوقت نفسه كانت تباع شرانق سوريا بالاسعار الآتية :

شرانق اسكندرونه الممتازة ١١،٢٥ فرنكاً الكيلو

اما في لبنان فكانت اسعار الشرانق في ذلك الوقت تتراوح بين ١٥ و٢١ غرشاً الاقّة حسبما تكون بعيدة عن محلات « بندر » البيع

اما الحرير — او كمية الشرانق اللازمة لحلّ كيلو حرير — فكان سعرها في لبنان ٣٧ فرنكاً وفي مرسيليا ٣٩ فرنكاً

يشتري صاحب المعمل الشرانق ويحوّلها الى حرير

فالفرق الموجود بين السعر الذي يبيع بهِ صاحب المعمل كيلو الحرير والسعر الذي يشتري بهِ كمية الشرانق اللازمة لاستخراج هذا الكيلو يدعى « الهامش » ويضاف الى هذا الهامش قيمة المواد التي تبقى بعد الحلّ (كالمشاقه وغيرها) وهي تعادل من ٤ الى ٦ بالمائة من سعر الحرير وقيمتها بنسبة الاسعار المتقدمة ٢،٥٠ فرنك لكل كيلو حرير · فيكون الهامش كما يأتي :

نوع الحرير	سعر كيلو الحرير	سعر الشرانق اللازمة لكل كيلو	سعر بقايا الحل	الهامش
الحرير الممتاز	٥٢ فرنك	٣٧ فرنك	٢،٥٠ فرنك	= ١٧،٥٠ فرنك
الجنس الاول	٤٩ »	٣٧ »	٢،٥٠ »	= ١٤،٥٠ »
الجنس الثاني	٤٧ »	٣٧ »	٢،٥٠ »	= ١٢،٥٠ »

ويجب ان يقسم هذا « الهامش » الى ثلاثة اقسام :

ا القسم الاول يخصَّص لدفع اكلاف الحل اي الاكلاف التي تستلزمها كمية من الشرانق ليستخرج منها كيلو من حرير. وندعو هذا القسم « اكلاف الحل »

ب القسم الثاني يخصص لدفع فوائط الاموال المخصصة للعمل والسمسرة والنقليات والشحن الى اوربا وغير ذلك وندعو هذا القسم « الفائظ »

ج القسم الثالث هو الفرق الموجود بين « الهامش » و« اكلاف الحل » و« الفائظ » وهو الذي يتألف منهُ ربح صاحب المعمل وندعو هذا القسم « الربح »

ان ما تقدم يسمح لنا ان ندوّن الحالة الاقتصادية في معامل الجبل بصورة معادلة حسابية تكون كما يأتي :
الربح = الهامش — اكلاف الحل — الفائظ . فلنتمكن من فهم موقف المعامل الاقتصادي بالتدقيق يجب علينا ان ندرس كيفية تغيير كل من اقسام المعادلة المذكورة

الربح — يتعلق بالطبع بسائر اجزاء المعادلة المذكورة

الهامش — قد رأينا آنفًا ان الهامش يتعلق بجنس الحرير وانه يبلغ ١٧،٥٠ فرنكاً للحرير الممتاز و١٤،٥٠ لحرير الجنس الاول و١٢،٥٠ لحرير الجنس الثاني

اكلاف الحل — رأينا ان اكلاف كيلو الحرير على الطريقة التي يجري عليها الحلُّ في لبنان (ما عدا كراخين ارملة المسيو كيران واولادها في القريّة) هي ٣١ غرشًا تقريبًا . وعليهِ يمكننا ان نتخذ الارقام الآتية كحدّ اوسط لاكلاف الكيلو الواحد :

اكلاف كيلو الحرير الممتاز	٧،١٠	فرنك
» » من الجنس الاول	٦،٧٠	»
» » » » الثاني	٦،٣٠	»

الفائظ — قيمته ثابتة وهي تعادل ١٠ بالمائة تقريبًا من سعر الحرير . اما اصحاب المعامل ذوو المكانة الاقتصادية والذين لهم في اوربا ممثلون يبيعون الحرير تدريجًا عند استخراجه فيمكنهم ان يخفضوا الفائظ الى ما تحت ١٠ بالمائة غير ان امثال هؤلاء نادر في بلادنا فلا نقدر ان نتخذهم قاعدة للقياس وانما نعدّل حدّ الفائظ الاوسط ١٠ بالماية نسبة الى السواد الاعظم الذي يدفع هذه القيمة .

واليك ما يصيب كيلو الحرير الواحد من هذا الفائظ :

لاصحاب المعامل الذين يحلون الحرير من الجنس الممتاز الفائط الذي يصيب الكيلو ٤،٩٠ فرنكات
« « « « « « « « الاول ٤،٨٠ «
« « « « « « « « الثاني ٤،٧٠ «

الربح — هو الفرق الموجود بين الهامش من جهة وأكلاف الحلّ والفائط من جهة اخرى . ويتغير الربح بنسبة جنس الحرير كما يظهر من الجدول الآتي :

جنس الحرير	الهامش	اكلاف الكيلو	الفائط الذي يصيب كل كيلو	ربح الكيلو
الحرير الممتاز	١٧،٥٠ فرنك	—٧،١٠ فرنك	—٤،٩٠ فرنك	٥،٥٠ فرنك
الجنس الاول	١٤،٥٠ «	—٦،٧٠ «	—٤،٨٠ «	٣، «
« الثاني	١٢،٥٠ «	—٦،٣٠ «	—٤،٧٠ «	١،٥٠ «

وقد ذكرنا فيما تقدّم ان هذه الارقام قد يطرأ عليها بعض التغيير لاسباب خصوصية بيّناها آنفًا ومعدّل هذا التغيير هو بين الفرنك والفرنك ونصف

الراسمال — يشتري اصحاب المعامل الشرانق التي تلزمهم في اول الموسم اي (مدّة القطاف) على اسعار ذلك الوقت فيضطرون الى استعمال المال الكثير لهذه الغاية

يلزم مَن اراد ان يحلّ خمسة آلاف كيلو حرير في السنة الراسمال الآتي :

للمعمل	٣٥،٠٠٠	فرنك
لمشترى الشرانق	١٨٠،٠٠٠	«
في الصندوق	٥،٠٠٠	«
يكون	٢٢٠،٠٠٠	فرنك

فاذا لم تتغير اسعار الحرير واذا طابقت مقطوعية الشرانق على تقدير المشتري تكون ارباح الخمسة آلاف كيلو المذكورة كما يأتي :

جنس الحرير	الربح الصناعي السنوي	ربح الراسمال بعد استخراج الفائط
الحرير الممتاز	٥،٠٠٠ × ٥،٥٠ = ٢٧،٠٠٠ فرنك	١٢،٥ بالمائة
الجنس الاول	٥،٠٠٠ × ٣،٠٠ = ١٥،٠٠٠ «	٦،٨ «
« الثاني	٥،٠٠٠ × ١،٥٠ = ٧،٥٠٠ «	٣،٤ «

تغيُّر اسعار الحرير — قد يحدث بعض الانقلاب في اسعار الحرير وذلك متى تقرَّرت نتائج المواسم في اسواق اوربا واميركا واظهرت « الموضة » رغائبها . فلو حدث ارتفاعٌ ربحَ اصحاب المعامل فرق هذا

الارتفاع . أما اذا هبطت الاسعار ولو هبوطاً جزئياً ٣ فرنكات في الكيلو مثلاً يضطرب موقف اصحاب المعامل . فالذين يحلون الحرير الممتاز يربحون مع ذلك فرنكين في الكيلو . والذين يحلون حريراً من الجنس الاوّل لا ينالهم ربح ولا خسارة اما الذين يحلون من الجنس الثاني فيخسرون فرنكاً ونصف في كل كيلو

واذا بلغ الهبوط الى ٥ فرنكات في الكيلو يخسر الذين يحلون من الجنس الاول فرنكين في الكيلو والذين يحلون من الجنس الثاني يخسرون ٣ فرنكات اما الذين يحلون الحرير الممتاز فلا ينالهم ربح ولا خسارة

فهرباً من مثل هذا التغيير يبيع بعض اصحاب المعامل حريرهم « بيع تسليم » اي انهم يتفقون في اول الموسم مع بعض سماسرة اوربا على ان يقدموا لهم كمية معلومة من الحرير في اوقات معلومة وبسعر يتفقون عليه بموجب مقاولة . أما الاسعار التي يجري الاتفاق عليها فتكون في الغالب اسعار الوقت الذي تُعقَدُ فيه المقاولة . فلو حدث ارتفاع في الاسعار لا يقدر صاحب الحرير بالنظر لارتباطه بالمقاولة المذكورة ان يستفيد منها . وبالضدّ لو هبطت الاسعار لا يتضرر من هبوطها . وعلى هذه الطريقة يكون قد أمَّنَ ربحه الصناعي . وفي الغالب لا يُعقد مثل هذا الاتفاق إلاّ على الحرير الممتاز . اما حرير الجنس الاوّل فتكون المقاولة على بيعه غالباً لمدة قصيرة . ويصعب جدّاً بيع حرير الجنس الثاني على الطريقة المذكورة . فاذا توفق صاحب المعمل الذي يحل من الطبقة الثانية وباع حريره على الطريقة المذكورة فلا يكون ذلك الاّ لمدّة قصيرة جدّاً . مثلاً : يشتري السمسار في اول الموسم على سعر ذلك الوقت كل الحرير الممتاز الذي يقدر ان يحلّهُ صاحب المعمل في مدار السنة ولا يشتري من حرير الجنس الاول سوى الكمية التي يمكنه حلّها في مدّة خمسة او ستة اشهر على الاكثر . اما حرير الجنس الثاني فقلّما « يسلّفون » منهُ على اكثر من محصول ثلاثة اشهر

يتضح مما تقدّم ان موقف الذين يحلون الحرير الممتاز حسن جداً غير انه لا يوجد لسوء الحظ في الجبل سوى معملين يحلان الحرير الممتاز وهما يختصّان الاوربيين و ٨٥ بالمائة من معامل الجبل تحلّ حريراً من الجنس الثاني و ١٣ بالمائة فقط تحل من الجنس الاول . ولهذا نرى الكثيرين يقفلون معاملهم فتحرم البلاد من صناعة كثيرة الفائدة جزيلة الربح

نستنتج مما ذُكِرَ ان نهوض هذه الصناعة يتوقف بالاكثر على تحسين نوع الحرير وجعل الحلّ من الجنس الممتاز . وليس هذا بالامر السهل إذ يقتضي ايضاً معرفة عموم العوامل التي تؤثر على الحلّ وايجاد الادوات الحديثة التي تمكّن من الحصول على الحرير الممتاز بسهولة

امّا الادوات الحديثة فاستعمالها عمومي في ايطاليا وهي على انتشار سريع في فرنسا وبلاد اليابان

ولا يقتصر فضل هذه الادوات على حل الحرير الممتاز بل تقتصد في الوقت والعمل وتخفف الاكلاف والاجور تخفيفاً عظيماً وتضمن لصاحب المعمل ربحاً صناعياً صافياً يعادل ٨ فرنكات في كل كيلو حرير . وقد سبق القول ان الجبل يقدر ان يحلّ ٤٠٠,٠٠٠ كيلو حرير سنوياً وهي كمية عظيمة مدهشة تعود على اصحاب المعامل بربح ٣,٢٠٠,٠٠٠ فرنك سنوياً . هذا مع صرف النظر عن الاجور التي ينتفع بها العمّال اللبنانيون .

فيتضح جليًا ان لادوات الحلّ الحديثة تأثيراً اقتصاديًا كبيرًا فانها تنهض بصناعة هي حياة الجبل وثروته

معامل الحرير الحديثة ومميزاتها

منذ بضع سنين كانت حالة المعامل الايطالية اشدّ حرجًا وأدعى الى التلق من حالة المعامل اللبنانية الآن واصبح خرابها امراً محتومًا لو لم ينشط الايطاليون الى اتخاذ الوسائل الفعالة السريعة لانهاض هذه الصناعة

لقد اثبتنا في الفصل الماضي المعادلة الآتية : الربح = الهامش - كلف الحلّ - فائدة المال - فزيادة الربح تستلزم زيادة الهامش وتخفيف كلف الحلّ

وقد تقدّم ان خفض الفائدة ليس في طاقتنا لانهُ يتعلق بامور لا نقدر ان نؤثر فيها بوجه من الوجوه - يراد بزيادة الهامش حل الحرير الممتاز - والغاية من تخفيف كلف الحلّ ان يربح صاحب المعمل فرق هذه الكلف - وقد حلّت العلوم الميكانيكية الحديثة هاتين المسألتين حلاً مرضيًا

إن تقسيم العمل هو القاعدة الاساسية في تحسين هذا الفنّ فبدلاً من ان تسلّم اعمال السلق والتصنية والغزل والتعقيد الى عاملة واحدة كما يصنعون في اكثر معامل الجبل تراهم في المعامل الحديثة يسلّمون كلاً من هذه الاعمال الى فتاة مخصوصة لانهُ قد ظهر بالاختبار ان العاملة تضيّع ٢٥ بالمائة من وقتها لسلق الشرانق وتصفيتها و١٥ بالمائة لعقد الخيوط التي تنقطع - وتلاقي صعوبة كبيرة في مراقبة عمالاتها وتلقيمها - ولهذا تراهم قد سلّموا امر سلق الشرانق وتصفيتها الى عاملات مختصات بذلك تشتغل في خلاقين خصوصية تدعى خلاقين السلق - وتُنقل الشرانق من خلاقين السلق الى خلاقين الحل فلا يبقى على الفتاة التي تحلّ سوى تلقيم عمّالاتها وملاحظتها - امّا عقد الخيوط التي تنقطع اثناء الحل فمنوط بعاملة مخصوصة مركزها بين الخلقين ودواليب الحل ولا يكون لها عمل سوى عقد الخيوط التي تنقطع فوق العمّالة وتجديد البرمة عند اللزوم - وقد حسنوا طريقة البرم فجعلوا لكل خيط برمة خصوصية مستقلة عن برمة الخيط الآخر - فتقسيم العمل على هذه الصورة يسمح بزيادة المحصول ويساعد على الاقتصاد في الوقت ودقّة العمل وتناسبه - اما جعل السلق والتصفية في خلاقين مخصوصة فيسمح بالاقتصاد في الوقود اقتصاداً كبيراً لانهُ عندما كانت تسلق الشرانق وتحلّ في خلقين واحد كانت تسخن المياه الى ١٠٠ درجة سنتيغراد وقت السلق ثم تخفض الى ٧٠ واحيانًا الى ٦٠ درجة سنتيغراد وقت الحل - ولا يخفى ما ينتج عن تغيير الحرارة من الخسارة في الوقود وخصوصًا بسبب تكرار هذا العمل كلما اضيفت شرانق جديدة الى الخلقين

اما الآن فتراهم يرفعون حرارة كل من خلاقين السلق والحل المستقلة الى الدرجة المطلوبة وتبقى حرارتها محفوظة بدون تغيير الى نهاية العمل

ومن مميزات المعامل الحديثة « تنشيف » الحرير من الرطوبة تدريجًا كلما التفّ منهُ قسم على دولاب الحل - اما في الماضي فقد كانوا يتوصلون الى ذلك بتسخين قاعات الشغل ولا يخفى ما ينتج عن هذا من الكلف والضرر بصحة العملة

ان دولاب الحل في المعامل الحديثة صغير الحجم يبلغ قطره ٥٠ سنتيمتراً بدلاً من ٨٠ و ٩٠ سنتي كما كان قبلاً . وتدور الدواليب في صناديق من الخشب مقفلة من كل جهاتها الا جهة واحدة يدخل منها الخيط ويحمى من داخلها بقسطل يمتد في الصندوق على كل طوله ولهذا القسطل الرئيسي تشعبات تنقل البخار الى خلاقين السلق والحل

وقد اعتاضوا عن خبط الشرانق بالايدي بالخبط الميكانيكي الذي يجري بواسطة فرشاية مستديرة تتحرك حول جسر هو نقطة استنادها. وقطر هذه الفرشاية يعادل تقريباً قطر الخلقين. فاذا ارادوا سلق الشرانق وضعوها في الخلقين وانزلوا عليها الفرشاية . ثم يفتح مجرى بخاري فتسخن المياه وتتحرك الفرشاية في ذات الوقت حركة دورية منتظمة من اليمين الى الشمال وبالعكس . ولهذه الفرشاية آلة مخصوصة تحدد عدد الدورات اللازمة لسلق الشرانق سلقاً كافياً وذلك نسبة الى جنسها وبعد ان تدور الفرشاية الدورات المطلوبة ينقطع البخار وتقف عن الحركة وترتفع من نفسها فتجمع العاملة الشرانق وتبتدئ بتصفيتها . وتشتغل العاملة الواحدة على خلقينين فتصفي شرانق الخلقين الواحد بينما تدور الفرشاية في الخلقين الآخر. وعند ما تنتهي من التصفية تملأ الخلقين الثاني بشرانق جديدة وتنزل الفرشاية و يفتح المجرى البخاري فيبتدئ السلق وبهذه البرهة تكون قد وقفت فرشاية الخلقين الاول فتقبل على تصفية الشرانق الموجودة فيه وهكذا تتناوب العمل بصورة منتظمة و بدون ان تضيع شيئاً من الوقت

امّا الآلة المعدة لان تلعب دوراً هامّاً في الحل على الطريقة الحديثة فهي العمّالة الميكانيكية واليك وصفها :

العمّالة الميكانيكيّة — العمالة الميكانيكية آلة غايتها ان تنوب عن العاملة برمي خيط الشرنقة على الخيط التجاري الذي يكون في حالة التفريغ . ورمي الخيط من ادق اعمال الحل وقد لا يعلق بسائر الخيوط من المرّة الاولى فتلتزم العاملة الى اعادة رميه مرّة ثانية وثالثة ورابعة بل اكثر ولا يخفى ما يتسبب عن ذلك من الاختلال في وحدة وتناسب عيار الحرير. ومن جهة اخرى فان العاملة ترمي في الغالب خيطاً طويلاً وفي مكان انئى من النقطة المطلوبة فيلتف على سائر الخيوط ويحدث منهُ تضخم او كتلة تختلف في الحجم وقد يتسبب عنها « شلطة » وتزداد صعوبة التلقيم كلما خفت سرعة الحل وهذا ناتج من كيفية ارتباط الخيط الذي يرمى تحت العمالة بسائر الخيوط التي تكون في حالة التفريغ

وتتعلق سرعة الحل بجنس الشرانق فلو جرى تفريغ الشرنقة بسرعة يصبح خيطها معرضاً للتعطيل سواء تسبب ذلك عن زيادة سلقها او قلته فلو حدث اقلّ مقاومة اثناء التفريغ ترتفع الشرنقة من الخلقين نحو العمالة فينقطع خيطها او خيط احدى الشرانق الباقية او تسبب « شلطة »

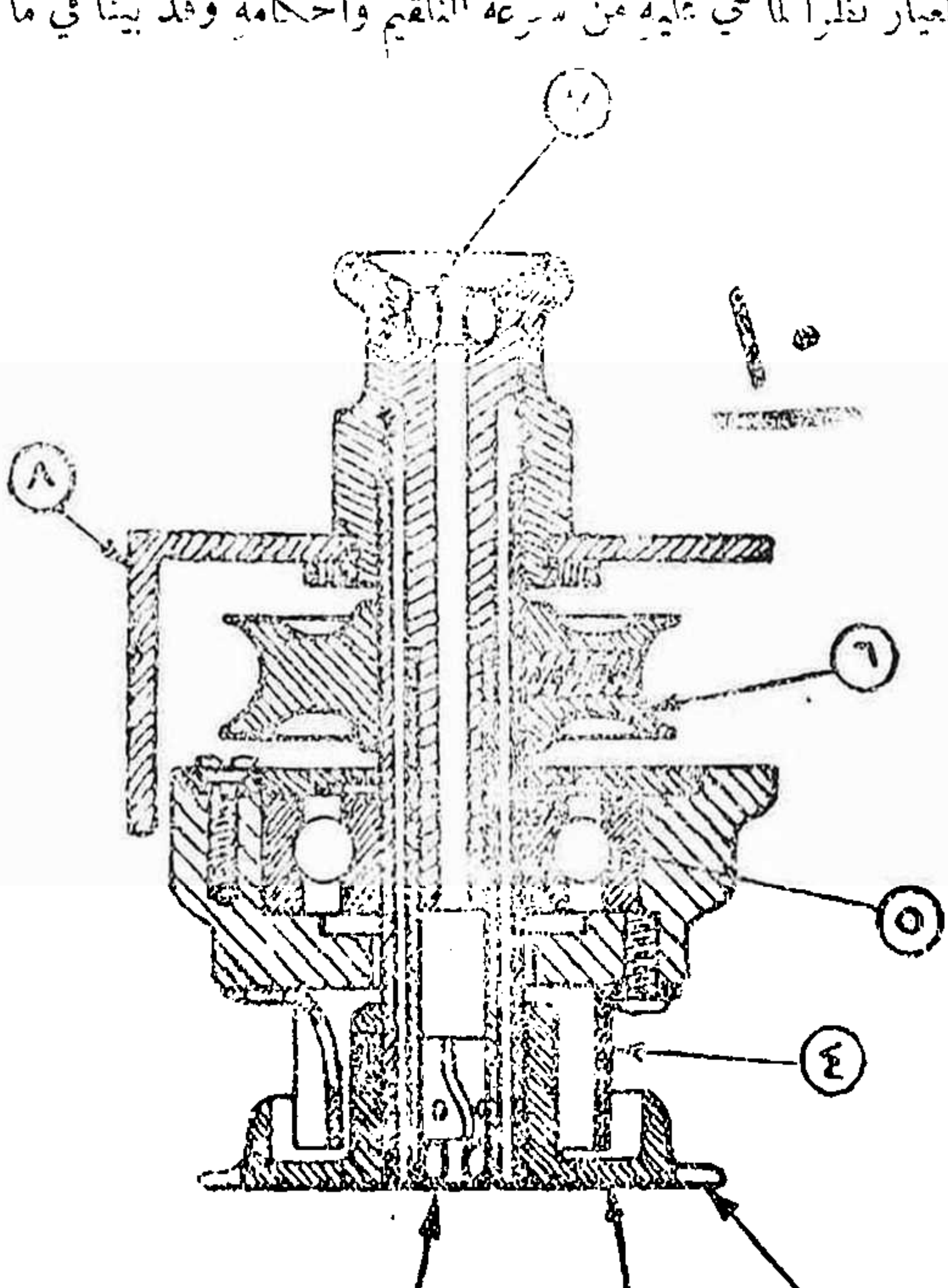
ولذا يقتضي تخفيف سرعة الحل فينتج عن هذا نقص في الكمية التي تستخرجها كل عاملة وبما ان الحرير يباع بالوزن ترتفع الكلف بنسبة فرق سرعة الحلّ وكلما ازداد عيار الحرير في الدقة ارتفعت كلفهُ نظراً لما تلاقي العاملة من الصعوبة في التلقيم

وتتضح لنا اهمية هذه السرعة اذا علمنا ان شرانق سوريا الجيدة يمكن ان تحلّ بسرعة ٢٥٠ الى ٣٠٠ متر في الدقيقة اما الشرانق العاطلة والشرانق الهندية فلا يمكن حلها على اكثر من سرعة ١٠٠ متر في الدقيقة · ويقتضي لحلّها ظروف مخصوصة وعملة في غاية الحذق والمهارة

اما في المعامل الحديثة فحلّ الشرانق العاطلة سهل جدًّا لسببين الاوّل وجود العمالات الميكانيكية التي ترمي خيط الشرنقة رميًا محكمًا فيلتحم على سائر الخيوط احسن التحام والثاني تخفيف سرعة الحلّ · وقد زادوا عدد العمالات في كل خلقين تعويضًا لما خسروه من السرعة واقتصاداً في الوقت فتراهم يغزلون على ٨ او ١٠ عمالات وتلاحظ الفتاة العشر العمالات بنفس السهولة التي تلاحظ فيها عمالتين او ثلاثًا

ان ما تسمح به الادوات الحديثة من امكان حل الشرانق العاطلة وشرانق بعض الاجناس الاسيوية لفائدةٌ كبرى ونفع جليل لان لهذه الشرانق مزايا تعادل احيانًا شرانق سوريا الجيدة

وتساعد العمّالة الميكانيكية على تناسب العيار نظراً لما هي عليه من سرعة التلقيم واحكامه وقد بيّنا في ما تقدم اهمية هذه السرعة في وحدة العيار ·



ومن فضائلها ايضاً تقصير المدة للذين يريدون ان يتعلموا هذه الصناعة

انّ العمالة الميكانيكية هي من اهم الادوات التي تسهّل بلوغ الغايات التي يطمح اليها اختصاصيّو فنّ الحلّ وهي :

١ً) التأني في الحلّ محافظةً على تناسب العيار وتوصلاً الى حلّ الشرانق الاسيوية الصغيرة

٢ً) الحلّ على عددٍ كثير من العمالات كي لا يقلّ محصول الخلقين

واليك وصف هذه الآلة التي اثّرت في فنّ الحلّ تأثيراً كبيراً والتي ستلعب في مستقبله دوراً مهاً

وصف العمالة الميكانيكية

ان الرسم ١٠ هو رسم مقطع نصفي لعمّالة ميكانيكية · فالعددان ١ و ٧ هما حجرا عقيق مثقوبان يدخل في ثقبهما الخيط

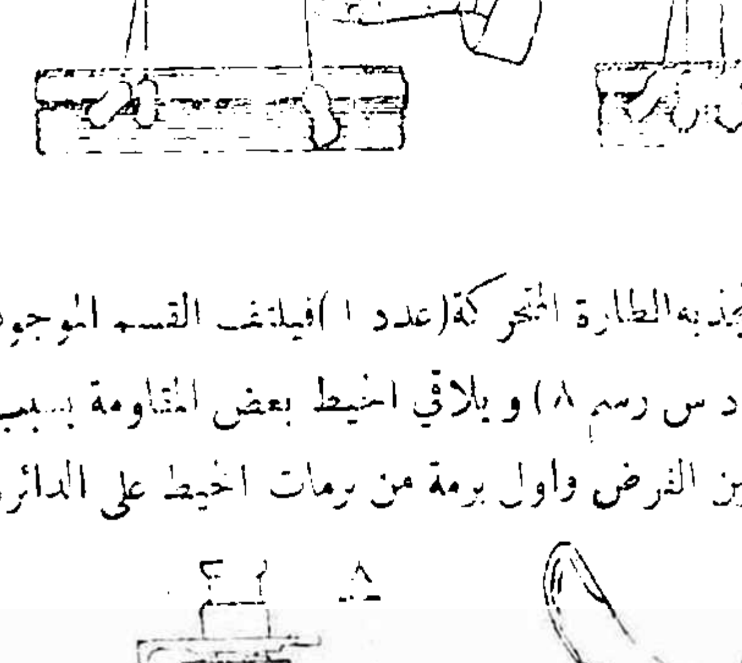
العدد ٢ يشير الى دولاب يتحرّك بسرعة شديدة وعلى اطرافهِ الفروض (عدد ٣)

« ٤ اسطوانة ثابتة لا تتحرّك

العدد ٨ مقام ثابت يحمل العمالات ويكون عليه من ٨ الى ١٠ عمالات

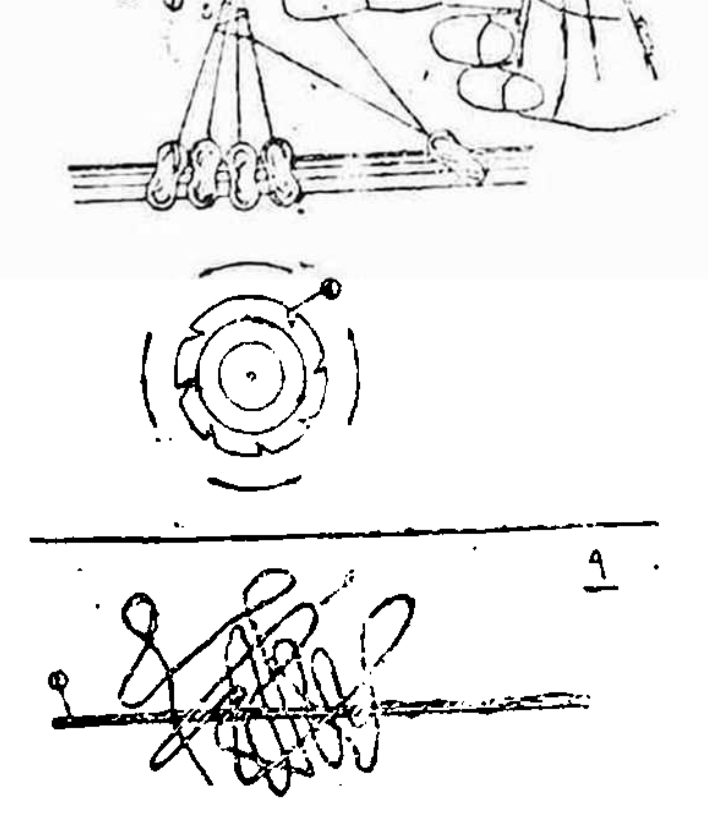
« ٥ كرات صقيلة موضوعة لتسهيل حركة القسم المتحرك على القسم الثابت

« ٦ بكرة يعلّق فيها السير الذي يوصل الحركة الدورية الى الدولاب (عدد ٣) ومنهم مَن يعتاض عنها باسنان تشتبك في بعضها



الرسم ٧ يدلك على الطريقة التي تستعملها الفتاة لتلقيم عالة الميكانيكية فانها تمسك خيط الحرير وتقدمه الى الدولاب رافعة السبابة عن الوسطى فيعلق الخيط بفروض الدولاب و يتم التلقيم

متى علق الخيط بفروض الدولاب (رسم ٨ عدد ٤) تجذبه الطارة المتحركة(عدد ١)فيلتف القسم الموجود فوق الفرض على الدولاب الثابت (عدد ٣) كما هو مبين في (د س رسم ٨) و يلاقي الخيط بعض المقاومة بسبب احتكاكه على الاسطوانة الثابتة فتحصل القوة الواقعة بين الفرض واول برمة من برمات الخيط على الدائرة الثابتة . فتلامس قطعة الخيط الموجودة تحت الفرض خيوط سائر الشرانق وتلتف عليها « ح » فنعقد بسبب حركة الدولاب الدورية (عدد ١)



بما ان جميع الخيوط مجذوبة الى فوق بقوة دولاب الحل يقع الضغط على قطعة الخيط الموجودة بين العقدة والفرض . ويتضح من الاختبار والملاحظة ان القوة الواقعة على قطعة الخيط الموجودة بين الفرض والاسطوانة الثابتة هي اشد من القوة الموجودة بين الفرض والعقدة « ح » فينقطع الخيط عند الضغط الاقوى اي في « ب د » ومتى انقطع تجذبه العقدة بقوة دولاب الحل فيلتحم الخيط الجديد بسائر الخيوط التحاماً تاماً . وهكذا يجري التلقيم الميكانيكي بسرعة عجيبة وبدون ان تهتم العاملة سوى بتقديم الخيط الى العالة



يكفي لاظهار الفرق العظيم الموجود بين التلقيم الميكانيكي وتلقيم اليد ان ننظر الى الرسم ٩ حيث يمثل العدد

١ و ٢ التلقيم باليد والعدد ٣ و ٤ التلقيم بواسطة العمالة الميكانيكية · وعلى الطريقة الاخيرة يتنع الشلط ويلتصق خيط الشرنقة بالخيط التجاري التصاقًا محكماً كما تربط عقدة الرقبة

البرمة — قد اهملوا في المعامل الحديثة البرمة الفرنساوية (Chambon) التي ذكرناها سابقًا لانها تستلزم ايقاف دولاب الحل كلما انقطع الخيط ومن ثم ايقاف حركة خيطين لاصلاح خيط واحد · واعتاضوا عنها بالبرمة الايطالية اي بجعل برمة كل خيط على نفسهِ مستقلاً عن الآخر فاذا انقطع خيط ما تبقى دواليب الحل على حركتها الى ان تصل العقادة فتصلح البرمة ومتى تمَّ اصلاحها فقط توقف الدولاب لتصلح الخيط المقطوع · وقد ظهر بالاختبار ان هذا النسق يعطي محصولاً يفوق محصول النسق القديم · (انظر الرسم ١١) فهو يعطي تفاصيل هذه البرمة

١) خلقين الحل ٢) القسطل الذي يحمل البخار لتسخين مياه الخلقين ٣) قطعة من الحديد المكهرب ذات ثقوب كثيرة موضوعة فوق القسطل الذي يحمل المجرى البخاري والغاية منها تخفيف فعل البخار ومنع الشرانق من القفز في الماء ٤) العمالة التي تجتمع فيها خيوط الشرانق ٥) خيط الحرير التجاري ٦) البرمة ٧) كيفية سير الخيط التجاري ٨) البكرة التي تجري عليها البرمة ٩) خيط الحرير ١٠) البكرة الثانية ١١) خيط الحرير ١٢) خيط الحرير ايضاً ١٣) السنارة التي يستند عليها الخيط ١٤) رفاس غايته تخفيف الضغط عن الخيط

وصف ادوات احد المعامل الحديثة وصفاً اجمالياً

الرسم ٣ تفسير ما تشير اليهِ الاعداد

العدد ١ هو خلقين الحل

« ٢ وعاء مملوء بالماء البارد لتغمس فيهِ العاملة اصابعها

« ٣ العمالات الميكانيكية

« ٤ السير الذي يحرك العمالات

« ٥ فرشاية السلق وهي تتحرك

« ٦ فرشاية السلق وقد ارتفعت بعد نهاية العمل

« ٧و٨ القساطل التي تنقل البخار من صناديق دواليب الحل الى الخلاقين

« ٩ مدخنة لتصريف البخار من خلاقين السلق

« ١٠ مجموعة مؤلفة من اربعة دواليب منفصلة عن بعضها موجودة في مؤخر كل خلقين حلّ

« ١١ طارة ذات درجات يمر عليها السير الذي يحرك دواليب الحلّ وهي مركبة بصورة تسمح بالحصول على اربعة انواع مختلفة من السرعة

« ١٢ طارة اخرى تحرّك الجسر الذي يحرّك السلاّقات والعمّالات الميكانيكية

« ١٣ القسطل الرئيسي الذي يمرّ في صندوق دواليب الحلّ لتنشيف الحرير ومنهُ تتشعب سائر القساطل التي توصل الحرارة الى خلاقين الحلّ والسلق

« ١٤ المسكة التي يمكن بواسطتها ايقاف دولاب الحل وموقعها على مقربة من العقادة والناظر والعاملة التي تحلّ

الرسم ٤ يعطي تفاصيل خلقين الحلّ فقط :

العدد ١ خلقين الحلّ

« ٢ قطعة من الحديد المكهرب ذات ثقوب كثيرة موضوعة فوق القسطل الذي يحمل المجرى البخاري والغاية منها تخفيف فعل البخار ومنع الشرانق من القفز في الماء

« ٣ المجرى الذي يحمل البخار الى خلقين الحل

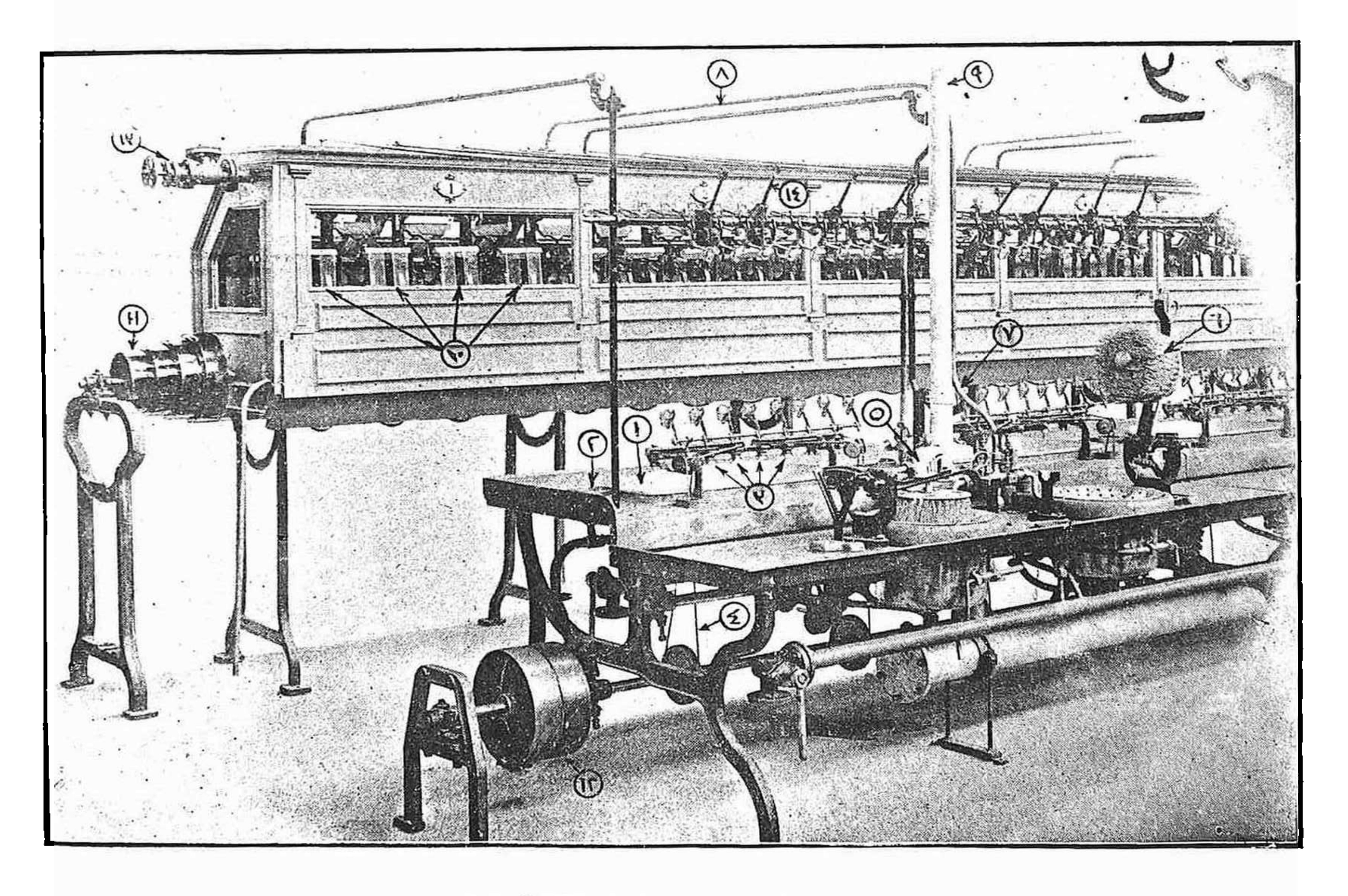
« ٤ « « « « « الحلّ والسلق

« ٥ وعاء الماء المعدّ لتبريد اصابع العاملة

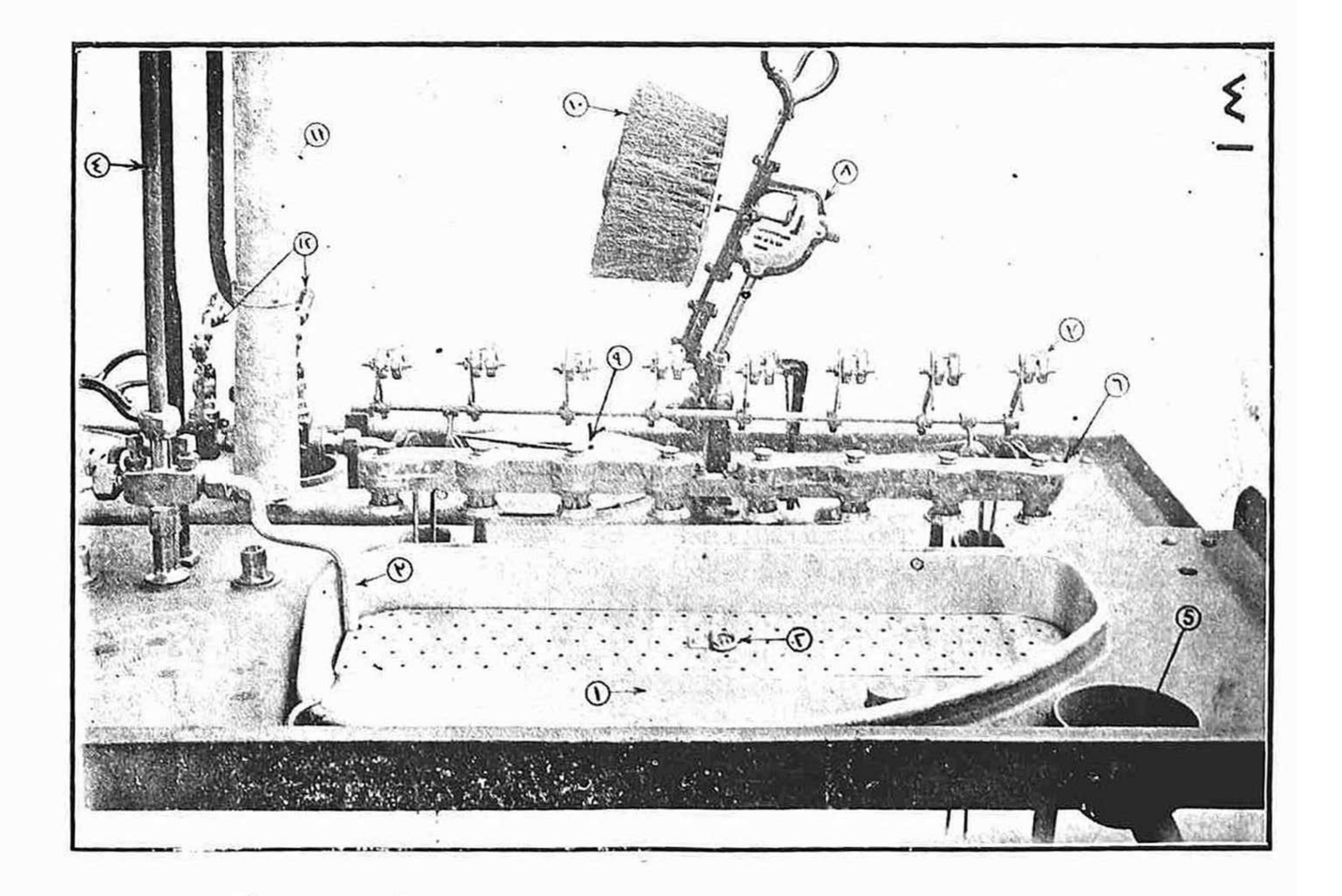
« ٦ مجموعة الثاني العمّالات الميكانيكية

« ٧ بكرة من الالومينيوم

« ٨ فرشاية السلق وهي مرتفعة

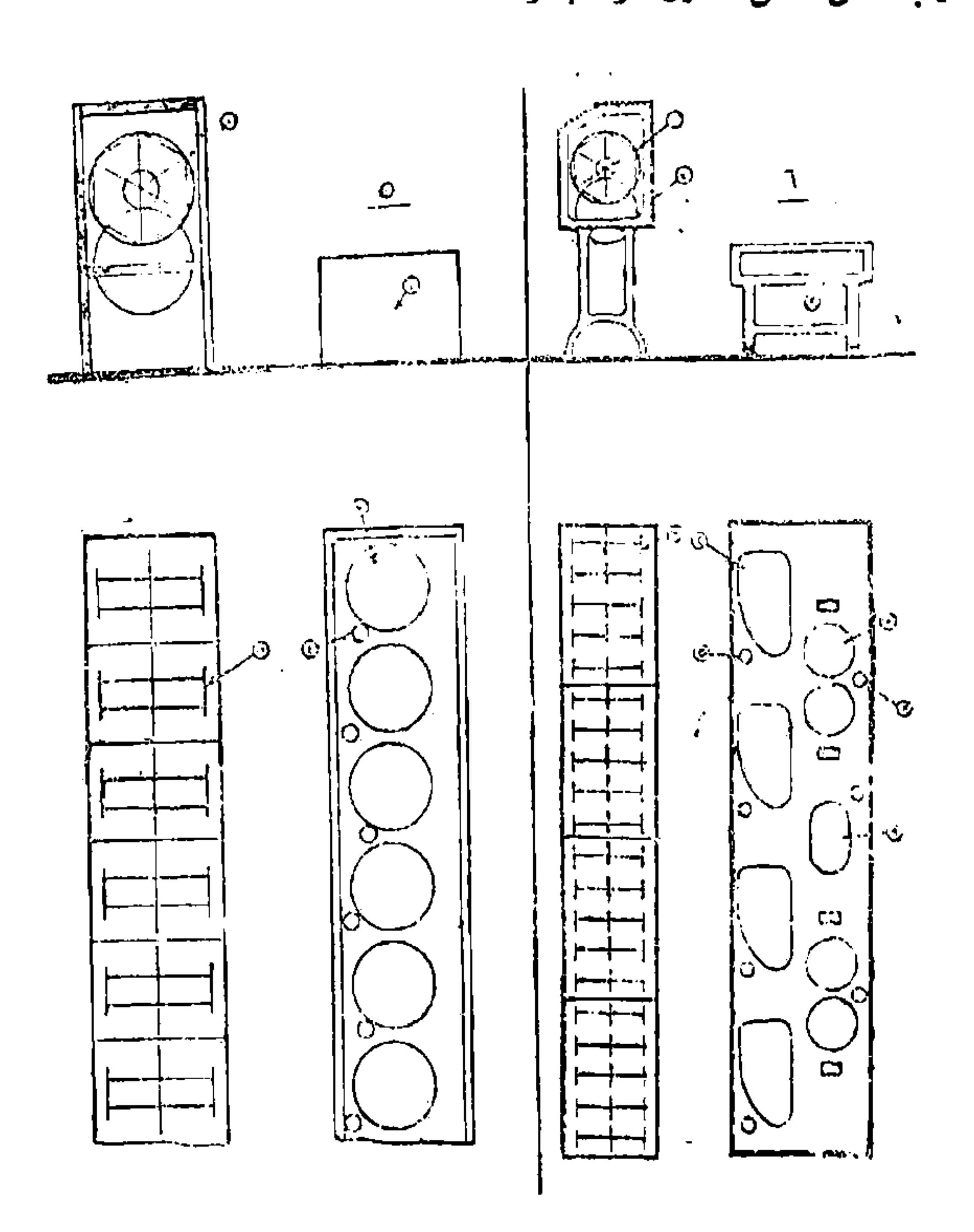


رسم معمل حل على الطريقة الحديثة



رسم الخلقين المستعمل في المعامل الحديثة والمحتوي على ثماني عمالات ميكانيكية

العدد ٩ خلقين السلق
« ١٠ الفرشاية التي تحرك يميناً وشمالاً وبالعكس بحركة دورية
« ١١ المدخنة المعدّة لتصريف البخار
« ١٢ المسكة التي تقطع البخار عن خلقين السلق بعد ان تتم الفرشاية دوراتها
الرسم ٥ وفيهِ نظرة اجمالية على احد المعامل الموجودة حاليًّا في الجبل
العدد ١ دواليب الحلّ لكل خلقين دولاب واحد



« ٢ السفرة الموجودة عليها ادوات الحلّ
« ٣ الخلقين
« ٤ وعاء لتبريد اصابع العاملة
« ٥ دولاب الحل
الرسم ٦ يمثل احد المعامل الايطالية التي تحل على ١٠ عاملات
العدد ١ دواليب الحل لكل خلقين خمسة دواليب يلتف على كل دولاب « شالومان »

العدد ٢ السفرة التي توجد عليها الخلاقين وسائر الادوات
« ٣ الصندوق الخشبي الذي يحيط بدولاب الحلّ والذي يجري البخار في داخلهِ لتنشيف الحرير
« ٤ خلقين الحلّ
« ٥ الوعاء المعدّ لتبريد اصابع العامله التي تحلّ
« ٦ خلاقين السلق
« ٧ الوعاء المعد لتبريد اصابع السلاقة
« ٨ خلقين التصفية

و يظهر من هذا الرسم ان تقسيم العمل له الاهمية الكبرى في الحلّ على الطريقة " الايطالية " وانهُ يضاف الى كل مجموعة مؤلفة من اربعة خلاقين حلّ اربعة خلاقين سلق تشتغل عليها عاملتان سلاقتان و يضاف ايضاً خلقين تصفية تشتغل عليهِ عاملة مخصوصة وهي التي تأخذ الشرانق من السلاقة وتصفّيها وتقدمها للعاملة التي تحلّ

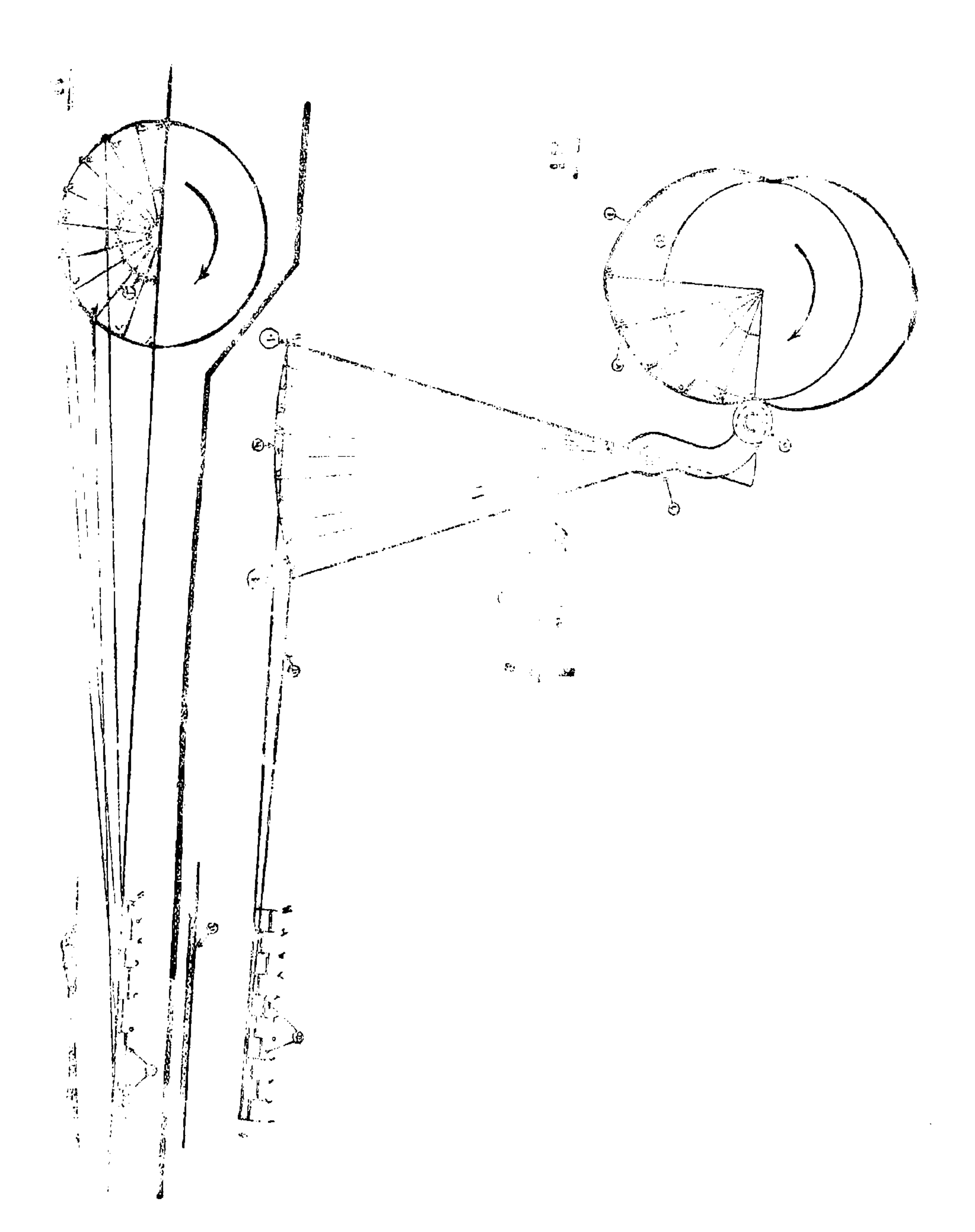
و يخصصون لهذه المجموعة عقّادة تتمشى بين الدواليب ولا شغل لها سوى عقد الخيوط التي تنقطع

سائر محرزات المعامل الحديثة

تناسُب سطح المياه — في معامل الجبل تملأ العاملة خلقينها بنفسها بواسطة قسطل موجود امامها وعند ما تتوسخ هذه المياه تغيرها فلا تقدر على حفظ نسبة واحدة بين علو سطح الماء الجديد والماء الذي كان في الخلقين وهكذا يختلف البعد بين سطح الماء والعالة وهذا مضرٌّ جدًّا في جنس الحرير وخصوصاً في وحدة العيار إذ انهُ يوجد مسافة معلومة هي افضل الأبعاد للحصول على تلقيم فنّي متناسب وقد استعملوا في الطريقة الحديثة آلة مخصوصة تجعل المياه في جميع الخلاقين دائماً على علوّ واحد · ويحدّد مدير المعمل المياه مرّة واحدة في جميع الخلاقين

الفرس — في معامل الجبل يجري تفريق الحرير الذي يلتف على دولاب الحلّ بواسطة الفرس الموصوفة سابقاً وقد بينّا كيف تتحوّل الحركة الدوريـة فيها الى حركة متذبذبة ذهابية إيابية بواسطة المسكة (رسم ١ عدد ١٧)

يستفاد من الاصول الهندسية انهُ اذا كان زرّ المسكة يقطع على الدائرة (رسم ١٢ عدد ١) زوايا متساوية (عدد ٢) في اوقات متساوية واذا كانت الحركة تتصل الى الفرس بواسطة المسكة (عدد ٣) تكون المسافات التي تقطعها « الفرس » في تلك الاوقات غير متناسبة · فمتى بلغت الفرس في الحركة الى احد طرفيها تخف سرعتها وتصبح خيوط الحرير كثيرة الاقتراب من بعضها · اما عند بلوغها الى منتصف الحركة فتكون الحالة بالعكس فيتفرق الحرير على الدولاب بصورة غير متناسبة كما هو مبين في المقطع النصفي رسم ١٢ عدد ٥) ويحدث عن ذلك عطل في كرّ « الاشلوم »



وقد تلافوا هذا الخلل في المعامل الحديثة باستبدال الاسنان المتساوية الزوايا المذكورة آنفاً بدائرة مخصوصة احسنوا درسها وجعلوا تركيبها بصورة تزيل الخلل المذكور وهي بسيطة جداً اليك وصفها . انظر الرسم ١٣

(عدد ١) الدائرة المتحركة بحركة دورية متناسبة وهي مقسمة الى زوايا متساوية (عدد ٢) ويحددون على اطراف شعاعات الدائرة المؤلفة من تقسيم الزوايا الابعاد المتساوية (عدد ٣) فيحصل عن ذلك نقط إذا وصلناها في بعضها تألف منها الشكل المنحني (عدد ٤) ويجعل الدولاب المحرك بهيأة هذا الشكل المنحني (عدد ٥) « كرّاج » يدور ويحتك بالدولاب المحرك ومركزه على اليد (عدد ٦) وهذه اليد تتحرك حول النقطة الثابتة (عدد ٧)

أما ملامسة الكرّاج للدولاب المحرك فيؤمنها الرفاس (عدد ٨)

ان طرف اليد الخارجي يقطع القوس (عدد ١١) الذي تحدّه النقطتان (عدد ٩ و١٠) وتتصل الحركة الى الفرس بواسطة المسكة (عدد ١٢)

لو أمنعّا النظر في الرسم ١٣ يتضح لنا انهُ إذا كانت الدائرة (عدد ١) تقطع زوايا متساوية في اوقات متساوية تكون الفرس قد قطعت أيضاً مسافات متساوية (عدد ١٣) في اوقات متساوية فيتوزع الحرير على دواليب الحل توزيعاً متناسباً دقيقاً كما هو مبين في الرسم ١٣ عدد ١٤

مياه الخلاقين — ان نوع مياه الخلقين ليست عديمة التأثير في انتظام الحل وجنس الحرير . ويقتضي ان تبقى مياه الخلقين صافية على قدر الامكان ويجب ان لا يدخلها ما يسمونهُ « ماء جيز » على الاطلاق (كما يفعل البعض في المعامل عندنا) لان هذا الماء يغير لون الحرير الطبيعي و يعطيهِ رائحة كريهة اما إضافة ماء الجيز متى تصعّب الحل فليس له سوى تأثير لا يذكر والاوفق تغيير نوع الماء في الخلقين

ويجب ان لا يكون نوع الماء كلسياً اكثر من اللازم لان كاربونات الكالسيوم تؤثر في صمغ الشرانقة وتغيّر فيها خاصّة التجمد في الهواء فيصبح الخيط سريع القطع وبكلمة واحدة يحطّ جنس الحرير

يفضّلون المياه الصوّانية والتي تحتوي على كمية كبيرة من الاوكسيجين وماء الشتاء يوافق الحل موافقة تامة وقد اثبتوا في ايطاليا صحة ما تقدم بالاختبارات الفنيّة والحجج الدامغة فتراهم لا يستعملون سوى المياه التي تعرّضت مدّة طويلة للهواء ويتمّ لهم ذلك بجعل المياه في احواض مكشوفة . اما اللبنانيون فانهم يشعرون بوجوب تفضيل الماء الموجود في الاحواض المكشوفة غير انهم لسوء الحظ يأخذون الماء من قعر الحوض بدلاً من سطحهِ فتفوت الفائدة المطلوبة من بناء الاحواض ويصرف المال الكثير في هذا السبيل عبثاً

ولأنَّ لبنان بلاد جبلية يسهل الحصول فيها بواسطة الاحواض على نوافير ماء اصطناعية تبدّد اجزاء الماء وتسمح لها بالامتزاج مع « الاوكسيجين والاوزون » ان كان الماء كلسياً يلزم استعمال الطريقة الآتية لازالة المادّة الكلسية (فالقير) من الماء : يضعون في الماء قليلاً من الكلس فيتحد بالمادّة الكلسية (فالكير) فيتألف منها مادّة ترسب في قعر الحوض وتدعى « كاربونات الكلس »

نستنتج من كل ما تقدّم ان معامل الحل الحديثة مرتبة بصورة تسمح لها بان تعطي حريراً ممتازاً ولم يهمل فيها شيء يتعلق بهذه الغاية · وسنرى ما لهذه المعامل من الخواص الاقتصادية

المميزات الاقتصادية في معامل الحل الحديثة

فلنبحث الآن عن كلف كيلو الحرير في احد المعامل الحديثة ولنتخذ قاعدة لبحثنا فنعتبر مثلاً معملاً يحتوي على ٢٤ خلقيناً على كل خلقين ٨ عمالات

٢٤	عاملة	بأجرة	٤	غروش	=	٩٦
١٢	سلاّقة	«	٢½	«	=	٣٠
٦	مصفّيات	«	٣	«	=	١٨
٦	عقّادات	«	٤	«	=	٢٤
٢	مشّاقات	«	٤	«	=	٨
٢	خادمان	«	٣	«	=	٦
٣	نظار	«	٨	«	=	٢٤
٥٥						٢٠٦
	مصاريف فوق العادة ٥ بالمائة تقريباً					١٤
				يكون		٢٢٠
٠،٥	نصف قنطار فحم لتسخين الخلاقين والمحرّك					١٢٥
				يكون عمومي		٣٤٥

إن معدّل محصول الحرير في اليوم الواحد هو ٧٥٠ غراماً لكل عاملة اذا كانت الشرانق من الجنس السوري المتوسط ومن عيار ١٠/١ وكانت مدّة الشغل ١١ ساعة في اليوم· وقد استندنا في هذه الارقام الى النتائج الاختبارية التي نالوها في ايطاليا · فيكون مجموع الحرير المحلول في اليوم الواحد كما يأتي :

٧٥٠ غراماً × ٢٤ = ١٨ كيلو

اي ان معملاً على الطرز الحديث يحتوي على ٢٤ خلقيناً ويستخدم ٥٥ عاملةً وعاملاً يعطي من الحرير كمية تفوق ما يمكن ان يعطيه معمل على النسق القديم يحتوي على ٨٠ خلقيناً و٩٤ عاملة

فتكون كلف حلّ الكيلو كما يأتي :

٣٤٥ : ١٨ = ١٩ غرشاً للكيلو الواحد اي ٤،٥٠ فرنكات بدلاً من ٣١ غرشاً كما هي كلف الكيلو في معامل النسق القديم

وهذا التعديل ينطبق على الحرير الممتاز· اما اذا كان الحلّ من الجنس الاول او الثاني فتنخفض كلف

الكيلو الى ٤ فرنكات او ٣٫٥٠ نظراً لزيادة المحصول اليومي والاستغناء عن بعض المصاريف والكلف فتكون الحالة الاقتصادية في المعامل المجهزة بالادوات الحديثة كما ياتي :

نوع الحرير	الهامش	اجرة الحل	الفائدة	الربح
الجنس الممتاز	١٧٫٥٠ فرنك	٤٫٥٠ فرنك	٤٫١٠ فرنك	٨٫١٠ فرنك
الجنس الاول	١٤٫٥٠ «	٤٫٠ «	٤٫١٠ «	٥٫١٠ «
الجنس الثاني	١٢٫٥٠ «	٣٫٥٠ «	٤٫١٠ «	٤٫٢٠ «

ويربح صاحب المعمل الذي يحل في السنة ٥٫٠٠٠ كيلو حرير الربح الصناعي الصافي الآتي :

نوع الحرير	الربح الصافي		تعديل الربح بنسبة المائة بعد استخراج الفائدة
الحرير الممتاز	٥٫٠٠٠ × ٨٫١٠ =	٤٠٫٥٠٠ فرنك	١٨٫٤ بالمائة
الجنس الاول	٥٫٠٠٠ × ٥٫٧٠ =	٢٨٫٥٠٠ «	١٢٫٥ «
الجنس الثاني	٥٫٠٠٠ × ٤٫٢٠ =	٢١٫٥٠٠ «	٩٫١٦ «

تبلغ حاصلات الحرير في الجبل ٤٠٠٫٠٠٠ كيلو تقريباً فلو استبدلت اكثر المعامل ادواتها بادوات حديثة وحلّت حريرها من الجنس الممتاز كما يفعلون في ايطاليا وفرنسا ربحت البلاد الربح الآتي :

٤٠٠٫٠٠٠ كيلو حرير × ٨٫١٠ = ٣٫٢٤٠٫٠٠٠ فرنك وبازدياد الربح يقدر اصحاب المعامل مشترى الشرانق باسعار جيدة فينقطع تصديرها الى الخارج وتحل في البلاد. ومتى اشعر الناس بارباح هذه الصناعة يقبلون عليها اقبالاً شديداً فتزداد المعامل ويكثر الطلب على الشرانق فترتفع اسعارها فيكون نجاح صناعة الحل داعياً الى تنشيط صناعة التربية وتقدُّمها

اما ثمن الخلقين الواحد من الخلاقين الجديدة مع جميع لوازمه ومصاريفه فهو الف فرنك . فمن اراد الحصول على ٥ آلاف كيلو حرير سنوياً يقتضى ان يكون في معمله ٢٤ خلقيناً ويلزمهُ من المال قدر ٢٤٫٠٠٠ فرنك . وقد يمكن استهلاك هذا المبلغ في سنة واحدة

ان صراحة هذه الارقام تغني عن كل برهان لانها تدلّ دلالة واضحة على مبلغ القوة والرقي الصناعي الذي تناله معامل الجبل اذا غيّرت ادواتها . وهذا هو السبب الذي حمل بعض الحكومات على بذل الضحايا المالية الجسيمة في سبيل تنشيط صناعة الحلّ

وسندرس الوسائط التنشيطية التي اتخذتها هذه الحكومات مع الوسائط التي نعتقد انها تساعد على انهاض هذه الصناعة الوطنية .

اهم القوانين المتعلقة بتنشيط صناعة الحل

في فرنسا — نظراً لقلة كلف الحرير في الشرق الاقصى وايطاليا طلب اصحاب معامل الحل الفرنساوية من حكومتهم ان تفرض ضريبةً على الحرير الذي يرد من البلاد الاجنبية وذلك حماية لصناعةٍ يعيش منها ١٥٠٠٠ عامل ويبلغ المال المخصص لها ٦٠٠٠٠٠٠٠ فرنك

فاحتج اصحاب المناسج الحريرية على هذا الطلب المضر بمصالحهم—وهم ارباب صناعة يشتغل بها ٣٠٠٠٠٠ عامل وتستلزم ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك — لان الحرير الذي يحل في فرنسا قليل بالنسبة الى مقطوعيتهم وهم يلتزمون ان يستوردوا ثمانية اعشار الحرير اللازم لمناسجهم من الخارج فسن الضريبة الجمركية على الحرير الاجنبي يضر بهم ضرراً بليغاً ويجعلهم في انحطاط عن مزاحميهم الاجانب وقد يدفع بصناعتهم الى الخراب والاضمحلال

فاستناداً على ما تقدم منح البارلمان الفرنساوي لاصحاب معامل الحل جوائز متعددة في سنة ١٨٩٢ و١٨٩٨ و١٩٠٩ لما رأى نفسه مجبراً مراعاةً لاحوال المناسج على رفض الضريبة خلافاً لعادته في حماية جميع الصنائع الافرنسية

تمنح قانون سنة ١٩٠٩ الذي جرت المصادقة عليه لمدة ٢٠ سنة جائزة سنوية قدرها ٤٠٠ فرنك لكل خلقين يستعمل لحل الشرانق الافرنسية و٤٠٣ فرنكاً لكل خلقين يحل شرانق اجنبية . اما الخلاقين الثانوية اي خلاقين السلق والتصفية فتنال الجائزة المذكورة ولكن بنسبة خلقين سلق واحد لكل ٣ خلاقين حل على ان لا يتجاوز عدد عمالات الواحد منها ٥ على الاكثر . اما اذا كانت خلاقين الحل على ٦ عمالات فاكثر فيكون لكل اثنتين منها خلقين سلق ينال الجائزة . ويمنح القانون المذكور ٤٠٠ فرنك لكل عقادة تشتغل على مجموعة مؤلفة من ٦ خلاقين حل على شرط ان يكون عدد عمالات الخلقين من ٦ فما فوق

ويشترط في هذا القانون ان لا يصيب كل كيلو من الحرير الذي يحل في خلقين منحت له الجائزة المذكورة اكثر من ٦٫٠٠ فرنك لمدة السنين الاربع الاولى من تاريخ العمل به ولا اكثر من ٦ فرنكات لكل كيلو مدة الـ ٨ السنين التي تليها ولا اكثر من ٥٫٠٠ مدة الـ ٨ السنين الباقية . ويشترط ايضاً ان يكون معدل محصول الخلاقين ٥٠٠ غرامات على الاقل في اليوم طول المدة التي يصيب فيها الكيلو ٦٫٠٠ فرنك و٢٢٢ غراماً و٢٤٢ غراماً في المدة التي يصيب فيها الكيلو الواحد ٦ فرنكات و٥٫٠٠ فرنك

والغاية من هذه الجوائز واضحة صريحة وهي تنشيط اصحاب المعامل وحملهم على تغيير ادواتهم واستبدالها بأخرى مرتبة على قواعد تقسيم العمل التي بيناها في الفصول السابقة

ان هذا القانون الذي وضع لحماية صناعة الحل وتنشيطها في فرنسا قد أثر في المعامل اللبنانية اسوأ تأثير بالرغم عن ارتفاع الاجور في فرنسا ورخصها في لبنان فان احوال المعامل الافرنسية تسمح لها بمزاحمة معاملنا بنجاح

بينما نرى ان ٢ بالمائة فقط من معامل الجبل تحلّ الحرير الممتاز (وهي تختص بعض الفرنساويين) و١٣ بالمائة تحل من الجنس الاول و٨٥ بالمائة من الجنس الثاني نرى المعامل الافرنسية بكاملها تقريباً تحل الحرير الممتاز . ونرى من جهة اخرى ان المعامل الافرنسية تسعى في زيادة محصولها نظراً للقانون المتعلق بالجوائز المذكورة وهي تستخرج كمية من الحرير تفوق ما يمكن استخراجه من شرانق بلادها وتلتزم ان تستجلب الشرانق الغريبة لسدّ هذا الخلل

ونظراً لسهولة المواصلة وجودة الشرانق السورية يتهافت الفرنساويون على شرائها ويزاحمون معامل الجبل وتشتد المنازعة خصوصاً في سنين الحاجة وفي اواخر الموسم

ان وجود دوائر عمومية في فرنسا لمشترى الشرانق تؤمن مقطوعية المعامل فيستعمل صاحب المعمل الفرنساوي لتجديد ادواته وتحسين جنس الحرير الذي يستخرجه قسماً كبيراً من المال الذي كان يجب عليه ان يخصصه لتأمين الشرانق التي تلزمهُ . اما في سوريا فلا غنىً عن تأمين مقطوعية المعامل لسنة كاملة منذ اول الموسم

فبعد مرور تشرين الاول مثلاً يتعذر على صاحب المعمل السوري وجود الشرانق في بلاده بينما يكون الفرنساوي دائماً في مأمن من وجود الشرانق الغريبة في اي وقت كان . غير انهُ قد يتعرض نوعاً ما في مثل هذه الظروف الى تخفيف ارباحه . والمزاحمة التي تقع بين الاجانب واصحاب المعامل الوطنية على آخر شرانق البلاد هي شديدة جداً كما يتضح من جدول الحرير عن شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤ وقد كانت الاسعار كما يأتي :

الحرير الممتاز الفرنساوي	عيار ١٠/١١ و١٢/١٣	٥١ — ٥٢ فرنكاً
حرير الجنس الاول السوري	« ١٠/١٢	٤٨ — ٤٩ «
« « الثاني	« « ١٠/١٢	٤٦ — ٤٧ «

وكانت اسعار شرانق اسكندرونة الممتازة ١٢،٧٥ فرنك في مرسيليا

فلو راجعنا معادلة الحلّ التي ذكرناها في الفصول السابقة يتضح لنا انهُ لا يمكن لاصحاب المعامل السورية التي تحلّ من الجنس الاوّل والثاني ان تربح شيئاً بينما يربح صاحب المعمل الفرنساوي مع كل هذا ٣ او ٤ فرنكات في الكيلو نظراً للجائزة التي تمنحها الحكومة

وكان يتعذر فيما مضى تصدير الشرانق الى اوربا قبل شهر ايلول اذ كان يقتضي ثلاثة اشهر على الاقل للشرانق كي تجف و يصبح ممكناً نقلها الى اوربا . اما الآن فشحنها ممكن حال ظهورها والفضل عائد في ذلك الى مخانق الهواء الناشف الحديثة

ثمَّ إن وجود الادوات الفنيّة الحديثة في المعامل الافرنسية التي تسمح لها بحلّ الحرير الممتاز من جهة والجوائز التي تمنحها الحكومة من جهة أُخرى تمكنها من مشترى شرانق بلادنا باسعار تزيد على الاسعار التي ندفعها نحن ٣ الى ٥ بالمائة فتسلبنا ٣٠ بالمائة من قيمة هذه الشرانق اي اجرة تحويلها الى حرير

قد كان محصول الحرير سنة ١٩٠٦ في المعامل الافرنسية ٦٦١٫٠٣٠ كيلو استخرج من الشرانق الفرنساوية و ١٢٥٫٦٣٨ كيلو من الشرانق الاجنبية وقد وزّعت الحكومة على هذه المعامل جوائز تبلغ قيمتها ٤٫١١٤٫٢٩٩ فرنكاً · وفي سنة ١٩٠٧ كان الحرير المستخرج من الشرانق الفرنساوية ٦٨٢٫٣١١ كيلو · ومن الشرانق الاجنبية ١٣٦٫٩٠١ ونالت من الحكومة جوائز على ذلك ٤٫٢١٥٫٠١٣ فرنكاً

ايطاليا — تنشّط حكومة ايطاليا في بلادها فنّ تربية القزّ بنوع خصوصي فتوزّع مجاناً شتل التوت الذي تربيه هي في اماكن مخصوصة تربية فنيّة · أما معامل الحلّ عندهم فهي في غنى عن الحماية والتنشيط لانها اتقن وارقى معامل الدنيا · ومن ايطاليا خرجت تقريباً جميع الاختراعات الحديثة في هذا الفن · وفيها ترتّب مبدأ تقسيم الشغل بصورة قانونية · ومن بواعث نهضتها التعاضد والاشتراك فقد بطلت اكثر المعامل الصغيرة ذات الـ ٤٠ و ٦٠ و ٨٠ دولاباً التي تخصّ بعض الافراد وقامت محلها المعامل العظيمة التي تخصّ الشركات وقد سمح هذا الاشتراك لاصحاب المعامل ان يخصصوا الاموال الكثيرة لتحسين ادواتهم فنرى قسماً كبيراً من المعامل الايطالية يحتوي الواحد منها على ٥٠٠ و ٦٠٠ خلقين ذي ٨ عمّالات و ١٠ و ١٢ عمالة وهي مجهزة بادق الادوات واتقنها · ولا حاجة الى البرهان بعد ما تقدّم على ان كلف الحرير في مثل هذه المعامل تخف كثيراً · و يوجد حالياً في ايطاليا ١٨٠٠ معمل حلّ تحتوي على ١٢٠٫٠٠٠ خلقين وجميعها في حالة العمل

ان تقدّم معامل الحل في ايطاليا سهّل كثيراً التقدّم فنّ التربية فيها نظراً لسهولة بيع الشرانق ولأن التربية تجري على قواعد العلم القويمة

وقد التزمت معامل الحلّ الايطالية ان تستجلب قسماً كبيراً من مقطوعيتها من الخارج كما يفعلون في فرنسا

ففي سنة ١٨٨٠ استخرجت هذه المعامل ٣٫٠٠١٫٠٠٠ كيلو حرير من الشرانق الايطالية و ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ كيلو سنة ١٨٨٣ و ٤٫٧٤٧٫٠٠٠ كيلو سنة ١٩٠٦ و ٤٫٨٢٠٫٠٠٠ كيلو في سنة ١٩٠٧ وهذا من شرانق بلادهم وكانوا دائماً يستخرجون كمية كبيرة من الشرانق الاجنبية ففي سنة ١٩٠٧ مثلاً استخرجوا من الشرانق الاجنبية ١٫٢٠٠٫٠٠٠ كيلو فيكون مجموع حاصلات الحرير سنة ١٩٠٧ في ايطاليا ٦٫٠٢٠٫٠٠٠ كيلو وهي كمية عظيمة تعادل قيمتها على سعر ذلك الوقت ٣٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك · وتشتري ايطاليا كفرنسا قسماً كبيراً من الشرانق السورية

فإذا كان الايطاليون قد اعتنوا بتربية القزّ وحلّ الحرير فلذلك سبب طبيعي بسيط وهو ان ايطاليا هي انسب بلاد اوربا نظراً لموقعها الجغرافي وجودة مناخها لزراعة التوت وتربية القز · وقد اصبحت هذه الصناعة من اهم العوامل الاقتصادية في ايطاليا · فاذا اضفنا اليها صناعة اخرى هي صناعة نسج الاقمشة الحريرية اصبح الحرير من اهم عوامل الحياة الاقتصادية في تلك البلاد

النمسا والمجر — إن ادخال صناعة الحلّ في ايطاليا يرجع الى القرن التاسع وقد نقلها اليها عرب الاندلس فهي إذاً صناعة قديمة فيها

أما في النمسا فلم تعرف هذه الصناعة قبل القرن السابع عشر ولم تنجح في بادئ الامر وانما بدأ تقدمها سنة ١٨٦٠ واصبحت النمسا اذ ذاك تعدُّ في مصاف دول اوربا التي تعتني بالحرير. وتكثر حاصلات الشرانق خصوصاً في بلاد التيرول وعلى الشواطئ البحرية ولا سيما في المجر حيث يوجد اقبال عمومي على التربية والحل

ويعود فضل تقدُّم الحرير في المجر الى نشاط وغيرة رجل هو المسيو بزارادي(Bézérédy) الذي توصل بظرف سنين قليلة بمعاضدة الحكومة المعنوية ومساعدتها المالية الى تحويل حاصلات حرير بلاده من ١٦٠ كيلو كما كانت سنة ١٨٧٩ الى ١٦٤,٠٠٠ في سنة ١٩٠٥

وقد توصل الى هذه النتيجة الباهرة بزراعة التوت المجانية واقامة الاخصاص العمومية والقاء المحاضرات على الفلاحين وفي المدارس وتوزيع بزر القز مجانا. وكانت الحكومة في بعض الظروف تشتري الشرانق وتبيعها للمعامل منعاً لتلاعب التجار والمحتكرين. ومن اهم الاسباب الباعثة على هذا النجاح الباهر معامل الحل الحديثة ذات الـ ٦ و ٨ عمالات التي كانت تبنيها الحكومة على نفقتها وتجهزها باحسن الادوات وتؤجرها لبعض الافراد تحت شروط معلومة غير انها كانت تحتفظ لنفسها حق تشغيلها في بعض السنين

لم تكن حاصلات النمسا والمجر في سنة ١٨٨١ سوى ١٠٠,٠٠٠ كيلو حرير فقط وسنة ١٩٠١ بلغت ٣٤٢,٠٠٠ كيلو وفي سنة ١٩٠٧ كانت ٣٤٧,٠٠٠ كيلو وسنة ١٩٠٨ بلغت ٣٨٠,٠٠٠ كيلو. وانما تمّ هذا النجاح السريع بفضل تنشيط الحكومة ومعاضدتها

اهم الوسائل التي تساعد على انهاض صناعة الحل في الجبل

انَّ بلادنا نظراً لمناخها ورخص اجور العمل فيها موجودة في ظروف تساعد على تقدُّم ضعف ما هي صناعة تربية القز فيها. ولهذا لنا الامل الكبير ان حاصلات الشرانق تكون عندنا حالما تتخذ لذلك وسائط فعَّالة كالتي اتخذت في اوربا

إن درس الوسائل الخصوصية التي من شأنها انهاض صناعة التبزير وتربية القز قد يحملنا على التوسع وإن حِدنا قليلاً عن الغاية في هذا الدرس المختَّص لمعامل الحل

اثبتنا فيما مضى ان اصحاب المعامل اللبنانية لا يعرفون كيف يجب ان يحل الحرير. فاول واجب على الحكومة ان تعلمهم كيف يحلّون وتعرّفهم اهمية المعامل الحديثة التي يجهلونها جهلاً تامًّا وهذا امر سهل المنال.

كل واحد منّا يعرف جيداً ان الديون العمومية تطرح سنويًّا في المزاد العلني اعشار شرانق الولايات المجاورة للجبل. وفي بعض الاحيان وخصوصاً في هذه السنين الاخيرة لا تطرح شرانق العشر بالمزاد بل تحل لحساب الديون العمومية في بعض معامل الجبل. فبدلاً من تلزيم هذه العشور او حلها لحساب الديون العمومية في معامل تخص بعض الافراد اللبنانيين تقدر الحكومة ان تبتني لها في الجبل معملاً من الطرز الحديث تحل فيه شرانق العشور ويسهل جدًّا تأمين مقطوعية هذا المعمل لان عشور الشرانق في ولاية بيروت وحدها تبلغ ١٣٠,٠٠٠ كيلو اي الكمية اللازمة لاستخراج ١٢,٠٠٠ كيلو حرير على الاقل

أن تأسيس معمل حديث يكون مدرسة ومثالاً لحل سبقتنا اليه فرنسا وايطاليا والنمسا والمجر واليابان مع ان هذا الامر اسهل علينا منهم لان الحكومة لا تلتزم بتخصيص الاموال الكثيرة لتأمين مقطوعية هـذا المعمل نظراً لوجود الاعشار المتقدم ذكرها فبدلاً من ان تستوفي الحكومة اعشارهـا شرانق تأخذها حريراً فتربح بهذا التغيير وجود معمل يكون مدرسةً لحل ونموذجاً لاصحاب المعامل اللبنانية والسورية وتسهّل لهم الاطلاع على طرق الحل الحديثة وعموم الادوات المستعملة فيها · وهذه خدمة جلّى للبلاد لا تكلف الحكومة شيئاً

رأينا في الفصول السابقة ان حل الحرير الممتاز على الطرق الحديثة يعطي في الجبال ربحاً يعادل ٨ فرنكات في الكيلو فالمعمل الذي يحل اعشار شرانق ولاية بيروت يعطي على اقل تعديل ١٢،٠٠٠ كيلو حرير تكون ارباحها كما يأتي :

٨ × ١٢،٠٠٠ = ٩٦،٠٠٠ فرنك

يكلف انشاء هذا المعمل ٤٠،٠٠٠ فرنك لمشترى معمل قديم و٦٠،٠٠٠ فرنك لتجهيزه بالادوات الحديثة فيكون المجموع ١٠٠،٠٠٠ فرنك · فيجب اولاً استخراج فائدة المال المخصص لهذا المعمل واستهلاك اثمان الادوات بسرعة فيقتضي لذلك ١٦،٠٠٠ فرنك ثم نستخرج الاجور والمصاريف لمدير عمومي وكاتب مع سائر المصاريف التي يستلزمها المدير في دروسه واختباراته واسفاره ومحاضراته وسائر الامور التي يعملها في سبيل تقدم صناعة الحل وانتشارها فيقتضي لذلك ٤٠،٠٠٠ فرنك تقريباً ويبلغ مجموع الكلف ٥٦،٠٠٠ فرنك على الاكثر تستخرج من مجموع الارباح المتقدم ذكرها اي ٩٦،٠٠٠ فرنك

فيتضح جلياً ان انشاء معمل على النسق الحديث لا يكلف الحكومة شيئاً بل يعود عليهـا بربح ٤٠،٠٠٠ فرنك يمكنها ان تستعمله في سبيل تنشيط ارباب هذه الصناعة وتوزيع الجوائز

فتوزيع الجوائز لا يقتصر على المنفعة المادّية فقط بل يعطي قوّة معنوية كبرى هي معاضدة الحكومة ومساعدتها · ولا بد من اعطاء صبغة رسمية لتوزيع هذه الجوائز

لا يجوز ان تكون هذه المساعدات والجوائز كمعاشات مخصصة لبعض الافراد كما جرى مدة قصيرة في فرنسا لان هذا يعود بعكس الفائدة المطلوبة ويضعف الهمم ويدفع الى القنوط وانما تكون غايتها الوحيدة تنشيط اصحاب المعامل على تغيير ادواتهم واتقان جنس الحرير الذي يحلونه · فهذان الامران وحدهما يكفيان لانهاض هذه الصناعة الى درجة تسمح لاربابها بمناظرة ايٍّ كان من مزاحميهم الاجانب

ونعتقد ان وجود عشرة معامل في البلاد على الطرز الحديث يكفي لاقناع ارباب هذه الصناعة بافضلية الادوات الحديثة سواء كان من الوجه الفنيّ او الاقتصاديّ ويحملهم على تغيير ادواتهم

فواجب الحكومة إذاً هو اتخاذ جميع التدابير التي تسهل انشاء عشرة معامل حديثة بسرعة في الجبل ويجب ان تخصص اكثر الجوائز بهذه الغاية

يمكن توزيع الجوائز الآتية :

٥٠٠ فرنك و ٤٧٥ و ٤٥٠ و ٤٢٥ و ٤٠٠ و ٣٧٥ و ٣٥٠ و ٣٢٥ و ٣٠٠ و ٢٧٥ فرنكاً لكل خلقين حل من خلاقين العشرة المعامل الحديثة الاولى التي تنشأ في البلاد ويراعى في توزيع هذه الجوائز قدمية المعامل واسبقيتها

يشترط للحصول على هذه الجوائز ان تكون ادوات المعامل متوفرة فيها الشروط الآتية :

١ً) ان لا يقلّ عدد خلاقين المعمل الواحد عن ٢٠

٢ً) ان لا تتجاوز الجائزة اكثر من ٣٠ خلقين حلّ لكل معمل

٣ً) ان يقسم العمل باستعمال السلاّقات والعقّادة المساعدة

٤ً) ان يتمّ الحلّ على ٨ عمّالات على الاقل واستعمال العالات الميكانيكية

٥ً) ان لا يلتف على دولاب الحلّ الواحد اكثر من اشلومين

٦ً) ان يمكن ايقاف هذه الدواليب بدون ان تحتاج العاملة ان تلتفت الى الوراء

٧ً) ان يكون تحريك الدواليب والعالات بآلة ميكانيكية

٨ً) ان يتمّ تسخين الخلاقين بالبخار بواسطة مراجل ذات انابيب او مواقد داخلية. اما المراجل الاسطوانية المستعملة حالياً في الجبل فلا تعتبر

٩ً) ان يجدّد الهواء دائماً وتُراعى النظافة الكلية في هذه المعامل

١٠) ان يصير تخنيق الشرانق بواسطة الهواء الناشف

١١) ان يسمح الذين ينالون الجوائز لسائر اصحاب المعامل بزيارة معاملهم وفحص ادواتهم

من المحقق انهُ اذا بني معمل انموذجي على الطريقة الحديثة واعطيت جميع الايضاحات اللازمة لاصحاب المعامل ووزعت النشرات والخرائط والرسوم مجاناً تنشط هؤلاء لتغيير ادواتهم طمعاً بصوالحهم وبالجوائز التي تغطي قسماً من مصاريفهم. وقد برهنا ان هذه الجوائز لا تكون عبأً على الحكومة لانها لا تتجاوز ١٢٠،٠٠٠ فرنك تدفع مرة واحدة

ويحسن ايضاً توزيع جوائز سنوية تتراوح قيمتها بين ٥،٠٠٠ و ١٠،٠٠٠ فرنك على اصحاب المعامل الذين يحلّون احسن حرير في مدار السنة. ويحسن ايضاً توزيع بعض الجوائز الشرفية

وبديهي ان اعفاء جميع ادوات الحلّ الحديثة الطرز من الضرائب الجمركية واعفاء المعامل الحديثة ايضاً من كل رسم لمدة ٥ سنين مثلاً لمن اهمّ الاسباب التي تنشط اصحاب المعامل وتدفعهم الى الجدّ والترقي

رأينا في ما تقدّم ان حاصلات الشرانق في ايطاليا وفرنسا لا تكفي لمقطوعية معاملهما فيلتزمون سدّاً لهذا الخلل ان يستعملوا الشرانق الاجنبية. وقد بيّنا الاسباب التي تحملهم على طلب الشرانق السورية. ونحن واثقون ان هذه الشرانق لا تأمن غائلة التصدير الى اوربا الاّ متى تمّ اصلاح المعامل اللبنانية واصبحت في حالة تمكنها من مزاحمة مناظريها الاجانب

اما الآن فيوجد دواء هو انجع علاج لحفظ الشرانق في البلاد غير ان استعماله يستدعي نظراً دقيقاً

وهذا الدواء هو تحميل الشرانق التي تصدَّر الى الخارج ضريبةً تعادل ٥ بالمائة من قيمتها تخليصاً لها من السيطرة الاقتصادية التي تسببها حالة المعامل الاجنبية فتصبح اسعارها متعلقة بمقطوعية المعامل السورية وتحفظ الموازنة بين المطلوب والموجود ويخف تصدير الشرانق نوعاً فتؤمّن مقطوعية اصحاب المعامل الوطنية الذين لا يتيسر لديهم المال الكافي في اول الموسم لتموين معاملهم

ان ضريبة الخمسة بالمائة لا يمكن ان يكون لها اقل تأثير في اسعار الشرانق كما يتوهم البعض لان القوة الصناعية في المعامل السورية هي اكبر من حاصلات الشرانق فيها ومن جهة اخرى لأن صاحب المعمل السوري يدفع في شرانق بلاده ذات الاسعار التي يدفعها مزاحمه الاوربي في آخر السنة ومحل الموسم

اما الغاية من هذه الضريبة فعرقلة السماسرة الذين يشحنون الشرانق واعادة الموازنة بين المعامل السورية من جهة والمعامل الافرنسية والايطالية من جهة أُخرى وهذه الموازنة تُفقد بسبب الجوائز التي تمنحها الحكومة في فرنسا واتقان الادوات في ايطاليا

ولا يتضرَّر المربُّون من هذه الضريبة لانها طفيفة جدًّا وهي مع ذلك كافية لاعادة الموازنة ومتى شعر اصحاب المعامل بمساعدة الحكومة ماديًّا ومعنويًّا يقبلون على استبدال ادواتهم بادوات اخرى تسمح لهم بزيادة المحصول وحلّ الحرير الممتاز بصورة اقتصادية · فمتى وُجد في الجبل عشرة معامل من الطرز الحديث ترتفع اسعار الشرانق بسبب كثرة الطلب عليها وحينئذٍ تلغى هذه الضريبة

فلو افترضنا خلافاً للمعقول ان هذه الضريبة اثَّرت في اسعار الشرانق فتأثيرها يكون جزئيًا جدًّا ولا يتضرر منهُ سوى السماسرة · واذا افترضنا مع ذلك ان هذا الهبوط يكون كبيراً فهو لا يتجاوز ٢ الى ٣ بالمائة وهذا لا يذكر في جانب الفائدة العظيمة التي تعود على البلاد من اجور حلّ هذه الشرانق وقد قدمنا ان هذا الحلّ يعادل تقريباً ٣٠ بالمائة من قيمة الشرانق

مختبر الحرير الشرعي

هذه المختبرات هي من اقوى العوامل وانجع التدابير لتقدم تجارة الحرير

الحرير مادة ذات خلايا (مسام كالمسام الجلدية) ولها بالنظر الى تركيبها هذا مقدرة امتصاصية كبرى سواء كان على امتصاص بخار الماء الموجود في الهواء او غيره من الابخرة والغازات والاجسام السيَّالة والمواد المحلولة في الماء

وهذه الخاصة قوية في الحرير لدرجة انهُ إذا وُضعَ في مكان رطب يمتص ٣٠ بالمائة من وزنه من رطوبة ذلك المكان بدون ان يظهر اقل رطوبة للذي يلمسهُ بيده

على ان هذه الخاصة الطبيعية الثمينة في فنّ الصباغة تعتبر نقصاً كبيراً في نظر التجارة · وذلك لان غلاء الحرير من جهة وخاصتهُ الامتصاصية من جهة أُخرى حملا في كل مكان وزمان بعض التجار القليلي الامانة الى غشه إما بتشريبه من الرطوبة ما امكن او بتشريبه بعض المواد الغريبة الثقيلة الوزن التي لا تغير منظره

الخارجي كالجلاتين وبعض املاح الرصاص · وزد على مخادعة التاجر غش الصبّاغ الذي يقدر ان يأخذ ١٥ بالمائة من وزن الحرير ويعوّض عن الوزن المفقود بتحميل الحرير كمية من الصباغ تعادل الحرير الذي سرقهُ

فالغاية من مختبر الحرير منع امثال هذه المخادعة وضبط وزن الحرير الحقيقي وجنسه بكل تدقيق· وقد جرت العادة في ايامنا هذه ان يجرى امتحان الحرير في عموم المختبرات على الامور الخمسة الآتية :

١ً) اختبار درجة الرطوبة

٢ً) الوزن

٣ً) العيار

٤ً) التبييض او التجريد

٥ً) التحليل الكيماوي

وسنذكر كلاًّ من هذه الاعمال باختصار

وزن الرطوبة — هو تحديد مقدار الرطوبة الموجودة في الحرير· توزن اولاً المسطرة المعدة للفحص ثم توضع في آلة مخصوصة بالتجفيف وتبقى فيها ٤٠ او ٥٠ دقيقة بحرارة ١٢٥ الى ١٣٠ درجة سنتيغراد

وعندما يعتقدون ان الماء في الحرير تبخّر يعيدون وزنهُ وبما ان الحرير يحتوي من طبيعته ١٠ بالمائة من الرطوبة يضاف الى الوزن الجديد ١١١،١١ وفي الاستعمال يكتفون باضافة ١١ واهمال الكسر والفرق الموجود بين الوزن الاول والثاني هو درجة كمية الماء المضاف الى الحرير والذي لا يدفع ثمنهُ

الوزن — هو تدقيق وزن البضاعة بكاملها بصورة رسمية ويحدّدونه استناداً على العملية السابقة

العيار — رأينا ان العيار يقوم بان يزنوا « بالقمحات » الكمية الموجودة في ٤٧٦ متراً وهذا هو العيار المعروف بالعيار القديم أما العيار الجديد او العيار المتري فهو ثقل خيط حرير طوله ٥٠٠ متر على وزن « الغرام» ويستعملون حاليًّا الطريقتين غير ان الطريقة القديمة هي السائدة الى يومنا هذا

لتحديد عيار كمية من الحرير يأخذون ٢٠ مثلاً (مسطرة) منهُ بطول واحد اي ٤٧٦ او ٥٠٠ متر ويزنونها على الميليغرام ومعدّل هذا الوزن يكون عيار الكمية الواقعة تحت البحث

يبحث مختبر الحرير ايضاً في امور عديدة تتعلق بالحرير الذي يدرسهُ ويضيف نتائج ابحاثه الى الشهادة الرسمية التي يعطيها · واهم الامور التي يقع البحث عليها هي :

تعديل قطع الخيط — هذا العمل يقوم بأن تكلّف عاملة حاذقة بكرّ اشلوم من المسطرة المعدّة للفحص مدّة ساعتين ويعدّون كم مرّة ينقطع الخيط في هذه المدة ويحددون المعدّل بالنسبة الى عدد الاشاليم التي تقدر العاملة ان تلاحظها بوقت واحد على افتراض انها تصلح ٨٠ عقدة في الساعة

تعديل قوة الخيط — تقاس قوة الخيط بآلة تدعى سيريمتر (sérimètre) اي مقياس الحرير وهي عبارة عن آلة تشد الخيط حتى ينقطع ولها عقرب يحدّد درجة الضغط الذي ينقطع عليهِ الخيط

درجة برم الخيط — تعرف درجة البرم الموجود في طول متر من الخيط المؤلف من عدة خيوط تجارية بواسطة آلة صغيرة مركبة من صفيحة تحمل ملقطين تحل بينهما برمات الخيط بصورة مرتبة وعلى هذه الآلة « عداد » لتحديد البرمات الموجودة في الخيط وهذا العمل عبارة عن برم مخالف للبرم الاول

التبييض — وهو تحديد المادة الخيطية (fibroine) الموجودة في الحرير وهذه العملية مبنية على الخاصة الموجودة في صمغ الحرير التي تحمله على الذوبان في الماء الممزوج بالصابون الابيض

يغلون الحرير المعد للفحص في ماء يحتوي من الصابون على كمية تعادل من ٢٥ الى ٤٠ من وزنه فيذوب الصمغ وسائر المواد الغريبة وتبقى المادة الخيطية وحدها ويعرفون درجتها بوزن المسطرة المفحوصة قبل التبييض وبعده

التحليل الكيماوي — اسمهُ يدل عليه فهو مبني على مبادئ الكيمياء التحليلية وغايته معرفة المواد الغريبة الموجودة في الحرير والتي لم تظهر بالتبييض

وهاتان العمليتان الاخيرتان لا تجريان الا صدفة وفي ظروف مخصوصة

مع صرف النظر عن مسألة الاستقامة والتدقيق الضروريين في مادة ثمينة كالحرير فان وجود المختبرات الرسمية تحمل اصحاب المعامل على تنقية الحرير الصافي الخالي من الغش لان جميع خواص حريرهم ومميزاتها تظهر وتنتشر بواسطة الشهادات التي تعطيها الدوائر الرسمية

وجود المختبرات من اهم الاسباب التي سهلت التجارة بهذا الصنف ففي سنة ١٩٠٧ جعلت الحكومة اليابانية مختبرات الحرير اجبارية في بلادها وذلك على امل تحسين جميع اصناف الحرير الياباني . أما في اوروبا فليست المختبرات اجبارية ولكنها عمومية وقل يباع حرير دون ان يمر على احد المختبرات . والمختبرات تؤسسها عموماً الحكومات وتجعلها تحت مراقبة البلديات وغرف التجارة اما مديرها فيعينهم حكام البلاد . ونحن واثقون ان وجود المختبرات في سوريا يعود علينا بنفع جليل ويسهل تجارة الحرير ويرقيها

المصرف الصناعي الزراعي

رأينا انه يلزم لاصحاب المعامل مبلغ من المال لمشترى الشرانق اللازمة لتطوعيتهم لكن قليلين جداً هم الذين يقدرون بين اصحاب المعامل السورية ان يخصصوا المال الكافي لهذه الغاية فيلتزمون ان يلتجئوا الى المصارف المحلية التي تقدم لهم المال اللازم ولكن بربى فاحش او الى بعض السماسرة الذين « يستدون » ليس فقط حريراً بقيمة دراهمهم بل غالباً يجبرونهم على تسليم جميع الحرير الذي يحلونهُ على مدار السنة فيربح السمسار فائدة ماله ومبلغاً معلوماً بالمائة على مبيع الحرير « كومسيون » ولا يخفى ما ينتج عن هذه الامور من العراقل والصعوبات

إن تأسيس مصرف زراعي صناعي لتقديم المال اللازم لأرباب صناعة الحل إذا قدموا الضمانات الكافية (كوضع الشرانق الناشفة في المصرف) يساعد مساعدة كبرى على انهاض هذه الصناعة وتقدمها

نتائج هذا الدرس

رأينا ان صناعة الحرير تلعب دوراً هاماً في حياة الجبل الاقتصادية وانهُ يمكن ليس فقط انهاضها بل دفعها الى تقدم سريع ونجاح باهر

ونحن نتمنى من صميم الفؤاد نهوض هذه الصناعة وتقدمها لانها تُشغل عدداً وافراً من سكان الجبل الفقراء وتسهّل للشعب اللبناني المعروف بذكائهِ وعلو همتهِ اسباب الرفاهية وتمنحهُ السعة المالية

ولم نحِد في درسنا عن هذه الغاية مطلقاً ونحن نرفع خالص الدعاء الى الله سبحانهُ لكي يحقق امانينا ويساعدنا على خدمة هذا الوطن العزيز ويلهم اولياء الامور ما بهِ خير البلاد فهو كفيل بالتوفيق يؤتيه من يشاء

الاصطياف

لبنان هو المصطاف الطبيعي لسوريا وما بين النهرين وبلاد القرمان ومصر

وقد نال شهرة بعيدة بجمال مركزه الطبيعي وطيب هوائهِ وعذوبة مائه ونشاط مناخه

ان الصفات الخصوصية التي تمتاز بها جهات الاصطياف المشهورة في الجبل تسهّل للراغبين في الاصطياف اختيار الاماكن التي توافق مزاج كل منهم وتنطبق على أهوائهِ ورغائبهِ

(عاليه) : ان تجار مدينة بيروت يفضلون عاليه على سواها نظراً لسهولة المواصلات بينها وبين مدينتهم فيستفيدون من الاصطياف بدون ان يهملوا اشغالهم إذْ يجدون فيها على علوّ ٨٠٠ متر نسيماً بليلاً يساعدهم على احتمال حرّ النهار الذي يصرفونهُ في بيروت

(سوق الغرب) : أما سوق الغرب فهي كعاليه تماماً وتبعد عنها ٣٠ دقيقة بالعربة

(بحمدون) : موقع بحمدون على علوّ ١٠٨٢ متراً عن سطح البحر وهواؤها عليل ناشف . ثم ان عنبها اللذيذ مما يرغّب فيها ذوي المزاج المحتاج الى الراحة

(صوفر) : تعلو صوفر عن سطح البحر ١٢٩٠ متراً وهي مصطاف الاغنياء وبعض المصريين وفيها فندق اشبه بقصر فخيم يستعطف خواطر اهل الثروة بتمام أُهبتهِ

ومعلوم ان مواقع هذه القرى على ممرّ الخط الحديدي الذي يربط بيروت بالشام فهذا يضمن لمصطافيها سهولة المواصلات وسرعتها . لان عاليه تبعد عن بيروت ساعتين ونصف . وبحمدون ٣ ساعات وربع . وصوفر ٤ ساعات

(زحلة) : موقع زحلة على علوّ ٩٦٦ متراً عن سطح البحر وتبعد نحواً من ربع ساعة عن محطة القطار

الموجودة في المعلقة الواقعة في منتصف الطريق تقريباً بين بيروت والشام · ومعلوم ان مناخ زحلة ناشف جدًّا وفيها فندق جميل من الطبقة الاولى وعدد كبير من فنادق الطبقة الثانية

واكثر الناس رغبة بالاصطياف في زحلة هم سكان الداخلية الذين يستطيبون سكناها· ويتخذ التنزُّه على ضفاف البردوني وفي القهاوي المحيطة به بعد عصر النهار حركةً كبرى · واذا ما روَّح المتنزهون بالهم برهة يقبلون على تناول العرق الزحلاوي المشهور· وفي كروم زحلة من لذيذ العنب ما يندر وجوده في غيرها

تمتاز زحلة وصوفر وبحمدون وعاليه وسوق الغرب بمناخ جيّد صحّي غير ان مصطافيها يعتاضون عن فقد جمال الغابات والاحراج الخضراء « بالبساط الاخضر » فيقضون وقتهم بالالعب والمقامرات ويفقدون بها راحة البال وهناء العيش المقصودين من الاصطياف

(بيت مري) : أمّا الذين لا يعبأون بالبساط الاخضر وعشّاقه فيجدون في بيت مري على علو ٧٥٠ متراً وعلى بعد ٣ ساعات من مدينة بيروت غابة جميلة ومتنزهات شائقة هي من اجمل مواقع الجبل · لان النظر يمتدّ على البحر من جونية حتى الدامور · فيظهر بيروت وجميع الساحل على اقدام المتأمل · ومن الجهة يكشف النظر على وادي حمانا وصنين وقسم من قرى المتن الاعلى والشوف

(برمانا) : ان مدخل برمانا الواقعة على علو ٧٥٠ متراً وعلى بعد ربع ساعة من بيت مري له منظر جميل جدًّا ويجد المصطافون في اول البلد فندقين قائمين بين الاحراج كأنهما يدعوان التمتع بسكينة البال وجمال الطبيعة

(بكفيا) : أمّا بكفيا فتبعد عن بيروت نحواً من ٥ ساعات بالعربة وعلوُّها عن البحر يبلغ ٩٠٠ متر وهي بلدة كبيرة فيها ابنية جميلة وبعض الفنادق وماؤُها غزير سائغ

(ظهور الشوير) : ان قرية ظهور الشوير مدعوَّة لان تكون في اقرب الاوقات من اهم الاماكن المقصودة للاصطياف وهي واقعة على علو ١٢٠٠ متر عن سطح البحر وتشرف على اجمل مناظر الجبل وابدعها فمن الجهة الغربيّة يمتدّ النظر الى مسافة بعيدة في البحر ومن الجهة الشمالية الى وادي نهر الكلب وجهات كسروان ومن الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية يتراءى للاعين وادي صليما وقرى المتن الاعلى وبعض قرى الشوف · ومن الجهة الشرقية يشخص البصر الى قمم صنين وسلسلة الجبال التي تمتدّ حولها وفضلاً عن ذلك فان مناخها لطيف جدًّا

ثم ان ظهور الشوير وضواحيها محاطة جميعها بالاحراج فترى قمم الجبال المحيطة بها مكسوّة بغابات الصنوبر الجامعة بين جمال المناظر وتنوُّعها · وقد بُني مؤخراً في وسطها فنادق مستوفية لشروط الاصطياف

هذه هي اهم القرى التي يقبل عليها المصطافون نظراً لقربها من مدينة بيروت ولاشتمالها على بعض المزايا الحسنة · غير ان هناك قرى كثيرة لها محاسن ومميزات خصوصية لا يقبل عليها سوى اناس قليلين من محبي الطبيعة وعشاقها · واخصُّ هذه القرى هي : حصرون وبشرّي واهدن وحدث الجبّة وغيرها من قضاء البترون والطرابلسيون يحبّون ان يصرفوا الصيف فيها · أمّا في كسروان فيوجد عرمون والغينة وعين جويا وريفون

قرية الشوير في لبنان

وميروبا ورشعين وغوسطا وجديدة غزير وغيرها · وفي قضاء المتن قرى عين سعادة و بعبدات وبحنس وحمانا وراس المتن وغيرها · وفي قضاء الشوف شملان وعين زحلتا والباروك ودير القمر

إنَّ في الجبل خمسة فنادق تعتبر من الطبقة الممتازة يمكن من ينزل فيها ان يتمتع بتمام الراحة · وثمانين فندقًا من الطبقة الوسطى · وكلها متفرقة في عموم انحاء الجبل

وقد اتسعت حركة الاصطياف في لبنان في السنين الاخيرة اتساعًا عظيماً حتى اصبحت بعض القرى كعاليه وبحمدون وصوفر وبيت مري وظهور الشوير ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ من نحو ٣٠ سنة

يقدَّر الدخل الذي كان يناله الجبل من الاصطياف بمبلغ ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ غرش ومن جهة اخرى قد ارتفع ثمن الارض في بعض القرى ارتفاعًا هائلاً فالمتر المربع الذي كان يساوي منذ ٢٠ سنة عشر بارات او غرشًا واحداً في عاليه ومحطة بحمدون وصوفر وبيت مري وظهور الشوير يساوي الآن من العشرين غرشًا الى المائة غرش

وقد ساعدت المهاجرة نوعًا على انماء حركة الاصطياف لان مزيد تعلّق اللبناني بوطنه يدفعهُ غالبًا الى ان يخصّص ثمرة اقتصادهِ لاقتناء الارزاق وابتناء البيوت في موطنهِ وقد سهّلت هذه البنايات للمصطافين أمر راحتهم ورفاه سكناهم

ومن فوائد الاسفار اتساع افكار اللبناني وتنبيههُ الى بعض الامور العمرانية كمسألة النقليات التي تلعب دوراً هامًّا في حياة البلدان ولهذا نرى اللبنانيين قد عكفوا منذ ٣٠ سنة تقريبًا على فتح الطرق وبناء المعابر · وتظهر عظمة عملهم هذا اذا عرفنا ان لبنان هو الولاية العثمانية الوحيدة التي أنشأ فيها اللبنانيون شبكة من الطرقات يبلغ طولها ١٢٠٠ كيلومتر وان كانت لا تتجاوز مساحة ارضها الزراعية ٤٠٠ كيلومتر مربع والفضل في هذا عائد الى الاموال التي جمعها ابناء الوطن من المهجر بالاقتصاد والتقتير · ولا يسعنا الا ان نعجب من همتهم ونشاطهم

ولكن إذا كان اللبناني قد ادرك اهمية الطرق وفائدتها فان ادارة الطرق والمعابر القديمة قد خسرت معظم الفائدة المبتغاة منها لتغاضيها عن حسن حفظها مع ما هي عليهِ اكثر الطرقات من خلل الهندسة وسوء البناء فيتعذّر على السيارات ان تمر عليها لقلّة متانة حيطانها وضيق اكواعها

لا ريب في ان مستقبل الجبل يتوقف خاصةً على مسألة الاصطياف إذ انهُ سوف يكون لبنان للشرق ما هي سويسرا للغرب

رأينا فيما تقدم ان الدخل الصافي الذي يناله الجبل من الاصطياف يبلغ ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ غرش في السنة فاذا نظرنا الى المال الذي يمكن الجبل ربحهُ من الاصطياف والى الاموال التي تصرف لمعدَّات الاصطياف ولوازمه كالتي تصرف في بناء الفنادق والبيوت المعدَّة للمصطافين وإذا نظرنا ايضًا الى سهولة تصريف الخضر والحليب والاثمار وبعض المواد المتعلقة بالزراعة والصناعة الزراعية كالجبن والدبس والخمر والزيتون وما يلحق ذلك من ادوات الزينة والزخرف والترف التي تشتريها جماعة من ذوي الغنى واليسار بارفع الاثمان

فضلاً عما سببتهُ حركة الاصطياف من ارتفاع اسعار الاملاك في بعض الاماكن يتضح لك ان عموم الدخل الذي ينالهُ لبنان من الاصطياف يزيد كثيراً على ٢٠٠٠٠٠٠ غرش

وقد زادت مداخيل الاصطياف زيادة متواصلة حتى تضاعفت ببرهة عشر سنين مع انهُ لم تتخذ الاسباب اللازمة للتحريض عليهِ · فلو اتخذت بعض التدابير العمومية لهذه الغاية لزاد دخل الاصطياف زيادة تجعله معين ثروة للجبل

وها نحن نبحث بالاختصار عن اهم الامور التي يمكنها ان تؤثر في تقدم الاصطياف في الجبل فنقول :

ان اهم الامور التي تؤثر في هذه المسألة هي استعمال السيارات واصلاح الطرق القديمة وانشاء طرق جديدة تسهل حركتها

يجب ان لاننسى -- كمبداٍء عمومي -- ان المصطافين هم جماعة من ذوي اليسار يحبون الراحة والهناء · ولا يوجد على وجه الارض طريقة للنقل الى مسافات قريبة اسهل والذ من السيارات وخصوصاً في جبال لبنان التي تخلب القلوب بجمالها وتنوع مناظرها · ثم ان نفع السيارات في الجبال اكثر منهُ في السهول وربما استغرب ذلك القارئ لكنهُ امر راهن كحقائق الحساية وقد اثبتهُ الاستعمال وابده الاختبار واليك مثالاً على ذلك :

لو افترضنا سيارة تجارية بقوة ٤٠ حصاناً تقدر ان تنقل ١٢ مسافراً كما هي الحالة عادة وافترضنا ان المراد قطع المسافة بين بيروت وجونية اي ٢٥ كيلو متراً تقريباً يصعب على السيارة قطع هذه المسافة باقل من ٤٠ دقيقة اي على معدل سرعة ٣٧٫٥ كيلومتراً في الساعة وذلك لسبب وجود العطفات والاكواع في الطرق وخصوصاً بسبب تواصل القرى في اكثر المواضع مما يجبر السائق على تخفيف سرعة سيارتهِ فلا يمكنهُ ان يستعمل قوة الاربعين حصاناً بدون خطر الا في بعض الظروف الخارقة العادة · فلو قطعت هذه المسافة في عربة تجرها خيل متوسطة القوى يقتضى لها على الاقل ١٢٠ دقيقة فتكون السيارة قد اقتصدت في الوقت بنسبة ١٢٠ الى ٤٠ اي ثلثي الوقت

فلنتخذ نفس المثال في احدى الطرق الجبلية ونفترض ان المراد السفر بذات الاتوموبيل من بيروت الى صوفر والمسافة بينهما ٢٥ كيلو متراً تقريباً · فالسيارة تقطع هذه المسافة بمدة ٥٠ دقيقة على تعديل ٣٠ كيلومتراً تقريبا في الساعة وذلك لان قوة الماكينة تسمح بالحصول على هذه السرعة واكثر ولا بأس من المسير بهذه السرعة في الجبال نظراً لبعد القرى عن بعضها فيسهل استعمال قوة الماكينة بكاملها بدون خطر · اما اذا قطعت هذه المسافة في عربة فيقتضى لها على الاقل خمس ساعات اي ٣٠٠ دقيقة ويقتضى لذلك ايضاً خيل قوية فيكون السفر في الاتوموبيل قد اختصر الوقت بنسبة ٥٠ الى ٣٠٠ اي ٦ مرات · فالسيارات إذن افضل في الجبال منها في السهول

هذا هو سبب بلوغ عاليه وبحمدون وصوفر الاهمية التي نراها لها فمرور القطار فيها هو الذي قصّر المسافة كثيراً وامن راحة المسافرين · فلو امكن تقصير المسافة في بعض القرى التي تمتاز بعلوّ موقعها وجودة مناخها وتزدان بالاحراج خلافاً للقرى الثلاث المذكورة حيث لا يجد المرء محلاً يستظلُّ فيهِ من أشعة الشمس ولا

متنزهات سوى محطات القطار التي تصبح عند المساء معرضاً للازياء النسائية وخزاناً لاستنشاق الهواء المملوء بالابخرة التي تقذفها القاطرة . فلا يبعد ان تنمو تلك القرى وتصبح مقاماً للاصطياف إذا تسهلت فيها مسألة النقل وسرعته كما هو الامر في عاليه وبحمدون وهو فر خصوصاً لما فيها من المياه الباردة العذبة واحراج الصنوبر الجميلة التي تبتهج بمرآها العيون وتنبسط لعزلتها النفوس . ولا يخشى ان يضر تقدم هذه القرى بعاليه وجاراتها التي يبقى لها مريدوها البيروتيون المخلصون

أما هذه القرى الجديدة فيأتيها من الداخلية وقبرص وخصوصاً من مصر من ينظر الى الاصطياف بمنظره الحقيقي . فترى كثيراً من المصريين الذين يتعبهم مناخهم يذهبون سنوياً الى اوربا وخصوصاً الى سويسرا ويصرفون الاموال الطائلة في طلب الراحة والنزهة فأمثال هؤلاء يفضلون بلا ريب لبنان مدفوعين بعامل الجنسية والعوائد واللغة لان ما يرغبونهُ في مصايف اوربا يحصلون عليهِ بوفرة في الجبل وبنفقات قليلة . فعلينا ان نتخذ جميع الوسائل التي ترغبهم وتضمن لهم الراحة والرفاه

دعنا ننظر الآن بلمحة عين ما هي شبكة الطرق الواجب الاهتمام بها قبل كل شيء لندرك الغاية المبتغاة فأول ما نرى وجوب عمله هو اصلاح الطرق التي تمر في المتن ثم فتح بعض طرق جديدة تسهيلاً لسير الاتوموبيلات التي تكلمنا عنها . فللحصول على تقدم بعض القرى يجب اولاً ان تمر هذه الطريق في القرى التي يجعلها مركزها الطبيعي قابلة للتوسع والعمران من الوجهة المتعلقة بالاصطياف . ثانياً ان تتخذ السيارات على هذه الطريق حركة تجارية

ان عين سعادة وبيت مري وبرمانا وبعبدات وبحنس وبحرصاف وبكفيا وظهور الشوير والمروج والمتين وبزبدين وقرنايل وحمانا . . . . موجودة جميعها في مواقع توافق الاصطياف . ومن جهة أخرى يمكن لخط السيارات المار بهذه القرى أن يخدم كل قضاء المتن كخط تجاري خدمة حقيقية

فالطريق الموجودة حالاً لا تصلح لسوء الحظ لهذه الغاية ويمكن تقصيرها جداً وزد على ذلك ما هي عليهِ اكواعها العديدة من الضيق وحيطانها من قلة المتانة . يمكن للاوتوموبيلات الصغيرة ان تسير عليها لكن مع صعوبة وخطر اما الاوتوموبيلات الكبيرة التجارية فتسييرها على الطريق الحالية غير ممكن مطلقاً

وبالفعل يقتضي لاتساع حركة السيارات بصورة تجارية ان تنقل السيارة الواحدة من ١٢ الى ١٦ راكباً وذلك اقتصاداً في المصاريف العمومية التي لا تكاد تختلف في السيارات الصغيرة والكبيرة ذات الستة الركاب او ١٢ راكباً لان اجرة السائق وسائر المصاريف العمومية هي ذاتها كما نقدم وإذا كانت السيارات الكبيرة تنفق كمية من البنزين اوفر من الصغيرة وثمنها اكثر من تلك فان مدخولها يزيد على ضعف مدخول السيارة الصغيرة وكلف النقل فيها تقل كثيراً الا انها تستلزم طرقاً متينة البناء حسنة التخطيط . فمن الضروري اذاً بناء طريق جديدة واصلاح القديمة

وقد تمَّ درس هذه الطريق الجديدة بصورة عمومية وهي تبتدئ من جسر بيروت حتى تصل الى المصلبية بعرض ٧ امتار ومن المصلبية تتجه الى المكلس ثم تمر بالمنصورية وكفرا وعين سعادة ولا يكون لها بين

جسر بيروت وعين سعادة سوى ٥ اكوعة بينما يوجد في الطريق الحالية ٤٠ كوعاً على ذات المسافة · ومن عين سعادة تتجه الطريق الى برمانا فبعبدات وتمر تحت بجنس وبحرصاف فتصل الى بكفيا ومنها الى ظهور الشوير · فطول الخط بين ظهور الشوير وبيروت لا يتجاوز ٢٧ كيلو متراً تقريباً بانحدار ٥ بالمائة · مع ان الطريق الحالية يبلغ طولها ٣٥ كيلو متراً · فالطريق الجديدة هي اقرب طريق ممكنة بين بيروت وكل من القرى المذكورة بخلاف الطريق الحالية التي اجازوها في قرى صغيرة لا اهمية لها مراعاة لخاطر اهل بعض تلك القرى · فمن بكفيا الى بيروت مثلاً على الطريق الجديدة تكون المسافة ذاتها الموجودة بين طريق بكفيا — بيروت مارة في انطلياس ومن ظهور الشوير تتجه الطريق الى المروج فالمتين فبزبدين وتمر بقرب قرنايل وفي حمانا حتى تصل الى المديرج قرب صوفر حيث الطريق العمومية · فبين ظهور الشوير والمديرج تتبع الطريق في خطوطها الكبيرة الرسم القديم وطول هذا القسم ٣٣ كيلو متراً تقريباً فيكون المجموع ٦٠ كيلو متراً

ومن الواضح ان هذه الطريق هي اهم طرقات المتن لانها متى اجتمعت في المديرج بالطريق العمومية يتألف منها مع قسم صوفر فحمدون فعاليه فبيروت خط مُقفَل مهم جداً من الوجهة الاصطيافية وذلك لان المركبات التي تذهب من بيروت على كل من الخطين تتلاقى في احدى النقط في قرنايل مثلاً وتعود كل منها الى بيروت تابعة الخط الذي اتت عليه الاخرى · يبلغ عموم طول هذا الخط المقفل ٩٠ كيلو متراً وينتفع منه عموم قضاء المتن مع قسم من قضاء الشوف · ولو افترضنا ان معدَّل سرعة المركبات ٢٠ كيلو متراً في الساعة اقتضى ٤ ساعات ونصف لقطع الخط بكامله فالذين يقضون الصيف في عاليه وبحمدون وصوفر مثلاً يمكنهم ان يقطعوا وادي حمانا ووادي صليما الى ظهور الشوير وبكفيا وغيرها باقل من ساعتين ومصطافو بكفيا وظهور الشوير يأتون الى عاليه وبحمدون بالوقت ذاته · واذا كانت اوقات سفر الاوتوموبيلات منتظمة يقدر المسافر ان يذهب من عاليه الى بكفيا وبالعكس ويعود في يوم واحد · فيظهر جليًّا ما لهذه الامور من الترغيب في مسألة الاصطياف إذ يصبح سهلاً لذيذاً · ومن الموافق ان يُجعل عرض الطريق الجديدة ستة امتار على الاقل وعلى كل حال يقتضي التدقيق الكلي في درس الحنيَّات والاكواع وان يعطى لها شعاع لا يقل عن ١٥ متراً و١٢ في بعض الظروف الخصوصية

وربَّ معترض يقول ان هذه فكرة جديدة جيدة ولكن هل للمتن مقدرة للقيام بها ؟ فالجواب على هذا ان الطريق يكون طولها ٦٠ كيلو متراً فمتر الطول تبلغ نفقتهُ ٤٠ غرشاً (على تعديل اسعار سنة ١٩١٤) فتكون عموم الكلف ٢٤٫٠٠٠ ليرة فلا يصعب على المتن دفع هذا المبلغ للقيام بعمل يجعله حليةً في صدر لبنان ويوسع نطاق موارده الاقتصادية · ونزيد على ذلك للمترددين ان الطريق الحالية التي تربط بيروت ببرمانا وبكفيا وظهور الشوير وبزبدين والمديرج فيها ٨ كيلو مترات زيادة يمكن حذفها فتتوفر كلف الاعتناء بها التي تبلغ غرشين في المتر فيتوفر ١٦٫٠٠٠ غرش سنوياً

وزد على ذلك ان الطريق الحالية تستلزم تصليحًا دائمًا ليست كلفهُ بالشيء القليل اذ يسقط سنويًّا في

فصل الشتاء عند اشتداد المطر قسم كبير من معابرها وحيطانها ومن جهة اخرى فان العبارات والاقنية مصنوعة بصورة مخلة جداً فتطغو المياه غالباً على الطريق وتعطلها · امَّا الطريق الجديدة فلا يقع فيها مثل هذا الخلل · فيتوفر معنا بناءً على ما تقدَّم من اجرة التصليح مبلغ ١٠٠٠ ليرة سنوياً · فلو استخرجنا المال اللازم للحصول على المبلغ باعتبار ١٠ بالمائة بلغت قيمتهُ ١٠٠٠٠ ليرة يجب ان تطرح من اصل كلف الطريق الجديدة المذكورة فيبقى معنا من اصل النفقات ١٤٠٠٠ ليرة

ومتى اعتبرنا انهُ يقتضى على الاقل ٣ سنين لاتمام بناء هذه الطريق يكون على المتن ايجاد مبلغ ٥٠٠٠ ليرة سنوياً فقط · ومعلوم ان هذا المال يبقى في نفس قضاء المتن إذ انهُ يتوزَّع اجوراً على فعلة من نفس القضاء · يظهر جلياً ان هذا الامر لا يكون حملاً ثقيلاً على هذا القضاء

كنَّا درسنا هذه المسألة في حزيران سنة ١٩١٤ وقدمنا تقريراً الى مجلس إدارة الجبل فبعد المذاكرة قُبل هذا المشروع مبدئياً وعُهد الينا درس الزيادة التي يجب ان تضاف الى الملتزم ليدخل ضمن التزام الطريق الكبرى طريقاً كان قد بوشر في بنائها على الفرق القديم بين العطبية وعين سعادة وصدرت الاوامر بتوقيف الاشغال على هذه الطريق موقتاً الى ان ينتهي فحص المشروع · وعلى الاثر نشبت الحرب العمومية فأوقفت كل شيء

ولنا كبير الامل ان تخرج هذه الفكرة الى حيز العمل عند ما يسود السلام و يعود الامن الى العالم

طريق اعالي لبنان

من اهم الامور التي تساعد على انماء حركة الاصطياف في الجبل انشاء طريق تربط جزين و بشرّي وتمرّ في بيت الدين والباروك وعين زحلتا والمديرج وقرب قرنايل وفي المتين والمروج وقرب بسكنتا وفي ريفون ودلبتا وعرمون وشحتول ولاسا وافقا واهمج وترتج ودوما و بيت منذر

ان مجاري المياه التي حفرت اودية لبنان في اكثر انحائهِ تبتدئ من اعالي الجبال واكثرها متجه نحو البحر من الشرق الى الغرب · وهذه الاودية حرجة وعميقة جداً وكثيراً ما تقطع الجبل في معظم عرضهِ وتسبب صعوبة ومشقَّة كبرى في المواصلة بين الاماكن الموجودة على ضفافها

فمن اراد مثلاً السفر من بكفيا الواقعة على علو ٩٠٠ متر الى ريفون وعلوها ١٠٧٣ متراً يلتزم ان ينحدر الى ساحل البحر ليستأنف الصعود ثانية الى ريفون · ومن اراد الذهاب بالعربة من ريفون الى دلبتا التي تعلو ٧٥٠ متراً يُقضى عليهِ النزول الى الساحل ليتمكن من الصعود اليها

فمتى تمت الطريق بين جبيل وقرطبة وجبيل وترتج يقتضي ربط الطريقين ووصلها ايضاً بشبكة طرق كسروان والبترون بواسطة طريق تسير في اعالي جبال كسروان والا بقيت مسألة المواصلات كما هي الآن من حيث الصعوبات التي ذكرناها

إن الطريق التي يجب ان تمتدّ من جزين الى بشرّي وندعوها « طريق اعالي لبنان » قد تمَّ منها قسم

كبير · فالقسم الاول هو الذي يمتد من جزين الى المديرج ومنها الى المروج · والقسم الثاني يمتد من عجلتون الى ريفون · والقسم الثالث من دلبتا الى عرمون · والقسم الرابع هو الطريق التي يسعون في فتحها بين عجلتون وشحتول

يقتضي اذاً اولاً تخطيط طريق موافقة لحركة السيارات الكبيرة فتمرّ في المروج وظهور الشوير وريفون وذلك تسهيلاً لاتصال اعالي المتن باعالي كسروان · ثم تخطيط قسم آخر يمتد من ريفون الى دلبتا وعرمون وشحتول ولاسا وأفقا واهمج وترتج وذلك حتى تتصل طرقات كسروان المنشأة او التي يجري إنشاؤها باعالي جبال هذا القضاء · ثم انشاء الطريق بين ترتج ودوما لتربط طرقات كسروان والبترون في اقسامها العليا

إن إنشاء هذه الطريق التي دعوناها طريق اعالي لبنان هي في غاية الاهمية ويجب العمل بها في ذات الوقت الذي تُفتح فيه طرقات قضائي كسروان والبترون التي تمتد من طريق البحر الى داخل هذين القضائين كطريق جبيل فقرطبا وطريق جبيل فعبيدات فلحفد فترتج · وطريق البترون فادّه فداريا · ويحسن ان تمتد هذه الطريق الاخيرة حتى تتصل بالطريق التي تمرّ في اعالي الجبال · ومن الطريق التي تمتد من طريق البحر الى الداخل طريق البترون فمار يوحنا مارون فحلتا فبستان العصا فتناة فبيت منذر

اما إصلاح القسم الذي يمتد من جزين الى المديرج بهيئة تسمح للاتوموبيلات ان تسير فيه بدون خطر فيمكن ان يجري مع الوقت تدريجاً واما بناء الجزء الذي يمتد من المديرج الى المروج فهو من ضمن اصلاح طريق المتن التي تكلمنا عنها · وعندئذٍ لا يبقى كسروان منفرداً كما هو الآن ثم ان قراهُ الممتازة بمناخ جيد منشّط للقوى كقرى لاسا وقرطبا واهمج ولحفد وترتج وغيرها تُصبح قابلة للعمران والتقدم من جهة الاصطياف · ويمكن ان تمتد في المستقبل من هذه الطريق التي تمر في اعالي الجبال شعب كثيرة الى عموم القرى التي لها ميزات خصوصية تحبّب الاصطياف فيها فيمكن مثلاً مدّ شعبة الى تنورين التي هي من اكبر قرى الجبل والى مشارف اللقلوق وهو سهل يبلغ ارتفاعهُ عن سطح البحر ١٧٠٠ متر تقريباً مناخه غاية في الجودة وهواؤه ناشف نقي يخوّل الاجسام قوة ونشاطاً فيه من المراعي الخصبة ما يغذي البقر الحلوب التي تدرّ اجود اللبن وفيه يستحضر الذّ انوع الجبن الوطني ومياههُ غزيرة نقية خفيفة باردة ومناظره نهاية في الحسن يقصدهُ كثير من المصدورين فلا يلبثون بعد ان نضوا فيه فصل الصيف ان يعودوا وقد تحسنت صحتهم وربما نال كثير منهم الشفاء التام من علته · غير ان وسائط النقل الى اللقلوق صعبة وكثيرة الكلفة ولا يقدر غير الاغنياء ان يتحملوا مصاريف الاصطياف فيها على حالتها الحاضرة · فمتى تمت الطريق التي مرّ الكلام عنها يسهل كثيراً امر الاصطياف في اللقلوق فيُقبل عليهِ كثير من الوطنيين والاجانب خصوصاً فتصبح اللقلوق في لبنان وانحاء الشرق بمنزلة دافوس (Davos) واروزا (Oroza) وليسان (Leysin) في سويسرا واوربا

ثم إن « طريق اعالي لبنان » مما يرغّب ايضاً في الاصطياف في قضائي المتن والشوف وقد نال المتن والشوف في الاصطياف شهرة واسعة واسماً بعيداً ووجودها في وسط لبنان يسمح للمصطافين ان يتنقلوا في

شمال الجبل وجنوبهِ بسهولة ولا يخفى ما في ذلك من الرفاء والسلوان

وفي بعض الاماكن الواقعة على الطريق التي نتكلم عنها ترى من المشاهد البديعة ما يكفي وحده ليدفع المصطافين الى احتمال مشاق السفر ومعاناة التعب في سبيل التمتع برؤياها . واهم هذه المناظر بين ظهور الشوير وريفون وبين لاسا وفرطبا واهمج

ولعلّ تخطيط هذه الطريق النهائي لا يمرّ تمامًا في جميع الاماكن التي ذكرناها لانّا لم ننظر بعد الى هذا المشروع الاَّ نظرةً اجمالية مبدئية ومن الممكن ان لا يطابق التخطيط الفني النهائي الدروس الابتدائية تمام المطابقة. وانمّا يستحسن ان لا ينخفض تخطيط الطريق عن علوّ ٨٠٠ متر لانّ النزول عن هذا الارتفاع مما يسبّب بُعد مسافة الطريق نظراً لتركيب البلاد الطبيعي. ويلزم ان لا يتجاوز ارتفاعها ١٣٠٠ متر لئلا تغطيها الثلوج في فصل الشتاء . فتخطيطها يجب ان ينحصر إذن بين هذين الارتفاعين لانهُ اقصر تخطيط يمكن الحصول عليهِ فالاودية ومجاري المياه على مثل هذا الارتفاع تكون قليلة الاتساع لأنها في بدء تكوّنها. هذا ويثبت ما تقدّم انك اذا اعتبرت اراضي لبنان وجبالهُ وجدت اتساع اوديتهِ اعظم وابعد غوراً في انحائهِ الواقعة تحت ٨٠٠ متر على خلاف المشارف التي بين علو ٨٠٠ و ١٣٠٠

وليس من الضروري ان تتجاوز عرض هذه الطريق الخمسة الامتار ولكن يقتضي ان تبنى حيطانها بناء جيداً متيناً وان تكون حنياتها محكمة الوضع واكواعها كافية الاتساع بشعاعٍ لا يقل عن ١٠ امتار

لا ريب في ان انشاء هذه الطريق الممتدة تقريباً بمحاذاة طريق البحر والمربوطة بها في نحو من ١٠ طرق اكملت او بوشر بها ممّا يساعد على توسيع نطاق الاصطياف وتقدمه في الجبل . ومن ثم فان فتح هذه الطريق هو من اهمّ ما يلزم للحالة الاقتصادية في الجبل . وستكون الساعة التي يتقرر فيها هذا المشروع ساعة غبطة وفلاح يذكرها اللبنانيون بين ايام سعادتهم المادية ونعيمهم الدنيوي

مشاريع توسيع القرى وتزيينها

قد رأينا فيما تقدم ان بعض قرى الجبل اتسعت اتساعًا كبيراً في هذه السنين الاخيرة وذلك بسبب حركة الاصطياف وقد كان اتساعها غاية في السرعة فترى الابنية الحديثة قد تكاثرت في بعض القرى واكثرها متجمع ومشيّد في جانبي الطريق الرئيسية المخترقة القرية والتي لا يتجاوز عرضها الخمسة الامتار او حول سائر الطرق التي يتراوح عرضها بين المتر الواحد والثلاثة الامتار وهذا ما يجعل التجول فيها شاقًا صعباً خصوصًا في فصل الصيف . فبدلاً من ان تكون هذه القرى مزدانة بالطرق الواسعة التي تظهر بمظهر رائع جميل شأن كل جديد ترى طرقها ضيقة متعرجة كالثعبان وبيوتها مزدحمة بعضها فوق البعض ومتلاصقة بصورة تحول دون تجدّد الهواء فيها. الى غير ذلك من الامور التي تضرّ ضرراً كبيراً في مستقبلها من وجهة الاصطياف

فتقدُّم بعض القرى ونموّها حمل على الافتكار بامر توسيع طرقها. غير ان بلديات هذه القرى تؤخّر أمر

هذا الاصلاح من وقت الى آخر نظراً لعدم وجود المبالغ اللازمة لدفع اثمان التعويض عمَّا يهدم من الابنية للقيام بهذا الاصلاح

سبق القول ان الجبل ينتفع ليس فقط من مصطافي سوريا لكن بالاخص ممن يقصده من المصريين . فيجب علينا ان نسعى في استجلابهم الى لبنان وتحويل افكارهم عن سويسرا . فليس المقصود اذاً انشاء الطرق التي يرضى بها اهل الشام وحلب وسائر الداخلية بل صَرْف نظر المصريين عن سويسرا بان نجعل قرانا مضاهية لاجمل قرى سويسرا

وفي مقدّمة التدابير الضرورية التي يتوقف عليها بالاكثر نجاح هذا الامر وَضع الخرائط والرسوم المتعلقة بسائر الامور التي من شأنها ان تضمن توسيع وتزيين القرى التي تصلح للاصطياف . ولو كانت وضعت منذ عشرين سنة الخرائط اللازمة لتحسين احوال بعض القرى كعاليه وبحمدون وصوفر وزحلة وبيت مري وبرمانا وبكفيا وغيرها التي لم تتسع سوى في هذه السنين الاخيرة لكنَّا حصلنا على غاية ما نروم ولكانت اصبحت حالة هذه القرى موافقةً لقوانين الصحة جميلة المنظر بدلاً من ان تكون كما هي الآن مؤلفة من بيوت متراصَّة يتراكم بعضها فوق البعض ومن طرق وازقَّة متعرجة ضيّقة وسخة لا يتخللها الهواء ولا تدخل اليها الشمس الاَّ بصعوبة كليَّة . ولا يخفى ما يوجد في تنظيف مثل هذه الطرق من المشقة والصعوبة

فهذه زحلة فانها منذ نحو ٥٠ سنة لم يكن يوجد فوق جسر البورصة على ضفاف نهرها البردوني سوى بيتين فقط ثم بنيت قهوة البورصة وهي عمارة جديدة كبيرة تقدّم اصحابها كثيراً في بنيانها نحو مجرى النهر فحالت دون مناظره الجميلة وشوّهت هيئة البلد . ويوجد غيرها من البيوت التي اقتدى اصحابها بمثل بناء هذه القهوة . وقد كان من اسهل الامور واقربها الى العقل ان يفترض اصحاب ذلك البناء امكان انشاء طريق جديدة واسعة على ضفتي البردوني تمتد من الجهة العليا من زحلة الى المعلقة لان هذه الطريق من شأنها ان تغير منظر زحلة تماماً وتعطيها مسحة من الجمال تجاب اليها عدداً وافراً من المصطافين . ولا بد لهذه الطريق ان تتمّ وقد بوشر بها غير انها ستكلّف اهالي زحلة زيادة بضعة آلاف من الليرات لانهم لم ينتبهوا بادئ بدء لدرس مسألة تزيين بلدتهم وتوسيعها . وهذه هي حالة قسم كبير من قرى الجبل

ومعلوم ان المصطافين يميلون الى النزهة واللهو فيحسن باهل القرى التي يؤهلها مركزها الطبيعي للاصطياف ان يفكروا في الامكنة التي تصلح للمنتزهات العمومية . ويجب على البلديات ان تنشّط الاهلين على ايجاد مجتمعات عمومية كالقهاوي والنوادي الصالحة للالعاب ولتمثيل مناظر من الصور المتحركة وتأليف الاجواق الموسيقية ووضع اعياد مخصوصة بكل بلد يلعبون فيها بعض الالعاب الوطنية الى غير ذلك من دواعي اللهو والفرح . وبالاختصار يجب على بلديات لبنان ان تتخذ لها مثالاً من بلديات سويسرة التي تسعى بكل قواها في استجلاب الغرباء الى ربوعها وقد تكللت مساعيهم بالفوز الباهر حتى اصبح الاصطياف من اكبر موارد الثروة فيها

الاعلانات

ان الاعلانات هي من اضمن عوامل النجاح في هذا العصر ولذا نرى ان اصحاب المعامل المهمة يقسمون راس مالهم الى قسمين متساويين فالقسم الاول يخصّص لشراء لوازم الاعمال والقسم الآخر لاشهار بضائعهم لدى الجمهور بواسطة الاعلانات ووصف مميزاتها ومحلات وجودها . فترى اكثر الذين نجحوا نجاحًا باهرًا قد اهتموا جدًّا بامر الاعلانات حتى انهم صرفوا من المال جانبًا يفوق المخصص لاعمالهم فأتى النجاح ضمينًا لتقديرهم . ومن يجهل المقدرة والتفنن والاموال التي يصرفها اصحاب معامل حبوب پنك (Pink) وكاوتشوك السيارات (Michelin) ودواء الاسنان (Odol) وصابون پيرس (Pear's Soap) في سبيل اشهار بضاعتهم لدى الجمهور . فالاعلانات تساعد ايضًا على انماء حركة الاصطياف ولذلك اسّس اهالي سويسرا شركة تمثل اصحاب الفنادق واتخذوا جميع الوسائط لتبيين محاسن بلادهم لدى الاجانب . فيحسن باللبنانيين ان يتمثلوا بهم . وذلك بان يطبعوا كتابًا يكون دليلاً يرشد الغريب الى معرفة مميزات كل من اماكن الاصطياف في الجبل مع اسماء الفنادق واسعارها واجور النقل الى غير ذلك من الامور التي تهمّ معرفتها . فيوزَّع هذا الدليل المحتوي الايضاحات المطلوبة على اصحاب الفنادق في الداخلية ومصر . ويحسُن ان تعطي الجمعية مكافأةً لاصحاب الفنادق الذين يسببون وفود المصطافين الى الجبل وان تعلّق في محطات مصر والداخلية بعض الرسوم والتصاوير التي تمثل بعض مناظر الجبل و بناياته الممتازة ومواقعه الجميلة . ومن الضروري ان يطبع عليها بعض الايضاحات الوجيزة مع تبيان عنوان الاشخاص الذين يمكن ان يطلب منهم زيادة في الايضاح

تأسيس ادارة مركزية لتفتيش البلديات

ان تشتُّت قرى لبنان يستلزم لها عددًا كبيرًا من البلديات ويكون في الغالب مدخول هذه البلديات محدودًا جدًّا فلا تقدر ان تدعو مهندسًا مخصوصًا يضع لها الخرائط والرسوم التي تلزمها . ومن جهة اخرى قلما يكون لمجالسنا البلدية سعة نظر كافية تسمح لاعضائها بالحكم في مسألة التقدم الممكن حصولهُ للقرى التي يمثلونها وقلما يهتدون الى الطريقة الواجب اتخاذها ترويجًا لهذا المسعى وتنشيطًا له . وتكون المجالس البلدية مقسومة في الغالب الى عدة احزاب تطرح جانبًا الصالح العمومي وتتبارى في معاكسة بعضها فيسعى كلٌّ الى صالحهِ الخصوصي . أما رؤساء البلديات فلا همَّ لهم سوى مراعاة بعض الامور الخصوصية وإرضاء البعض والانحياز الى حزب من الاحزاب او على الاقل اهمال المصلحة العمومية مخافة ان يُغضبوا بعض ذويهم واصدقائهم . وقلما رأينا الى الآن مَن قام بعمل او اتَّبع خُطَّة كانت غايتها الاساسية المنفعة العمومية فقط وعمل بها مدَّة طويلة بحزم وحسن إدارة

وقد بيَّنت ملحوظاتنا السابقة منذ زمن طويل وجوب انشاء إدارة مخصوصة في لبنان لتفتيش البلديات وتدقيق البحث في دفاترها والاهتمام بوضع الخرائط والدروس التي تتعلق بتوسيع القرى وتزيينها وترتيبها

وحصر القوى وتوجيه الافكار كافة الى بعض الامور المهمة التي تستلزم لاتمامها حزماً ووقتاً طويلاً فتعود بالفائدة العمومية

وقد افتكر صاحب الدولة اوخانس باشا في تشكيل مثل هذه الادارة في الجبل ثم وضع اساسها صاحب الدولة علي منيف بك وأمَّن تشكيلها وضبطها ضبطاً نهائياً صاحب الدولة والحزم اسماعيل حقي بك فابتدأت هذه الادارة بالاشغال — واتمَّت تحت رعايته والتفاته العالي خرائط التوسيع الابتدائية الكلّ من بعبدا وعاليه وزحلة وجونية وبرج البراجنة

الفحم السيال

ان الفحم السيّال اي القوة المائية المحركة (la houille blanche) الفحم الابيض) كثير في لبنان ثم ان سهولة نقله الى اماكن بعيدة بواسطة الكهرباء تجعله من اقوى العوامل التي تؤثر في حياة الجبل الاقتصادية. انما يكتفون الآن في الجبل باستعمال الماء كقوة محركة في عدد من الشلالات الصغيرة التي تحرك بعض المطاحن المبنية على النسق القديم

تجري المياه المعدة لتحريك المطحنة في قناة الى مكان يمكن الحصول فيه على شلال بعلو ٦ الى ١٠ امتار وهناك يبنى بالحجر والكلس مجرى مخروطي تنصب منه المياه « بسكر » فتتوزع على « الفراشة » التي تكون دائماً مرتكزة افقياً على مركز عمودي ومن النوع المسمّى « جيرار » (Girard). تصنع «كوالك» الفراشة بدون مراعاة الهندسة الفنيّة فيعطونها درجة من الانحناء لا توافق الا نادراً وجهة المياه وسرعتها فتضيع كميّة وافرة من قوتها الثمينة. وقد جرت العادة ان من يريد بناء مطحنة يزور مطحنة اخرى في جواره ويفحصها وينقل هيأتها وهو يجهل كم تختلف قوة المياه وعلوّها ويختلف المبدأ الفني. ولهذا نرى ان هذه المطاحن ليس لها مفعول مناسب لقوة المياه المستعملة فيها

تقاس عادةً مياه الاقنية والينابيع في الجبل على طريقتين الواحدة اغرب من الاخرى فيقولون مثلاً ان قوة هذه المياه تبلغ « مجرفة واحدة » متى كان الفاعل الواحد قادراً على استعمال هذه المياه في ري قطعة من الارض بدون ان يحتاج الى حوض وبدون ان نفيض المياه من المجاري الصغيرة « الثلوم » التي يحتفرها. فهذا ما يدعونه « السقي جر ». ويقولون ايضاً ان كمية المياه تبلغ حجر طحن اوحجرين او ثلاثة متى كانت كافية لتحريك حجر واحد او حجرين او ثلاثة. فيظهر جلياً ان هذه الطريقة الغير المستندة على مبدإ من المبادئ هي بمكان من الغرابة

إن اهم منابع القوة المائية الموجودة في لبنان هي :

نهر قاديشا — نهر قاديشا ويقال له ايضاً في مجراه الاسفل نهر ابي علي ومن سواعده نهر رعشين يوجد على طول مجراه عدد وافر من المطاحن . فاذا بنيت اقنية محكمة لحصر مياه هذين النهرين يمكن اصطناع شلالات كافية العلو تسمح بتوليد قوة مائية تصلح لتحريك ادوات المعامل

نهر الجوز — ان شلالات نهر الجوز او شلاّل بستان العصا في قضاء البترون يفوق علوُّه ١٥٠ متراً و يلقي منظره في النفس هيبة . والقوة التي تتولد منهُ تبلغ اكثر من ١٠٠٠ حصان بخاري

نبع العسل — ان المجرى الذي بنتهُ شركة نبع العسل سينقل المياه الى حريصا ومنها الى جونية فيمكن استعمال هذه المياه لاحداث شلال بعلو ٣٥٠ الى ٤٠٠ متر يتولد منه قوى عظيمة

نهر الكلب — تحرّك مياه نهر الكلب عدداً كبيراً من المطاحن وتعطي لشركة مياه بيروت العثمانية قوة تبلغ ٢٠٠ حصان تستعمل لدفع المياه العذبة الى مدينة بيروت فلو اتخذت هذه الشركة المياه من منبعها لامكنها الحصول على قوة تعادل ثلاثة اضعاف القوة الموجودة الآن

عين الدلبة — قد رأينا في فصل سبق لدى كلامنا عن الريّ ان مياه عين الدلبة التي ينوى جلبها الى بعبدا يمكن ان تستعمل لاحداث شلاّل يكون موقعهُ تحت الكحلونية وعلوه ٢٠٠ متر تقريباً وتبلغ قوتهُ على الاقل ٧٠٠ حصان بخاري يمكن استعمالها لتوليد قوّة كهربائية كافية لإنارة عاليه وسوق الغرب والعبادية وعاريا وجمهور و بعبدا وغيرها

شاغور حمانا — امّا شلاّل حمانا «الشاغور» فيمكن ان يولّد على الاقل قوة ١٥٠ حصاناً تستعمل في تنوير القرى المجاورة كفالوغا وقرنايل وراس المتن وصوفر ومجمدون

شلال بيت الدين — يسهل إحداث شلال في بيت الدين بمياه نبع الصفا فيولّد قوة يمكن استعمالها لتنوير القرى المجاورة كدير القمر و بعقلين وغيرها

شلال جزين — كذلك شلال جزين يمكن ان ينتفع منهُ في القرى المجاورة

نهر الاولي — اما مياه نهر الاولي فيسهل استعمالها في توليد قوى ذات اهمية كبرى

شلال البردوني — ان القوة التي يمكن ايجادها على نهر البردوني بالقرب من زحلة هي اقرب القوى المائية للاستعمال الصناعي العملي :

يتدفق نهر البردوني على بعد ٥ كيلومترات تقريباً من مدينة زحلة وفي ايام القيظ اذ تشحّ المياه اي في آب وايلول وتشرين الاوّل لا يقل معدّل مائه عن ٠٫٧ من المتر المكعب في الثانية . وفي شهري حزيران وتموز تزيد كميّة الماء فيهِ عن متر مكعب في الثانية. وفي سائر الاشهر تزيد عن ١٫٥ من المتر المكعب في الثانية

ولا يخفى ان منبع البردوني يعلو ١٨٠ متراً عن نقطة من مجراه واقعة بين وادي العرايش ومدينة زحلة فلو بنيت قناة للماء بالحجر والكلس على ضفة النهر الجنوبية تمتدّ الى ان تبلغ المياه النقطة الواقعة بالقرب من وادي العرايش لأمكن إحداث شلال بعلو ١٨٠ متراً. وان اعتبرنا ان المحرك المائي لا يعطي فعلاً الا قوّة

٧٥ بالمائة فقط من القوة المفترضة لبلغت هذه القوة ١٣٣٥ او ١٧٥٠ او ٢٦٣٠ حصاناً حسب كمية المياه في اشهر السنة كما ذكرنا آنفاً

ان اقل قوة وهي ١٣٣٥ حصاناً تكون في الثلاثة الاشهر التي تقل فيها المياه

اما في التسعة الاشهر الباقية فنجد قوة ١٧٥٠ حصاناً على الاقل فيمكن وضع الادوات والمحركات المائية والكهربائية لقوة الف وخمسماية حصان . اما في الاشهر التي تشح فيها المياه فيمكن استعمال محرك بخاري او غازي بقوة ٣٠ حصان لسد الخلل

ومن اراد ان يتحقق ما يكون لهذا الشلال من القوة وكيف يستطاع انشاؤه سهل عليه الامر باعتبار صورة وادي البردوني المثبتة هنا . وهاك ما تشير اليه الارقام :

فالعدد ١ حوض الماء المشروب الموزع على مدينة زحلة
٢ القناة التي يجري فيها ماء الحوض المذكور
٣ قناة قديمة كانت المياه جارية فيها
٤ طريق زحلة الى وادي العرايش
٥ قناة حفرت سابقاً لجر مياه السقي الى زحلة
٦ صورة خط منقط يدل على موقع الشلال عن علو ١٨٠ متراً تقريباً
٧ القناة المقصود حفرها لإحداث الشلال المذكور

فلنبحث الآن عن طريقة استعمال هذه القوى فنقول : نرى اولاً انهُ يمكن استعمالها في تنوير زحلة والمعلقة ويبلغ فيهما عدد السكان ٢٥,٠٠٠ وقد اعطت الحكومة امتياز هذا المشروع وبدأت المخابرات بشأن تأسيس الشركة التي عهد اليها القيام بهذا المشروع الا ان الحرب العمومية اوقفت كل عمل . وقد وضعت الدروس المبدئية لهذا المشروع فبمقتضى الدرس الاول ينشأ سد اسفل مخرج النبع بكيلومترين ونصف تقريباً ثم مجرى يكون طوله ١٤٠٠ متر ينتهي بقناة مقفلة طولها ١٥٠ متراً تنحدر بميل وتحدث شلالاً بعلو ٧٥ متراً . ويفترض في الدرس الثاني انشاء سد في موضع اعلى من السد الاول ويكون المجرى اطول من المجرى الاول بقليل فيحدث شلالاً اعلى واقوى . وقد قدرت الكلف في التخطيطين المذكورين ٢٤,٠٠٠ ليرة عثمانية ذهباً وارباح المال بعد استخراج الفائدة ٦ بالمائة وقد يقدر ان القوة التي يمكن الحصول عليها في هذين التخطيطين هي كافية للوازم زحلة والمعلقة في الحاضر والمستقبل . اما نحن فنقول ان المشروع مفيد لزحلة والمعلقة ولاصحاب السهوم الا انهُ لا يستعمل فيهِ الا جزء من قوة البردوني بينما يمكن الانتفاع من كامل هذه القوة وتحقيق فوائد اعظم واعم كما سنبينهُ في المستقبل

إن القوة المراد استعمالها ليست سوى جزء من القوة الممكن الحصول عليها من البردوني . فلو اقتضت الاحوال زيادة القوى في المستقبل لتحتم اعادة جميع اعمال المشروع فوق احد السدين المذكورين آنفاً ومن ثم يلزم انشاء قناة اخرى وشلال آخر ومعمل كهربائي آخر . وقصارى الكلام عوض المشروع الواحد يلزم

وادي البردوني في زحلة

القيام بمشروعين فتزيد المصاريف الاولية والكلف العمومية وتنقص القوة التي كان يمكن الحصول عليها لو استعمل بادئ بدء مشروع واحد مستوفي الشروط

فمن الصالح العمومي إذاً ان يبنى منذ اول الامر مجرى يسمح بايجاد اقوى شلال يمكن الحصول عليه ليستعمل في معمل واحد فقط خصوصاً لان هذا المشروع لا يقتضي سوى كيلومترين في طول المجرى زيادة عما كان في التخطيطين الاولين. وهذه الزيادة لا تكلف الا ٣٠ بالمائة زيادة على مصاريف الاعمال الاولى وهكذا تزيد القوة التي يمكن الحصول عليها زيادة كبرى وبدون كلف تذكر. اما من الوجهة الفنية فان مستقبل هذا المشروع يكون حسناً للغاية ويتحسن به مستقبل الشركة وتستفيد البلاد منهُ فائدة كبرى

وربَّ معترض يقول انهُ لا فائدة من تخصيص الاموال الطائلة للحصول على قوة لا يستفاد منها في الوقت الحاضر والتي ربما لا تستعمل قبل ٢٠ او ٣٠ سنة. فالجواب على ذلك هو انهُ في اغلب المشاريع العمومية لم يحصلوا على الارباح التي قدَّروها وذلك لاهمالهم بعض العوامل او لعدم مطابقة ما قدروه على النتائج العملية اما نموّ المشاريع فهو دائماً مطابق تقريباً للدروس الفنية وقد يفوقها. فانبين ذلك في بعض المشاريع التي تمت في بلادنا : فهذه شركة التراموى والنور الكهربائي في الشام كانت تعتقد في بدء الامر ان القوة المائية الموجودة لديها تزيد عما يلزمها اما الآن فنمو اعمالها قد بين لها خلاف ذلك. وهذه شركة التراموي الكهربائي في بيروت قد التزمت في هذه السنين الاخيرة ان تهتم باستحضار محركات جديدة اعدّت قسماً منها الا ان الحرب العمومية حالت دون اكمال العمل ونرى الدخل الحاصل من كل كيلو متر يقطعهُ التراموي في هذه المدينة مدة سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ يزيد عن مدخول اكثر تراموايات اوربا. وهذه شركة إنارة بيروت بالكهرباء اذ رأت ان قوتها المحركة غير كافية طلبت عدداً من المحركات قبل نشوب الحرب ببضعة اشهر. امَّا شركة مياه بيروت فلا تكاد تلبي طلب مشتركيها في المدينة وهي تأبى اعطاء الماء المطلوب منها للجبل وما ذلك الا لعجز الماكينة المحرّكة عن دفع كمية من الماء تكفي لذلك. وكذلك شركة مرفإ بيروت وشركة سكة حديد بيروت والشام قد اتسعت في السنين الاخيرة قبل الحرب حركة اشغالها ولو ظلّت هذه الحركة على ما كانت عليهِ من التقدم عشر سنوات أُخر لضاق المرفأ عن استيعاب البضائع وعجز الخط الحديدي عن نقلها والقيام بالطلب

فاذا كان راسمال هذه الشركات رغماً عن تقدُّم اعمالها لم يُنتج الدخل المأمول فلذلك اسباب خصوصية وظروف ليس من شأننا البحث عنها في هذا المقام. أمّا وجود مشاريع عمومية لم تطابق فيها النتائج العملية على التقديرات الفنية فنادر جدًّا لا يقاس عليهِ وهو يندر بنوع خصوصي في المشاريع الكهربائية

نرى المتمولين يسعون جهدهم لاستعمال اموالهم في مثل هذه المشاريع الكهربائية التي تستمد من الماء القوّة المحركة وذلك للاسباب الآتية :

١) انَّ الاموال المخصَّصة لهذه المشاريع مضمونة بنوع يفوق ضمانات ايَّة حكومة كانت من حكومات العالم لان الاضطرابات السياسية قد تؤثر في الحكومات ويمكن ان تلاشيها لكنها لا تؤثر الاَّ تأثيراً

طفيفاً ووقتياً في المشاريع المعتمدة على القوة المائية

٢) ان ثمن الواحد من القوة (اي الحصان البخاري) التي يمكن الحصول عليها بواسطة الوقود كالخشب والفحم والكاز الخ ٠٠٠٠ معرّضٌ للتقلبات ٠ فالتقدّم الميكانيكي يسعى دائماً لتقليل الوقود اللازم للحصول على قوة حصان بخاري ولكن يوجد مقطوعية محدودة لا يمكن لهذا السعي ان يتخطاها ٠ فالوحدة المستعملة في قياس الحرارة مثلاً هي كمية الحرارة اللازمة لرفع ليتر ماء الى درجة واحدة من الحرارة في المقياس المئوي وهذه الوحدة تدعى « كالوري » فكيلو الفحم الواحد يمكن ان يعطي ٧٥٠٠ كالوري ٠ فالماكينات البخارية القديمة لم تكن تستفيد سوى ٦ بالمائة من كمية الحرارة الموجودة في المواد التي توقدها ٠ واما الماكينات الحديثة والتقنية لا تستفيد الآن سوى ١٤ بالمائة من حرارة وقودها وقد اقتضى للوصول الى هذه النتيجة ١٠٠ سنة من التعب والدرس والتنقيب الفني وربما اقتضى ١٠٠ سنة اخرى يمكنهم ان يستفيدوا ٢٥ بالمائة مثلاً من حرارة الوقود في الماكينات البخارية وهذا جراء ولكن توجد بعض امور يتعذر الوصول اليها كالأمل مثلاً ان يستفيدوا ٤٠ بالمائة من حرارة الوقود المستعمل في الماكينات نظراً لما يفقد من الحرارة عند احتراقه وانتقال الحرارة الى الانابيب والمراجل والمجاري التي توزع البخار في سائر اجزاء الماكنة

ومن جهة اخرى تضيع كمية من الحرارة في مقاومة الاحتكاك الذي يحدث في اجزاء الماكينة ودفعها الى الحركة ٠ وتفقد ايضاً كمية من الحرارة التي تنتقل الى الهواء وسائر الاجسام الملامسة لها ٠ وقصارى الكلام مهما أتقنت وتحسنت الماكينات البخارية لا يمكن الاستفادة الا من كمية محدودة من حرارة الوقود الذي يحرق فيها ٠ فينتج من ذلك ان تقدم الهندسة الميكانيكية لا يقدر ان يخفف مصروف الماكينات البخارية الا الى حد محدود ٠ وبالعكس فان ارتفاع الاجور المتزايد من يوم الى آخر وكثرة الطلب على الوقود كالخشب والفحم والكاز يرفع اسعاره فنحن إذاً تجاه عاملين مهمين : العامل الاول التقدم الفني الذي يخفف كمية الوقود اللازمة للحصول على وحدة القوى (الحصان البخاري) والعامل الثاني التقدم الدائم في اسعار الوقود

فالعامل الثاني هو الاقوى وقد ظهر تأثيره في هذه العشر السنين الاخيرة إذ قد زادت كلف وحدة القوى زيادة كبرى فضلاً عما يحدث من ارتفاع اسعار الوقود الحاصل متى حدثت بعض الاضطرابات الاقتصادية وتصعّبت المواصلات بين المحلات الموجود فيها الوقود والمحلات التي تستعملها — مثلاً لو حدث اعتصاب في المناجم او السكك الحديدية او شركات المراكب البحرية او المرافئ فترتفع اذ ذاك اسعار الوقود وتزيد كلف وحدة القوى زيادة كبرى ٠ فالحرب التركية الايطالية رفعت اسعار الوقود الى ٣٠ بالمائة في سائر البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط وقد رفعت الحرب الحالية هذه الاسعار في اوربا الى ٣٠٠ بالمائة وفي بلادنا الى ١٠٠٠ بالمائة واكثر

فاذا كانت القوة تتولد من شلالات مائية تبقى وحدة القوة على تناسب دائم فلا تؤثر عليها العوامل السياسية والاجتماعية سوى تأثير طفيف

٣) ان ثمن الماكينات الكهربائية يزداد مع السنين خلافاً لغير انواع الماكينات . ولربما استغرب القارئ هذا في اول الامر غير انهُ يتضح بسهولة اذا علم ان اكثر الامور تأثيراً على ثمن المشاريع الكهربائية هو كمية النحاس الذي تحتوي بهِ الماكينة وسائر ما يلزمها من الادوات والاسلاك لتوليد الكهرباء ونقلها

اما اسعار النحاس فهي في تصاعد دائم وهذا ما جعل بعض الادوات الكهربائية القديمة تباع بعد استعمالها ٢٠ سنة بثمن يفوق ثمن مشتراها

فما قلناه يتضح سبب رغبة اصحاب الاموال في وضع ثروتهم في المشاريع الكهربائية وخصوصاً التي تستمد القوة المحركة من الماء . وهذا ما يؤيد اعتقادنا بانهُ يجب استعمال كل القوى الممكن الحصول عليها من مياه نبع البردوني وان لم نلاحظ الاستفادة منها في الوقت الحاضر . اما اذا كان في استطاعتنا ان نستفيد من هذه القوة بكاملها تحتم علينا ان نستعمل كل ما يمكننا من قوى هذه المياه

هذا ونرى في امكان تسيير خط بيروت — رياق الحديدي بالكهرباء وربما خط بيروت — الشام بكامله داعياً لاستعمال كافة القوى التي يمكن ان تولدها مياه البردوني استعمالاً يأتي باحسن النتائج واسعدها

١) يمتاز تسيير هذا الخط بالكهرباء بانهُ يعطي فائدة حسنة للاموال التي تصرف في هذا المشروع

٢) يسبب توفيراً كبيراً في كلف النقل بين بيروت والشام وخصوصاً بين بيروت ورياق

٣) يضمن مستقبل بيروت الاقتصادي لانهُ يسهل مسألة مد الخط العريض بين بيروت ورياق وهذا سهل جداً وقليل الكلف اذا كانت القوة المستعملة هي الكهرباء

فلندرس الآن بوجيز الكلام المبادئ الاساسية المتعلقة بمسألة استعمال الكهرباء لتسيير خط بيروت — رياق الحديدي فنقول :

لا يوجد اقل مانع من الوجهة الفنية إذ يمكن جعل المعمل الكهربائي في وادي البردوني بين وادي العرائش والجسر الذي موقعهُ قرب فندق الصحة . والمسافة بين هذا المعمل والمعلقة ٥ كيلو مترات تقريباً . ويتجه خط من المعلقة نحو بيروت يكون طوله ٥٥ كيلومتراً تقريباً وخط آخر نحو الشام بطول ٨٠ كيلومتراً تقريباً . فهذا التوزيع موافق أتم الموافقة من الوجهة الفنية نظراً لوجود القوة المولدة في وسط الخط تقريباً . فيكون كامل طول هذا الخط الهوائي الكهربائي ١٤٠ كيلومتراً تقريباً . اما رجوع المجرى فيكون بواسطة خط القطار الحديدي ولا توجد صعوبة من الجهة الفنية الكهربائية في وصل الاسلاك الحديدية الممدودة على الارض

اما مجموع كلف هذا المشروع وتحويل الخط فهي كما يأتي :

١) بناء مجرى ماء للحصول على الشلال ومعمل الكهرباء مع عموم ادواتهِ الكهربائية والميكانيكية وآلات الاحتياط وتوزيع الكهرباء على زحلة والمعلقة ١،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

٢) مد ١٤٠ كيلومتراً من الخط الهوائي ثم وصل اسلاك السكة الحديدية (سعر الكيلومتر ٢٠،٠٠٠ فرنك) ٢،٨٠٠،٠٠٠ «

٣) ٢٠ قاطرة كهربائية بسعر ٢٠٠٫٠٠٠ فرنك	٥٠٠٫٠٠٠	فرنك
٤) كلف متفرقة	٣٠٠٫٠٠٠	«
٥) مصاريف غير منتظرة	٥٠٠٫٠٠٠	«
يكون	٥٫٠٠٠٫٠٠٠	«

إن راسمال ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك يسمح بالحصول على قوة ١٫٥٠٠ حصان في زحلة فلو قدّرنا ضياع ٥٠٠ حصان على طول الخط يبقى لدينا ١٫٠٠٠ حصان وهي قوة كافية لتضمن الحركة بين بيروت والشام

فلننظر الآن في مبلغ الاقتصاد الذي ينتج عن استعمال القوة الكهربائية بدلاً من قوة البخار . ان الحصان البخاري يصرف كيلووين من الفحم في الساعة فيكون مصروف الالف حصان ٤٨ طناً من الفحم في اليوم وسعر طن الفحم على اقل تعديل ٣٠ فرنكاً فيكون مجموع المصاريف كما يأتي : ٤٨×٣٠ = ١٤٤٠ فرنكاً في اليوم وفي السنة ١٤٤٠×٣٦٥ = ٥٢٥٫٦٠٠ فرنك فلو طرحنا من هذا المبلغ ٢٥٠٫٠٠٠ فرنك وهو فائدة الخمسة الملايين على تعديل ٥ بالمائة يكون استعمال القوى الكهربائية بدلاً من استعمال القوة البخارية قد وفّر مبلغ ٢٥٧٫٠٠٠ فرنك وهو مبلغ لا يستهان به . هذا مع صرف النظر عن افضلية استعمال الكهرباء كقوة من وجوه عديدة . وقد اتخذنا قاعدة لحسابنا ثمن طن الفحم ٣٠ فرنكاً كما كان احياناً قبل الحرب اي على تعديل ارخص الاثمان والارجح اننا لا نرى مثل هذا الثمن في المستقبل فاذا كلف طن الفحم الواصل الى محطات الخط اكثر من ٣٠ فرنكاً ازداد التوفير الذي ينتج عن القوة الكهربائية فظهرت مزية الخط الكهربائي واتضحت اهميتهُ

يتضح جلياً بعد ما تقدم ان استعمال كافة قوى البردوني المائية تسهل هذا المشروع الذي يفيد البلاد اكبر فائدة ويعود على القائمين به باوفر الارباح

ان اهمية هذه الامور هي التي حملتنا على التوسع والتدقيق في مسألة القوى المائية الموجودة في زحلة

نهر ابراهيم

إن مياه هذا النهر يمكنها ان تعطي اكبر قوة محركة موجودة في جبل لبنان

تنبع مياه هذا النهر من مغارة افقا الواقعة على علوّ يفوق ١٠٠٠ متر عن سطح البحر ويبلغ طول مجرى هذا النهر من منبعه في مغارة افقا الى البحر خمسة عشر كيلومتراً تقريباً وهذا المجرى محصور في كل طوله وعظيم الانحدار خصوصاً قرب منبعهِ . وكمية مياههِ على التعديل الاوسط تبلغ ٣ امتار مكعبة في الثانية وذلك مدة اشهر الجفاف الثلاثة اي آب وايلول وتشرين الاول . اما في سائر اشهر السنة فتزداد اضعاف معدلها في ايام الصيف

إذا استعمل كل الارتفاع الموجود بين مغارة افقا والبحر واعتبر ان كمية المياه الممكن الحصول عليها هي

٣ امتار مكعبة في الثانية على اقل تعديل لكانت القوة التي يمكن الحصول عليها من مياه نهر ابراهيم في مدة الجفاف ٤٠٫٠٠٠ حصان بخاري على الاقل

من البديهي انهُ لا يمكن الاعتماد على هذه القوة بكاملها نظراً لتعذر صنع شلال واحد ووضع معمل مائي كهربائي واحد لعموم هذه المياه بل قد يقتضي ان تقام مجارٍ وشلالات ومعامل عديدة وهذا مما يفقد هذه المياه نحواً من ٣٠ بالمائة من قوتها الوضعية . اما القسم الذي يبقى من هذه القوة اي ٣٠٫٠٠٠ حصان بخاري تقريباً فهي قوة بالغة يمكن ان تؤثر تاثيراً كبيراً على موقف لبنان الاقتصادي في المستقبل وربما سوريا ايضاً

يمكن ان يبنى على الضفة القبلية من مجرى نهر ابراهيم قناة تبتدئ من مغارة افقا وتمرّ تحت قرية لاسا حتى إذا امتدت هذه القناة على مسافة تبلغ ٦ كيلو مترات يبنى شلال بعلو يفوق ٤٠٠ متر تقريباً ويمكن الحصول على قوة نحو ١٦٫٠٠٠ حصان بخاري من هذا الشلال وذلك في وقت نقصان مياه النهر

هذا ويمكن ان يبنى تحت هذا الشلال مجارٍ وشلالات ومعامل اخرى اذا اقتضت الظروف

ان مبدأ التوزيع الكهربائي الحديث اي بالضغط القوي يسمح بتبليغ القوى المائية الى اماكن بعيدة بسهولة اعظم فتراهم في اوربا واميركا الشمالية يستفيدون من القوى المائية حتى على بعد ٢٥٠ كيلو متراً وذلك باستعمال الضغط الكهربائي القوي الذي يتراوح بين ٢٥٫٠٠٠ الى ١٠٠٫٠٠٠ ڤولت

ان وجود نهر ابراهيم في وسط حافل بالمدن والقرى مما يسهل الاستفادة من قوته المائية بنقلها بواسطة الكهرباء الى اماكن اخرى واستعمالها كقوة محركة اما للتنوير واما للاحتياجات الصناعية

لو عيّنا في مجرى نهر ابراهيم نقطة تكون مركزاً لدائرة يبلغ شعاعها ٢٠٠ كيلومتر لدخل ضمن هذه الدائرة اهم واكبر البلاد السورية مثل جبل لبنان بكامله وبيروت وصيداء وحيفا والشام وحماة وحمص وطرابلس فيمكن ان نتوزع القوى التي تتولد من مياه نهر ابراهيم ضمن هذه المنطقة لتحريك الماكينات وللانارة بالكهرباء ولتوليد الحرارة وتسيير السكك الحديدية بين بيروت وطرابلس وحمص وبين رياق وحمص وبين رياق والشام . الى غير ذلك من الاعمال الفنيّة

وانما الصعوبة الجوهرية في هذا المشروع هي ايجاد المال الكافي للقيام بهِ بصورة جديّة

فاذا استمرت اسعار الوقود بعد هذه الحرب مرتفعة كما هي الآن سيكون لهذا المشروع شأن كبير ويتهافت المتموّلون على القيام بهِ باتم السرعة . وبكل الاحوال يمكننا القول ان الفحم السيّال الموجود في نهر ابراهيم هو من اقوى عوامل الثروة الاقتصادية في الجبل ولا بد له عاجلاً ام آجلاً ان يخرج من منطقة الفكر الى حيز العمل . ولا حاجة الى القول بأن البلاد انما تحيا بامثال هذه المشاريع . وفق الله من ينشط لها فهو كفيل بالتوفيق يؤتيهِ من يشاء

خلاصة الابحاث السابقة

اثبتنا في فاتحة مقالنا ان الوسائل الزراعية في لبنان قليلة زهيدة فانّ مساحة التربة التي تصلح فيهِ للزراعة

لا تكاد تبلغ ٤٠٠ كيلومتر مربع . فان افترضنا ان غلّة كيلومتر واحد كافية لمعاش ١٥٠ لبنانياً كانت نتيجة هذا الحساب ان الجبل لا يستطيع ان يقوم الا بمعاش ٦٠٫٠٠٠ نفس . هذا مع مبالغتنا في اعتبار الاراضي الزراعية كلها حسنة التربة والامر ليس كذلك لأنهُ لا يوجد في لبنان اكثر من مئة كيلومتر مربع من التربة الجيدة الخصبة . وذلك ما دفع اهل لبنان الى ان يطلبوا وسائل الارتزاق بمزاولة فنون اخرى كطلب رزقهم في المهجر وإعداد منازل للمصطافين وتربية دود القز واشغال الحرير وبعض الصنائع المحليّة

لكنهُ لسوء الحظ جاءت الحرب العمومية في هذه السنين الاخيرة فكادت تطحن الجبل بكلكلها وتعرك اهله « عرك الاديم بثفالها » فاوقفت وصول النقود من بلاد المهجر الى لبنان كما انها حالت دون الاصطياف فيه ومنعت دخول بزر القز الفرنساوي والايطالي اللذين منهُ كان ينال اللبنانيون صفقة رابحة فكسدت بذلك هذه الصناعة ووقفت حركة دولابها

واذ فقد اللبنانيون ما يساوي الثمانين في المئة من وسائل معاشهم واقتصادهم القانوني عادةً فلم يبقَ لهم مدّة هذه الحرب العوان للقيام بأود حياتهم سوى غلاّت زراعتهم ومداخيل صنائعهم المحلية الضيّقة النطاق التي لا تكفي الا لمعاش قسم ضعيف من الاهلين

وقد زادت حالهم حرجاً اذ احتاجوا الى تحصيل قوتهم من بعيد مع قلة وسائل النقل وغلاء محصولات العيش كافة . فكان ذلك كلهُ سبباً للازمة الحاضرة التي ابهظت عواتق اللبنانيين خصوصاً فالحقتهم بالدقعاء

الى انَّ هذه الازمة الهائلة التي لاحت عالمها لكل ذي بصر وتتابعت نتائجها المفجعة على حسب نظر الاقتصاديين الذين اشاروا اليها سلفاً كسميث ومالتوس وريكاردو ستقف عند حدودها وسوف لن يبقى لها تأثير في حياة لبنان الاقتصادية . فأملنا ان الجبل يعود الى ترقيه القانوني والمتواصل . لكن هذا الترقي لا يتوقف ركنهُ الى الفلاحة والزراعة الا نوءً مهما تحسنت الطرق الزراعية واعارها أولو الامر حسن نظرهم وأنشئت فيها مشروعات الريّ وذلك لقلة الاراضي الزراعية الكافلة بمعاش اهل لبنان

وعلى خلاف ذلك نرى في تحسين وسائل الاصطياف وتوسيع دائرة الصنائع مورداً فائضاً يكفل للبنان الرقيّ والهناء . فان محاصيل الاصطياف قد نمت نموًّا وافراً في السنين الاخيرة وذلك دون ان ينشّط ارباب الامر المصطافين ويسعوا في اجتذابهم الى الجبل حتى ان الارباح المكتسبة من اصطيافهم بلغت سنة ١٩١٣ نحو ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الغروش فما قولك لو سُعيَ بتنشيطه بطريقة صوابيَّة . فلا ريب انَّ نجاحهُ يكون قريباً وثمرتهُ متوفرة

هذا ثم انَّ للصناعة ايضاً في لبنان مستقبلاً حسناً كما ظهر لك من الابحاث السابقة عن الصنائع اللبنانية ولاسيما صناعة الحرير فان من سرَّح نظرهُ في احوال لبنان مدة العشرين السنة السابقة تحقق ان النهضة الصناعية في الجبل كانت مشكورةً رغماً عما حال دون رقيها من العوائق الناتجة عن علل خاصة

قال الاقتصادي الالماني مولر انَّ في تاريخ رقيّ الامم درجات متتالية فيباشرون برعية المواشي ثمَّ ينقطعون الى الفلاحة ثم يضيفون الى الفلاحة الاعمال الصناعية ثم الاعمال الصناعية التجارية . ثم ان الشعوب

يبتدئون اولاً بالمبادلة الحرّة غير المقيدة فيصدرون غلات بلادهم و يوردون اليها مصنوعات البلاد الاجنبية التي هي اوفر من اوطانهم ثروةً وارقى عمرانًا الى ان يبلغهم ترقيهم الى الفنون والصنائع لكنهم يحتاجون اذ ذاك ان يحاموا عن مصنوعاتهم بادئ بدء لئلا تضرّ بهــا مزاحمة اقرانهم الاجانب الذين سبقوهم بالعمل وفاقوهم بالوسائل الصناعية

اما لبنان فان ترقيتهُ في الصناعة كانت منذ أمدٍ مديد مقيدةً لما يعوقها من العوائق الخاصة التي لا تسمح بحمايته بوضع التعريفات المعتدلة على الواردات الاجنبيّة · ومع هذا قد حصل بعض التقدُّم في صناعة الجبل واذا دخل بالعمل قانون التعريفة الجديدة المسنونة على تلك الواردات في الجمارك فلا ريب في ترقي الصناعة اللبنانية و بلوغها مقامًا حسنًا

ولاهل لبنان دواعٍ خاصّة تدفعهم الى الصناعة · فانهم من جهة لا يمكنهم بناء آمالهم على تربة ارضهم لتحصيل رزقهم ومن جهة أُخرى يرون نفوسهم ذوي بنية شديدة قادرين على الشغل ممتازين عن سكان الداخليّة بعلمهم وذكائهم باحثين عن الاختراعات الحديثة لينالوا من فوائدها · فتحملهم هذه الدواعي الى مزاولة الصنائع ليسدُّوا بها مسدّ عوزهم بدلاً من فلاحة اراضيهم العقيمة التي ينوط بها قلب اللبناني نياط ابن الوطن بمسقط رأسه

ثمّ انّ المهاجرة سوف تلعب دوراً مهمًّا ايضًا في مستقبل تقدُّم الصناعة اللبنانية وذلك لان المهاجرين الى اميركا قد جمعوا مع طول الزمان و بفضل شغلهم وتعبهم واقتصادهم راسمالاً معلومًا كان القسم منهُ يعود الى وطنهم و يبقى القسم الآخر في المهجر إذ لم يجد المهاجرون في صرفهِ ربحًا نافعًا · اما اذا تحسنت الاحوال وساعدهم الحظ فلا شكّ انهم يخصّون بوطنهم رؤوس مالهم

ومما يؤمل منهُ رقيّ الصناعة في لبنان استثمار الفحم السيال الموجود فيهِ · فان ذلك يدعوهم كما في سويسرا ولومبرديا الى انشاء معامل خصوصية تتطلب محرّكات قوية · ولا بدّ ان ترتقي صناعة التنوير الكهربائي وتستخدَم الكهرباء للنقل فيستفيد ارباب الاصطياف وتتوسع دائرة الصنائع عموماً

ومن ثمّ مع إقرارنا بشدّة الرزايا التي أَحاقت لبنان رأْسًا من جرّاء الحرب العمومية نرى أَيضًا لوائح كيدة من شأنها ان تنهض آمالنا وتبشرنا ليس فقط برجوع لبنان سريعًا الى حاله السابق بل الى نجاح أَعظم برقيّ شؤُونه الاقتصادية · وذلك بناءً على ما سبق قوله عن ثقوب عقل اللبناني بالنسبة الى اهل داخلية البلاد وما يرجى ربحهُ من ترويج الاصطياف والصناعة وكلاهما أَساس متين لنهضة لبنان وحياتهِ الاقتصادية في المستقبل · حقّق الله الآمال و بلّغنا حسن المآل

العلوم والآداب
في
لبنان وفينيقية

نقسم بحثنا هذا الى ثلاثة فصول ففي الفصل الاوّل نبحث عن المعارف في لبنان وفينيقية في الازمنة القديمة . وفي الثاني عن المعارف فيها في القرون التابعة للمسيح . وفي الثالث عن العلوم والآداب في الازمنة الاخيرة منذ الفتح العثماني الى يومنا

١ المعارف في لبنان وفينيقية في الازمنة القديمة

لا شبهة في انَّ العلوم البشرية اذا بقيت في صدور الرجال يتناقلونها بالسماع لا تلبث ان تضيع وتفنى ما لم تدوَّن بالكتابة فتثبت ويتوارثها الناس جيلاً بعد جيل بلا عناء . ومن ثم احسَّ البشر الاوَّلون بحاجتهم الى تدوين معارفهم وضبطها بالكتابة . وغنيٌّ عن البيان انَّ اقدم ما نعرفهُ اليوم من آثار العلوم انما بلغ الينا بالكتابات المكتشفة في مصر وبابل الراقي بعضها الى ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح . على ان تلك الكتابات كانت في الغالب ممثّلة لصور الموضوعات فتحتاج الى تصاوير عديدة لا تكاد تحصى ولذلك بقيت معرفتها محصورة في قليل من الكتبة . ثمَّ فُقدت مفاتيحها واصبحت الغازاً لم تُفكَّ أسرارها الّا بعد مئين من السنين اذ قام اساطين العلم في القرن الماضي فكشفوا عن معمَّياتها

ثمَّ وجد المصريُّون تلك الطريقة الكتابيَّة عويصةً شاقَّة . فاخترعوا لحاجاتهم اليوميَّة طريقة اخرى مختصرة ليعبروا بها عن افكارهم سريعًا وذلك برسم الاصوات بدلاً من صور الاشياء . فكانت تلك الكتابة المختصرة كما تحققهُ العلماء اصل الكتابة الهجائية لكنها بقيت عند المصريين ناقصة لم يتجاوز انتشارها تخوم بلادهم . وانما الفخر في تحسين تلك الكتابة ونشرها عائد الى اهل فينيقية . فانَّ الفينيقيين اذ كانوا في الاعصار السالفة ركن التجارة العموميَّة في انحاء المعمور برًّا وبحراً وكثرت معاملاتهم مع البلاد القاصية لم يجدوا بدًّا من ابتكار طريقة سهلة من الكتابة لمراسلاتهم وضبط حساباتهم فعمدوا الى الكتابة المصريَّة السابق ذكرها واصطلحوا على ٢٢ حرفًا منها ليؤدُّوا بها اصوات لغتهم . فكانوا يركّبون تلك الحروف فيدلُّ تركيبها على معناها دون حاجة الى رسمها بالتصوير . ومذ ذاك الحين اخذوا ينشرون طريقتهم في انحاء العالم حيثما يحلّون للسعي بامور تجارتهم فشاعت تلك الحروف حتى دُعيت باسمهم الحروف الفينيقيَّة ومنها اشتقَّ معظم الشعوب كتابتهم لاسيما العبرانيين واليونان والفرس والرومان . فلعمري لو لم يُؤدِّ الفينيقيُّون للعلوم والمعارف



علي منيف بك

غير هذه الخدمة لوجب شكرهم الى آخر الدهر (اطلب في مجلة المشرق مقالة في هذه الحروف وجداولها ٨ : ١٢٦—١٣٠) لانَّ بواسطتها حصلنا على الكنوز الادبيَّة التي ورثناها من الامم السالفة وخصوصًا تآليف اليونان العجيبة

وللفينيقيين فضل آخر في خدمة المعارف والعلوم كان اشار اليهِ اسطرابون الجغرافي اليوناني واثبتهُ بالبرهان احد اركان العلوم القديمة في زماننا الاستاذ فكتور بيرار. قال اسطرابون في جغرافيتهِ (ك٣ص ١٥٠): « لا عجب انَّ اوميروس الشاعر اتقن وصف البلاد الواقعة في دائرة البحر المحيط والبحر الخارجي فانهُ استقى تلك المعارف من الفينيقيين معلميهِ » فتتبَّع المسيو بيرار تلك الاوصاف الواردة في قصيدة اوميروس عن اسفار البطل عوليس ملك ايتاكا وبيَّن صدق قول اسطرابون بذكر ما يعرف من آثار الفينيقيين في تلك الاقطار ودوَّن ابحاثهُ في مجلدين ضخمين شحنهما فوائد واثبت ما كان للفينيقيين من الهمة في درس الاصقاع التي كانوا يسافرون اليها والبحث عن كل بلدٍ ووصفهِ وتعريف اهلهِ وتعداد خواصهِ بحيث يجوز القول انهم اوَّل شعبٍ عُني بوصف البلدان ومهَّد الطريق لعلماء الجغرافية. ومما يستحق الذكر في هذا الباب انَّ عدَّة اعلام لبلاد وجزائر وامكنة مختلفة لم يطَّلع القدماء على معانيها هي في الحقيقة اسماء فينيقية اطلقها اولئك فرسان البحر عليها عند متاجرتهم فيها في القرون السابقة. فليراجع كتاب بيرار (Les Phéniciens et l'Odyssée. 2 vols.)

ولا مراء بان الفينيقيين لم يقصروا معرفتهم بالكتابة لتدوين فذالكهم التجارية بل توسَّلوا بها لاحراز العلوم. وقد ثبت ذلك بالكتابات العديدة التي خلفوها من بعدهم. وهذه الآثار الفريدة قد جمعها علماء فرنسويون في السنين الاخيرة في مجموع كبير وسموهُ بجامع الكتابات الساميَّة فقسم منهُ يحتوي الكتابات الفينيقيَّة التي اكتشفوها في سائر انحاء الشرق ولاسيما في سواحل لبنان كجبيل وصور وصيداء. وعدد ما نُشر منها الى الآن ينيف على ٣٢٠٠ كتابة استفدنا منها اموراً خطيرة لتاريخ تلك القرون السابقة للميلاد يرقى بعضها الى القرن السابع والثامن قبل المسيح كما انها اوقفتنا ايضًا على احوالهم الدينية والوطنيَّة وعلى معاملاتهم التجاريَّة وخواص لغتهم الى غير ذلك من الفوائد التي سمحت للعلماء ان يسطروا تاريخ الفينيقيين المجهول غالبًا قبل اكتشافها

وهذه الكتابات الرسميَّة كانت كلها منقورة على الحجارة فصبرت على كوارث الزمان. وكان للفينيقيين تآليف غيرها كما يلوح من تواريخ القدماء. وقد سبق في باب الآثار ذكر سنكنياتن البيروتي الذي وضع تاريخًا لوطنهِ فينيقية قبل تملك اليونان على سوريَّة نقلهُ الى اليونانية احد ابناء لبنان وهو فيلون الجُبَيلي. ولا شك انَّ هذا التأليف كان ذا شأن عظيم لولا انَّ يد الضياع اخذتهُ فحرمتنا فوائدهُ. وفي المقاطيع المحتمعة الباقية منهُ في كتب القدماء الذين استشهدوا بهِ ما يزيدنا حسرةً على فقدهِ. ومما يستفاد من تلك الفقرات ان الفينيقيين كانوا ألفوا اسفاراً جليلة تشتمل على شرائعهم ورسوم دينهم التي كانوا ينسبونها الى احد آلهتهم. وكان لهم في هياكلهم ومدنهم الكبرى سجلاَّت يدونون فيها حوادث بلادهم وتواريخ مملكتهم. وقد ذكر

الخطيب ميناندر اليوناني سجلات صور في القرن الثاني قبل المسيح وروى انهُ نقل عنها بعض اخبارهِ

ومما يمكننا ان نستنتجهُ من وفرة الكتابات الفينيقيَّة ان الناشئة بينهم كانت تتخرَّج في الآداب في مدارس عموميَّة كان يتولى فيها التدريس اساتذة من مواطنيهم

٢ المعارف في لبنان بعد المسيح الى ظهور الدولة العثمانية

لمَّا ظهرت النصرانيَّة كانت رومية منــذ نحو ٨٠ سنة باسطة يدها على بلاد الشام ناشرةً على اهلها السلام الروماني · فنهج ذلك السلام السبيل لبثّ العلوم والآداب في نواحي سوريا · ولا شك في انَّ لبنان مع مدنه الساحلية استمدَّ من تلك الحركة العقليَّة · ومما ساعد على نشر تلك الآداب دخول الدين المسيحيّ في فينيقية كما ذُكر في سفر اعمال الرسل فانَّ الاساقفــة الذين اقامهم تلامذة المسيح لجمعيَّات المؤمنين في كل مدينة لم يألوا جهدهم في نشر العلوم مع تعليم اصول الدين

وقد مرَّ بك ما حظيت بهِ بيروت من الميزة والفخر بفضل الرومان حيث أُنشئت فيها مدرسة الفقه الشهيرة التي سبق ذكرها المعمور مدة نحو ٤٠٠ سنة · ثم اضافوا اليها فروعاً اخرى من العلوم الادبيَّة كاللغة والبيان والخطابة · وكان لمدينة جبيل ايضاً مدرسة للآداب نالها بعض الشهرة · اما صور ففتحوا فيها مدرسة للعلوم الفلسفيَّة

ولدينا دليل باهر على رقي العلوم في مدن لبنان على عهد الرومان ألا وهو العدد العديد من رجال العلم الذين نبغوا فيها منذ شيوع النصرانيَّة الى ظهور العرب سواء كانوا من روساء الدين او من آل الدنيا البعض منهم وثنيُّون والبعض نصارى · وبيروت تفوق في ذلك باقي المدن الفينيقيَّة تفاخرها جميعها بابنائها شرَّفها لوبركوس بعلومهِ البيانيَّة في عهد القيصر كلاوديوس وفاليريوس بروبس بمعارفهِ النحويَّة واللغويَّة وهرميوس بالتاريخ ومن كتبهِ تراجم مشاهير المشترعين وسير العبيد المتفقهين · وبنار بالبنان في الطب الى اسطراطون البيروتي الذي اثنى عليهِ جالينوس إمام الاطباء · والى طورس البيروتي في العلوم الفلسفيَّة والى رومانس الشماس في القصائد الدينية والتسابيح الكنسيَّة · اما الفقه فعلماؤه كعدد الثريا منهم اناطوليوس ودوروثاوس وزعيم الفقهاء بابنيان

ولصور كما لبيروت اماثل العلماء في زمن الدولة الرومانيَّة · منهم مكسيموس الصوري في القرن الثاني للمسيح الذي طاف بلاد العرب واليونان ورحل الى رومية فكان فيها احد اساتذة القيصر الروماني مرقس اوريليوس · ومنهم ادريان الصوري مؤلف تراجم اهل زمانه · ومنهم ديودورس الصوري إمام الفلاسفة المعروفين بالمشَّاة في اثينا في القرن الثاني للمسيح · ومنهم يوليوس بولس الصوري من كبار الفقهاء في عهد سبتيموس ساويرس بلغت تآليفهُ الفقهيَّة نيفاً وثمانين تأليفاً نقل عنها يستنيان في دستورهِ الفقهي ٢٠٨٠ نصّاً · ومن معاصريهِ فقيه آخر ذو صيت ذائع مثلهُ مولدهُ ايضاً في صور اعني بهِ اولبيان الفقيه مؤلف كتاب دستور القوانين الفقهيَّة توفي سنة ٢٢٨ ومنهم پورفيريوس الصوري الذي علَّم في رومية فنَّ الخطابة والفلسفة

في القرن الثالث للمسيح وصنَّف المصنَّفات العديدة في الفلسفة والشعر والتاريخ وتعرَّض للدين النصراني باحد تآليفهِ فأفحمهُ الكتبة المسيحيون . ومن مشاهير اساقفة صور القديس مثوديوس الذي فسَّر كتاب سفر التكوين وصنَّف تأليفاً في الحريَّة البشرية ولهُ الخطب المستجادة مات شهيد ايمانهِ سنة ٣٤٢ م وفي صور كان مولد رسول الحبشة القديس فرومنسيوس درس فيها على احد اقاربهِ المدعو ميتوپوس فساح معهُ في البلاد حتى بلغ الحبشة وصار رسولها في القرن الرابع للمسيح . ومن مفاخر صور انَّ فيها قضى نحبهُ ذلك الملفان العظيم اوريجانس الاسكندري فريد دهرهِ في جميع العلوم الدينيَّة ولاسيما تفاسير الكتب المقدسة كانت وفاتهُ سنة ٢٥٤ م

وكذلك اللاذقيَّة اشتهر فيها اناطوليوس اسقفها من السنة ٢٧٠ الى ٢٨٢ كان درس في مدارس الاسكندرية فنال فيها قصبة السبق على اقرانهِ وترقى في المناصب الجليلة وصنَّف تأليفاً عظيماً في الرياضيَّات في عشرة كتب ثم سُقّف على اللاذقية وله كتاب عن فصح النصارى . وكان بعدهُ بقليل ابوليناريس اللاذقي احد اساطين العلوم الخطابية في زمانهِ علَّم مدَّة في مدارس بيروت اللغة والخطابة واذ رأى ان يليانس الجاحد حظر على النصارى درس كتب اليونان صنف هو لهم كتباً مدرسية حسنة تقوم مقامها . ومن تآليفهِ نظمهُ لمزامير داود ووضع رواية بالشعر اليوناني في آلام المسيح توفي سنة ٣٧٠ م . وكان لهُ ابن يدعى ڤيتاليس ابوليناريس ولد سنة ٣٣٤ ومات سنة ٣٩٢ اشتهر ايضاً بفصاحتهِ لكنهُ ابتدع بدعةً في نفس المسيح اوجبت حرمهُ في مجمع قسطنطينية سنة ٣٨٠

وافتخرت جبيل بسليلها فيلون الجبيلي الذي سبق ذكر نقله لتاريخ سنكنيتن البيروتي . ولهُ تآليف اخرى لم يبقَ منها غير ترجمتهِ لأدريانس قيصر توفي فيلون سنة ١٤٠ م

وصار في عكة بعض الشهرة لاسقفها انطيوخس في اواسط القرن الرابع لبلاغتهِ في الخطابة حتى قاسهُ اهل وطنهِ بخطيب زمانه المصقع القديس يوحنا فم الذهب وشتَّان بين الثريَّا والثرى

ومن اهل البقاع فيلسوف يوناني خلَّف عدَّة تآليف حكميَّة وهو يمبليكس الذي ولد في كلسيس اي عينجر وتتلمذ لپورفيريوس الصوري وعلَّم مدة في حاضرة الاسكندرية وألَّف كتاباً في اسرار المصريين الدينيَّة ومقالات مستجادة في النفس والقضاء والقدر . الَّا انهُ شطَّ متوهماً في العلوم السحريَّة

ثم توالت على فينيقية النكبات من حروب دامية واوبئة فاتكة ولاسيما زلازل مهلكة فتقوَّضت صروح الآداب وطُمست آثار العلوم مدَّة قرون عديدة فاصبح لبنان ومدنه الساحليَّة اشبه بقفر ينعب عليهِ البوم الى القرن العاشر او الحادي عشر بعد المسيح فترى التواريخ ساكتة عن ادبيَّات فينيقية ولبنان . وكانت الحركة العلميَّة قد انتقلت وقتئذٍ الى جهات الجزيرة والعراق فاصبحت مدن الرها ونصيبين وبعدهما رأس العين وقنَّسرين ثم بغداد والكوفة والبصرة مناهل صافية للعلوم الفلسفية والادبيَّة واللغويَّة وطبَّق الظلام على انحاء الشام اللهمَّ الَّا مدينة دمشق التي اشتهرت ببعض الادباء والشعراء في عهد بني اميَّة

ويظهر ايضاً ان مدينة طرابلس حازت شيئاً من العلوم . نقل العلَّامة الفرنسوي دي كاترمار

(de Quatremère) في احدى مقالاته المنشورة في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٥٨ ج ٢ ص ٦٦) خبراً رواه على علاته قال انهُ وقف على نبذةٍ من تاريخ ابن الفرات المعنون بتاريخ الدول والملوك ورد فيها انَّ الفرنج الصليبيين لمَّا فتحوا مدينة طرابلس الشام سنة ٥٠٣ ه (١١٠٩ م) احرقوا مكتبة واسعة كان عدد مجلداتها ثلاثة آلاف الف اي ثلثة ملايين من الكتب وانها كانت تحتوي ٥٠٬٠٠٠ مصحف و٢٠٬٠٠٠ من تفاسير القرآن وكتباً اخرى عديدة من الحديث والفقه والآداب وانَّ المكتبة المذكورة جمعها القاضي ابو الحسن طالب من أُسرة عمَّار . وسند كلامهُ الى يحيى بن ابي طيّ . وقد استغرب دي كاترمار هذا الخبر الذي نقلهُ عنهُ عدَّة كتبة منهم جرجي افندي يني في تاريخ سورية (ص٣٨٣ — ٣٨٤) لكنهُ أحق روايتهُ بقولهِ « انَّ مؤرخاً آخر (ولم يذكر اسمهُ) يقول انَّ عددها لم يتجاوز المائة الف وانَّ جامعها القاضي ابا الحسن طالب (ويروى ابا طالب حسين) كان هو نفسهُ قد ألَّف كثيراً . وقد بحثنا في كل تواريخ الصليبيين الشرقية والغربية فلم نقف على شيء من ذلك . والحق يقال انَّ في ايامنا مع كثرة المطبوعات لا يوجد في امهات المدن سوى مدينتين باريس ولندن يتجاوز عدد مجلدات مكتبتيها العموميتين ثلاثة ملايين من الكتب بين مخطوطة ومطبوعة وذلك بعد النفقات الطائلة سنوياً صرفوها منذ نحو ٤٠٠ سنة . فايّ عقل صائب يسلّم بمكتبة كهذا من المخطوطات بلغت هذا العدد في زمن كان فيهِ الورق (القرطاس) نادراً غالياً في مدينةٍ لم تعدَّ من حواضر المدن . فانَّ مدينة الاسكندرية التي كان عدد نسَّاخها عشرة آلاف لم تزد مكتبتها الشهيرة في ايام اليونان والرومان على مائة الف مجلَّد. ثمَّ ان ابن الفرات احد المؤرخين المتأخرين فانهُ توفي سنة ٨٠٧ ه (١٤٠٤ م) ولا نعلم شيئاً من امر الراوي يحيى بن ابي طيّ . كما اننَّا لم نقف على اسم احد تآليف ابي الحسن طالب بل لم نجد لهُ ذكراً في احد المؤرخين . ومن ثمَّ لا نعير بالاً لهذه الرواية ربما نجد لمؤرخ ثقة كلاماً وافياً يثبتها

ومما يمكننا تأييدهُ بالبرهان انَّ العلوم عادت الى بعض رونقها في فينيقية في عهد الصليبيين فانَّ امراء الفرنج المتولين على سواحل بحر الشام ولبنان كانوا محبين للعلوم ينشطون الاهلين على اقتباسها . وقد مرَّ في باب التاريخ اهتمام الفرنج بدرس لغات الشرق وإحراز العلوم الشرقية واكرامهم لعلماء العرب

وفي ايام الصليبيين فتح اليعاقبة مدرسةً في طرابلس علّموا فيها الفلسفة والطب فكانت مثل انطاكية والقدس الشريف احدى المدارس الثلث اللواتي استوقفت نظر اهل ذلك الزمان . وقد روى ابن العبري في تاريخهِ السرياني الكنسي انَّ ميخائيل اسقف اليعاقبة في حلب تنزَّل عن كرسيهِ واتى الى طرابلس فتعاطى فيها فنَّ الطب ونال الحظوى لدى اميرها صنجيل ولدى عامَّة اكليروس الفرنج . ومن اساتذة الطب في طرابلس باسيليوس الحلبيّ . واشتهر في مدرسة القدس المعلم يعقوب الطرابلسي المتطبب . وفي ذلك العهد ايضاً اخذ اهل الجبل يُعنون بفتح المدارس كما روى الامر العلاَّمة الدويهي في تاريخ سنة ١١١٢ م اي بعد قدوم الفرنج باثنتي عشرة سنة

وفي تواريخ الصليبيين تلميح الى مدارس منظَّمة كانوا انشأُوها في املاكهم كان يعلّم فيها معلّمون وطنيُّون بيد انهم لم يفيدونا شيئاً عن مواد تعليمها ونظامها . ومما يقوى عليهِ ظنُّنا انَّ الاديرة اللبنانية المذكورة سابقاً

كانت موارد تستقي منها الناشئة مبادئ العلوم

وفي عهد دولة الصليبيين ساح العشّاب الشهير بابن بيطار في لبنان وجنى بعض نباتاتهِ التي وصفها في كتاب مفرداتهِ كالمازريون والحجر اليهوديّ

وفي ايامهم اشتهر اسقفان ملكيان من اساقفة صيداء يُدعى الواحد بشير بن سريّ لهُ في مكتبة الفاتيكان في رومية رسالة في التوحيد • والآخر بولس الراهب الانطاكي اسقف صيداء نُشرت لهُ في المشرق عدَّة مقالات لاهوتية وفلسفية غاية في الجودة والدقّة • وقد ذكرهُ تقيّ الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ﻫ (١٣٢٨ م)• واشتهر بين الموارنة داود اسقف قبرس مؤلف كتاب الهُدى من اقدم الآثار المارونية عاش مؤلفهُ في اواسط القرن الحادي عشر

ثمَّ عادت مدن سواحل الشام مع لبنان الى خمولها في عهد دولتي المماليك المصريين لا نكاد نجد في تلك المدَّة التي تنيف على مائتي سنة الاَّ افراداً لا يتجاوزون عدد الانامل اصابوا بعض السمعة منهم صالح بن يحيى من سلالة بني تنوخ امراء الغرب وهو صاحب تاريخ بيروت الذي استشهدنا بهِ غير مرة لتعريف احوال لبنان وامراء الشوف • وتاريخهُ طبع عن نسخة فريدة مصونة في مكتبة باريس فنُشر لاول مرة في مجلة المشرق في اعداد سنتيها الاوليين ١٨٩٨ و١٨٩٩ • وكان صالح في اواسط القرن الخامس عشر • وتبعهُ بعد حين كاتب آخر من تبعَة بني الغرب وهو حمزة بن احمد بن سباط الغربي العاليهي اختصر اقساماً من تاريخ ابن يحيى ثمَّ اضاف اليهِ ما حدث من بعدهِ الى زمانهِ • وقد ورد في آخر نسخةٍ من تاريخهِ سنة ٩٢٦ﻫ (١٥٢٢ م) ما حرفهُ : وفي هذه السنة انتهى تاريخ حمزة ابن احمد سباط خادم السيد عبد الله التنوخي وكانت وفاته في هذه السنة وكان شاعراً فصيحاً ذا خطٍ مليحٍ ولسان فصيحٍ ولهُ مصنَّفات كثيرة وقيل ما كان يعرف ابن من هو وانما وجده السيد ولداً صغيراً فرباهُ عنده

وقد ذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كاتباً ولد في البقاع سبق ابن سباط يدعى الشيخ برهان الدين ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥ ﻫ (١٤٨٠ م) ووصف بعض تآليفهِ كاحسن الكلام وكالإسفار عن اشردة الأَسفار وصف فيهِ غزوة قبرس ورودس ثم كتاب عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والاقران اثبت فيهِ تراجم مشايخهِ واقرانهِ وتلامذتهِ وانسابهم ووفياتهم على ترتيب حروف المعجم

وقد عرَّفنا صالح بن يحيى في تاريخ بيروت بعض شعراء لبنان في عهد مماليك مصر وروى مقاطيع من شعرهم في المديح والرثاء والتاريخ اخصهم الامراء التنوخيُّون ناصر الدين الحسين وشرف الدين عيسى وابنهُ ناصر الدين محمد وشجاع الدين عبد الرحمن وعلم الدين الرمطوني • ونقل كذلك قصائد لشاعر بني الغرب التنوخيين محمد بن عليّ الغزّي صاحب ديوان ومقامات في اواخر القرن الرابع عشر للميلاد • ذلك فضلاً عمَّن نبغ من امراء الغرب من الخطاطين واصحاب الفنون

وقد ذكر غيرهُ الشيخ زين الدين معضاد الفلجيني من الطائفة الدرزيَّة لهُ تواريخ وكتب في مواضيع مختلفة • وينظم الارسلانيُّون في جملة ادبائهم ابا الفضل مطوع بن تميم الفقيه الحكيم المنطقي الخطَّاط • وابا الجود

سعد الدولة حيث النحوي صاحب كتاب المورد الصافي في النحو · وتقي الدين نجا الخطاط النحوي · وسيف الدين اللغوي النحوي الشاعر المترسل

وفي ختام القرن الخامس عشر ومفتتح السادس عشر اشتهر احد ابناء لبنان الموارنة بجودة قريحته ووفرة كتاباته نريد به الاخ جبرائيل بن القلاعي الراهب الفرنسيسي من قرية لحفد الذي سُقف على جزيرة قبرس · معظم تآليفه ازجال عامية ضمنها شيئاً من تاريخ لبنان واحوال معاصريه وبني ملّته لم يُنشر منها بالطبع الا القليل لركاكة نظمها مع وفرتها فان الدويهي روى عنه انهُ كتب ٤٦٥ مقالة او ميمراً او بالحري زجلية · توفي سنة ١٥١٦ سنة فتح السلطان سليم لبلاد الشام ولبنان (اطلب السنة الاولى من مجلة المشرق (ص ١٤٦)

وكانت اللغة العربية في ذلك العهد قليلة الانتشار في اعالي لبنان والسكان في عدة قرى يتكلمون بالسريانية · وذلك هو السبب لقلة المخطوطات العربية في لبنان لاسيما بين الموارنة · وكان اغلب النُسّاخ ينقلون الكتب السريانية وقد ذكر الدويهي ان عدد الذين بلغت الى يدهِ مخطوطاتهم السريانية مائة وعشرة وانهم في ذلك العهد عدلوا عن الخط الاسطرنجيلي فأبدلوه من القلم المستدير المعروف بالقلم الغربي · ثم قال الدويهي (ص١٣٩) : « ومن اخبار هذا العصر نستدل على انهُ في دولة المقدَّمين واحكامهم العادلة توفرت الراحة لاهل لبنان وكثرت عندهم المدارس والكنائس » · ويا ليته افادنا شيئاً عن تلك المدارس

٣ المعارف في لبنان في عهد الدولة العثمانية

❊ المعارف قبل القرن التاسع عشر ❊ لما انتزعت الدولة العثمانية بلاد الشام ولبنان من ايدي مماليك مصر استدعى فتحها الى صرف نظرها الى اصلاح شؤون البلاد سياسياً ومادّياً فلم تنل وطرها الا بتوالي السنين فمرّ معظم ذلك القرن السادس عشر دون ان تظهر فيه النهضة الادبية وانما تمّ ذلك بهمّة الكرسي الرسولي وقصّاده ومرسليه في اواخر ذلك القرن · وكان اوّل من حضر منهم بصفة قصاد مرسلين من رهبنة القديس فرنسيس رَوَى تاريخهم في مجلة المشرق سنة ١٩٠٩ (١٢ : ٤ — ٨) ثم تبعهم الاب يوحنا إليانو اليسوعي الذي ادّى لجبل لبنان خدماً جليلة كانت اكبر داعٍ لرقيّ الموارنة واذ رأى ما كان عليهِ اللبنانيون من الجهل لقلة المدارس عرض الامر على البابا غريغوريوس الثالث عشر فامر الحبر الاعظم بان تفتح للموارنة في رومية مدرسة لتهذيب احداث الاكليركيين ليتخرجوا فيها في كل الآداب والعلوم الدينية والمدنيّة ثم يعودوا الى وطنهم وينشروا في طائفتهم ما احرزوه من المعارف · وجعل البابا تلك المدرسة تحت تدبير الآباء اليسوعيين الذين كدُّوا جبينهم واسهروا عيونهم لإدارتها مدّة ١٩٣ سنة تخرَّجوا فيها نحو ٤٠٠ من ابناء الطائفة المارونية الذين رجع منهم قسمٌ كبير الى لبنان فلم يألوا جهداً في تهذيب مواطنيهم بصفة بطاركة ومطارنة وكهنة رعايا بالانذار والتعليم وتأليف الكتب كالبطاركة جرجس عميره واسطفانوس الدويهي

ويعقوب وسمعان عوّاد ويوسف اسطفان ويوسف تيّان وكالاساقفة يوحنا الحوشبي واسحق الشدراوي ومخايل الحصروني وارميا نجيم وكالكهنة بطرس التولوي واسطفانس ورد واندراوس اسكندر وميخائيل فاضل البيروتي

وبقي قسم آخر في عواصم اوربا اكسبوا طائفتهم فخراً لم تمحهُ الايام كالسماعنة الطائري الشهرة خدموا الكرسي الرسولي في رومية وهم ستّة بهذا الاسم اشهرهم يوسف شمعون السمعاني وابن اخيهِ يوسف سمعان السمعاني ويوسف لويس السمعاني · وكسرجيوس الرزّي وجرجس بنيامين اليسوعي ومرهج بن نيرون الباني في رومية ايضاً · واشتهر في باريس ابراهيم الحاقلاني وجبرائيل الصهيوني ويوحنا الحصروني · وخدم امراء فلورنسة الاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي ثم انتقل الى خدمة رومية · واشتهر في مدريد ميخائيل الغزيري وعلّم في ڤينا انطون عريضة الطرابلسي · ولكل هؤلاء تآليف مختلفة عديدة كانت موضوعاً لاعجاب العلماء لو جمعت لحصل منها مكتبة واسعة وبهمّتهم خصوصاً انتشرت اللغات الشرقية في اقاليم اوربا

وفي اوائل تلك النهضة نال لبنان مجداً آخر اذ أُنشئت فيه اوّل مطبعة تُعرف في الشرق كانت حروفها سريانية وهي الثانية بعد المطبعة الاسرائيلية التي انشأها بعض الموسويين في الاستانة سنة ١٤٩٠ فنشرت عدة مطبوعات بالحرف العبراني · وهذه المطبعة اللبنانية أُنشئت في دير قزحيا مائة سنة قبل سكنى الرهبان اللبنانيين فيهِ اعني سنة ١٦١٠ وفي تلك السنة طُبع هناك كتاب مزامير داود في قطع الثمن بحرفين سريانيين على حقلين سرياني فكرشوني · وكلا الحرفين نفس مشرقي · في صدر صفحتهِ الاولى نقوش وعناوين في اسفلها ان « الكتاب تمّ بالحبس المكرم في وادي قوزحيا في جبل لبنان المبارك على يد المعلم بسكالي إلي وعلى يد الحقير يوسف ابن عميمة الكرمسداني باسم شماس سنة ا س ي ربّاً » (اي ١٦١٠ ربانيّة) · وفي مجلة المشرق وصف واسع لهذا الكتاب الفريد سنة ١٩٠٠ (ج ٣ : ٢٥٣ — ٢٥٥) · اما تاريخ تلك المطبعة واصلها وآخرتها فلا علم لنا بها · وليس بمستبعد ان المطران جرجس عميره الاهدني تلميذ مدرسة رومية المدوَّن اسمهُ في آخر الكتاب استجلب تلك المطبعة من رومية قبل ان يُنصَّب على كرسي بطريركية طائفتهِ

اما الطباعة بالحرف العربي فسبقت اليها حلب الشهباء كما ورد في مجلة المشرق (٣ : ٣٥٧) فنُشرت فيها من السنة ١٧٠٢ الى السنة ١٧٣٥ عدّة مطبوعات تجد قائمتها هناك · وجاءت على الاثر مطبعة الاستانة التركية سنة ١٧٢٨ ثمّ مطبعة دير مار يوحنا الصابغ في الشوير التي انشأها الهام عبدالله زاخر بمساعدة الآباء اليسوعيين سنة ١٧٣٤ ودار شغلها نحو ١٥٠ سنة وابرزت كتباً عديدة حسنة الطبع محكمة العمل اقرّ العلماء بفضل اصحابها · واشتهر في تلك المدّة ذاتها ميخائيل الراهب في كورة لبنان بصنع الحروف العربية في مطبعة رومانيا الارثذكسية في البلقان · وفي منتصف ذلك القرن انشأ في بيروت الشيخ ابو عسكر نقولا الجبيلي مطبعة لطائفتهِ الارثذكسية وطبع فيها كتاب المزامير سنة ١٧٥١

وفي تلك الاثناء ولاسيما في القرن الثامن عشر أُنشئت في لبنان عدة مدارس بمساعي اهل الفضل لاسيما الاساقفة والرهبان والمرسلين منها عمومية لسائر الاحداث ومنها خصوصية للمترشحين للدعوة الاكليريكية

وكلها مجانيَّة · وكان اوَّل انشاء هذه المدارس في زمن البطريرك يوحنا مخلوف فتحها سنة ١٦٢٤ بدير سيدة حوقا فاستمرّت الى سنة وفاته ١٦٣٣ · وكذلك في ايامه صار دير مار جرجس بقورقاشا مدرسة لتعليم اولاد الطائفة ثم نقلت الى دير مار تادرس في نواحي بشرّاي · وفي اعمال المجمع اللبناني المنعقد في اللويزة سنة ١٧٣٥ فصل واسع (ص ٥٢٦ — ٥٥١) في المدارس والدروس ورد فيه كلام بليغ في ضرورة المدارس ومنافعها الجمَّة والحضّ على تعميمها مع تعريف نظام تلك المكاتب وقوانين انشائها و دأب طلبتها ومعلميها ومواد تعليمها . ومن جملة ما جاء هناك قوله : « باعتبار احوال المكان والزمان نأمر هؤلاء المعلمين الذين نريد ان ينصبهم الاساقفة او رؤساء الاديار ان يرعوا النظام العام فيعلّموا الاحداث في المدارس اوَّلاً القراءة والكتابة في السريانية والعربية ثمَّ المزامير · · · والعهد الجديد · ثم اذا توسّموا في بعضهم مزيد الاهلية لتحصيل العلوم فليعلّموهم قواعد الصرف والنحو في السريانية والعربيّة ثمَّ علم اللحن والحساب البيعيّ ثمَّ يرقّوهم الى درس العلوم العالية اي الفصاحة والنظم والفلسفة و لحساب والمساحة وعلم الفلك وما اشبه ذلك من الرياضيات» · ويزيد لطالبي الكهنوت « مبادئ الحق القانوني وتفسير الكتاب المقدَّس واللاهوت الاعتقادي والادبيّ · · · ولا يألوا جهداً في ان يحملوهم بالنصائح والمواعظ على العبادة وتقوى الله »

وقد ذكر هناك مدرستين أرقى درجة في العلوم المقدسة والعالمية أقام الواحدة منهما الاب بطرس مبارك الماروني اليسوعي سنة ١٧٣٤ في عينطورة من اعمال كسروان واجرى عليها رزقاً ووكل تدبيرها الى المرسلين اليسوعيين · وانشأ الأخرى في قرية زغرتا من اعمال طرابلس سنة ١٧٣٥ المطران جرجس بنيمين الماروني المنتظم في سلك الرهبانية اليسوعية وعيَّن لها دخلاً كافياً لمعاش معلم تحت تدبير المرسلين عينهم · وفي السنة ١٧٨٩ امر البطريرك يوسف اسطفان بتحويل دير مار انطونيوس عين ورقة الى مدرسة اكليريكية يقتبس فيها العلوم المترشحون للكهنوت

فكانت هذه المؤسسات الخيرية ركناً لترقية الآداب ونشر المعارف في انحاء لبنان

وفي ذلك القرن الثامن عشر أنشئت في لبنان الرهبانيات الجديدة من الطائفتين الكاثوليكيتين المارونية والروم الملكية · فكان انشاؤها من اعظم الدواعي الى نهضة لبنان الادبية اذ جعلت تلك الرهبانيات في قوانينها العناية بالاحداث وتهذيب الناشئة مع وجود معظم اديرتها في انحاء لبنان

وازدان لبنان في ذلك العهد بنخبةٍ من الرجال الذين فضلاً عن سجاياهم الطيبة وذكاء عقولهم نفعوا ايضاً آل عصرهم بتآليفهم المتعددة · وكان كثيرون منهم ولدوا خارجاً عن لبنان في حلب او دمشق الا انهم نبغوا خصوصاً بعد انتقالهم الى الجبل كمطرانين المارونيين جرمانوس فرحات وعبدالله قرألي وكمطران صيداء افتيموس صيفي الدمشقي وكالخوري نقولا الصائغ رئيس رهبان مار يوحنا الصابغ في الشوير والخوري يوحنا العجيمي من جون صاحب التختكون وكالقس اندراوس شاشاتي الارمني الحلبي منظم مدرسة بزمَّار وكالبطريرك ميخائيل جروه السرياني المتوفى في دير الشرفه سنة ١٨٠٠ وكالابوين اليسوعيين جان اميو منشئ دير طرابلس والمتوفى في بيروت سنة ١٦٥٤ والاب بطرس فروماج رئيس دير عينطورة (١٧٤٠)

و بعضهم مواليد لبنان كالبطاركة اسطفانس الدويهي وجرجس عميره وسمعان عوّاد السابق ذكرهم · وكالمعلم الياس فخر الطرابلسي من طائفة الروم الارثذكس · وكبطريرك اليعاقبة نوح اللبناني الباقوفي المتوفى سنة ١٥٩٦ · وكمحمد الحسيني الطرابلسي السندروسي المتوفى سنة ١٧٦٢ وابرهيم الحر الشيعي الصوري الشاعر وقد ابقى هؤلاء كلهم آثاراً طيبة في كل ابواب المعارف ذكرت مجلة المشرق اسماء كثير منها في تراجم بعض المذكورين كدواوين شعرية ومعجمات لغوية وتواريخ دينية ودنيوية وتآليف لاهوتية وفلسفية وادبية مهدت الطريق للنهضة الادبية الكبرى في القرن التاسع عشر

ومما وسّع دائرة المعارف في لبنان مدة القرنين السابع عشر والثامن عشر ما نقله اللبنانيون المتخرجون في رومية والرهبان المرسلون الى بلاد الشام اذ عرّبوا محاسن التآليف اللاتينية والطليانية والاسبانية والفرنساوية فبلغ عددها بضعة الوف · وقد اشتهر في جملتهم المطران جرمانوس فرحات الذي عرّب عدّة كتب ورد جدولها في مجلة المشرق سنة ١٩٠٤ (٧ : ٣٥٥ — ٣٦١) والخوري بطرس التولوي (اطلب اسماء كتبهِ فيها (٦: ٧٧٥ و ١١: ٢٣٨) وعرّب المطران سركيس الرزّي الكتاب المقدس وطبعهُ في رومية · وللخوري ابراهيم جلوان الماروني السمرّاني والخوري يوسف العجلوني الرومي الكاثوليكي تعريبات حسنة · واشتهر بين المرسلين اليسوعيين في وفرة تعريباتهم الاب بطرس فروماج الذي نقل الى العربية نيفًا وثلثين كتابًا نُشر منها قسم كبير بالطبع · والاب حبيب شيزو الذي يُروى له من التآليف والتعريبات نحو الاربعمائة وللآباء اغناطيوس كايسون وجان اميو وانطون غينار رئيس مدرسة عينطورة عدّة معربات تُرى متفرقةً في مكاتب الخاصة · فبلغت بهمة هؤلاء الافاضل علوم الغربيين وآدابهم الى اقطارنا الشرقية · وان كان في تعريبها شيء من الضعف والركاكة لقلة المدارس النظامية في ذلك العهد · وقد عرف آباء المجمع اللبناني عظم شأن تعريب كتب الاجانب ولذلك خصّوا بد احد قوانينهم (ص ٥٤٦) حيث يخاطبون تلامذة مدرسة الموارنة في رومية ومعلمي المدارس: « ونحث هؤلاء الطلبة ومعلمي المدارس ··· بان يؤلفوا في العربية الكتب المدرسية مقتطفة من مؤلفين معروفين بالفضل واما ان يترجموها من اللغة اللاتينية الى العربية على الاقل · ثم فليعنوا ترجمةً ونشراً لتآليف الآباء القديسين واعمال المجامع وقوانينها وتاريخ الكنيسة وغيرها من المصنفات الحريّة بالمطالعة والتي لا توجد عند الشرقيين لا في السريانية ولا في العربية · ونأمر الرهبان بان يعينوا في كل دير نساخًا مجيدين حاذقين في صناعة الخط والكتابة ويجمعوا نسخ الكتب البيعية من كل موضع وينسخوها اياها و يودعوها مكتبة الدير نعمياً للفائدة »

فشكراً كل الشكر للذين بنسخ تلك المآثر نجّوها من التلف والضياع وان كان قسمٌ منها لا يزال مطموراً في زوايا الاديرة او في خزائن بعض الخاصة

ومما يؤسف لهُ ان كثيراً من المخطوطات القديمة التي كانت في اديرة لبنان قد نقلها الغربيّون الى بلادهم فاغنوا بها مكاتبهم ولعلهم بفعلهم نفعونا اكثر مما اضرّوا لانهم انقذوا من التلف تلك الكنوز ونجّوها من المخاطر الملمة بها في الشرق من جهة الحروب والحريق وقلة الاكتراث · وممن تلافى هذه الاخطار الاحبار

الرومانيُّون الذين ارسلوا غير مرَّة وكلاءهم ليبتاعوا من مصر والشام ولبنان ما يعثرون عليه من المخطوطات القديمة النصرانية والاسلامية فجمعوا منها في مكتبة الفاتيكان عدداً وافراً جعلوه في خدمة العلماء الواردين الى رومية من كل البلاد · وكذا يقال عن خزائن الكتب الشرقية التي تفتخر بها عواصم اوربا كباريس ولندن ومدريد وبرلين وليدن ويفضلها الاجانب في كل الجواهر والكنوز

٤ المعارف والآداب اللبنانية في القرن التاسع عشر

﴿الطور الاوّل من ١٨٠٠ الى ١٨٣٠﴾ لاح القرن التاسع عشر ولبنان في اضطراب وقلاقل شديدة منها عمومية حالة العالم السيئة بسبب الثورة الفرنسويَّة ومنها خصوصية بسبب حروب الجزَّار وجوره الفظيع فكانت العلوم والمعارف قد عادت الى خمودها ولم يُعرف من ارباب الادب في لبنان سوى نفر قليلين كان الجزَّار قد اختصهم بخدمة ديوانه في عكا من آل البحري والصبَّاغ والمرياه وسكروج ثم عاملهم معاملة الاسد لفريسته فصادر بعضاً وحبس بعضاً ومثَّل بالبعض وقتل البعض الآخر كما ترى في مقدَّمة كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

وفي ذلك الوقت قدم نابوليون بونبرت واحتلَّ سواحل فلسطين وحاصر عكا فزاد الهرج والمرج الى ان مات الجزَّار وثبَّت الامير بشير الشهابيّ الكبير قدمهُ في لبنان فكان معظم همهِ كسر شوكة اعدائه وتأمين سلطتهِ المطلقة على الجبل فادرك غايته نوعاً الا ان العلوم والآداب لم تجد لها منفذاً بين جلبة السلاح · وكان الامير مع ذلك يحبُّ معاشرة الادباء وينظمهم في بلاطهِ في سلك ندمائه فاشتهر عندهُ قوم من الشعراء والكتبة اكثرهم لبنانيُّون كنقولا الترك من زوق مصبح والشيخ نصيف اليازجي من كفرشيما وبطرس كرامه الحمصيّ والشيخ امين الجندي ولكلهم دواوين شعرية وآثار ادبية لا يزال قسمٌ منها مخطوطاً

وفي اوائل ذلك القرن التاسع عشر نبغ بعض الكتبة اللبنانيين فخلَّفوا لنا شيئاً من آثارهم كميخائيل الصبَّاغ في الانشاء واللغة وكاحمد البربير البيروتيّ والياس اده اللبناني في الشعر وكالقس حنانيَّا منيَّر الزوقيّ ونقولا الترك السابق ذكرهُ وانطونيوس العينطوريني في التاريخ وكالخوري سابا الكاتب الحلبيّ في الفلسفة

وكانت الطباعة في لبنان منزوية في دير مار يوحنا الصابغ في الشوير · ففي اوائل هذا القرن اهتمَّ احد الرهبان اللبنانيين البلديين القس سيرافيم حوقا بانشاء مطبعة جديدة في دير قزحيا وانما حروفها كانت سريانية وكان تاريخ اوّل منشوراتها سنة ١٨٠٨ وقد اشتغلت نحو ٩٠ سنة فطبعت خصوصاً الكتب الدينيَّة بالسريانية او بالكرشوني

امَّا المدارس فانها كانت في اسوإ حال فاننا لا نعرف منها في بدء القرن التاسع عشر الا مدرستي عين ورقة وعين تراز وكلتاهما كانت في حال حرجة لضيق الزمان ينقصهما المعلمون الاختصاصيُّون فضلاً عن قلة الوسائط لمعاش التلامذة والمعلمين · ثمَّ سعى البطريرك الماروني يوحنا الحلو (١٨٠٩ — ١٨٢٣)

ويوسف حبيش (١٨٢٣ — ١٨٤٠) بتحويل بعض اديرة الجبل الى مدارس للطائفة المارونية كدير مار يوحنا مارون في كفرحي في بلاد البترون (سنة ١٨١٢) ودير مار مارون الرومية في كسروان (سنة ١٨١٧) ودير مار يوحنا مارون في صربا (سنة ١٨٢٧) ودير مار عبدا هرهريّا بين كسروان والفتوح (سنة ١٨٣٠) ودير مار سركيس وباخوس في ريفون (سنة ١٨٣٢) فكانت تلك المشروعات كبواكير المدارس المنظمة التي أُنشئت بعد ذلك في لبنان يضاف اليها مدرسة البلمند التي انشأها الارشيمندريت اثناسيوس قصير الدمشقي لطائفة الروم الاورثذكس (سنة ١٨٣٣)

﴿ الطور الثاني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٧٠ ﴾ والحق يقال ان النهضة الادبيّة الحديثة في لبنان انما كانت في اواسط القرن التاسع عشر منذ السنة ١٨٣٤ الى ١٨٧٠ فانّ المدارس السابق ذكرها تعزّزت وتحسنت لا سيما مدرستي عين ورقة ومار عبدا تخرّج فيها نخبة من رجال الادب وخصوصاً من ارباب الدين

وقد ساعد على تلك الحركة المرسلون الاوربيون الكاثوليك والمرسلون الاميركان البروتستانت لغايات متباينة واوّل من عُني بذلك من الاوّلين الاباء اللعازريون الذين جدّدوا مدرسة اليسوعيين القديمة في عينطورة وعمموها لسائر الاحداث سنة ١٨٣٤ فاصابت الهدف ولم تزل في ترقٍ متواصل الى السنين الاخيرة مدة ٨٠ سنة

وفي الوقت عينهِ كان المرسلون البروتستانت يفرغون كنانة الجهد في نشر مذهبهم بين آل الجبل فلم يجدوا لذلك طريقة افضل من فتح المدارس في لبنان رغماً عما لقوا من المناهضة في سبيلهم. فأنشأوا اوّلى مدارس خارجية للذكور والاناث في بيروت ثمّ في الجبل لكنّ هذه المنشئات لم تصادف حظوى كبيرة الى ان فتحوا في بيروت (١٨٤٠) ثمّ في اعبيه (سنة ١٨٤٦) مدرستين داخليتين للفتية ثمّ مدرسة داخلية للاناث في بيروت في السنة ١٨٤٦ ايضاً وفي السنة ١٨٥٨ انشأوا مدرسة مثلها في سوق الغرب ثمّ عززوا هذه المدارس بنقل مطبعتهم التي كانوا انشأوها في جزيرة مالطة سنة ١٨٢٢ فاتوا بها الى مدينة بيروت سنة ١٨٣٤ ثمّ باشروا بنشر كتبهم الدينية لاسيما الكتاب المقدّس مع جملة من التآليف المدرسية التي ساعدهم على نشرها بعض الوطنيين كبطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي

ولم ينسَ الرهبان اليسوعيّون بعد انبعاث رهبانيتهم القطر السوري ولبنان حيث كان اخوانهم استنفدوا الوسع في خدمة النفوس مدّة ١٥٠ سنة فعادوا الى بلاد الشام ١٨٣٢ وكان لبنان اوّل محطٍ لرحالهم. فما استقرّت فيهِ قدمهم في بكفيّا وزحلة اوّلاً ثمّ في غزير وبيروت وصيداء ودير القمر حتى رأوا ما تحتاجه النشأة من التهذيب بالدين والعلم فأسرعوا الى انشاء المدارس الابتدائية والثانوية. فكانت مدارس بكفيا وزحلة ودير القمر لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ اللغة والحساب والتاريخ. وخُصّت مدارس غزير وبيروت وصيداء بدرس اصول اللغة من صرف ونحو وبيان مع درس اللغات الاوربية والعلوم الرياضية والطبيعة والجغرافية. وكانت مدرسة غزير داخلية غايتها الاولى تهذيب احداث الطوائف الشرقية لخدمة مللهم في الكهنوت وبعد قليل اضيف اليها قسمٌ آخر لعموم الطلبة

ثمَّ رأى اليسوعيُّون حاجة الطوائف الكاثوليكية الى مدارس نسائية اذ لم يكن لهن في لبنان غير مدرسة واحدة خارجية أُنشئت في عينطورة سنة ١٨٤٤ بهمة راهبات الزيارة ثم حوّلنها سنة ١٨٥٩ الى مدرسة داخلية فسدًّا لهذا الخلل سعى المرسلون مع بعض الكهنة الوطنيين نخص منهم بالذكر الطيب الاثر الخوري يوسف الجميّل وبعض النساء الفاضلات بانشاء جمعية رهبانيــة وطنية تكون غايتها تهذيب الفتيات· فكانت نتيجة هذا الفكر الصالح انشاء جمعيتين من الراهبات في وقت واحد في الــنة ١٨٥٣ اعني جمعية المريمات في بكفيا وجمعية قلب يسوع في معلقة زحلة · ففتحت الاولى نيفاً وعشرين مدرسة في انحاء كسروان والمتن والفتوح وجبيل والبترون ·وانشأت الثانية مثلها عدداً في البقاع وقرى بعلبك وجهات دمشق فبلغ عدد طالبات تلك المدارس نيفاً وخمسة آلاف · ثمَّ اجتمعت الجمعيتان بعد عشرين سنة تحت رئاسة رئيسة واحدة وعُرِفن براهبات قلبي يسوع ومريم وهنَّ لم يزلنَ الى ادراك غايتهنَّ من تعليم الفتيات لاسيما في قرى لبنان وتحت ادارتهنَّ اليوم نحواً من ثلثين مدرسة كان عدد البنات المتهذبات فيها سنة ١٩١٤ نحو من ستة آلاف

وكذلك انشأ المرسلون جماعة دُعيت بالكسفريين كان المنضوون اليها بعد تهذيبهم يرسلون الى القرى في لبنان والبقاع لضبط مدارس الذكور · وبعد عشرين سنة من انشائها أُلغيت واقاموا لتربية الاولاد في تلك المدارس معلمين علمانيين بأجرة معلومة وكان عددها نحو تسعين مدرسة بلغ تلامذتها نحو ٧٠٠٠ دارس في السنين الاخيرة

وقدمت سورية في اواسط القرن التاسع عشر راهبات المحبة مع رئيستهن الامّ جيلاز فلم يكتفين بفتح الميات ومآوي اللقطاء والمستشفيات والمستوصفات بل تولين ايضا ادارة المدارس في بيروت وطرابلس وبعض انحاء الجبل ثمَّ وكلن الى البنات المتخرجات عندهنَّ تعليم الفتيات في القرى وكان يعضدهنَّ في هذا العمل الآباء العازريُّون في انشاء مدارس مجانية للذكور في بعض جهات لبنان

وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ المشؤومة رأى ارباب الامر والدين في انشاء المدارس انجع دواء لتربية الاحداث فأنشأت الحكومة السنية في بيروت المكتب العسكري الذي ترقى بهمة ولاة امره · وأُنشئت في اعبيه سنة ١٨٦٢ المدرسة الداؤدية انشأها داود باشا اول متصرف لبنان

وكذا فعل ارباب الطوائف الشرقية لتهذيب ابناء طوائفهم فأنشأ السيد يوسف غريغوريوس المدرسة البطريركية في بيروت سنة ١٨٦٥ وعني البطريرك انطون سمحيري بتهذيب اكليروس طائفته في دير الشرفة وفتح الموارنة في كسروان مدرستي مار نيقولا العريمة قرب الجديدة ومدرسة المحبة في عرامون (١٨٦٥) ثمَّ انشأ المطران اغابيوس الرياشي مدرسة عين القش سنة ١٨٦٧ · وكان الروم الارثذكس انشأُوا لطائفتهم مدرسة في سوق الغرب سنة ١٨٥٢ ثم نقلوها الى بيروت وهي المنسوبة الى الثلثة الاقمار

وفي تلك الاثناء (سنة ١٨٦٣) انشأ المعلم بطرس البستاني مدرستهُ الوطنيَّة فاكتسب شهرةً بمساعي منشئها وابنهِ سليم

(البعثات العلمية) وقد رافق تلك النهضة في اواسط القرن التاسع عشر بعثات علمية الى البلاد

الاجنبيّة طلبًا للعلوم من مواردها · وكانت اوّل بعثةٍ لتلك الغاية بعثة سبق اليها المرسلون الاميركيّون اذ ارسلوا الى لندن ثلاثة من بني الوطن وهم النصرانيّان انطونيوس الاميوني وعبدالله العازار والدرزي اسمعيل جنبلاط فبقي منهم هناك انطونيوس الاميوني · ثمّ أرسل اربعة بعد ذلك الى القصر العيني في مصر ليدرسوا فيهِ علم الطب ومنهم الدكتوران ابراهيم بك النجار من دير القمر والدكتور غالب البعقليني · وبعد ذلك ارسل فرانقو باشا بعض شبان لبنان الى اوربا ليتمموا فيها دروسهم ثم يسعوا بعد عودتهم بتحسين المدارس الوطنية

(المطابع) ومن اعظم اركان تلك النهضة الادبية وتعميم المعارف في لبنان انشاء المطابع التي تعدّدت في تلك الغضون بعد المطبعة الاميركانيّة وكان اولها في بيروت مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثذكس سنة ١٨٤٧ التي باشرت بنشر الكتب الطقسيّة والمذهبيّة الى ان جدّدت ادواتها فنشرت مطبوعات غيرها (اطلب مجلّة المشرق لسنة ١٩٠٠ ج ٣ ص٥٠٣—٥٠٥) ثم وليتها المطبعة الكاثوليكيّة للآباء اليسوعيين سنة ١٨٤٨ فأبرزت بعض المطبوعات على الحجر ثم اخذت في السنة ١٨٥٣ في الطبع على الحروف ولم تزل في ترقٍّ متواصل مدة ٧٠ سنة حتى نالت السبق على سائر المطابع الشرقية بمطبوعاتها المتقنة في ١٥ لغة منها السريانية والكلدانية والقبطية والحبشية والعبرانيّة والارمنية · ثم جاءت في اثرها المطبعة السورية لمنشئها المرحوم خليل الخوري مدير المطبوعات سنة ١٨٥٧ · وعقبتها ١٨٥٨ المطبعة الشرقيّة للدكتور ابراهيم نجار ثمّ احدث بعدها بثلاث سنوات يوسف الشلفون مطبعةً العمومية ثمّ دعاها بالعمومية الكاثوليكيّة بعد اشتراكه مع رزق الله الخضراء سنة ١٨٧٠ · وفي السنة ١٨٦٥ ظهرت المطبعة المخلصية فخدمت الآداب نحو عشر سنوات · وفيها ايضًا أُنشئت المطبعة السريانية التي نُقلت بعد قليل الى دير الشرفة والمطبعة الوطنية لجرجس شاهين · وفي السنة ١٨٦٧ انشأ الاديبان خليل سركيس وبطرس البستاني مطبعة المعارف · ثمّ انفرد خليل افندي بادارة مطبعتهِ الشهيرة بالادبيّة سنة ١٨٧٤ التي لا تزال تخدم العلوم الى يومنا · وكان آخر ما أُنشيء من المطابع في هذه المدّة المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الغرزوزي سنة ١٨٦٩ ومطبعة الجمعية الارثذكسية لجرجس يزبك

وفي هذا الطور انتشر فنّ الطباعة في انحاء لبنان بعد انحصاره في مطبعتي الشوير وقزحيا · فظهرت اولاً لعالم الوجود مطبعة بيت الدين التي تولى ادارتها حنا بك اسعد فنشر اولاً سنة ١٨٥٣ على الحجر بعض المطبوعات ثم طبع غيرها على الحروف سنة ١٨٦٢ · ثم ندب داود باشا متصرف لبنان يوسف الشلفون لانشاء مطبعة متصرفية لبنان فأُنشئت المطبعة اللبنانية سنة ١٨٦٣ فتولى تدبيرها ملحم النجار مدّة ثم نقلها الى دير القمر

ثم انشأت الرهبانيات المارونية البلدية مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب وكانت حروفها عربية بخلاف مطبعة قزحيا السريانية والكرشونية · وفي السنة ١٨٥٩ فتح رومانوس يمين مطبعة في اهدن بمشاركة الخوري يوسف الدبس · وفي مجلة المشرق ١٩٠٠ و ١٩٠١ قائمة مطبوعات كل هذه المطابع

(الجمعيات الادبية) ومن اعظم دعائم النهضات الادبية في البلاد انشاء الجمعيات والنوادي الادبية ونشر الصحف والتآليف فبادر اليها اللبنانيون في اواسط القرن التاسع عشر وان لم يبلغوا فيها ما بلغوه في الطور الاخير

واول جمعية ادبية أُنشئت بل ما نعلم في ديارنا هي الجمعية السورية التي سعى بانشائها المرسلون الاميركان فبرزت للوجود سنة ١٨٤٧ غايتها كما ورد في لائحتها نشر العلوم وتنشيط الفنون وكانت تتألف من نخبة ادباء ذلك الوقت منهم وطنيون كالشيخ ناصيف اليازجي والمعلم بطرس البستاني والدكتور ميخائيل مشاقة وسليم دي نوفل وميخائيل مدوَّر وشكرالله خوري وميخائيل فرج ونعمه ثابت وانطونيوس الاميوني ومنهم اجانب كيوسف كتفاكو وتشرشل بك والدكاترة غالي سميث وكرنيليوس فان ديك ووليم طمسن ويوحنا ورتبات. ولم تطل حياة هذه الجمعية اكثر من ست او سبع سنوات متقطعة وقد نشرت اعمالها في بعض كراريس صغيرة اخرهم صدرت في اوائل سنة ١٨٥٢

وفي السنة ١٨٥٠ قام اليسوعيون بانشاء جمعية ادبية اخرى دعوها بالجمعية المشرقية كان اعضاؤها كلهم من الكاثوليك من ذوي السمعة الطيبة في الآداب كابرهيم افندي النجار وفرنسيس مسك وحنا ابي صعب ورزق الله خضراء وطنوس الشدياق وايوب ابيلا وحبيب اليازجي وابرهيم باخوس وحنا عوده وفرنسيس مطر. وفي السنة الثانية عشرة من المشرق سنة ١٩٠٩ (١٢ : ٣٣ — ٤١) تعريف للجمعيتين السابق ذكرهما. وكانت حياة كلتيهما قصيرة

ولم تكن اطول منهما عمراً جمعية ثالثة أُنشئت سنة ١٢٨٤ هـ = ١٨٦٨ م عُرفت بالجمعية العلمية السورية التي نشر اعمالها سلفنا المعلم بطرس البستاني وكان اخص أعضائها الأدباء الامير محمد امين ارسلان رئيسها والحاج حسين بيهم وسليم البستاني وحنين الخوري وموسى دي فريج ورزق الله خضراء وسليم رمضان وعبد الرحيم بدران وسليم شحاده وحبيب جلخ ويوسف التلفون وقد انضوى الى هذه الجمعية قوم من خيرة الرجال يطول بنا ذكرهم لولا ان الدهر لم يسمح لهم بابراز ما نووه من تعزيز الآداب

(الصحف والجرائد) وكذلك ظهرت في هذه الحقبة بواكير الصحف والجرائد الوطنية. واول ما ظهر منها في بيروت كان مجموعاً تولى نشره الدكتور غالي سميث الاميركي سنة ١٨٥١ دعاه مجموع الفوائد لم تطل مدة ظهوره كأعمال الجمعيتين السورية والعلمية السورية

واول صحيفة تستحق الذكر في هذا الباب جريدة حديقة الاخبار لصاحب امتيازها خليل الخوري اللبناني وساعده في انشائها ميخائيل المدور احد اعيان بيروت وكانت اسبوعية سياسية برزت في غرة السنة ١٨٥٨ وخدمت مدة نصف قرن حكومتي بيروت ولبنان حتى وفاة منشئها سنة ١٩٠٧

ثم نشر المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٠ صحيفة «نفير سوريا» فلم تظهر منها سوى بضعة اعداد. وكذلك نشر سنة ١٨٦٣ الدكتور كورنيليوس فان ديك صحيفة دينية مصورة ضمنها « اخبار الرسالات البروتستانية » ثم ابدلها سنة ١٨٦٦ « بالنشرة الشهرية » التي خلفتها في اوائل سنة ١٨٧٠ النشرة الاسبوعية فظهرت الى

السنة ١٩١٤ . وفي سنة ظهور النشرة الشهرية نشر يوسف الشلفون « الشركة الشهرية » ضمنها بعض الآثار القديمة والروايات ثم اوقفها بعد ثمانية اشهر

ومن المنشورات الموقتة مجموعة شهرية كانت تتضمن اعمال شركة مار منصور دي بول ينشئها احد مؤسسيها الطبيب الاثر ميخائيل فرج الله كان ظهورها سنة ١٨٦٧ لكن اعضاءها اكتفوا بعد حين باصدارها مرة في العام

وفي تلك السنة نُشرت في بيت الدين جريدة لبنان بامر داود باشا خدمةً لمصالح الجبل وكانت بلسانين عربي وفرنسوي وكان ينشئ قسمها العربي حنا بك الصعب والافرنسي فرنسيس دياب ولم تحيَ غير عامين الى ان تجدَّدت في السنين الاخيرة

(التآليف) اما التآليف التي ابرزها الادباء في تلك الاثناء فكان قسمها الاكبر في الدين ومتعلقاته وكان قسمٌ آخر يشتمل على تآليف قديمة نُشرت وقتئذٍ بالطبع فنضرب عن ذلك صفحًا ونورد اخص ما الَّفهُ ادباؤنا ومعظمهم لبنانيُّون

فممَّا نُشر من كتب اللغة شرح للمعلم بطرس البستاني على بحث المطالب لجرمانوس فرحات (١٨٥٢) ومفتاح المصباح لهُ في الصرف والنحو (١٨٦٢) ونار القرى في شرح جوف الفرا للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٢) وله الجمانة في شرح الخزانة مطوَّل في الصرف (١٨٦٧) وفصل الخطاب (١٨٦٦) وقاموس محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني (١٨٦٧—١٨٧٠) مع مختصره قطر المحيط (١٨٦٧— ١٨٦٩) ومغني المعلم عن المتعلم للخوري يوسف الدبس (١٨٦٩) وقاموس عربي وفرنساوي للاب فيليبوس كوش اليسوعي (١٨٦٧) وفرنسوي وعربي للاب يوسف هوري اليسوعي (١٨٦٧)

ونُشر في العلوم البيانية : مجموع الادب في فنون العرب للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٦٥) والطراز في المعاني والبيان له (١٨٦٧) وعقد الجمان في علم البيان له ايضًا. وروض الجنان في المعاني والبيان للخوري ارسانيوس الفاخوري (١٨٦٧)

وفي الشعر : نبذة من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٣) وله كتاب نفحة الريحان (١٨٦٤) وفاكهة الندماء في مراسلات الادباء (١٨٦٦) وديوان ابنتهِ وردة المعنون بحديقة الورد (١٨٦٧) وديوان مرآة الغريبة للشيخ قاسم الكستي (١٨٦٩) والنفح المسكي في الشعر البيروتي للشيخ ابراهيم الاحدب (١٨٦٨) وللخليل الخوري زهر الربى في شعر الصبا (١٨٥٧) والعصر الجديد (١٨٦٢) والنشائد الفؤادية (١٨٦٣) والسمير الامين (١٨٦٨)

وفي الادب : مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٦) وارزة لبنان لمارون النقاش (١٨٦٩) وراشد سوريا للخوري انطون بولاد (١٨٦٨) وترجمان المكاتيب ليوسف الشلفون (١٨٦٣)

وفي التاريخ : تاريخ سلاطين بني عثمان لابراهيم بك النجار (١٨٥٨) وتاريخ الاعيان في جبل لبنان لطنوس الشدياق (١٨٥٩) وكتاب الدرّ المنظوم للبطريرك بولس مسعد (١٨٦٣) وتعريب تاريخ الهرطقات

للخوري يوسف الدبس (١٨٦٤) وتعريب مختصر التاريخ المقدّس لميخائيل المسابكي (١٨٦٧) وعرّب البطريرك مكسيموس مظلوم كتاب تاريخ الصليبيين (١٨٦٥)

وفي الجغرافية والاسفار: الخلاصة الصافية في اصول الجغرافية(١٨٥٨)والمرآة الوضية في الكرة الارضية للدكتور ڤان ديك (١٨٥٢) ومختصر في علم الجغرافية للاب ابوجي اليسوعي (١٨٦٤) والرحلة السليمية (١٨٦٢) ورحلة باريس لفرنسيس فتح الله مراش(١٨٦٧) ومصباح الساري وهداية القاري للدكتور ابراهيم بك النجار في رحلته الى مصر والقسطنطينية وسفر الاخبار في سفر الاحبار للخوري يوسف الدبس (١٨٦٨)

وفي الرياضيات: الروضة الزهرية في الاصول الجبرية ترجمة الدكتور ڤان ديك(١٨٥٣) وكذلك عرب الاصول الهندسية المشتمل على ستة كتب اقليدس (١٨٥٧) ثمّ كشف الحجاب في علم الحساب للمعلم بطرس البستاني (١٨٤٨) ومصباح الحاسب بدليل الكاسب لرزوق البرباري (١٨٦٤) وحساب القمر وتوليده مجموع للاب نعمة الله العراموني (١٨٦٧)

شتى: اصول المنطق للشيخ ناصيف اليازجي (١٨٥٧) هدية الاحباب وهداية الطلاب للدكتور ابراهيم النجار في العلوم الطبيعية(١٨٥٠) رفيقة التاجر وشقيقة الدفاتر لحبيب سعد (١٨٦٤) المرآة السنيّة في القواعد العثمانية لحمد فؤاد باشا تعريب القس لويس الصابونجي(١٨٦٧) مرشد المتعلم وترجمان المتكلم للمعلم جرجس نوفل (١٨٦٨)

وفي هذه الحقبة ايضاً باشر المرحوم ابراهيم صادر بفتح مكتبته العمومية فكانت باكورة المكاتب في بيروت سنة ١٨٦٥

هذه اخص تآليف ذلك الطور المتوسط الذي ازدان ببعض مشاهير الرجال ممن مهدوا الطريق للنهضة الاخيرة . وهاك جدول اسمائهم مع سنة وفاتهم مباشرةً باوائل القرن التاسع عشر نذكر منهم اللبنانيين او من سكن لبنان او تعاطى مع امرائها

سنة الوفاة

١٨٠٠ ميخائيل جروه اول بطاركة السريان في القرن الماضي منشئ مدرسة الشرفة وجامع مكتبتها
١٨١١ السيد احمد البربير الشاعر البيروتي
١٨١٦ ميخائيل الصباغ مؤلف عدة مصنفات ومساعد المستشرقين الفرنسويين
.... اخوه عبود مؤلف تاريخ ظاهر العمر
١٨١٩ ابراهيم العوراء صاحب تاريخ سليمان باشا
١٨٢٠ (؟) القس حنانيا منير الزوقي من الرهبنة الحناوية الكاثوليكية صاحب التآليف المتعددة من تاريخ ومقامات وامثال ومنظومات شتى
١٨٢٧ الخوري سابا الكاتب له تآليف فلسفية في المنطق وفي النفس طُبع بعضها
• المعلم الياس اده الذي كتب للامراء والحكام في لبنان ونظم الشعر وله ديوان مخطوط

١٨٢٨ المعلم نقولا الترك الديراني لهُ ديوان شعر واسع ومقامات وتاريخ حوادث زمانه اتّسع فيهِ عن اخبار الجزار وبعثة نابوليون الى عكا وكان شاعر الامير بشير الشهابي

١٨٢٩ اسعد الشدياق العشقوتي شقيق احمد فارس لهُ ديوان شعر ومتفرقات

١٨٣٤ الامير حيدر الشهابي الشملاني كان مولعًا بجمع الكتب والتاريخ ولهُ تاريخهُ المعنون بالغرر الحسان في تاريخ جبل لبنان طبع بمصر ببعض التصرُّف

.... المعلم نعمة الخولي من بطرّام في الكورة انشأ نحو السنة ١٨٣٠ مدرسة تخرَّج فيها أُدباء عصره وكان طبيباً

١٨٣٦ الشيخ عبدالله اليازجي والد الشيخ ناصيف الشهير كان طبيباً شاعراً ومدرّساً من كفرشيما

١٨٣٩ الخوري ميخايل مقصود من زحلة واعظ ونسّاخ توفي برسيلية

١٨٤٠ نصرالله الطرابلسي الشاعر لهُ ديوان مخطوط

١٨٤٧ الخوري دانيال جميل من شويّا الفقيه الفرضي

١٨٤٨ المطران جبرائيل الناصري قاضي النصارى في لبنان

١٨٤٩ جرجس ايلا الشاعر

١٨٥١ بطرس كرامه شاعر الامير بشير والقائم باموره لهُ مكاتبات ورسائل وديوان شعر طبع حديثًا

١٨٥٥ البطريرك مكسيموس مظلوم صاحب التآليف والمنقولات العديدة

١٨٥٦ الشيخ راجي اليازجي شقيق الشيخ ناصيف لهُ ديوان شعر

١٨٥٩ المطران باسيلوس الكفوري منشىء مدرسة في القاهرة

١٨٦٤ الدكتور ابرهيم بك النجار المشار اليهِ والى تآليفهِ

- الامير محمد ارسلان لهُ مؤلفات في الفلك وغيره

- الشيخ طنوس الشدياق السابق ذكر تاريخه

١٨٦٥ ناصيف المعلوف توفي في ازمير واشتهر باتقان اللغات الشرقية والغربية ولهُ عدة تآليف

١٨٦٦ الدكتور سليمان جرجس الصليبي من بحواره درس في ادنبرج (انكلترة) وأسس المدارس مع شقيقهِ الياس

١٨٦٨ الشيخ مرعي الدحداح كتب في دواوين الامراء

١٨٦٩ الدكتور امين الدحداح من كتبة الدواوين اللبنانية والشعراء

ولكثيرين من العلماء المذكورين تراجم مطوّلة في مجلة المشرق وفي كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

❋ الطور الآخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ١٨٧٠ الى ١٩١٤ ❋ هو الطور

الذي بلغت فيه الآداب والمعارف معظم رقيها في لبنان بحيث يمكن القول بلا مشاحة انهُ حقيقةً عصرها الذهبيّ · ذلك مع ما احرزهُ الجبل في ذلك الطور من الرقيّ المادي كانشاء طرق العربات والسكك الحديدية والترامواي وتشييد الابنية الفاخرة وتحسين سائر اسباب المعاش ونموّ الزراعة والصناعة

وكان اول دليل على ذلك الترقي الادبي العدد العديد من المدارس الكبرى التي أُنشئت آنائذٍ في سواحل الشام ولبنان وكان قسمها الاوفر للمرسلين

ففي السنة ١٨٧٠ اخذت الكلية الاميركية توزع على تلامذتها الإجازات العلمية · وفي كانون الاول من السنة ١٨٧١ وضعت الحجر الاول لبناء معاهدها الفخيمة

وجارى الكاثوليك الاميركان في انشاء مدارس راقية تشابه كليتهم خدمةً لطوائفهم · وكان اول من اقدم على العمل الرهبان اليسوعيين الذين نقلوا مدرستهم في غزير الى بيروت سنة ١٨٧٤ ونالوا من كرم الكرسي الرسوليّ ان تنظم في سلك الكليات الجامعة مع الرخصة بمنح شهادة الملفنة لمستحقيها فعلّموا فضلاً عن اللغات القديمة والحديثة فنون الآداب والفلسفة والطبيعيات والرياضيات والهندسة وعلم الذمة والكلام · وفي السنة ١٨٨٣ اضافوا اليها بمساعدة الدولة الفرنسوية تعليم الطب بفروعه وختموها اخيراً بفتح مكتب لدرس الحقوق ومكتب للفنون الهندسية وبها تمّت دائرة العلوم التي عليها يدور عادةً محور الكليات

وفي السنة ١٨٧٤ فتح الطيب الأثر المطران يوسف الدبس مدرسة الحكمة المارونية فأدّت للوطن خدماً مشكورة

وفي السنة ١٨٨٠ انشأت السيدة املي سرسق مدرسةً وطنية في الثغر لبنات طائفتها الارثذكسية دعتها زهرة الاحسان

وفي السنة ١٨٧٥ فتح الاسرائيليون مدرستهم التي تولّى ادارتها زاكي كوهن فخدمت ملّة اليهود نحو ٢٤ سنة ثم أُبطلت وقامت بدلاً منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

واهتمت اذ ذاك الحكومة السنية بانشاء مكتبها الاعدادي سنة ١٣٠٩ ه (١٨٨٥ م) ثمّ انشئت سنة ١٣١٣ ه (١٨٩٧ م) المدرسة العثمانية بهمّة رئيسها الشيخ احمد عبّاس الازهري · وكذلك انشأ بعد ذلك المسلمون المدرسة الوطنية والمدرسة العلية

وفي تلك الاثناء حلّت في بيروت جمعية اخوة المدارس المسيحية المعروفين بالفرار ففتحوا فيها مدرسة قلب يسوع · فاصبحت بيروت بعد ذلك من اغنى مدن المعمور بالمدارس كان يتوارد الى مناهلها الوف من الشبّان فأحيت ذكرها الطيب سابقاً في عهد الرومان اذ كان منبع العلوم الفقهية بل انست تلك الايام واصابت من المفاخر ما لم تصبهُ بيروت

وقد احبَّ لبنان ان يجاري اذ ذاك بيروت في مدارسها العامرة فلم يكد يوجد فيه بلدة او قرية ذات شأن الأ وعمد اهلها الى فتح مدرسة فيها ندبوا الى ادارتها معلمين ذوي مقدرة سواء كانوا وطنيين او اجانب فتعدّدت بذلك المدارس الثانوية الى حدٍ غريب ودونك جدول اخصها : فتح اخوة المدارس المسيحية

مدارس ثانوية في حيفا وطرابلس وبيت شباب · والاخوة الماريست في صيداء بعد اليسوعيين وجونية وعمشيت وجبيل والبترون وعشقوت · والكبوشيون في صليما سنة ١٨٨٢ ثمّ جدد هذه المدرسة يوسف الخوري الشعلاني سنة ١٨٩٥ والخوري انطون الاسمر سنة ١٩٠٦

ومما انشأه الموارنة مدرسة العريمة قرب عرامون بمساعدة الكرسي الرسولي (١٨٧٥) ومدرسة المزار في غزير للخوري لويس زوين (١٨٨٢) والمدرسة اللبنانية في قرنة شهوان للمطران يوسف الزغبي (١٨٨٣) ومدرسة مار بطرس جبيل لآل شحاده (١٨٨٣)·ومدرسة بسكنتا للخوري يوسف المراوي (١٨٩٦) ثمّ مدرسة مار بطرس للمسنيور بطرس حبيقة (١٩١٠) وأنشأ الرهبان الروم الكاثوليك المخلصيون مدرسة دير الصابغ قرب الشوير (١٨٨١) والمدرسة الشرقية في زحلة (١٨٩٨) والرهبان الحلبيون مدرسة مار اشعيا قرب برمانا (١٨٨٤)·وانشأ نعيم بك صوايا المدرسة الوطنية في بعبدات (١٨٩٣) وقبلان ناضر المعلوف في دوما (١٨٩٥)

وانشأ الروم الارثذكس مدرسة سوق الغرب لالياس الصليبي سنة ١٨٧٠ ·ومدرسة كفتين في الكورة (١٨٨١) وجددها سنة ١٨٩٣ مطران طرابلس السيد غريغوريوس الحداد ثم جددها ثانيةً خلفه المطران الكسندر طحان (١٩١٢) · ثمّ انشأ المطران جراسيموس يارد مدرسة زحلة (١٨٩١) · والخوري يوحنا مجاعص مدرسة الشوير (١٨٩٦) · والبطريرك ملاتيوس الدوماني مدرسة البلمند (١٩٠٠)

وفتح الانكليز مدرسة الشوير (١٨٧٥) والاميركان مدرسة سوق الغرب (١٨٨٢) ومدرسة زحلة (١٨٨٧)

هذا الى مدارس اخرى فتحت بعد الدستور كالجامعة لالياس شبل الخوري في عاليه ومدرسة انفة لجبران المكاري ومدرسة البستان لابراهيم منذر في الحيدثة ·ذلك فضلاً عن المدارس الابتدائية المتعددة السابق ذكرها مع اضافة المدارس التي قامت بانشائها شركة فلسطين المسكوبية التي بلغت المئة في فلسطين والشام ولبنان

اما مدارس الاناث الراقية فقد أنشئ معظمها في هذه الردحة من الزمان في لبنان ومدنه الساحلية · فعزّزت راهبات المحبة مدارسهنّ او انشأنَ مكاتب جديدة في انحاء بيروت وفي طرابلس وزوق ميكائيل وبرمانا وتنّورين وعجلتون · وفتحت راهبات مار يوسف مدرستهنّ الداخلية في بيروت ومدارسهنّ في صور وصيداء وعمشيت واعبيه · وشيدت راهبات الناصرة مدرستهنّ الكبرى في بيروت سنة ١٨٧٠ وأسست راهبات الراعي الصالح مدرستهنّ في حمانا · وكذلك راهبات العائلة المقدسة تولينَ إنشاء اربع مدارس نسائية في بيروت وجونية وبكفيا وبعبدا · وجاءت بعد ذلك راهبات محبّة بيزانسون فأنشأن مدارس للاناث في بسكنتا وبعبدات وبيروت والقريّة · وآخر من قدم منهنّ راهبات القديس شرل الالمانيات فتحنَ في بيروت مدرستهنّ في رأس بيروت · وكذلك الروم الاورثذكس فان بعض راهبات طائفتهم فتحنَ لاوانس ملّتهم مدرسة تهذيب الفتاة الشرقية

فان أحصي عدد الطلبة من فتية وفتيات الذين يتخرجون في مدارس لبنان والمدن الساحلية المتصلة به لأناف على سبعين الفاً . وهذا لعمري عدد وافر ينطق بلسان حاله على تقدم العلوم في اطرافنا

وقد ظهرت ثمرة هذا الرقي بزيادة عدد المطابع والصحف والمصنفات الادبية والمشروعات العلمية التي تفاخر بها بيروت ومتصرفية لبنان بقية الانحاء . وقد ادخلنا بيروت والمدن الساحلية في وصفنا لآداب لبنان لان اكثر الذين يتولون في مدن سواحل الشام التدريس والكتابة والطباعة بعد الاجانب لبنانيون استوطنوا المدن البحرية

اما المطابع التي أُنشئت في هذه المدة الاخيرة فالمطبعة اللبنانية لحنا الغرزوزي (١٨٦٩ — ١٨٧٠) والمطبعة السليمية لسليم نقولا المدور (١٨٧٠) والمطبعة العلمية (١٨٨٠) لجرجي الغرزوزي ثم ليوسف صادر ثم مطبعة جمعية الفنون الاسلامية (١٨٧٤) ثم مطبعة بيروت لمحمد رشيد الدنا (١٨٨٥) ثم مطبعة الولاية الرسمية (١٨٨٥) ثم مطبعة الآداب للاخوين الشقيقين خليل وامين الخوري (١٨٨٨) ثم مطبعة الفوائد لخليل البدوي (١٨٩٠) ثم المطبعة الانسية لمحمد سليم الانسي (١٨٩٥) وبعض مطابع اخرى ظهرت في القرن العشرين كمطبعة النفائس والمطبعة الاهلية والمطبعة العصرية ومطبعة الراوي ومطبعة الثبات ومطبعة التوفيق وهي مطبعة صبرا ومطبعة جان درك ومطبعة النهضة ومطبعة جسر نهر بيروت والمطبعة الكلية التي ظهرت في المدة الاخيرة

اما في لبنان فأُنشئت فيه سنة ١٨٩٠ المطبعة العثمانية لصاحبها ابراهيم بك الاسود اللبناني صاحب جريدة لبنان . وسنة ١٨٩٤ المطبعة اللبنانية لخليل افندي باخوس منشئ جريدة الروضة وكلتاهما في بعبدا . وسنة ١٨٩٥ مطبعة الارز في جونية للشيخين فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة الارز . وسنة ١٨٩٨ مطبعة الصفاء في عاليه واعبيه لصاحبها علي بك ناصر الدين صاحب مجلة الصفاء . وسنة ١٩٠٠ المطبعة الشرقية في حدث بيروت لعبود ابي راشد وانطون كنعان وفيها طُبعت جريدة النصير . وسنة ١٩٠٨ مطبعة الحضارة في طرابلس ومطبعة الشاغور في حمانا . وسنة ١٩٠٧ المطبعة الشرقية في زحلة للخوري بولس الكفوري رئيس المدرسة الشرقية وصاحب امتياز جريدة المهذب . وتجددت سنة ١٩٠٩ مطبعة الحكومة اللبنانية وأُنشئت فيها مطبعة الجامعة في البترون للخوري اسطفان ضوء والمطبعة السليمية في جبيل لسليم بك وهبه . وسنة ١٩١٠ مطبعة مار بولس في حريصا للمرسلين البولسيين . وسنة ١٩١١ المطبعة الانطونية في دير مار انطونيوس بعبدا

فكل هذه المطابع مع عظم تباينها واختلاف عدد ادواتها وكمال اهبتها كانت متهيأة لنشر التآليف وخدمة الآداب . ولكل منها تاريخ ومنشورات تتبعتها مجلة المشرق وسردت اسماءها مدة ثلث سنوات (١٩٠٠ — ١٩٠٢) . وكان معوَّل اكثر هذه المطابع على الجرائد والمجلات التي تعددت في تلك المدة ودونك جدولها : ظهرت في غرة ١٨٧٠ مجلة المجمع الفاتيكاني للآباء اليسوعيين التي خلفتها جريدة البشير في ايلول من السنة . وفيها ظهرت ايضاً المجلات التالية الزهرة ليوسف الشلفون والجنان لبطرس البستاني

والمهماز لخليل عطية . والنحلة للقس لويس الصابونجي والجنة لسليم البستاني

وفي سنة ١٨٧١ كان صدور النشرة الاسبوعية لمنشئها هنري جسب الاميركي مع كوكب الصبح المنير تحت ادارته . ثم جريدة الجنينة لسليم البستاني والنجاح للقس لويس الصابونجي و يوسف الشلفون ثم صارت في عهدة رزق الله خضراء بمشاركة المطران يوسف الدبس . وفي السنة ١٨٧٢ نشر الشيخ نوفل الخازن في درعون جريدة الجعبة طبعها على الجلاتين (الهلام)

ثم انشأ يوسف الشلفون جريدة التقدم سنة ١٨٧٤ والسيد عبد القادر القباني ثمرات الفنون (١٨٧٥) و يعقوب صروف وفارس نمر مجلة المقتطف (١٨٧٦) . وخليل سركيس لسان الحال (١٨٧٧) . والدكتور جورج پوست مجلة الطبيب (١٨٧٨) . وخليل سركيس المشكاة (١٨٧٨) . ونقولا النقاش المصباح (١٨٨٠) . وجمعية التعليم المسيحي الارثذكسية جريدة الهدية (١٨٨٣) . وسليم شحاده وسليم طراد ديوان الفكاهة (١٨٨٤) . ومحمد رشيد الدنا جريدة بيروت (١٨٨٦) . وعلي ناصر الدين مجلة الصفا (١٨٨٦) وبعد انقطاعها مدة انتقلت الى بعبدا ثم الى اعبيه . وخليل البدوي مع الآباء اليسوعيين الكنيسة الكاثوليكية (١٧٨٨) وفيها نشرت الحكومة بيروت الرسمية . ونشر خليل زينية الراوي (١٨٨٨) . وامين الخوري دليل بيروت (١٨٨٨) . و يوسف الشلفون الشركة الشهرية (١٨٨٨) . وخليل البدوي مجلة الفوائد (١٨٨٩)

ثم نُشرت في العشر الاخير من القرن التاسع عشر في لبنان وسواحله الصحف التالية : لبنان في بعبدا لابرهيم بك الاسود (١٨٩١) . ثم الاحوال لخليل البدوي (١٨٩١) . ثم طرابلس لمحمد كامل البحيري في طرابلس (١٨٩٣) . ثم الروضة لخليل طنوس باخوس في بعبدا (١٨٩٤) . ثم الارز للشيخ فيليب الخازن في جونية (١٨٩٥) ثم المنار في بيروت للمطران ارسانيوس اسقف اللاذقية (١٨٩٨) . وفيها ظهرت مجلة المشرق للآباء اليسوعيين . ثم المحبة لفضل الله ابي حلقه (١٨٩٩) . ثم روضة المعارف لمحمد سليم الانسي (١٨٩٩)

وهذه اخص المجلات والجرائد التي ظهرت في بيروت ولبنان وسواحله منذ بدء القرن العشرين :

(١٩٠٠) مجلة الرئيس للشيخ لويس الخازن في جونية

(١٩٠١) جريدة المهذب طبعها على الهلام (الجلاتين) عيسى اسكندر المعلوف في زحلة

(١٩٠٢) الجرائد : الاقبال لعبد الباسط الانسي والنصير لعبود ابي راشد في الحدث وصدى لبنان لسمعان بك عارج في جونية

(١٩٠٤) صحيفة ثمرة النجاح لمدرسة قلب يسوع ومجلة النور لداود مجاعص في الشوير

(١٩٠٦) مجلتا الجسمانية للاب يوسف علوان الاعازري في بيروت ثم المدارس في برمانا

(١٩٠٧) جريدة المهذب على الحروف للخوري بولس الكفوري في زحلة

(١٩٠٨) المجلات : زهرة الشبيبة لطانيوس سعد في الشويفات والمنتقد لمحمد باقر وروضة المعارف لمحمد علي القباني

الجرائد : البرق لبشاره عبد الله الخوري والاتحاد العثماني لاحمد حسن طباره والوطن لشبلي ملاط ومذاكرات الاحرار لداود مجاعص والثبات لاسكندر الخوري والمارونية الفتاة والرسائل الغانمية ليوسف خطار غانم كلها في بيروت والرغائب لحكمت شريف في طرابلس

(١٩٠٩) المجلات : النبراس للشيخ مصطفى الغلاييني والحسناء لجرجي نقولا باز والكوثر لبشير رمضان. كلها في بيروت. والعثماني للخوري اسطفان ضوء في البترون والمباحث لجرجي وصموئيل يني في طرابلس وجامعة الفنون فيها لاحمد كمال حداد والعرفان في صيداء لاحمد عارف الزين

الجرائد : ظهرت في بيروت الحقيقة لحسن الناطور ولسان الاتحاد لفيلكس فارس والمفيد لعبد الغني العريسي والبابا بن لحسن محيي الدين حبال والاياه لفائق غرغور والحرية لداود مجاعص وعيواظ والعصا دون اسم صاحبيهما والخرج لمتري الخرج . وفي لبنان : لبنان الرسمية في بعبدا والحكمة لسليم وهبه في جبيل وكانت تطبع في مطبعة الروضة والحق للخوري طوبيا عطا الله في بيت شباب واللاذقية لمحمد سعيد في اللاذقية

(١٩١٠) مجلات بيروت : اللطائف الاهلية لمحمد جمال والكلية لهورد بلس والنفائس لانيس الخوري والتلميذ للمدرسة العثمانية والمجلة السورية لفيليب يوسف تيان والاقتصاد لانيبال ايلا والنديم لشاكر عون والانيس لسليم صادر — وفي خارج بيروت : المنتخب لادوار مرقس في اللاذقية والحقوق في بعبدا لسليم بك معوشي ومنجم بك خلف والمسرة للمرسلين البولسيين في حريصا

الجرائد في بيروت : التعبير البيروتي لعبود ابي راشد والمناظر لنعوم اللبكي والرشيد لصالح اليافي والراوي لطانيوس عبده والرأي العام لطه المدور والبلاغ لمحمد باقر وصدى الجامعة العثمانية لعبد الكريم ابي نصر والحارس لامين الغريب والطبيب العامل للدكتور ثيوفيل دبانه — وجرائد لبنان : الشاغور للدكتور الياس عاد في حمانا والنهضة للشيخ صالح رضا في كفرحاتا ومشهد الاحوال لاسعد ضوء في البترون والبردوني لاسكندر رياشي في زحلة والاتفاق لسعيد مبارك رزق في جزين و بشراي للاب وانيس الكرملي على الخلاقين في بشراي والادب لفائز سلامه غسطين في قيتوله والجعبة للشيخ نوفل الخازن في درعون على الهلام والوجدان لمحمد سامي صادق في طرابلس والاجيال فيها لتوفيق اليازجي

(١٩١١) المجلات في لبنان : الاصلاح لعلي بك ناصر الدين وكوكب البرية للقس يوسف الشدياق الانطونياني في بعبدا والآثار لعيسى اسكندر المعلوف في زحلة والثمر في دير القمر لوليم دباب نعمة

الجرائد : في بيروت الوطنية لمحمد القلقيلي . ثم في طرابلس المحامي لاحمد السلطاني والمدلل لمحمد منير الملك والسعدان لمحمد صلاح الدين مراد والحوادث للطف الله خلاط والبرهان لعبد القادر المغربي وفي الحدث البيرق لسعيد فاضل عقل

(١٩١٢) المجلات : البصائر لجميل العظم في بيروت ثم البيان لمصطفى وهيب البارودي وجميل عبد القادر عدره في طرابلس

والجرائد : الاخاء العثماني لمحمد شاكر الطيبي والمحاسن للخوري لويس دربان والفرائد لمحمد بك

السامي نكد في اعبيه والشعب لرشيد بك نخلة في عين زحلتا والنتيجة لاميل حبشي في بيت شباب ودير القمر لمسعود سماحة ونجوم البستاني في دير القمر والخواطر الزحلية لابراهيم بك ابي خاطر في زحلة

(١٩١٣) المجلات: مجلة الرسالة للقس لويس دريان والخليل لرزق الله سركيس وخليل الخوري كسيب ومجلة السلوى لصاحب لسان الحال والمورد الصافي لجرجس الخوري المقدسي· كلها في بيروت

والجرائد: اهدن لبطرس يمين في زغرتا والجامعة لطلبة المدرسة الجامعة والوطنية لالياس شبلي الخوري في عاليه والنهضة لجبران المكاري في انفة

(١٩١٤) جريدة النادي لحنا ابي راشد في جسر نهر بيروت· ومجلتا صدى الوطنية لنعيم بك صوايا في بعبدات وفتاة لبنان لسليمة ابي راشد على جسر نهر بيروت

فترى من هذا التعداد كم اتسعت دائرة الصحافة في سواحل الشام ولبنان ولو اعتبرنا الصحافة العربية في بقية البلدان لأدهشتنا همة اللبنانيين ونشاطهم في المهاجر كمصر واميركا الشمالية والجنوبية وأوستراليا والمغرب وتونس· فان اربعة اخماس ما ينشر فيها من المجلات والجرائد يتولى تحريرهُ اللبنانيّون· فمنها ما جارى الصحف الاجنبية في انتقاء موادّه وحسن انشائه· لكنّ كثيراً منها لا يقف عند حدّ فيتهوَّر بعضها في الإلحاف بمطالبه ويطلق غيره العنان لاهوائه وشتمه الدين· وربما استفحل الخلاف بين بعضها حتى تتصل الى جرح العواطف واهانة الاشخاص· فضلاً عما تحتاجهُ من تحسين المباحث واختيار المواضيع فتصبح الصحافة آفة بدلاً من ان تكون عضداً للآداب ومورداً للدين والعلم

هذا ولا بُدَّ من ان ننوّه بذكر التآليف المهمّة التي نشرت في لبنان وسواحله بهمّة اللبنانيين في هذا الطور الاخير غير الصحف والجرائد فان بها ينوط خصوصاً رقي الآداب والمعارف· وان ضربنا الصفح عن كتب صغيرة مدرسية ومنشورات هزلية وروايات عامية ليس تحتها كبير امر لا نكاد نجد غير مطابع قليلة عنيت بنشر مثل هذه التآليف واخصها مطبعة الآباء اليسوعيين الكاثوليكية التي وقف اصحابها نفسهم لنشر قسم كبير من الآثار القديمة فاثنى عليهم المستشرقون اطيب الثناء ثم المطبعة الاميركية والمطبعة الادبيّة للمرحوم خليل سركيس والمطبعة العمومية المارونية والمطبعة الاهلية والمطبعة العلمية والمطبعة العثمانية في بعبدا

وهذه بعض المطبوعات التي تستحق الذكر:

طُبع من كتب الاديان الكتاب المقدّس في ثلثة اجزاء طبعًا متقنًا بتعريب فصيح فنال الجائزة لحسنه في معرض باريس· وطبع ايضًا بالرسم الشمسي والطبع الحجري في مجلد واحد· ثم تحفة الجيل في تفسير الاناجيل للخورسقف يوسف الدبس وتيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم والعنوان العجيب في رؤيا الحبيب للقس يوسف الباني· وطبع ايضًا معجم الكتاب المقدّس للدكتور جورج بوست وفهرس الكتاب المقدس وكتاب اتفاق البشيرين ودليل المسترشدين للدكتور سمعان [illegible] والقواعد السنية في تفسير الاسفار الالهية لجيمس انس ومنارة الاقداس للبطريرك اسطفان الدويهي· ومقالات دينية قديمة

لبعض مشاهير النصارى من القرن التاسع الى الثالث عشر . وقانون الاسفار المقدسة والانجيل الشريف للاب انطون رباط اليسوعي والبرهان الصريح في إثبات لاهوت المسيح للأب لويس شيخو اليسوعي وكتاب علم الوعظ للدكتور هنري جسب وفصل الخطاب للمطران جرمانس فرحات . ومواعظ المطران يوسف الدبس وعقود الجمان في شرح قانون الايمان للمطران ثاوفيلس قندلفت والقلادة الدرية في شرح الوصايا الالهية لهُ وسبيل الصلاح والكلام الحيّ وحسن الختام للمطران جرمانوس معقّد وكتاب دليل الفردوس للخوري افرام ابيض ومواعظ الخوريين فرنسيس واسطفان الشماليين وتعريب الخلاصة اللاهوتية لمار توما في خمسة اقسام عرّبها المطران بولس عوّاد . وعرّب الخوري حنا حبيب اللاهوت الادبي للاب يوحنا غوري اليسوعي ونشر غيره مختصر المقالات اللاهوتية للاب بيروني اليسوعي

وطبع في الفلسفة : مقالات فلسفية قديمة لبعض مشاهير العرب (لابن سينا والغزّالي والفارابيّ وابن العبري) وكتاب الفوز الاصغر لابن مسكويه وكتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الاصفهاني وميزان الحق للاب مارين دي بواليف اليسوعي تعريب الخوري فيلبس ملوك . وكتاب الفلسفة جزءان للاب جرجس فرج صفير واصل الانسان والكائنات لهُ وكشف الستار عن حرية الاختيار له ومناجاة النفس لهُ والقواعد المنطقية للاب تونجورجي اليسوعي تعريبهُ والرسوم الفلسفية للاب دموفسكي اليسوعي تعريب الخوري يوسف الدبس . والفلسفة النظرية للكردينال مرسيه تعريب المطران نعمة الله ابي كرم (اربعة اجزاء) ومنهج المعرفة في علم الفلسفة لجاك بلمس تعريب الخوري يوحنا ابي مارون والمجاني الشهيّة في الحدائق الفلسفية للقس اغناطيوس لبُوس البتديني وعجالة البيان في الاشارة الى ممالك الطبيعة والانسان (خمسة اجزاء) للخوري خيرالله اسطفان والدروس الاولية في الفلسفة النظرية للدكتور دانيال بلس وابطال مذهب الدرونيين لجمال الدين الافغاني تعريب محمد عبده والخلاصة الدرية في الحقائق الفلسفيّة لجورج عون ابي خرما وشهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة لفتح الله مرّاش

وطُبع من كتب الصرف والنحو : القواعد الجليّة في علم العربية (جزءان) للاب جبرائيل اده اليسوعيّ وألفية ابن مالك ولامية الافعال لهُ مع ترجمتها الى الافرنسية للمسيو كوكويه وقطر الندى و بلّ الصدى لابن هشام مترجم الى الافرنسية منهُ ايضاً وشرح ألفيّة ابن مالك لابن الناظم ومختصر نار القرى للشيخ ابرهيم اليازجي ومدخل الطلاب لسليم نقلا والدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني وكتاب الصرف الشامل ليوسف كامل وكتاب كفاية الطالب وبغية الراغب في علم النحو للقس يوسف الجعيتاوي ومراقي الطالب الى بحث المطالب لهُ . والاعراب في قواعد لغة الاعراب (اربعة اجزاء) لرشيد عطيه ومبادئ العربية للمعلم رشيد الشرتوني . وشرح بحث المطالب للمعلم سعيد الشرتوني

وطبع من كتب اللغة القديمة : نوادر ابي زيد والبلغة في شذور اللغة والاضداد للاصمعي والسجستاني وابن السكيت والصغاني وفقه اللغة للثعالبي والالفاظ الكتابية للهمذاني وكنز الحفاظ في تهذيب الالفاظ لابن السكيت مع شرح الشواهد للتبريزي وكفاية المتحفظ لابن الاجدابيّ

ومن الكتب الحديثة : معجم اقرب الموارد للمعلم سعيد الشرتوني ثلاثة اجزاء والمنجد للاب لويس معلوف اليسوعي والفلسفة اللغوية لجرجي زيدان والخواطر في اللغة لجبر ضومط والخواطر العراب في النحو والاعراب لهُ والفروق للاب هنري لامنس اليسوعي ونجعة الرائد وشرعة الوارد للشيخ ابرهيم اليازجي وسرّ الليال لاحمد فارس الشدياق ورسالة المفعلة مع رسالتي الجيّد والفعلان لظاهر خير الله الشويري

وطبع في العلوم الادبية : دليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لشاكر البتلوني وكتاب معالم الكتابة ومغانم الاصابة لعبد الرحيم القرشي . وكتاب علم الادب في علم الانشاء والعروض والخطابة (جزآن) للاب لويس شيخو اليسوعي مع جزئين آخرين في مقالات علم الادب وكتاب الغصن الرطيب في فنّ الخطيب للمعلم سعيد الشرتوني وكتاب الخواطر الحسان في المعاني والبيان لجبر ضومط والعقد البديع في فنّ البديع للخوري بولس عوّاد وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام لابن حجة الحموي

ونشر من كتب الآداب القديمة ما اخصّهُ : مقامات الحريري ومقامات بديع الزمان مع شروح الشيخ محمّد عبده وكتاب نسيم الصبا لابن حبيب والدرّة اليتيمة من حكم ابن المقفّع واقدم نسخة مخطوطة مؤرخة من كتاب كليلة ودمنة واطواق الذهب في المواعظ والخطب لجار الله الزمخشري والكلم النوابغ لمحمود الزمخشري وكتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع . ومن كتب الآداب الحديثة كتاب مجاني الادب مع شرحه للاب لويس شيخو اليسوعي (عشرة اجزاء) وكتاب نخب الملح خمسة اقسام ورنّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني للاب انطون صالحاني اليسوعي والدرر في منتخبات مآثر اديب اسحاق ومجالي الغرر لكتّاب القرن التاسع عشر ثلاثة اجزاء وقطرة الطوامير للكونت رشيد الدحداح واللفيف في كلّ معنى طريف لاحمد فارس الشدياق ومنتخبات الجوائب في سبعة اجزاء لهُ . وجواهر الآداب من خزانات العرب (خمسة اجزاء) لسليم صادر

ونشر في باب الرسائل : رسائل بديع الزمان مع شرحها للشيخ ابراهيم الاحدب ورسائل ابي اسحاق ابرهيم الصابي مع تعليق حواشيها للامير شكيب ارسلان ورسائل ابي العلاء المعرّي مع شرحها لشاهين عطية ثمّ الانشاء العصري لمحمد عمر نجا وابدع الاساليب في انشاء الرسائل والمكاتيب لعبد الباسط الانسي والشهاب الثاقب في صناعة الكاتب للمعلم سعيد الشرتوني ونهج المراسلة لرشيد الشرتوني والرسائل العصرية للخوري بطرس البستاني

ومما نشر من كتب التاريخ القديم : تاريخ الوزراء لابي هلال الصابي وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وخلاصة الذهب المسبوك في مختصر سير الملوك لعبد الرحمن الاربلي وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى وطبقات الامم لصاعد الاندلسي وتاريخ محبوب المنبجي وتاريخ ابن البطريق وذيلهُ ليحيى بن سعيد الانطاكي وتاريخ مختصر الدول لابن العبري وتاريخ ابن الراهب مع ترجمته الى اللاتينية ومقدّمة ابن خلدون وكتاب الولاة وكتاب القضاة لابي عمر محمّد الكندي . ومن التواريخ المستحدثة تاريخ لبنان للاب بطرس مرتينوس اليسوعي وتاريخ حوادث الشام ولبنان لميخائيل الدمشقي وتاريخ الاصلاح للاب يوسف فان هام اليسوعي وتاريخ الموارنة للبطريرك اسطفان الدويهي وثلاثة تواريخ لطائفة السريان للمطران ديونيسيوس افرام نقّاشة

وللفيكنت فيليب دي طرازي وللأسير اسحق ارملة وتاريخ كلدو وأشور لمطران ادي شير الكلداني (جزآن) وتاريخ سوريا لمطران يوسف الدبس ثمانية اجزاء مع مختصره في جزأين • وتاريخ سوريا جرجي ينّي وتاريخ القدس الشريف خليل سركيس وتاريخ الرومانيين ثم تاريخ الدولة العثمانية لنجيب براهيم طراد وقطف الزهور في تاريخ الدهور ليوحنا ابكاريوس والنهج القويم في التاريخ القديم لجرجي يني وكتاب التاريخ القديم لجميل نخله مدور وتاريخ فرنسا الحديث لسليم البستاني وتاريخ روسيا لخليل قطاط وتعريب تاريخ جودت لعبد القادر الدنا وتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو وتاريخ حرب فرنسا والمانيا لجرجي يني • وتاريخ صيداء لاحمد عارف الزين وتاريخ العلم الانكليزي لبشارة كنعان (جزآن) وتاريخ الحرب البلقانية لسليم العقاد وكتاب لواسيه في الممالك الشرقية ومنتخبات لامين شميل • ودواني القطوف في تاريخ معلوف لعيسى اسكندر المعلوف واخبار زينب (الزباء) ملكة تدمر للاب سبستيان رنزفال اليسوعي وحياة بطل البين والثمان المالدي لامور يسار أنشأ سليم صحراح

ونُشر من الدواوين القديمة : ديوان السموأل وديوان سلامة بن جندل وديوان الخنساء وديوان الخرنق اخت طرفة وقسم من ديوان المتلمس ورياض الادب في شعراء العرب وشعراء النصرانية وحماسة البحتري كلها مع تعليقات وشروح للاب لويس شيخو اليسوعي وديوان الاخطل عن نسخة خط طبع مع شرح وتعليقات وملحقات للاب انطون صالحاني اليسوعي ثم دواوين ابي العتاهية وابي تمام والبحتري وابن هاني والارجاني والابيوردي ومهيار بن المرزبان وابن النبيه والشفرجي ثم نظم الالياذة لسليمان البستاني ونظم امثال الميداني للشيخ ابرهيم الاحدب • ومن الدواوين الحديثة ديوان حنا بك ابي صعب واشعر الشعر لرزق الله حسّون وديوان مرآة الحسناء لفرنسيس مراش وديوان تذكار الصبا لنجيب حدّاد وديوان الاثر للشيخ رشيد المصوبع وديوان ايليا ظاهر ابي ماضي ومنظومات سليم الجندي والبيان الصراح لامين ظاهر خيرالله وديوان اسعد طراد وديوان سليم بك تقلا وديوان اسعد رستم والباكورة للامير شكيب ارسلان وديوان جميل بك المعلوف وديوان تذكار المهاجر لقيصر بك المعلوف

وممّا نشر في الطب : الحاوي في علم التداوي لنجم الدين الشيرازي ودعوة الاطباء لابن بطلان والحصبة للرازي والخلاصة الطبية للدكتور دي بروين ومبادئ التشريح للدكتور جورج بوست وصناعة الجرّاح له واصول التشخيص الطبيعي للدكتور ڤان ديك وكتاب التوضيح في اصول التشريح للدكتور يوحنا ورتبات واصول الفيسيولوجيا له وطب الحيوان لجرجس طنوس عون ومغني اللبيب عن الطبيب لداود ابي شعر وامين ابي خاطر والصحة للدكتور امين الجميل وصحة العازب وصحة العين للدكتور شاكر الخوري والمنارة الطبية في المداواة الاهلية لميلاد جرجس صفير وصحة الاطفال للدكتور اسكندر جريديني • وغير ذلك من الكتب المعربة

وطُبع في الجغرافية والاسفار : الرحلة السورية الى اميركة المتوسطة والجنوبية للاب هنري لامنس ورحلة اول شرقي الخوري الياس حنا الموصلي الى اميركا سنة ١٦٦٨ والهيئة البهية في الكرة الارضية • وجغرافية

الدكتور ڤان ديك ٠ والخلاصة الصافية في الجغرافية لرزوق البرباري والايضاحات الجلية في علم الجغرافية والرحلة الانورية الى الاصقاع الحجازية لمحمد كرد علي والبعثة العلمية الى دار الخلافة الاسلامية ٠ والكوكب السيّار للقس اغوسطين البستاني

وفي الرياضيات والحساب : كتاب اللوغارذمات اي الانساب للدكتور فان ديك والمطول في الحساب لنعمه شديد التبشراني وهدية الاحباب في علم الحساب لميخائيل اساف وحلية الطلاب في علم الحساب للاب اغوستينوس تردي اليسوعي ومنهج الصواب في علم الحساب لالياس طنوس الحويك ودار في سيف الحساب لالياس جرجس بهنا ولمحة الناظر في مسك الدفاتر لطاهر خير الله الشويري

ونُشر في العلوم الطبيعية : النقش في الحجر للدكتور فان ديك (ثمانية اجزاء) وكتاب العرس البديعة في علم الطبيعة لاسعد الشدودي والدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية لآلن جنن والكواشف الجلية عن الحقائق الكيموية للدكتور ادون لويس والتحليل الكيموي له وكيميا الماء والهواء له واصول الكيميا للدكتور فان ديك وكتاب الروضة البديعة في تاريخ الطبيعة تعريب جرجي باز وفن الفوطوغرافيا لحسن رمزي

وطبع في الفقه والقوانين الشرعية : الدستور لنوفل نعمة الله نوفل وقسطاس الاحكام للخوري نعمة الله ابي كرم واهم المعاملات في الصكوك والاستدعاءات لاسعد خالد البستاني وشرح المجلة لسليم باز وشرح قانون المحاكمات الجزائية له وقانون الابنية وقرار الاستملاك لامين عبد النور وشرح قانون الجزاء لنقولا النقاش ومغني المتداعين عن المحامين لجان النقاش وشرح القانون التجاري العثماني ترجمة الشيخ اسكندر دحداح

وطُبع في مواد شتى او علوم جامعة : كتاب دائرة المعارف لبطرس البستاني (احد عشر جزءًا ولم يكمل) وكتاب حقوق الملل للامير امين شكيب ارسلان وزبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل افندي نوفل وسوسنة سليمان في اصول الاديان له والدر المكنون في الصنائع والفنون لجرجس طنوس عون وكتاب فن الزراعة لبشاره نحول والآيات البيّنات في غرائب الارض والسماوات لابراهيم الحوراني وقلائد الفخر في غرائب البرّ والبحر لسليم كساب ورجال التلغراف ترجمة ابراهيم الحوراني ٠ وكتاب آفات المدنية الحاضرة لجرجي نقولا باز ٠ والرسالة الشهابية في الموسيقى للدكتور ميخائيل مشاقه مع ملحوظات عليها وترجمتها الافرنسية للاب لويس رنزڤال اليسوعي

هذا الى عدّة تآليف كغراماطيقات ومعاجم ومنتخبات لتعليم اللغات الاجنبية لاسيما الفرنسوية والانكليزية والطليانية يطول تعدادها ٠ وناهيك بما سبق ذكرهُ لترى الى اي غاية بلغت النهضة العلمية والادبية في الحقبة الاخيرة وان لم نزل في حاجة ماسة الى نشر مصنفات عديدة علمية وتاريخية وأثرية نؤملها من الناشئة الجديدة التي ندعوها الى اقتفاء آثار السلف الذين نهجوا لها سبيل الآداب ونصبوا امامها اعلام الفخر والمجد

وقد ساعد على هذه النهضة الادبية الاخيرة ما أُنشيء وقتئذٍ من الجمعيات العلمية في بعض الطوائف والمدارس فانها مع قصر عمرها وضيق نطاقها أدَّت للآداب والمعارف خدمًا حسنة كالدائرة العلمية المارونيَّة

ودائرة مار جرجس للآباء اليسوعيين وجمعية شمس البر والمحافل الادبية في كلية القديس يوسف والكلية الاميركانية وبعض المدارس الراقية كجمعية طلب المعارف وجمعية النهضة العلمية في زحلة الى غير ذلك من الجمعيات التي افادت نجاح الآداب العربية وعززت معرفة اللغة ونفخت في قلوب الناشئة الرغبة في خدمة العلوم ونشر المعارف

ويضاف الى هذه الوسائل المشددة لأزر الادباء والمعينة على نهضة العلوم انشاء المكاتب الحافلة بالمطبوعات الوطنية والاجنبية والمخطوطات المهمة في كل باب من ابواب الفنون والمعارف البشرية . وقد كان سبق أولو الفضل وانشأوا قبلاً في لبنان بعض المكاتب لاسيما ارباب الدين والرهبان كمكتبة ماريوحنا الصابغ في الشوير للرهبان الحناويين ومكتبة دير المخلص للرهبان الباسيليين المخلصيين ومكتبة دير الشير للرهبان الروم الكاثوليك الحلبيين ومكتبة البلمند للروم الارثذكس ومكتبة دير السيدة في الشرفة للسريان الكاثوليك ومكتبتي بكركي وعين تراز للبطريركيتين المارونية والروم الكاثوليكيّة ومكتبة عينطورا للآباء اللعازريين ومكتبة دير بزمار للارمن الكاثوليك ومكاتب اديرة قزحيا واللويزة (المنقولة اليوم الى فيطرون) وطاميش وعين ورقة . غير انّ تلك المكاتب البالغة بضع مئات او بضعة الوف من التآليف المطبوعة والمخطوطة لم تعد تفي بالمقصود لخلوّها من معظم المصنفات الجديدة لا سيما المؤلفات الشرقية التي لا غنى عنها لمن يريد الوقوف على كنوز العلوم القديمة والمستحدثة . وبناء عليه كانت الحكومة المدنية فكّرت في فتح مكتبة جامعة في بيروت يستقي من مناهلها العذبة علماء الوطن لكنّ هذه النية الصالحة بقيت في طيّ القوّة ولم تخرج الى نشر العمل

وإذ رأى بعض الخواصّ من محبي الآداب حاجتهم الى مثل هذه المكاتب استحضروا ما رأوهُ مفيداً لغايتهم وبذلوا في ذلك المبالغ الطائلة كما فعل اصحاب الكلية الاميركانية ومكتبتهم حاوية على نحو ٢٠٫٠٠٠ كتاب بينها مخطوطات عربية قديمة . وسعى غيرهم في جمع مثل هذه المخطوطات اما لنشرها واما لبيعها نخص منهم بالذكر الشيخ ابرهيم الاحدب وشيوخ العقل الدروز واعيانهم وجرجس بك صفا والمرحوم مراد بك البارودي وعيسى افندي اسكندر المعلوف

وقد امتازت عن كل المكاتب السابقة مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت فانها وحدها جامعة لكل ما يحتاج اليهِ الكتبة في كل باب من ابواب العلوم وهي تقسم الى اربعة اقسام : (١) المكتبة الشرقية الحاوية ٣٠٫٠٠٠ من سائر العلوم واللغات الشرقية يضاف اليها ٣٫٠٠٠ من المخطوطات العربية والسريانية والكلدانية والتركية والفارسية . (٢) المكتبة الغربية وعدد مجلداتها ٣٠٫٠٠٠ ايضاً . (٣) ومثلها المكتبة الطبيّة . (٤) مكاتب المعلمين ومدرسة الفقه وطلبة المدارس ٢٠٫٠٠٠ فيكون مجموع هذه الخزائن مئة الف وثلاثة عشر الف كتاب في جملتها ١٥٠ مجلة علمية او ادبية او اجتماعية في سائر اللغات

وهنا كنا نودّ قبل الختام ان نسرد اسماء كل الذين خدموا الآداب والمعارف من اللبنانيين بعد الثمانمائة والسبعين في جبلهم او خارجاً عنهُ في انحاء سورية ومصر واميركا لولا ان تعدادهم يطول بنا مع ما

سبق من ذكر مطبوعات الكثيرين منهم . ونحيل الذين يطلبون معرفة اولئك الافاضل الى الكتاب المعنون بالآداب العربية في القرن التاسع عشر في جزئين للاب لويس شيخو اليسوعي حيث وردت اسماؤهم مع خلاصة اخبارهم . أما ادباء القرن العشرين فان الجميع يلهجون باسمائهم الكريمة وذكرهم الطيب سواء كانوا من الاحياء المرزوقين ام من الموتى المرحومين فتغني شهرتهم عن تدوين تاريخهم

وغاية ما نتمنّى عند وداع قرّائنا ان الآداب والمعارف تعود الى ازدهارها بعد انكشاف السحابة المظلمة التي برقعت وجه سمائنا بانتشاب الحرب العمومية فحجبت عنا لمدّةٍ انوار العلوم من جرّاء كفاح العالم حتى اذا سكتت افواه المدافع نطقت ألسنة الآداب . ارشدنا الله الى ما فيهِ الخير بمنّهِ وكرمهِ



ادارة المعارف

في

جبل لبنان

في الدور السابق

حيث ان الحكومة لم تأخذ الى عهدتها في الدور السابق الوظائف العائدة الى التربية والتعليم فلم تر اقتضاء لتشكيل ادارة معارف رسمية في لبنان ولهذا فان قضية نشر المعارف التي هي من اهم حقوق الدولة صارت بيد جمعيات اجنبية وبيد بعض الجماعات والافراد من الاهالي فكانت نتيجة ذلك اننا رأينا تربية البلاد العلمية جارية الى اهواء مختلفة . وبالعكس فاننا نجد اثراً من الغاية المقصودة من انتشار المعارف . ومما يوجب الاسف الشديد كون هذا المسلك المتبع في التعليم في هذه المؤسسات العلمية اهملت لسان البلاد ولم تعط في اثناء ذلك درجة الاهمية اللائقة في امر العلوم الرياضية والطبيعية

فهذه الحقيقة اوجبت في هذه الاوقات الاخيرة ظهور تلامذة من بعض المكاتب الموجودة الآن حائزين على المأذونية بلا امتحان طلبوا ان يأخذوا على عهدتهم امر وظيفة التعليم

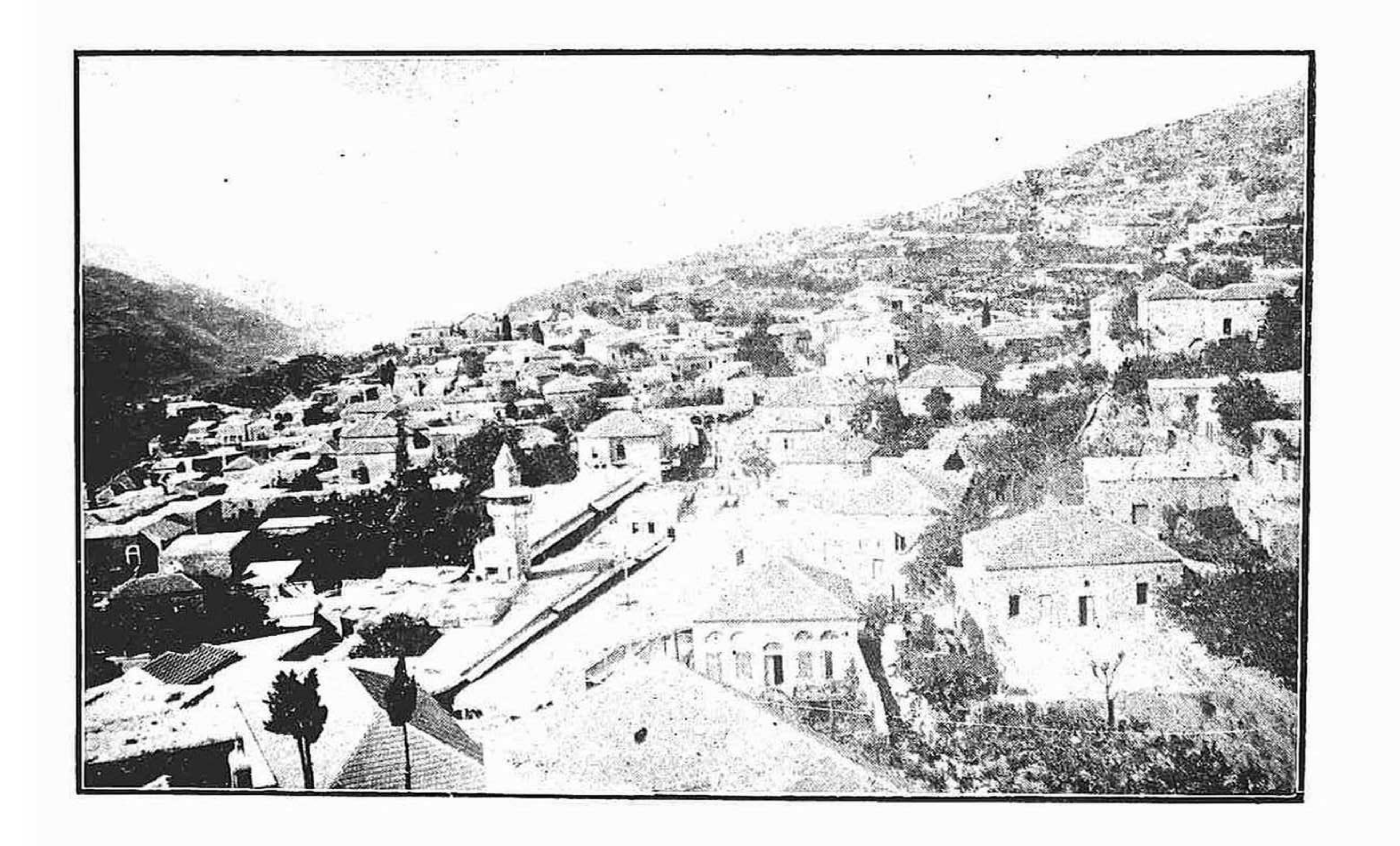
هذا وقد اردنا ان نعتبر ان انتشار السائرين من ألسنة الاجانب في عموم بلاد سورية هو امر لازم بالنظر للمواصلات التجارية مع الاوربيين افلا يجب علينا القبول واحالة هذه ان اهمال تعليم لغة البلاد الى هذه الدرجات هو امرٌ غير قابل للتأويل

ولهذا فان مديرية معارف اللواء الآن تشبثت باجراء التتبعات الواسعة عن المؤسسات العلمية الاجنبية من كل جهاتها

تشكيل ادارة المعارف الان

ان تشكيل ادارة المعارف بصورة قطعية كان في شهر اغستوس من سنة ٣٣١ — ٣٣٢ المدرسية . والمباشرة بتأسيس المدارس كان في سنة ٣٣٢ — ٣٣٣ المدرسية . ومع هذا فالمتصرفية باشرت بفتح المدارس في السنة الاولى المدرسية فصار تعيين المعلمين لها بعد اجراء امتحانهم بمعرفة اللجنة المعينة لذلك . والمدارس التي تأسست الى هذه الصورة هي مائة واربع منها اثنتان وخمسون مدرسة للاناث واثنتان وخمسون للذكور

حينما تأسست مديرية المعارف باشر معلمو المدارس الابتدائية ومعلماتها بالتدريس وفقاً للقانون الموقت والتعريفات المتفرعة عنه باصول تدريس المدارس الابتدائية وقد اتُبع في امر تعيين المعلمين الذين تعينوا في السنة السابقة المدرسية والذين طلبوا حديثاً تعيينهم معلمين اصول احراز الاجازة « اهليت نامه » بعد الفحص



دير القمر

اما الذين صار استخدامهم قبلاً فقد فتح لهم مدارس خصوصية لمدة التعطيل المدرسي ليدرسوا فيها اللسان التركي والتاريخ العثماني والجغرافيا العثمانية وخلاف ذلك من الدروس التي لم يدرسوها في المدارس التي نشأوا فيها. وكذلك الذين طلبوا حديثاً تعيينهم معلمين قد صار اطلاعهم على مواد انموذج « پروغرام » الامتحان وتهيئوا لذلك. غير ان مدة التعطيل التي تخصصت لهم لدرس اللغة التركية لم تكن كافية لاكمال التعليم كما وان هؤلاء من الابتداء لم يتعلموا علوماً لكي يكونوا بها معلمين وقد كان تحصيلهم في المدارس التي درسوا فيها على اصول مختلفة وقد أُهمل في امر تعليمهم العلوم المختلفة فلذلك لم يحرزوا لدى اختبارهم الا الدرجة القريبة من المطلوب . وقد صار قبول مائة وسبعة وثمانين معلماً من مايتين وخمسين شاباً دخلوا الامتحان بصفة أُصلاء موقتاً. وقد اضيف الى الاثنتين والخمسين مدرسة الموجودة عشر مدارس ايضاً بحيث بلغت اثنتين وستين مدرسة منها اثنتا عشرة تحتوي على خمس غرف للتدريس وسبعة منها على ثلاثة وثلاثة واربعون منها على غرفتين

وكذلك اللائي استخدمنَ معلمات واللائي طلبنَ ان يدخلنَ معلمات قد اتبع في امر تعيينهنَّ اصول الامتحان المتقدم. على انهُ بالنظر الى درجة المدارس التي تربينَ ونشأنَ فيها كان اكثرهنَّ من الدرجة الابتدائية ولم يكنَّ بالدرجة التي تؤهلهنَّ لان يكنَّ معلمات او يسلكن بها مسلكاً آخر بل هنَّ مجهزات ببعض المبادئ التي تؤهلهنَّ للادارة البيتية لذلك فانَّ هؤلاء ايضاً لم يرينَ حائزات الاوصاف المطلوبة كالمعلمين الآنف ذكرهم. على انَّ درجة تحصيل اكثرهنَّ اقل من اولئك المعلمين بدرجات ومع هذا فان اللائي وُجدنَ منهنَّ حائزات على اللياقة نوعاً ما قد صار تعيينهنَّ معلمات بصفة اصيلات موقتاً لمدارس الاناث الابتدائية البالغ عددها اثنتين وستين مدرسة بعد اضافة عشر مدارس عليها منها اثنتا عشره مدرسة تحتوي على ثلاث حجر للدرس وثمانية وثلاثون على حجرتين واثنتا عشرة على حجرة واحدة

وما عدا المعلمين الذين صار تعيينهم بالامتحان قد تعين معهم بناءً على الطلب الواقع اربعة معلمين أُرسلوا من مأذوني دار المعلمين في ولاية حلب ومعلم واحد من مأذوني دار المعلمين في بيروت

المكتب الاعدادي

قد أُسس في جونية مكتب اعدادي ليلي من الطرز الاخير من جهة التشكيلات في سنة ٣٣٢—٣٣٣ المدرسية وافتتح الصنف الاحضاري بظرف السنة المذكورة وبوشر بالتدريسات فيه . يحتوي هذا المكتب على شعبتي الزراعة والعمومية ومقرر ان يضاف له شعبتان اخريان اي التجارية والصناعية وابلاغ عدد شعباته الى الاربع . وفي خلال السنة المذكورة ايضاً داوم على الصنف الاحضاري اثنان وخمسون طالباً منهم ثلاثة نهاريون واثنان وثلاثون ليليون مجاناً وسبعة عشر ليلي بالاجرة . و يوجد قسم ابتدائي ايضاً للمكتب المذكور

مكتب جمال باشا الليلي الابتدائي للاناث

ان هذا المكتب الذي يدار من طرف خالده اديب خانم مديرة مكاتب الاناث في سوريا جميع لوازمه

الدرسية مكملة · وقد فتح في بادئ الامر في عاريا ونقل في هذه السنة الى برج البراجنة وقد رتب برنامجه وعدد مأموراته ومعلماته بموجب تعليماتنامه خصوصية وُضعت من طرف المشار اليها · و يقبل فيه كل سنة طالبات ليلية مجاناً وبالاجرة · مدته التدريسية ستة سنين مثل المكاتب الرسمية · وعدا عن ذلك له شعبة ملحقة بالصنف الاول وصنف مخصوص ايضاً

دار الايتام في عين طوره

ان هذه الدار التي اسسها حضرة جمال باشا قائد الجيش الرابع هي من ارتب المؤسسات الخيرية الموجودة في الجبل و يربى فيها الاطفال الايتام اناثاً وذكوراً الذين استجلبوا من الاناضول · يزيد عدد الايتام الموجودين فيها عن الثمانمائة ويتعلمون الصنائع المختلفة اما جميع مصاريفها فتدفع من اموال الجيش الهمايوني

دار المعلمين ودار المعلمات

ان المشكلات الحاصلة بانتقاء المعلمين والمعلمات اظهرت لزوماً لتأسيس دار المعلمين والمعلمات بما انه استحصلت المأذونية اللازمة من نظارة المعارف العمومية الجليلة لأجل فتح دار معلمين منتظمة فقد بوشر بالمعاملات التأسيسية

حيث انه ابتدئ باعداد المعلمات المطلوبة لمكاتب الاناث الابتدائية وذلك بصورة ارسال طالبات من البنات اللبنانيات الى « دار المعلمات السوري » المؤسس في بيروت بهمة حضرة جمال باشا ناظر البحرية وقائد الجيش الرابع العالية والمؤمن ادارته مشتركاً من قبل متصرفية لبنان وولايتي سورية وبيروت فلم يرَ لزوم لتأسيس دار المعلمات على حدة

جدول باسماء القصبات والقرى في لواء جبل لبنان الموجود فيها المدارس الابتدائية الذكور والاناث وعدد غرف الدرس فيها

قضاء	القرية او القصبة	غرف الدرس	ذكور	غرف الدرس	اناث
المتن	برج البراجنة	٥	١	٢	١
〃	برمانا	٥	١	٣	١
〃	بسكنتا	٣	١	٣	١
〃	شوير	٣	١	٢	١
〃	حمانا	٣	١	٢	١
〃	بعبدا	٣	١	٢	١
〃	بكفيا	٣	١	٢	١
〃	حدث	٢	١	٣	١
〃	بيت شباب	٢	١	٢	١
〃	بيت مري	٢	١	٢	١
〃	رأس المتن	٢	١	٣	١
〃	عبادية	٢	١	٢	١
〃	كفر شيما	٢	١	٢	١
〃	بعبدات	٢	١	٢	١
〃	صليما	٢	١	٢	١
〃	المتين	٢	١	٢	١
〃	بتغرين	٢	١	٢	١
〃	شياح	٢	١	٣	١
〃	قرنة الحمرا	٢	١	٢	١
〃	الجديدة	٢	١	٢	١
كسروان	جونية	٥	١	٣	١
〃	شمسطار	٢	١	٢	١
〃	جبيل	٢	١	٢	١
كسروان	قرطبا	٢	١	٢	١
〃	عمشيت	٢	١	٣	١
〃	غزير	٢	١	٢	١
〃	زوق	٢	١	٢	١
البترون	اسكاه	٥	١	٢	١
〃	بشري	٥	١	٢	١
〃	هرمل	٢	١	٢	١
〃	حصرون	٢	١	٢	١
〃	تنورين	٢	١	٢	١
〃	دوما	٢	١	٢	١
〃	زغرتا	٢	١	٢	١
الشوف	عاليه	٥	١	٣	١
〃	شحيم	٥	١	٣	١
〃	بعقلين	٥	١	٣	١
〃	شويفات	٣	١	٣	١
〃	برجا	٢	١	١	١
〃	دامور	٢	١	٣	١
〃	عبيه	٢	١	٢	١
〃	كترمايا	٢	١	١	١
〃	غريفه	٢	١	٠	٠
〃	عانوت	٠	٠	١	١
〃	كفر فاقود	٢	١	٠	٠
〃	بيصور	٢	١	١	١

قضاء	القرية او القصبة	غرف الدرس	ذكور	غرف الدرس	اناث
الشوف	عماطور	٢	١	١	١
«	بشتفين	٢	١	١	١
«	كفرحيم	٢	١	١	١
«	بتاتر	٢	١	٢	١
«	باروك	٢	١	١	١
«	مزرعة الشوف	٢	١	١	١
جزين	جزين	٥	١	٢	١
«	عرمتي	٢	١	١	١
«	بكاسين	٢	١	٢	١
جزين	صالحيه	٢	١	٢	١
كورة	اميون	٥	١	٢	١
«	كوسبا	٢	١	٢	١
«	بشمزين	٢	١	٢	١
زحلة	زحلة	٥	١	٣	١
-	قاطع	-	١	٢	١
ديراثمر	ديراثمر	٥	١	٣	١
بيت الدين	بيت الدين	٢	١	١	١

ابنية المدارس الابتدائية

الابنية الموجودة

١ — المدارس التي تأسست قبلاً من طرف الاجانب

٢ — المدارس العائدة للوقف

٣ — المدارس التي احدثت بمساعدات الاهالي

٤ — المدارس التي انشأتها البلديات

٥ — البيوت التي استؤجرت من طرف الاهالي او البلديات

القسم الاقل من تلك المباني موافق للمطلوب وجميعها غير كافية للحاجة. ومن الضروري احداث مدارس جديدة. وبالنظر لحالة الحرب وما ينتج عنها من عدم امكان تدارك اللوازم الانشائية وتأمين المصارف التأسيسية لها لزم الاكتفاء الآن باجراء التدقيقات وتنظيم لائحة من قبل مديرية المعارف لتعيين المحلات التي يقتضي إنشاء بنايات للمدارس مجدداً فيها مع بيان مقدار تلك المباني

تاريخ احوال الطرقات

في

جبل لبنان

مختصر بحثنا

١) من قبل السنة ١٢٧٧
٢) الطرقات التي أُنشئت اولاً
٣) الهمّة في إنشاء الطرقات
٤) جدول الطرقات التي أُسست حسب الاقضية والمتصرفين
٥) بعض ملاحظات عائدة للجدول
٦) اصول في إنشاء الطرقات
٧) تصليح وإنشاء الطرقات العمومية
٨) تصليح وإنشاء الطرقات الخصوصية
٩) جداول في مخصصات ومصارفات سنة ٣٢٩
١٠) هيئة اللواء الفنية
١١) طرقات اللواء الموجودة الآن
١٢) جسورة اللواء المهمّة
١٣) طول الطرقات ونسبة مساحتها الى اللواء
١٤) الغلطات الفنيّة الموجودة في الطرقات
١٥) نظر في بعض النقط المقتضاة فيما يأتي

١ من قبل سنة ١٢٧٧ هجرية

قبل السنة ١٢٧٧ هجرية لم يكن طرقات شوسه في جبل لبنان · وبذلك التاريخ كان يستفاد من الطرقات التي يقال لها طرقات المكارية· واول طريق أُنشئت داخل اللواء في التاريخ المذكور الموافق لسنة ١٨٥٩ ميلادية هي التي ربطت بيروت مع الشام

واعطيت هذه الطريق بصورة الامتياز الى شركة سميت باسم « شركة طريق الشام العثمانية » على قصد تأمين المواصلة بالدليجنص فيما بين البلدين · وامرٌ طبيعي ان الشركة المذكورة ابتدأت برأسمالها عمل الطريق من ساحة البرج في بيروت مارةً بلبنان فالبقاع منتهية الى الشام· وأُنشئت الطريق المذكورة بطول مائة واثني عشر كيلومتراً وبعرض سبعة امتار · والى الآن هذه الطريق باقية بعرضها وطولها على حالتها الابتدائية · ومن ذلك الوقت التصليحات متواصلة من طرف الشركة والتفتيش كذلك متواصل مع تأمين المحافظة على حسن حال الطريق وتصليحها بمعرفة عملتها المعينين لذلك · وكانت تستوفي رسماً عن وسائط النقل وعن الذين يمرّون على الطريق · وكان مكان اسطبلات الحيوانات ومأوى العربات ومركز الشركة في بيروت عند ساحة البرج في المحل الذي كان بهِ دائرة البوليس وقومندانيّة الژاندرمه

وخلّف طريق الشركة المبحوث عنها باشغالها انشاء سكة حديد من بيروت الى الشام ومن الشام الى حماة

وتمديداتها· والقسم الموجود في داخل حدود المتصرفية من تلك الطريق دخل داخل اموال لبنان العمومية· ومن بعد ذلك كان يصير تصليحهُ على التمادي من طرف المتصرفية· واليوم الطريق المذكورة ادخلت في عداد طرقات الدولة العمومية · وفي تاريخ سنة ٣٠٠ اودع القسم الذي هو داخل ادارة اللواء من طرف نظارة النافعة الى ولاية بيروت· ومن بعد هذه الطريق ابتُدئَ في لبنان بانشاء الشوسه والطرقات الاولى التي صار عملها في زمن المتصرفين الاول وانشئت جميعها بصورة تعتبر شعباً لهذه الطريق

٢ الطرقات التي انشئت اولا

وفي سنة ١٢٧٦ عقب الحادثة المؤسفة اول طريق أُنشئت بطول سبعة كيلو مترات هي الطريق التي انشأها الموسيو بورطاليس من بحمدون الى كرخانته الكائنة في قبو القرية بجوار بتاتر بمعرفة مهندسين فرنساويين بالاعانات المرسلة من فرنسا لاجل توزيعها على الفقراء وكانت هذه الانشاءات بعد امتياز تشكيل المتصرفية وصادف وقوعها في زمن داود باشا الذي هو اول متصرف· وحيث ان الموسيو بورطاليس اشترى باسمه ولحسابه الاراضي التي تمرّ فيها الطريق المذكورة فكانت مدة طويلة تعدّ من املاكه الخصوصية وكان يجري هو تصليحها · ودام ذلك الى زمن رستم باشا · ومن بعد وفاة بورطاليس ورثتها ورثتهُ سنة ١٢٩٨ الى حكومة لبنان

٣ الهمة في انشاء الطرقات

حينما استقرّت الحكومة بوشر بالاجراءات النافعة من طرف المتصرفية رأساً بتاريخ ٢٨٤ — ٢٨٨ في زمن المتصرف فرانقو باشا · وفي زمن المشار اليه أُنشئ من طريق بيروت والشام من الموقع الواقع في الخازمية الى بعبدا ثلاثة كيلو مترات لاجل مواصلة بعبدا التي هي مركز اللواء مع بيروت

وايضاً ثلاثة كيلومترات فيما بين بيت الدين مركز الحكومة الصيفي و بعقلين ومجموعها ستة كيلومترات طول جزئي ظاهر للعيان·ثم انهُ وان يكن في زمن المشار اليه ابتدئَ بمعرفة المهندس فيقانو بطريق تربط دير القمر ببيت الدين و بطريق أُخرى ثلاثة كيلو مترات تقريباً بين بتلون والاورهانية ولكن الاولى أُنشئ منها مقدار ثلاثة كيلومترات وحيث انها وُجدت غير مساعدة لمرور العربات نظراً لتسوية العمليات الترابية الموجودة تُركت طريقاً للمكارية ·والاخرى تُركت بدون تكميل

وفي زمن رستم باشا ازداد فكر انشاء الطرقات لاجل تأمين وتسهيل وسائط المواصلات· وبوصول المشار اليه الى لبنان اتسع امر انشاء الطرقات وازدادت الهمة بذلك· ومن كون اهالي اللواء لم يكونوا أَدركوا فوائد ومحسنات هذه الانشاءات وجد لهذا الخصوص موانع ومشكلات كثيرة · ومع هذا في ذلك الزمان تقدم انشاء طرقات كثيرة

وفي زمن واصه باشا تقدم انشاء الطرقات وأُنشئ كثير منها وأُنشئ من طرقات لبنان الاساسية

قسم مهم والقسم الثاني وُجد على همة الابتداء به · والاهالي ابتدأوا ان يدركوا لزوم واهمية الطرقات وشاهدوا برأي العين الحسنات والفوائد التي صار تأمينها من انشائها وشوهد تأثير عظيم من المسافرين ذهاباً وإياباً الى امريقا

وفي زمن نعوم باشا من سنة ٣٠٨ — ٣١٨ وصلت ترقيات انشاء الطرقات الى اعلى الدرجات · والطرقات الموجودة الآن اكثر من ثلثها ظهر للوجود في زمان متصرفيته التي تجددت مرتين

وسواء كان في زمن المشار اليه او في زمن الذين خلفوه كمظفر باشا ويوسف فرنقو باشا كان كثير من القرايا يطلبون انشاء الطرقات · ففي زمن مظفر باشا بناء على هذه التطلبات كان من جهة يصير استحضار الخرائط ومن جهة اخرى يدوم تقدم الانشاءات · والغاية انهُ في زمن يوسف باشا كانت هـذه التطلبات بغير تعقل فاعطيت اعتباراً معقولاً وصار الاجتهاد بتطبيق الخرائط المدورة من زمن سلفه · وعدا عن ذلك صارت المداركة بشأن تصليح الطرقات الموجودة والمحافظة عليها بحالة حسنة · وبالنظر لعدم كفاية ربع المجيدي بمقابلة ذلك بدأت تظهر مشكلات في البودجة من جرى عدم كفاية ربع المجيدي

وبينما كانت سلسلة الترقيات جارية على هذه الصورة صادف اعلان الحرب العمومية في زمن اوخانس باشا · وبانسداد طريق امريقا انسدت اهم منابع الثروة التي كان قسم منها يصرف لانشاء الطرقات · وحيث ان هذه الحرب العمومية ولَّدت تبدلاً عرضياً على حياة اللواء العمومية فمع الاسف حصل انقطاع وتوقُّف في هذه الانشاءات

٤ جدول الطرقات التي انشئت حسب الاقضية والمتصرفين

ان الجدول الآتي مبين فيهِ الطريق التي صار انشاؤها من قبل امتياز تشكيلات اللواء · ومن بعد التشكيلات مبين فيهِ الطرقات التي أُنشئت في كل قضاء في زمن المتصرفين المنصوبين عليه

ومع التدقيق في هذا الجدول يخامرنا فكر صريح في حق ترقي انشاآت الطرق وكيفية تعقيب السير والحركة فيها

اسامي الاقضية

اسامي المتصرفين	سنو مأموريتهم		جزين	الشوف ودير القمر	المتن	كسروان	البترون	الكورة	اجمال
من قبل امتياز التشكيلات ١٢٧٧			القسم الذي هو داخل اللواء من طريق الشام						٣٩٬٨٠٠
داود باشا	٢٧٧	٢٨٤		٧٬٠٠٠					٧٬٠٠٠
فرانقو «	٢٨٤	٢٨٨		٢٬٩٥٠	٣٬٠٠٠				٥٬٩٥٠
رستم «	٢٨٩	٢٩٩		٣٦٬٠٢٠	٤٧٬١٦٠	١٢٬٠٤٠			٩٥٬٢٢٠
واصه «	٢٩٩	٣٠٨		٤٨٬٧٥٠	٦٨٬١٢٠	٣٢٬١٩٠			١٤٩٬٠٦٠
نعوم «	٣٠٨	٣١٨	٣٧٬٤٩٠	٩٤٬٣٥٠	١٤٢٬١٠٠	٥٢٬٢٢٠	٩٢٬٦٠٠	٦٢٬١٢٠	٤٨٠٬٨٨٠
مظفر «	٣١٨	٣٢٣	١٧٬٣٠٠	٥٤٬٥٤٠	٦٦٬٢٥٠	١٦٬٠٠٠	٦٣٬٧٠٠	٤٬٨٨٠	٢٢٢٬٦٧٠
يوسف «	٣٢٣	٣٢٨	٥٬٠٠٠	٢٦٬٥٠٠	١٠٬٤٣٠	٢٩٬٦٩٠	٣٩٬٣٨٠	٧٬١٨٠	١١٨٬١٨٠
اوخانس «	٣٢٨	٣٣١	٦٬٠٠٠						٦٬٠٠٠
علي منيف بك اسماعيل حقي بك				١٩٬٦٣٠					١٩٬٦٣٠
	يكون		٦٥٬٧٩٠	٢٨٩٬٧٤٠	٣٣٧٬٠٦٠	١٤٢٬١٤٠	١٩٥٬٦٨٠	٧٤٬١٨٠	١٬١٠٤٬٥٩٠

٥ بعض ملاحظات عائدة للجدول

وان تكن طريق الشام التي أُنشئت بتاريخ ١٢٧٧ صار ذكرها في هذا الجدول لكن لم يجر ادخالها في المجموع ٠ وطريق برجا وان يكن أُبتدئَ بانشائها في زمن واصه باشا لكنها أُهملت الى الايام الاخيرة وتركت وفي هذه السنين الاخيرة بعد اصلاح نواقصها الانشائية في زمن علي منيف بك المتصرف السابق ففي هذه الايام صار اكمالها٠ كذلك طريق شحيم التي ابتدئ بها من زمن علي منيف بك المشار اليهِ فالآن جارٍ إكمال نواقصها الانشائية ٠ وبناء على ذلك صار ذكر انشاء هاتين الطريقين في الجدول في الايام الاخيرة ٠ ويوجد كثير من الطرقات التي ابتدئ بانشائها في زمن يوسف باشا ولكن اعتباراً لاحوال الحرب الحاضرة ما امكن مداومة انشائها٠ وهي الآن موجودة تحت اكمال الانشاء

وكما صار تجديد اصلاح اقسام طرقات طرابلس الشام ومن جسر بيروت الى الجديدة الى عين فرشلو بالمعاونات المالية من طرف نظارة النافعة الجليلة كذلك صار الابتداء بانشاء سبع كيلو مترات من الطريق الموجودة داخل اللواء الممتدة بطول اثني عشر كيلو متراً بالساحل البحري من انفه لحد طرابلس الشام واليوم صار اكمال عمليات التسوية الترابية من قسم منها ثلاثة كيلومترات

٦ اصول في انشاء الطرقات

ومن قبل التشكيلات الاخيرة كانت طريقة الانشاء في لبنان تجري على الاصول الآتية :

في اول الامر انقسمت الطرقات الى قسمين طرق عمومية وطرق خصوصية والطرقات العمومية هي التي صار انشاؤها من اموال لبنان العمومية فمن هذه الطرق نفسها الطرق التي تمتد من فرن الشباك الى بيت الدين وقصبة الشويفات وصحرائها ومن صحراء الشويفات لحد جسر نهر الاولي في حدود صيداء ومن بعبدا الى جسر رستم باشا والجديدة ومن جسر بيروت الى جونية ومن البترون وكفر حزير الى جسر المحصاص في حدود طرابلس الشام ٠ فهذه الطرق مع شعباتها تبلغ تقريباً ٢١٠ كيلو مترات

٧ تصليح وانشاء الطرقات العمومية

وكانت تجري تصليحات الطرقات العمومية بالمبالغ التي يصير افرازها من الواردات الخصوصية التي يقال لها مهملات بموجب مضابط مجلس الادارة الكبير السابق٠ انما طريق صيداء اشتركت ولاية بيروت في قسم من انشائهِ وتصليحهِ واليوم الطريق المذكور الذي هو من بيروت الى صيداء والى ما فوق ذلك أُدخل مع طرقات الدولة العمومية واودعت ادارتهُ من طرف نظارة النافعة الى ولاية بيروت

ومن اهم طرقات اللواء ايضاً طريق طرابلس الشام والاقسام التي هي من الحازمية وجسر رستم باشا الى الجديدة ومن جسر بيروت الى الجديدة فجونية صار انشاؤها من زمن رستم باشا والقسم الذي هو من جونية

الى البترون في زمن واصه باشا والاقسام التي اوفا من جسر المحصاص الى البترون وبشمزين وكفر حزير وشكا والهري في زمن نعوم باشا والقسم الاوسط الذي هو فيما بين قرية الهري والبترون مع انشاء عمليات ترابية كثيرة الاهمية صار عملها في زمن مظفر باشا بمعرفة المتعهد هركولي سانتدرو الايتاليانى بمبلغ ٦٧٧,٠٧٧ غرشاً على حساب سعر ليرة العثمانية ٣٤٢٣ ١ فهذا القسم الذي صار توديعهُ لعهدة المتعهد المتقدم ذكره صار تأدية ثلث مصروفات انشائهِ من المهملات والثلث الثاني من قضاء البترون والثلث الثالث من قضاء الكورة ومن كون الطريق المذكورة صار مرورها بالجبورية من رأس شكا بطول مائة وثمانين متراً وارتفاع مائتي متر بصورة عمودية تقريباً عن سطح البحر فاقتضى الحال إنشاء عمليات ترابية جسيمة فيها بارتفاع ٦٠—٨٠ متراً عن مساواة سطح البحر وأُنشئ فيها نفقان الواحد بطول٢٧ والآخر بطول٢٣ متراً بعرض خمسة امتار وارتفاع خمسة امتار و بين احد النفقين والآخر قسم مكشوف بمقدار ثلاثة وثلثين متراً

فهذه الطريق هي عمودية من جهةٍ ارضها صخور ومملوءة من شجر السنديان ومن جهة اخرى هي بطول ثلاثة آلاف متر تقريباً من جهة البحر وقسمها هو من اهم طرقات جبل لبنان من نقطة الانشاءات ومع الاسف لو صار اضافة مقدار ما على المبالغ السالف ذكرها التي صار صرفها لاجلها لكانت نظير سائر الطرقات و بذلك كان يمكن ازالة الغلطات الفنية الموجودة فيها التي هي بصورة ظاهرة للناظرين

٨ تصليح وانشاء الطرقات الخصوصية

الطرقات الخصوصية التي هي غير الطرقات العمومية ما كان يحصل انشاؤها من اموال اللواء العمومية بل مصروف الطريق التي يُطلب انشاؤها فيما بين اسمئ موقعين كان يتعين ذات من اعضاء مجلس الادارة الكبير السابق مع مهندس اللواء وبالتخمين بعد الكشف يقدران طولها بالامتار ويوزعان قدر المصاريف بين اهالي القرى التي تمرّ بها والذين طلبوا انشاءها · وفي البعض تكون بصورة توزيع حسب فقر وثروة تلك القرى · وعلى فرض ان المبلغ الذي صار كشفهُ ما امكن استحصاله بموجب قرار مجلس الادارة الكبير السابق يصير بيع الاشجار التي تقطع من الاحراج العائدة الى بلديات هذه المحلات لاجل سدّ العجز وكان يصير انشاء الجسور بالمبالغ المخصصة من المهملات

و بدلات الطريق التي هي ربع ونصف مجيدي عن كل قضاء مع المبالغ التي صار تحصيلها خصصت لاجل تصليح طرقات ذلك القضاء وتأمين المحافظة على حسن حالها · ومن مدة السنين الاخيرة بالنظر لعدم كفاية واردات ربع ونصف المجيدي لتأمين المقصود كان مجلس الادارة الكبير يخصص مقداراً من المهملات لنسبة الطرقات الموجودة وذلك بموجب قراره في تاريخ ٢٥ ذي القعدة سنة ٣٢٣ و ٧ كانون الثاني سنة ٣٢١ ونمرو ٢٨٦٣ وهذا القرار ما امكن تطبيقه ابداً على صورة حسنة في وقت ما · وفي زمن علي منيف بك افندي المتصرف السابق صار ابلاغ بدلات الطرقات الى عشرين غرشاً بالتساوي

٩ جدول من مخصصات ومصارفات سنة ١٣٢٩

يبيّن في هذا الجدول واردات ومصروفات نصف وربع الجيدي عن كل قضاء في سنة ٣٢٩ ويبيّن في جدول آخر المبالغ التي تخصصت من المهملات وبيان صرفها كما هو مثبت ادناه

جدول مشعر عن تحصيلات بدلات طريق كل قضاء عن سنة ٣٢٩ وبيان صرفها

اسماء الاقضية	التحصيلات		المصارفات						الذي تدوّر الى السنة الثانية	
			معاشات		تصليحات		يكون			
	باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش	باره	غروش
شوف	١٧	٣٢١,٦٦٧	١٠	٢٥,٦٣٦	١٥	٢٥٩,٥٧٣	٢٥	٢٨٥,٢٠٩	٣٢	٣٦,٤٥٧
جزين	٠٢	١٣٤,٠٤١	٢٠	٥,٠٥٨	٣٠	٨٦,٦٤٥	١٠	٩١,٧٠٤	٣٢	٤٢,٣٣٦
متن	٣٦	٣٣٦,٦٢٠		٢٥,١٠٣	١٥	٣٠٩,١٧٩	١٥	٣٣٤,٢٨٢	٢١	٢,٣٣٨
كسروان	١٤	١٢١,٦٠٤	٢٠	٧,٧٣٦	١٠	٧٤,٣٨٩	٣٠	٨٢,١٢٥	٢٤	٣٩,٤٧٨
بترون	١٨	٢٠٠,٦٥١		٦,٢٠٠	١٠	١٧٦,٩٦٩	١٠	١٨٣,١٦٩	٠٨	١٧,٤٨٢
كورة	٢٤	١٠١,٠١١	١٥	٦,٦٥٨	٣٠	٥١,٤٠١	٠٥	٥٨,٠٦٠	١٩	٤٢,٩٥١
يكون	٣١	١,٢١٥,٥٩٦	٢٥	٧٦,٣٩٢	٣٠	٩٥٨,١٥٨	١٥	١,٠٣٤,٥٥١	١٦	١٨١,٠٤٥

ومن مقايسة الجدول عن بدلات هذه الطريق التي تخصصت لتصليح الطرقات العمومية فقط يظهر ان التحصيلات في سنة ٣٢٩ هي مليون ومائتان وخمسة عشر الفًا وخمسماية وستة وتسعون غرشًا واحدى وثلاثون بارة وان المصاريف التي دفعت مقابل ذلك هي مليون واربعة وثلاثون الفًا وخمسمائة وواحد وخمسون غرشًا وخمس عشرة بارة وان الباقي وقدره مائة وواحد وثمانون الفًا وخمسة واربعون غرشًا وست عشرة باره صار تدويرها الى السنة الآتية

يبيّن في الجدول التالي مصاريف التصليحات التي صار صرفها على الطرقات العمومية وعلى الجسور التي عليها والمبالغ التي تخصّصت لها من المهملات وذلك سنة ٣٢٩

نوع التصليحات والانشاءات	مفردات باره	مفردات غروش	اجمال باره	اجمال غروش
الطريق التي جرى تصليحها بواسطة المعمارية بالامانة		١٣٫٠٥٩		١٣٫٠٥٩
التصليحات التي صارت في شعب طرقات صيدا وبيت الدين بالاحالة		٤٤٫٢٤٥		
التصليحات التي صارت في شعب طرقات بعبدا — جديدة — جسر بيروت — طرابلس شام		١٠٨٫٤٠٢		١٦٨٫١٦٨
التصليحات التي صارت في طريق الشام		١٥٫٥٢١		
تصليح جسر بواسطة المعمارية	١٠	٣٫٦٢٠	١٠	٣٫٦٢٠
انشاءات جسورة قضاء المتن بصورة الاحالة		٤٠٫٧٥٤		
〃 〃 〃 الشوف 〃 〃 〃		٦٫١٤١		
〃 〃 〃 كسروان 〃 〃		٩٫١٩٧		١٠٢٫٠٨٠
〃 〃 〃 البترون 〃 〃		٣٧٫٥٣١		
〃 〃 〃 الكورة 〃 〃		٨٫٤٥٧		
يكون	١٠		١٠	٢٨٦٫٩٢٧

١٠ هيئة اللواء الفنية

ان الهيئة الفنية لادارة طرق ومعابر لبنان تأسست منذ تشكيلات اللواء والمهندسون الذين تعينوا للهيئة الفنية مع وجودهم مربوطين بمقام المتصرف ومسؤولين من طرفه كانوا بمثابة أُلعوبة تحت نفوذ مجلس الادارة الكبير السابق وليس لهم من الامر شيء

ومع انه كان من المقتضى على مجلس الادارة الكبير ان ينظر في خصوص تعيين ممر الطرقات لكنهُ مع الاسف بمداخلته الاستبدادية حصلت الغلطات الكبيرة في الطرقات وآلت القواعد الفنية الى درجة النسيان وقد كثرت هذه المداخلات في عهد يوسف باشا الى ان جعل معاملة الطرق التي هي كثيرة جداً بعهدة مهندس واحد ولم يقبل ان يزيد عليه

وان يكن في زمن اوخانس باشا صار الابتداء بتنظيم ادارة معاملات الجبل الفنية المشوّشة لكنه لم يتوفق الى النتيجة بسبب ظهور الحرب وعقب التشكيلات الاخيرة في سنة ٣٣٢ ارتبطت ادارة طرق ومعابر الجبل بادارة الطرق والمعابر العمومية في نظارة النافعة الجليلة نظير سائر الولايات

وعلى الوجه الآتي نذكر اسامي المهندسين في الجبل منذ تشكيلات امتيازه الاول فالاول على الترتيب انطون فيقانو افندي — يوسف الياس افندي — الموسيو هوبر — انطون فيتانو افندي — البرتو

افندي—الموسيو بروس پيير— الموسيو هوبر بروزوسكي—الموسيو پيير زيغاليارا— امين بك عبد النور— البر نقاش افندي — المهندسون المنصوبون من طرف نظارة النافعة حسين حلمي بك واليوم سامي بك القائم بهذه الوظيفة

ان الذين قسموا الطرقات في داخل اللواء الى قسمين وسموها طرقاً عمومية وطرقاً خصوصية لم يفكروا ابداً في احتياجات اللواء الاقتصادية ولا في وضعيته الجغرافية ولكنهم اخذوا بعين الاعتبار سائر التأثيرات الخصوصية مع مواقع الاديرة والبطاركة ومراكز الحكومة وهي تصنيفات رتبوها ولكنها بصورة واضحة وتظهر بمجرّد لمح النظر

وبدلاً من ان نقسم طرقات اللواء الموجودة بحالة مشوشة الى طرق عمومية وطرق خصوصية ونمزجها مع طرق الدولة العمومية نرى انهُ كان من الموافق ان نقسمها الى درجات اولى وثانية الخ على ان هذا التقسيم لم ندرجه هنا لانهُ غير مصادق عليه ومع ذلك فاننا قد جعلنا الطرق المتفرعة بهيئة طرق كبيرة وزدنا عليها الشعب المتفرعة عنها واليك بيانهُ على الوجه الآتي

١١ طرقات اللواء الموجودة الان

اسامي الطرقات والقرى التي مرّت بها	طول الكيلو مترات
فرن الشباك —حدث —دامور — سعديات —جيه —نهر الاولى (في حدود صيدا)	٤١٫٥٢٠
شعبة من مفرق طريق صيدا من جسر الغدير—كفرشيما	٢٫١٤٠
شعبة من مفرق « « —بطشيه —وادي شحرور — حومال—بدادون— بمكين — مفرق (شملان — عاليه)	١٥٫٩٨٠
شعبة دير الشير	١٫٨٠٠
من السعديات بطريق صيدا الى— دبيه (تحت الانشاء ولكن صار تسويتها الترابية)	٢٫٥٠٠
طريق صيدا (جيه) — برجا	٤٫٥١٠
مفرق طريق صيدا — كتر مايا— مزبود — شحيم	١٥٫١٢٠
مديرج —عين زحلتا — بيت الدين — مختاره — جزين — صيدا	١٠٧٫٥٢٠
شعبة البراميه	١٫٨٢٠
شعبة الروم	١٫٠٠٠
شعبة العازور	٣٫٣٠٠
شعبة بكاسين	٤٫٠٠٠
شعبة قيتوله	٤٫٠٠٠
جزين — كفر حونه — داريا (تحت الانشاء ولكن صار تسويتها الترابية)	٥٫٠٠٠

اسامي الطرقات والقرى التي مرّت بها	طول الكيلومترات
(نبطيه — صيدا) مفرق — جرمق (تحت الانشاء ولكن صار تسويتها الترابية)	٦٫٠٠٠
شعبة كفرقطره	٣٫٠٠٠
شعبة الباروك — المعاصر (تحت الانشاء ولكن صار تسويتها الترابية وانشئ فيها ثلاث عمليات صناعية)	١١٫٥٠٠
مفرق طريق صيدا — الشويفات — عين عنوب — شملان — عيناب — جسر القاضي — دير القمر — بيت الدين	٤٣٫٤٩٠
عين تراز — عاليه (تحت الانشاء ولكن تمت تسويتها وعملياتها الصناعية)	١٢٫٠٠٠
شعبة بعقلين	٢٫٩٥٠
شعبة عنبال	٣٫٠٠٠
شعبة عنبال — غريفه	٢٫٥٠٠
شعبة عترين	٥٠٠
شعبة قبرشمون — عين كسور — عبيه	٤٫٢٤٠
شعبة جسر القاضي — كفرمتى	٣٫٠٠٠
سوق الغرب — عيتات — عين عنوب — بشامون	٦٫٦٠٠
عيناب — عين حمانا	٢٫٠١٠
فرن الشباك — الحازمية — جمهور — عاريا — عاليه — بحمدون — عين صوفر — حمانا — المريجات	٣٩٫٨٠٠
طريق الشام (عاليه) — سوق الغرب — شملان	٨٫٢٢٠
شعبة سوق الغرب — كيفون — بيصور	٦٫٠٠٠
دامور — كفرحيم — دير القمر	١٨٫٤٥٠
شعبة داخل الدامور	٢٫٣٤٠
محطة بحمدون — بحمدون — بتاتر — رشميا — عين تراز — جسر القاضي	٢٥٫٦٦٠
بعبدا — حازميه	٣٫٨٢٠
حازميه — مصلبيه — دكوانه — جديده — نهر الموت	٥٫٣١٠
بعبدا — جمهور	٣٫٥١٠
بعبدا — سبنيه	٨٢٠
بعبدا — بطشيه	٢٫٦١٠

اسامي الطرقات والقرى التي مرّت بها	طول الكيلومترات
بعبدا — الحدث — برج البراجنة — الشياح — بير حسن — امام اوزاعي وشعباته	١٣٫٣٥٠
جسر بيروت — جديدة — انطلياس — جونيه — جبيل — البترون — الهري — شكا — كفر حزير — بشمزين — المجصاص (حدود طرابلس الشام)	٩١٫٦٦٠
شعبة جونية — ساحل علما	٤٫٠٠٠
شعبة عمشيت — من مفرق طريق طرابلس الشام	٢٫٣٩٠
شعبة دير البنات — جبيل	١٫٢٠٠
شعبة كوسبا — بصرما — من مفرق طريق طرابلس الشام	٦٫٥٠٠
شعبة عين بطرام	١٫١٦٠
مفرق عين بطرام — بصرما — نهر ابي علي (داريا)	١٦٫٦٥٠
شعبة انفه — شكا	٤٫٠٠٠
جسر بيروت — سنّ الفيل — دكوانة — بيت مري — بعبدات — سفيله — عربانية — ارصون — بحالا — حمانا — مديرج	٥٦٫٢٨٠
سن الفيل — مصلبيه	٢٫٢٠٠
شعبة داخل برمانا	١٫٠٢٠
شعبة بخنيه	٢٫٦٥٠
شعبة حمانا — فالوغا	٣٫٠٣٠
من مفرق طريق برمانا — رومية — الجديدة	١٤٫٤٠٠
شعبة رومية — زلقا	١٫٤٨٠
انطلياس — جورة الزيتون — بيوت الرهبان — عين عار — بحرصاف — بكفيا — تغرا — درحاتا — مروج — عينطورة المتن — مجدل ترشيش — عين حزير — زحلة	٥٣٫٥٨٠
جورة الزيتون — مزرعة الشعار — قرنة الحمرا — بيت شباب — بكفيا	١٦٫٠٦٠
شعبة مزرعة الشعار — بيوت الرهبان	١٫٨٩٠
شعبة بيت شباب — عين عار	٣٫٣٧٠
شعبة قرنة الحمرا — عين عار	٢٫٧٤٠
شعبة قرنة شهوان	٢٫٠٠٠
تغرا — زرعون — بعبدات	٧٫١٣٠
من مفرق طريق (بعبدات — تغرا) بحنس — بحرصاف	٥٫٩٧٠

اسامي الطرقات والقرى التي مرت بها	طول الكيلومترات
من طريق الحكومة — بحنس	١,٥٨٠
بكفيا — محيدثه — الجوار — خنشارة — بتغرين — بسكنتا	٢١,٥٨٠
خنشاره — مروج — المتين — بزبدين — مفرق طريق (بحالا — قرنايل)	٢٠,٠٠٠
بحالا — قرنايل — جوار الحوز — كفرسلوان — مفرق (ترشيش — زحلة)	٣١,٤٥٠
مفرق (العربانية — سفيله) — صليما — مفرق (بحالا — بزبدين)	٩,٧٠٠
طريق الشام — قرية قبيع — حمانا	٩,٦٣٠
قبيع — عين موفق — عبيدية — عاريا	١٦,٠٠٠
طريق طرابلس الشام — الزوق — عينطورة — جعيتا — بلونة — عجلتون — ريفون — فيطرون	٢٧,١٦٠
شعبة ريفون — قليمات (تحت الانشاء)	٤,٢٧٠
شعبة جونية — زوق (« «)	٢,٥٠٠
شعبة بكركي	٢٨٠
طريق طرابلس الشام — جونية — بكركي — غوسطا — عشقوت — ريفون	٢٥,٠٢٠
شعبات عرامون	٦,٠٠٠
شعبة دير بزمار	٨٢٠
شعبة صربا — زوق	٩٤٠
شعبة دير الشرفة	٤,٠٠٠
معاملتين — غزير — جديدة — كفور — غينة — غبالة	٢٤,١٧٠
شعبة غزير — دليتا (تحت الانشاء)	٤,٢٠٠
حدود طرابلس الشام (مجدليا) — زغرتا — كفرحاتا — كرم سدة — سبعل — ايطو — كفر صغاب — بلوزا — بشري — بقرقاشا — حدث — بيت منذر — عين السنديانة — كوسبا — اميون — كفر حزير	٩٨,٥٠٠
شعبة عرجس	٤٥٠
شعبة اهدن	٥,٠٠٠
شعبة ظهر العين — برسا	١.٨٠٠
شعبة مطرالخانة	١,٢٠٠
شعبة الديمان	٩٥٠

اسامي الطرقات والقرى التي مرّت بها	طول الكيلومترات
شعبة كبا	١،٦٥٠
شعبة اميون — عين بطرام	٣،٢٨٠
شعبة اميون (دائرة الحكومة)	٥٣٠
بترون — بجدرفل — كفر حي — مار يوحنا مارون	١٦،٦٦٠
شعبة بجدرفل — عبرين	٢،٠١٠
مفرق (اميون كوسبا) — دوما	٢٢،٠٠٠
مار يوحنا مارون — قنات (تحت الانشاء)	٢٦،٣٨٠
بترون — دربا (تحت الانشاء)	١٣،٠٠٠
شعبة حامات (تحت الانشاء)	٣،١٨٠

فطول هذه الطرقات مع استثناء القليل جدًّا منها استخرجت عن القيود القديمة ومع عدم القطع بصحة هذا الطول المحتمل للقليل من الزيادة والنقص فهو مقارب للصحة

١٢ جسورة اللواء المهمة

تاريخ انشاء الجسورة المهمة التي أُنشئت باللواء الاول فالاول على الوجه الآتي

جسر الغدير — أُنشئ في زمن فرانقو باشا في سنة ١٢٨٦ — ١٨٧٠ وهو في الطريق التي هي من فرن الشباك الى صيدا ويسمى بالغدير لانهُ محل تجمُّع السيول

جسر رستم باشا — أُنشئ في زمن متصرفيتهِ في سنة ١٢٩١ — ١٨٧٥ على نهر بيروت في الطريق الممتد من بعبدا على طريق الحازمية الى الجديدة وهو ذو تزيينات في عماره على عقد صغير من جهة الحازمية وعقد كبير بانحناء كظهر الاتان

جسر الدامور — أُنشئ في زمن رستم باشا في تاريخ ١٢٩١ — ١٨٧٥ بالحديد والاخشاب وجزء منهُ بالاحجار بمعرفة مهندس انكليزي وطوله تقريبًا اربعون مترًا

جسر انطلياس — وهو على الطريق التي ابتداؤها من جسر بيروت الى طرابلس الشام أُنشئ في سنة ١٣٠١ — ١٨٨٣ على نهر انطلياس مركب على عقد من احجار بعين واحدة اتساع ضوئها ١٥ مترًا و٧٠ سنتيمترًا

جسر القاضي — هو على نهر الدامور في الطريق التي هي من بيت الدين الى سوق الغرب أُنشئ في زمن واصه باشا بتاريخ ١٣٠١ — ١٨٨٥ وهو مركب على عينين من الجانبين بسعة كل عين اربعة امتار ضوء وعلى عين واحدة من وسطهِ باتساع عشرة امتار وطوله ثلاثون مترًا وكان انشاؤه في محل قريب من الجسر الذي كان

بناه الامير زين الدين التنوخي الذي انهدم وبقاياه متاهدة آثارها الى الآن

جسر جديدة الشوف — أُنشئ في زمن واصه باشا على كتف من نهر الدامور في الطريق التي هي بين المختاره وبيت الدين وهو بارتفاع اثني عشر متراً عن سطح النهر في ثلاثة اعين من احجار والعين التي هي في وسطهِ باتساع عشرة امتار ضوء

جسر نهر الكلب — هو على نهر الكلب في طريق طرابلس الشام ومن كون الجسر المبني عليهِ من طرف الامراء الشهابية لم يكن صالحاً لمرور العربات والجسر الذي أُنشئ في زمن واصه باشا عند ختام انشائهِ انهدم بفيضان المياه ولكنهُ أُنشئ تكراراً في زمن المشار اليهِ في سنة ١٣٠٧ — ١٨٩١ بمعرفة المهندس قيقانو افندي بثلاثة عيون عقد بالاحجار في مسافة كل عين خمسة عشر متراً وثمانين سنتيمتراً وهو الجسر الموجود اليوم

جسر نهر ابراهيم — هو على نهر ابراهيم في طريق طرابلس الشام وان يكن أُنشئ في زمن واصه باشا بعين واحدة بالاحجار لكنهُ انهدم بهجوم المياه وفي زمن حكومة نعوم باشا أُنشئ عليهِ جسر من حديد وعين بعقد صغير من احجار لجهة بيروت وطولهُ ثمانية وعشرون متراً وهو الموجود الآن

١٣ طول الطرقات ونسبة مساحتها الى اللواء

فالطرقات التي أُنشئت في داخل اللواء بالواردات التي دخلت باليد بالاصول المار عرضها سواء كانت جيدة ام رديئة صار بيانها اعلاه وطول هذه الطرقات بلغ الف ومائة وتسعين كيلومتراً وبحسب سطحية مساحة اللواء اصاب كل كيلومتر مربع ثلاثين متراً وهو رقم يرينا انهُ لم تصل الى مقداره اهمّ ولاية معمورة في الممالك العثمانية

١٤ الغلطات الفنية الموجودة في الطرقات

فالطرقات التي أُنشئت في الاول في الممالك العثمانية أُرتكب في اكثرها كثير من الغلطات الفنية وصادف نظير تلك الغلطات في داخل اللواء بل زاد عنها بصورة ظاهرة جدًّا وهذه الغلطات نشأت قطعياً من اهمال قواعد الفن والصنعة في انشاء الطرق ولكونهم قبل الابتداء بالشغل نظروا له بتقدير سطحي جداً ولعدم ابتنائهم المساحات الاساسية على الفن وعلى وجه التقريب . وحالة كون حدل الطرقات داخل في العمليات فقد صار احالة المتر بسعر ٢٣/١٥ على حساب ريال المجيدي بسعر ٢٣/١٥ في سنة ٣٠٨ كما رؤي ذلك في دفاتر القونترااتو . فهذه الفئات منبعثة من زيادة عمليات التسوية الترابية ومن عوارض طبيعة الارض في طرقات اللواء واكثر اقسامها محاط بجدران مدعومة عالية دعا اليها الفن وعلى الخصوص كون الحدود الفنية الرائجة بنظر العموم في السنة المذكورة حيرت العقول بدرجة كانت الحدود دونها وبناء على ذلك فهذه الفئات هي من اهمال القواعد الفنية . ولكون المتعهدين ايضاً لم يكونوا تحت مراقبة تامة كان هذا سبباً لانشاء الطرقات على مقتضى شهواتهم ورغباتهم

وعلى الوجه الآتي نبين الغلطات الظاهرة في طرقات اللواء التي لا تجوز عند العموم

ا — فرش سطح الارض لم يكن على وجه متساوٍ بل في حالة سطح يساري

ب — من كون احالة الطرقات كانت على طول الامتار بدون النظر بالاوّل الى تسوية العمليات الترابية كان المتعهدون لاجل توفير المصروف يقصرون الطريق ويحيدون عن المحلات التي يلزم لها تسوية ترابية وبعكس الامر كانوا يطولون الطريق بلا لزوم في المحلات التي وُجد فيها عارض جزئي او لم يوجد فيها عوارض ابداً

ج — وكما كانوا يفرشون الطريق باحجار مكسرة بثخن اقل من اللازم كانوا في الابعاد يضعون احجاراً كبيرة بدرجة لا يجوز قبولها

د — كانوا يهربون بدون لزوم من عمليات العوارض الترابية او لاجاءات التاثيرات الخصوصية كان نصف القطر المنحني بصورة اقل كثيراً من الدرجة التي تجوز ومن محلات كثيرة نصف هذا القطر هو اقل من خمسة امتار وعدا عن ذلك كانت الدورات من محل النزول ضيقة جداً وهي في الوقت الحاضر موجبة للتهلكة ليس على الاوتوموبيلات الموجودة الآن بل ايضاً على العربات العادية

ه — طرقات الشوسه التي نقرر ان تكون بعرض اربعة امتار نرى كثيراً منها اقل من هذا العرض بل الطرقات في كل جهة ليست حائزة على نفس هذا العرض

و — ان الجدران المدعومة التي تحدد الطرق وعلى الخصوص الجدران العالية المعبأة اذا فتشنا عليها وعلى نظيرها في الانشاآت نجدها محرومة كلياً من شرائط قواعد الصنعة (وكثير من هذه الجدران هو اليوم في حالة داعية للتهلكة ومما يثبت هذا الامر ان المقدار الكبير من مصروف التصليحات في سنة ٣٣٣ تخصص لاجل هذه الجدران)

ز — ان القنوات اول خادم لحسن محافظة الطرقات فهذه أُهملت بالكلية او لم تُفتح بالدرجة الكافية

ح — ومن الصفة في الاعمال ان تكون احجار تغطية المنافذ الصغيرة بثخن كافٍ فهذه وحجارة قنوات العقد وحجارة جسورة العقد ايضاً هي جميعها في ثخن اقل كثيراً من درجة الثخن الكافي

ط — والحاصل انهُ من الشرائط اللازمة ان يكون ممر الطرقات تابع لقواعد الصنعة وعوضاً من ان يكون بزيادة خادمة للمنافع العمومية الحقيقية في البلاد رجح انتخاب بعض التاثيرات الخصوصية بالوجه المشهود

ي — فلو جرى التفتيش عن الشرائط اللازمة في الطرقات بقواعد الصنعة والفنّ وصار التطبيق في طرقات اللواء على المنافع الحقيقية من وجه الاقتصاد في البلاد باعتبار الكيفية اذ ليست الكثرة باعتبار الكمية فقط بل باعتبار الكيفية ايضاً لكانت فائقة على الطرقات الجيدة

١٥ نظر في بعض النقط المقتضاة فيما يأتي

ان الطرقات على وجه العموم عمران حياة البلاد وعدا عن التاثيرات المهمة التي تاتي منها لمعرفة

الحياة فان مع المحاسن الطبيعية التي وهبتها القدرة الفاطرة الى لبنان يوجد ايضاً اهمية خصوصية لطرقات الهواء فاقليم هذه البلاد المستثناة بلطافتها ومحاسنها جلب الى الآن المسافرين اليها في موسم الصيف · ويلزم من الآن وصاعداً زيادة السعي في الجلب لاجل تزييد ثروة البلاد ففي متاعب سنة راحة وبمقابلة اتعاب الحياة اكتساب قوة جديدة· ان ارباب اليسار الذين هم في حاجة الى ان يعيشوا شهرين من الزمان في بلاد لطيفة ويبذلون الدراهم التي يصرفونها في هذا السبيل اذا طلبوا اشياء كثيرة لاجل تأمين راحتهم من هذه البلاد فهم محقون في طلبهم ·وهذه المطالب اولها بلا شك الطرقات وعليه فطرقات جبل لبنان في حياة البلاد العمومية الاقتصادية فهذه النقطة في النظر امامنا لاجل الاصلاح و يلزم في اساس الشروط لاجل الهواء بروغرام يكون مرتباً للطرق



سرايات الحكومة

سراية بيت الدين وابنيتها

كانت بيت الدين قرية حقيرة خاملة الذكر من اقليم الشوف في لبنان قبل ان يحلَّ فيها الامير بشير عمر الكبير وكان اسكنهُ اياها وهو حديث السن الامير يوسف الشهابي في ايّام ولايتهِ على الجبل فاحبّها الامير بشير وكلف بها لحسن موقعها وطيب هوائها وعزم على صرف الهمَّة في تحسينها · فلما صارت اليهِ ولاية الجبل اراد ان يخرج نيّاتهِ الى حيز العمل فيجعل بيت الدين مقامًا اهلاً بسموّ دولتهِ

وكان اول ما باشر بهِ احياء مواتها فغرس في اراضيها شجر التوت واشجار الفاكهة وما لبث ان رأى افتقار القرية الى المياه اذ لم يكن لها سوى ماء قليل من منهل يقال لهُ عين المجن يشرب منهُ اهلها فيزدحمون عليهِ · وكان في دار الامير من الاعوان المقيمين في بابهِ ٣٠٠٠ شخص ما عدا خيل الامير والدواب فما كان الماء ليكفي شربهم هذا فضلاً عن الوافدين الى الامير من زائر وطارق وصاحب حاجة

فسدًّا لهذا الخلل انتدب الامير بشير رجلاً من اهل دمشق اسمهُ خليل عطية كان مشهوراً باشغال المياه وجلبها فتقدَّم اليهِ ان يكشف على الجهات المجاورة لبيت الدين لعلهُ يجد ضالّتهُ من المياه فيجرّها الى داره فبعد المراقبة والتفتيش وقع اختياره على ينبوع غزير بارد الماء غاية في الجودة والعذوبة يعرف بينبوع القاعة تصبُّ مياههُ في نهر الصفا احد سواعد نهر القاضي موقعهُ تحت عين زحلتا على مسافة ثلث ساعات من بيت الدين · فلم تكن تلك المسافة لتثبط عزمهُ فحفر له المهندسون قناةً في منعطف الجبل وفي ام الصخر حتى اتوا بها بعد ثلث سنوات الى بيت الدين فأحيت غروسها وغيرت هيئتها وسرَّ بها الامير ايَّ سرور والشاعره بطرس كرامة فيها موشح اوّلهُ :

صاحِ قد وافى الصفا يروي الظما   بشرابٍ كوثريّ العُسُسِ
وافاض الشهد في روض الحمى   لجلا الغمّ وبرء الانفسِ

ولما رأى الامير ما اتت بهِ تلك المياه النميرة من الخيرات فكر في بناء قصر يجاري قصور الملوك ببهائه ورونقهِ فاستقدم من الاستانة ودمشق وحلب عملة بارعين في فنّ البناء وضمهم الى مهندسين من الاجانب الايطاليين وعهد اليهم بأن يشيدوا لهُ بلاطًا من الطرز الشرقي يكون آية في محاسنه

فاختار المهندسون قلّتين واسعتين مرتفعتين تطلان على الوادي الفاصل بين دير القمر وبيت الدين فساووا ارضهما على شكل مربع تبلغ جوانبهُ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ متر وشرعوا ببناء قصر الامير سنة ١٨١٠ كما روى السائح بورخرد (Burkhardt) الذي زار الامير بشير سنة ١٨١٢ وصرّح بانهُ كان اخذ منذ عهد قريب ببناء قصرهِ واشغل البناة في تشييدهِ مشمّرين عن ساعد الجد ولم يزالوا في مواصلة العمل

حتى انتهوا منهُ بعد خمس سنوات على ما افاد السائحان الانكليزيَّان ليت (Light) ورختر (Richter) سنة ١٨١٤ عند قرب نجازه

ومما كتبا في وصفهِ انهُ على الطرز التركي الممتزج بالطرز الايطالي وانهُ غاية في الحسن على جوانبهِ اربعة جواسق بديعة الرُّواء ولهذا القصر مدخل فخيم يبلغ علوّهُ نحو ١٥ متراً نهاية في الجمال كلهُ مبني بضروب الرخام الوطني الغالي الثمن و لاجنبي الفاخر مزيَّن بنقوش ملوَّنة تأخذ بمجامع القلب وتمثل اشكالاً هندسيَّة ونباتات وتصاوير شتى تعلوها الطغراء السلطانيَّة المحلاَّة بالذهب . ولهذا المدخل افاريز لطيفة الصنع تطيف بهِ على شكل الاقواس وفوقهُ شُرف بتقاطيع جميلة . وللمدخل رتاج عظيم ذو مصراعين يوافق البناء في حسنه . وفي داخل القصر ديوان كبير واسع الارجاء يعرف بقاعة العمود — لعمود من الرخام المجزع في وسطه — كان مجهزاً بالاثاث الثمين مزداناً باصناف الحلي مفروشاً بالفسيفساء والرخام مكسوّاً بالطنافس العجمية الملوَّنة والاقمشة الهندية الزهية تترقرق في اضرافه جداول المياه الجارية اليها من فسقية في صحنه . وسقفه محلى بنقوش من الذهب والالوان مجمَّل باشكال المقرنص وعلى جدرانه النمارق والديباج بينها الكتابات البديعة المشتملة على حكم قرآنية و يصعد الى صدر الديوان بمرقاة وصفَّة عليةٍ كان يجلس فوقها الامير

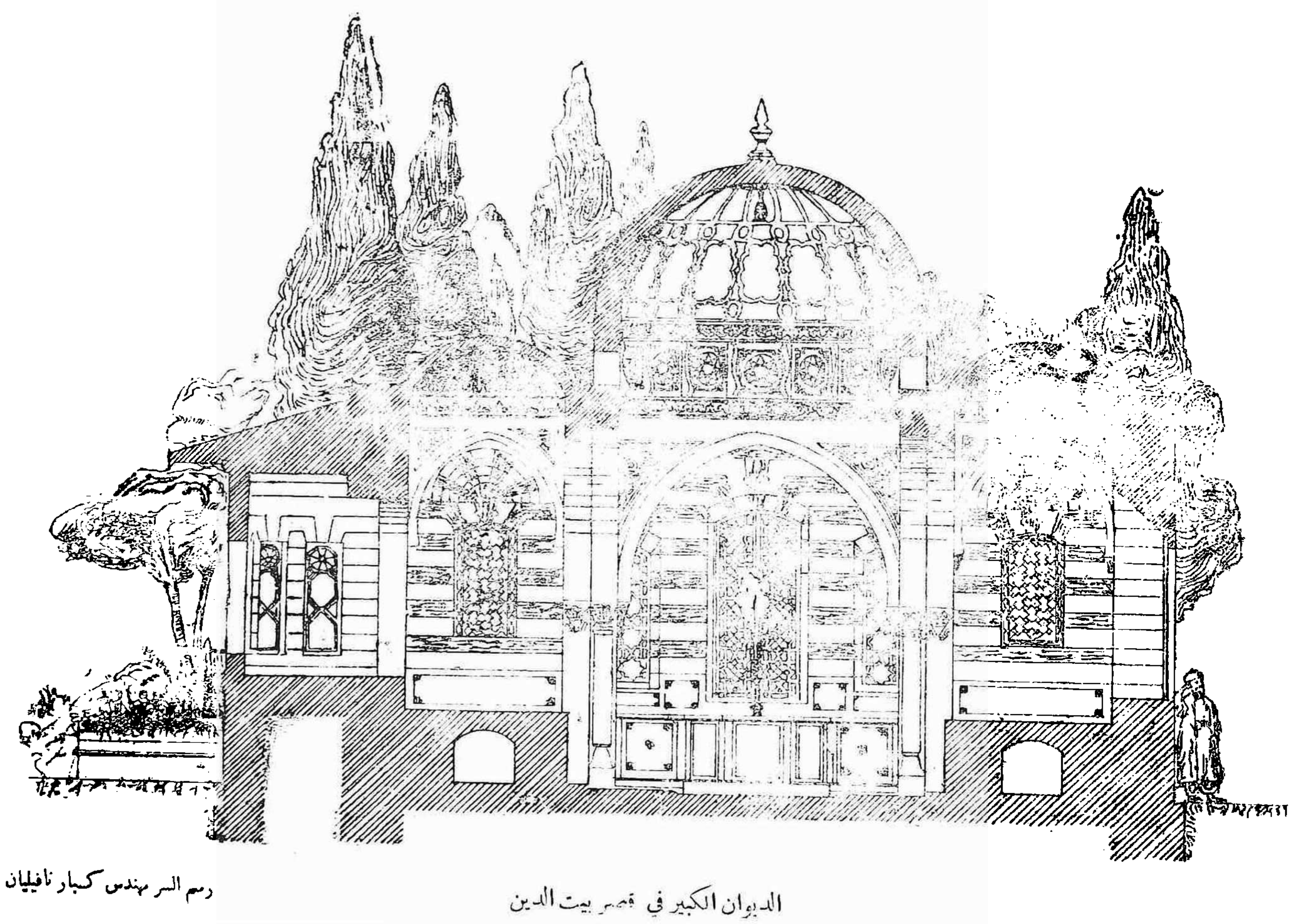
وهناك النوادي الرحبة والقاعات الرائعة فوقها طبقة ذات مقاصير ودواوين يصعد اليها بدرج الرخام وتظللها القناطر والاروقة المزخرفة . وامام القصر حوض من الرخام تتصاعد من وسطه مياه نوفرة تحلّق الى الجو ثم تنحدر على جوانب الحوض فتنكسر كقضبان اللجين ثمَّ تسيل في قني من الرخام الى حديقة الدار فتسقي ما فيها من النبات واصناف الاشجار والزهور وتلطف لظى الحر بهبواتها الرطبة

ثم بنى الامير بجوار قصره دار حرمهِ فتلطف البُناة في صنعها وعملوا لها باباً يرقى اليهِ بدرجات من الرخام مع درابزين من النحاس المموَّه بالذهب المشبك . والباب ذو نقوش عجيبة مطعم بضروب الالوان المحلاة بالميناء تطيف بهِ حنية مجزَّعة بالرخام فوقها كتابات عربية وزانوا تلك الدار بالسواري اللطيفة والاعمدة الدقيقة فسندوا اليها سقوفها على شبه مظلة ظريفة . وفي الدار المقاصير والحجر لسائر حاجات الحرم

و بنى هناك حمَّاماً ملوكيَّة وفَّر فيها اسباب الراحة والهناء وفرز لها المعاهد المبلطة بالرخام المجزَّع وجهزها على حسب حاجات الاستحمام فوضع لها المواقد والاحواض وقساطل المياه الجارية منها باردة ومنها فاترة ومنها حارَّة مع حجر خاصة للتمسيد وقاعات منفردة وديوان للراحة كما ترى في الرسم المصوَّر هنا . وقد نُقشت جدران هذه المعاهد بتصاوير تقرّ لها العين لحسن معانيها ودقة صنعها صوَّرها بعض صنعة من دمشق يستدلُّ بها على حذقهم

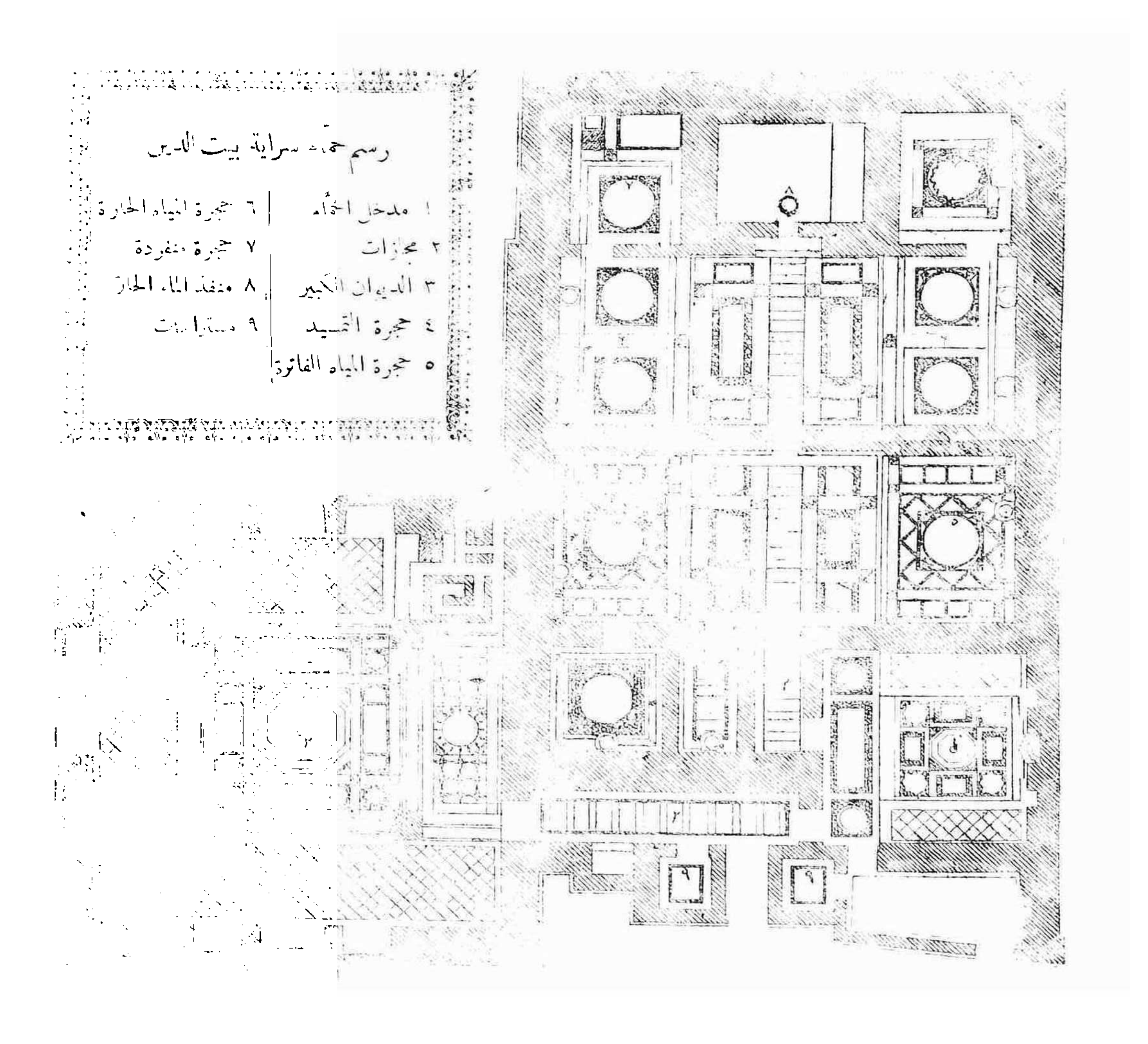
وقد اضاف الامير الى هذه الابنية الجميلة مباني اخرى على جانبي الساحة المربعة لسكن عمالهِ وخدمهِ وكان ترك الرابعة خالية من البناء ليسرّح الناظر منها بصرهُ على دير القمر وجهات البحر

وبقيت هذه السراية كآية البناء يتقاطر الاهلون والاجانب الى زيارتها تمثل لهم ما يحكى في تواريخ



رسم السر مهندس كبار نافيليان

الديوان الكبير في قصر بيت الدين
رسمهُ النصفي


رسم حمام سراية بيت الدين
١ مدخل الحمام
٢ مجازات
٣ الديوان الكبير
٤ حجرة التمسيد
٥ حجرة المياه الفاترة
٦ حجرة المياه الحارة
٧ حجرة منفردة
٨ منفذ الماء الحار
٩ مستراحات

الخلفاء عن قصور بغداد وما يروى في اقاصيص العرب وحكايات الف ليلة وليلة حتى نفي الامير الى مالطة سنة ١٨٤٠ فاتخذتها العساكر العثمانية منزلاً · وما لبث ان لحق بها الخراب · وكان السياح اذا زاروها اخذوا شيئاً من الرخام الذي كانت مزينة به قاعة العمود · فلما صار حكم الجبل الى المتصرفين بعد السنة ١٨٦٠ جعلت الدولة العلية هذه السراية مقرًّا للمتصرفية اللبنانية بدفع اجرتها لارملة الامير · وقد احدث فيها داود باشا اصلاحات مختلفة ورمّ ما خرب منها ثمّ اشتراها من ارملة الامير ملكاً للدولة · وقد بنى رستم باشا ثكنة للعساكر اللبنانية في موضع سراية الامير خليل وهو ايضاً الذي بنى هناك محبساً كبيراً محتوياً على كثير من الغرف · وفي عهد واصه باشا انشئ القسم الخارجي من الابنية المعدّة لاقامة مجلس الادارة ودوائر العدلية · وفي عهد نعوم باشا جرى اصلاح قاعة العمود والحمام القديم حتى عادا الى رونقهما السابق · على ان الحريق الذي حدث هناك في تموز سنة ١٩١٢ وانتقال متصرفية لبنان الى بعبدا قد اضرّا نوعاً بتلك السراية التي نودُّ ان تصان على رونقها القديم كمثال هندسيّ من الطرز الشرقي وتذكار الدولة الشهابية التي يعدّها اللبنانيون من مفاخر تاريخهم

وكان الامير بشير بنى على هضبة مشرفة على قصره بعلو نحو ١٥٠ متراً بناءً آخر فخماً اتخذهُ لهُ ولآلهِ مصيفاً يقضي فيهِ شهور الصيف وكان يُدعى بالمتصف فلما توفي المطران عبد الله البستاني سنة ١٨٦٦ وخلفهُ نسيبهُ الطيب الذكر المطران بطرس البستاني همّ بنقل دارهِ الاسقفيّة من مكانها القديم في مهبط بيت الدين المعروف بالانطوش الى تلك الدار فاشتراها من ارملة الامير وغرس حولها شجر الصنوبر فاصبحت مقاماً لمطارنة صيداء الى يومنا هذا

دار الحكومة في بعبدا

ان اهالي بلدة بعبدا اشتروا من بعض الامراء الشهابيين القسم الذي يخصهم من المحل المبني فيهِ دار الحكومة لاجل تركه وتخصيصه بالحكومة · وفي سنة ١٣٠٥ — ١٨٨٧ في زمن واصه باشا هُدم البناء القديم بتمامهِ وأُنشئ فيهِ الدوائر التي هي في جهة الشرق والغرب · وفي زمن نعوم باشا بتاريخ ١٣١٥ — ١٨٩٧ صار اكمال الدائرة الشمالية · وفي زمن مظفر باشا بتاريخ ١٣٢١ صار تصليح بوابة دار الحكومة ونقش عليها الطغراء السلطانية

دور الحكومة في الاقضية

دار الحكومة في زحلة — صار انشاؤها في زمن واصه باشا في سنة ١٣٠٥ — ١٨٨٨

دار الحكومة في جونية — صار انشاؤها في زمن نعوم باشا في سنة ١٣١٥ — ١٨٩٧

دار الحكومة في جزين — صار انشاؤها في زمن نعوم باشا في سنة ١٣١٥ — ١٨٩٧

دار الحكومة في بحنس — أُنشئت من طرف نعوم باشا بتاريخ ١٣١٥ — ١٨٩٧ مركزاً لتكون

اقضاء المتن الصيفي

دار حكومة البترون — أُنشئت في زمن نعوم باشا في سنة ١٣١٥ — ١٨٩٧

دار الحكومة في اميون — انشئت من طرف نعوم باشا في سنة ١٣١٦ — ١٨٩٨

دار الحكومة في دير القمر — بُنيت بتاريخ ١١٣٠ — ١٧١٢ من طرف الامير يوسف الشهابي ·
وفي زمن داود باشا أُخذت من ورثته

دار الحكومة في الشويفات — انشئت من طرف مظفر باشا بتاريخ ١٣٢٠ — ١٩٠٢ لتكون مركز قضاء الشوف

دار الحكومة في أُنفه — أُنشئت من طرف مظفر باشا سنة ١٣٢٢ — ١٩٠٤

دار الحكومة في غزير — أُنشئت في زمن مظفر باشا سنة ١٣٢٢ — ١٩٠٤

دار الحكومة في الجديدة — أُنشئت في زمن مظفر باشا سنة ١٣٢٣ — ١٩٠٥

بعبدا : السراي والقرية

المالية في لبنان

ان التاريخ المالي في جبل لبنان مبهم ومشوّش وذلك في الازمنة السابقة التي هي قبل تاريخ ١٢٦٠ — ١٨٤٥ ومنذ الفتح حتى في الازمنة التي كان تابعاً فيها لايالة صيداء بقي الويركو تحت ادارة مستثناة وكان يجري استيفاؤه بواسطة الامراء الاهليين بالصورة التي يوزعونها على المسقفات والاراضي · وعند تبدل الامراء كان يعتري ذلك تعديلات وتغييرات مختلفة على انواع شتى يجري طرحها وتحصيلها بصورة مشوشة

وفي اثناء استيلاء ابراهيم باشا المصري على سورية كان مال الميري الموضوع على المسقفات والاراضي بمقدار مليون وثلاثمائة الف غرش زاد على المقدار المذكور مليوناً وثلاثمائة الف غرش اخرى باسم « اعانة جهادية » وبعبارة اخرى « بدل عسكري » وبذلك بلغ مقدار الويركو مليونين وسبعمائة غرش ودام استيفاء هذا الويركو مدة من بعده الى تاريخ ١٢٦٠ — ١٨٤٥ زمن المرحوم شكيب افندي الذي تسمى مأموراً للاصلاحات في جبل لبنان · فوجد ان المقدار المذكور هو فوق استطاعة الاهالي فانزل هذا الويركو الى ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس فهذا هو الاساس اي الحد الاصغر عن الويركو المقطوع في نظام جبل لبنان[1]

وعقيب الواقعة المعلومة سنة ١٨٦٠ تقرر في القومسيون الملتئم تحت رئاسة المرحوم فؤاد باشا مع خمسة من قناصل الدول وذلك في ١٥ تشرين الاول ١٨٦١ ان يكون هذا المقدار هو الاساس وان يكون مرعيّ الاجراء على مدة ثلاث سنوات وقد صادق الباب العالي على هذا القرار مع امكان ابلاغ هذه الثلاثة آلاف وخمسمائة كيس في المستقبل الى سبعة آلاف كيس لتكون هذه الزيادة للمصروفات العمومية التي تنحصر في منافع الجبل ويكون ذلك بانضمام وموافقة رأي مجلس الادارة حسب مساعدة الحال والموقع وان الفضلة التي تحصل من ذلك تدخل في خزينة الدولة والعجز الذي يظهر تصير تسويتهُ من خزينة الدولة

وعلى مقتضى هذا النظام الموقت الذي منح الامتياز لجبل لبنان رأى داود باشا الذي هو اول متصرف تعين له لزوماً لاحداث شعبات مختلفة اداريّة وان هذا المقدار لا يكفي لرتبات مأمورين وُظفوا عوضاً عن المقاطعجية وامثالهم ورأى ان مزيد الواردات متوقف على اجراء مساحة عمومية فأرجأ حينئذٍ امر مزيد الواردات الى زمن مناسب

فالمادة الخامسة عشرة من النظام الموقت الآنف الذكر الصادر بتاريخ ١٨٦٤ — ١٢٨١ تبين ان امر توسيع القسم المتعلق بالامور المالية وتعديله من صلاحية المتصرف · وكذلك المادة السادسة عشرة تبين ان تأمين المساحة والتحرير من صلاحيته ايضاً · ففي عهد داود باشا صار ابلاغ « مال الميري » اي « الويركو

(١) حاشية : انهُ في الصحيفة ٣٩١ من المجلد الاول من الكتاب المسمى اثر مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية يوجد بيان وتفصيل الويركو او مال الميري والاعانة الجهادية التي بُلغ صورة توزيعها الى الاقضية في سنة ١٢٦٠

المقطوع» او «المال المقطوع» و«المال المحدود» الى سبعة آلاف كيس يعني ٣٥٠٠٠ ليرا وجرت مساحة الاراضي المملوكة المزروعة بصورة بسيطة وصار طرح وتوزيع ذلك في الوجه والصورة الآتي بيانها

وبناء على اهمية المادة النظامية التي وضعت اساساً لمالية الجبل رأينا ان ندرجها بعينها

المادة ٥ — ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل ويركو الجبل المعين الآن ثلاثة آلاف وخمسمائة كيس وذلك على يد المتصرف على انهُ يجوز ابلاغ هذا المقدار الى سبعة آلاف كيس عند الامكان بحيث ان المال المتحصل يخصص بادئ بدء لادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية فان فضل منهُ شيء ردّ الفضل الى الخزينة وان اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً في التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيد الى مصاريف الخزينة الجليلة · اما واردات البكليك اي حاصلات الاملاك الهمايونية بحيث انها ليست بداخلة ضمن الويركو فينبغي ادخارها في صندوق الجبل حساب الخزينة الجليلة · على ان السلطنة السنية لا تقوم باداء مصاريف المنشئات العمومية وسائر النفقات غير العادية ما لم يتقدم قبولها لها وتصديقها عليها

الويركو المقطوع او المال المقطوع او المال المحدود

ان اساس الويركو المقطوع وبعبارة اخرى البدل العسكري او «الاعانة الجهادية» على الوجه الذي سردناه وبناء على كون ويركو الاراضي والمسقفات صارا ممزوجين فبهذا الاعتبار اقتضى الحال تقسيمهُ الى قسمين

١ — رسم الاعناق ويقال لهُ عند العامة «فريضة»

٢ — ويركو الاملاك

※رسم الاعناق※ في تحرير النفوس الذي جرى في المرة الاولى صار استثناء كل من كان عمره اقل من خمس عشرة سنة من الاولاد الذكور والاناث بوجه العموم فالمكلفون بدفع الاعناق صار قيدهم بصورة ابتدائية بسيطة للغاية · فبلغ مجموع النفوس تسعة وتسعين الفاً وثمانمائة واربعة وثلاثين · فهذا عدد النفوس المكلفين على كل واحد منهم ثمانية غروش وثلاثون باره ويركو في السنة · يكون مجموع قيمة ذلك ٠/ ٨٧٣،٥٤٧ ومع كون عدد نفوس الجبل ازداد لم يتبدل الويركو الى الآن ويجري قبض ذلك بمعرفة المختارين ومشايخ الصلح بتوزيعه على القرى والمدن

※ويركو الاملاك※ هذا الويركو موضوع على ايراد وحاصلات الاملاك السنوية ونظراً لكون التخمين والتحرير صار اجراؤهما بصورة ابتدائية وبسيطة فقد كان ايراد وحاصلات الاملاك المحررة عن كل ثلاثمائة وستين غرشاً درهم واحد وكل درهم اربعة وعشرون قيراطاً واعتبر كل قيراط اربعة وعشرين حبة والدرهم الواحد واحد وعشرون غرشاً صار تابعاً للويركو

وحيث ظهر ان نتيجة مساحة الاراضي المزروعة والمملوكة ١٢٥،٠٦٩ درهماً واربعة قراريط فصار اعتبار ويركو الاملاك ٥/ ٢،٦٢٦،٤٥٢ غرشاً

يكون المال المقطوع

ويركو الاعناق	٨٧٣،٥٤٧ /د
ويركو الاملاك	٢،٦٢٦،٤٥٢ /ه
	٣،٥٠٠،٠٠٠

وعلى الوجه الآتي بيانهُ ان الاراضي والاشجار التي سميت باسم املاك اميرية وفي الحقيقة القسم الاعظم منها في عهدة اشخاص بما ان الحكومة تأخذ عنها حصة معينة بحسب جنسها ونوعها وهي التي يقال لها في النظام « بهالق » اعتبرت خارجة عن المال المقطوع

اما قرية المعيصرة المختلف في امر استتباعها لجبل لبنان او حكومة طرابلس الشام حيث يجري تحصيل الويركو المترتب عليها من طرف حكومة طرابلس فمقدار ذلك الويركو البالغ ٥٩،١٤٠ غرشاً فان حكومة الجبل تجري تنزيل هذه القيمة من المال المقطوع

وبتطبيق الجباية والتحصيل على هذا الاساس العجيب قد ظهر كسور حساب في النقود ومن اجل بعض الاماكن التي يمكن ادخالها في دفتر المساحة والتحرير ظهر فضلة تقرب من الفين واربعمائة غرش وكسور في مجموع التحصيلات . بناءً على ذلك ادخلت هذه الفضلة بالدفتر منفردة عن غيرها بصفة انها « زيادة تحصيل الويركو » واخيراً ادخلت بحساب المهملات التي سيأتي فيما بعد بيان ماهيتها

وبالنظر لهذا التخمين والمساحة وتحرير النفوس تبين ان المبالغ التي اصابت كل طائفة من الطوائف المختلفة من المال المقطوع كما هو مدرج في الجدول الآتي

جدول

مبين فيهِ مقدار المال المقطوع الذي التحق بالطوائف المختلفة حسب عدد النفوس الاصلي والمساحة

طوائف	عدد ذكور	ويركو الشخصي		درهم	قيراط	حبة	ويركو الاملاك		يكون	
		باره	غروش				باره	غروش	باره	غروش
اسلام	٣،٣٩٤		٢٩،١٩٧	٨،٢٥١			٢٠	١٧٣،٢٧١	٣٠	٢٠٢،٩٦٨
دروز	١٢،٤٦٧		١٠٩،٠٨٦	٢٩،٤٤٩				٦١٨،٤٢٩		٧٢٧،٥١٥
متاولة	٤،٢١٢		٣٦،٨٥٥	٢،٨٤١				٥٩،٦٦١		٩٦،٥١٦
موارنة	٥٧،٤٢٠		٥٠٢،٤٢٥	٦٤،٠٣٠				١،٣٤٤،٦٣٠		١،٨٤٧،٠٥٥
روم ارثوذكس	١٣،٥٥٢		١١٨،٥٨٠	١٣،٨١٢				٢٩٠،٠٥٢		٤٠٨،٦٣٢
روم كاثوليك	٨،٦١٧		٧٥،٣٩٨	٦،٣٥٥			٣٠	١٣٣،٤٥٥	٣٠	٢٠٨،٨٥٣
بروتستانت	١٧٢	٣٠	١،٥٠٥	٣٣١	٤	٧		٦،٩٥٤	٣٠	٨،٤٥٩
يكون	٩٩،٨٣٤	٣٠	٨٧٣،٥٤٧	١٢٥،٠٦٩	٤	٧	١٠	٢،٦٢٦،٤٥٢		٣،٥٠٠،٠٠٠

الاملاك الهمايونية او الاملاك الاميرية

ان الاملاك الاميرية المبين في النظام الاساسي تسليمها الى صندوق الجبل حساب الخزينة الجليلة باسم الاملاك الهمايونية مشوش في امر حقوقها المتصرفية وصورة انتقالها ونوعها وماهيتها

ان الحاصلات السنوية لمجموع تلك الاملاك المسماة « بكليك » وقد تكونت بالاخذ من الاعيان والاهالي في دور الامراء، والمتسلمين وانتقلت من الاسلاف الى الاخلاف فتلك الحاصلات قد خصصوا وارداتها السنوية لمصروف المطبخ الخاص لامراء الجبل فيما مضى ودام هذا الامر لحد نهاية الامير بشير الشهابي

ولدى تشكيل المتصرفية فهذه الاملاك والاراضي واملاك المزروعة والمملوكة صار تخمينها ومساحتها وتقييد مجموعها ٣٠٠ ٢ درهم منها ثلاثة آلاف درهم مقيدة في كسروان والمتن ومائة واربعون درهماً في البترون وخمسة آلاف وثلاثمائة درهم في الكورة

وان يكن مصرح في النظام بان حاصلات الاملاك المذكورة تسلم الى صندوق الجبل حساب الخزينة ولكن صندوق الجبل لم يرسل الى خزينة المالية ولا بارة واحدة بل صرفها في داخل موازنته

هذه الاملاك التي جميع رقابها عائدة الى الميري عدا عن كونها من الاملاك الاميرية الصرفة فهي تابعة الى الاصول المسماة « مشد مسكة » في هذه الجبات فهذه الاملاك الاميرية بحسب جنسها ونوعها واصول ادارتها وكيفية التصرف بها وجبايتها هي على الوجه الآتي

١ — الرقبة والحقوق السائرة من هذه الاملاك التي كاملها عائدة تماماً الى الاملاك الاميرية (وهذه يوجد منها في قضاء الكورة في قريتي كفرعقار وكفر قاهل زيتون وبعض طواحين وبقية اشياء من قبيل المسقفات) هذه يصير تحصيل حاصلاتها كل سنة بطريق الالتزام

٢ — الاراضي المشجرة التي بان بيعها وانتقالها بصكوك والتصرف بها وبما عليها من الاشجار عائد الى الاهالي . فهذه الاراضي قسم من اشجار بعضها عائد الى الميري

٣ — الاراضي غير المشجرة التي يقال لها اراضي « السليخ » او « الاراضي البيضاء » فهذه رقابها للميري وحقوق التصرف بها عائدة الى واضع اليد عليها بوجود سند المسكة » وفي القديم كانت الدولة تستوفي حصتها السبعية من هذه الاراضي بطريق الالتزام . والذي فهم بان قسماً من هذه الاراضي التي تحول البعض منها الى شكل بستان او جنينة او لاجل احداث بنايات بها كان يصير احالته الى الاهالي برسم مقطوع في السنة بقرار من مجلس الادارة

٤ — يوجد في الاراضي الواقع التصرف بها من طرف الاهالي قسم من الاشجار عائد للميري وكذلك الاراضي المشجرة او التي بها قصب الغزل مشتركة مع الميري

٥ — الاملاك التابعة ادارتها وجبايتها للمعاملات المخصوصة . الحكومة تستوفي الويركو عن الاراضي المشجرة بموجب الجدول الآتي بيانهُ :

بارة	غروش	
٣٠	١٨	عن مائة شجرة زيتون
٢٠	٠٧	عن مائة شجرة سفرجل
٢٠	٠٧	عن مائة شجرة توت
٢٠	٠٧	عن مائة شجرة تين
٣٠	٠٣	عن مائة شجرة حور
٠٠	٣٠٠	عن مائة شجرة جوز
٣٠	٠٠٣	عن مائة شجرة دوالي
٢٠	٠٠٧	عن كل مساحة كائنة بين الاشجار قابلة للزرع
٢٠	٠٦٢	عن كل ارض تحرث على زوج فدان « وهذه يقال لها فلاحية »

بعض المزارع من الاملاك الاميرية التابعة لمعاملات مخصوصة : مزرعة بصرما في الكورة مربوطة ببدل مقطوع مئتي غرش · قصب الغزار في المري بجوار قرية شكا في الكورة حق التصرف به مناصفة مع الاهالي

مزرعة سلوقية في شمسطار بينما كانت في حينها تدار كسائر الاملاك الاميرية فقد ربطت ببدل مقطوع قدره ١٣٠٠ غرش بموجب قرار من شورى الدولة

الاشجار اليابسة من احراج الهرمل وشمسطار كان يصير تلزيمها قبلاً كل ثلاث سنين مرة بصورة المزايدة بقرار مجلس الادارة

الباقي من الاراضي التي قلعت منها احراجها كان يصير احالتها الى الاهالي ببدل مقطوع سنوي بقرار مجلس الادارة

احراج الميري عقب تشكيلات ادارة الزراعة والاحراج سنة ١٣٣١ — ١٣٣٢ جار ادارتها الآن نظير ادارة احراج الميري في سائر الولايات

ان ايرادات الموازنة المربوطة بحسابات وقيود مضبوطة تجاه خزينة المالية كانت مادة مديدة من هذين القلمين اعني بهما الويركو المقطوع وحاصلات الاملاك الهمايونية

كان رسوم المحاكم والذي جرى تطبيقهُ سنة ١٣٠١ من رسوم البسابورط ايضاً التي ادخلت ضمن المهملات التي سيأتي التفصيل والايضاح عن كيفية وضعها وجبايتها كذلك أضيفت لحساب خزينة المالية وعلى ذلك صار اعتبار واردات الخزينة العمومية اربعة اقلام

ومقدار الواردات المذكورة في البودجه العمومية سنة ١٣٢٩ صار درجه ادناه

باره	غروش	
٢٠	٣٫٤٤٠٫٨٥٩	الويركو المقطوع
٣٥	٤٥٥٫٦١٩	الاملاك الاميرية
٢٥	٦٥٨٫١٦٨	رسوم المحاكم
٢٠	٢٤٣٫٦٤٦	رسوم البسابورط ورسوم متفرقة
٢٠	٤٫٧٩٨٫٢٩٤	

(١) في ابتداء تشكيل المتصرفية كان يؤخذ رسوم المحاكم عن الاعلامات الحقوقية لا غير ٠ وكان يؤخذ الرسم عن الدعاوي المعيَّن قيمتها بالالف عشرة غروش يعني بالمائة واحد والكسورات دائماً تعتبر مائة غرش ودعاوي العقار الغير المعين قيمتها او التي لا يمكن تعيين قيمتها نظير دعاوي حق المرور ٠ حق الشرب ٠ حق المسيل ٠ حق الشفعة ٠ الاعتراض على الحكم ٠ كان يؤخذ عنها رسم مقطوع خمسون غرشاً والرسم كان يؤخذ ربعهُ نقداً والباقي عند ختام الدعوى

وفي سنة ١٣٢٤ صار اخذ رسم المحاكم من حساب المهملات ودرج لحساب الخزينة

(٢) في تاريخ ١٣٠١ عندما ابتُدئ بتطبيق رسم البسابورط الى سنة ١٣٠٨ كان يرسل الى دار السعادة ومن بعد التاريخ المذكور تخصص لمصارفات المحلية وكان يؤخذ رسم بسابورط مائة غرش من الاشخاص الذين يريدون سياحة ويؤخذ على حدة رسم كفالة عشرون غرشاً ٠ ورسم الكفالة تصير جبايتهُ لحساب المهملات

المهملات

ان الواردات الاصلية المذكورة والمربوطة بجبل لبنان تجاه الخزينة المالية بما انها لم تعد كافية للقيام بوظائف الحكومة المتفرعة التي ازدادت توسعاً بحسب احتياج البلاد الآخذة بالتقدم مع الايام فاعتباراً من تاريخ ١٣٨٤ احدث تدريجاً جملة واردات ابتدأت من رسوم القبان والكيالة بقرار من مجلس الادارة الكبير

فهذه الرسوم الحديثة التي سميت « مهملات » لم يجرِ ضمها لحساب مالية الخزينة بل كان دخلها وصورة صرفها منوطاً بصلاحية المجلس المذكور وصار الى موازنة مستقلة وترتب له حسابات متفرعة مخصوصة

وعلى الوجه الآتي بيان مفردات المهملات في بودجه سنة ١٣٢٩

باره	غروش	
١٥	٢٦٨٫٢٧٤	رسوم تعداد الاغنام
٣٠	٠٠٣٫١٣٨	فضلة المال المقطوع
٠٠	٤٤٫٤٠٠	رسم كفالة البسابورط
٠٠	٢٢٫٣١٧	رسوم المغالق المستجدة

٠٠	٨٣،٠٠٧	رسم محصول دائرة الاجراء
٠٠	٠٣،٦٣٩	رسم صور طبق الاصل
٢٥	٠٢،٧٩٤	ثمن اوراق مطبوعة
٠٠	٤٥،٧٢١	ثمن تذاكر الصيد والسلاح
٠٠	٧٢،٣١٤	رسوم الاعلانات في الجريدة
١٠	٢٢٨،١٥٦	رسم العربات والطنابر
٠٠	٠٢٦،٦٣٨	بدلات اشتراك الجريدة الرسمية
٠٥	٠٠٢،٨٣٦	ثمن تذاكر النفوس
٠٠	٠٣٥،١٥٤	رسوم تصديق مضابط مجلس الادارة والوكالات الاجنبية
٠٠	٣٢٠،٠٠٠	رسم الدخان
		رسم التنباك (بناء على فسخ الشركة في سنة ٣٢٩ ما صار تحصيله)
		الرسم المقطوع على خط سكة حديد بيروت وجونية (هذا قطع بعد اعلان الحرب)
١٠	٠٠٤،١٨٢	الجزاء النقدي
٠٠	٠٠٥،٠١٤	الاستردادات
٠٥	٣٢،٠٦٩	رسوم محلات القمار
١٢	٤٦٧،١١٦	رسوم الملح
١٥	٠٠٢،٣٥٢	فرق العملة
٧	١،٦٦٩،١٢٤	

رسوم القبان والكيالة أُخذت مؤخراً من طرف البلديات

ايضاحات

التعداد — كان يؤخذ عن راس الماعز غرشان وعن راس الغنم غرشان ونصف غرش ومن الاهالي المتجولين من البدو او النور عن كل شخص مكلف خمسة عشر غرشاً وهذه الرسوم كانت تعطى بالالتزام بقرار من طرف مجلس الادارة

فضلة المال المقطوع }
رسوم كفالة البسابورط } وضح عنها اعلاه

المغالق المستجدة—البنايات في الجبل لم تكن تابعة الى الرسوم انما سداً للعجز عن الموازنة قرر مجلس الادارة بتاريخ ١٥ كانون اول سنة ٣٢٣ أن يؤخذ رسم بالمائة اثنان من الايراد السنوي من الابنية التي تعطي ايراداً نظير معامل الحياكة٠ والطواحين ٠ والدكاكين ٠ والخانات ٠ واللوكندات ٠ وكل خمس سنين كان يصير

تحريرها بمعرفة هيئة مخصوصة وفي السنين الاخيرة صار البلاغ الرسم الى اثنين ونصف في المائة

الحصول الرسمي — في القديم كان يجري تحصيله بمعرفة القائمقاميين ومؤخراً رسوم المحاكم صارت تؤخذ باسم عائدات مجلس الادارة المالية بنسبة اثنان ونصف من طرف مأموري الاجراء

رسم التصديق طبق الاصل — كان يؤخذ عشرون غرشاً عن كل نوع من الاوراق التي يصير اخراج نسخ عنها مصدقة عن القيود بناء على مراجعة اصحابها

الاوراق المطبوعة — غرش واحد قيمة ورقة الكفالة المطبوعة

تذاكر الصيد والسلاح — مدة تذكر الصيد من اغستوس الى نهاية شباط يؤخذ عنها رسم عشرون غرشاً ومدة صيد الحمام والبط من مارت الى غاية مايس يؤخذ عشرة غروش

رسم حمل السلاح — يؤخذ عشرة غروش رسم حمل السلاح وعشرة غروش رسم الكفالة

رسوم الاعلانات — يؤخذ عشرون غرشاً عن اعلامات المحاكم لاجل نشرها واعلانها في الجريدة الرسمية

رسوم العربيات — كان يؤخذ عن العربيات والقناطر بصورة الالتزام بالمزايدة عن كل سنتين مرة واحدة وبعد ذلك ابتُدئ بإدارتها بالامانة وتعريفتها مدرجة ادناه

غروش	مجيدي	ليرا	
		٣	عن عربيات الاجرة
	٨		عن العربيات المخصوصة
	١٢		عن عربيات البوستة
		٦	عن الاتوموبيلات
		١٠	عن اوتوموبيلات الشحن
١٣٥٠			(الفارو) عن عربيات الشحن الكبار التي هي على ثلاث او اربع حيوانات
٧٥٠			(الطومبر) عن العربيات الكبار ام الصغار التي هي على راس واحد

اشتراك الجريدة الرسمية — ريالان مجيدي

ثمن تذكرة النفوس — في القديم كان ثلاثة غروش عن الذكر وغرش ونصف عن الانثى وبعده على مقتضى التعليمات المخصوصة صار تنزيله الى غرشين وغرش

رسوم التصديق على الوكالات الاجنبية مع مضابط مجلس الادارة — يؤخذ عشرون غرشاً عن صور مضابط مجلس الادارة المصدقة واربعون غرشاً عن التصديق على الوكالات العمومية المرسلة من البلاد الاجنبية وعشرون غرشاً عن الوكالة المخصوصة

رسم الدخان — من كون جبل لبنان هو خارج عن دائرة انحصار شركة الرزي فلاجل اشتراكه في المنفعة صارت المقاولة بينهما على بيع تونون الرزي في الجبل وان تكون هذه المقاولة مقيدة على مدة ست

سنوات من تاريخ ١ مارت ٣٠٨ الى تاريخ ١٤ مارت سنة ١٣١٤ وبموجبها يؤخذ رسم من ادارة الرژي وتمنع متصرفية جبل لبنان دخول التوتون الاجنبي والسيكارات الاجنبية الى الجبل او عملها وبيعها في الجبل ولكن التوتون الذي هو من مزروعات الجبل يكون حرًّا والمتصرفية تساعد الرژي في منع دخول توتون الجبل الى المحلات التي هي داخل انحصار الرژي وهكذا شروط اساسية مع متفرعاتها واذا حصل بيعات في الجبل من محصولاتها ياخذ الجبل عن ذلك قومسيونًا في المائة عشرة واذا حصل زيادة عن المقدار المذكور يؤخذ عنها في المائة اربعة عشر ودامت احكام هذه المقاولة لحد ختام مدتها

رسم التنباك — كذلك التنباك في جبل لبنان هو نظير التوتون خارج عن دائرة الانحصار ففي زمان يوسف فرانقو باشا صار عقد مقاولة مع شركة التنباك على مدة ست سنوات اعتباراً من تاريخ ١٨ اغستوس سنة ١٩٠٨ وبموجب هذه المقاولة المنعقدة كان من الشروط ان اسعار المبيع لا تتجاوز اسعار الولايات المجاورة وان يصير منع ادخال التنباك الذي لا يخص الشركة الى الجبل وتقرر انهُ اذا بلغت المبيعات مقدار اربعين الف كيلو يؤخذ الرسم عن كل كيلو ثلاثة غروش واذا زادت عن ستين الف كيلو يؤخذ الرسم عن الزائد عن كل كيلو خمسة غروش

الرسم المقطوع على خط سكة حديد بيروت وجونية — لاجل خط سكة الحديد من بيروت الى المعاملتين كانت شركة خط سكة الحديد من بيروت الى الشام تدفع رسماً مقطوعاً خمسة عشر الف غرش في السنة

الجزاء النقدي — كانت تعيّن الادارة مقدار الجزاء النقدي الذي يؤخذ من الذين يحدث منهم حركة مخالفة لاوامر الحكومة

رسم القمار — أُخذ فقط في سنة الف وثلاثمائة وتسع وعشرين

رسم الملح — أُحدث سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين من طرف اوهانس باشا ليكون مداراً لسد النقص في الميزانية والى التاريخ المذكور كان حق ادخال الملح منحصراً في الديون العمومية · جعل اوهانس باشا ادخال الملح الى الجبل حرًّا على شرط ان الحكومة تأخذ في المائة خمسة وعشرين عيناً من الملح الداخل الى الجبل

ربع المجيدي

ما عدا حساب المهملات والخزينة الذي يتشكل منهُ الموازنة المخصوصة لجبل لبنان يوجد ايضاً حساب ربع المجيدي فهذا ابتداءً كان يلزم ذكر حسابه مع المهملات على حدة وبما انهُ جرى تفريقهُ لاجل ان يصرف الى ما وضع لاجله رؤي من المناسب قيده ذيلاً الى المهملات · وكان طرح رسم ربع المجيدي على النفوس لاجل انشاء وتصليح جميع طرقات الشوسه التي تربط جميع قرى ومدن الجبل المختلفة ما عدا الطرقات العمومية الممتدة من فرن الشباك الى بيت الدين ومن الحازمية الى طرابلس الشام بما فيهِ شعبة بكركي وكذا الممتدان الى صيدا والشام اعتبرا خارجين

في بداية التأسيس بتاريخ ١ ايلول سنة ٣٠٢ اعتبر ان ثلث المكلفين للعدد الاصلي مجبورون لايفاء

هذا الرسم واخيراً شمل الجميع · ففي بعض السنين بحسب كميات الطرق التي أنشئت او اصلحت في الاقضية وجد ان الرسم اخذ على نصف نفوس بعض الاقضية او زيادة عن النصف · واعتباراً من سنة ٣٣٢ الذي هو تاريخ اصول الموازنة العمومية للجبل صار رفع الفروقات من بعض الاقضية والآن جاري استيفاء عشرين غرشاً عن النفوس المكلفة

خلاصة

نظراً لاقسام الواردات على الوجه الموضح اعلاه تكون ارقام موازنة سنة ١٣٢٩ على الوجه الآتي بيانه[1]

باره	غروش	
١٥	٥,٠٤٣,٤٨٣	واردات الخزينة
٣٢	٢,١٨٠,٦٠٨	المهملات
١٠	٩٥٣,٥٨٦	ربع المجيدي
١٧	٨,١٧٦,٦٧٨	

اكمالاً للمعلومات العائدة لقسم الواردات من موازنة الجبل يجب اعطاء معلومات مجملة عن التقاعدية ايضاً

قبلاً لم تكن معاملة التقاعدية جارية في حق مأموري جبل لبنان ولكن مؤخراً لما كان المتصرف والمحاسبجي منصوبين من العاصمة وبين المأمورين المحليين من لهم خدمات قبلاً في الولايات السائرة وقد اعطوا العائدات التقاعدية وبناء عليه دخلوا في ترتيب التقاعد فلاجل ان لا تختل بودجه الجبل صار يؤخذ عائدات تقاعدية من معاشات المذكورين ومعاشات الژاندرمه وترسل الى نظارة التقاعد ومؤخراً صارت ترسل الى محاسبة ولاية بيروت بناء على جعل معاملات الجبل التقاعدية تابعة الى بيروت · هذه العائدات مقيدة في بودجه سنة ١٣٢٩ ومبلغها ١٠٢,٩٢٦

مصارف

بودجه المصارف تحتوي على حسابات ربع المجيدي والمهملات والخزينة على ان تكون متقابلة مع بودجه الواردات

حينما لا يكون ربع المجيدي كافياً لمصارف انشاء وتصليح الطرق المخصص لها كان يسدّ العجز من واردات سائر المهملات بقرار من مجلس الادارة · كذلك حين لا تكفي واردات الخزينة للمعاشات والمصارف كان يسدّ ذلك العجز من المهملات

واردات ومصارف بودجه سنة ١٣٢٩ قد تذيلت في الجدولين التابعين :

(١) مقدار النفوس المكلفين الذين ثبت اعتبار مقدارهم سنة ١٢٨١ اعتبر عددهم ٩٩,٨٣٤ بعدد نفوس ذلك الزمان على الوجه الذي تقدم بيانهُ

جدول عمومي عن الصرفيات في سنة ٣٢٩ من حسابات الخزينة والمهملات

يكون باره	يكون غروش	خزينة باره	خزينة غروش	مهملات باره	مهملات غروش	ملاحظات
٢٥	٣٣٩٥٢١٥	٢٥	٣٣٩٥٢١٥	٠		مال ويركو الارزاق والاعناق
٢٠	٣٣٤٦٨١	٢٠	٣٣٤٦٨١	٠		حاصلات الاملاك الاميرية
٢٥	٦٥٨١٦٨	٢٥	٦٥٨١٦٨	٠		رسوم المحاكم
٢٠	٢٤٣٦٤٦	٢٠	٢٤٣٦٤٦	٠		ثمن البسابورط ورسوم متفرقة
٥	٤١٠٧٧١	٥	٤١٠٧٧١	٠		تحصيلات من بقايا السنين السابقة
١٥	٢٦٨٢٧٤		٠	١٥	٢٦٨٢٧٤	رسوم تعداد الاغنام
٣٠	٣١٣٨		٠	٣٠	٣١٣٨	زيادة توزيع الويركو
	٤٤٤٠٠		٠		٤٤٤٠٠	رسم كفالة البسابورط
	٢٢٣١٧		٠		٢٢٣١٧	رسوم المفالق المستجدة
	٨٣٠٠٧		٠		٨٣٠٠٧	رسم محصول دائرة الاجراء
	٣٦٣٩		٠		٣٦٣٩	رسم صور طبق الاصل
٢٥	٢٧٨٤		٠	٢٥	٢٧٨٤	ثمن اوراق مطبوعة
	٤٥٧٢١		٠		٤٥٧٢١	ثمن تذاكر الصيد والسلاح
	٧٢٣١٤		٠		٧٢٣١٤	رسوم الاعلانات في الجريدة
١٠	٢٢٨١٥٦		٠	١٠	٢٢٨١٥٦	رسوم العربات والطنابر
	٢٦٦٣٨		٠		٢٦٦٣٨	بدلات اشتراك الجريدة الرسمية
٥	٢٨٣٦		٠	٥	٢٨٣٦	ثمن تذاكر النفوس
	٣٥١٥٤		٠		٣٥١٥٤	رسم تصديق مضابط مجلس الادارة والوكالات الاجنبية
	٣٢٠٠٠٠		٠		٣٢٠٠٠٠	رسم الدخان
	٢١٩٣		٠		٢١٩٣	ثمن التنباك المهرب
١٠	٤١٨٢		٠	١٠	٤١٨٢	الجزاء النقدي عن مخالفون الاوامر
	٥٠١٤		٠		٥٠١٤	استرداد
٥	٣٢٠٦٩		٠	٥	٣٢٠٦٩	رسوم محلات القمار
٣٠	١١٦٥		٠	٣٠	١١٦٥	ثمن بعض ادوات قديمة لادارة الجريدة
١٢	٤٦٧١١٦		٠	١٢	٤٦٧١١٦	رسوم الملح
١٥	٢٣٥٢		٠	١٥	٢٣٥٢	فرق عملة
٣٥	٥٠٨١٣٥		٠	٣٥	٥٠٨١٣٥	تحصيلات بقايا سنين سابقة
٠٧	٧٢٢٣٠٩٢	١٥	٥٠٤٢٤٨٣	٣٢	٢١٨٠٦٠٨	يكون

جدول عمومي عن المصرفيات في سنة ٣٢٩ من حسابات الخزينة والمهملات

ملاحظات	مهملات غروش	مهملات باره	خزينة غروش	خزينة باره	يكون غروش	يكون باره
معاشات مأمورين	١٣١٣٦٣	٣٠	١٩٨٧١٣٥	١٠	٣١١٨٣٨٨	
« ژاندارمه	٢٤٣٩٧٦	٣٥	٢٨٣٦١٧٠		٣٠٧٩١٤٦	٣٥
مصارفات فوق العادة للمتصرفية		٠	٤٨٠٠٠		٤٨٠٠٠	
مصارف دورية		٠	٣٠٠٠٠		٣٠٠٠٠	
مرتب قهوجيقدار المتصرفية		٠	٣٤٣٠		٣٤٣٠	
ايجار دار سكن دولته		٠	١٩٨٣١	٣٥	١٩٨٣١	٣٥
مفروشات	٣٣٦٥		١٥٠٣١	٥	١٨٣٩٦	٥
خرجراه مأمورين	٣٩٦٣٨	٣٠	١١١٠٨	١٥	٥٠٧٤٦	٣٥
تعميرات	٥١١٩١	٣٠	٢٤٧٧٩	٣٥	٧٥٩٧١	٢٥
قرطاسيه	١٧١٥٨	٣٥	٢٣٧٩٠	١٧	٤٠٩٤٩	٢
مرتب ماء سرايي بيت الدين وبعبدا	٤٢٦٣	١٠	١٠٨٠		٥٣٤٣	١٠
مصاريف متفرقة	٣١٢٧٥	٣٥	٣٤٣١٤	٣٥	٦٥٥٩٠	١٠
مرتب قهوة دوائر المركز		٠	٦٣٠٠		٦٣٠٠	
ثمن خبز المحابيس	٧٩٣٣	٢٥	٩٦٤٠٠		١٠٤٣٣٣	٢٥
مصارف متفرقة الحبسخانه والخستهخانه	١٠٤٠٩	٣٥		٠	١٠٤٠٩	٣٥
تعيينات الخستهخانه	٩٠٦٥			٠	٩٠٦٥	
ثمن ادوية	١٤٠٤٤			٠	١٤٠٤٤	
مصاريف احتفالات وزين	١٥٦٥			٠	١٥٦٥	
مصارفات الطرقات العمومية	١٨٨١١٥	٣٠		٠	١٨٨١١٥	٣٠
مصارفات الجسور	١١٠٣٣٢	٣٥		٠	١١٠٣٣٢	٣٥
المصروف من مال المهملات لحساب الربع المجيدي	٤١٦٤	٣٠		٠	٤١٦٤	٣٠
مصارفات على المجانين بالعصفورية	٢٧٣٨	٣٠		٠	٢٧٣٨	٣٠
اجرة نقليات المراكز	٩٦١٩	٣٠		٠	٩٦١٩	٣٠
مكافآت لمأموري الملح	٤٦٠٠			٠	٤٦٠٠	
ثمن ورق وحبر وادوات للمطبعة	٣٣١٦٣	٣٥		٠	٣٣١٦٣	٣٥
قرطاسية فرن الشباك	٤٥٦			٠	٤٥٦	
بدل اشتراك الجرائد	٣٧٥	١٠		٠	٣٧٥	١٠
اعانة لورثة المقتولين	١٥٥٣٨	١٠		٠	١٥٥٣٨	١٠
مرتب عائلة تامر افندي ملاط	٢٩٥٨			٠	٢٩٥٨	
المصروف لبعض مأمورين معاشات كانت موقوفة	٤١٤٦٦	١٥		٠	٤١٤٦٦	١٥
اجرة ملازمين في الاقلام	٣٥٠٠			٠	٣٥٠٠	
المدفوع لمشروع المياه في الرمل	٣٨٧٥٦	٣٠		٠	٣٨٧٥٦	٣٠
يكون	١٩٨٩٨٠٤	٣٠	٥١٤٧٣٥١	١٣	٧١٣٧١٥٥	٣٢

قرية برمانا في لبنان

القضاء في جبل لبنان

ان القضاء في جبل لبنان بحسب الزمان وتبدل الاحوال توالى عليه اربعة ادوار واليك البيان

الدور الاول

انَّ هذا الدور يعتبر ابتداؤُه من زمن الفتح الى انقضاء ايام حكومة الامراء التنوخيين وايام الامراء المعنيين وقد كان القضاء في جبل لبنان في جميع الدور المذكور مثله في سائر البلاد الاسلامية اي ان فصل الخصومات بين المتداعين كان من خصائص العامل وهو الحاكم او الوالي او الامير وكان له اذا اتسعت دائرة ولايته ان ينيب عنهُ بالقضاء من يعتقد فيهِ الاهلية والكفاءة للقيام بإحقاق الحق وكانت الاحكام سواء كانت الخصومات حقوقية او جزائية تصدر توفيقًا لاحكام الشريعة المطهرة وهكذا كان الحال في جبل لبنان. وفي ايام آل معن تخصص للقضاء احدهم وكان عالمًا باصوله ثم تولاه اولاده من بعده واطلق على اهل هذ البيت لقب بيت القاضي وكانوا يحصّلون العلم اجمالاً وعلم الفقه خصوصًا في دمشق الشام واحياناً في بيروت صيدا. وبعد انقراض هذا البيت اصبح القضاء غير مخصص في بيت معيّن. اما التنفيذ فكان من خصائص العامل او الوالي او الامير وذلك عملاً بالاصول المتبعة في سائر البلاد الاسلامية. وبعد انقطاع حكم آل معن بانقراضهم فوضت الدولة العلية الحكم في الجبل المذكور الى الامراء من آل شهاب وقد كان التصديق على تعيين الامير اولاً من مقرّ السلطنة السنية العثمانية ثم صار من صلاحية الوالي في صيدا او عكا او الشام حسب فرمان تعيينه وكان في الاول على مال معلوم ثم اخذ شكلاً مثل الالتزام وذلك ان الوالي كان يرسل في كل عام الى الامير منشور التفويض بتحصيل الجزية والمال المفروض وخلعة التقليد والاحرى ان يقال ان الامير اخيراً كان يرسل الى مقرّ الوالي من يطلب منشور التفويض وخلعة التقليد وذلك لمناسبة دخول الطمع في نفس كل امير ان يكون هو الحاكم في جبل لبنان وترتب عن ذلك تنوع الاغراض والاحزاب وقد كانت الاحزاب في جبل لبنان مثلها في سائر البلاد وهي حزب القيسية وحزب اليمنية ثم ابدلت اخيراً بحزب اليزبكي وحزب الجنبلاطي وكان ينضم الى كل حزب من جميع الطوائف مع اختلاف المذاهب تبعًا للاغراض والمنفعة (ومما هو حري بالذكر ان حدود الحكومة في جبل لبنان في ازدهار ايام الامراء من آل معن كانت من الشمال حدود طرابلس ومن الجنوب صفد. اما في ايام الامراء من آل شهاب فكانت الحدود غير ثابتة فاحيانًا تكون الحدود من الشمال نهر ابراهيم ومن الجنوب نهاية بلاد الريحان وهي حكومة الشوف ومركزها في الغالب دير القمر والقسم الثاني من نهر ابراهيم الى حدود طرابلس وهي حكومة جبيل ومقرُّها قصبة جبيل وقلعتها وكان تفويض الحكومتين من والي عكا واحيانًا تفويض الحكومة الشمالية من والي طرابلس وبهذه المناسبة كان يذهب الذين يطمعون بتولي القضاء من القسم الشمالي الى طرابلس

كما ان بعضهم تعلم فيها اللسان التركي

وقد كان الامير يعين مقاطعات على مال معين المناصب من اعيان البلاد اصحاب النفوذ والسطوة وكما ان الامير كان يعتمد على قاضٍ لفصل الخصومات وكان لكل من المناصب ان يعتمد على قاضٍ في مقاطعته وقد تولى القضاء للامير بشير قاسم الشهابي الشيخ شرف الدين القاضي ثم الشيخ احمد تقي الدين وكلاهما من طائفة الدروز. اما تنفيذ الاحكام في المقاطعات ايضاً فهو مختص بحاكم المقاطعة. وقد استمر القضاء في جبل لبنان على نحو ما ذكر في كل ايام الامراء من آل شهاب الا في بعض مسائل مهمة فكانت ترسل الى محكمة بيروت الشرعية وكذلك كان بمدة عمر باشا المعروف بالنمساوي الذي عينته الدولة العلية والياً على لبنان ولم تطل مدته. وبسبب حدوث الفتن في الجبل بين الدروز والنصارى ارسلت الدولة العلية سنة ١٨٤٥ شكيب افندي مندوباً لتنظيم امور جبل لبنان

الدور الثاني للقضاء

وقد كان من سعي الافندي المشار اليه وضع نظام للجبل عُرف بتعليمات شكيب افندي وبمقتضاه قسم الجبل شطرين وجعل الحد الفاصل بينهما طريق الشام وتسمّى القسم الجنوبي بقائمقامية الدروز وتعين لهُ قائمقاماً الامير امين ارسلان. والقسم الشمالي بقائمقامية الموارنة وتعين له قائمقاماً الامير حيدر اللمعي. وجعلت دير القمر مركز الحاكم باسم متسلم تعينهُ الحكومة رأساً وكان مرجع القائمقامين والمتسلم والي ايالة صيداء التي كان مركزها في بيروت. وتعين لكل قائمقامية مجلس لسماع وفصل الدعاوي مؤلفاً من اثني عشر عضواً من كل طائفة عضوان باسم قاضٍ ومستشار. والطوائف في الجبل بحسب الاصطلاح هي: المحمديون وهم الاسلام والدروز والمتاولة. ومن النصارى الموارنة والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك. وبعد اجراء الانتخاب تتقدم اوراقهُ من القائمقام الى والي الايالة وبتصديقها يعتبر تعيين الاعضاء قانونياً. وتعين لدير القمر مجلس شيوخ من اهل القصبة لفصل الدعاوي وما كان مهماً ولم يكن فصله حبياً يحال الى محكمة بيروت. وكان القائمقام او المتسلم يترأس المجلس كما له صلاحية تنفيذ الاحكام الا في الجنايات فذلك عائد لتصديق والي الايالة. وقد كان للقائمقام ان يختار وكيلاً عنهُ لرئاسة المجلس وكان للقاضي ومستشار كل طائفة ان يستقلا برؤية دعاوي ابناء طائفتهما والحكم بها. اما اذا كانت الدعوى بين ابناء طائفتين او اكثر فيكون رؤية الدعوى والحكم بها من خصائص قضاة ومستشارين المدعي والمدعى عليه وذلك بموجب حوالته الاستدعاء من القائمقام ومع ذلك كان لقضاة سائر الطوائف ان يحضروا المجلس ويصغوا لسماع الدعاوي التي يراها رصفاؤهم وعند اختلاف الآراء بين القضاة بسبب تعدد ابناء الطوائف فالقائمقام او وكيله يجتهد بالتوفيق بينهما فللقضاة ان يطلبوا حكم آخر من رصفائهم يعينهُ القائمقام واذا تعذر الاتفاق على طلب حكم آخر فالقائمقام يستقل بتعيينه. ولدى اشتكاء احد المتحاكمين الى القائمقام انهُ مغدور من الحكم الصادر عليهِ ولاح للقائمقام وجه في الشكوى فيأمر القضاة ذاتهم ان يعيدوا النظر ثانية في الدعوى بحضوره ولهُ ان يضيف احد اعضاء المجلس او اكثر وذلك

تأميناً للعدالة ومنع المغدورية . اما في الدعاوي التي تقع بين متداعيين كل واحد من قائمقامية فكان على المدعي ان يقدم استدعاءه الى القائمقام المنسوب اليهِ وهو بالاتفاق مع قاضي طائفة المدعي يودع الاستدعاء الى قائمقام المدعى عليهِ و بعد الحكم يرسل اعلامهُ الى قائمقام المدعي واذا لم يرضهُ وحسب نفسهُ مغدوراً يقدم شكاية من الحكم الى القائمقام وهذا له ان يعيد رؤية الدعوى امام مجلسه واذا تبين ثبوت الحكم الاول اضحى مبرماً واذا كان مخالفاً للحكم الاول فتتقدم اوراق الدعوى لوالي الايالة واذا اقتضى الحال يرسل كل قائمقام القاضي الذي سمع الدعوى فالحكم الذي يصدره والي الايالة يكون مبرماً . وقد استمرَّ حال القضاء الى زمن الحادثة المعروفة بحادثة سنة ١٨٦٠ ميلادية اذ قضت الاحوال ومقتضيات الزمان بوضع نظام الجبل لبنان تشكل بموجبهِ متصرفية وستة اقضية ثم ابلغت الى سبعة وجعلت دير القمر مديرية تابعة لمركز المتصرفية وتشكل في المركز المذكور مجلس محاكمات كبير واطلق عليهِ بعد ذلك اسم ديوان المحاكمات الكبير يرى الدعاوي الحقوقية والجزائية تألف من ستة اعضاء ينتخبهم و يعينهم المتصرف من طوائف لبنان الستة ويلحق بذلك ستة من وكلاء الدعاوي لكل طائفة وكيل تنتخبهُ طائفتهُ والمتصرف يعينه اما الرئيس فيعينهُ المتصرف من الطائفة المارونية . ولم يكن لهذا المجلس مدعٍ عمومي بل عيّن له محام عن حقوق الحكومة تعيَّن من غير اهالي جبل لبنان وقد اضيف الى المجلس المذكور عضو ووكيل دعاوٍ من البروتستانت اذا وقعت فيهِ دعوى لبروتستانتي . ومثل ذلك اذا حدثت دعوى ليهودي . وقد جعل في اول الامر لكل قائمقامية مجلس محاكمات مؤلف من ستة اعضاء من طوائف الجبل الستة . وعين لمديرية دير القمر مجلس شيوخ من اهلهِ . ثم ابدل ذلك بان جعل لكل قائمقامية محكمة مؤلفة من قاضٍ من اكثرية الاهالي عدداً او املاكاً ومن نائب في الدرجة الثانية من جهة العدد والاملاك ومن كاتب يليهما من العدد والاملاك وكذلك تألفت محكمة دير القمر وقد أُعطي لمشايخ الصلح اولاً في مركز النواحي ثم جعل في القرى صلاحية حاكم صلح في الدعاوي التي لا تجاوز قيمتها مائتين وخمسين غرشاً وفي دعاوي القباحة الجزائية واحكامه بذلك هي غير قابلة الاستئناف الا ان هذه الصلاحية كان يعمل بها اذا كان المتداعيان من طائفة واحدة اما اذا اختلفا وامتنع احدهما عن الرضى بحكم شيخ الصلح فتحال الدعوى الى محكمة القائمقامية مهما كانت الدعوى . وعلى هذا النحو يكون القضاء في جبل لبنان على ثلاثة درجات الاولى حكام شيوخ الصلح ويحكمون في القباحات ودعاوي الحقوق على الوجه المذكور الثانية محاكم القائمقاميات ومحكمة دير القمر وهي تحكم في الدعاوي الجزائية من نوع الجنحة وفي دعاوي الحقوق واحكامها قابلة الاستئناف مهما كانت قيمتها ثم جعلت القيمة للاستئناف اولاً الفين وخمسماية غرش ثم ابلغت الى خمسة آلاف غرش . والدرجة الثالثة ديوان المحاكمات الكبير وهو يرى الدعاوي المستأنفة من محاكم الدرجة الثانية جزائية ام حقوقية ومحاكمة ارباب الجنايات الا ان الاحكام في الجنايات لا تنفذ الا بعد حكم محكمة التمييز وما عدا ذلك من الاحكام فكان ينفذ باشارة المتصرف والقائمقام « موجبنجه » كما كان الحال في سائر الولايات والمتصرفيات

وللمحاكم القائمقامية صلاحية تسجيل مبيع العقارات والاملاك بدفتر مخصوص يصدق عليهِ القاضي

ونائبه والكاتب ويكتب التصديق على سند المبيع مع التاريخ والنومرو وما عدا ذلك من سندات المبيع فلا يكون معتبراً

وقد كانت محاكم الجبل تصدر احكامها في الدعاوي الحقوقية دائماً توفيقاً لنصوص الشرع الشريف وفي الدعاوي الجزائية توفيقاً لقانون الجزاء الهمايوني. اما الامور الدينية والمسائل المذهبية فقد كان النظر فيها لقضاة المذاهب. ومن بداية تشكيل متصرفية جبل لبنان فان القاضي المسلم يعين من جانب المشيخة الاسلامية العليا بموجب مراسلة الا انه محسوب في الجبل من اعضاء ديوان المحاكمات الكبير ومع ذلك كان ينظر في المسائل الشرعية التي يراجع بها على حدة . واما الدعاوي بين رهبان الاديرة وخوارنة الكنائس وسائر المسائل المذهبية فتركت لرؤساء الروحيين الا اذا طلب اولئك احالتها الى المحاكم

اما الدعاوي التجارية فعهد بها وما يتعلق بها مثل تسجيل احكام المحكمين الى محكمة التجارة في بيروت

الدور الثالث للقضاء

ابتدأ هذا الدور بعد تشكيل العدلية في ولايات السلطنة السنية وكان ذلك خطوة مهمة في توزيع العدالة وتأييد الحكام بأصول تكفل اظهار الحق . ومعلوم ان العدل اساس العمران بل والقوة ايضاً بتقوية رابطة الحب بين الحكومة والمحكومين . ولذلك رغب واصه باشا المتصرف يومئذ في إدخال هذه التشكيلات الى جبل لبنان ومع ما صادف من الصعوبات المحلية والطائفية مع عدم مساعدة مالية المتصرفية لدفع رواتب المأمورين المقتضى تعيينهم بحسب التشكيلات المذكورة توصل لوضع الاساس وعمد الى العمل وادارة المحكمة تدريجاً فجعل في كل قضاء محكمة مؤلفة من رئيس وعضوين وكذلك في مديرية دير القمر وجعل وظيفة المستنطق بالمناوبة بين العضوين كل ستة اشهر يتولاها احدهما كما جعل باشكاتب المحكمة نائباً عن وكيل المدعي العمومي وشطر ديوان المحاكمات الكبير الى دائرتين للاستئناف احداهما للحقوق والثانية للجزاء وجعل عدد اعضائها ستة وابقى رئيس محكمة استئناف الحقوق مارونياً وجعل رئيس استئناف الجزاء درزياً وكان ذلك مقدمة لاتمام تشكيلات العدلية في الجبل

الدور الرابع للقضاء

وهذا الدور يبتدئ من الغاء الحكومة السنية لنظام جبل لبنان الاداري وجعلها لواء لبنان كبقية الولايات العثمانية في ادارته واقدامها على اتمام تشكيلات العدلية في الجبل توفيقاً للقوانين الموضوعة في الممالك المحروسة العثمانية . وقد تشكلت في لبنان محاكم صلحية على مقتضى قانون حكام الصلح المورخ في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ و١١ نيسان ١٣٢٩ والموضوع موقع التطبيق في بقية الولايات المحروسة اعتباراً من تاريخ ٢٠ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ و١٥ نيسان ١٣٢٩ وتعين في قضاآت الشوف والمتن وكسروان والبترون حاكم صلح واما بقية المحاكم الابتدائية في سائر اقضية الجبل فبمقتضى القانون المشار اليه اخذت تسمع الدعاوي

الصلحية علاوةً على ما هو من خصائصها بمقتضى قوانين الدولة العلية ونصب مدّعون عموميون ومستنطقون لدى جميع المحاكم البدائية وشكلت كل من دائرتي الاستئناف من اربعة اعضاء ورئيس وتعين لها عضوان ملازمان على ان تتشكل الهيئة الاتهامية من ثلاثة اعضاء من دائرة الحقوق الاستئنافية · ومن المؤكد كما يتضح للمتأمل ان مشاكل جبل لبنان وجموده عن الترقيات العمرانية والاقتصادية كان بسبب اختلاف مشارب طوائفه وعدم تعودهم على الامتزاج في سبيل استحصال الخير للوطن واهله وانصراف الافكار الى اختصاص كل طائفة بوظائف في القضاء بل وبسائر الوظائف وقد كانت الطائفة التي تحصل على وظيفة لم تكن لها قبلاً تحسب الحصول عليها فوزاً عظيماً مع ان الحق حق والانسان يهمهُ الحصول على حقه والحكام انما وظيفتهم احقاق الحق وايصاله الى اهله · اما اقدام اصحاب النفوذ للحصول على الوظائف لمقصد حزبي فليس فيه شيء من السعادة · فالتفات الحكومة السنية ايدها الله بالتوفيق لاتمام تقليد وظائف القضاء في لبنان على ما هو عليهِ في سائر الممالك المحروسة مما ترتاح اليهِ النفوس و يوجب الخير العظيم للعباد والبلاد



النفوس في لبنان

ان اول تحرير النفوس أجري في جبل لبنان كان في سنة ١٢٨٠ — ١٨٦٧ وبموجب امتياز جبل لبنان الويركو الذي سمّي « فريضة » او « اعناق » ويمكن اعتباره نوعاً ما انه بدل عسكريّ كان على عدد المكلفين الذين صار عدّهم في الابتداء بصورة سطحية . فبعد استثناء الذكور الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة والاناث بلغ مقدارهم ٩٩٫٨٣٤

ومن بعد هذا التاريخ لم تتشكل ادارة نفوس ولم يهتم لمعاملاتها . وان يكن صار احداث قلم دعي بقلم التذاكر لكن انحصرت وظيفته في اعطاء الباسابورطات وتذاكر الصيد وحمل السلاح . اما المعاملات المتعلقة بالنفوس فكانت ترى كيفما كان الحال على تصديق وشهادة مشايخ الصلح من طرف مجلس الادارة

وحيث رؤي من بعد ذلك لزوم قطعي لاجراء تحرير نفوس عمومي منظم صار التشبث بتحرير عمومي في زمن يوسف فرانقو باشا ولكن هذا التشبث لم يقترن بنتيجة انما صار تحرير معاملاته في سنة ١٣٢٩ في زمن اوخانس باشا وبالنظر لهذا التحرير ادرج احتواء النفوس الموجودة في الجبل في الجدول ادناه :

الامور الصحية

في

جبل لبنان

ان اقليم جبل لبنان الواقع على ساحل البحر المتوسط فيما بين العرض الشمالي درجة ٣٣° — ٣٥° يعد من الاقاليم الحارة· غير ان الطبيعة التي جادت على هذا الاقليم بما اشتهر عنه من جودة الهواء واعتدال المناخ وتنوع اراضيهِ وجودة تربته جعلتهُ في عداد الاقاليم المعتدلة خاليًا من امراض البلاد الحارة بل تندر فيهِ امراض البلاد المعتدلة ايضًا· ونظراً لموقع الجبل وتشكل اراضيه مسَّت الحاجة الى زرع الاحراج في الاراضي التي تصلح لذلك و بهذه الواسطة اعتدل الهواء وكان مناخهُ غايةً في الجودة

وتجاه هذه الاحوال الطبيعية يرى ان معظم سكانه يشتغلون بالزراعة والفلاحة و يصرفون معظم اوقاتهم بجرائة الارض فيتنشقون الهواء النقي و يكتسبون القوى والنشاط وتصلب عضلاتهم وتنمو اجسامهم ويعمرون طويلاً· ولما كانت جباله مختلفة درجات ارتفاعها كانت البقاع والقرى مختلفة الهواء ايضًا فالامراض التي هي مثل ذات الرئة· وذات القصبات ·وذات القصبات والرئة· والانفليونزا المختصة بالبلاد الباردة تتسرب اليهِ بواسطة هذه التبدلات وتقيم فيه بصورة دائمة· وعدا هذه الامراض التي ترافق فصل الشتاء يرافق ايضًا فصل الصيف بعض امراض البلاد الحارة· وبالنظر لشكل الجبال وتنوعها وما يتخللها من الوديان والمنحدرات المتعددة وما هناك من صلابة الصخور كانت قوة الامتصاص في بعض السهول والاراضي ضعيفة مما يدعو الى تكوُّن مستنقعات في بعض المحالّ ينجم عنها المرض المعروف بالملاريا و يتأتي عن اختلاف مواقع الجبال الطبيعية ويُعدّ سببًا من اسبابها:

الانهر ومنابع المياه — تلك المياه تقسم الى ثلاثة اقسام

١ — مياه الانهر

٢ — مياه الينابيع

٣ — مياه الآبار والصهاريج

مياه الانهر — ان من انهر جبل لبنان نهر قاديشا ونهر الكلب ونهر الاولى· ومن هذه الانهر يشرب اهالي طرابلس و بيروت وصيداء ويستعملون مياهها لقضاء حاجاتهم البيتية ايضًا· اما نهر الكلب فقد أُجري قسم من مياهه على طريقة فنيّة واقيم له احواض كبيرة في الضبيّة يترشح بواسطتها ومنها يجرّ الى خزّان كبير في بيروت بواسطة قساطل حديدية فيصل الماء اليها والى بيوتها طاهراً سليماً

اما نهر الاولى ونهر قاديشا اللذان يشرب منهما اهالي طرابلس وصيداء فليس هما على شيء من الطرق

الفنية بل ان مياهما مكشوفة ومعرّضة لما يسقط فيها من انوع الانقاض النباتية والحيوانية والاوضار والاقذار المتعددة من القرى المجاورة فينشأ عن ذلك امراض كثيرة كالدوسنطاريا والحمّى التيفوئيدية والباراتيفوئيد وغيرها

الملاريا في جبل لبنان كثيرة في المحلاّت والقرى القائمة على السواحل البحرية ومصبّ الانهر وهكذا تكثر الحميات في محلات انصباب انهر الداموِر وانطلياس ونهر ابراهيم

الاسباب — اما الاسباب فناتجة عما يجعله الاهالي من الاقنية على جانبي مصب تلك الانهر لسقي اراضيهم وبساتينهم المزروعة في جوار تلك الانهر. ومعلوم ان مياه الانهر المتحدرة الى الغور يكون مجراها بطيئاً في ممرّها ويزيدها بطئاً تلك الاقنية التي ينشئونها لسقي الاراضي فيتأتّى عن ذلك توليد البعوض والحشرات ويكثر البعوض وينمو في المياه الراكدة التي من جملتها «انوفل» (البعوضة التي تنقل عدوى الملاريا) ومن ثم كثر انتشار المرض في كل من الداموِر والنبي يونس والشويفات والحدث والحازمية والجديدة والبوشرية والدكوانة والضبية وانطلياس وجونية وما جاورها من البيوت والقرى

كذلك سائر الانهر يتأتى عنها امراض الملاريا للاسباب المذكورة آنفاً الا ان اضرار الثلاثة الانهر المذكورة هي اكثر واعظم

مياه الينابيع — ان اكثر ينابيع القرى التي في الجرود محفوظة مياهها بانابيب حديدية والاهالي يستقون منها على هذه الصورة وهذا مما يحفظ سلامة المياه ويقيهم سريان الامراض. غير ان موقع الاراضي وضعف القوة الامتصاصية فيها وتجمّع المياه بالقرب من تلك المنابع صيفاً وشتاءً وركودها المتطاول يسبب حصول الملاريا في الازمنة المعلومة. على ان المنابع في بعض القرى تترك مهملة على حالة مجراها الطبيعي فتتلوث مياهها وينتج عنها الحمّى التيفوئيدية والزنطاريا وعندما ينفذ مرض القوليرا في مثل هذه الحال تزداد الاصابات به ايضاً

مياه الآبار — . توجد مياه الآبار في المحلات المجاورة للسواحل البحرية فقط والتي طبقة المياه عميقة فيها فيحفرون الآبار على عمق عشرة وخمسة عشر متراً ويستقون منها. الا ان طريقة هذا الاستقاء لا تخلو من المحظورات بالنظر الى الصحّة العمومية لما يتخلل تلك المياه من المواد المختلطة بواقع السيل والمطر فان هذه الآبار المحفورة بين البساتين والاراضي المزروعة تتلوث في زمن الشتاء ويصاب الشاربون منها بامراض كثيرة خصوصاً بالحمّى التيفوئيدية والزنطاريا ولقد تحقق بالفحص والتدقيق الباقتريولوجي ان الجراثيم التيفوئيدية موجودة في مياه تلك الآبار

يستعمل شرب مياه الآبار اهالي الجيّة بقضاء الشوف واهالي برج البراجنة بقضاء المتن واهالي جونية وجبيل وغيرهم في قضاء كسروان

مياه الصهاريج — يوجد من الصهاريج في القرى الساحليّة والجردية في ٧٥ بالمائة من تلك القرى وينتشر مرض الملاريا في فصل الخريف اذ تكون قلّت المياه في تلك الصهاريج والقدر القليل الباقي منها تكثر

فيهِ بعوضة الملاريا ويزداد معها انتشار المرض

توجد مياه معدنية في قرية فالوغا من اعمال جبل لبنان قلوية الطبيعة ولدى تحليلها كانت النتيجة كما يأتي

درجة الحرارة	١٥°
الثقلة الاضافية	١٠٫٦٠٠
التعامل	قلوي واضح
الطعم	قلوي خفيف
الرسوب في الليتر	٠٫٣٨
القلوية « «	٠٫٢٩
ثاني فحمية الكلس	٠٫٣٦
« « المانغنز	٠٫٠٢
« « الحديد	٠٫٠٠٢
فحمية ليتين	٠٫٠٣
كبريت الكلس	٠٫٢٦
كبريت السودا	٠٫١٨
كلور الماغنزيوم	٠٫٠٢
كلور البوتاسيوم	٠٫٠٠٤
كلور السوديوم	٠٫٠٣
سيليس	٠٫٠١٦
ارسنيق	اثر خفيف

الترقي في قصبات جبل لبنان وقراه من الوجهة الصحية

يمكننا القول ان بناء البيوت في جبل لبنان سواء كان في القصبات او النواحي والقرى آخذ في التحسين وذلك منذ ٤٠ — ٥٠ سنة ومع انه لا يعنى بالنظافة والطهارة الاعتناء المطلوب فطرز اقامة البيوت في الازمنة الاخيرة الحاضرة يتلافى بعض تلك النواقص اذ ان الدور والبيوت في المدن والقرى تقام على طرز جميل هو من الاهمية بمكان وجدير بالاستحسان · فالطرق والازقة في القصبات والنواحي واسعة والبيوت منفردة عن بعضها تدخلها الشمس ويتخللها النور والهواء بصورة مستفيضة حتى ان الاوساخ والفضلات الآلية والتخمرات وغيرها تحترق بفضل الهواء ونور الشمس · واذا استثنينا مدينة زحلة المجموعة بيوتها بعضها الى بعض نرى ان جميع البيوت في جبل لبنان هي منفصلة وبعيدة عن بعضها

اكثر البيوت والدور مبنية من طابقين وثلاثة سقوفها عالية وابوابها ونوافذها واسعة ومعرضة لاشعة

الشمس والهواء وقد رُوعيت في نوع بنائها قواعد حفظ الصحة فهي اذاً صحية · لاّ انهٔ ينقصها من الوجه الصحي امران الاول مجرى عمومي للاوساخ والآخر حمامات خصوصية وعمومية · فهاتان المسألتان الجوهريتان اذا أُهملتا حُرمت الاماكن الخصوصية والدور والبيوت في جبل لبنان من قواعد حفظ الصحة وشروطها لانهُ لغاية الآن ثمانون بالمائة من دورها و بيوتها لا يوجد فيها حمامات حتى ان بيوت الخلاء فيها ليست منظمة كما يجب ولا لها مجرًى عمومي تجري فيهِ اوساخها

فهذا النقص المدني المهمّ الواقع في تلك الدور المبنية على الطرز الحديث يوجب الاسف والاستغراب معاً واذا استثنينا زحلة وديرالقمر وجونية تلك البلدات التي يوجب موقعها انشاء مجارٍ عمومية فيها نرى ان لا فائدة من مجارٍ عمومية للنواحي والقرى بل يستعاض عنها بعمل اقبية محلية مستوفاة للشروط الصحية

ان الاوساخ وانواعها التي تطرح في الجنائن المهملة والمحلات الغير المزروعة داخل المدن والقرى تأتي باضرار عظيمة عند حلول فصل الشتاء لان انحلالاتها تمتزج وتختلط بمياه الآبار والصهاريج ويتأتى عنها امراض معوية

اكثر بيوت القرى مبنية على سطح مائل من الجبال او بسفح وادٍ من الاوديان فهي لذلك معرضة دائماً لمجرى الهواء ولهذا تستفيد اهالي هذه القرى من احراج الصنوبر المغروسة بقربها اذ يتلطف معها الهواء ويستفاد من رائحتها الشافية

الاماكن الصحية — انه الى غرّة سنة ١٩٠٣ لم يكن في جبل لبنان اماكن صحية وطنية · وفي السنة نفسها صار فتح مستشفى في بعبدا مؤلف من خمسين سريراً ثم فتحت ايضاً مستشفيات للامراض الزهرية والعمومية في كلٍ من قصبة عاليه وزحلة وكسروان والبترون وبيت الدين · وبالنظر للاحوال الحاضرة فتحت هذه المستشفيات في محلات استؤجرت لهذه الغاية · وتم مستشفى أُنشئ وتأسس بمال الاجانب وحمايتهم هو مستشفى المجانين في محلة العصفورية

كذلك يوجد مستشفى آخر للامراض التدرنية والسل وله بنايتان مخصوصتان احداها في الشبانية لفصل الصيف والاخرى في المعاملتين لفصل الشتاء وهذا المستشفى هو للامريكانيين و يوجد ايضاً مستشفى في كلٍ من بعقلين و برمانا للانكليز

النفوس — ان المهاجرة الى البلاد الامريكية جاءت بفوائد عديدة لاهالي جبل لبنان الذين كانوا راتعين برغد العيش متمتعين بجودة الهواء وصفاء البال · وكان التوليد في لبنان على سنته الطبيعية آخذاً في الازدياد وعدد النفوس يزداد توالياً بدون انقطاع نحواً من اربعين سنة · الا ان وقت الحرب العمومية ابتدأ معها دور الشقاء الذي عمّ البلاد واورث الضعف وانتشرت فيهِ امراض متنوعة كانت مجهولة في لبنان · وصاحبت هذه الامراض فتكات المجاعة والقحط والغلاء فجاءت جميع هذه البلايا ضربةً قاضية ونتيجة طبيعية لتناقص النفوس فتناقصت كثيراً بسبب الوفيات وتنازل معها ايضاً ناموس التوليد الى حدّه الادنى

جبل لبنان وهواؤه — · ان هواء جبل لبنان البليل وسماءه الصافية وماءه العذب وطقسه المعتدل كل

ذلك جعله مقصداً يرتاده السوريون والمصريون لتمضية فصل الصيف في جباله العالية حتى ان بعضاً من الاوربيين والاميركيين ايضاً يأتون اليه طالبين استنشاق نسيمه اللطيف والاصطياف في ربوعه والاستشفاء بهوائه خصوصاً المصابون منهم بفقر الدم والمعرَّضون لامراض السل لأن الطبيعة التي حبت هذا الاقليم باجود المناخ لم تجعل اثراً فيهِ لكثير من الامراض التي تنتاب الشعوب في غير ممالك بل خلعت على اهاليهِ جلابيب العافية ومتعتهم بطول العمر على غبطة وصفاء بال ولذلك فالصحة العمومية كانت في هذه البلاد في ارقى درجاتها الأ ان الحرب العمومية الحاضرة قد اضرت بها ضرراً عظيماً للاسباب التي سبق لنا ذكرها

ان الذين يسكنون في طبقات الجبل المرتفعة المعروفة بالجرود العالية تتجاوز اعمارهم على الغالب الثمانين والتسعين بحيث يُرى كثير منهم يشاهدون صغارهم واولاد صغارهم حتى ضرب بهم المثل

نظرة عامة في الصحة العمومية بجبل لبنان

بالنظر لجودة الهواء واعتدال الحرارة في الجبل من الضروري تقسيم امراضه الى ثلاثة اقسام

اولاً — الامراض التي تطرأ على الاهالي غالبا بنسبة الزمان والمكان وتغيير فصول السنة وتعدّ امراض محلية

ثانياً — الامراض السارية التي اتصلت بالجبل قبل الحرب العمومية

ثالثاً — الامراض المستولية المسلطة التي لم تكن موجودة في الجبل وظهرت فيهِ وتمكنت منهُ في زمن الحرب وتفتك فيهِ الآن

القسم الاول : الامراض المحلية

الملاريا — الامراض المنتشرة بكثرة هي الملاريا والحمى واشد فتكها هو في السواحل والمحلات القريبة من الانهر ومصبها حتى ان نصف الامراض من هذا النوع تحصل في هذه المحلات والنصف الآخر في باقي اقسام الجبل واقد ضرب المثل في هذه الاحوال بان من يرغب ان يصاب بالملاريا فما عليه سوى ان ينام ليلة واحدة على ساحل البحر او بجوار مصب النهر

ان المحلات التي تشتد فيها الملاريا بالدرجة الاولى هي الدكوانة وبرج حمود والبوشرية بقضاء المتن . وفي السهول القريبة من بيروت وسهل انطلياس وسهل الدامور والجيّة والسعديات بقضاء الشوف . وفي سهول جونية وجبيل من اعمال قضاء كسروان . واما في المحلات المرتفعة والمنحطة ايضاً فالملاريا هي في الدرجة الثانية . وللملاريا انواع كثيرة تصيب الذين يمرضون بها في القسم الاول الذي ذكرناه . ونرى ايضا الحمى الخبيثة يصاب بها البعض في ذلك القسم من وقت الى آخر . وهنا ايضاً يوجد مرض سوء القنية الذي ترى البعض من الاطفال مصابين بهِ حتى ان الانسان اذا نظر الى ولد في الثانية عشرة من عمره يظنه في السابعة او الثامنة من سنيه فتراهُ اصفر اللون منهوك القوى اسمر البشرة ترابي الوجه متضخم الطحال سقيم البنية ضعيف

النمو واذا دققت فيه النظر ظننت لاول وهلة انه محروم الغذاء مبتلى بفقر الدم لدرجة قصوى . وترى ايضاً كثيرين مطحولين و بطن تضخم الطحال فيهم ٥٠ سنتيمتراً طولاً و ١٥ عرضاً

اسباب المرض — اسباب انتشار المرض في السواحل وجوار مصب الانهر هو ناتج عن امرين الاول تجمع المياه في المستنقعات وتعفنها وما يتولد عن هذه العفونة من البعوض والحشرات . والثاني وجود اكثر الاهالي والسكان في بيوت قائمة بين اشجار التوت مؤلفة من طابق واحد هو عبارة عن غرفة او غرفتين خاليتين من قواعد حفظ الصحة يقيمون و يسكنون فيها وهي مملوءة من الرطوبة صيفاً وشتاء فالذين يسكنون في هذه البيوت على هذه الصورة لا يستطيعون وقاية نفوسهم من لسع البعوض ومضراته لانهم لا يستعملون الكلل « الناموسيات » ولكن في السنين الاخيرة تنبه البعض لهذا الامر واخذوا في بناء البيوت ذات الطابقين مع استعمال الناموسيات وعلى هذه الصورة خفت وطأة الامراض بينهم

اسباب الملاريا التي نراها في المحلات البعيدة عن ساحل البحر هي ناتجة ايضاً عن وجود البعوض بكثرة للاسباب المذكورة . فان الوسائط الداعية لنمو الحشرات وانتشارها هي موجودة بكثرة والآبار والصهاريج التي تمس الحاجة الى بنائها في اكثر البيوت هي التي جعلت الملاريا مرضاً محلياً بصورة دائمة . تبتدئ الملاريا غالباً في اواخر فصل الخريف وتتداول ايضاً شهراً او شهرين من فصل الشتاء ولقلة المياه وجفافها في اواخر فصل الصيف وفي الخريف يزداد المرض في هذه المدة وتأخذ الملاريا باظهار شدتها وتبقى على هذه الشدة لحين نزول السيل والامطار

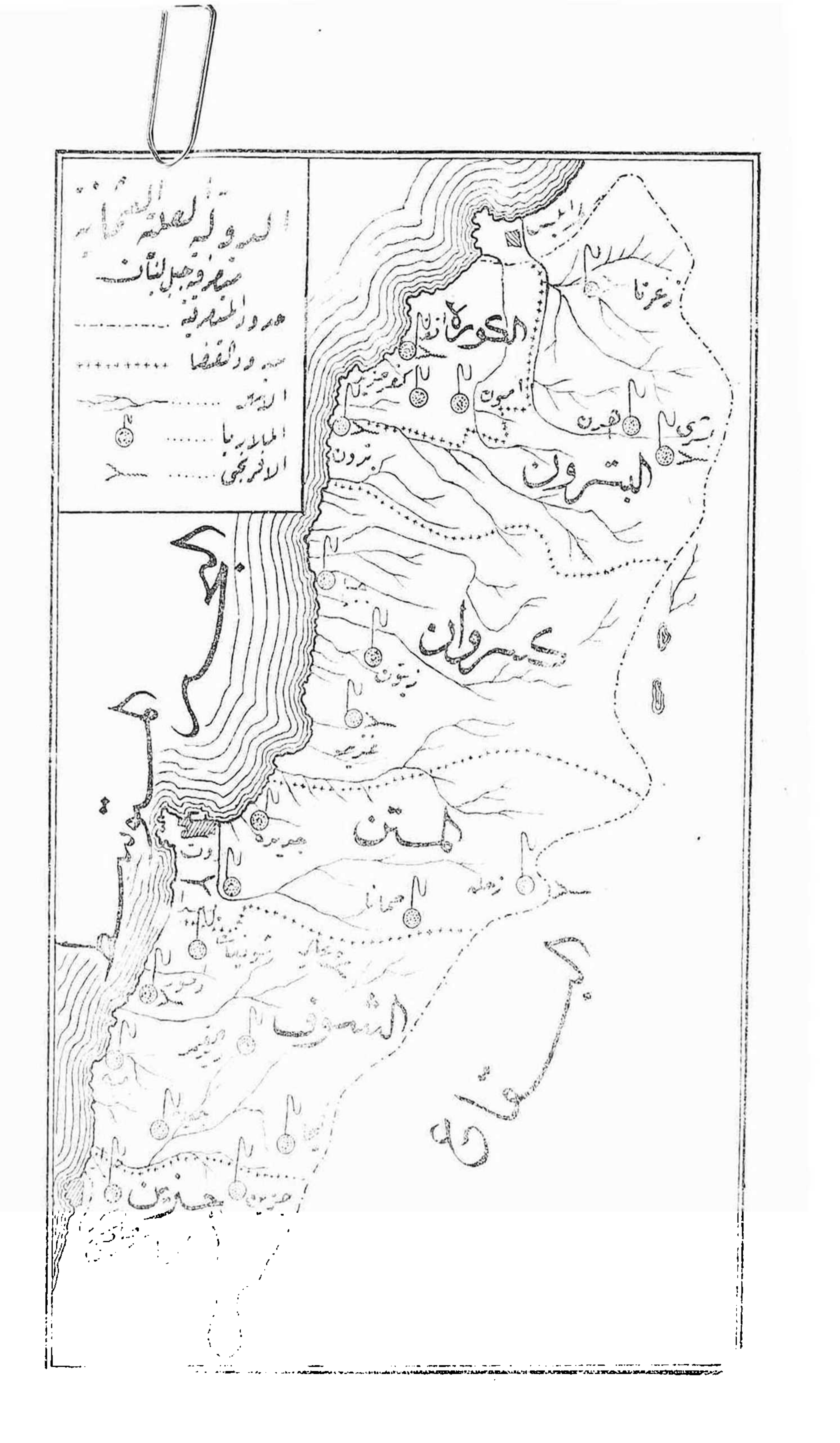
وهكذا في الجبال والمحلات المرتفعة تزداد الملاريا بمثل هذا الفصل والاسباب الموجبة لذلك هي تناقص مياه الآبار والصهاريج

التداوي — ان العلاج الوحيد للملاريا هو الكينا على الاطلاق ونرى ان البعض نظراً لافكارهم السقيمة وقصر عقولهم لا يراجعون الاطباء في حال المرض او انهم يراجعونهم ولكن بعد فوات الفرصة بمدة طويلة ولذلك نرى جملة وفيات ناتجة عن هذا السبب لأن المراجعة كانت متأخرة جداً واضحت عديمة الفائدة

ان الاهالي في جبل لبنان فضلاً عن الكينا يستعملون لمعالجة الملاريا بعض الاملاح ويستعملون ايضاً النبات الطبي حشيشة القنطاريون (Petite Centaurée) ويعتمدون عليها كما يعتمد عليها الاطباء انفسهم فيرون معها الفائدة المطلوبة

الحمى التيفوئيدية والباراتيفوئيد — هذه الامراض في المحلات المرتفعة والمتوسطة هي قليلة جداً لان المياه المعدة للشرب تستقيها الاهالي من الينابيع وتتصل الى محلات الاستقاء بواسطة قساطل وانابيب حديدية محفوظة فتقيها من المياه المكشوفة الملوثة . ويشاهد بعض من الامراض المذكورة في المحلات المرتفعة الا انها تكون موضعية

ان اسباب هذه الحمى وجود الينابيع في محلات منخفضة او يكون سطحها مائلاً فتتلوث تلك المياه بواسطة ما يلقونهُ في الاراضي المزروعة فوقها من السماد والسواد واكثرها تكون حاصلة على الميكروب . هذا


متصرفية جبل لبنان
حدود المتصرفية
الكورة
البترون
كسروان
المتن
الشوف
جزين
البقاع

فضلاً عن الافراز والقاذورات التي تطرح في الاراضي من الاشخاص المصابين بالامراض فتتلوث المياه قبل ترشحها ترشحًا كافيًا وتتلوث مياه الشرب عنها وتنتقل العدوى الاصحّاء . ويندر وقوع امراض الى هذه الصورة في المحلات المرتفعة . اما في السواحل والمحلات الواطئة فالمياه ليست ينابيع بل هي آبار وقد تكلمنا عنها في فصل الانهر وينابيع المياه

ان الانقاض الآليّة والمواد النباتية الحيوانية الموجودة على سطح الارض تمتزج انحلالاتها في فصل الشتاء بمياه الآبار وتأتي بامراض كثيرة وعلى الخصوص امراض التيفوئيد والباراتيفوئيد وتظهر هذه الامراض احيانًا في فصل الصيف ايضًا واسباب ظهورها ناتجة عما تمتصه مياه الآبار المعدة للشرب من الاراضي التي فوقها وفي جوارها المملوءة من السماد والمزروعة بانواع مختلفة ومتعددة

وظهر في التحليل الكيماوي الباقتريولوجي ان ميكروب الحمى التيفوئيدية وغيرها من الحميات موجود في المياه ولذلك اكثر الحميات التيفوئيدية والباراتيفوئيد تأتي بواسطة المياه ومن جملة ذلك ان الحمى التيفوئيدية التي ظهرت في بعبدا سنة ١٣٢٩ انحصر فتكها بالاشخاص الذين يتناولون ماء الشرب من « العين السفلى » والاصابات التي حصلت بتلك الاثناء (وكانت تقرب الاربعين عدًّا) كانت ناتجة عن الشرب من مياه العين المذكورة ولدى تحليلها تبين انها ملوثة بالميكروب « باسيل ئه برت » ولذلك صار اعلان الكيفية للجميع ومنع الاهالي من شرب تلك المياه وللحال توقف انتشار الحمى ولغاية هذا اليوم لم يحصل ولا اصابة واحدة

كذلك حوادث التيفوئيد والباراتيفوئيد التي ظهرت في الحدث سنة ٣٣٢ كانت ناتجة عن وجود فرقة عسكرية ونصبها الخيَم بجوار نبع المياه وقد تحقق هذا وثبت بالمعاينة الباقتريولوجية

الدوسانتاريا — انَّ المرض المذكور هو قليل في جبل لبنان واصاباته نادرة فيه

الدوسانتاريا بالنظر للاسباب هي نوعان :

١ — باسيلي

٢ — آمبي

في البلاد الحارة الدوسنتاريا هي من النوع الآمبي ويشاهد من انواعها كثيرًا الاَّ انها في جبل لبنان غير منتشرة

الامراض الرئوية — تظهر هذه الامراض على اثر البرد الشديد او التأثيرات والتحولات الجوية في فصل الشتاء واحيانًا تظهر امراض الجهاز التنفسي في فصل الخريف والربيع ايضًا . تتناول الامراض المذكورة غالبًا العملة والذين يشتغلون في الحقول و يعرّضون انفسهم للبرد والمطر ويجهدون ذواتهم بالاعمال المتعبة الشاقة

القسم الاعظم من اهالي جبل لبنان يشتغلون في الزراعة والفلاحة فمن هولاء كثيرون بسبب اتعابهم وتعرّضهم للتقلّبات الجوّية يصابون بذات القصبات وذات الرئة والتهاب البلورا (الغشاء المستبطن الصدر) وذات الجنب

تدرّن الرئة — هذا المرض كان نادراً جداً في جبل لبنان غير انهُ من نحو اربعين سنة تقريباً على اثر المهاجرة للاقطار الاميركية ونظراً لتبدل الاقليم وتغير نظام المعيشة انتشر في البعض من المهاجرين وبعد عودتهم من المهجر الى بلادهم دخل معهم مرض السل ورغماً عن هذه الاحوال المستثناة نرى ان المرض غير منتشر في لبنان ويمكننا ان نقول ايضاً ان مرض السل في جبل لبنان هو اقل كثيراً من سائر البلاد في الممالك العثمانية

امراض القلب — امراض القلب منتشرة في جبل لبنان بكثرة والاطباء يصادفون منها حوادث كثيرة خصوصاً التي هي من نوع ذات العضلة القلبية (ميوقارديت Myocardite) وهذا ناتج عن افراط الاهالي رجالاً ونساء بالتدخين لانّ قسماً كبيراً منهم يتعاطون شرب السيكارة والاركيلة ايضاً ولهم ولع عظيم بهذين الصنفين اذ يتعاطون التدخين بصورة مفرطة ومع انهم يبتلون بامراض السعال وصعوبة التنفس ويصلون اخيراً الى مرض القلب وتصلُّب الشرايين فرغماً عن كل ذلك لا يتركون التدخين ونرى ان بعض الشيوخ يموتون بداء القلب وتصلب الشرايين الناتجة عن الاسباب المذكورة آنفاً

اندوقارديت « ذات الشغاف الداخلي » الناشئة عن الروماتيزم — هذا المرض ليس نادراً في جبل لبنان

امراض الكبد — امراض الكبد ليست منتشرة في جبل لبنان وذلك لعدم انهماك اهاليهِ بتعاطي المسكرات

البرقان — يوجد ايضاً في جبل لبنان « البرقان » (Ictère) ، رمل كبدي (Calcul hépatique) ، تشمع كبد وامثالها

امراض الكلى — من امراض الكلى التهاب الكليتين برانكيايك برايت (Mal de Braite) رمل كليوي (Calcul rénal) وبين النساء انحراف الكلية (Rein flottant) وامثالها موجودة الا ان سيرها معتدل ولا يؤدي للهلاك

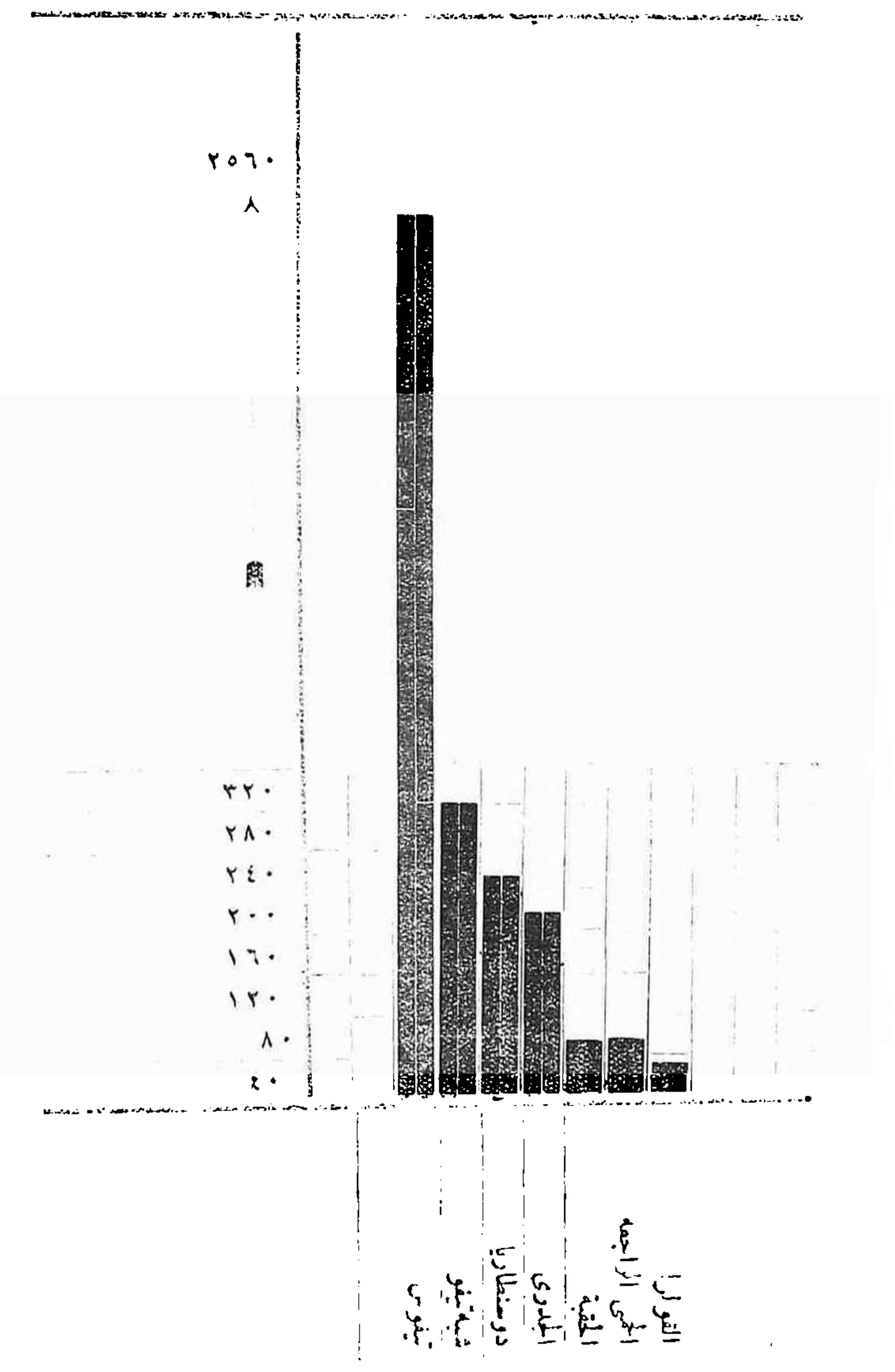
امراض الجهاز العصبي — يندر وجود الامراض العصبية في جبل لبنان والاطباء يصادفون التهاب اغشية الدماغ الحادة والتدرن وانفجار الدماغ وتلين الدماغ والشلل العمومي وغيرها من الامراض العصبية كامراض الحبل الشوكي والتهاب الحبل الشوكي

بين النساء يرى من وقت الى آخر ايستري « اختناق الرحم » (Hystérie) وداء الرقص (ارتجاف الاعضاء) (Chorée) المعدودة من الامراض العصبية

الجنون — هو نادر ويرى منهُ في بعض الاوقات

امراض مختلفة — تشاهد امراض الروماتيزم المفصلي الحادّ وهذا في فصل الشتاء وايام الربيع وفصل الخريف . ويرى هذا المرض في الاشخاص الذين يشتغلون في البساتين وخصوصاً العملة الذين يحرثون الارض المنهمكين في الاشغال الشاقة والمعرّضين لتغيرات وتقلبات الهواء

غرافيك الامراض السارية في لواء جبل لبنان عن عشرة اشهر من ابتداء مارت ١٣٣٣ لغاية كانون الاول



الداء السكري — هو كثير في لبنان غير ان النقرس هو نادر

الامراض الزهرية — هذا المرض موجود في جبل لبنان منذ القديم غير انهُ من تاريخ اعتياد الاهالي على السفر والهجرة الى البلاد الاميركية وغيرها اشتدت وطأتهُ بينهم فكما انــهُ تكاثر على اثر المهاجرة ازداد ايضاً بداعي الحرب العمومية لما تولد عن ذلك من القحط والغلاء الامر الذي ادّى في البعض منهم لاتيان المنكرات والفواحش وكان سبباً لتكاثر المرض الزهري المذكور · وهذا المرض الذي تضاعف بسبب الفواحش يوجد اكثره في الطبقةالسفلى والمتوسطة ايضاً

الامراض الجلدية — انواع الامراض الجلدية موجودة في جبل لبنان واكثرها « اكزيما » · امبه تيغو (Impetugo) · داء الصدف « تقشر الجلد » · بسور يازيس (Psoriasis) « حزازة » · داء الزنار · والجرب ايضاً · لأن تبدُّل المعيشة في زمن الحرب وتعذر الوصول الى الحاجيات الضرورية والحصول على المواد الغذائية مع الفقر الهائل وتأمين الاحتياجات البيتية كالالبسة وغيرها كان سبباً عظيماً لانتشار هذه الامراض حتى انها في بعض البلاد عُدَّت من الامراض السائدة ونظراً لفقدان الادوية اللازمة للتداوي وندورة وجودها ازداد انتشار المرض وتعذرت مداواته

يوجد ايضاً امراض مختلفة مثل غواتر (Goitre) جدره جحوظ العين (Goitre exophtalmique) · داء الكلب (Rage) والحمى المالطية · واما السرطان فهو قليل جدًّا والذي يصادف منهُ هو السرطان الرحمي والمعدي وسرطان الثدي ويرى في الوجه ايضاً «ابتيه ليوما» · ويوجد ايضاً في لبنان امراض مختلفة من جملتها حمى مجهولة لم يمكن حصر تشخيصها والمشهور عنها انها حمى تتمكن من المصاب ثلاثة ايام وتسمى بالحمى الثلاثية اي ثلاثة ايام وغيرها يدوم سبعة وثمانية ايام و بعد هذه المدة يتضايق المريض ويحصل قريز (Crise) وعلى اثره تهبط الحرارة الى درجتها الطبيعية · وهذه الحميات ظهرت بأثناء الحرب وتأكدت بواسطة ما اجري بشأنها من التدقيقات الفنية الباقتريولوجية وبقي العامل المؤثر لها مجهولاً

القسم الثاني : الامراض الموجودة في جبل لبنان قبل الحرب العمومية

انفلونزا — الانفلونزا تبتدئ في فصل الشتاء في بيروت وتنتقل منها الى سواحل جبل لبنان ومنها الى المحلات المرتفعة كالجرود وغيرها ويرى منها ثلاثة انواع اما الشكل الصدري فهو وخيم العاقبة ومعرّض للوفاة

حمى الضنك — وهذه ايضاً تأتي الى الجبل عن طريق بيروت وتدوم من السبعة الى الثمانية الايام واكثر ظهورها هو في ايام الصيف وكل سنة تظهر في هذه البلاد على ان انذارها وعاقبتها سليمة

الشهقة — (Coqueluche) هذا المرض في جبل لبنان اكثر انتشاراً من غيره وقلما يسلم منهُ احد في حال الطفولية فانهُ يصيب معظم الاولاد وعاقبتهُ سليمة ايضاً

ابو كعيب — (Oreillons) هذا المرض يعدّ من الامراض السارية ويزور جبل لبنان كل بضع سنوات

مرة واحدة وهو سليم العاقبة

الجدري — مرض الجدري في جبل لبنان هو تقريباً متواصل واسبابه ناتجة عن كثرة المخالطة والمواصلات بما يجاوره من الولايات وكانت وفياته كثيرة في زمن عدم اجراء اللقاح ولقد تسلط في سنة ١٣٣٢ على البعض من اهالي دير القمر واودى بحياة كثيرين والذين اصيبوا به لم يسلم منهم سوى عشرين بالمائة وبالنظر للاهتمام باجراء اللقاح في كل البلاد واجراء التعقيبات بهذا الخصوص اسفرت النتيجة عن ان الاصابات اصبحت منفردة ومن ثلاث سنوات الى الآن يُلقح سنوياً نحو مائة الف شخص وهذا تعديل متوسط ·والهمة منصرفة لتطبيق اللقاح مراراً عديدة في جميع القرى والنواحي اذ لا يترك احد بدون لقاح قطعياً

الحمرة « ام الحمرة » — هذا المرض نادر الوقوع في جبل لبنان وعواقبه سليمة

قوليرا — ان امراض القوليرا التي ظهرت في الشام وحلب لم تصل عدواها الى جبل لبنان نظراً لحفظ المياه وبُعد القرى والبيوت عن بعضها البعض · وبفضل التدابير المتخذة لمنع العدوى لم ينتشر هذا الداء ولم يأتِ عنهُ وفيات كثيرة · وبمناسبة الحرب العمومية انتشر المرض مدة ليست قليلة في كل من الشام وحلب وجوارهما من البلاد وانتشر ايضاً في سنة ١٣٣٢ في جوار نهر ابراهيم واهدن وبشري وزحلة والهرمل وفي القرى الساحلية المجاورة لبيروت الا انهُ لم يكن بصورة شديدة متسلطة · وفي سنه ١٣٣٣ امتدت كذلك القوليرا الى زحلة والحدث وكان تسربها من القصبات المجاورة اليهم وبفضل المساعي التي بُذلت والاحتياطات التي اتخذت بحق اول اصابة توفقنا لدفع هذا المرض واطفائه ولذلك يمكننا القول بان جبل لبنان هو سليم العاقبة من هذا المرض

الطاعون — ان هذا المرض هو من الامراض السارية المهلكة وظهر في جبل لبنان وتسلط على البعض الاّ ان اصاباته كانت محصورة بمنطقة محدودة وفي السنوات الاخيرة انقطع وجوده · ان الاصابات بهذا المرض كانت تظهر في بعض القادمين من الديار المصرية او الذين يختلطون مع القادمين من تلك الديار ولذلك لا يعدّ من الامراض المحلية خصوصاً لانَّ اصاباته كانت منفردة وعلى الصورة المذكورة · وظهر هذا المرض في بداءة الحرب العمومية الحاضرة بولد من اولاد العملة الذين يشتغلون في معمل الطحين الكائن بانطلياس وبفضل المساعي التي اتخذت ضد الاصابة لم يتجاوز المرض تلك الطاحونة

ان انواع مرض الطاعون متعددة لكن الذي ظهر منها في جبل لبنان كان من النوع « الخيارجيلي » وقال بعض من الاطباء انهم صادفوا مرة او مرتين من النوع الرئوي لكن انواعهُ العمومية هي من جنس الخيارجيلي المذكور

مرض الدفتيريا — كان هذا المرض في جبل لبنان من نحو خمس وعشرين سنة منتشراً وعواقبهُ وخيمة جداً الا انهُ بفضل المصل المشهور والتداوي على طريقة الحقن تناقصت وفياتهُ الى خمس وفيات بالالف

مرض الجذام — هذا المرض ايضاً يعدُّ من الامراض التي يندر وقوعها في جبل لبنان

الحمى النفاسية — بالنظر لعدم وجود القابلات الحائزات على الدبلومة وتعصب البعض من الاهالي كانت وطأتها كثيرة واصاباتها متعددة خصوصاً بين الطبقة الوسطى اولئك الذين هم محرومون من النظافة والطهارة ولا يعلمون منها سوى الاسم فقط ومعظم الاصابات كانت محصورة في الفئة الجاهلة الذين يعتمدون على القابلات الجاهلات اما الطبقة المنورة فكانت ولم تزل عند وقوع الاحتياج الطبيعي للتوليد تستدعي القابلات الحائزات على الدبلومة من المدن القريبة اليهم او تعتمد على الاطباء ولذلك كان وقوع مرض الحمى النفاسية بين النساء نادراً جداً

القسم الثالث : الامراض السارية التي دخلت الى جبل لبنان في اثناء الحرب الحاضرة

الحمى التيفوسية — المرض الذي اودى بحياة كثيرين من الشبان والشابات والرجال وغيرهم فرمّل النساء ويتّم الاطفال ودخل البيوت العامرة فحولها الى مآتم محزنة وقصف ما قصف من الاغصان اليانعة هو مرض التيفوس الذي كان غير معروف في البلاد . نعم انهُ ظهر من نحو عشرين سنة في مدينة بيروت ومنها تسرب الى القرى الساحلية الجبلية لكنه كان موضعياً وغير منتشر . دخل هذا المرض الى بيروت للمرة الاولى بواسطة المهاجرين القادمين من بنغازي من اعمال طرابلس الغرب

وعلى اثر اعلان الحرب العمومية انتشر هذا المرض انتشاراً هائلا وسمي بالحمى العسكرية . وبعد ان كان في سنة ١٣٣١ مرضاً معروفاً واصاباتهُ منفردة اشتد في السنة التالية ٣٣٢ بصورة وخيمة جداً وكان سبباً لوفاة الكثيرين من السكان وبالنظر لحالة جبل لبنان الاجتماعية والوضعية الحاضرة وفقر اهاليه واحتياجهم واضطرارهم للتنقل من محل الى آخر بعامل العوز لتحصيل الرزق ازداد انتشاره وبواسطة تنقل الفقراء كما تقدم كان تنقلهُ من محل الى آخر سريعاً

فالفقراء المساكين الذين قضت عليهم مصائب الجوع ان ينتقلوا من قرية الى قرية ومن محل الى آخر بصورة دائمة بقصد التعيش كانوا يذهبون فريسة لهذا المرض القتال

ان المرض المذكور الذي استولى على الاهالي بصورة وخيمة وهائلة من سنة ٣٣٢ الى ٣٣٣ ابتدأ يتناقص تدريجاً وبالنظر لانتباه الاهالي والاحتياطات والتدابير المتخذة بواسطة التبخير والتطهير انحصر انتشار المرض في دائرة محدودة . ولقد تبين من الاحصاء الاخير الذي أُجري سنة ٣٣٣ ان الاصابات بالنظر لعموم النفوس كانت ٢½ اثنين ونصف بالالف وكانت الوفيات بين المصابين ١٥ — ١٧ بالمائة وكان مجموع الاصابات ٢٥٤٠ منها ١٥١٨ ذكور و١٠٢٢ اناث امَّا باعتبار السن فالاشخاص الذين عمرهم من ٢٠ الى ٦٠ كانت وفياتهم اقل من الذين عمرهم ٤٠ — ٦٠ فان وفياتهم كانت اكثر

في اثناء انتشار هذا المرض لم يبقَ ناحية ولا قرية في جبل لبنان الأ وزارها المرض المذكور وكانت اقامته فيها تابعة للنظافة وعدمها فكانت تتكرر اصاباتهُ في بعض القرى وتندفع الى محلات اخرى . ولقد ثبت وتأكد بان العدوى كانت تسري الى الاصحاء بواسطة القمل . كان انتشار التيفوس في اقضية المتن

وكسروان والبترون وزحلة أكثر منهُ في باقي الاقضية وكانت وفياته في هذه المحلات كثيرة ايضاً

الحمى الراجعة — وهذا المرض ايضاً كان مجهولاً عند الاطباء وشوهدت الاصابات الوبائية في زمن هذه الحرب وكان قسم من هذه الامراض منفرداً وقسم آخر مشتركاً بالتيفوس اما الاصابات التي كانت منفردة فبفضل التداوي لم يحدث عنها وفيات سوى واحد بالمائة اما التي كانت تشترك معها حمى التيفوس فكانت رديئة ومهلكة. وهذه الحمى لم تنتشر في اقسام الجبل بل كانت اصاباتها محصورة في كل من جونية وزحلة

التهاب سحايا الدماغ الشوكي — هذا المرض ايضاً كان مجهولاً في جبل لبنان وظهرت الاصابات به في الحرب العمومية وكانت جميع اعراضها اعراض التهاب سحايا الدماغ الشوكي وصار لاجلها بذل في الناحية التطبيقية وأُخذ لفحصها من مائع الدماغ الشوكي وعند التدقيق بالطريقة الباقتريولوجية لم يوجد «مهنهنفوقوق» الذي هو حامل المرض بل وجد «بنهموقوق» في الاغلب وتحقق بأن المرض المستولي ليس هو ذات سحايا الدماغ الشوكي

ادارة الصحة في جبل لبنان

لا يوجد قيد ومعلومات رسمية بحق الامور الصحية في جبل لبنان قبل التشكيلات الجديدة في المتصرفية

ان النظامنامه والامتياز المخصوص المعطى لجبل لبنان في سنة ١٨٦٣ — ١٢٨١ لم يدرج به فقرة واحدة تتعلق بالامور الصحية وهذا الامتياز الذي تناول مدة تربو على نصف جيل لم يراع به الامور الرسمية الصحية وأُهملت هذه كما اهمل غيرها من الامور الرسمية ولم تشكل به ادارة صحية معروفة منظمة

ان داود باشا المتصرف الاول من متصرفي جبل لبنان استدعى الدكتور كوسين الايطالي التبعة وعينه بوظيفة سر طبيب وبمدة المومأ اليه التي ابتدأت من سنة ١٢٨٤ — ١٢٨٨ استُخدم كل من غالب افندي الخوري وسليمان افندي محول وزاميا افندي في قصبات جبيل وكسران و بعبدا

وفي عهد رستم باشا استُدعي ميدانا افندي من التبعة الايطالية ايضاً وعين بوظيفة سر طبيب لمركز المتصرفية والغيت مأموريات الثلاثة الاطباء المذكورين آنفاً . وبمدة هذا الطبيب التي كانت منذ سنة ١٢٨٨ — ١٢٩٤ عين كل من داود مشاقة وسليمان افندي مشاقه طبيبين رسميين لانفار الجاندارمة في كل من بعبدا وبيت الدين

وفي زمن متصرفية واصه باشا دعي للسر طبابة حبيب افندي الخوري من اهالي جبل لبنان وبمدة مأموريته التي دامت من سنة ١٢٩٤ الى ١٢٩٩ فُهم من القيود بأنه عين ثلاثة اطباء لكل من بيت الدين والمتن ودير القمر

وفي السنوات ١٢٩٩ — ١٣٠٣ دعي الى المركز داود افندي مشاقة المذكور آنفاً واستخدم طبيباً واحداً لكل من اقضية المتن والشوف وجزين والبترون . وفي السنة ١٣٠٣ عين داود افندي مشاقة بصورة رسمية

سر طبيب لمركز المتصرفية وبقي الموما اليهِ بهذه الوظيفة لتاريخ سنة ١٣١٩ وخلفه بهذه المأمورية الدكتور نجيب افندي الاصفر . وسنة ١٣٢١ عين للسر طبابة نجيب افندي الخوري . وخلفهُ صعب افندي الملاط . وهكذا لتاريخ سنة ١٣٣١ تعين طبيب للمركز ولكل من اقضية كسروان والمتن وجزين ودير القمر وزحلة والبترون والشوف والبعض منهم براتب رسمي والبعض الآخر بصورة فخرية وبدون راتب شهري . وبمدة امتياز جبل لبنان لم يؤسس فيهِ باسم الحكومة مستشفيات لانفار الجاندارمة سوى مستشفيين في كل من بيت الدين وبعبدا . وكان يوجد مستشفيات للبعض من الجمعيات الاجنبية والافراد الاجانب انما كانت نظارة وادارة تلك المستشفيات غير تابعة لدائرة من الدوائر الرسمية وكان الاجانب اصحابها يتصرفون بها كيف شاؤوا

هذا وبناءً على فسخ والغاء احكام بروتوقول جبل لبنان وتعيين علي منيف بك متصرفاً له تأسست للمرة الاولى ادارة صحية في جبل لبنان وذلك بتاريخ ٢١ كانون الاول سنة ٣٣١ واما قوامها فكان عبارةً عن المدير وطبيب المركز وطبيب سيار وكاتب فباشرت هـذه الادارة الجديدة اعمالها ورؤية الامور الصحية وعينت اربعة اطباء سيارين وسبعة اطباء فخريين للاقضية وتسعة اطباء فخريين ايضاً للنواحي . وعين بالوكالة لمديرية الصحة الدكتور سامح بك فاخوري وفي ١٦ نيسان سنة ٣٣٢ تعين ضيا فؤاد افندي وبعد ستة اشهر عين الدكتور فؤاد حمدي وفي شهر شباط سنة ٣٣٢ عين حسني محي الدين بك الذي شمر عن ساعد الجد بادارة الامور الصحية وانتظامها وكان ان آثار الاعمال والترتيب الموجبة للتقدير والجديرة بالشكر قد ابتدأت منذ بداية مأموريتهِ ومن الذيل المدرج يتبين خلاصة اعمال الحكومة عن عشرة اشهر ومقدار المواليد والوفيات واستاتستيق وغرافيق الامراض السارية وغيرها لغاية سنة ١٣٣٣ (١)

فهرست الاجراآت

١ لقد صار استئجار دار للادارة الصحية وأُحدث بها معاملة اصول الدوسيه لحفظ الاوراق وتنظمت ايضاً جميع القيود بالدائرة المذكورة

٢ تعين بمعاش الف غرش طبيب لكل قضاء من الاقضية وصار تأمين معاش قابلة لكل قضاء وبوشر بتعيين تلك القابلات بصورة رسمية

٣ صار تقسيم الجبل الى ثلاثة وعشرين منطقة صحية وتعين لكل منها طبيب ومأمور صحي وأُرسل الى كل

---

(١) انهُ بالنظر لكون الادارة الصحية هي في بدء دورها الاول مع وجود الحرب العمومية وما ولدتهُ من المشاكل وغيرها والاطباء الذين صار انتخابهم وتعيينهم مع المأمورين الصحيين الصغار لم يكتسبوا الى الآن الممارسة المطلوبة والاهالي ومشايخ ومختاري القرى لا يزالون يمارسون الوظيفة المودعة اليهم فلذلك مندرجات هذه الجداول يعتبر الخطأ فيها ٣٠ بالمائة للستة الاشهر الاولى و١٥ بالمائة للاربعة الاشهر الباقية وما عدا ذلك فهو مقارن للحقيقة

قضاء « ايتوڤ سيار » آلة بخارية سيارة على الطرز الحديث اختراع حسني محيي الدين بك وتوزيع لمن يلزم تعليمات وظائف المأمورين الصحية الاساسية وتعليمات اخرى موضح بها واجبات المأمور الصحي عند وقوع الامراض السارية وانتشارها وصار طبع وتوزيع دفاتر الوظيفة والتقارير الشهرية لعموم المأمورين الصحيين مع جداول المواليد والوفيات

٤ لقد عُمل ثلاثون « ايتوڤ » آلة بخارية من واردات البلديات وأُرسل اللازم منها الى القصبات والمدن المهمة والى الثلاثة والعشرين المنطقة المذكورة آنفاً

٥ لقد صار توزيع الكينين مع لقاح القوليرا والجدري بموفقية تامة وتوفقنا لتأمين التوزيع في الاستقبال ايضاً

٦ لقد صار اصلاح المستشفى في بعبدا الذي يحوي خمسين سريراً

٧ لقد صار فتح مستشفيات حاوية كل منها عشرين سريراً وذلك في كل من اقضية كسروان والبترون والشوف وفتح مستشفى في زحلة يحتوي على خمسين سريراً ومستشفى آخر في بيت الدين لعشرة اشخاص وفضلاً عن ذلك صار فتح مستشفى للامراض الزهرية بعاليه يحتوي على اربعين سريراً

٨ لاجل تشخيص الامراض السارية والعمومية بطريقة فنية صار تأسيس « لابوراتوار » وعين له باقتريولوغ

٩ بوشر بتعيين وتوظيف اطباء للنواحي

١٠ تأسس دهپو لادارة الصحة وهو يعد الان تقريباً مهماً وموجوداته مهمة

١١ جعلت الاصناف من الاهالي قيد المعاينة الصحية وطبعت التعليمات المتعلقة بالاصناف الى اللغة التركية والعربية وصار توزيعها

١٢ صار تأمين تداوي اصحاب الامراض الزهرية مجاناً

ايضاح ما تشير اليه الارقام في آلتي التطهير الحديثة والقديمة

الآلة الحديثة

مختنق لاجل التطهير بواسطة البخار مصنوع في ادارة الصحة في جبل لبنان

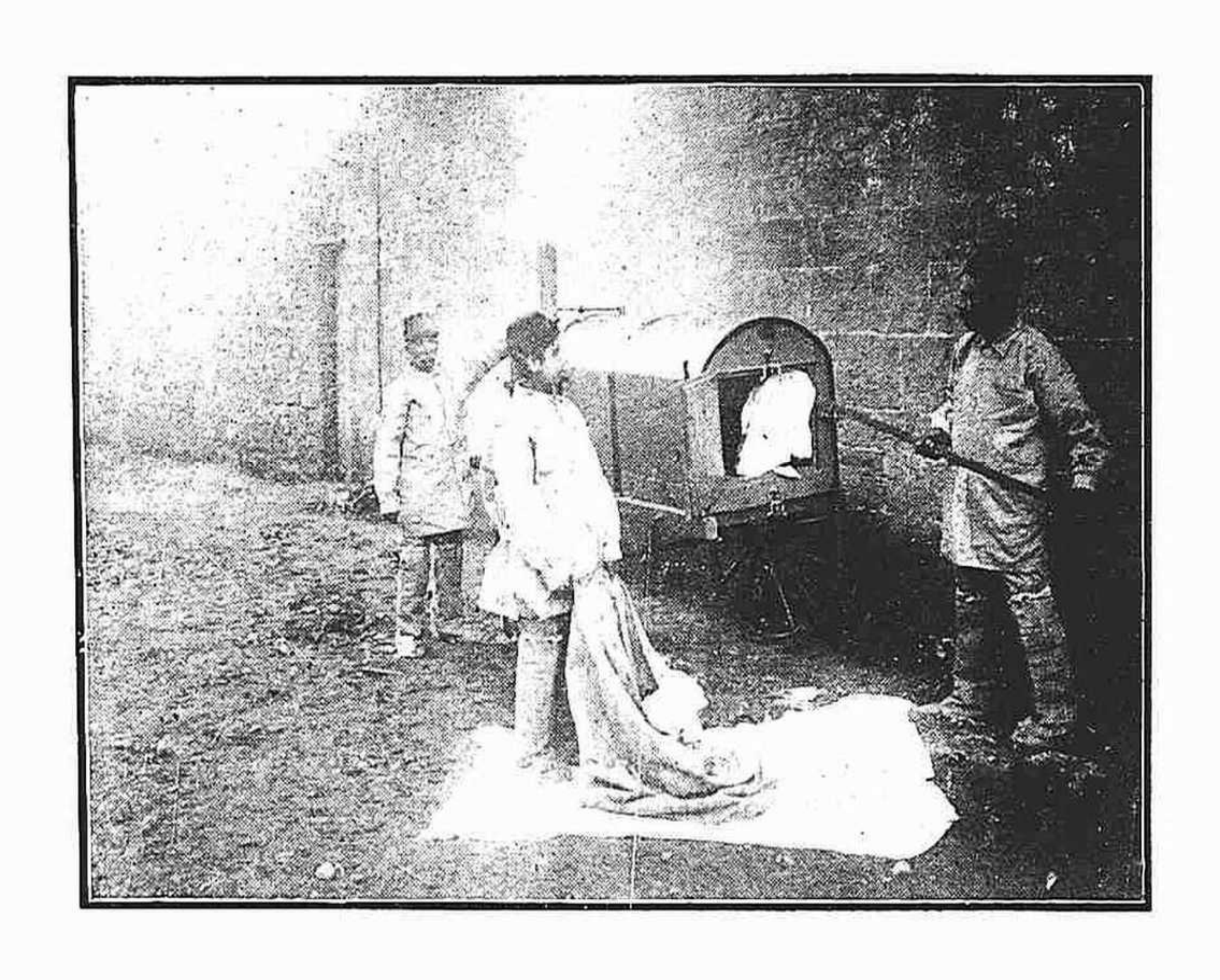
١ مختنق مصنوع من خشب ومصفح بحديد مزيبق

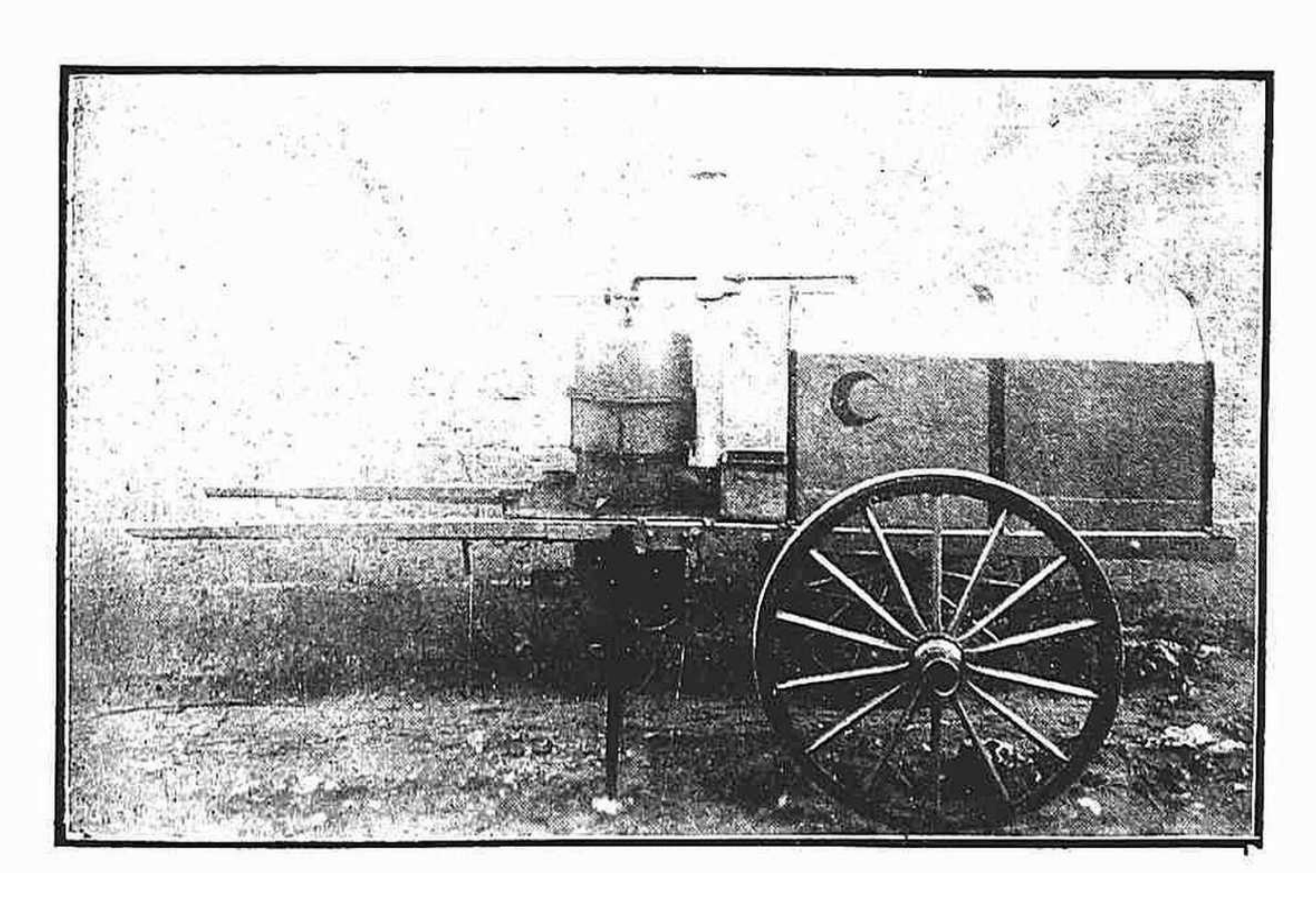
٢ خلقين من نحاس في سمك ٥,١ الى ٣ ميليمترات مع موقد داخلي

٣ فراش لتنظيم سحب الداخون

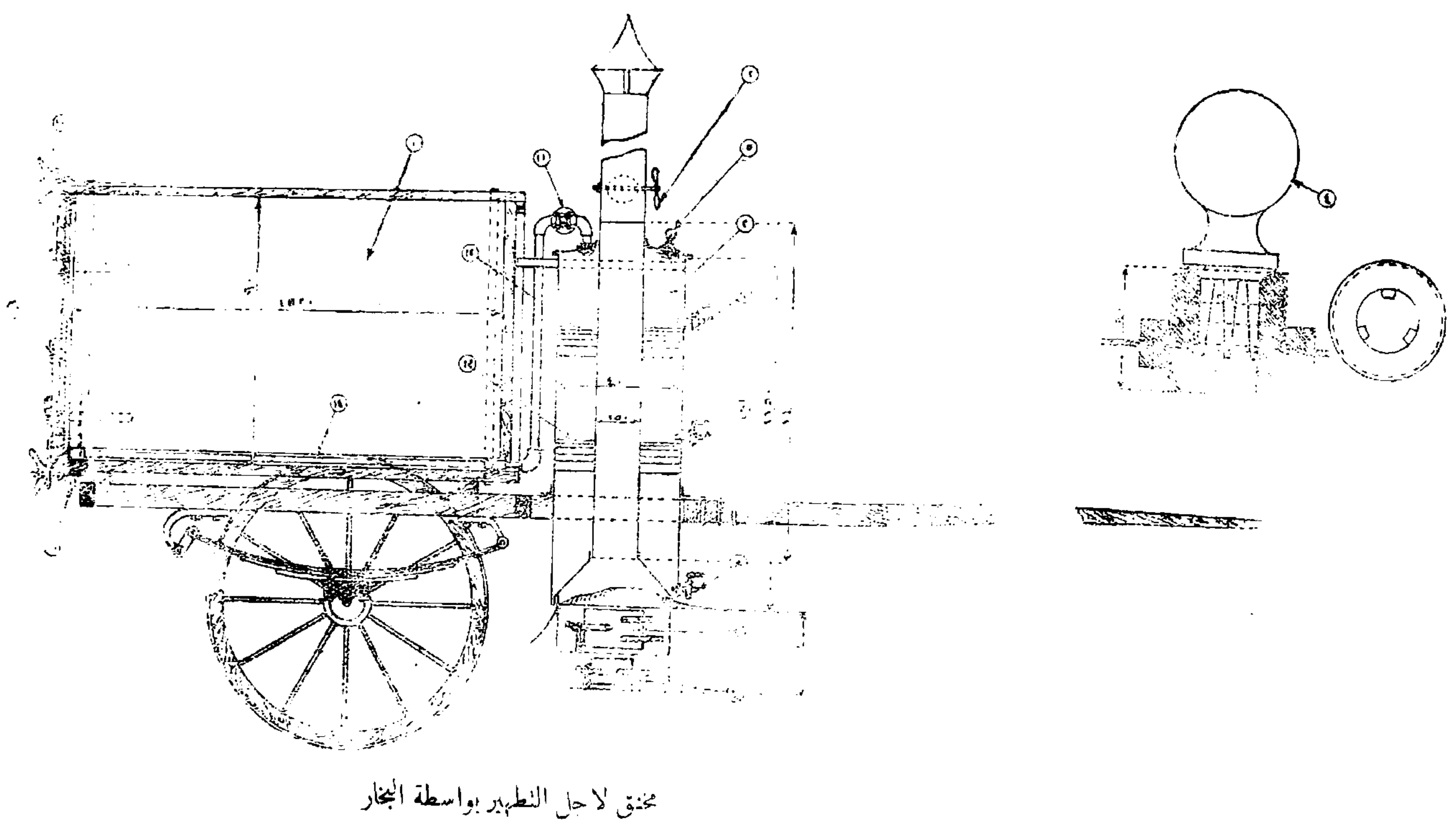
٤و٥ حنفية لاجل ادخال الماء ضمن الخلقين . وهي ايضاً مصراع تأمين (Soupape de Sûreté)

٦ حنفية على مساواة سطح الماء الاعلى ضمن الخلقين

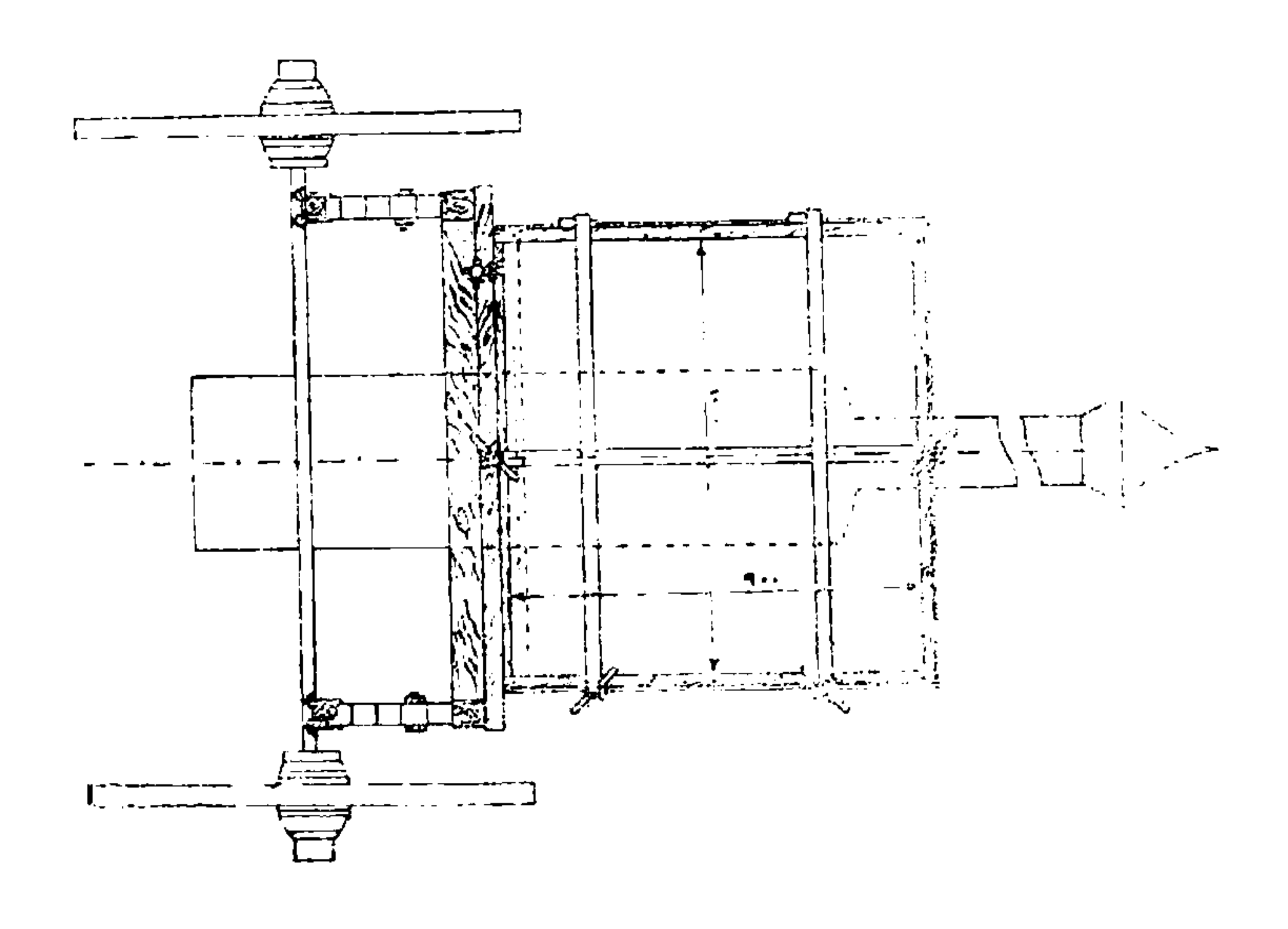


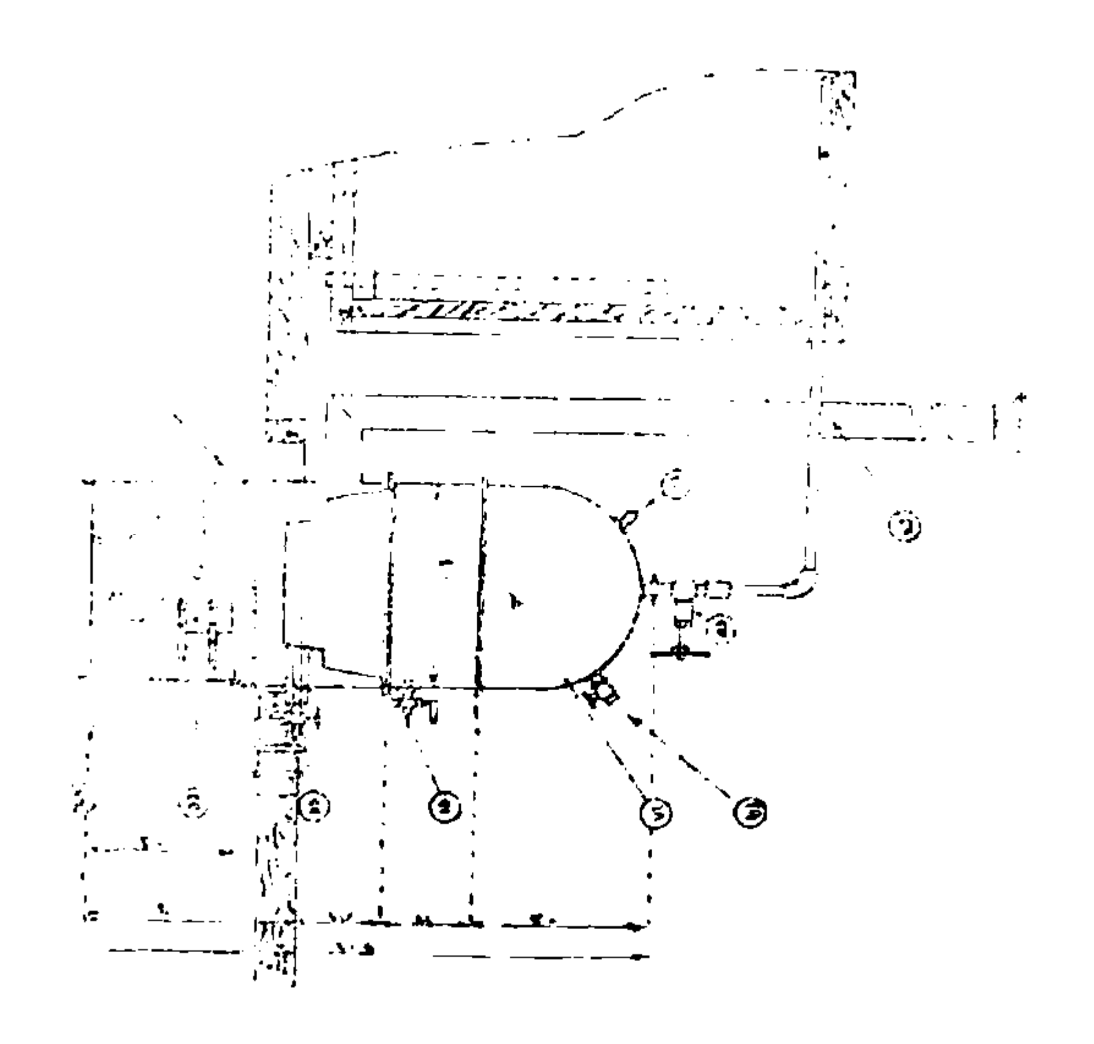


آلة التطهير



مخدق لاجل التطهير بواسطة البخار





٧ حنفية على مساواة سطح الماء الاسفل
٨ « لاجل تفريغ الماء من الخلاقين
٩ باب الموقد
١٠ « للرمدة
١١ حنفية لاجل ايصال البخار الى المخنق
١٢ سطح الماء الاعلى في الخلقين
١٣ « « الاسفل في «
١٤ قسطل لاجل توزيع البخار في المخنق
١٥ حنفية لتخلية المخنق
١٦ باب المخنق
١٧ برغي لتسكير باب المخنق

الآلة القديمة

١٨ الخلقين
١٩ حنفية لادخال الماء
٢٠ مصراع تأمين (Soupape de Sûreté)
٢١ حنفية على مساواة سطح الماء الاسفل
٢٢ « لتفريغ الماء من الخلقين
٢٣ باب الموقد
٢٤ « المرمدة
٢٥ قسطل يوصل البخار الى المخنق
٢٦ داخون متطوع الوسط اختصاراً

وعن يسار الآلة القديمة رسم باب المخنق في الآلة الحديثة ويُنظر هذا الباب مواجهةً

جدول تلقيحات الجدري في لواء جبل لبنان من اول مارت لغاية كانون الاول سنة ٣٣٣

اسماء المواقع	التلقيح الاول			التلقيح الثاني والثالث			[illegible]	[illegible]
	الذين اخذ مطعومهم	الذين لم يأخذ مطعومهم	المجهول الباقي	الذين اخذ مطعومهم	الذين لم يأخذ مطعومهم	المجهول الباقي		
	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد		
قضاء المتن	٧٨٥٣	١٣٦٨٥	٣٨٣١	٣٣٨٦	٣٥٦١	١٥٧٤	٣٣٨٩٠	٨٩٦٧٦
قضاء كسروان	٢٩٧٧	٢٣٠٤	٣٨٢٢	١٠٤١	٨٩٧	٩٣٦	١١٩٧٧	٧٠١٩٧
قضاء البترون	٢٢١٠	٩٢٧	٦٨٦	١٧١٤	٢٤٧٦	١١٠٨	٩١٢١	٨٣٢٢٠
قضاء الكوره	٧١٨	١٢٣٠	٢٦٥	٦٤٩	١٣٠٢	٦١١	٤٧٧٥	٢٤٠٦٣
قضاء الشوف	٢٣٧٤	٣٨٤٦	٢٤٣٥	١٣٣٨	٣٦١١	١٢٩٨	١٤٩٠٢	١٠١٩٣٨
قضاء زحله	٢٩٩	٦٠٤	٩٧٣	٢٨٦	٧٨٣	١٠٨٥	٤٠٣٠	١٢٦٥٨
قضاء جزين	٢١٦٢	١٣٥١	٤٧٨	٢٧٨١	١١٢٠	٥٠١	٨٣٩٣	٢٤٥٩٣
مديرية دير القمر	٦١٥	٦٠٨	١٢٢	٢٤٠	١٩٤	١٠٦	١٨٨٥	٨٤٥٥
يكون	١٩٢٠٨	٢٤٥٥٥	١٢٦١٢	١١٤٣٥	١٣٩٤٤	٧٢١٩	٨٨٩٧٣	٤١٤٨٠٠

جدول التولدات في لواء جبل لبنان من اول مارت لغاية كانون اول سنة ٣٣٣

محل الولادة	مسلم ذكور	مسلم اناث	درزي ذكور	درزي اناث	روم ذكور	روم اناث	ارمن ذكور	ارمن اناث	موسوي ذكور	موسوي اناث	كاثوليك ذكور	كاثوليك اناث	ماروني ذكور	ماروني اناث	المجموع	عدد النفوس المحلية
قضاء المتن	٠	٠	٢٥	١٠	١٧	٨	٠	٠	٠	٠	٣	٤	٥٣	٤٤	١٦٣	٣١٣٧٠٠
قضاء كسروان	١	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٦	٦	١٥	
قضاء البترون	١	١	٠	٠	٦	٤	٠	٠	٠	٠	٥	٥	١٣٢	١١٢	٢٦٦	
قضاء الكوره	١	٠	٠	٠	٢١	٢٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٢	٢	٤٨	
قضاء الشوف	٢	٤	١٩	١٣	١٣	١٤	٠	٠	٠	٠	٠	١	١٢	٨	٨٦	
قضاء جزين	٤	٢	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٥	١	١٥	١١	٣٨	
قضاء زحله	٠	٠	٠	٠	٦	٤	٠	٠	٠	٠	٣٥	٤٠	٩	٨	١٠٢	
مديرية دير القمر	٠	٠	١١	٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٢	١٥	٤	٣٩	
يكون	٩	٩	٥٥	٣٩	٦٣	٥٢	٠	٠	٠	٠	٤٨	٥٣	٢٤٤	١٩٥	٧٥٧	

جدول التولدات والوفيات في لواء جبل لبنان من اول مارت الى غاية كانون اول سنة ٣٣٣

تقسيم التولدات والوفيات بالنظر للاديان والمذاهب	التولدات ذكور	التولدات اناث	الوفيات ذكور لغاية سنة	ذكور من ١ – ١٠	ذكور من ١٠ – ٢٠	ذكور من ٢٠ – ٤٠	ذكور من ٤٠ – ٦٠	ذكور من ٦٠ – ٨٠	الوفيات اناث لغاية سنة	اناث من ١ – ١٠	اناث من ١٠ – ٢٠	اناث من ٢٠ – ٤٠	اناث من ٤٠ – ٦٠	اناث من ٦٠ – ٨٠	المجموع
مسلم	٦٧	٤٥	٥	٢٦	٢٤	٤٨	٦١	٤١	٠	٢١	١٣	٣٥	٤٦	٢٥	٣٤٥
مسيحي	٣٤٩	٢٩٢	٧	٢٤٤	٣٤٢	٢٤٩	٤٠٠	٢٦١	٦	١٩٦	٢٥٥	٢٣٠	٢٣٤	٢٠٤	٢٦٢٨
موسوي	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
يكون	٤١٦	٣٣٧	١٢	٢٧٠	٣٦٦	٢٩٧	٤٦١	٣٠٢	٦	٢١٧	٢٦٨	٢٦٥	٢٨٠	٢٢٩	٢٩٧٣

بعد ان نجز طبع المقالة الموسومة «بالعناصر اللبنانية ومذاهبها الدينية» (صفحة ١٨٢ — ٢٢٤) اراد بعض ادباء المتاولة والدروز وضع نبذة خاصة في معتقدهم فندرج هنا المقالتين بحرفهما

المتاولة

مبدأ امر الشيعة

الشيعة لفظ يطلق على الواحد والجماعة و يراد بهِ الاتباع يقال فلان شيعة لفلان وهم شيعة له وقد اصبح بالتغليب علماً على أتباع علي بن ابي طالب عليهِ السلام وانصاره و يرتقي مبدأ نشأتهم الى زمن صاحب الرسالة صلى الله عليهِ وآله وسلم

واساس مذهبهم مبني على وجوب موالاة علي بن ابي طالب بالنص وقال بهذه المقالة جماعة من اكابر الصحابة في عهد النبي صلوات الله عليهِ منهم سلمان الفارسي المعروف بمشايعة علي والانتصار له وكان من جملة الذين هموا بنقض بيعة السقيفة وكان يقول «بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن ابي طالب والموالاة له» وكان ابو سعيد الخدري رضوان الله عليه وهو من كبار الصحابة يقول امر الناس بخمس فعملوا باربع وتركوا واحدة فقال له رجل ما هذه الاربع قال الصلاة والزكاة والحج وصوم شهر رمضان قال فما الواحدة التي تركوها قال ولاية علي بن ابي طالب قال وانها مفروضة معهن قال نعم

ومنهم ابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وحذيفة اليماني وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت وابو ايوب الانصاري دفين القسطنطينية وخالد بن سعيد بن العاص وقيس بن سعد بن عبادة وكثير امثالهم ذكرهم ابن معصوم في كتابه الدرجات الرفيعة

وذكر ابو حاتم الرازي في كتابه المعروف بالزينة في الالفاظ المتداولة بين ارباب العلوم «ان اول اسم ظهر في الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو «الشيعة» وكان هذا لقب اربعة من الصحابة وهم ابو ذر وسلمان والمقداد وعمار بن ياسر الى آن اوان صفين فاشتهر بين موالي علي عليه السلام»

ولما قضى صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم كان شيعة علي عليه السلام يجهرون بهضم حقه لاعتقادهم النص من النبي على امامته ولكنهم اخلدوا للسكينة معهُ حفظاً لبيضة الاسلام وعلو شانه والاسلام في اول نهضته وفتوحاتهِ وما زال العاملون على الفرقة يومئذٍ بين المسلمين من غير الشيعة يدأبون في عملهم فيبطل سعيهم حكمة أُولي الامر ولما انشد بعض ولد ابي لهب ابياته التي اولها

ما كنت احسب ان الامر منصرف عن هاشمٍ ثم منها عن ابي حسنٍ

نهاه علي وامره ان لا يعود

وان سهيل بن عمرو والحرث بن هاشم وعكرمة بن ابي جهل من مشيخة قريش في الجاهلية وممن اسلموا بعد فتح مكة ارادوا إلقاح الفتنة بين المهاجرين والانصار فقاومهم علي عليه السلام بحكمة واطفأ الفتنة وهي بعدُ في مهدها حتى اذا مضت ستة اعوام على خلافة عثمان (رضي الله عنه) وتمكن الامويون واشياعهم من رقاب المسلمين هبت نار الفتنة بإحيائهم ما اماته الاسلام من العصبية بين الامويين والهاشميين واصبح جمهور المسلمين بين عثماني وعلوي وكان علي مع ذلك يسري في سبيل الرفق والتؤدة مع عثمان فيصغي هذا له ثم ينصاع لحاشية احزاب مروان بن الحكم حتى استفحل الخطب واتسع الخرق وقتل عثمان في داره ولم يجده مدافعة ابناء علي عنه واتخذ معاوية من هذه الفتنة متكئاً يتكئ عليه في نصرة حزبه وتأسيس دولته ونقض بيعة علي عليه السلام وأُطلق يومئذٍ على العلويين شيعة علي وعلى العثمانيين شيعة عثمان ثم لما استقل الامويون بالامر وناهضوا الهاشميين واتباعهم تلك المناهضة الشديدة غلب اسم الشيعة مطلقاً على شيعة علي عليه السلام

اما ما ذهب اليه بعض الكتاب من ان اصل مذهب الشيعة من بدعة عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهمٌ وخلط وقلة خبرة بحقيقة الشيعة ومذهبهم ومن عرف منزلة عبدالله بن سبأ بين الشيعة وبراءتهم منه ومن بدعته وكلام علمائهم في الطعن فيه علم مبلغ هذا القول من الصواب

ادوار جهادهم

بعد ان قويت شوكة الامويين وكانت لهم الدولة والامر كان اهم ما لديهم خضد شوكة العلويين واطفاء نار عصبيتهم وتشتيت كلمة شيعتهم فناهضوهم اشد مناهضة واتخذوا مسبة علي عليه السلام سنّة بينهم وفي البلاد الخاضعة لهم وقعدوا للشيعة بكل مرصد وعملوا الى اختلاق الاحاديث في الحط من كرامة علي عليه السلام وبذلوا في ذلك الاموال قال ابوجعفر الاسكافي ان معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة الف درهم حتى يروي ان آية (ومن الناس يعجبك قوله في الحياة الدنيا الخ . .) نزلت في علي وان الآية الثانية (ومن الناس من يشري نفسه الخ . . .) نزلت في ابن ملجم قاتل علي فلم يقبل فبذل له مائتي الف وثلاثمائة الف فاربعمائة الف درهم فقبل

ولكن هذا الضغط الشديد وهذا الاستبداد العظيم بالهاشميين وهم رهط النبي وعشيرته الادنون وليس لهم في الاسلام الا كل اثر صالح مع ما كان من الامويين يوم عاشوراء من الفجائع في كربلا وانتهاك حرمة الرسول صلى الله عليه وآله — كل ذلك اظهر للعالم الاسلامي ضعف دين الامويين وعدم مبالاتهم باصله وفصله مضافاً الى ما كان من فلتات كلام خلفائهم وامرائهم المخالفة للدين على خط مستقيم فضعفت عصبيتهم وقويت بذلك عصبية الهاشميين فاجتمع اكابر بني هاشم وشيعتهم بالكوفة وقرروا قلب الدولة الاموية وبايعوا محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن ابي طالب وقرروا نشر دعوتهم في البلاد البعيدة عن مركز السلطة الاموية فنجمت خراسان بابي مسلم وجيشه ودالت دولة الامويين على يديه وقامت اول دولة للشيعة ورأسها ابو العباس السفاح اول الخلفاء العباسيين وبطش البطشة الكبرى ببقايا الامويين

ولما ولي الخلافة اخوه ابو جعفر المنصور كان اول ما بدأ تمهيد امر الدولة فقتل ابا مسلم صاحب دعوتهم وهو في عنفوان شبابه لمّا خشي ان يتحو بالسلطة نحو الطالبيين من بني حسن واضمر الشر لبني حسن فقاموا يطالبون بحقهم الذي بويعوا عليه يوم اجتماعهم بالكوفة ونشبت الحرب بينهم وضاق الخناق بالمنصور فكان يقول اين قول صادقكم (يعني ابا عبد الله جعفر بن الصادق وكان قبل الخلافة من جلساء الصادق واخبره بان الخلافة تؤول اليه) ثم دالت الحرب على الحسنيين واستبد المنصور باشياعهم ثم لما آل الامر الى المأمون بن الرشيد جاهر اكثر من اسلافه بمذهب التشيع وابدل السواد شعار العباسيين بالخضرة شعار العلويين وعهد بالامر بعده للامام علي بن موسى الرضا عليه السلام[1] واظهر القول بخلق القرآن وثبت على مبدئه هذا اخوه المعتصم وابنه والواثق حتى تولى المتوكل على الله فاظهر الخشونة الشديدة على الشيعة وجهر بنقض ما اسسهُ المأمون واظهر التسنن وحط من كرامة اولياء الطالبيين حتى احرج ذلك صدر ولده المستنصر فقتله ونجم في الاطراف البعيدة عن مركز الخلافة رجال من آل ابي طالب ثائرون وكان من ذلك ان تأسست الدولة العلوية في الديلم على يد الناصر الاطروش العلوي بعد ان اسلم الديلم على يديه واصبحوا في عداد الشيعة وكان منهم البويهيون رهط عضد الدولة الذي ملك السلطة في بغداد دار الخلافة العباسية ثم نهض المهدي من سلمية في بلاد الشام الى بلاد المغرب الاقصى فبث دعوته واستجاب له كثيرون واسس الدولة الفاطمية في افريقيا ومصر وملك الحمدانيون رهط سيف الدولة وهم من لباب الشيعة ديار الموصل وحلب واعتزت الشيعة في ايامهم حتى كانت مدينة حلب موطناً لاكابر علماء الشيعة من آل زهرة نقباء الاشراف فيها وكان المؤذن يؤذن بحيّ على خير العمل

وهكذا انتعش الشيعة مما لحق بهم من الاستبداد السالف وعزّوا ونموا في ايام هذه الدول الثلاث واصبحت دولهم تمتد من سواحل المحيط الاتلانتيكي الى ربوع الهند وقام الادارسة من الطالبيين في بلاد الغرب فهدموا سلطة الامويين في الاندلس وحلّوا محلها ثم تعاقبت على الشيعة دول بين خفض واستبداد ودعة واضطهاد حتى اجتاح التتر بلاد المسلمين ثم دخل ملوكهم في الاسلام وكان بعضهم قد تشيع مثل السلطان اولجايتو خدابنده ملك هرات في اوائل القرن الثامن للهجرة وسرى التشيع في ايران حتى عمّ البلاد كلها زمن الدولة الصفوية وتولى مشيخة الاسلام عدة من علماء جبل عامل الذي الجأهم ضيق العيش والاستبداد في مواطنهم الى الهجرة وفي النصف الثاني من القرن الثامن طلب السلطان علي بن المؤيد صاحب خراسان الشيخ السعيد شمس الدين ابا عبدالله محمد بن مكي العامليّ الجزيني الى خراسان بكتاب كلهُ استعطاف ليتولى مشيخة الاسلام فيها فلم يلبِّ طلبه وكان هذا العالم المتبحر من اعلام علماء الشيعة لبناني الموطن والمحتد وهو المعروف بالشهيد الاول لانهُ قتل بالشام ثم حلب ثم رجم ثم احرق لوشاية وشي عليه بها وكانت داره في جزين تحوي خمسة من العلماء والعالمات هو وولداه الشيخ ابو طالب محمد والشيخ ضياء الدين ابو القاسم علي وابنته ام الحسن

---

(١) هو الامام الثامن من ائمة الشيعة

فاطمة المدعوة بست المشايخ وزوجته ام علي وكانت جزين مثابة العلماء والفضلاء خرج منها علماء كثيرون من الشيعة اشتهر ذكرهم بالآفاق

وما زال التشيع ينتشر في العجم حتى كان عصر الدولة الصفوية واشتدت المناظرة بين السلطان سليم العثماني والشاه عباس الصفوي وفتك الاول باربعين الفاً من الشيعة في بلاده وعمل الثاني ضد السنيين في بلاده فاصبحت ايران وكلها شيعة الا ما بقي من اطراف البلاد البعيدة عن مقر السلطنة مثل جيلان وشواطىء البحر الفارسي وايالة كردستان وبادية جرجان فقد بقي التسنن غالباً على اهلها

الشيعة في بر الشام

اما الشيعة في بر الشام فعهدهم بالتشيع قديم ينتهي الى زمن الخلفاء الراشدين ثبتوا على مذهبهم ولم تزعزعهم عواصف الاستبداد الشديدة من الامويين اعداء الشيعة ايام حكومتهم ومن خلفوه واورثوه كره الشيعة من سكان هذه الديار ولم ينعموا بالراحة عيناً ففي القرن الثامن كان يساق الى السجن فالقتل فالصلب فالرجم فالحرق عدد من اعلام الشيعة وهو الشهيد الجزيني اللبناني الذي تقدم الكلام في شانه لوشاية وسعاية وفي القرن العاشر يؤخذ الشيخ زين الدين الجبعي العاملي اللبناني بالعنف والقسوة من الديار الحجازية قبل ان يؤدي فريضة الحج ويسار به الى القسطنطينية فيقتل في الطريق قبل ان يصل اليها لانه لم يرضَ منه معروف قاضي صيداء يومئذٍ وفي القرن الحادي عشر يهاجر من شمال جبل عامل ما يقرب من السبعين عالماً الى بلاد الله الواسعة كايران والهند والحجاز وغيرها فيناولون رقياً في المراتب العلمية ويتولى كثير منهم مشيخة الاسلام في العجم والهند وقد كانوا في جبل عامل مضطهدين (ويدخل في جبل عامل من لبنان قضاء جزين باجمعه وقد كان كله او جله شيعة فانجلى القسم الكبير منهم عنه بافاعيل السياسة)

كل ذلك دعا الشيعة في بر الشام الى التكتم والتقيد وغمض بسبب ذلك تاريخهم على كثير من المؤرخين

حتى اذا دخل القرن الثاني عشر والحقت الدولة العلية جبل عامل بجبل لبنان تحت سلطة الامير فخر الدين المعني اظهر الشيعيون في هذه الديار وجودهم واجتمعوا كتلة واحدة يدافعون عن كيانهم وتلقبوا يومئذٍ بالمتاولة ولم يعرف هذا اللقب لهم قبل ذلك العهد كما لم يلقب به غيرهم من الشيعة الخارجين عن جبل عامل ولبنان وبعلبك الى هذا العهد — اظهر المتاولة وجودهم وانضموا جميعاً تحت زعامة كبرائهم فكانت مقاطعة جزين تابعة للمقدمين في كفرحونا وهم خزرجيون يتصل نسبهم بسعيد بن عبادة الانصاري وكانت مقاطعة جباع والشومر لآل منكر من عشائر الشيعة وكانت مقاطعة الشقيف لبني صعب وهم من سلالة الايوبيين وكانت بلاد بشارة الجنوبية لآل علي الصغير الوائليين وهم المعروفون بالزعامة على كل جبل عامل في ذلك العهد وكانت الشيعة في بعلبك تحت امارة آل حرفوش وفي شمالي لبنان (كسروان والهرمل وما اليها) كانوا تحت قيادة مشايخ آل حمادة والكل يد واحدة على مناوئيهم مهما امكن وعقد العامليون حلفة مع ظاهر العمر حاكم عكا وصفد بعد ان اعتركوا في طريخا وانتصر العامليون على الصفديين في ذلك اليوم واظهر رئيسهم

الشيخ ناصيف النصار الوائلي من كرم الاخلاق ما جعل ظاهراً يمد له يد المحالفة التي دامت خمس عشرة سنة حتى اذا بسط الجزار حكمهُ على عكا وقتل ناصيف في واقعة يارون حل حبوة المتاولة وفتك بكبرائهم وعلمائهم وصادر اموالهم وفرق شملهم ولما ان هلك احسن خلفهُ سليمان باشا والي عكا لهم السياسة وردّ اليهم اموالهم وكف عادية العصابات التي تألفت منهم على حكومة الجزار تعيث في الارض فساداً فانتعش العامليون ولما اجلت الدولة ابراهيم باشا المصري عن سوريا كان المتاولة تحت راية زعيمهم حمد بك النصار الوائلي يحاربون المصريين

ادبياتهم

كان الشيعة في اثناء هذه الفتن لا يهملون امر العلم والدراسة وكانت مدارسهم وهي بيد علمائهم تدرّس العلوم العربية بانواعها واصول الفقه والفقه والحديث والكلام وامثال ذلك ولا تخلو مدارسهم من فنون اخرى كالحساب والجغرافيا وشيء من علوم الحكمة وتخرّج في هذه المدارس العالم المتضلع والاديب الماهر

اما الادب نظيمهُ ونثيره فللعامليين فيه الباع الاطول وكانت ولم تزل ادبيات جبل عامل من ارقى ادبيات سوريا خلافاً لمن ادّعى انها في درجة الصغر والعيان اكبر برهان وانك لتجد في شعرهم الطلاوة الشعرية والانسجام والبلاغة وحسن الاسلوب الى ما وراء الغاية وهم ينظمون الشعر بالسليقة فلا تكاد تجد واحداً من شعرائهم يعرف بحراً من بحور العروض ومع ذلك فهم ينظمون في كل البحور دون خلل او زحاف والاغرب ان بعضهم ينظم الشعر وهو امي لايعرف القراءة والعجب ان بعض الكتبة مرّ في ارضهم بضع ساعات فادعى استقصاء ادبياتهم واحوالهم فوهم وجعلها في درجة الصفر بعد ان شرح ادوار حياتهم الادبية ولم يبن النتيجة على المقدمة وفي شيعة جبل عامل (المتاولة) اليوم رجال مفكرون وكتّاب متفننون وعلماء ماهرون . هذا في الخاصة منهم واما العامة فهم كعامة البلاد السورية الا انهم ممتازون بالذكاء والنشاط ومحبة التعليم ولولا الفقر الضارب اطنابه في ديارهم وعدم اعتناء أُولي الامر بشانهم لكانوا ارقى مما هم فيهِ بكثير

اما علماؤهم في جبل عامل فهم معروفون بالصلابة الدينية والاستقامة على منهج الشرع الشريف في احكامهم والتورع في فتاويهم مشهورون بالتجافي عن ذوي السلطة وحسبك ان اشهر علمائهم في العصر الاخير العلامة الشيخ عبد الله نعمه العاملي الجبعي كان مع امتداد نفوذ علي بك الاسعد حاكم تبنين وجبل عامل لذلك العهد اذا مرّ في تبنين استقبله علي بك على مسافة نصف ساعة واستعطفه بالنزول في ضيافتهِ فيرفض ذلك الشيخ وينزل على بعض الفقراء الصالحين في اهل القرية وكان كغيره من علماء الشيعة بعداً عن المداجاة والمحاباة وذلك خلق مشهور فيهم يعرفه كل متتبع لاحوالهم . فاين هذا مما قاله صاحب نبعات بيروت واطنب فيه من ان علماءهم تتفنى بمدايح بكواتهم

وطنيتهم

للعامليين غرام في وطنهم وحنين اليه اذا اغتربوا عنهُ واشعار المتغربين منهم في ذلك رقيقة تدل على ما في نفوسهم من الشعور

وحسبك بقوم دافعوا عن بلادهم ووطنهم زهاء قرن احسن جهاد والعدو محيط بهم في كل جهاتهم انظر ذلك واحكم على مقدار وطنيتهم

العامليون عرب نزحوا من اليمن بعد سيل العرم وهم بنو عاملة بن سبأ عريقون في عربيتهم ولا تزال أسر منهم معروفة تمتّ لقبائل العرب بنسب معروف سواء في القسم اللبناني من عامل او في القسم الآخر منهُ ولكنهم قد اختلطوا بغيرهم اختلاطاً لم يذهب باخلاقهم العربية الموروثة

فرق الشيعة

فرق الشيعة كثيرة بعضها بادَ وانقرض كالكيسانية وبعضها باقٍ الى اليوم واعظم فرق الشيعة عدداً بل المتبادرة عند اطلاق لفظ الشيعة هي الفرقة الامامية وهي جمهور الشيعة اليوم ومنها شيعة العجم وقسم كبير من شيعة الهند وشيعة الصين وتبت وبلاد الافغان وتركستان وبلاد التتر المستقلة والروسية والشام والعراق والحجاز وغيرها

ومن فرق الشيعة الزيدية ومواطنهم جبال اليمن وهم رهط امام صعدة واخبارية وهم فرقة من الامامية مساكنهم بلاد البحرين وبعض عمان وكشفية وجمهورهم في اذربيجان وبكداشية وهم في بلاد الترك العثمانية وبلاد الالبان ومقدونية واسماعيلية اغاخانيه وبهره وهم في الهند وغيرها

مذهب الشيعة

اما معتقدات الشيعة الامامية فهي اعتقادات المسلمين عينها اما في الاصول فهم يخالفون اهل السنة في الامامة فهي عندهم واجبة بالنص ويقولون ان الامامة زعامة عامة لشخص من الناس في الامور الدينية والدنيوية نيابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون بعصمة الامام كما يقولون بعصمة النبي والائمة اثنا عشر آخرهم المهدي محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى عام ٢٦٠ للهجرة في سرَّ منْ رأى وهو حي يرزق ولا يعلم احد مقره ويعتقدون بظهوره آخر الزمان في مكة وهذا الاعتقاد غير خاص بهم بل يقول بهِ فريق كبير من المسلمين وان اختلفوا في تسميتهِ وتعيينهِ وجمهور كبير منهم يوافق الشيعة بانهُ هو محمد بن الحسن

واما القول بانه يخرج من سرداب سرَّ من رأى وان الشيعة هناك تهيئ له خيلاً واسلحة كل عشية ويندبونه للخروج فهو غير صحيح ويبطله انهم لا يدعون ظهوره في سامرَّا بل في مكة كما سبق القول فيهِ

ويخالفون اهل السنَّة بقولهم بعدم امكان الرؤية على الباري تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة ويقولون بعدم الجبر وان افعال العباد اختيارية ومع ذلك يقولون بان اللطف واجب على الله وهو هبة منه تعالى مقربة من الطاعة مبعدة عن المعصية لا تبلغ درجة الالجاء وعندهم ان المسببات انما تجري على اسبابها وبهذا يخالفون الاشاعرة وعندهم ان صفات الله عين ذاته وان العدل صفة من صفاتهِ واجبة عليهِ

واما في الفروع فهم يقولون بالاجتهاد في الفقه اجتهاداً لا يخرج عن الكتاب والسنَّة والاجماع ودليل

العقل ولا تخرج فتاويهم عن فتاوي جمهور المسلمين فان خالفت مذهباً وافقت آخر الا في مسائل قليلة منها مسألة المتعة وهي متعتان متعة النكاح ومتعة الحج اما متعة النساء فهي الزواج الى اجل ولا بد فيه من ذكر المهر وينقضي الزواج بانقضاء الاجل ولي المتمتع بها ان تعتد قبل ان تنكح زوجا غيره ويدعى الولد لابيه لانه زواج شرعي ويرث ابويه واما متعة الحج فهو الطواف الاخير المعروف بطواف النساء ولا يحل للمحرم بالحج ان يباشر النساء حتى يأتي بهذا الطواف وهاتان المتعتان كانتا على عهد رسول الله وحرمهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله متعتان كانتا على عهد رسول الله وانا محرمهما ومعاقب عليهما

ومنها في الميراث مسألة العول والتعصيب فهم لا يقولون بالعول ويقول الامام ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ان الذي احصى رمال عالج يعلم بان المواريث لا تعول ويقولون في ذلك بقاعدة من له الغنم فعليه الغرم ولا يقولون بالتعصيب بل يرث الميت اقرب الناس اليه حسب طبقات الارث سواء كان الوارث انثى او ذكراً فابنة الرجل الوحيدة ترث النصف بالفرض والباقي بالرد الآية واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فلا يرث اخو المتوفى شيئاً لان البنت من الطبقة الاولى والاخ من الطبقة الثانية وكذلك الاخت تحجب العم

ويقول الشيعة بصحة الجمع بين صلاتي الظهر والعصر وتختص الاولى من اول الوقت بمقدار ادائها والثانية من آخره بمقدار ادائها وما بقي من الوقت فهو مشترك وكذلك بين المغرب والعشاء ولكن التفريق بين جميع الصلوات افضل ويصح هذا الجمع عندهم سفراً وحضراً وجمهور السنيين يقولون به عينه في السفر فقط ويقولون بوجوب صلاة الجمعة بشروطها الشرعية واذا قال الزوج لزوجته انت طالق ثلاثاً فان كانت جامعة لشروط الطلاق وقعت طلقة واحدة ويصح له الرجوع اليها ان لم تكن الطلقة ثالثة وان لم تكن جامعة لشروط الطلاق وقع الطلاق باطلاً

ويرون كجمهور المسلمين الطهارة بالماء القليل والكثير من الحدث والخبث. وقول صاحب لتبعات ولاية بيروت بانهم لا يؤمنون بطهارة شيء الا اذا دخل في الحوض المسمى جابية (اوام كرى) (كذا) !! هو قول غير صحيح ولو صح ما قاله لكانت بيوت الشيعة كلها لا تخلو من هذه الاحواض مع ان كثيراً من قراهم وقصباتهم في جبل عامل خالية منها ولا تستعمل الا في البلاد القليلة الماء في بعض القرى فهي ليست من الدين والمعتقد في شيء ونظافة ماء هذه الاحواض وعدمها راجعة الى ذوق اصحابها

وتجتمع الشيعة في ايام عاشوراء فتقيم المآتم على الحسين بن علي شهيد كربلا عليه السلام وعهدهم بذلك بعيد يتصل ربما بعصر فاجعة كربلا واول من رثاه ابو دهبل الجمحي بقصيدة يقول فيها

تنام النشاوى من امية نوّماً   وبالطف قتلى لا ينام حميمها

والظاهر من سيرة ديك الجن الحمصي في كتاب الاغاني ان هذه الاجتماعات كانت معروفة في زمانه ثم ان بني بويه ايام دولتهم عنوا بها مزيد العناية ولا تزال الى اليوم تقام في جميع اقطار الشيعة وهي ليست من الفروض المفروضة في مذهب الشيعة بل هم يستحبونها لانها تصدر عن ولاء محض فيحزنون لحزن

اوليائهم وفي بعض البلدان الكبيرة للشيعة بيوت تقام فيها هذه المآتم تعرف بالحسينية وهي ليست مساجد للشيعة كما توهمهُ صاحب تتبعات ولاية بيروت فقال «وفي كل قرية جامع للمتاولة يسمى حسينية ليس فيهِ مأذنة ولا منبر» والخبير باحوالهم يعلم ان الحسينيات في كل البلاد طولها وعرضها لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة مع انه في كل قرية من قراهم مسجد لهم يختلف شأنهُ من حيث الاتقان باختلاف حال الاهلين وتفاوت ثروتهم فالحسينيات ليست بمساجد ولا هي منزهة عما تنزَّه عنهُ المساجد شرعاً فيدخل اليها الجنب والحائض وغير المسلم ولا تجب طهارتها بخلاف المساجد وقد كان لهذه العادة اي (اجتماع الشيعة لعزاء الحسين) دخل كبير في ترقي امر الشيعة نصَّ عليهِ الباحثون من الفرنجة كالدكتور جوزف الفرنساوي في كتابهِ الاسلام والمسلمين وكالمسيو ماربين الالماني في كتابهِ السياسة الاسلامية حيث عقدا فصلين في كتابيهما لهذا الموضوع ووفياه حقهُ وترجم الفصلان الى العربية والفارسية والهندية والتركية ونشرتهما جريدة حبل المتين الكبرى التي تصدر في الهند باللغة الفارسية ومجلة العلم في العراق والعرفان في صيداء

الدروز

طائفة من طوائف سوريا نشأت في اواخر القرن الرابع من الهجرة ويبلغ عددها الآن نحواً من مأتي ألف منها في لبنان مئة الف وفي حوران ستون الفاً والباقي في وادي التيم الاعلى والاسفل وفي مرجعيون وصفد والشام وضواحيها وبيروت وبقية في الجبل الاعلى في جهات حلب. وهم يقولون ان منهم قوماً في غير سوريا ولكنهم لا يتظاهرون بدينهم

تسميتهم

غلب عليهم اسم الدروز في حين انهم يتبرأون من الدرزي ويقبّحون سيرتهُ وتعاليمه اشد التقبيح ذلك لانه قام ببدع خالف فيها ما كان أُمر بهِ من حيث الدعوة والارشاد ولائمة الدروز رسائل عديدة في ردّ مزاعمه وتسفيه تعاليمهُ اما الدروز فقد كان يسميهم اصحابهم بالاعراف وهم يلقبون انفسهم بالموحدين وهو احبّ الاسماء اليهم وقد غلب عليهم في المدة الاخيرة لقب آل معروف وهذا اللقب بحسب الوضع خاص باهل حوران منهم لانه كان شعار اليمنيين على عهد انقسام الطائفة الى الحزبين المشهورين القيسي واليمني

معتقدهم

يعتقد الدروز بوحدانية الله وانه فرد صمد منزه عن الازواج والعدد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً احد لا بداية له ولا نهاية وانه عادل لا غرض لفعلهِ قادر لا مرد لحكمهِ ان اثاب فبفضلهِ وان عاقب فبعدلهِ ويؤمنون بملائكة الله وانبيائهِ ورسله وبالقضاء خيره وشره وان النفوس خالدة تتقمّص بالاجساد البشرية الى يوم الحشر حيث تجزى كل نفس بما كسبت ويعتقدون بالقدر اعتقاداً صحيحاً راسخاً وان الله خلق الدنيا بقوله كوني فكانت وان الاعمار مقدرة لا يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها

اما كتبهم فالقرآن وهم يعتقدون انهُ قديم منزل ولكنهم يخالفون السنة في تفسير آياتهِ ولهم رسائل كتبها لهم انبياؤهم ودعاتهم لا يفهمها الا الراسخون منهم في الدين لان لها ظاهراً وباطناً وحقيقة وتأويلاً

وهم يقسمون من حيث الدين الى ثلاث طبقات · العقال وهم الذين يطلعون على دقائق الدين واسراره ويقومون بما فرض الله عليهم من حق عبادتهِ ولا يجوز لاحد منهم ان يكون في هذه الطبقة ما لم يتبع ما أُمر بهِ من توحيد الخالق جل ذكره وحفظ الاخوان وصدق اللسان وترك الفواحش ما خفي منها وما ظهر واجتناب القتل والفسق والسرقة والكبرياء والزنا والغش والرياء والغضب والنميمة والغيبة وشرب الخمر وجميع الشهوات والمحرمات والشبهات والتجافي عن مجالس الهزل والسخرية والتهمة فاذا اتى احد هؤلاء امراً مما نهي عنه ابعده اخوانه من مجالسهم وخلواتهم مدة تطول وتقصر تبعاً لذنبهِ ويظل مبعداً الى ان تتحقق توبته وتتأكد ندامته وتزكو سيرتهُ

الطبقة الثانية ويقال لهم الشراح وهم دون الطبقة الاولى من حيث الوقوف على اسرار الدين وانما يباح لهم مطالعة ما كتبه الشيخ الفاضل وما علقهُ الامير عبد الله التنوخي المعروف عندهم « بالسيد » شرحاً على رسائل لائمة الدين وهذه الفرقة تتألف ممن لا يقدرون أن يقوموا بجميع ما يقوم بهِ العقال من التمسك باوامر الدين او كان سبق لهم ان قتلوا نفساً في غير دفاع عن نفس او عرض واستباحوا محرماً كبيراً

الطبقة الثالثة الجهال وهؤلاء لا يعرفون شيئاً من اصول دينهم واسرارهِ ولا يكلَّفون غير ما يوجبهُ عليهم الدين من الآداب العامة الاجتماعية

ومن العقال طبقة تعرف بالمتنزهة قد بلغ منها الورع والزهد غاية ليس بعدها غاية فمنها من يصوم سحابة نهارهِ الى المساء ومنها من لا يأكل لحماً ولا فاكهة ولا يشرب قهوة ولا يأكل في بيت حاكم او من مال اتصل منهُ ولا من وقفٍ مهما كانت جهتهُ وسواد هذه الفئة يأكلون بصنع ايديهم

ومما يعترف لهم به مواطنوهم التساهل الديني الذي قل ان ترى مثله في غيرهم من سائر الطوائف فقد بنوا لمن بينهم من المسلمين والنصارى جوامع وكنائس وديوراً لم تزل تنطق لهم بالتساهل الديني وحسن الجوار

اما ما كان من فتن سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٤٥ وسنة ١٨٦٠ فلم يكن بعامل التعصب وانما كان لمنازعات شخصية حزبية ولعل السبب في هذا التساهل الذي قلَّ ان تصل اليه امة من الامم العريقة في المدنية والحضارة انهم لا يقبلون في دينهم غريباً ويقولون ان باب التوحيد أُقفل ولا سبيل الى دخول من لم يدخل في ابان الدعوة

اما تكتمهم في بعض مسائل دينهم فقد دفعهم اليهِ ما وقع عليهم من الاضطهاد في انطاكية وحلب وصوفر حيث ذبحت منهم المئات بل الالوف فاضطروا الى كتمان بعض امور من عقائدهم وها هم اليوم غيرهم في الامس من هذا القبيل فانهم يصرّحون باشياء لم يكونوا يصرّحون بها منذ ستين سنة على ان الله تعالى قال في كتابهِ العزيز لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي

وقد حمل هذا التكتم الشديد بعض من ليس له اطلاع على كتبهم وحقيقة امرهم على ان يرموا الدروز

باعتقادات هم براء منها ثم وقع لبعض مؤرخي الاغيار شيء من الكتب ظنوها لهم او لم يفهموا رموزها فبنوا آراءهم في الدرزية عليها

اما الكتب المختصة بالدروز فلا يتأتى لمن طالعها فهمها لان الغريب لا يفهم باطنها ورموزها ولو بالغ في دراستها والعاقل المطلع على سرها لا يبوح بهِ للسبب الذي ذكرناه وهم يجرون في معاملاتهم الدينية من حيث النكاح والطلاق والصلاة على الميت وسائر الاصول والعادات والاحكام الشرعية على حسب الشريعة الاسلامية والشعائر السنيّة ما خلا اموراً منها انهم يوصون كما يشاؤون لمن يشاؤون عملا بالآية الكريمة والتقاليد القديمة ولا يجمعون بين زوجتين ولا يردّون طالقاً ومرجعهم في احكامهم الى مشايخ العقل وقضاة المذهب

والدروز مشهورون بالشجاعة والاقدام موصوفون بشدة العصبية فهم مهما بلغ منهم الانقسام والتحزُّب والخلاف يجتمعون كتلة واحدة وكلمة واحدة في امورهم العامة وحوادثهم الخارجية ويطربون جدّاً لسرد اقاصيص الشجاعة واصحابها سواء في ذلك شيوخهم وشبانهم ومما امتازوا بهِ ايضاً شدة الحفيظة والدفاع عن العرض ولو كان عرض عدوهم فلم يسمع عنهم في جميع حروبهم انهم انتهكوا عرضاً

ولهم في تقاليدهم وعنعناتهم ومحافظتهم على الانساب تمسك عظيم لا يتسامحون بشيء مهما كان بسيطاً وعشائرهم طبقات امراء ومقدمون ومشايخ والمشايخ ايضاً طبقات وكل طبقة لها مزيج خاص لا تتعداه الى غيره وليس هذا بين الخاصة منهم بل تراه مرعياً بين عامتهم ايضاً فقد تتجاور عائلتان ما شاء الله ان تتجاورا دون ان يقع بينهما زواج لكون احداهما اشرف من الاخرى وكذلك يحافظون على حق التقدم في الاجتماعات وتوقيع الامضاءات واكثر ما يرى هذا في دروز لبنان بالنظر لتقادم عهدهم وعراقة انسابهم وقد حفظت هذه التقاليد فيما مضى كيانهم وجمعت كلمتهم فقد كانوا كالجند المنظم لكل جماعة منهم قائدها وعريفها تأتمر بامره وتقف عند نهيهِ

كان الدروز حتى النهضة العلمية الاخيرة على مثل ما كان عليهِ سائر مواطنيهم من التأخر في المعارف والعلوم ومع ذلك فقد نبغ منهم جماعة اشتغل بعضها بالتاريخ كصالح بن يحيى التنوخي وابن سباط العاليهي ومنها من اشتغل بالفقه كالامير عبد الله التنوخي وهذا جمع الى الاشتغال بالغة الاشتغال بالفقه والتفسير وسائر العلوم الدينية وألف في جميعها وله خطب مشهورة في ذم الدنيا والزهد فيها وهناك فئة اشتغلت بالشعر فجاء شعرها فصيحاً مطبوعاً معرباً كالامير سيف الدين والامير فوارس وغيرهما فلما كانت النهضة الاخيرة وانتشرت المدارس الاجنبية وغرضها بث الدين ثم نشر العلم لم يمنع الدروز ما في دينهم من التساهل عن دخولها فاسرعوا اليها واخذوا العلم دون ان يأذن لهم ما في دينهم من الصلابة وما في اخلاقهم من المكانة بان يبدلوا ديناً او يغيروا يقيناً وقد ساروا في سبيل العلم والحضارة شوطاً لا يقل عن بقية مواطنيهم فترى فيهم اليوم الفقيه والطبيب والعالم والاديب والكاتب والشاعر والصحافي والتاجر الى غير ذلك مما يتطلبهُ العمران وتدعو اليهِ حاجة العصر

وبالجملة فان الدروز فرقة من الامة الاسلامية وفرع من فروع ارومتها الحنيفية ومهما كان من امرهم فانهم يدينون بدين يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر

قائمة

اخص المؤلفات التي استند اليها محرّرو مقالات لبنان

اولاً التآليف العربية

آثار البلاد لزكريّا القزويني طبعة كوتنغن
الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو اليسوعي جزآن بيروت ١٩٠٨—١٩١٠
ابو سمرا غانم او البطل اللبناني لخليل همّام فائز مصر ١٩٠٥
الباكورة السليمانيّة في كشف اسرار الديانة النصيريّة لسليمان الاذني بيروت
تاريخ الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنّوس شدياق بيروت ١٨٥٩
تاريخ الامير حيدر الشهابي (الغرر الحسان في تواريخ حوادث الازمان) مصر ١٩٠٠
تاريخ بيروت لصالح بن يحيى بيروت ١٩٠٢
تاريخ حوادث الشام من السنة ١١٩٧ الى ١٢٥٧ هجريّة لخائيل الدمشقي بيروت ١٩١٢
تاريخ سوريّا لجرجي يني بيروت ١٨٨١
تاريخ سوريّا للمطران يوسف الدبس ثمانية مجلّدات بيروت ١٨٩٥—١٩٠٦
تاريخ الصحافة العربيّة للفيكونت دي طرازي جزآن بيروت ١٩١٣
تاريخ صيداء لاحمد عارف الزين صيداء ١٣٣١
تاريخ لبنان للأب بطرس مرتينوس اليسوعي خمسة اقسام بيروت ١٨٨٩
تاريخ مدينة زحلة لعيسى اسكندر معلوف زحلة ١٩١١
تاريخ الموارنة للبطريرك اسطفان الدويهي بيروت ١٨٩٠
تسريح الابصار في ما يحتوي جبل لبنان من الآثار للأب هنري لامنس اليسوعي جزءان طبعة ثانية بيروت ١٩١٤
تقويم البلدان لابي الفداء طبعة باريس ١٨٤٠
دائرة المعارف للمعلّم بطرس البستاني ١١ مجلداً بيروت ١٨٧٦—١٩٠٠
دليل لبنان لابرهيم بك الاسود بيروت ١٩٠٦
ذخائر لبنان لابرهيم بك الاسود بعبدا ١٨٩٦
رحلة ابن جبير الاندلسي طبعة ليدن ١٨٥٢ و ١٩٠٧

زبدة الصحائف في اصول المعارف لنوفل نعمة الله نوفل الطرابلسي بيروت ١٨٧٦
فتوح البلدان للبلاذري ليدن ١٨٦٦
الفرق بين الفرق لابي نصر البغدادي مصر ١٣٢٢
الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم اربعة اجزاء مصر ١٣١٧—١٣٢٠
مجلة الآثار ١٩١٢—١٩١٤
مجلّة المشرق ١٨٩٧—١٩١٤
مجلة المقتبس ١٣٢٤—١٣٣١
مجلّة المقتطف ١٨٧١—١٩١٤
مجلة الهلال ١٨٩٢—١٩١٤
مجموعة المحرّرات السياسيّة والمفاوضات الدوليّة من السنة ١٨٤٠ الى ١٨٦٠ تعريب الشيخين فريد وفيليب الخازن جرنية ١٩١٠—١٩١١
مختصر تاريخ لبنان لمحمد صعب خاطر بيروت ١٩١٤
معجم البلدان لياقوت الحموي ٥ مجلدات طبعة ليبسيك ١٨٦٦ — ١٨٧٠
الملل والنحل لابي الفتح الشهرستاني طبعة لندن ١٨٤٢
الملل والنحل او المنقذ من الضلال للامام الغزالي الاسكندريّة
منتخبات الصناعة في فنّ الزراعة لبشارة نخول بيروت ١٨٨٤
نبذة تاريخيّة في المقاطعة الكسروانيّة للخوري منصور طنّوس الخوري لبنان ١٨٥٥
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي : قسم الشام وفلسطين طبعة المانيا ١٨٨٥

ثانياً التآليف الاجنبية

Baedeker (K.) : Palaestina und Syrien, 6e ed., *Leipzig*, 1904

Boissier (Edm.) : Flora Orientalis, 5 vols., *Genève et Bâle*, 1867 - 1882

Bouvier (Fred. s. j.) ; Résumé de l'histoire politique et religieuse de la Syrie depuis la conquète romaine jusqu'à nos jours (lithographié), *Beyrouth*, 1905

Bulletin du Comité de l'Asie Française, *Paris*, 1905 - 1914

Carra de Vaux : La Doctrine de l'Islam, *Paris*, 1909

Carte de l'Expédition française en Syrie, 1860

Churchill (Col.) : Mount Libanon, *London*, 1853

Collinet (Paul) ; Etudes historiques sur le droit de Justini , *Paris*, 1912

Corpus Inscriptionum Semiticarum, *Paris* 1881 - 1914

Cuinet (Vital): Syrie, Liban et Palestine, *Paris*, 1896 - 1898

Diehl (Ch.): Justinien la Civilisation byzantine au VI^e^ siècle, *Paris*, 1901

Diener: Der Libanon, *Wien*, 1886

Ducousso (G.): L'Industrie de la Soie en Syrie, *Beyrouth*, 1913

Echos d'Orient, *Paris* 1896 - 1814

Goeje (M. J. de): Bibliotheca Geographorum Arabicorum, I – VIII, *Leiden*, 1870-1885

Guérin (V.): Judée, Samarie et Galilée, 8 vols., *Paris*, 1868 - 1880

Guy le Strange: Palestine under the Moslems, *London*, 1890

Guys (H.): Beyrouth et le Liban, 2 vols., *Paris*, 1857

Guys (H.): Esquisse de l'état politique et commercial de la Syrie, *Paris*, 1862

Guys (H.): La Nation Druse, son Histoire, sa Religion, ses Mœurs et son Etat Politique, *Paris*, 1861

Guys (H.): Théogonie des Druses, texte et traduction, *Paris*, 1863

Hartmann (M.): The Islamische Orient, *Berlin*, 1899 - 1905

Heyd: Hist. du commerce du Levant au Moyen-Age., 2 vols., *Paris*, 1886

Hilaire de Baranton O. C.: La France Catholique en Orient, *Paris*, 1902

Journal Asiatique de Paris, 1823 - 1914

Jullien (Michel s. j.): Sinaï et Syrie, *Lille*, 18..3

Klein (F. A.): The Religion of Islam, *London*, 1905

Lenormant (Fr.): Histoire ancienne de l'Orient, 9^e^ *ed.*, 6 vols., *Paris*, 1881 - 1888

Le Quien (Michel O. P.): Oriens Christianus, 3 vols., *Paris*, 1740.

Lortet (Dr. L.): La Syrie d'Aujourd'hui, *Paris*, 1884

Martin (Pierre s. j.): Histoire du Liban (Manuscrit)

Maspero (G.): Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient Classique, *Paris*, 1897 - 1899

Masson (Paul): Histoire du commerce français dans le Levant au *XVII^e^* siècle, *Paris*, 1896

Médawar (Wady): La Syrie Agricole, *Paris*, 1903

Mélanges de la Faculté Orientale, *Paris, London, Leipzig*, 8 vols., 1906 - 1913

Mémoires sur les trois plus fameuses sectes de l'Islamisme, *Paris*, 1818

Mislin (Mgr.): Les Saints Lieux, 3 vols., *Paris*, 1876

Movers (F. C.): Die Phoenizier, *Bonn*, 1841 - 1856

Perrot (G.) **et Chipiez** (Ch.): Histoire de l'Art dans l'Antiquité, t. III., 1883, *Paris*

Post (G.): Flora of Syria, *Beirut*, 1896

Prutz (H.) ; Aus Phoenizien, *Leipzig*, 1878

Quarterly Statements des Palestine Exploration Fund. *London*, 1880-1914

Raulinson (G.) : History of Phœnicia, *London*, 1889

Reclus (Elisée) : Nouvelle Géographie Universelle, t. IX, *Paris*, 1884

Renan (E.) : Mission de Phénicie, *Paris*, 1864

Recueil des Historiens des Croisades - Historiens Orientaux, 5 vols., *Paris*, 1872-1906

Revue Biblique, *Paris*, 189? - 1914

Revue de l'Orient Chrétien, *Paris*, 1895-1914

Revue des Deux Mondes, *Paris*, 1840-1914

Rey (E.) ; Les Colonies franques en Syrie aux 12e et 13e siecles, *Paris*, 1883

Rey (G.) ; Etude sur les Monuments de l'Architecture militaire des Croisés en Syrie. *Paris*, 1871

Ritter Erdkunde, vols 15-17, *Berlin*, 1854

Rouvier (J.) : Numismatiques des villes de Phénicie (Brochures), 1900-1908

Sacy (Sylv. de) : Exposé de la Religion des Druzes, 2 vols., *Paris*, 1838

Schlumberger ; Numismatique de l'Orient Latin, *Paris*, 1878

Seetzen (N. J.) ; Reisen durch Syrien, Palaestina, etc *Berlin*, 1854-1859

Thomson (W. M.) : The Land and the Book, *London*, 1886

Verney (Noël) et **Dambmann** (G.) : Les Puissances étrangères dans le Levant en Syrie et en Palestine, *Paris*, 1910

Vigouroux (L'abbé F.) ; Le Dictionnaire de la Bible, 5 vols., *Paris*, 1895-1912

Vogüé (M. de) : Syrie Centrale, Architecture civile et religieuse, du 1er au 7e siècle, *Paris*, 1861-1877

Winckler (H.) ; Altorientalische Forschungen, *Leipzig*, 1898

Wright (W.) : The Empire of the Hittites, *London*, 1894

Yanoski (J.) et **David** (J.) : Syrie Ancienne et Moderne, *Paris*, 1848

Zeitschrift d. deutschen Palaestina Vereins, *Leizipig*, 1850-1914

Zumoffen (G. s. j.) ; La Géologie du Liban, *Beyrouth*, 1895

فهرس كتاب لبنان

	صفحة
ديباجة الكتاب	٥
وصف لبنان	٧
القسم الاوّل : وصف لبنان الطبيعي	٧
اسم لبنان	٧
حدود لبنان	٨
اعتبار سلسلتي لبنان جبلاً واحداً	٨
الجبال المجاورة للبنان	٨
اقوال كتبة اليونان والرومان في تخوم لبنان	٩
ما قاله الكتبة البوزنطيّون	٩
ما قاله جغرافيّو العرب	١٠
خرائط لبنان القديمة والحديثة	١٠
تحديد لبنان	١١
انفصال سلسلتي لبنان	١١
سهل البقاع	١١
هيئة لبنان	١٢
مساحة لبنان	١٢
علوّ قمم لبنان	١٣
المقابلة بين منعطفي لبنان	١٤
اودية لبنان	١٤
فعل العوامل الطبيعيّة في اودية لبنان	١٥
ساحل لبنان	١٦
ارتفاع الساحل عن سطح البحر	١٦
سهول لبنان الساحليّة	١٨
خلجان لبنان ورؤوسه	١٩
خلجان لبنان	١٩
رؤوس لبنان	٢٠
جزائر لبنان وشبه جزائره	٢٠
ينابيع لبنان	٢١
منافع ينابيع لبنان	٢١
الامطار والينابيع في لبنان	٢١
تأثير الاشجار والغابات في غزارة الامطار والينابيع	٢٢
تكوّن الينابيع في بواطن لبنان	٢٢
وفرة الينابيع في لبنان ومواقعها في الجبل	٢٣
اسماء اخص ينابيع لبنان	٢٤
انهار لبنان	٢٥
عظم فوائد انهار لبنان	٢٥
وجهة الانهار اللبنانيّة وقصر سيرها	٢٦
النهر البارد — نهر ابي علي — نهر الجوز	٢٧
نهر ابراهيم	٢٨
نهر الكلب	٢٩
نهر انطلياس — نهر بيروت	٣٠
نهر الدامور	٣١
نهر الاولي — نهر الزهراني	٣٢
الانهار الشتوية	٣٢
نهرا العاصي والليطاني	٣٣
خطّ انقسام المياه في سهل بعلبك	٣٣

	صفحة
نهر العاصي	٣٣
نهر الليطاني	٣٤
بحيرات لبنان	٣٥
بركة اليمونة	٣٥
بركة الزينيَّة — بركة رام الزينيَّة	٣٦
نبات لبنان اجمالاً	٣٦
حيوانات لبنان اجمالاً	٣٧
هواء لبنان	٣٨
القسم الثاني : وصف لبنان الاداري	٤٠
مقاطعات لبنان القديمة	٤٠
المقاطعات التابعة لعاملة طرابلس	٤٠
المقاطعات التابعة لعاملة صيداء	٤٢
توحيد حكومة لبنان ثمَّ قسمتها الى حكومتين	٤٤
جعل لبنان متصرفيَّة	٤٤
اسماء الحكَّام الذين تولَّوا متصرفيَّة لبنان	٤٥
حدود متصرفيَّة لبنان	٤٥
اقضية متصرفيَّة لبنان ومديريَّاتها	٤٥
أخصب اراضي متصرفيَّة لبنان	٤٧
جدول قرى لبنان ومزارعهِ مرتبة على حروف المعجم	٤٨—٦٩
جيولوجية لبنان اي علم طبقات صخوره	٧٠
عامل النار وعامل الرسوب في صخور لبنان	٧٠
جدول تاريخ تكوُّن الطبقات الصخرية في لبنان	٧٢

	صفحة
نبات لبنان	٧٦
حيوان لبنان	٧٩
١ جغرافيتهُ الحيوانية	٧٩
٢ حيوانات لبنان	٨٠
الحيوانات اللبونة الكبرى	٨٠
الحيوانات اللبونة المتوسطة الحجم	٨١
الحيوانات اللبونة الصغيرة	٨١
الطيور	٨٣
الطيور المستوطنة	٨٣
ضيوف الربيع والصيف	٨٥
ضيوف الخريف والشتاء	٨٦
الطيور العابرة	٨٦
العصافير الصغيرة	٨٨
الجوارح — الطيور المائيَّة — الطيور المضرَّة او المؤذية	٨٩
الزحافات	٨٩
طائفة العظاء	٨٩
ابو بريص — الاذناب السهلة الانفصام	٩٠
الحرباء او الحرباية — العظاء العديمة القوائم	٩١
الحيَّات — السلاحف — الحيوانات البرمائيَّة	٩٢
العديمة الاذناب : الضفادع	٩٣
ذوات الاذناب : السمندل والتريتون — السمك	٩٤
مناخ جبل لبنان	٩٥
جدول ١ الحرارة في الظلّ مقياس سنتكراد	١٠٠
جدول ٢ معدَّل المطر الشهري	١٠١

	صفحة
ارصاد الارياح وجهة هبوبها	١٠١
جدول ٣ معدَّل المطر السنوي في بعض المراكز	١٠٢
جدول ٤ ارتفاع بعض المراكز فوق سطح البحر	١٠٣
الآثار القديمة في لبنان	١٠٤
١ الآثار الظرّانية في لبنان	١٠٤
طور الحجارة المنحوتة	١٠٥
طور الحجر الصقيل من الظرّان	١٠٥
٢ الآثار اللبنانيَّة الكنعانيَّة	١٠٦
٣ الآثار المصريَّة في لبنان في عهد الفراعنة	١٠٨
٤ الآثار الاشوريَّة في لبنان	١١٠
٥ الآثار الفينيقية	١١١
صور	١١٢
صيداء	١١٤
بيروت	١١٦
جبيل	١١٧
البترون — عمريت	١١٩
٦ الآثار اليونانية في لبنان	١٢٢
النقود اليونانية	١٢٣
الكتابات اليونانية	١٢٣
الاعلام اليونانية لمدن فينيقية	١٢٣
الآلهة اليونانيون	١٢٤
المدافن والنواويس اليونانية	١٢٤
٧ الآثار الرومانية في لبنان	١٢٧
المشروعات العمومية	١٢٧
الهياكل الرومانية في لبنان	١٢٨
التماثيل الرومانية	١٢٩
المباني الرومانية	١٣٠
الكتابات الرومانية في لبنان	١٣١
آثار رومانية شتى	١٣٢
٨ الآثار البيزنطية في لبنان	١٣٣
٩ الآثار العربية في لبنان	١٣٤
١٠ الآثار المنسوبة الى الصليبيين	١٣٧
الآثار الدينية	١٣٧
الآثار المدنية	١٣٨
الاخلاق والعادات اللبنانية	١٤١
تمهيد	١٤١
اخلاق اهل لبنان الشخصية	١٤١
معاملاتهم الاهلية	١٤٢
معاملات الاعيان	١٤٣
معاملات العامة	١٤٦
العادات اللبنانية في اطوار الحياة البشرية	١٤٨
النسل — الحبل والعقم	١٤٨
الولادة — العماد والختان	١٤٩
تربية الاولاد	١٥٠
ملاهيهم والعابهم ومروّضاتهم	١٥١
عاداتهم في افراحهم	١٥٣
الخطبة	١٥٣
العرس	١٥٤
الطلاق والهجر	١٥٦
مآدبهم — مسامراتهم	١٥٧

	صفحة
عاداتهم في احزانهم	١٥٨
امراضهم	١٥٨
نوائبهم — المآتم	١٦٠
النعي — قلْع الخيل — الدفن	١٦١
الحمل والدعوة	١٦٢
الضيافة والخلعة والضريح	١٦٢
الحداد والعادات الأُخر	١٦٣
شؤُونهم العمومية ديناً ودنيا	١٦٤
الاعياد والمواسم السنوية	١٦٤
المتاجرات والمبايعات	١٦٨
مآكلهم وانواع اطعمتهم ومشاربهم	١٦٩
ملابسهم وحلاهم ذكوراً واناثاً	١٧١
بناء بيوتهم وتأثيثها	١٧٣
عاداتهم في صنائعهم المختلفة	١٧٤
عاداتهم في فنونهم الزراعية وتربية مواشيهم	١٧٦
شؤونهم مع رؤسائهم الدينيين والدينويين	١٧٨
شؤونهم مع شيوخهم واصحابهم ومواطنيهم	١٨٠
العناصر اللبنانية ومذاهبها الدينية	١٨٢
١ الكنعانيون	١٨٢
ديانة الكنعانيين	١٨٣
٢ الآراميون ودينهم في لبنان	١٨٦
٣ الحثيون وديانتهم	١٨٨
٤ الكلدان والاشوريون في لبنان ودياناتهم	١٨٩
٥ المصريون في لبنان ودياناتهم	١٩٠
٦ الفرس في لبنان ودينهم	١٩٣

	صفحه
٧ اليونان في لبنان ودياناتهم	١٩٤
٨ الايطوريون في لبنان ودياناتهم	١٩٦
٩ الرومان في لبنان ودياناتهم	١٩٧
١٠ الروم البوزنطيون في لبنان والديانة المسيحية	١٩٨
ديانة الروم البوزنطيين	١٩٩
المسيحيون الكاثوليك	٢٠٠
الموارنة — الروم الملكيون الكاثوليك	٢٠٠
الارمن الكاثوليك — السريان الكاثوليك	٢٠١
طائفة اللاتين — الرهبان اللاتينيون	٢٠٣
١ الفرنسيسيون	٢٠٣
٢ اليسوعيون — ٣ الكرمليون	٢٠٣
٤ الكبوشيون — ٥ اللعازريون	٢٠٤
٦ اخوة المدارس المسيحية — ٧ اخوة مريم او المارسيت	٢٠٤
الراهبات	٢٠٥
١ راهبات الزيارة — ٢ راهبات المحبة	٢٠٥
٣ راهبات مار يوسف	٢٠٥
٤ راهبات قلبي يسوع ومريم — ٥ راهبات الناصرة	٢٠٦
٦ راهبات الراعي الصالح — ٧ راهبات العائلة المقدسة	٢٠٦
٨ راهبات محبة بيزانسون	٢٠٦
٩ راهبات السجود — ١٠ الراهبات الكرمليات	٢٠٧
١١ راهبات القديس شرل — ١٢ راهبات الفقراء العجَّز	٢٠٧
المسيحيون غير الكاثوليك	٢٠٨

	صفحة
١ الروم — ٢ السريان اليعاقبة	٢٠٨
٣ الارمن الغريغوريون — ٤ الانجيليون	٢٠٩
الدياكونيس	٢١٠
١١ المردة في لبنان ودينهم	٢١٠
١٢ العرب في لبنان	٢١١
١٣ العجم والمتاولة ودينهم	٢١١
١٤ الدولة التركية في لبنان	٢١٢
دين الاتراك قبل اسلامهم	٢١٣
١٥ طائفة الدروز ودينهم	٢١٤
١٦ النصيرية ودينهم	٢١٦
١٧ اليهود وديانتهم	٢١٨
الاسلام	٢٢٠
لمحة في تاريخ لبنان	٢٢٥
مقدمة	٢٢٥
١ القرون السابقة للتاريخ	٢٢٥
٢ لبنان في مبادي الطور التاريخي	٢٢٦
٣ لبنان وفينيقية تحت حكم فراعنة مصر	٢٢٧
٤ لبنان وفينيقية في عهد الفلسطينيين	٢٣٠
٥ لبنان وفينيقية تحت حكم الاشوريين	٢٣١
٦ لبنان وفينيقية على عهد الفرس	٢٣٣
٧ فينيقية ولبنان في زمن اليونان	٢٣٤
٨ الرومان في فينيقية ولبنان	٢٣٦
رقي بيروت في ايام الرومان	٢٣٦
ظهور النصرانية في ايام الرومان في فينيقية ولبنان	٢٣٧
مدرسة بيروت الفقهيّة في عهد الرومان	٢٣٨
مشاهير بيروت في زمن الرومان	٢٤٠
رقي مدن فينيقية وآثار الرومان فيها	٢٤٠
غابات لبنان و بيروت في عهد الرومان	٢٤١
التجارة والصنائع في ايام الرومان	٢٤٢
معادن لبنان في زمن الرومان	٢٤٣
٩ تاريخ لبنان وفينيقية في عهد الروم	٢٤٣
النصرانيّة والعيشة الرهبانيّة في لبنان	٢٤٤
البدع النصرانية في لبنان وفينيقية	٢٤٥
مدارس بيروت في عهد الروم ولاسيما في عهد يوستنيان	٢٤٦
نكبات بيروت وفينيقية	٢٤٧
١٠ تاريخ فينيقية ولبنان في عهد العرب	٢٤٩
فتح سواحل لبنان	٢٤٩
لبنان وفينيقية في عهد الخلفاء الامويين والعباسيين	٢٤٩
الامراء التنوخيّون	٢٥١
الدولة الفاطمية — النصيريّة — الدروز	٢٥٢
الدولة السلجوقية	٢٥٣
اوصاف لبنان وسواحلهِ في ايام العرب للكتبة المعاصرين	٢٥٤
حروب ملوك الروم في فينيقية ولبنان في عهد الفاطميين	٢٥٦
اخبار متفرقة جرت ايام الخلفاء	٢٥٨
بنو ارسلان في لبنان	٢٥٨
مشاهير المسلمين والنصارى	٢٥٩
١١ تاريخ لبنان وفينيقية في عهد الصليبيين	٢٦٠
فتوحهم لسواحل لبنان ومشارفهِ	٢٦١
سياسة الصليبيين واخلاقهم	٢٦٣
علائق الصليبيين مع المسلمين	٢٦٦

	صفحة
مآثر الصليبيين الدينية والمدنية	٢٦٧
ما استفادهُ الصليبيون من الشرقيين	٢٦٨
ما استفادهُ نصارى لبنان من الصليبيين	٢٦٩
نصوص كتبة العرب عن لبنان والمدن الساحلية في ايام الصليبيين	٢٦٩
الامراء المعنيون في لبنان في عهد الصليبيين	٢٧١
الامراء الشهابيون	٢٧٢
١٢ تاريخ لبنان وسواحلهِ في عهد مماليك مصر	٢٧٣
محاربة مماليك مصر لقرصان الفرنج	٢٧٤
غزواتهم لكسروان	٢٧٥
التركمان في كسروان	٢٧٥
التنصليات ورهبان مار فرنسيس في عهد مماليك مصر	٢٧٦
آل عسَّاف في لبنان	٢٧٧
١٣ تاريخ لبنان وسواحلهِ منذ الفتح العثماني	٢٧٨
الاقطاعات في لبنان	٢٧٩
حكومة آل سيفا	٢٨٠
انقراض آل عساف	٢٨١
١٤ لبنان في زمن الامير فخر الدين المعنيّ الثاني وسلالتهِ (١٥٨٤ — ١٦٩٧)	٢٨١
١٥ لبنان في زمن الامراء الشهابيين (١٦٩٧ — ١٨٤١)	٢٨٥
الامير حيدر الشهابي	٢٨٥
تنصر اولاد الامير حيدر	٢٨٦
حكم الامير يوسف الشهابي في لبنان	٢٨٦
الامير يوسف واحمد باشا الجزار	٢٨٧
١٦ لبنان في عهد الامير بشير الكبير المعروف بالمالطي (١٧٩٠ — ١٨٤٠)	٢٨٩
حداثة الامير بشير ورقيه في ايام الجزار	٢٨٩
ظفرهُ باعدائه واستقلالهُ	٢٩٠
الامير بشير في ايام الحملة المصرية	٢٩٢
١٧ لبنان ايام الحكومة المصريَّة ١٨٣٣ — ١٨٣٩	٢٩٤
حسن تصرفها اولاً مع اللبنانيين	٢٩٤
نفور اللبنانيين من الحكومة المصريَّة	٢٩٥
واقعة نصيبين سنة ١٨٣٩	٢٩٦
مداخلة اوربا في اصلاح الامور	٢٩٦
إخلاء المصريين لسوريَّة ونفي الامير بشير الى مالطة ثم موتهُ في الاستانة	٢٩٧
١٨ لبنان بعد حكم المصريين الى السنة ١٨٦١	٢٩٨
الامير بشير قاسم الشهابي	٢٩٨
مصطفى عمر باشا النمساوي	٢٩٨
تنصيب قائمقامين مسيحيّ ودرزي على لبنان	٢٩٩
حوادث سنتي ١٨٤٣ و١٨٤٤	٢٩٩
هياج عامَّة لبنان على المشايخ	٣٠٠
حوادث السنة ١٨٦٠	٣٠١
١٩ لبنان منذ نظامهِ الجديد ١٨٦١—١٩١٤	٣٠١
٢٠ نظر عامّ في احوال لبنان مدَّة الدولة العثمانيَّة	٣٠٢
ترقي لبنان الدينيّ والمدنيّ	٣٠٢
لمحة نظرية في الزراعة اللبنانية	٣٠٥
مظاهر العمران في لبنان هي نتيجة المهاجرة	٣٠٥
يلزم كلّ امَّة أن تؤمّن كيانها بما عندها من القوى والحاصلات	٣٠٦
طُرُق الاستفادة من الاتربة وقوى	

صفحة

الطبيعة في لبنان ٣٠٦
سبب قطع احراج لبنان في العصور الخالية ٣٠٧
تسميد المزدرعات وتنسيقها ٣٠٨
علم الزراعة الكيمويّة وعناصر الاتربة ٣٠٨
الزراعة تستند الى العلم والصنائع ٣٠٨
احياء الاحراج وتنميتها في قمم لبنان وفي
الاراضي التي لا تصلح للزراعة ٣٠٩
الاعتناء في انشاء المراعي الدائمة او الموقتّة ٣٠٩
المحافظة على الاتربة الناعمة لئلاّ تجرفها الامطار ٣١٠
منفعة الاشجار لتحسين حالة لبنان ٣١١
اراضي لبنان تصلح لزراعة اشجار الفاكهة ٣١١
صلاحية الساحل بين نهر الكلب وصيداء
لزراعة الخُضَر ٣١١
العناية بالكروم ٣١٢
صناعة الحرير ٣١٢
الزراعة المتناوبة ٣١٢
خلاصة البحث عن الزراعة اللبنانيّة ٣١٣

الزراعة في لبنان ٣١٥

تمهيد ٣١٥

١ الاحراج ٣١٥

آفات احراج لبنان ٣١٦
الاشجار التي تنبت في الاراضي القاحلة ٣١٧
الخرنوب٠البطم٠اللوز٠الغار٠الملول ٣١٧—٣١٨
منفعة الغابات ٣١٨

٢ المزدرعات ٣١٩

منفعة المياه للمزدرعات ٣٢٠
الآلات الزراعية ٣٢٠
السماد وخواصهُ وانواعه ٣٢١
المحصولات الزراعيّة ٣٢٢

١ الحبوب والقطاني ٣٢٣

الحنطة—الشعير—الذرة—الذرة البيضاء—
الرزين—القطاني ٣٢٣—٣٢٥

٢ البقول والخضر ٣٢٥

البطاطا—البطاطا الحلوة ٣٢٥—٣٢٦

٣ الاشجار المثمرة ٣٢٦

التين—الليمون—التفاح والأجاص—
المشمش—الخوخ والقراصيا والدراق
والكرز والجنرك—السفرجل والرمان—
القشطة—العناب والزعرور—اللوز
—الجوز—الفستق—البندق—
النخيل ٣٢٦—٣٣٠

٤ الزراعات الصناعية ٣٣٠

الجفنة ٣٣٠
الزبيب والدبس والعرق ٣٣١
آفات الكرم—رمد الكرم—داء
الفيلوكسيرة واصنافها ٣٣٢
الوقوف على وجود الفيلوكسيرة ومداواتها ٣٣٤
الزيتون ٣٣٥
الزيت ٣٣٦
التوت وزراعته ٣٣٦—٣٣٧
بزر القزّ واصنافهُ وتربيتهُ ٣٣٧
علل دود القزّ—القرن الاحمر ٣٣٩
القيّاح والذبلان ٣٤١

صفحة

طرق الوقاية من علل دود القز ٣٤١
التبغ ٣٤٤
التنباك ٣٤٥
قصب السكر ٣٤٥
النباتات العطرية — النباتات الصبغية والدبغية — النباتات الطبية ٣٤٦

٥ نباتات واشجار مختلفة ٣٤٦

٦ آفات المزروعات من النباتات الفطرية وغيرها من الحشرات ٣٤٧

الرهوب والصدأ — سوس القمح — الانوسيت — خانق الكرسنة — المالوش والوقاية منه — آفات أخرى وعلاجها ٣٤٧ — ٣٥١
الحشرات القشرية والخشبية ٣٥١
آفة الجيز — الزلقطة والزنبور ٣٥٢
حيوانات ضارة للمزدرعات ٣٥٣
الحيوانات الاهلية المفيدة للزراعة ٣٥٣
النحل وتربيته — دواب النقل — البقر — الضأن — الماعز — الخنزير — الدجاج — ديك الحبش والبط والوز ٣٥٣ — ٣٥٦

خلاصة البحث عن الزراعة ٣٥٦

الصناعة في لبنان ٣٥٨

١ صناعات الاعاشة ٣٥٨

المطاحن . المعاجين الغذائية — معاصر الزيت والصابن — الجبن — اللبن — الزبدة والسمن
معامل الاستقطار — المطورات ٣٥٨ — ٣٦٠

صفحة

٢ صناعات الغزل والحياكة ٣٦١

معامل الحرير — الحياكة والتطريز ٣٦١ — ٣٦٢
الديما ٣٦٤
الدانتلات — السجاد — اللباد ٣٦٥

٣ صناعات اخرى ٣٦٥

الصباغة والدباغة والسكافة — معامل السجاير — الجليد الاصطناعي ٣٦٥
لوازم البناء : الحجارة والكلس ٣٦٦
المعامل الخزفية — معامل القرميد — معامل سبك الحديد ٣٦٢
معامل القوارب والسفن ٣٦٨

٤ الصناعات البحرية ٣٦٨

صيد الاسماك والحيوانات الاخرى ٣٦٨
الاسفنج السوري ٣٦٩
الالاحات ٣٧١

الازمة في لبنان ٣٧١
المهاجرة ونتائجها ٣٧٢
مستقبل لبنان ٣٧٣

الاحوال الزراعية والتجارية والصناعية والاقتصادية في جبل لبنان ٣٧٥

كلمة تمهيدية ٣٧٥
الزراعة — الاقليم ٣٧٥
الاراضي والفلاحة — اقسام الاراضي ٣٧٦
مزروعات لبنان ومحصولاتها ٣٧٦

	صفحة
اشجار لبنان ومحصولاتها	٣٧٧
التوت—الزيتون—بساتين الليمون والبرتقال واجناسها — الموز — النخل — الكرم وانواعه — التين وانواعه	٣٧٨—٣٨١
المواشي	٣٨٢
الخيل — الحمير — البقر—الغنم —المعزى	٣٨٢
الاحراج	٣٨٣
الاحراج الاميرية— اللزّاب	٣٨٣
الاحراج العائدة للبلديات	٣٨٣
فائدة الاحراج للبنان	٣٨٤
رسوم الاحراج	٣٨٤
المعادن	٣٨٥
الفحم — النحاس — مقالع الحجارة	٣٨٥
الصنائع	٣٨٥
مصانع الحرير — الحياكة – الصابون والعرق — الدباغة	٣٨٦
التجارة والاحوال الاقتصادية	٣٨٦
جدول الادخالات والاخراجات	٣٨٧
تفوُّق ارباح ترقي الزراعة والصناعة على ارباح المهاجرة	٣٨٧
نظرة في حالة لبنان الاقتصادية	٣٨٩
تمهيد — مساحة اراضي لبنان وسكانهُ	٣٨٩
الري	٣٩٠
الري من اكبر العوامل لانهاض الزراعة	٣٩٠

	صفحة
جرّ مياه نهر ابراهيم	٣٩٢
نبع الجماجم	٣٩٣
نبع العسل — نبع الصفا —نبع الباروك — مجاري مياه ثانوية	٣٩٤
مياه الشرب — اثمان المياه — النواعير	٣٩٥
مياه الآبار	٣٩٦
الاموال التي صُرفت بلا جدوى — معاضدة الحكومة — جرّ مياه نبع الدلبة	٣٩٧
ريّ ساحل لبنان	٣٩٨
الحرير	٤٠١
جدول يبين تقدُّم صناعة تربية القزّ من سنة ١٨٦١ — ١٩١٠	٤٠٢
معدَّل محصول الحرير مدَّة ست سنوات في لبنان وفي بعض البلاد	٤٠٤
حلّ الحرير	٤٠٥
وصف ادوات معمل حلّ لبناني	٤٠٧
كيف يُحلّ الحرير	٤٠٨
أكلاف الحلّ	٤١١
نظرة إقتصاديَّة في صناعة الحلّ في الجبل	٤١٢
معامل الحرير الحديثة و مميزاتها	٤١٧
العمَّالة الميكانيكيَّة	٤١٨
البرمة الفرنساوية والايطالية	٤٢١
وصف اجمالي لادوات المعامل الحديثة	٤٢٣
سائر مميزات المعامل الحديثة	٤٢٤
تناسب سطح المياه — الفرس — مياه الخلاقين	٤٢٤—٤٢٥
المميزات الاقتصادية في معامل الحلّ الحديثة	٤٢٦

	صفحة
اهم القوانين المتعلقة بتنشيط صناعة الحل	٤٣٨
اهم الوسائل التي تساعد على انهاض صناعة الحل في لبنان	٤٣١
مختبر الحرير الشرعي	٤٣٤
المصرف الصناعي الزراعي	٤٣٦
نتائج الدرس عن الحرير	٤٣٧
الاصطياف	٤٣٧
امكنة الاصطياف في لبنان حالاً	٤٣٧
اماكن اخرى تصلح للاصطياف	٤٣٨
نمو حركة الاصطياف	٤٣٩
الوسائل لترويج هذه الحركة باستمرار السيارات واصلاح الطرق	٤٤٠
طرق جديدة ينبغي إنشاؤها	٤٤١
طريق اعالي لبنان	٤٤٣
مشاريع توسيع القرى وتزيينها	٤٤٥
الاعلانات	٤٤٧
تأسيس ادارة مركزية لتفتيش البلديات	٤٤٧
الفحم السيال	٤٤٨
الاستفادة من انهر لبنان لتوليد الحركة اللازمة للصناعة	٤٤٨
الاستفادة خصوصاً من نهر البردوني	٤٤٩
نهر ابراهيم والاستفادة منهُ لانشاء شلال بالغ القوة	٤٥٤
خلاصة الابحاث الاربعة السابقة	٤٥٥
العلوم والآداب في لبنان وفينيقية	٤٥٨
١ المعارف في لبنان وفينيقية في الازمنة القديمة	٤٥٨
حروف الهجاء الفينيقية وانتشارها	٤٥٨
٢ المعارف في لبنان بعد المسيح الى ظهور الدولة العثمانية	٤٦٠
العلوم في بيروت وصور	٤٦٠
العلوم في اللاذقية وجبيل وطرابلس	٤٦١
المعارف والآداب في عهد الصليبيين	٤٦٢
المعارف في عهد دولة المماليك المصريين	٤٦٣
٣ المعارف في لبنان في عهد الدولة العثمانية	٤٦٤
المعارف قبل القرن التاسع عشر	٤٦٤
مشاهير اللبنانيين المتخرجين في مدرسة الموارنة في رومية	٤٦٤
من اشتهر منهم في عواصم اوربا	٤٦٥
ظهور فن الطباعة في لبنان	٤٦٥
مطابع قزحيا (١٦١٠) والشوير (١٧٣٤) وبيروت (١٧٥١)	٤٦٥
المدارس في لبنان في القرنين السابع عشر والثامن عشر	٤٦٥ — ٤٦٦
إنشاء الرهبانيات البلدية المارونية والملكية الكاثوليكية وترقي المعارف بفضلها	٤٦٦
فضل الاكليروس الشرقي والمرسلين في تنشيط النهضة الادبية	٤٦٦
مشاهير ادباء في ذلك العهد في لبنان	٤٦٦
المخطوطات الشرقية	٤٦٧
٤ الآداب اللبنانية في القرن التاسع عشر	٤٦٨
الطور الاول من ١٧٠٠ الى ١٨٣٠	٤٦٨

	صفحة
أدباء تلك الحقبة	٤٦٨
المدارس: عين ورقة — عين تراز — كفرحي — الرومية — صربا — مار عبدا هرهريا — ريفون — البامند	٤٦٨ — ٤٦٩
الطور الثاني من السنة ١٨٢٠ الى ١٨٧٠	٤٦٩
المرسلون الاوربيون الكاثوليك : اللعازريون ومدرسة عين طورا	٤٦٩
المرسلون الاميركيون البروتستانت ومدارسهم في بيروت والجبل ومطبعتهم	٤٦٩
الرهبان اليسوعيون في لبنان	٤٦٩
مدارسهم في بيروت وغزير وصيداء والشاء الجبل	٤٦٩
إنشاؤهم لجمعيات رهبانيّة لضبط مدارس الذكور والاناث	٤٧٠
مدارس راهبات المحبة في بيروت	٤٧٠
المكتب العسكري — المدرسة البطريركيّة	٤٧٠
مدارس الشرفة والعربية والمحبة وعين القش وسوق الغرب	٤٧٠
المدرسة الوطنية	٤٧٠
البعثات العلميّة	٤٧٠ — ٤٧١
المطابع : مطبعة القديس جاورجيوس (١٨٧٤) — المطبعة الكاثوليكية (١٨٤٨) الخ	٤٧١
المطابع في لبنان : بيت الدين (١٨٥٣) طاميش (١٨٥٨) اهدن (١٨٥٩)	٤٧١
الجمعيات الادبيّة	٤٧٢
الصحف والجرائد	٤٧٢
التآليف	٤٧٣
مشاهير الرجال في تلك المدة	٤٧٤
الطور الاخير من القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين	٤٧٥—٤٧٦
المدارس الكبرى : الكلية الاميركيّة — كليّة القديس يوسف — مدرسة الحكمة — زهرة الاحسان	٤٧٦
المكتب الاعدادي — المدارس الاسلامية	٤٧٦
مدرسة قلب يسوع بالجمعية الفرار	٤٧٦
مدارس لبنان الثانوية لهم وللاء وللمرسلين	٤٧٧
مدارس الطوائف الكاثوليكيّة والروم الاورثذكس والانكليز في لبنان	٤٧٧
مدارس الاناث الراقية في بيروت لراهبات المحبة وراهبات مار يوسف وراهبات الناصرة وراهبات العائلة المقدسة وراهبات القديس شرل وراهبات الروم الاورثذكس	٤٧٧
المطابع المنشأة في هذا الطور في بيروت ولبنان	٤٧٨
الجرائد والمجلات في اواخر القرن التاسع عشر في بيروت ولبنان	٤٧٨
الجرائد والمجلات في اوائل القرن العشرين	٤٧٩
اخص المطبوعات التي نشرت في بيروت وسواحل الشام ولبنان في كل صنف من العلوم من السنة ١٨٧٠ الى ١٩١٤	٤٨١
الجمعيات العلمية	٤٨٥
خزائن الكتب — المكتبة الاميركية — المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين	٤٨٦
فضل اللبنانيين في نشر الآداب في المهجر لا سيما مصر وجهات اميركا	٤٨٦

	صفحة
ادارة المعارف في جبل لبنان	٤٨٨
تشكيل ادارة المعارف	٤٨٨
المكتب الاعدادي	٤٨٩
مكتب جمال باشا الليلي الابتدائي للاناث	٤٨٩
دار الايتام في عين طوره	٤٩٠
دار المعلمين ودار المعلمات	٤٩٠
جدول المدارس الابتدائية للذكور والاناث في لبنان	٤٩١
ابنية المدارس الابتدائيَّة	٤٩٢
تاريخ احوال الطرقات في جبل لبنان	٤٩٣
١ احوال الطرقات قبل السنة ١٢٧٧	٤٩٣
٢ الطرقات التي أُنشئت اوَّلاً	٤٩٤
٣ الهمَّة في إِنشاء الطرقات	٤٩٤
٤ جدول الطرقات التي أُنشئت حسب الاقضية والمتصرفين	٤٩٥—٤٩٦
٥ بعض ملاحظات عائدة لجدول الطرقات	٤٩٧
٦ الاصول في إِنشاء الطرقات	٤٩٧
٧ تصليح وانشاء الطرقات العموميَّة	٤٩٧
٨ تصليح وانشاء الطرقات الخصوصية	٤٩٨
٩ جدول مخصَّصات ومصارفات الطرقات لسنة ٣٢٩	٤٩٩
١٠ هيئة اللواء الفنيَّة لادارة الطرقات في لبنان	٥٠٠
١١ طرقات اللواء الموجودة الآن	٥٠١
١٢ جسورة اللواء المهمَّة	٥٠٥
١٣ طول الطرقات ونسبة مساحتها الى اللواء	٥٠٦
١٤ الغلطات الفنية الموجودة في الطرقات	٥٠٦
١٥ نظر في بعض نقط مقتضاة في المستقبل	٥٠٧
سرايات الحكومة في لبنان	٥٠٩
سراية بيت الدين وابنيتها	٥٠٩
دار الحكومة في بعبدا	٥١١
دور الحكومة في الاقضية	٥١١
المالية في لبنان	٥١٣
الويركو المقطوع او المال المقطوع او المال المحدود	٥١٤
رسم الاعناق — ويركو الاملاك	٥١٤
جدول المال المقطوع حسب عدد النفوس في كل الطوائف	٥١٥
الاملاك الهمايونية او الاملاك الاميرية	٥١٦
المعاملات المخصوصة لبعض المزارع من الاملاك الاميريَّة	٥١٧
الرسوم الحديثة المسماة مهملات	٥١٨
ايضاحات عن بعض رسوم المهملات	٥١٩
ربع المجيدي	٥٢١
خلاصة — مجموع الواردات	٥٢٢
مصارف	٥٢٢
جدول اوَّل وثانٍ عن الصرفيات في سنة ١٣٢٩ من حسابات الخزينة والمهملات	٥٢٣-٥٢٤
القضاء في جبل لبنان	٥٢٥
الدور الاوَّل للقضاء	٥٢٥
الدور الثاني للقضاء	٥٢٦
الدور الثالث للقضاء	٥٢٨
الدور الرابع للقضاء	٥٢٨

صفحة

النفوس في لبنان ٥٣٠

جدول احصاء اهالي جبل لبنان عن سنة ١٣٢٩ ٥٣٠

الامور الصحية في جبل لبنان ٥٣١

المياه والصحة في لبنان ٥٣١

نظر في قصبات لبنان وقراه من الوجهة الصحية ٥٣٣

نظرة عامة في الصحة العمومية في لبنان ٥٣٥

القسم الاول : الامراض المحلية — الملاريا اسبابها ومعالجتها ٥٣٥ — ٥٣٦

الحمى التيفوئيدية والپاراتيفوئيد علالها وعلاجها ٥٣٦

الدوسانتاريا — امراض الرئة ٥٣٧

تدرن الرئة — أمراض القلب الخ ٥٣٨

الامراض الزهرية والجلدية ٥٣٩

القسم الثاني : الامراض الموجودة في لبنان قبل الحرب العمومية ٥٣٩

القسم الثالث : الامراض الفاشية في لبنان في اثناء الحرب الحاضرة ٥٤١

حمى التيفوس ٥٤١

الحمى الراجعة — التهاب سحايا الدماغ الشوكي ٥٤٢

ادارة الصحة في لبنان ٥٤٢

الاجراءات الصحية في لبنان ٥٤٣

صفحة

وصف آلتي التطهير الحديثة والقديمة ٥٤٤—٥٤٥

جدول تلقيحات الجدري في لبنان لسنة ٣٣٣ ٥٤٥

جدول التولدات والوفيات في لبنان لسنة ٣٣٣ ٥٤٦

جدولان للامراض السارية في لواء جبل لبنان لسنة ٣٣٣ ٥٤٦

ملحقان في المتاولة والدروز ٥٤٧

ملحق اول : المتاولة ٥٤٧

مبدأ أمر الشيعة ٥٤٧

ادوار حياتهم ٥٤٨

الشيعة في برّ الشام ٥٥٠

ادبيات الشيعة ووطنيتهم ٥٥١

فِرَق الشيعة ومذهبهم ٥٥٣

ملحق ثانٍ : الدروز ٥٥٤

تسميتهم ومعتقدهم ٥٥٤

اخلاقهم وتقاليدهم وبعض اعلامهم ٥٥٦

قائمة أخص المؤلفات التي استند اليها محررو مقالات لبنان ٥٥٧

١ التآليف العربية ٥٥٧

٢ التآليف الاجنبية ٥٥٨

فهرس عمومي لمواد كتاب لبنان ٥٦١

فهرس التصاوير والرسوم ٥٧٤

فهرس التصاوير والرسوم

	صفحة
حضرة اسماعيل حقي بك افندي متصرف	
لواء جبل لبنان	
الجسر الطبيعي قريباً من نبع اللبن	٢٤
ثلاثة جسور نهر الكلب	٢٨
منظر نهر الليطاني قريباً من قرية برغش	٣٤
بركة اليمونة	٣٦
داود باشا متصرف لبنان الاول	٤٠
سراي بيت الدين	٤٦
ارز لبنان	٧٦
قرية بيت مري	٩٤
خارطتان فينيقية ولبنان	١٠٤
رعمسيس الثاني على مركبته الحربية	١٠٨
رعمسيس الثاني وجيوشه	١٠٩
صورة احد ملوك اشور في مضيق نهر الكلب	١١٠
الاصداف الارجوانية في صيداء	١١٦
هيكل عشترت في جبيل	١١٧
معبد عمريت	١٢٠
مدفن عمريت الفينيقي	١٢١
الجسر الروماني المعروف بقناطر زبيدة قريباً من بيروت	١٢٦
جنادل (شلالات) أفقا	١٢٨
اسلحة عربية قديمة	١٣٦
قلعة الحصن من بناء الصليبيين	١٣٨
فرانقو باشا متصرف لبنان الثاني	١٤٠
قرويون لبنانيون	١٤٢
صورة دولاب صناعة القصب	١٧٤
رستم باشا متصرف لبنان الثالث	١٨٢
جندي كنعاني	١٨٣
جندي فينيقي	١٨٤
١ رسم الزهرة معبودة لبنان — ٢ عشترت في يدها حمامة — ٣ عشترت على رأسها الهلال — ٤ جوبيتر البعلبكي — ٥ البقرة ابيس معبودة المصريين	١٨٤
٦ راس ملك اشوري — ٧ جندي حثي — ٨ فينيقيون حاملون جزية لفرعون — ٩ انصاب الكنعانيين	١٨٨
جندي فارسي	١٩٣
مشايخ الدروز	٢١٤
واصا باشا متصرف لبنان الرابع	٢٢٤
وادي قاديشا	٢٤٤
نعوم باشا متصرف لبنان الخامس	٢٦٠
مظفر باشا متصرف لبنان السادس	٢٧٣
يوسف باشا فرانقو متصرف لبنان السابع	٢٧٨
الامير بشير الشهابي المالطي	٢٨٨
مدخل سراية بيت الدين	٢٩٢
مدينة زحلة	٣٠٤
الضبية	٣١٤
صورة المحراث الحديث	٣٢١
دودة قز بداء البهاري (المحرق)	٣٣٩
رسم قطر القرن الاحمر	٣٤٠

	صفحة
رسم ورقة ذات ثقوب معدّة لتربية دود القز	٣٤٣
بدويون يشتغلون البلس	٣٦٤
رسم اسفنجة ناعمة مستخرجة من سواحل سورية	٣٧٠
لبناني يشتغل بعمل السلال	٣٧٤
اوخانس باشا متصرف لبنان الثامن	٣٨٨
ادوات الحل المستعملة الآن في جبل لبنان	٤٠٦
رسم للدلالة على كيفية تحريك وايقاف دواليب الحل	٤٠٨
رسم ١٠ مقطع نصفي لعالة ميكانيكية	٤١٩
رسم ٧ و٨ و٩ طريقة تلقيم العالة الميكانيكية	٤٢٠
رسم ١١ تفاصيل برمة الحرير الايطالية	٤٢١
رسم معمل حل على الطريقة الحديثة	٤٢٢
رسم الخلقين المستعمل في معامل الحرير الحديثة	٤٢٣
رسم ٥ نظرة اجمالية على احد المعامل الموجودة حالاً في لبنان	٤٢٣
رسم ٦ يمثل معملاً ايطاليًا يحل على عشر عمالات	٤٢٣
رسم ١٢ و ١٣ يوضحان كيفية توزيع الحرير على دولاب الحل توزيعًا متناسبًا	٤٢٤
قرية الشوير في لبنان	٤٣٨
وادي البردوني في زحلة وبيان الكيفية في إنشاء شلال لتوليد قوة كهربائية عظيمة	٤٥٠
علي منيف بك متصرف لبنان التاسع	٤٥٨
بلدة دير القمر	٤٨٨
الرسم النصفي للديوان الكبير في بيت الدين	٥١٠
رسم حمام سراية بيت الدين	٥١١
بعبدا : السراي والقرية	٥١٢
قرية برمانا في لبنان	٥٢٤
خارطة متصرفية جبل لبنان تدل على القرى الموجودة فيها امراض الملاريا والافرنجي	٥٣٦
ثلاثة غرافيك للامراض السارية والوفيات في لواء جبل لبنان	٥٣٨
آلة التطهير بواسطة البخار	٥٤٤
خارطة متصرفية جبل لبنان بطول ٤٦ سنتيمتراً وعرض ٤٠ وبمقياس	٥٧٦